(فهرست الجزء الاول من كتاب مطالع البدور فى منازل السرور تأليف الشيخ الاديب والفاضل الاريب علاء الدين على ابن عبد الله البهائى الغزولى)

صحيفة

صحيفه

ت

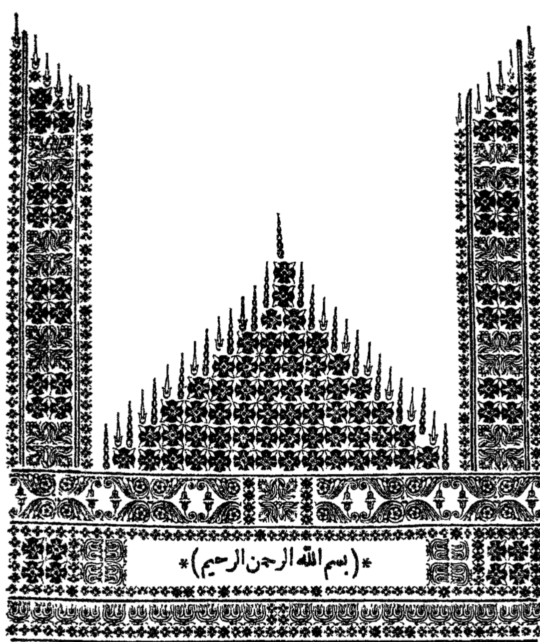
(الجزء الاول)

مطالع البدور فى منازل السرور

تأليف الشيخ الاديب والفاضل
الاريب علاء الدين على
ابن عبد الله البهائى
الغزولى عفى
الله عنه
آمين

(طبع بمطبعة ادارة الوطن)

(الطبعة الاولى سنة ١٢٩٩)



(الحمد لله) الذي جعل قلوب البلغاء افلاكا لمطالع البدور * وأسكنها من فسيح صدورهم في منازل السرور * وأطلعها من درج الفصاحة الى بديع الطباق وأحلها منازل سعد سنية الاشراق * يظل تحت جناح شرفها كل منشد وقائل * لك يا منازل في القلوب منازل *(أحمده) حمد من تخير لعمله الصالح دارا أسس بنيانها على تقوى * وجعل بابها مدخلا الى جنة المأوى * فأضحت مباركة العتبة لمن أمها بعد سير حثيث * وروى حديث فضلها المسند فأكرم بدار الحديث *(وأشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة هي عدتنا في هذه الدار * وعمدتنا في دار المقام *(وأشهد) أن محمدا عبده ورسوله قائدنا الى دار السلام * الكافي لمن يخافه ويرجوه * الهادي الى طباق السعادة يوم تبيض وجوه وتسود وجوه * صلى الله عليه وعلى آله ما رفعت أركان * وشيد بنيان

(أما بعد) فهذا كتاب مجموعه غريق أهل الادب مفيد * وتذكرة فيها ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد * جاء فى تأليفه الشريف علوى النسب وناريخا أدبيا لو جمعه الذهبى لكتبه بماء الذهب * ما وصل الى حلاوة تأليفه ابن خلكان * ولا ينظر مع وجوده بوجه فى مرآة الزمان * فياله من مجموع أقسم بثانى اثنين انه تفرد * وهامت به كتب الادب وأمست عارية من الجلد وما عسى ان تجلد * لقد أصبح من حسان المعانى بحور مقصورات فى خيام الطروس ممدودا وأوتى من كنوز الادب وأنبائه مالا ممدودا * وبنين شهودا * صرفت الذهن الى ترصيفه واستعنت بالناقد البصير عند الصرف * وبالصانع القدير عند الرصف * وأعربت بناء عن وصف دار ملك فجاء فى حسنه زائدا الوصف * فأقسم من وصف هذه الدار بالبيت المعمور انها نزهة الناظر والسامع * واتلو على بيت حاسدها ان عذاب ربك لواقع * ما مرّ الادباء على أبوابها الا سلموا سلام الخاشعين عسى ان يقال لهم ادخلوها بسلام آمنين

وانى وان لم أستطع خلوة بكم * أمرّ على أبوابكم فأسلم

فتح على من وصفها بخمسين بابا فسبحان الفتاح * ولكن جعلت سواد نقسها وبياض طرسها نزهة تى فى الليل والصباح * وجاورتها بأوصاف علت بحسن طباقها البديعة على بيوت الاشعار * فاستحقيت التمتع بها دون الغيرلان جار الدار أحق بدار الجار * وتالله لقد أحجم الفضلاء عن وصف هذه الدار المباركة أعتابها وكيف اذا جاؤها وفتحت أبوابها * وأمست قلوب معانيها المختلفة بأنواع البدائع تتألف * وهى تتلو على بيت حاسدها لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف * كم طرق بابها بوصف فأتيت بالدقة الادبية من الافتتاح * وأبديت ما لو ناظره ابن سكرة لعسر ذلك عليه ولو أتى بالمفتاح وان دخلت الى وصف الدهليز من بابه فما تركت لاحد فيه مدخل * أو الى البادهنج نقلت حديث الهوى صحيحا وان كان معلل * أو الى وصف الخدام استعبدت حر الكلام * وأظهرت قوة العزائم فى الاستخدام * وان ترويت فى البركة رفعت لها من الوصف راية فوق قناتها * أو فى النوفرة الغضة حققتها من زهور البديع بخضراتها * كم سهرت فى الفرش لوصف المساند وهم على الارائك ينظرون * وردت الى وصف الدواليب وهالات بدورها ونجوم نثرتها

وكل فى فلك يسبحون * وكم سجعت فى وصف الطيور المسموعة بما يغنى عن سجع
المطوق وألحان السواجع * وهذبت النفس فى وصف الشطرنج فعقدلى
الدست من حسن فرزنتى من غير مانع * وروحت الخاطر لوصف المروحة فهب لى
نسيم القبول من غير تعب * واقتبست من شعل الدهر وصف الشمعة والفانوس
ولم أقل لهيب الفكر تبت يدا أبى لهب * وأطلقت عنان الزهن القادح فى
وصف السراج * فكنت فارس القبيلة * وأتيت بما يفحم السراج * ولوطول
لسانه لقيل له لاتكن طويل الفتيله * وحدقت فى البساتين ووصف غصونها
وزرد خمائلها * فهمت الى بان الحمى وزرود * وتغزلت فى رياحينها وورودها
بما أخجل زهر الآداب وشوق الى العوارض والخدود * وتمسكت بالغوالى
من المعانى المعشوقة فى وصف الطيب فاطربت حتى قال أهل العود طيب
وملت الى صرف الذهن فى وصف الراح فمازجته من الشعر الذى يقطر ماء
الحسن منه بصيب * ووصفت الاوانى * حتى قالت الكاسات جانا دورو قهقهت
فرحة ثغور القنانى * وحليت سادجها بذهب الوصف حتى قالت أنا ذهبية
عصرى وأوانى * وجرعت العدو فى وصف النديم * والصديق الحميم * وألفت
فى وصف الشعراء قصصا تركت الحسود لما عبس وتولى عنها فى ألف لام ميم *
وأتيت فى وصف الفضلاء بنظام ونثر يحير الافاضل * وأرقصت طربا فى وصف
المطربين وماتوجت بما هو فى السمع داخل * واسترقيت فى وصف الجوارى
والغلمان كل حر من المعانى دقيق * وجئت بما لو سمعه ابن نباتة لصار له عبدا
بسوق الرقيق * ووصفت الباه بما يحرك الشهوات * وأتيت بما هو أوضح
من الصبح ولكن لم يكن قاطع اللذات * ودخلت الى الحمام بقلب وانشراح
صدر فأبديت مالو شاهده الحمامى لقال ما أنا قبالة هذا التشبيه * ومن هنا
عرفت حر الاشياء وباردها وأخذت المأمن مجاريه * وأضرمت الفكر فى
وصف النار فأتيت من الأدب بحشمة قطعت عندها الالسن الجرية * وأفحمت
كل ذهن وقاد وأخمدت الافكار اللهبية * وقعدلى الدست فى الطباخ فاتيت
فى وصف القدور بما طاب وعلى سوقه استوى * وقلت للافكار الاهى
بصنف فأتت بما ترك قلوب الاعداء خواء فقاء غير الاستوا * وتصيدت
من وصف الاسماك ماغصت خلفه من الشعر الى أقصى البحور * وأتيت بما حير

الثورانى والجزار فى وصف الجزور * ولم أدخل الى السفرة بجبن بل مددتها بما يليق بمثلى * وتركت البقول تقول لمن لا عنده رشاد وهو غير حاذق ما أنت من خل بقلى * ومددت الخوان بما نده من المعانى صيرت الشعراء عند وصفها فرقان وتنوعت فى الاطعمة الشهية بألوان وتفقهت فى الوصف لما دخلت الى باب المياه وقات وقد جرى جواد الفكر فى وصف الماء سبحان من أجراه * وأتيت فى وصف الحلوى بما لوذاقه ابن الحلاوى لشبك عليه وعقد الخناصر * وفى وصف المشروب بما أصبح كل ظام من أهل الذوق الى مورده العذب صادر * وتركت الضد فى بيت الخلا حائرا يبحث فى باب الطهاره * وكم طلب ان يستعيرله وصفا فلم يطق وشابت ذقنه فى باب الاستعاره * وعالجت وصف الاطباء وأعطيت الذهن دستورا فاتى بما هو من القانون أطرب * وان يجد ذلك حمار ضعيف الذهن فمفردات ابن البيطار له أوجب * وأتيت فى وصف الوزراء بما لو ناظره الغير لقالوا عنه كلا لا وزر وباشرت وصف الحساب فأتيت بما لو شاهده ابن الصاحب رجع عن ديوانه وعلم انى صاحب النظر واصطبحت بخمرة الانشاء فى رياض الوصف فأتيت بما أشار اليه بأصبعه زهر المنثور * وطرقت بابه ففتح على ودخلت من غير دستور * وأتحفت الاسماع من الهدايا بكل هدية صالحة لطيفة * وجلبت من معادن الأدب فى وصف الجواهر ما لو سمعه صاحب العقد نسى نظامه وتأليفه * وسننت الفكر فى وصف السلاح بجرثت الحد وكنت فارس الكلام * وتغزلت فى حواجب القسى واصداغ السيوف وقامات الخطى واهداب السهام * ووصفت الكتب وأبوابها بكل قرينة صالحة وأسكنتها فى أجل بيت * وأتيت فى وصفها بما لو ناظره الغير لغلقت الابواب وقالت هيت * وركضت بشدة الحزم الى وصف الخيل فلم ألحق فى ذلك المضمار * وأتيت فى وصف الدواب بما لم يقع عليه حافر ولا يلحق له غبار * وقنصت فى وصف المصائد ظباء البديع فانفرت * وحشرت وصف الوحوش فى حضائرها وناهيك اذا الوحوش حشرت * وصدحت فى وصف الحمائم بما هيج البلابل حين علا أوراقه * وأصبح طائر قلب الضد واقعا دونه ولو طار نحوه بطاقه * وأطلت فى وصف القصور فأتيت بكل بيت لم يكن له فى علو طباقه مطابق * وأتيت فى وصف الحصون المنيعة بما عوذته بالسماء ذات البروج من الطارق * وشوقت الى الاوطان

فأتيت فى وصف علائم المنازل بأبيات * اذا رآها الشيق الى أوطانه قال هى المنازل لى فيها علامات * ودخلت الى الجنة ففزت بأوصاف تركت الاعداء فى نار الحسد يتقلبون * وتلى عليهم لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون * واستوعبت هذه الاوصاف التى بعد مرامها وأمست عينا يشرب بها المقربون وهنا يحسن الالتفات فنقول والله المستعان على ما تصفون * وهذا أوان ايراد الابواب المذكوره * وشرح المحاسن المأثوره * وبالله التوفيق والاعانة * فى لطف الانابة وحسن الابانة * لا رب غيره ولا خير الا خيره وهو حسبنا ونعم الوكيل (الباب الاول) فى تخير المكان المتخذ للبنيان (الثانى) فى أحكام وضعه وسعة بنائه وبقاء الشرف والذكر ببقائه (الثالث) فى اختيار الجار والصبر على أذاه وحسن الجوار (الرابع) فى الباب (الخامس) فى ذم الحجاب (السادس) فى الخدم والدهاليز (السابع) فى البركة والفوارة والدواليب وما فيهن من كلام وجيز (الثامن) فى البادهنج وترتيبه (التاسع) فى النسيم ولطافة هبوبه (العاشر) فى الفرش والمساند والأرائك (الحادى عشر) فى الاراييح اللذيذة والمروحة وما شا كل ذلك (الثانى عشر) فى الطيور المسموعة (الثالث عشر) فى الشطرنج والنرد وما فيهما من محاسن مجموعه (الرابع عشر) فى الشمعة والفانوس (الخامس عشر) فى الخضرات والرياحين (السادس عشر) فى الروضات والبساتين (السابع عشر) فى آنية الراح (الثامن عشر) فيما يستجلب بها من الافراح (التاسع عشر) فى الصاحب والنديم (العشرون) فى مسامرة أهل النعيم (الحادى والعشرون) فى الشعراء المجيدين (الثانى والعشرون) فى الحذاق المطربين (الثالث والعشرون) فى الغلمان الحسان (الرابع والعشرون) فى الجوارى ذوات الالحان (الخامس والعشرون) فى الباه (السادس والعشرون) فى الحمام وما غزا مغزاه (السابع والعشرون) فى النار والطباخ والقدور (الثامن والعشرون) فى الاسماك واللحوم والجزور (التاسع والعشرون) فى السفرة والبقول (الثلاثون) فى الخوان والمائدة وما فيهما من كلام مقبول (الحادى والثلاثون) فى الوكيرة والاطعمة المشتهاه (الثانى والثلاثون) فى الماء وما جرا مجراه (الثالث والثلاثون) فى الحلوى والمشروب (الرابع والثلاثون) فى بيت الخلا المطلوب (الخامس والثلاثون) فى نبلاء الاطباء (السادس والثلاثون)

فى الحساب والوزراء (السابع والثلاثون) فى كتاب الانشاء وهو فصلان (الثامن والثلاثون) فى الهدايا والتحف النفيسة الاثمان (التاسع والثلاثون) فى خواص الاحجار وكلامها فى المعادن (الاربعون) فى خزائن السلاح والكنائن (الحادى والاربعون) فى الكتب وجمعها (الثانى والاربعون) فى الخيل والدواب ونفعها (الثالث والاربعون) فى مصائد الملوك الجليلة المقدار (الرابع والاربعون) فى حضائر الوحوش المتخذة لنزهة الابصار (الخامس والاربعون) فى الاسد والزرافة والفيل (السادس والاربعون) فى الحمام وما فيه من قيل (السابع والاربعون) فى الحصون والقصور والآثار (الثامن والاربعون) فى الحنين الى الاوطان وما فيه من رائق الاشعار (التاسع والاربعون) فى دار سكنت بها كثيرة الحشرات (الخمسون) فى جنات النعيم وما فيها من غرفات وبتمامه تمت الابواب

(والمقصود) من الواقف على كتابنا هذا الاقصار عن تتبع خطائنا والصفح عما يقف عليه عن اغفالنا والتجاوز عما ينتهى اليه من اهمالنا وان أداه التصفح الى صواب نشره والى خطاء ستره فقد كان يقال من ألف كتابا فقد استشرف فان أصاب فقد استهدف وان أخطأ فقد استقذف وكان يقال لايزال الرجل فى فسحة من عقله مالم يقل شعرا أو يضع كتابا وكان يقال اختيار الرجل وافد عقله ويقال دل على عاقل اختياره وقيل لبعض العلماء اختيار الرجل قطعة من عقله قال بل مبلغ عقله وقال الخليل بن أحمد لايحسن الاختيار الامن يعلم مايحتاج اليه من الكلام وقال الشعبى العلم كثير والعمر قليل فخذوا من العلم أرواحه يعنى عيونه ودعوا ظروفه وقال ابن عباس رضى الله عنه العلم أكثر من ان يحصر فخذوا من كل شئ أحسنه ونحن نستعين الله على كل حاسد ولله در القائل

لمن أبوح بشعرى حين أنظمه * أم من أخص بجن فيه من الزبد
اما جهول فلا يدرى مواقعه * أو فاضل فهو لايخلو من الحسد

على ان الانصاف من شيم الاشراف وهذا أوان الشروع فى ايراد ما قصدناه والامر الذى نحوناه وبالله المستعان

(الباب الاول فى تخير المكان المتخذ للبنيان)

قال ارسطا ليس أول الصناعات الضرورية الصيد ثم البناء ثم الفلاحة وذلك لوان رجلا سقط فى فلاة لا أنيس بها ولا زرع لم يكن همه الا حفظ قوام نفسه بالغذاء فليس يفكر الا فيما يصيده فاذا صاد واغتذى فليس يفكر بعد ذلك الا فيما يسكن فيه وهو البناء فاذا تم له ذلك فكر حينئذ فيما يزرعه ويغرسه وقال ابراهيم بن اسحق المصعبى عماء الملوك العمارة ولا يحسن بهم التجارة وقال ابن كلدة جميع خصال الدار المستحسنة ان تكون على طريق نافذ وماؤها يخرج منها وليس عليها مشترف وحدودها لها وتكون بين الماء والسوق ويصلح فناؤها لحط الرحال وبل الطين ووقوف الدواب وان كان لها بابان فذاك أمثل وينبغى ان يكون أيضا فى طرف البلد لان الاطراف منازل الاشراف وقال البحترى توفى سنة أربع وثمانين ومائتين

عجب الناس لاعتزالى وفى الاطـ * ـراف تلفى منازل الاشراف
وقعودى عن التلفت والار * ض لمثلى رحيبة الاكناف
ليس عن ثروة بلغت مداها * غير انى امرؤ كفانى كفافى

(قيل) وانما كانت الاطراف منازل الاشراف لانهم يتناولون ما يريدونه بالقدرة ويصل اليهم من يريدهم بالحاجة اليهم وقيل لرجل فى اى موضع من القرآن الاطراف منازل الاشراف فقال قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين فهنا أشرفهم وكان ينزل أقصى المدينة وقيل ليس فى الارض بخيل ولا جواد اذا ابتاع دارا الا بنى فيها شيأ وهدم شيأ وان قل لان حاجته ومنافعه ومرافق المسالك الاول لا يستويان قال الجاحظ رأيت بخلاء فى نهاية البخل يسرفون فى الانفاق على البنيان وقال الحكماء لذة الطعام والشراب ساعة ولذة النوم يوم ولذة المرأة شهر ولذة البنيان دهر كلما نظرت اليه تجددت لذته فى قلبك وحسنه فى عينك وقال ناصر بنى أمية فى مبانيه العظيمة بمدينة الزهراء بالاندلس

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم شأنه * أضحى يدل على عظيم الشأن

ولما دخل الرشيد الى منبج قال لعبد الملك بن صالح الهاشمي وكان لسان بني العباس هذا البلد منزلك فقال يا امير المؤمنين هو لك ولي بك قال كيف منازلك به قال دون منازل أهلي وفوق منازل غيرهم قال كيف صفة مدينتك قال عذبة الماء طيبة الهواء قليلة الادواء قال كيف ليلها قال سحر كله وهي تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة خضراء وفيافٍ فيح بين قيصوم وشيح فقال الرشيد والله هذا الكلام أحسن منها ولما بنى عيسى بن جعفر قصره بالرصافة دخل اليه عبد الصمد فقال بنيت أجل بناء بأطيب فناء وأوسع فضاء على أحسن بهاء بين صحار وحيتان وضباء فقال كلامك أحسن من بنائها وكان ابن جعفر بن سليمان الهاشمي يقول العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة وداري عين المربد وقال بعض أهل التجربة اذا ابتنى أحد كم دارا فليترك في واجهتها ثلمة تقيها شر عين الكمال (قلت) ولا بأس بايراد نبذة مما يتعلق بكرى الدار فمن ذلك ماحكى ان رجلا دخل حجرة يكتريها فقال أين المطبخ فقيل له في الجيران من يطبخ لك ويكفيك المؤنة قال فأين المخبز فقيل اذا اختمر العجين خبز والك أيضا قال فبيت الخلاء فقيل بالقرب خوبة تقضي فيها الحاجة قال فالسطح فقيل على الباب ساحة يطيب فيها النوم في الصيف قال فأنا في دار وما أعلم بروحي فأستمر على ما أنا فيه وأربح الاجرة وقال الحكم بن سعد قال لي مالك بن دينار صف لي معايش أهل البصرة فقلت قوم منهم لهم فضول منازل يكرونها وقوم لهم ارقاء يستعملونها وقوم لهم رؤوس أموال يغدون الى أسواقهم فيأكلون فضولها وقوم لهم نخيل يأكلون ثمارها فقال من كان معاشه من كرى فلئام الناس ومن استعمل الارقاء فكلاب الناس والذين يغدون الى أسواقهم فذئاب الناس ولكن أصحاب النخل وقال بعضهم

قد رضينا من الزمان بقوت ... وثبوت وسكن لا زياده
ورضينا من الاله بما يقـ * ـضي ومن غيره تركنا الاراده
غير انا نروم خاتمة الخيـ ... ـر فان صرت فتلك السعاده

(لطيفة) ذكرها الحريري في كتابه الموسوم بتوشيح البيان ان أحمد بن المعدل كان يجد بأخيه عبد الصمد وجدا شديدا على تباين طريقتهما لان أحمد كان

صوّاماقواما وكان عبدالصمد سكيراخميرا وكانا يسكنان دارا واحدة ينزل أحمد في غرفة أعلاها وعبد الصمد أسفلها فدعا عبد الصمد ذات ليلة جماعة من ندمائه وأخذ في القصف واللذات والعزف حتى منعوا أحمد الورد ونغصوا عليه التهجد فاطلع عليهم وقال أفأمن الذين مكروا السيآت ان يخسف الله بهم الارض فرفع عبد الصمد رأسه وقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (قلت) وعلى ذكر الغرفة فما ألطف ماذكره علاء الدين الوداعى في تذكرته قال رأيت مكتوبا على غرفة يصعد منها الى سطح قبة الصخرة المقدسة قوله تعالى أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما فعجبت من اتفاقها وكأنى لم أسمعها ورأيت أيضا في طاقة زجاج بقبر طالوت عليه السلام بسفح قاسيون قوله تعالى الله نور السموات والارض وهذا من عجيب ما يكتب على طاقة زجاج (نادرة) كان بعضهم في دار بكرى فقال لصاحبها اعمر لى السقف فانه يفرقع اذا مشينا عليه فقال لا بأس عليك فانه يسبح الله فقال أخشى ان تدركه الرقة فيسجد وطلب بعضهم دار الكرى فدلوه على دار فدخل غيرها فوجد واحدا ينيك أمرد فاستحى وقال هل عندكم دار للكرى فقال له ما أحمقك نحن من الضيق بعضنا على بعض (كان) بعض النحويين له مال كثير وليس له سكن يأوى اليه فقيل له ابن بيتا فقال والله لا بنيت ما اتفق النحويون على اعرابه ومما قاله (المرحوم القاضى) فتح الدين بن الشهيد الذى كان مولده بالرملة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وقد توفى مقتولا بالقاهرة سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وكتبه على عمارة له

بنيت على وقف المكارم والعلى * فلا فتح أبوابى صدرى للضم
سنا الملك يبدو في موشح زينتى * ومن أجل ذا دار الطراز على كمى

ومما كتبه على الرفرف قوله

رفعت كما شاء الترفه رفرفا * أزين سمائى بل أزين سماحى
فلا بدع ان الناس يهوون بهجتى * ويمشون في ظلى وتحت جناحى

(الباب الثانى في أحكام وضعه وسعة بنائه وبقاء الشرف والذكر ببقائه)

وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بلغه ان سعدا وأصحابه بنوا بالمدر كتب أكره لكم البنيان بالمدر فاما اذا فعلتم فعرضوا الحيطان وأطيلوا السمك وقاربوا بين الخشب ولما بنى معاوية داره بدمشق باللبن دخلها وفد الروم فقالوا ما أحسن ما بناها للعصافير فهدمها وبناها بالحجر ورأى بعضهم رجلا قد بنى حائطا بالحجر وهو يبيضه فقال هذا يستر الذهب بالفضة (وحكى) ان يحيى بن خالد كان جالسا للقصص فرفعت اليه قصة متظلم من بعض عماله فقربه وسأله عن ظلامته فقال له ان عاملك فلانا ظلمني وأخذ مالي واغتصب ضيعتي وهدم شرفي فقال له فهمت جميع ما ذكرته الا قولك هدم شرفي فما معناه فقال له أنا من ابناء فارس كانت لي ضيعة وبالقرب منها قصر على الطريق فيه سقاية ينزلها الناس ويسقون منها ويذكرون بانيها ويترحمون عليه فغصبني الضيعة وهدم القصر فأمر يحيى بالكتب الى العامل ان ترد عليه ضيعته وجميع ما أخذته منه وتبني القصر حتى ترده على هيئته كما كان وقال لبنيه ابنوا فان الذكر والشرف باقيان ببقاء البنيان وقيل لابي الدهمان أين دارك فقال اذا دخلت سكة بني العنبر فالدار التي تدل على شرف أهلها داري وعلى ذكر السؤال هنا أحسن ما ذكره ابن رشيق في الانموذج ان عبد الرحمن بن محمد الفراسي جلس مع بعض شيوخ يونس وكان الشيخ نهاية في المجون فاجتاز بهم رجل يسأل عن دار ابن عبدون فأقبل الشيخ عليه فقال هي في تلك الرابعة حيث يقوم ايرك فقال الفراسي لأنظمنه فما رأيت مثل هذا المعنى وأنشد من وقته

ان شئت ان تعرف عن صحة * داري التي تعزى لعبدونه
فامش فان أيرك أبصرته * قام فان الباب من دونه

وقد عكس الشيخ صلاح الدين الصفدي (ومولده سنة أربع وتسعين وستمائة ووفاته سنة أربع وستين وسبعمائة) هذا المعنى فقال

أقول لمن يسائل عن محلي * تقدم وامش من خلف السواري
ومر حيثما تلقى حكاكا * بسرمك لا تعد فثم داري

(رجع) خرج الخطيب الحافظ أبو بكر في تاريخه قال لما بنى المهدي قصره بالرصافة دخل يطوف فيه ومعه أبو البختري وهب بن وهب فقال له

هل تروى فى هذا شيأ قال نعم حدثنى جعفر بن محمد عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير بيوتكم ماسافرت فيه أبصاركم وقال المأمون يوما لجلسائه أتدرون من أهنى الناس عيشا فقالوا أمير المؤمنين فقال لا قالوا فأمير المؤمنين أعلم فقال أهنى الناس عيشا رجل له دار قوراء وامرأة حسناء وكفاف من العيش لا يعرفنا ولا نعرفه قال سلمة الاحمر دخلت على الرشيد فى قصره الذى بناه فقلت

أما بيوتك فى الدنيا فواسعة * فليت قبرك بعد الموت يتسع

فجعل يبكى وقيل ان خالد بن الوليد رضى الله عنه شكى الى النبى صلى الله عليه وسلم ضيق مسكنه فقال ارفع البناء وسل الله السعة وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر وقد هم ببناء دار استوسع فان الهمة فى السعة سئل بعضهم ما الغنى فقال سعة البيوت ودوام القوت وقال بعضهم طيب المساكن بثلاثة سعة الصحن وخرير الماء وشئ من الخضرة (يحيى بن خالد) الدنيا ثمانية الطعام الطيب والماء البارد والثوب اللين والفراش الوطى والدار الواسعة والمرأة الموافقة والخادم الفاره والقدرة على الاخوان بالاحسان وكان يقال جنة الرجل داره وذكر الاحنف الدور فقال ليكن أول ما يشترى وآخر ما يباع وقال يحيى ابن خالد لابنه جعفر دارك قميصك فوسعه كيف شئت وقيل لبعضهم ما السرور فقال دار قوراء وامرأة حسناء وفرس مرتبط بالفناء وينشد

ومن المروة للفتى * ماعاش دار فاخره

فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخره

(وكان يقال) دار الرجل عيشه قال السلامى فى كتابه تحف الظرف الدور للناس كالأعشة للطير والاوجرة للوحش والجحرة للحشرات فدار الرجل جمال نفسه وموضع أمنه ومسكن قلبه ومجمع أهله ومحرز ملكه ومأنس ضيفه وملتقى صديقه وعدوه ولا شئ أصعب على الناس من الخروج من ديارهم وقد قرن الله سبحانه وتعالى الخروج منها بالقتل حيث قال ولو انا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم مافعلوه الا قليل منهم وقال بعض الاشراف لابنه يا بنى احسن أثرك فى هذه الدنيا بالبناء الحسن واسمع قول الشاعر

ليس الفتى بالذى لا يستضاء به * ولا يكون له فى الارض آثار

ولا تنس قول الآخر

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

ومن أحسن ما قيل فى بناء الملوك قول على بن الجهم المتوفى سنة تسع وأربعين ومائتين

ومازلت أسمع ان الملو * ك تبنى على قدر اخطارها

فلما رأيت بناء الاما * م رأيت الخلافة فى دارها

حكى ان أبا العيناء دخل على المتوكل فى قصره فقال له كيف ترى دارنا هذه فقال الناس بنوا دورهم فى الدنيا وأنت بنيت الدنيا فى دارك أخذه اليزيدى فقال

لما بنا الناس فى دنياك دورهم * بنيت فى دارك الغراء دنياها

فلو وضعت مكان البسط أعيننا * لم يبق منا لما الافرشناها

(الباب الثالث فى اختيار الجار والصبر على أذاه وحسن الجوار)

وقيل الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق وقيل لبعضهم أين معك فى القرآن الجار قبل الدار فقال قوله تعالى رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة سوء الجار نعوذ بالله من ثلاث هن الفواقر امام السوء ان أحسنت لم يشكر وان أسأت لم يغفر ومن جار السوء ان رأى حسنا ستره وان رأى قبيحا أذاعه ومن سوء امرأة ان غبت عنها خانتك وان دخلت عليها لسنتك (حكى) أبو السعادات بن الشجرى (مولده سنة خمسين وأربعمائة وفاته سنة اثنين وأربعين وخمسمائة) فى شرح الحماسة ان العباس بن الفرج الرياشى قال وفد زياد الاعجم على حبيب بن المهلب وهو بخراسان فبينما هما يشربان ذات عشية اذ سمع زياد صوت حمامة تغنى على شجرة فى دار حبيب فقال

تغنى أنت فى ذممى وعهدى * بأن لا يذعروك ولا تضارى

اذا غنيتنى وشربت كأسا * ذكرت أحبتى وذكرت دارى

واما يقتلوك طلبت ثارا * لانك فى حماى وفى جوارى

فاخذ حبيب سهما فرماها فأنفذها فقال زياد قتلت جاري بيني وبينك المهلب فاختصما اليه فقال المهلب أبو امامة لا يروع جاره وقد ألزمتك العقل ألف دينار فدفعها اليه من يومه ولما بنى كسرى ايوانه كانت بجواره دويرة لعجوز لا يكمل تربيع الايوان الا بها فدفع لها جملة من المال فقالت لا أبيع جوار الملك بالدنيا وما فيها ولا اخرج عن جواره طائعة فان غصبني اياها فهو قادر على ذلك فأعلم كسرى بذلك فقال تترك ويبنى الايوان فقيل لا يجيء مستحكم التربيع فقال يبنى على ما اتفق وكان فيه عوج فكان بعد ذلك يقال له ما أحسن بناء هذا الايوان لولا هذا العوج فيقول بهذا العوج تم حسنه (قلت) وعلى ذكر الايوان ما أحسن ما أنشدني من لفظه لنفسه أجازه الشيخ عز الدين على ابن الشيخ بهاء الدين الحسين الموصلي رحمه الله تعالى أجيبه كتب بها الى القاضي صلاح الدين الصفدي تغمده الله بالرحمة

يا من له الطول في المعالي * وبالمعاني لنا يبصر
اني كما قلت في سؤالي * ما مثل قولي نعم مقصر

(رجع) وكان لابن المقفع بجنب داره دار وكان يستامها من صاحبها وهو يمتنع من بيعها فاتفق انه ركبه دين فاحتاج الى بيعها فعرضت عليه فسأل عن سبب بيعه اياها بعد غبطة بها فأخبره بقصته فقال ما قمت اذا بحرمة الجار ان اشتريتها وقد باعها معدما فحمل اليه ثمن الدار وقال بق دارك عليك بارك الله لك فيها ورد هذا في دينك وقال الاصمعي رأى بعضهم عدي بن حاتم الطائي يفت للنمل خبزا بفناء داره فقال له يا أبا طريف ما تصنع فقال جارات ولهن حرمة قلت وعلى ذكر حاتم الطائي ذكرت ما أنشدنيه سيدي الجناب المجدي فضل الله بن المرحوم الصاحب الفاضل فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس سلمه الله تعالى قال أنشدني والدي من لفظه قال أنشدني صاحبنا الشيخ شمس الدين الواسطي (توفي المذكور قريبا من سنة ثمانين وسبعمائة) لنفسه مواليا

مامت حتى جفاني كل من في الحي * وملني وقلاني كل من لوشي
وأنت ما في العجم والعرب مثلك حي * يا من طوى بالمكارم ذكر حاتم طي

(قلت) وأنشدني من لفظه لنفسه الصاحب المرحوم فخر الدين بن مكانس من قصيدة (وتوفي تغمده الله بالرحمة سنة أربع وتسعين وسبعمائة) وذلك

بمنزله بقنطرة قدادار بتاريخ عاشر صفر من شهور عام ثلاث وتسعين وسبعمائة

وكم طربت لما أبدته من ملح * يصبو له كل ذى عقل وآراء
وجدت بالتبر من مالى ومن أدبى * فكنت فى كل حال منهما الطائى

(رجع) الى ما كنا بصدده وقال محمد بن عبد الرحمن الزهرى كانت بينى وبين أبى العباس ثعلب مودة أكيدة وكنت أستشيره فى أمورى فجئت يوما أشاوره فى الانتقال من دار الى أخرى لتأذى بها بالجوار فقال يا أبا محمد العرب تقول صبرك على أذى من تعرفه خير لك من استحداث مالا تعرفه (من غريب الاتفاق) ان بشار بن برد كان قد حلف انه لا يجاور حماد عجرد ولا يظله واياه سقف بيت ولا مسجد وانه يهجوه بألف قصيدة فاتفق ان مات حماد فى قرية من سواد البصرة وعرضت لبشار هناك حاجة فمات فيها ودفن الى جانب حماد عجرد (وقريب) من هذه الحكاية ما حكى ان روحا بن حاتم بن قبيصة بن المهلب كان واليا على السند وأخوه يزيد واليا على أفريقية فتوفى بها فى سنة سبعين ومائة بالقيروان فقال أهل المدينة أدنى أفريقية ما أبعد ما يكون بين قبرى هذين الاخوين فان أخاه بالسند وهذا هنا فاتفق ان الرشيد عزل روحا عن السند وسيره الى موضع أخيه يزيد فدخل الى أفريقية فلم يزل واليا بها الى ان مات ودفن مع أخيه فى قبر واحد فعجب الناس من غريب هذا الاتفاق (عود) وكان لأبى حنيفة جار اسكاف بالكوفة يعمل نهاره أجمع فاذا جن الليل رجع الى منزله بلحم أو سمك فيطبخ اللحم أو يشوى السمك فاذا دب فيه السكر أنشد

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد البيت الى ان يغلبه السكر وينام وكان أبو حنيفة يصلى الليل كله ويسمع جلبته وانشاده ففقد صوته ليال فسأل عنه فقيل أخذه العسس منذ ثلاثة أيام وهو محبوس فصلى صلاة الفجر وركب بغلته ومشى واستأذن على الامير فقال ائذنوا له وأقبلوا به راكبا حتى يطأ البساط ففعل ذلك به فوسع له الامير فى مجلسه وقال له ما حاجتك فقال لى جار اسكاف أخذه العسس منذ ثلاث ليال فتأمر بتخليته فقال نعم وكل من أخذ تلك الليلة الى يومنا هذا ثم أمر بتخليته وتخليتهم أجمعين فركب أبو حنيفة رحمه الله تعالى وتبعه جاره الاسكاف فلما وصل الى داره قال له أبو حنيفة أترانا أضعناك قال لا بل حفظت

ورعيت جوارك الله خيرا عن صحبة الجوار ورعاية الحق ولله على ان لا أشرب خمرا أبدا فتاب ولم يعد الى ما كان عليه (قلت) وقد ضمن هذا البيت الشيخ برهان الدين القيراطي تضمينا حسنا (ومولده سنة ست وعشرين وسبعمائة ووفاته سنة احدى وثمانين وسبعمائة)

فقال دعاني منيتي لكريه راح * ورشف الثغر منه عقيب سكر
فقلت له دعوت فتى يرجي * ليوم كريهة وسداد ثغر

(ونقلت) من المستجاد في فعلات الاجواد عرض محمد بن الجهم دارا بخمسين ألف درهم فلما حضر والمشتروا قال بكم تشتروا مني جوار سعيد بن العاص وكان بجواره فقالوا وان الجوار ليباع فقال وكيف لا يباع ويفرد بثمن وهو جوار من اذا سألته أعطاك وان سكت ابتداك وان أسأت أحسن فبلغ ذلك سعيدا فوجه اليه بمائة ألف درهم وقال امسك عليك دارك وعلى ذكر الجار فما أحسن قول الشيخ جمال الدين بن نباتة (ومولده سنة ست وثمانين وستمائة ووفاته سنة ثمان وستين وسبعمائة)

بروحي جيرة أبقوا دموعي * وقد رحلوا بقلبي واصطباري
كأنا للمجاورة اقتسمنا * فقلبي جارهم والدمع جاري

وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب (ومولده سنة ست عشرة وسبعمائة ووفاته سنة ثمان وثمانين وسبعمائة) وقد انتقل النيل السعيد عن بر مصر الى البر الغربي شط الجيزة

يا أيها السلطان ان النيل عن * مصرتنقل بعد طول جوار
فاحفظ لنا جوبانه وجواره * فالله قد أوصى بحفظ الجار

وأنشدني سيدي وأخي الجناب المجدي فضل الله بن مكانس أبقاه الله تعالى من موشحة لنفسه

أجريت ما بين دموعي الغزار * مثل البحار * ولم يدع لي طول دهري قرار
هجر حبيبي وهو مني قريب * مع الرقيب * قد صيراني بين قومي غريب
دأبي النحيب * فاآه من جورك ياذا الحبيب * على الكئيب
وما احتيالي في قريب الديار * ونائي المزار * هو على الحالين يا قلب جار

(رجع) الى ما كنا فيه كان ابو سفيان اذا نزل به جار قال له ياهذا انك قد اخترتني

جاراواخترت داري دارا لجناية يدك على دونك وان جنيت عليك يدفاحتكم حكم الصبي على أهله (وذكر ابن الجوزي) فى كتاب الاذكيا. قال رجل يارسول الله ان لى جارا يؤذيني قال انطلق وأخرج متاعك الى الطريق فانطلق فأخرج متاعه فاجتمع الناس اليه فقالوا ماشأنك قال لى جار يؤذيني فجعلوا يقولون اللهم العنه اللهم اخزه اللهم اخرجه فبلغه ذلك فأتاه فقال ارجع الى بيتك فوالله لا أوذيك بعدها وهذه من الحيل التى أباحها الشرع الحديث رواه الامام أحمد فى مسنده (وورد) ان أبامسلم الخراساني صاحب الدعوة عرض عليه فرس سابق فقال لاصحابه لما يصلح هذا الفرس فقالوا اليوم الحرب فقال كلا ولكن ليهرب عليه من جار السوء وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث كنّ فى الجاهلية الاسلام أولى بها كان الرجل منهم اذا نزل به ضيف سعى له أهل البيت كبيرهم وصغيرهم حتى ينقلب وهو راض وكان الرجل منهم اذا طال ثواء امرأته معه كره طلاقها الثلاثة تذل بعده وكان الرجل اذا جنى جاره جريمة باع فيها ولو ولده حتى ينقذ جاره

(الباب الرابع فى الباب)

الباب يجمع على أبواب وقد قالوا فيه أبوبه للازدواج وقيل أبواب مبوبة كما قيل أصناف مصنفة ولبعضهم فيما يكتب عليه

لذ بذا الباب كلما * خفت ضيق المناهج

فهو باب مجرب * لقضاء الحوائج

وأنشد الاصمعى فى أبيات المعانى قول بعض العرب

وذى رجلين لا يمشي عليها * ولكن فى القيام له صلاح

فندفعه اذا احتجنا اليه * ونجذبه اذا حان الرواح

(وقال الحاتمى) فى باب بمصراعين (توفى المذكور سنة ثمان وثمانين وثلثمائة)

عجبت لمحرومين من كل لذة * يبيتان طول الليل يعتنقان

اذا أمسيا كانا على الناس مرصدا * وعند طلوع الفجر يفترقان

وقال الشيخ شمس الدين بن دانيال (توفى سنة عشر وسبعمائة)

قال للوزير محمد بن محمد * يا من هو المسك الذكي لمن درج
أنت الذي دار السعادة داره * طول الزمان وبابه باب الفرج

وقال الشيخ (جمال الدين) بن نباتة

بشر أمير المعالي باتصال هنا * يحفه السعد من أقصى جوانبه
واكتب على بابه الغربي معتمدا * عز يدوم واقبال لصاحبه

وقال

أيا دار دار اليمن من كل وجهة * عليك ولازال الهنا لك يجلب
ولاعدم القصاد بابك انه * لنجح الرجا باب صحيح مجرب

(قلت) قوله صحيح على غير طائل وصاحب الذوق السليم يشهد والمعنى بق
(وقال)

يا زائري قاضي القضاة ليهنكم * ما صح للتجريب من أبوابه
أقسمت ما المجد المكرم للغنى * الا الذي تغشون من أعتابه

وقال يا مالكا تقصر عن وصفه * بدائع الشاعر والكاتب
في بابك العلم وفيض الندى * فلا خلا بابك من طالب

وقال (ناصر الدين) ابن النقيب في المجون (توفي سنة سبع وثمانين وستمائة)

قال لي الخارج صف لي * مثل ما أعرف وصفك
أين باب الخرق قل لي * قلت باب الخرق خلفك

وعلى ذكر باب الخرق فلا بأس بايراد نبذة مما قيل في باب زويلة فمن ذلك قو
ابراهيم المعمار (توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة)

زويلة يا بك هذا سفيه * يشرب ماء الخمر جهرا بفيه
ولم يزل يألف سفك الدما * وكل ما يقطعه الشرع فيه

وله فيه

حاذر زويلة ان مررت ببابها * وطعامها كن آيسا من خيره
فوسط القتلا يقول به انظروا * من لم يمت بالسيف مات بغيره

وقال شهاب الدين بن أبي حجلة (مولده سنة خمس وعشرين وسبعمائة ووفاته
سنة ست وسبعين وسبعمائة)

[illegible]

اذا وعدت حراميا يسفك دما * فى الحال علق من وعدى بعرقوب

وقال الشيخ شمس الدين الضفدع فيما يكتب على الجباب (مولده سنة ثلاث وتسعين وستمائة ووفاته سنة ست وخمسين وسبعمائة)

من ذا الذى ينكر فضلى وقد * فزت من الحسن بمعنى غريب

عندى لمن يخذله دهره * نصر من الله وفتح قريب

وقال ابراهيم المعمار

يامن بباب علاه * العيش للناس طابا

أرسلت مدحى غلاما * اليك يخدم بابا

وما أطرف قول من قال وان كان غير ما نحن فيه لا تحسبه لك وحدك ان كنت راقدا تنبه كما فتحت الطاقة غيرك يسد الباب وقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ملغزا فيه (مولده سنة عشرين وستمائة ووفاته سنة اثنين وتسعين وستمائة)

أى شئ تراه فى الدور والكتب مجازا هذا وذاك محقق

يحفظ المال والحريم ولولاه حفيظا لكان ذلك يسرق

هو زوج وتارة هو فرد * وهو فى أكثر الاحايين يطرق

وطليق فى نشأتيه ولكن * بحديد من بعد ذلك يوثق

وثلاثا تراه فى الخط لكن * هو اثنان كله ان يفرق

وتراه للحشو ينسب حينا * وهو مع ذاك لا يرى يتزندق

وهو فى القلب يستوى وتراه * بان تصحيفه لمن يسترمق

فأجبنى عنه بقيت مطاعا * لست فى حلبة الفضائل تسبق

(كتب) الشيخ شرف الدين عبد العزيز الحموى المعروف بشيخ الشيوخ الى والده ملغزا (مولده سنة ست وثمانين وخمسمائة ووفاته سنة احدى وستين وستمائة)

ماواقف فى المخرج * يذهب طورا ويجى

لست تخاف شره * مالم يكن بمرتج

فكتب اليه والده الجواب ذهاب ومجىء وخوف وهذا باب خصومة والسلام (وكتب) الاديب نصر الدين الحمامى الى السراج الوراق وكان السراج يسكن

بالروضة (مولده سنة خمس وعشرة وستمائة وتوفى سنة خمس وتسعين وستمائة)

كم قد أردد للباب الكريم لكى * أبل شوقى وأحيى ميت أشعارى
وأنثنى خائبا فيما أؤمله * وأنت فى روضة والقلب فى نار

فكتب الجواب اليه

الآن نزهتنى فى روضة عبقت * أنفاسها بين أزهار وأثمار
أسكرتنى بشذاها فانثنيت بها * وكل بيت أراه بيت خمار
ولا تغالط فن فيه المزاج ومن * أولى بأن قال ان القلب فى نار

(وقال) الصاحب جمال الدين بن مطروح من قصيدة يمدح بها الملك الاشرف مظفر الدين موسى (ولد ابن مطروح سنة اثنين وتسعين وخمسمائة وتوفى سنة تسع وأربعين وستمائة)

ما كان أشوقنى للثم بنانه * ولقد ظفرت بلثمها فلهننى
ودخلت من أبوابه فى جنة * ياليت قومى يعلمون بأننى

(وقال) علاء الدين الوداعى (مولده سنة أربعين وستمائة وتوفى سنة ست عشرة وسبعمائة)

من أم بابك لم تبرح جوارحه * تروى أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والسمع عن حسن

(قلت) أما قرة فهو قرة بن خالد السدوسى وهو ثقة روى عن الحسن وابن سيرين وليس بتابعى وأما صلة فهو صلة بن أشيم العدوى كان من عباد التابعين وهو زوج معاذة العدوية وهى تروى عن عائشة رضى الله عنها وأما جابر فهو جابر بن عبد الله كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو جابر الجعفى لان جابرا الجعفى ضعيف وهو تابعى وانما ضعفوه لانه كان يؤمن بالرجعة وأما حسن فهو حسن البصرى كان تابعيا كبيرا رأى من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم نحو ثلثمائة رجل ولقد أجاد علاء الدين فى استعمال هؤلاء الرجال فى أوصاف الممدوح ودل على جودة اطلاعه على أسماء رجال الحديث رحمه الله تعالى وأنشدنى سيدى وأخى تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى سلمه الله تعالى لنفسه الكريمة اجازة من قصيدة

قصدت باب الحبيب والرقبا * على من خيفة اللقا حنقه

قالوا فما تبتغي فقلت لهم * حتى تخلصت أبتغي صدقه

والشيء يذكر بلوازمه ما ألطف وأبلغ ما ذكره ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب الاندلسي في ترجمة شهاب الدين بن رضوان الغرناطي أبو جعفر في تاريخه بالاحاطة (وذكر ان وفاته سنة ثلاث وستين وسبعمائة)

يا من اختار فؤادي مسكنا * بابه العين التي ترمقه

فتح الباب سهادي بعدكم * فابعثوا طيفكم يغلقه

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة نثرا أي والله تخلى الشباب وخمد آب الذهن اللهاب وخلا الفكر الحائم من صوب والفهم الخادم من صواب واقصر عن نظمه ونثره من كانت له في الانشاء نشأة وكانت له في الشعر أسباب وغض بصر القريحة وتقاص ذيلها فما يرفع لها ولا تجر اهداب واختبي لسان المنشئ المنشد عجزا واغلق عليه من شفتيه مصراعي الباب وقال القاضي الفاضل نثرا (مولده سنة أربع وعشرين وخمسمائة ووفاته سنة ست وتسعين وخمسمائة) لازالت الملوك ببابه وقوفا والاقدار له سيوفا والخلائق له في دار الدنيا ضيوفا ودين دين الحق تعلمه الناس انه اذا جرد لتقاضيه سيوفا سيوفي ومن نثره كل لفظة موصولة بأنه وفي كل قلب من حزنه نار وفي كل دار من فضله جنة فروح الله تلك الروح وفتح لها أبواب الجنة فهي آخر ما ترجوه من الفتوح من رسالة كتبها المرحوم العلامة فتح الدين بن الشهيد الى بعض أصحابه وقد طرق عليه الباب فوجده مقفلا فما هو الا ان قبلت العتبة فأعتبت وتأدت فريضة الخدمة لما وقفت وتأدبت وأطلت قرع حلقة الباب فقال الصدى ضربت في حديد بارد وجئت وقد استقل ركاب المسود والسائد فاذكر حاجتك أبلغ عنك ما تقول وأسبق برجع الجواب اليك الرسول قلت محب براهم بالقلب ان عاقب الحوايج والجوانح ورحت وقلت ان جئت بجواب فسل عن سايح بن رايح وعدت أمشي بخفي حنين

وأصغي الى صوت الصدى عند ذكركم * فأطرب للمغنى وأهتف بالدار

وأسعى بها دارا على مروة الصفا * أطوف بها سبعا ولم أقض أوطاري

وما نافعي التطواف في دارة الحمى * اذا لم يكن في دارة الحي أقماري

وترددت حتى كاد دمعي للطارق بالعقيق ودمت أنفاسي النار في الدار

وصاحت الحريق (وللقاضي الفاضل) يصف الستائر من قصيدة أولها

يا طالب الجود يمم كعبة الكرم * وقل سلام لها عن كعبة الحرم

كأن استاره روض سمحت له * بماء بشرك هذا المخرق الشيم

غيم يزر على شمس وفي يده * غمامة لقبته كاشف الغمم

سحب تعود منه فيض انمله * والسحب ان سيرت دلت على الديم

لولم تكن سحبا ما كان ذيلها * برقا يشام اذا ما البرق لم يشم

بيض كعرضك في طول كطولك في * لمح كنشرك في سلك حكى كلم

فكنت كالشمس في ثوب النهار بها * لا كالبدور بأثواب من الظلم

أظهرت عدلك فيها فهي معجزة * فالاسد ما وثبت والريم لم يرم

فرب سانحة فيه وسارحة * فاعجب لضدين في بحر من الكرم

تهيم بالصيد آمالي اذا نظرت * فيها فأذكر منع الصيد في الحرم

كأن أحداقنا ترعى الحدائق من * جنات عدن وعدل دائم قدم

أقاح روض كأن الورد فروزه * فيا لجريه ما كف بالضرم

والطير في شجرات الرقم عاكفة * ونذت عنهن في التغريد بالنغم

ان لم يكن ثمر فيها ففي يده * ثمار جود زهت في روضة الشيم

يود ما مثلوه فيه من صور * لو انها استخدمت في جملة الخدم

تلك الستور عجاج والنجوم لها * عرى وايدى الظبا فروزنها بدم

أظن بابك خدا غرت من قبل * عليه حتى منعت اللثم باللثم

اذا رأيت بها الاعلام مشرقة * رأيت أشهر من نار على علم

مثل السراب ووقت القيظ بيضها * لكن وردت بعيني حين هم في

(وللمولى السيد) شمس الدين القاسم ابن الصاحب موفق الدين على بن الآمدى ونقلته من خط الوداعى

ومشعل قام في خشوع * كراهب شق عنه جيبا

قد فنى الجسم منه سقما * واشتعل الرأس منه شيبا

(وورد) على سيدنا ومولانا المرحوم القاضي أمين الدين محمد الانصارى (المتوفى أواخر سنة ثمان مائة وأخبرنى ان مولده سنة احدى وخمسين وسبعمائة) صاحب ديوان الانشاء الشريفة بالشام المحروسة كتاب من سيدنا ومولانا أوحد العصر

القاضى بدر الدين محمد المخزومى المالكى الشهير بابن الدمامينى (الذى مولده فى سنة ثلاث وستين وسبعمائة) أنفذ الله أحكامه وذلك من مكة المشرفة بتاريخ التاسع والعشرين من شهر الله المحرم سنة احدى وثمانمائة جاء منه وينهى انه سطرها عنى وقد سالت باعناق البدن الاباطح ووقفت الجزر تؤمل سعد الاخبية فاطلع لها غير سعد الذابح وقد برد الصدر المحرور برمى الجمار وقرت العيون برؤية تلك الآثار وقرع المملوك باب الرحمة عند وصوله الى البيت الشريف وقال للزمن تنكر ما شئت فقد حصل التعريف (وذكر صاحب المباهج) ان ستر ايوان كسرى أحرق لما ملك المسلمون المدائن فأخرج منه ألف ألف مثقال ذهبا وقيل مائة ألف مثقال (وطرق) رجل على عمرو بن عبيد الباب فقال من هذا فقال انا قال لست أعرف أحدا من اخواننا اسمه أنا وأخرج البخارى من طريق جابر رضى الله عنه قال استأذنت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت أنا فقال أنا أنا كأنه كرهه (وأنشدنى الشيخ) شمس الدين الجرائحى لنفسه فيما يكتب على ستر

أنا الستر المجمل بالسـ‍ـبها والعز والنصر
فاذنى ان تجد ضيما * وقل يا مجمل الستر

(الباب الخامس فى ذم الحجاب)

(خالد بن عبد الله القشيرى) كان يقول لحاجبه اذا جلست فلا يحجبن على أحد فانما الوالى يحتجب لثلاث شريكره ان يطلع عليه غيره أو ريبة يخاف انتشارها أو بخل يكره معه ان يسأل شيأ ووقف رجل على باب أبى دلف فأقام به حينا لا يصل به فتلطف فى رقعة أوصلها اليه وكتب فيها

اذا كان الكريم له حجاب * فما فضل الكريم على اللئيم

فأجابه

اذا كان الكريم قليل مال * ولم يعذر تعلل بالحجاب
وأبواب الملوك محجبات * ولا تستكثرن حجاب باب

(وقال علاء الدين) الوداعى يعتذر الى بعض أصحابه

فأنت قلبي ولا عجيب * اذا غدا القلب في حجاب

(وقال) زين الدين بن الوردي (توفي سنة خمسين وسبعمائة) يلوم نفسه على زيارة أقوام

مذ زرتهم محبة وودا * ألفيتهم مغلقين بابا
سعيي الى بابهم جنون * مني فاستأهل الحجابا

(وقال بعض الحكماء) لبعض الملوك لاتمكن الناس من كثرة رؤيتهم لك فان اجرأ الناس على الاسد أكثرهم له رؤية وقال آخر كثرة الاذن مجلبة الابتذال وهيبة الملوك في الاحتجاب وكان يقال المبذول مملوك والممنوع متبوع ولله در ابن المعتز وما أحسن قوله

كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله * كذا تخلق المرء العيون اللوامح

(وقيل) لبعض الحجاب متى تفرغ ولا يتك فقال متى حضر طعام مخدومي وأين هذا من قول القائل

جزت على باب صديق لنا * وبابه من دونه مقفل
وحول تلك الدار غلمانه * قد أحدقوا بالباب واستكملوا
فقلت مايصنع مولاكم * قالوا سمعنا انه يأكل
قلت فما يفتح مولاكم * قالوا الى رأس الذي يدخل

(وقيل لبعضهم) هل تغديت عند فلان قال لا ولكني مررت ببابه وهو يتغدى قال فكيف علمت قال رأيت غلمانه بأيديهم قسي البندق يرمون الطير في الهوى وقال بعضهم

رأيت أبا زرارة قال يوما * لحاجبه وفي يده الحسام
لئن وضع الخوان ولاح شخص * لأختطفن رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذاك شيخ * بغيض ليس يردعه الكلام
فقال وقام من حنق اليه * بقدلم يزد فيه القيام
أبي وأبو أبي والكلب عندي * بمنزلة اذا حضر الطعام
اذا حضر الطعام فلا حقوق * على لوالدي ولا ذمام
فما في الارض أقبح من خوان * عليه الخبز يحضره الزحام

وما أحسن قول القاضي الفاضل

بتنا على حال يسر الهوى * وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل فقلنا له * ان غبت عنا هجم الصبح

وله في بواب يلقب بالبحري

وهب ان هذا الباب للرزق قبلة * فها أنا وقد وليته دونكم ظهري
وهب انه البحر الذي يخرج الغنى * فكل خرا في الشط في لحية البحري

وقال كمال الدين بن النبيه (توفي سنة تسع عشرة وستمائة) لما سمع قول الفاضل

قلت لليل اذ حباني حبيبا * بغناء يسبي النهى وعقارا
انت يا ليل حاجبي فامنع الصبح وكن أنت يا دجى برددارا

وقال ناصر الدين بن النقيب

ماذا على بواب داركم الذي * لا اذن يعطينا ولا يستأذن
لوردنا رداجميلا عنكم * اوكان يدفع بالتي هي أحسن

(وللشيخ) شهاب الدين بن أبي حجلة في غير المعنى

يارب ان النيل زاد زيادة * أدّت الى هدم وفرط تشتت
ماضره لو جا على عاداته * في دفعة أوكان يدفع بالتي

(وأنشدني) الشيخ العلامة عز الدين الموصلي لنفسه (المتوفى سنة تسع وثمانين وسبعمائة وأخبرني ان مولده سنة أربع وعشرين وسبعمائة)

قد سلونا عن الحبيب بخود * ذات وجه به الجمال تفنن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتي هي أحسن

(رجع) الى ما كنا فيه قال الناشئ الاصغر (المتوفى سنة ست وستين وثلثمائة)

ليس الحجاب بآلة الاشراف * ان الحجاب مجانب الانصاف
ولقل ما يأتي فيحجب مرة * فتعود ثانية بقلب صاف

(وقال) أبو الحسين الجزار (ومولده سنة احدى وستمائة ووفاته سنة اثنين وسبعين وستمائة)

أمولاى ما من طباعي الخروج * ولكن تعلمته من خمولي
وصرت لذلك أروم الغنى * فيخرجني الضرب عند الدخول

(والم بهذا) الاديب شمس الدين الصفدع فقال

وافالى خدمته العبدكى * يحظى بتقبيل يد أوقبول
واستأذن الخادم فى قربه * منكم لان البعد ستر يحول
فكادان يخرجه الضرب عن * غناك بالايقاع قبل الدخول
أوحى اليه منه قولا فما * بلغ عنه مايقول الرسول

(ونقلت) من خط المرحوم فخر الدين بن مكانس للجمال ابن عبد الغنى

أتيت الى بابك ياسيدى * أهنيك بالعيد مع من يهنى
فأخرجت من بعد ذاك الدخول * وقد جئت يعنى مدلا بأنى
مغن ويخرج بعد الدخول * وتأبى الطباع خروج المغنى

(حكى) عن أبى الحسين الجزار انه جاء الى باب الصاحب زين الدين بن الزبير فأذن للناس كلهم ولم يؤذن له فكتب فى ورقة

الناس قد دخلوا كالاير أجمعهم * والعبد مثل الخصى ملقى على الباب

فلما قرأها ابن الزبير قال لحاجبه اخرج الى الباب وناد ياخصى ادخل فلما سمع أبو الحسين قول الحاجب ياخصى ادخل فقال هذا دليل على السعة وهذا جميعه مأخوذ من قول الآخر

أيدخل من يشاء بغير اذن * وكلهم كسيرا وعوير
وأبقى من وراء الباب حتى * كأنى خصيه وسواى اير

(وقال بعض الشعراء) وقد منعه بواب اسمه بصاقة من الدخول

يامن سما فى المكرما * ت وفاق أرباب الممالك
أعجب لأمر بصاقة * منع الدخول لباب خالك
وهو المعين على الدخو * ل اذا تعسرت المسالك

(وقال بعضهم)

ولى صاحب زرته للسلام * فقابلنى بالحجاب الصراح
وقالوا تغيب عن داره * لخوف غريم ملح وقاح
ولو كان عن داره غائبا * لأدخلنى أهله للنكاح

(وقال آخر)

وكل خفيف الشأن يسعى مشمرا * اذا فتح البواب بابك أصبعا
ونحن الجلوس الماكثون توقرا * حياء الى ان يفتح الباب أجمعا

(وأنشدني) صاحب الامالي

كم من فتى تحمد أخلاقه * ويسكن العارفون في ذمته
قد أكثر الحاجب أعداؤه * وأحقد الناس على نعمته

(حكى) أبو السعادات بن الشجري في شرح الحماسة ان أنس بن زنيم المدلي وفد على عمرو بن عبد الله بن التميمي في جماعة من الشعراء فصده الحاجب عن الدخول وأذن لغيره من الشعراء فلما طال حجابه كتب اليه أبياتا منها

لقد كنت أسعى في هواك وأبتغي * رضاك وأعصى أسرتي والادانيا
حفاظا وامسا كالما كان بيننا * لتجزيني يوما فما كنت جازيا
أراني اذا ما شمت منك سحابة * لتمطرني عادت عجاجا وسافيا
أأقصى ويدنى من يقصر رأيه * ومن ليس يغني عنك مثل غنائيا

فلما قرأ الابيات عنف حاجبه ثم أذن له وقال له ويحك ماهذا قال فعل حاجبك وطول مقامي وانت تعطي من أقبل وأدبر فقال يا هذا أشهدت معي موذاة هجر قال لا قال ألك مس يد تضربني بها أو تستحق بها على ما طلبت قال نعم كنت أجالس بين يديك وأسمع حديثك فانشر محاسنه واطوي مساويه فقال وأبيك ان في هذا لما يشكر كم أقمت بالباب قال أربعين يوما فأمر له بأربعين ألف درهم

(واشهاب الدين) ابن أبي حجلة

الاقل لشمس الدين صاحبنا العبسي * أتينا مرارا نحو بابك بالامس
فان حجبتك الجدر عنا فربما * رأينا جلابيب السحاب على الشمس

وقال شرف الدين بن عنين (ومولده سنة تسع وأربعين وخمسمائة ووفاته سنة ثلاثين وستمائة)

أين غلمانك المطيفون بالبغلة والرافعون للاثواب
ردك الدهر كالنداء على النيل بلا حاجب ولا بواب

وعلى ذكر الحاجب فما أحسن قول القائل في مليح قلندري

بدا لي في حلق الحواجب فتنه * فقلت اعقل ذاهل في مذاهب
حبيبي بحق الله قل لي ما الذي * دعاك الى هذا فقال مجاوبي
وعدت بوصل العاشقين تعطفا * فلم يشقوا فاستر هنوا قوس حاجبي

(وقال) السراج الوراق فيه

عشقت من ريقته قرقف * وماله اذذاك من شارب
قلندريا حلقوا حاجبا * منه كنوز الخط من كاتب
سلطان حسن زاد في عدله * فاختار ان يبقى بلا حاجب

(وقف) بعض المطابيع على باب بعض الامراء والطعام قد حضر فخرج حاجب الامير الى الباب فقال أيها المطبوع ألك حاجة قال نعم قال ماهى فقال له اذا دخلت فاقرئ خبز الامير السلام وما أظرف في ذم الحاجب قول السراج الوراق

لاذقت ذل حجاب * ولا وقوفا بباب
فقد حنقت وقدقا * م شارب البواب
ورحت أجرى وصحفـــت موضعين لما بى

(وقال زين بن الوردى)

يقول لى بوابه اذرأى * بالباب منى وقفة الحائر
له محاريم بها شغله * قلت محاريم بلا آخر

(وقال السراج الوراق) مضمنا

وقطب عند دخولى اليـه * فتم له القبح معنى وصوره
ولولا الضرورة مازرته * على الرغم منى وعند الضروره

(وقال جمال الدين) ابن نباتة

حجبتنى فازددت عندى علا * برغم من أقبل كالعاتب
وقلت لاأعدم من سيدى * من كان عينى فغدا حاجبى

(وقال) محمد بن العفيف (ومولده سنة اثنين وستين وستمائة ووفاته سنة سبع وثمانين وستمائة)

ولقد وقفت ضحى ببابك أرتجى * باللثم للعتبات حق الواجب
وأتيت أطلب زورة أحظى بها * فرددت ياعينى هناك بحاجبى

(وقال الشهاب) فتيان الشاغورى (ومولده سنة ثلاث وخمسمائة ووفاته سنة خمس عشرة وستمائة)

وافيت تهنئة الوزير فلم أجد * لى فى الدخول ببابه من مسعد
لم أحظ الا بالقيام لمن أتى * فحصلت منك على المقيم المقعد

(قصد جماعة) من الطفيلية وليمة فقال رئيسهم اللهم لاتجعل البواب لكازافى

الصدور دفاعا فى الظهور طراحا للقلانس هب لنا رأفته ورحمته و بشره وسهل علينا اذنه فلما دخلوا تلقاهم المضيف فقال الرئيس عزة مباركة موصول بها الخصب معدوم بها الجدب فلما جلسوا على الخوان قال جعلك الله كعصى موسى وخوان ابراهيم ومائدة عيسى فى البركة ثم قال لاصحابه افتحوا أفواهكم واقيموا أعناقكم وابسطوا الاكف وأجيدوا اللقم ولا تمضغوا مضغ المتعللين الشباع المتخمين واذكروا سوء المنقلب وخيبة المضطرب خذوا على اسم الله تعالى (وقال زين الدين) بن الوردى

ماذا تقولون فى محب * عن غير أبوابكم تخلا
وجاءكم زائرا عفيفا * عن مالكم هل يجوز أم لا

(وقال جمال الدين) بن نباتة

مايقول المقام أيده الله ولازال للسعود يحوز
فى ولى ببابكم ترك الخلق ووافى يجوز أم لا يجوز

(كان) الشيخ عز الدين بن عبد السلام اذا قرأ عليه الطالب وانتهى يقول اقرأ من الباب الذى تليه ولو سطرا فانى لا أحب الوقوف على الابواب

وللنصير (الحمامى) بيتان كتبهما الى السراج الوراق على يد غلام يدعى ابراهيم وهما

عبدك ابراهيم وافى بها * وفى بها معنى لمن يعقل
وهو على الباب ومقصوده * وفيك فهم انه يدخل

(الباب السادس فى الخدم والدهليز)

كان يقال ان الخصيان ملائكة بنى آدم وقيل لابى العيناء لم اتخذت غلامين اسودين خصيين قال لئلا أتهم بهما ولا يتهمانى وعرض على بعض الملوك غلام صبى خصى فقال هذا يصلح للفراش وللهراش وكان بعضهم يتخذ الخدام الخصيان و يختار منهم البيض الحسان فقيل له فى ذلك فقال لانهم بالنهار فوارس وبالليل عرائس (وفيهم يقول)

ونساء لمستريح مقيم * ورجال ان كانت الاسفار

(وفيهم) يقول محمد الخلوع القاهر

مبرؤن من الشعر الكريه ومن * حمل الايور واخراج المناتن
وهم نساء اذا حاولت خلوتهم * وهم رجال لدى الهيجاء يحموني

(وما أحسن) قول الصابي فى غلام اسود (مولده سنة عشرين وثلثمائة ووفاته سنة ثمانين وثلثمائة)

لك وجه كأن يمناى خطته * بلفظ يمله آمالي
فيه معنى من البدور ولكن * نفضت صبغها عليه الليالي

وقال (الزين بن جبريل) المصرى

وخادم قد حباه القلب حبته * حباله وكسته صبغها المقل
كأنما هو فى خد الجمال لمن * يراه خال وفى أجفانه كحل

(وقال ابن الجوزى) فى كتاب الاذكياء قال أبو أحمد عبد الله بن عمر الحارثى اجتزت ببغداد وأنا أحدث مع جماعة من مجان اصحاب الحديث واذ بخادم خصى جالس على الطريق وبين أيديه أدوية ومكاحل ومباضع وعلى رأسه مظلة خوق فسألت عنه فقيل طبيب حاذق وهو من عجائب بغداد فتقدم اليه شخص من الجماعة وتغاشى وتماوت وتمارض وقال يا أستاذ يا أستاذ دفعات فقال أى شئ بكى ايش أصابكى قولى لاشغالك الله فقال أجد ظلمة فى احشائى ومغصا فى أطراف شعرى وما آكله اليوم يصبح غدا مثل الجيفة فصف لى دواء فقال وكأنه أعد الجواب أما ما تجد من المغص فى أطراف شعرك فأحلق لحيتك ورأسك جميعا وأما ظلمة احشائك فعلق على باب حجرك قنديلا وأما الثالث فكلى خراكى

(ولابراهيم) المعمار فى خادم هندى

تملك قلبي خادم قد هويته * من الهند معسول اللما أهيف القد
أقول لصحبي حين يرنوا بلحظه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندى

(وقال)

وخادم يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو الحبيب محسن * وكم دموع فى الهوى أسالها

(ولقد) أجاد من قال

ان لمت ليلا نجوم السما * بيضا على أدهم مرخى الازار
وأوجب العكس مثالا لها * فى الارض فالسود نجوم النهار

(نادرة) قيل ان بعض أولاد الملوك كان يعشق خادما يسمى دينارا وكان من أوحش ما يكون فاتفق ان أجرى عنده ذكر مغن جميل فقال بلغني ان فلسه أسود فقال له بعض الحاضرين والله يا مولانا فلسه خير من دينارك فاخجله

(ومن ظريف) ألقاب الخدام ما لقبه سيدي المقر المجدي فضل الله بن مكانس أحسن الله له العاقبة لخدمه وهم اشراق الدين هلال ونظام الدين لؤلؤ وسيف الدين فولاذ (وأنشدني) من لفظه لنفسه اجازة سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي المالكي أدام الله ايامه ونقلتها من خطه

علقته خادما لطيفا * لم اصغ فيه الى الملامه
اليه قلبي انثنى وطرفي * مذ لاح بين الانام شامه

(وللشيخ) جمال الدين بن نباتة في خادم اسمه كافور

يا لائمي في خادم لي سيد * تسما لقد زدت السلو نفورا
ولقد أدرت على المسامع قهوة * في الحب كان مزاجها كافورا

(ابراهيم) المعمار

وخادم قبلت مشروطه * في خده لكن رأيت العجب
من ناعم حلو فناديته * ما انت يا مشروط الا رطب

(وقال) ابن نباتة أيضا

بروحي مشروط على الخد أسمر * دنا ووفا بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا ترد * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

(وقال)

أرى لصواب يا ابرى صفات * تحث على الخلاعة والتصابي
فبادره فأنت به خبير * ومثلك لا يدل على صواب

وقال (صلاح الدين) الصفدي فيه

اذا ما قام ايرك في الدياجي * وعندك من تحب فلا تحابي
وقم نحو الفراش واعتنقه * ومثلك لا يدل على صواب

وقال (الشيخ زين الدين) بن الوردي

أأخشى من الاعداء والله ناصري * بخدام حظ ان دعوت أجابوا

فقلبي مسرور وسعدي مقبل * وحزبي نصر والمقال صواب

(قلت) واذا ذكرنا ما ورد في مدحهم فلا بأس بايراد نبذة من غيره (قال) الجاحظ (توفي سنة خمس وخمسين ومائتين وقد نيف على التسعين سنة) ضيق الصدور وشدة النفور وطول الاعمار وقلة الاصطبار وكبر الاقدام واضطراب الاجسام وانكار الحرمه وقلة الرحمه وسرعة الدمعه وابتغاء الجمعه وطحن المعده ولطف القياده واسترخاء السرح وقلة الجرح وسوء الخلق وكثرة الحرق وشدة الحسد وانقطاع الولد والمشي بالنمائم والنظر الى المحارم وتربية البغول والبغض للفحول خلاف النساء والرجال لا يحوز به الاستدلال مهلوس عبوس غايته طرسوس مؤاجر في صغره قواد في كبره ان ركب ركض وان مشي مرض مختلف الرأي والعقل متخلق بأخلاق البغل ان لا ينته جمح وان خاشنته رمح وان أجعته طمع وان أشبعته سلح يبول في فراشه اذا عمل النبيذ في مشاشه ان جرد كفر وان قدر قهر مختون على غير ملة حاذق بالهريسة والاخلة ان غضب بكى وان رضي شكى وان هزل انطوى وان سمن التوى معدن للطائر ألوف للجائز ان ائتمنته خانك وان أكرمته هانك وان أهنته أكرمك وان أغضبته شتمك صاحب صوارات وجلاهق وحمام وبنادق حاص دجاج وفراريج وطير ماورداريج ان أمسكته خسرت وان بعته ربحت وان طردته وقفت وان قتلته أجرت صالحهم مأبون وطالحهم ملعون شره عتيد وخيره بعيد معروف موصوف بالجلف مسترخي البدن طويل الحزن بين الموق بادي العروق بأني العرقوب كثير العيوب طويل الذراع كثير النخاع مسلوب زينة اللحى محروم لذة النساء يتزوج بالابكار ويهتك الأستار بابس المصانع عاري الاشاجع شديد النفاق قليل الانصاف بين الافاق كثير البقباق شره عند الطعام سفيه على الاقوام فقير ذو مال وحيد ذو عيال شرس حسود حرون جحود بعيد من الحياء بارد اللقاء يتلقاك بالبكاء ان قلت نعم قال لا أو قلت لا قال بلى ان منع فن حمق وان أعطى فن حرق جرىء جبان طويل الاحزان مظلوم القلامة خالي المعرفة أقلف مختون خائن مأبون ترضيه اللقمه ويجمع بالطعمه أكثر الناس علمه وأفوده في الظلمه واحذفه

بالاجازه واعرفه لجاره واعمله لمزماره وانحته لمصايد الفار وأبيعه للتكاك وأصيده للسمك اذا أمن ملعقته غرزها فى منطقته مأواه الدهليز وخبزه على الافريز لهج بالقمار عليه سوء الدمار من قلة مروأته يدخل الفحل على امرأته ويجمع لها بكده وينفقه على ضده لابدله فيها من شريك فهو مغرم وغيره بنيك يستر عورته عن الانام ويبدى سوأته للطعام يقطع الصلاة ويمنع الزكاة بيعه الزمارات ونعته فى الصورات يأكل بشدقين وينفق بيدين فضله محبوس ودعاؤه منكوس (وقال) الجاحظ أيضا كان من ظريف ما يقص القاضى عبد الاعلى قوله فى الخصى اذا قطعت خصيته قويت شهوته وسخنت مقعدته ولانت جلدته وانجردت شعرته وكثرت غلمته واتسعت فقحته وغزرت دمعته (وقال) غيره من جبز به ذهب لبه وفى ذلك قول أبى الطيب المتنبى (ومولده سنة ثلاث وثلثمائة ووفاته سنة أربع وخمسين وثلثمائة)

وقد كنت أحسب قطع الخصى * بأن الرؤس مقر النهى
فلما نظرت الى عقله * وجدت النهى كلها فى الخصى

ونقلت من خط الوزير العلامة المفنن فخر الدين بن مكانس سامحه الله تعالى أنه قال سافرت مرة سنة احدى وستين وسبعمائة مع الصاحب فخر الدين بن قروينة رحمه الله تعالى الى دمشق المحروسة عندما تولى نظر مملكها ووالدى رحمه الله استيفاءها وكان له دوادار يسمى صبيح ويلقب جودر من عتقاء جده الوزير أمين الدين بن الغنائم وكان كثير النوادر لطيف الدقات فاتفق ان جمال الدين ابن الرهاوى موقع الوزارة ركب يوما فتقنطر به الفرس وداسه على رأس أحليله فحمل الى داره وأقام أياما الى ان عوفى وحضر مجلس الوزارة وهو غاص بالناس فقال له الصاحب فخر الدين ما سبب تأخيرك قال له تقنطرنى الفرس وداس رأس احليلى فكدت أموت والآن فقد لطف الله تعالى وحصل البرء والشفاء فقال له صبيح جودر الحمد لله على سلامة الخصى فانقلب المجلس ضحكا وخجل ابن الرهاوى وانصرف (عود) الى ما كنا فيه وصف الجاز رجلا بالرعونة فقال هو كالخصى يفتخر بزبه مولاه (قال) كشاجم فى خادم اسود جائر

يامشبها فى فعله لونه * لم تعدما أوجبت للقسمه

فعالك من لونك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه

(وقال) آخر وأجاد

خزوا هذا كره بحق واجب * اذ عندهم علم بخسة أصله
لو أنهم تركوه يبقى سالما * ملأ البلاد أراذلا من نسله

(وقال) بعضهم وأصاب

ان عاينت عيناك ظبيا سانحا * مع خادم يرعاه وهو شرود
فأقنصه لطفا بالزمام ولا تخف * منه نفورا فالزمام يقود

(نادرة) قيل ان بعض أولاد الملوك كان يعشق خادما يسمى دينارا وكان أوحش مايكون فاتفق ان أجرى عنده ذكر مغن جميل فقال بلغني ان فلسه أسود فقال بعض الحاضرين والله يامولانا ان فلسه خير من دينارك فأخجله (نادرة) قيل ان بعض الرؤساء كان له خادم وعبد فدخل يوما وجد العبد فوق الخادم فضربه وخرج فرأى بعض أصدقائه فسأله عن غيظه فقال هذا العبد النجس فعل بالخويدم الصغير فقال له مولانا السيد الكبير فخجل منه وأخوجها في مجانه (وما أظرف) من قال مواليا

ستى الكبيره لها الخدام والحشمه * تحلف على النيك بالمصحف وبالختمه
جاها الطواشي أخشت لونال من كلمه * راحت بين القواقيه على قرمه

(وقال) ابراهيم المعمار

وان من الخدام من ليس ترتجى * مكارمه فالبعد منهم غنائم
فلا تك ممن يتهمهم بحشمة * فليس لهم بين الرجال محاشم

(أهدى) بعض عمال مروان بن محمد الجعدى الاموى لمروان عبدا أسود فقال لكاتبه عبد الحميد اكتب الى هذا العامل كتابا مختصرا وذمه على ما فعل فكتب اليه لو وجدت لونا أشر من السواد وعددا أقل من الواحد لاهديته والسلام (ومن أحسن) ماورد فى ذم السواد لايحرم فيه محرم ولا يكفن فيه ولا تجلى فيه عروس (وما أظرف) قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

كان لى عبد يسمى فرجا * نصب الغير عليه الشبكا
فأنا الآن كما تعرفنى * ليس عندى فرج الا البكا

(القول) فى الدهليز بكسر الدال فارسى معرب والجمع الدهاليز وهو بين الباب

والدار وأحسن مافيه

ودهليز دار فيه للعين بهجة * وللنفس فيه للذاذة أوطار
اذا داخل لم يعتبر ماوراءه * توهمه من حسنه انه الدار

(وقال) يحيى بن خالد ينبغي للانسان ان يتأنق في دهليزه لانه وجه الدار ومنزل الضيف ومجلس الصديق حتى يؤذن له وموضع المعلم ومقيل الخدم ومنتهى حد المستأذن (وقال) بعضهم اذا كمل للانسان في داره حسن ثلاثة مواضع لم يبال بما فاته منها وذكر من جملتها الدهليز (وللشيخ) برهان الدين القيراطي فيه

أكرم بدهليز سما * فاذا الكواكب من رفاقه
دهليز مولى سعده * مازال يخدم في وطاقه

(قلت) من كان له عبد واسمه سعد ففي غاية الحسن (وقال) الشيخ شهاب الدين ابن أبي حجلة بيتين وفيهما مافيهما

دار ببدر الدين أشرق نورها * فبياضها من نوره مجبول
دهليزها حلو البنا يبدو لنا * طعمية في بابه ودخول

(الباب السابع في البركة والفوارة والدواليب وما فيهن من كلام وجيز)

البركة هي الموضع المبني لاجتماع الماء ويسمى أيضا الصهريج بكسر الصاد وهو اسم مشتق لها من الصهروج الذي تبنى به والصهروج الكلس نفسه يقال بركة مصهرجة اذا كانت مبنية بالصهروج وقال الجوهري البركة كالحوض والجمع البرك ويقال سميت بذلك لاقامة الماء فيها (حكى) الاديب أبو الربيع سليمان بن اسمعيل بن أبي الليث المسيحي قال جمعنا مجلس أنس مع الاديب أبي اسحاق ابراهيم بن أبي الثناء المسيحي بالفيوم وكنا في بستان فيه بركة عليها فوارة من الماء فتجاذبنا أهداب وصفها (فقال أبو اسحاق)

بركة يصعد الانابيب منها * يقعد الماء فوقها ويقوم
فلذا أطلعت فواقع تبدو * كالقوارير من زجاج تعوم
وكأن السماء صفحتها الزر * قاء والياسمين فيها نجوم

(قال وقلت أنا)

وبركة تذهل العقول لها * تحار في حسن وصفها الفكر
كأنها مقلة محدقة * عبرا من الوجد نالها السهر
تبكي وما فارقت لها وطنا * يوما ولا فات أهلها وطر
تخال أنبوبها لعتبه * والماء يعلو به وينحدر
كصولجان فضة سبكت * فواقع الماء تحتها أكر

(قال) الشيخ صفي الدين الحلي (وتوفي سنة خمسين وسبعمائة)

والريح تجري رخاء فوق بحرتها * وماؤها مطلق في زي مأسور
قد جمعت جمع تصحيح جوانبها * والماء يجمع فيها جمع تكسير

(ولقد) أجاد ابن طباطبا في قوله (ومولده سنة ست وثمانين ومائتين ووفاته سنة ثمان وأربعين وثلثمائه)

كم ليلة ساهرت أنجمها التي * عرصات أرض ماؤها كسمائها
قد سيرت فيها النجوم كأنما * فلك السماء يدور في ارجائها
أحسن بها بحرا اذا التبس الدجى * كانت نجوم الليل من حصبائها
ترنو الى الجوزاء وهي غريقة * تبغي النجاة ولات حين نجاتها
تطفو وترسب في اصطفاق مياهها * لا مستعان لها سوى أغثائها
والبدر يخفق وسطها فكأنه * قلب لها قد ريع في احشائها

(ولا مزيد) في الحسن على قول عبد الجبار بن حمديس الصقلي يصف دوحة واسود اترع بالماء (توفي المذكور سنة تسع وعشرين وخمسمائة)

وضواغم سكنت عرين رياسة * تركت خرير الماء فيه زئيرا
فكأنما غشى النضار جسومها * وأذاب في أفواهها البلورا
أسد كأن سكونها متحرك * في النفس لو جدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما * أقعت على أذنابها للشورى
وتخالها والشمس تجلو لونها * نارا وألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول * ذابت بلا نار فعدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه * درعا فقدر سرده تقديرا
وبديعة الثمرات تعبر نحوها * عيناك بحر عجائب مسجورا
شجرية ذهبية نزعت الى * سحر يؤثر في النهى تأثيرا

قد صوّحت أغصانها فكأنما * قبضت بهن من الفضاء طيورا
وكأنما تأبى لوقع طيرها * ان تستقل بنهضها وتطيرا
من كل واقفة ترى منقارها * ماء كسلسال اللجين غزيرا
خرس يقال من الفصاح فان شدت * جعلت تغرد بالمياه صفيرا
وكانما في كل غصن فضة * لانت فأرسل خيطها مجرورا
وتريك في الصهريج موقع قطرها * فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا

(وقال القاضي) شهاب الدين بن فضل الله (مولده سنة سبعمائة ووفاته سنة تسع وأربعين وسبعمائة) في ترجمة مجير الدين بن تميم (ووفاته سنة احدى وثمانين وستمائة) وحكى انه جلس على بحيرة أشرقت سماؤها وطاف بكعبة المجالس ماؤها والشمس قد توسطت الظهيره وأرخت ذوائب أشعتها الظفيره والمحبة قد نصبت في كل ناحية حباله وتناومت عينها فما رأت من الشئ الاخياله والماء قد لبس من شعاع الشمس الغلاله وغابت سباع البركة فلعبت الغزاله (فقال)

ولما احتمت منا الغزالة بالسما * وعز على قناصها أن ينالها
نصبنا شباك الماء في الارض حيلة * عليها فلم نقدر فصدنا خيالها

(وذكر) هذه الترجمة في كتابه مسالك الامصار من كلام علي بن ظافر العسقلاني قال جلسنا على بركة ألقى عليها ورد أحمر ملاً بكثرة نجومه فسحة سمائها وصبغ بحمرة شعاعه صفحة مائها واهدى زمرده الى مقلتها الزرقاء فصح سرورنا بدائها (وقال) المذكور في كتابه بدائع البداية أخبرني القاضي الاعز بن المؤيد رحمهما الله تعالى قال اجتمعت مع جماعة من ادباء الاسكندرية في بستان لبعض اهلها فللنار وضا تثنت قامات أشجاره وتغنت قيان أطياره وبين أيدينا بركة ماء كجو سماء فنثر عليه بعض الحاضرين ياسمينا زان سماءها بزواهر منيره واهدى الى لجتها جواهر نثيره فتعاطينا القول في تشبيهه وأطرق كل منا لتحريك خاطره وتنبيهه ثم أظهرنا ما حررنا ونثرنا ما حبرنا (فانشد) عباس بن ظرهف

نثر الياسمين لما جنوه * عبثا فاستقر فوق الماء
فحسبنا زهر الكواكب تحكى * زهر الارض في أديم السماء

(قال والذي صنعته أنا)

نثروا الياسمين في صفحة الماء * فخلنا النجوم وسط السماء

فكأن السماء فى باطن الار * ض أو الدر طفت فوق الماء

(وقال مجير الدين) بن تميم فى مليح يشرب من بركة

أفدى الذى أهوى بفيه شاربا * من بركة رقت وطابت مشرعا
أبدت لعيني وجهه وخياله * فأرتنى القمرين فى وقت معا

(نادرة) اكترى نحوى جمالا ليحمل له زيرا فلما وصل الى البيت وفيه بركة قال له النحوى اقفز فقفز فوقع فانكسر الزير فقال ماهذا قال جانب البركة ساكن والنون فى اقفزن ساكنة فحرك الزير بينهما بالكسر فقال أحسنت ما أنت الاعالم بيض الله وجهك (وقال الشريف العقيلي)

وبركة قد أفادنا عجبا * ماماج من مائها وما انسكبا
من حول فوارة مركبة * قد انحنى ظهر مائها تعبا

(وقال شمس الدين الطيبي) أحمد بن أبي المحاسن (مولده ببخارى سنة تسع وأربعين وستمائة ووفاته سنة سبع عشرة وسبعمائة بطرابلس)

النهر وافى شاهرا سيفه * ولمعه يختلس الاعينا
فجاءت البركة من خوفه * وارتعدت وادرعت جوشنا

(وقال مجير الدين ابن تميم مضمنا)

لو كنت اذ أبصرتها فوارة * للشمس فى أمواجها لألاء
رأيت أعجب مايرى من بركة * سال النضار بها وقام الماء

(وله مضمنا)

لقد نزهت عيني انابيب بركة * تقابلنى أمواجها بالعجائب
انابيب زادت فى علو كانما * تحاول ثارا عند بعض الكواكب

(وله)

يا حسن نوفرة بدت فى بركة * أبدا يفيض الماء فيها ديدنا
مالان بدت الاوظلت مفكرا * فى قد نوفر راح ينبت سوسنا

(وقال الوجيه المناوى)

فوارة تشبه فى شكلها * سبيكة من فضة خالصه
تلهيك بالحسن فقد أصبحت * جارية ملهية راقصه

(وقد) عكس بعضهم هذا فقال

وقينة ملهية قد غدت * تستوقف السامع والرائى
جارية راقصة أشبهت * فى وصفها فوارة الماء

(وقال) ابن حجاج (توفى سنة احدى وتسعين وثلثمائة)

صنعت فى دارك فوارة * أغرقت فى الارض بها الانجما
فاض على نجم السهى ماؤها * فاصبحت أرضك تسقى السما

(وقال ابن تميم) فى بركة بشاذروان

الارب يوم قد تقضى ببركة * أقمت بها فيما جرى متحيرا
بعينى رأيت الماء فيها وقد جرى * على راسه من شاهق فتكسرا

(وقال الشيخ برهان الدين القيراطى)

مذهب شاذروانناالـــعالى المقام والرتب
نال الغنى الماء به * حين مشى على الذهب

(وقال فيه)

لحسن شاذروانناء * كل القلوب تعشق
من أجل ذا الماء له * قلب به معلق

(ومن كلام) سيدى تقى الدين ابى بكر بن حجة فى الفوارة كأنها سنان تطعن فى صدر الظما أوشجرة كدنا انها طوبى لما ظهرت وأصلها ثابت وفرعها فى السما أو معترف بندا الماء وقد أفاض عليه عطاياه فيضا فرفع له لاجل ذلك فوق قناته راية بيضا أو عمود وفاء أشارت الناس اليه بالاصابع أوملك طالب السماء بودائع حتى قلنا ان اكليل الجوزاء له من جملة الودائع أو ابيض طائر علا حتى قلنا انه يلتقط حباب النجوم الثواقب أوشجاع ذو همة عالية تحاول ثارا عند بعض الكواكب (وقال شهاب الدين بن أبى حجلة)

وشاذروان ماء بات يجرى * كعين الصب روع يوم بين
اذا ماقيل جد بالماء سريعا * يقول نعم على رأسى وعينى

(وقال) شيخنا الشيخ زين الدين بن العجمى (توفى سنة خمس وتسعين وسبعمائة)

تسلسل مائى وهو لاشك مطلق * وصح حقيقا حين قالوا تكسرا
وفى قلب مائى للقلوب مسرة * وقالوا سجرى بالهنا وكذا جرا

(قلت) وقد تصرفت الفضلاء متأخر والعصر فى هذه اللفظة أعنى وكذا جرى

تصرفات حسنه فنهم القاضي صلاح الدين الصفدي (فقال)

أملت ان تعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم مالا يرى
وعلمت يوم فراقكم لا بد أن * يجرى له دمعى دما وكذا جرى

ومنهم الشيخ عز الدين الموصلي (فقال)

رب نسيم قد سرى * يحدو سحابا ممطرا
أذياله بليلة * تخبرنا بما جرى

وقال أيضا

حديث عذار الحب في خده جرى * كمسك على الورد الجنى تسطرا
فقبلته حتى محوت رسومه * كأن لم يكن ذاك الحديث ولا جرى

(وقال الشيخ برهان الدين القيراطي)

لم يبك حين بكيت من * هجرانه متحسرا
لكن حكالك خده الـمصقول صورة ما جرى

وقال

كابرت عدل صبوتي * في الدمع حين تحدرا
قالوا بكيت صبابة * فأجبت هذا ما جرى

(وأنشدني) سيدي وأخي تقي الدين أبي بكر بن حجة أبقاه الله تعالى لبعض المغاربه

وتحدث الماء الزلال مع الحصا * فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى
فكأن فوق الماء شيأ ظاهرا * وكأن تحت الماء درا مضمرا

(رجوع الى ما كنا فيه) قال ابن ظافر العسقلاني في كتابه بدائع البدائه مررنا في بعض العشايا على بعض البساتين المجاورة لبحر النيل فرأينا بئرا عليها دولابان متحاذيان قد دارت أفلاكهما بنجوم القواديس ولعبت بقلوب ناظريهما لعب الاماني بالمفاليس وهما يئنان أنين أهل الاشواق ويفيضان دمعا أغزر من دموع العشاق والروض قد جلا للاعين زبرجده والاصيل قد راق حسنه فنثر عليه عسجده والزهر قد نظم جواهره في اجياد الغصون والسواقي قد أذلت من سلاسل فضتها كل مصون والنبت قد اخضر شاربه وعارضه وطرف النسيم قد ركضه في ميادين الزهر راكضه وحباب الماء قد علاه من الظل الـ[illegible]

وحيات الجارى حائرة تخاف ان يدركها من زمرد البنان الحى والبحر قد صقل صيقل النسيم درعه وزعفران العشى قد ألقى فى ذيل السماء ردعه فاستحوذ علينا ذلك الموضع استحواذا وملأ أبصارنا وقلوبنا التذاذا ومانا الى الدولابين شاكين أمزاحين شجت قيان الطير بألحانها أم شدت على عيدانها أم ذكرا أيام نعما وطابا وكانا اغصانا رطابا فنفيا الذيذ الهجوع ورجعا النوح وأفاضا الدموع طلبا للرجوع (وقال مجير الدين بن تميم مضمنا)

ودولاب روض كان من قبل أغصنا * تميس فلما فرقتها يد الدهر
تذكر عهدا بالرياض فكله * عيون على أيام عهد الصبا تجرى

(وقال)

تأمل ترالدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غزير
كأن النسيم الرطب قد ضاع منهما * فأصبح ذا يجرى وذاك يدور

(وقال) بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى (توفى سنة ثمانين وستمائة)

وروضة دولابها * الى الغصون قد شكا
من حين ضاع زهرها * دار عليه وبكى

(واستعمل) هذا المعنى صلاح الدين الصفدى فى غير الدولاب فقال

أضحى يقول عذاره * هل فيكم لى عاذر
الورد ضاع نجده * وأنا عليه دائر

(وقال) الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن نباتة

أعجب لها ناعورة قلبها * للماء منشى العيش والعشب
تعبانة الجسم ولكنها * كما ترى طيبة القلب

(وقال) سعد الدين بن عربى (ومولده سنة ست وخمسين وخمسمائة ووفاته سنة اثنين وستمائة)

شاهدت دولابا له أدمع * تكلفت للروض بالرى
فأعجب له من فلك دائر * ما فيه برج غير مائى

(ولآخر)

أبدى لنا الدولاب قولا معجبا * لما رآنا قادمين اليه
انى من العجب العجيب كما ترى * قلبى معى وأنا أدور عليه

(قال) أبو حنيفة الدينوري الدولاب بضم الدال وفتحها كذا سمعته من فصحاء العرب (ولآخر)

لله أزهار دوحات يحركها * صوت الغمام بدمع منه منسفك
حكت نجوم السما أزهارها فكذا * أضحى يدور بها الدولاب كالفلك

(وقال) ابن نباتة

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها * وأضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبي فاني فقدته * وأمدامعي فهي تجري على جسمي

(ولآخر)

وذات شجو أسالت * مدامعا لم تصنها
تبكي بفرط دموع * وتضحك الروض منها

(ولآخر)

أشبه ما بين القواديس صوتها * ومن كل وجه ماؤها يتحدر
بارملة ضمت اليها بناتها * تنوح بشجو والمدامع تقطر

(ولآخر)

وناعورة قد ضاعفت بنواحها * نواحي وأجرت مقلتاى دموعها
وقد ضعفت مما تأن فقد غدت * من الضعف والشكوى تعد ضلوعها

(سأل) الشيخ نجم الدين القحفيري جماعة من الطلبة المشتغلة عليه عن قول الشاعر (ومولده سنة ثمان وستين وستمائة ووفاته سنة أربع وأربعين وسبعمائة)

يا أيها الحبر الذى * علم العروض به امتزج
أبن لنا دائرة * فيها بسيط وهزج

ففكر بعض الطلبة فيه ساعة طويلة ثم قال هذا في الساقية لانه أراد بالبسيط الماء وبالهزج صوت الساقية حال دورانها فقال له الشيخ الا أنك درت فيها زمانا حتى ظهرت لك وهذا الكلام في غاية الظرافة من الشيخ رحمه الله تعالى (وقال ابن تميم)

وناعورة قد ألبستها جبالها * من الشمس ثوبا فوق أوراقها الخضر
كطاووس بستان يدور وينجلي * وينفض عن ارياشه بلل القطر

(وله)

أبدت لنا بالعذر ناعورة * أدمعها فى غاية السكب
تقول لما غاب قلبى وقد * ضعفت بالنوح وبالندب
صيرت جسمى كله أعينا * تدور فى الماء على قلبى

(وقال) الشيخ زين الدين بن الوردى

ناعورة مذعورة * للبين تشكى حائره
الماء فوق كتفها * وهى عليه دائره

(وله)

حالة الدولاب دلت * انه فى فرط حزن
كان يسقى ويغنى * صار يسقى ويغنى

(وقال) مؤلف الكتاب من مرثيته التى رثى بها دمشق وغيرها عند حلول الواقعه المشهورة من التتار

أعروسنا لك أسوة بحماتنا * فى ذا المصاب فأنتما اختان
غابت بدور الحسن عن هالاتها * فاستبدلت من عزها بهوان
ناحت نواعير الرياض لفقدهم * فكأنها الافلاك فى الدوران

(وقال ابن تميم)

أيا حسنها من روضة ضاع نشرها * فنادت عليه فى الرياض طيور
ودولابها كادت تذوب ضلوعه * لكثرة ما يبكى بها ويدور

(وقال جمال الدين بن نباتة)

وناعورة قممت حسنها * على واصف وعلى سامع
وقد ضاع نشر الربا فاغتدت * تدور وتبكى على الضائع

وقال مؤلفه ارتجالا جسيما اقترح عليه والحالة كذا

كأن الجداول هو صفاه * ونور البدر يشرق والسواقى
دموعى ثم وجهك يا حبيبى * وقلبى اذ شكا ألم الفراق

(قلت) ومن المداعبات اللطيفة ما كتب به المرحوم القاضى فخر الدين بن مكانس الى الشيخ بدر الدين البشتكى سامحه الله تعالى (مولده سنة ثمان وأربعين وسبعمائة) وقد دار فى ساقية الهمائل وهو

دورة البدر فى سواقى الخمائل * تركت أدمع العيون هوامل
آه من للرياض نور أديب * مظهر من كلامه سحر بابل
فاق سعيا على بنى مجل فى الجود وأغنى عن الولى الهاطل
زاد علما على أبى نوراكن * قال بالدور ماؤه والسلاسل
قد أعاد الجناس حسن نواو * وأتته تورية فهو كامل
يا سعيدا أثرى من النظم والنثر فأنسى الورى زمان الفاضل
قد سقيت الرياض يا شيخ بالدو رفهاغصنها من السكر مائل
لم تدع من نباتة لم تجدها * انها بالثنا عليك تواصل
وابن قادوس كان طالع فى خد * مثلك اليوم بالاوامر نازل
وغدا بالظلال كل أديب * فى هجير الرمضاء بفضلك قائل
ويروحى عيون نرجس روض * يغزل الحسن بالندا ويغازل
أنت شنفتها بشعرك زهرا * و بعثت المياه فيها خلاخل
كم غصون أينعتها فعلها * هاج للطير والمحب بلابل
أنت فى الحالتين تصريفك الاحرف أو كيمياء ذهنك واصل
أنت لو لم تكن بحار علوم * ماجرت فى الرياض منك جداول
كنت عندى أجل قدرا وقدر * ت من النور للوجود الحامل
وغدا قس بين لفظك والرو * ض على الحالتين عندك باقل
أنت يا بدر فقت بدر الدياجى * فلهذا تبدو وذلك آفل
يا خليا أشبه الشعر ان لم * يك عنى كدمع عينى سائل
والأديب المحب يشكو هواه * للاديب المحب عند النوازل
أنا مغرى بحب أحور ألمى * نافثى يزرى بغصن الحمائل
من بنى الترك قده الادن والحظ كلا الفاتنين أصبح ذابل
أعين الزهر والغصون تراها * شاخصات اذا مشى وموائل
لا تقل بى الاعراب تحكم حسنا * ماترى للاعراب هذى العوامل
ماس عجبا وقصده يقتل الخلق دلا لا ولالد لال دلائل
لا تلم فى عذاره هتك شيبى * أنا قد بعت آجلى بالعاجل
ولعمرى أنت الذكى ولكن * أنت والله عن غرامى غافل

ولئن كنت عاقلا انني من * صبوتي في الهوى عن العقل عاقل
هاك حالي شرحته فاغنني * ان تكن يا أخي لمعنى حامل
واطرح عنها فعيش المحبين محبون والعيش كالظل زائل
دمت يا جامع المحاسن والشمل ولا زال غيث فضلك شامل
أنت بدر أم انت شمس فانا * قد رأيناك غرة في الاصائل
وكفيت الحرار يا أشرف القو * م ومن جوده ينمي ابن باخل

(الباب الثامن في الباذهنج وترتيبه)

(قال) القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في باذهنج مطل على البحر

أنا نعمى من ابتهج * انعش الروح والمهج
وعن البحر يا نسيم حدث ولا حرج

وقال ابن سناء الملك (توفي سنة ثمان وستمائة)

وباذهنج علا علاه * لكنه قد هوى هواه
دام عليك النسيم فيه * كأنه يطلب الشفاه

(وقال) أبو الحسن عبد الكريم الانصاري

ونفحة باذهنج أسكرتنا * وجدت بروحها بردالنعيم
أتيناه من أنيق الشكل سمح * تراه مثل راووق النديم
صفا وجرى الهوى فيه رقيقا * فسميناه راووق النسيم

(ومما) يحسن ان ينشد على لسان الباذهنج قول بعض العرب

اذا الريح من نحو الحبيب تنسمت * وجدت لرياها على كبدي بردا
واني بتهباب النسيم موكل * طروب وبعض القوم يحسبني جلدا

(وللشيخ) برهان الدين القيراطي

يا طيب نفحة باذهنج لم يزل * بهوائه لنفوسنا تنفيس
مغرى بجذب الريح من افاقها * فكأنه للريح مغناطيس

(وللشيخ) شهاب الدين بن أبي حجلة

وباذهنج لاخات * ديارنا من أنسه
كأنه متيم * يلقي الهوى بنفسه

(وله)

وباذهنج غدا في الجو منظر * من فوق منظره تبدو على سنن
فانظر فديتك يا محبوب رفعته * واستنشق الريح من تلقاء ياسكني

(وله) يا باذهنجي كم كذا * تعلو على بان الحمى
أبديت حمقا زائدا * رفعت رأسك للسما

(وله مضمنا)

ودار حكت قصر السموءل فاغتدت * تباهى ببنيان لها وتقول
أرى باذهنجي في الهواء ارتفاعه * يعز على من رامه ويطول

(وله مضمنا)

يا باذهنجي أما ترثى لذى حرق * يبدى لهيب الجوى مذ بات يخفيها
عودتنا صدقات من لطيف هوى * فامنن على بريح منك يجريها

(وله مضمنا)

يا باذهنجي لا برحت من الهوى * مثلى على حب الديار مولها
دارى بحبك دائما مشغوفة * خلقت هواك كما خلقت هوى لها

(وله)

وباذهنج تراه * كغصن بان ترنح * يهتز عند العطايا * لانه يتريح

(وله ملغزا فيه)

وذى جناح طوله * أضعاف ما في العرض
ما جار في شرع الهوى * وحكمه اذ يقضى
ولم يطر مع كونه * بين السما والأرض

(وقال أبو الفتح) بن قادوس يهجره

لك باذهنج قلب صب له * نفس يصاعد لوعة الحرق
مات النسيم به فأجهنا * نبكى عليه بأدمع العرق

(ولصدر الدين) بن عبد الحق (توفى تقريبا سنة ثمانين وسبعمائة)

في الباذهنج لا تنم * فما لمرضاه دوى
لا يأمن الشخص الذى * يعرق في الليل الهوى

(ولشهاب الدين بن أبي حجلة)

وباذهنج ريحــه * تضرم نــيران الجوى
مدحتــه جهلا به * فراح مدحى فى الهوى

(وله مضمنا فيه)

هجا الشعراء جهلا باذهنجى * لان نسيمه أبدا عليـل
فقال الباذهنج وقد هجوه * اذا صح الهوى دعهم يقولوا

(وقال) شهاب الدين السنبلى المالكى (توفى سنة أربع وستين وستمائة)

وباذهنج اذا سو المصيف أتى * أهدى النسيم وقد رقت حواشيه
مصغ الى الجو ماناجاه نافحة * الاونم عليـه فهو واشيه

(وأكثر الناس) ولوعا بالباذهنج القاضى الفاضـل فانه قال من رسالة انى من قوله فانه قال من مدة سنتين وماقاربهما وهى المدة من تاريخها فرح بهجرة وكرى وعلوسعر رسالة الخ هـذا شعرى قد نظمت مائتين وخمسين ألف بيت من الشعر بشهادة عيانها وحضور مارأيناه بالاصـل ديوانها مثل قولى فى باذهنج شديد الحرور كأنما يتنفس نفس مصدور ماينا هز فليحرر اه ألف بيت كل مقطوع منها يخرع العقول اختراعه ويعنى المحاسن بديع ابتداعه ومثل قولى فى رجل طويل الآذان كأنهما فى رأسه خفان أو قد تحل له منهما نعلان مايقارب ألف بيت تجاوزت بهما وأوريت ومالدخلت منها الشاعر الى بيت ومثل قولى فى رثاء الوطن الذى درجت من وكره وخرجت فلم أخرج عن ذكره ماينا هز عشرة آلاف بيت ومثل قولى

فى مدايح منصوصه * واهاجى مخصوصه

(وللشيخ) برهان الدين القيراطى ملغزا فيه

أهواءنا المختلفه * قد أصبحت مؤتلفه
فى شامخ بأنفــه * على العوالى أنفــه
وذى جناح لم يطر * وكل طـير ألفــه
جناحه طول المدا * يبدى علينا رفرفه
كم من كئيب عاشق * اهدى له مشرفه
ولا يزال مرسـلا * لنحوه ملطفــه
فى الريح ضاع قول من * عـلى هواه عنفــه
عليـله الصحيح كم * شـفى قلوبا دنفــه

وروحه لطيفة * وذاته منصرفه
من قبلة الدين أرى * حب الهوى قد صرفه
ولم يكن مع الهوى * أعطافه منعطفه
هواه تحت طوعه * كيف يشاء صرفه
كم ممت غمامة * هامته المنكشفه
مازال غير ساكن * ساكنه مذ ألفه
وكلما لاح له * من الهواء التقفه
في الوليد ذاته * بذاته مؤتلفه
سكانها سميها * في الغروب يبدي حيفه
فيه تشي عصبة * قد أصبحت مصيفه
ببدر ذو الرشد ولا * ينسبه الى السفه
جدت مع تبذيره * وبذله تصرفه
وكل ما أسرف في * بلد شكرنا أسرفه
ونصفه مع جبل * ملك سطاه متلفه
تصحيف ثلثيه جات * فض حديثه الشفه
وثلثه حرفان بل * حرف فدع من حرفه
أنفاسه كم أودعت * محاسنا مستلطفه
كم رشفت من غصن * ذي قامة مهفهفه
معتلة هو الصحيح عند من قد عرفه
وعرفه يعرفه * بالطيب حل عرفه
وثوبه الابيض لا * يزال يبدي صلفه
آخره مصنف * لعالم قد صنفه
وبيت سلطان غدا * يصون فيه تحفه
يكني بسدسي لفظه * عصابة مستنكفه
وسدسه أرى السما * والارض والماء يألفه
فاكشف معمى قلبه * فشلكم من كشفه
تهاو ذهنكم محي * من الظلام سدفه

يجري لحل المشكلا * ت لم يخف توقفه
وبحركم دروما * صادفت فيه صدفه
وللرقاب قلدت * هباتك المؤتفه
كل البرايا نكرة * وأنت فيهم معرفه
وخذ عروسا شنفت * مدحليت مشنفه
زهير لو بان له * زهر حلاها قطفه
أغشى سناه طرفها * اذلاح طرف طرفه
حديقة حاسدها * يرعد مثل السعفه

(الباب التاسع فى النسيم ولطافة هبوبه)

وانما ذكرت النسيم لانه من لوازم الباذهنج والنسيم الريح الطيبة ونسيم الريح أولها حين تقبل بلين قبل ان تشتد (ومنه) الحديث بعثت فى نسيم الساعة أى حين ابتدأت وأقبلت وما أحسن قول بعضهم * نسيم الريح نسيب الروح (قال) أبوزكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى الرياح المعروفة أربع (الصبا) وهى تسلى عن الكروب (والجنوب) وهى تجمع السحاب (والشمال) وهى تعصره وتفرقه (والدبور) وهى تهدم البنيان وتقلع الشجر وهى المذكورة فى القرآن الريح العقيم وريح عاصف وريح صرصر وكل موضع جرى فيه ذكر الريح فالمراد بها الدبور والمراد بها العقوبة وكل موضع جرى فيه ذكر الرياح فى القرآن فانه يرجع الى الثلاثة التى تقدم ذكرها فيراد به الرحمة (وقيل) الرياح ثمان أربع من الجهات الاربع وأربع تسمى النكب لميلها وتنكبها عن الجهات الاربع فالشمال من ناحية الشام وذلك عن يمينك اذا استقبلت قبلة العراق فهو بها من تحت بنات نعش ويقابلها الجنوب وهى باردة يابسة صافية من الكدر تشد الاعضاء وتسد المسام وتحصر الحرارة فى الباطن فيهضم الغذاء وتصفو بها كدورة الروح الحيوانى الذى فى القلب من الابخرة الدخانية وتديم الصحة وتقوى حواس الدماغ وذلك ان وصلت الى الجسم باعتدال وهى قليلة الهبوب ليلا ولذلك تقول العرب فى أحاديثها ان الجنوب قالت للشمال ان لى عليك فضلا لانى أسرى وأنت لا تسرى فقالت الشمال

ان الحرة لا تسري وكان للمتوكل بيت مال يسميه بيت مال الشمال فكلما هبت شمالا تصدق بألف درهم وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه (قول) سحيم عبد بنى الحسحاس

وهبت شمالا آخر الليل سحرة * ولا ثوب الادرعها وردائيا
فمازال بردى طيبا من نباتها * الى الحول حتى انهج البرد باليا

فقال عمر أنك مقتول فاتهم بعد ذلك بامرأة فقتل (قال) أبونواس (توفى سنة ثمان وتسعين ومائة) وفيه ثلاث روايات

هبت لنا ريح شامية * متت الى القلب بأسباب
أدت رسالات الهوى بيننا * عرفتها من بين أصحابى

(يحكى) ان الصاحب بن عباد رحمه الله تعالى (مولده سنة ست وعشرين وثلثمائة ووفاته سنة خمس وثمانين وثلثمائة) كان اذا سمع هذين البيتين ترنح لهما (قال) الشيخ شرف الدين أحمد بن يوسف القيسى حدثنى من دخل سجستان وكرمان ان جميع ارحائهم ودواليهم تدور بريح الشمال قد جعلت منصوبة تلقائها وان هذه الريح تجرى عندهم على الدوام صيفا وشتاء وهى فى الصيف أكثر وأدوم وربما سكنت فى اليوم والليلة مرة أومرات فيسكن كل رحى ودولاب بذلك الاقليم ثم يتحرك فيتحرك وذكر ان هذه الدواليب المنصوبة بها اثناعشر ألفا وتنقطع بانقطاعها قال والخصب والقحط فى بلادهم معتبر بكثرة جريان ريح الشمال وقلته قال ولهم فى الارحاء منافس تغلق وتفتح ليقل ويكثر وذلك انها اذا كانت قوية أحرق الدقيق فيخرج به اسود وربما حمى الرحاء فانفلق فهم يحتاطون لذلك بما ذكرناه والصبا تأتى من مطلع الشمس وهى القبول والدبور يقابلها وهى معتدلة ولاسيما ان هبت قبل طلوع الشمس فى زمان الربيع وهى لطيفة صافية تذكى الاذهان وتبسط الأخلاق لاسيما ان مرت بمروج أزهار نافعة فانها تحمل قواها الى القلب والدماغ والى نفعها أشار الشاعر

وصبا أتت من قاسيون فسكنت * بهبوبها وصب الفؤاد البالى
خاضت مياه النيربين عشية * وأتتك وهى بليلة الاذيال

(وقال سيف الدين) المشد (ومولده سنة اثنين وستمائة وتوفى سنة خمس وخمسين

وستمائة)

مسكية الأنفاس تملي الصبا * عنها حديثا قط لم يعلل
جنت لما ان سري عرفها * وماترى من جن بالمندل

(وقال) مجير الدين الخياط (ومولده سنة خمسين وأربعمائة ووفاته سنة أربع وعشرين وخمسمائة)

يانسيم الصبا الولوع بوجدي * حبذا أنت لو مررت بهند
ولقد رابني شذاك فبالله متى عهده بأطلال نجد

(قال المهيار) الديلمي وتلطف (توفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة)

حملوا ريح الصبا نشركم * قبل ان تحمل شيحا وخزاما
وأبعثوا لي في الدجى طيفكم * ان أذنتم لجفوني ان تناما

(وروى) المرزبان باسناده ان المجنون خرج مع أصحاب له ليمتار من وادي القرى فمر بجبلي نعمان فقالوا ان هذين جبلا نعمان وقد كانت ليلى تنزلهما قال فأي ريح تجري من نحو أرضها الى هذا المكان فقالوا الصبا فقال والله لا أبرح حتى تهب الصبا فأقام في ناحية من الجبل ومضوا فامتاروا الهم وله ثم أتو فحبسهم حتى اذا هبت الصبا رحل معهم وفي ذلك يقول

أيا جبلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الي نسيمها
أجد بردها أو تشف مني حرارة * على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح متى ما تنسمت * على نفس مهموم تجلت همومها

(وضمن البيت الاول) الشيخ صفي الدين الحلي في مليح اسمه نعمان فقال

أقول وقد عانقت نعمان ليلة * بنور محياه أنار اديمها
وقد أرسلت الياه نحوي فسوة * بروح كرب المستهام شميمها
أيا جبلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الي نسيمها

(أقول) وعلى ذكر نعمان والكناية عنه فما ألطف ما ذكره الشيخ بدر الدين حسن بن زفر المتطبب الاربلي في كتابه روضة الجليس ونزهة الانيس وهو ان بعض الرؤساء قال أخبرني بعض الاصحاب قال كنت يوما جالسا عند صديق لي بالموصل اذ جاءه كتاب من بغداد من صديقة له فيه تشوق وفيه هذا البيت عتاب وهو

تناسيتم العهد القديم كأننا * على جبلى نعمان لم نتجمعا

فأخذ يستحسن هذا البيت ويهتزله فقلت له بالله عليك يافلان أسألك شيأ ولاتخفه عنى قال سل قلت هذى معشوقتك صاحبة هذا الكتاب هل كنت تأتيها من وراء الدار فقال أى والله ومن أين علمت ذلك قلت من هذا البيت لانها ذكرتك فيه بجبلى نعمان وجبلى نعمان كناية عند الظرفاء من الناس عن جانبى كفل المليحة والمليح فقال والله ماأدركت من هذا البيت الذى أدركت (وكان) لبيد بن ربيعة العامرى آلى فى الجاهلية ان لاتهب صبا الانحر وأطعم الناس حتى تسكن والزم نفسه ذلك فى الاسلام فلما كانت أيام عثمان جعل ديوان لبيد بالكوفة وخطب الوليد بن عقبة الناس بها فى يوم صبا فقال معاشر الناس ان أخاكم لبيدا آلى فى الجاهلية الاتهب صبا الا أطعم الناس حتى تسكن وقد ألزم نفسه ذلك فى الاسلام وهذا اليوم من أيامه فأعينوه وأنا أول من يعينه ونزل فبعث اليه مائة بكرة وكتب اليه يقول

أرى الجزار يشحذ شفرتيه * اذاهبت رياح أبى عقيل

أشم الانف أصيد عامرى * طويل الباع كالسيف الصقيل

ووفى الجعفرى بما عليه * على الغلات والمال الثقيل

(فلما) أتاه الشعر قال لابنته يابنية أجيبيه فقالت

اذاهبت رياح ابى عقيل * دعونا عندهبتها الوليدا

أشم الانف أصيد عبشميا * أعان على مروته لبيدا

بأمثال الهضاب كأن ركبا * عليها من بنى حام قعودا

أباوهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا

فعدان الكريم له معاد * وظنى يا ابن أروى ان تعودا

(فقال) أبوها أحسنت لولا انك استطعمتيه (ولبيد هذا صحابى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم مع قومه بنى جعفر بن كلاب وهو صاحب احدى القصائد المعلقات التى أولها)

عفت الديار محلها فمقامها * وانما أمر ابنته ان تجيب الوليد

لانه لم يقل شعرا منذ أسلم وقال بعضهم لم يقل فى الاسلام الا قوله

الحمد لله اذلم يأتنى أجلى * حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

وقيل هذا البيت لغيره وهو أصح وقيل هذا البيت الذى قاله فى الاسلام بيت عجزه * والمرء يصلحه القرين الصالح * وقال له عمر رضى الله عنه يوما يا أبا عقيل أنشدنى شيأ من شعرك فقال ما كنت لأقول شعرا بعد ان علمنى الله البقرة وآل عمران فزاده فى عطائه خمس مائة وكان ألفين وقالت عائشة رضى الله عنها رويت من شعر لبيد اثنى عشر ألف بيت وقالت أيضا رحم الله لبيدا (حيث قال)

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

(قلت) كيف لو أدرك زماننا (وكان) لابن الجوزى رحمه الله تعالى زوجة اسمها نسيم الصبا فاتفق انه طلقها فحصل له بعد ذلك ندم وهيام أشرف به على العدم فحضرت فى بعض الايام مجلس وعظه فمن رآها عرفها فاتفق انه جاء امرأتان وجلستا امامه فحجبناها عنه فانشد فى الحال * أيا جبلى نعمان بالله خليا وهذا من جملة لطائفه وظرائفه ومنها انه أنشد فى بعض مجالس وعظه

أصبحت ألطف من مر النسيم سرى * على الرياض يكاد الوهم يؤلمنى

من كل معنى لطيف أجتنى قدحا * وكل ناطقة فى الكون تطربنى

فقام اليه انسان وقال فان كان الناطق حمارا فقال أقول له يا حمارا اسكت

(وقال) صلاح الدين الصفدى

صدق خلى نسمات الصبا * فيما روت عنكم وما شك

قال لا أخبر منها بما * جاءت به قلنا ولا أذكى

(وقال جمال الدين بن نباتة)

يداوى أسا العشاق من نحو أرضكم * نسيم صبا أضحى عليه قبول

بروحى من ذاك النسيم اذا سرى * طبيب يداوى الناس وهو عليل

(وقال) شهاب الحاجبى (توفى قريبا من سنة سبعين وسبعمائة)

لا تبعثوا غير الصبا بتحية * ما طاب فى سمعى حديث سواها

حفظت أحاديث الهوى وتضوعت * نشرا فيا لله ما أذكاها

(وقال بدر الدين) بن الصاحب

أسكرتم ريح الصبا بالشذا * حتى أذاعت سرنا بالبطاح

لا تعتبوها ان اذاعت هوى * فما على السكرى بهذا جناح

(وقال) بدر الدين حسن العربى (ومولده سنة ست وسبعمائة ووفاته سنة

خمس وخمسين وسبعمائة)

سرت من بعيد الدار لي نسمة الصبا * فقد أصبحت حسرى من السير ظالعه
ومن عرق مبلولة الجيب بالندا * ومن تعب أنفاسها متتابعه

(ولما أنشدتهما) السيد القاضي صدر الدين بن الآدمي فسح الله في أجله (مولده سنة ثمان وستين وسبعمائة) قال لو قال الشيخ بدر الدين فقد أصبحت معتلة وهي ظالعة لكان أحسن من قوله حسرى (واعمرى صدق فيما قاله) وما ألطف القاضي أمين الدين عثمان بن عطايا في قوله

أنا أهوى غصن النقا وهولاه * وفؤادي بحبه في التيه
يا نسيم الصبا ترفق عليه * وتلطف به ولا تؤذيه
وتحمل رسالة ليس الا * كأمين في حملها ارتضيه
واذا لم يكن رسولي نسيم * نحو غصن النقا فمن يثنيه

(وللشيخ) شمس الدين الواسطي من متأخري شعراء الديار المصرية من موشحه

نسائم الاسحار * بنشرها الفواح * تحرك الاغصان * لانها أرواح
فقم بنا نسعى * لمربع يانع * للماء والمرعى * فيه غدا جامع
قد أطرب السمعا * قمريه الساجع
كأنما تكرار * غناه في الادواح * ضرب من العيدان * لمن غدا أوراح

(ولمؤلف الكتاب) لطف الله به

ان هبت الارواح من نحوهم * فانتشت الاشباح من راحها
لا تعتبونا في الهوى واسكروا * أشباحنا حنت لارواحها

ولم أر أحدا وصف الريح غير الاديب أبي القاسم أسعد بن علي الكاتب المترسل (في قوله) كأن شكل الهلال قرط * أو عطفة النون أو قلامه
كأن لون الهواء ماء * أو سندس رق أو غمامه

(حكى ان نور الدين) علي بن سعيد المغربي صاحب المرقص والمطرب مر مع جماعة من الادباء المصريين ومنهم أبو الحسين الجزار فروا في طريقهم بمليح نائم تحت شجرة وقد ذهب الهوى فكشف ثيابه عنه فقال ابو الحسين الجزار تقفوا لينظم كل واحد منا في هذا شيأ قال فما لبث ان قال نور الدين

الريح أقود ما يكون لانها * تبدي خبايا الردف والاعكان

وتميل بالاغصان عند هبوبها * حتى تقبل أوجه الغدران
وكذلك العشاق يتخذونها * رسلا الى الاحباب والأوطان

(فقال) أبو الحسين ما بقي أحد منا يأتي بمثل هذا سيروا بنا * وقال النور الاسعردي (ووفاته سنة ست وخمسين وستمائة)

تميل الريح بالأغصان لطفا * كما مالت بشارب ها العقار
وتجمع بينها من بعد بعد * واوراق الغصون لها ازار
وتخفق غيرة عند التلاقي * فهل أبصرت قوادا يغار

(وما احسن قوله) وان كان في غير ما نحن فيه

اهدى سقام جفونه * جسمي وأعدمني الكرا
حتى اعتللت بسرعة * مثل النسيم اذا سرى

(وأنشدني) من لفظه لنفسه الشيخ العلامة عز الدين أبي الخير على ابن الشيخ بهاء الدين الحسين الموصلي تغمده الله بالرحمة

رب نسيم قد سرى * تحدو سحابا ممطرا
أذياله بليلة * تخبرنا بما جرى

(وأنشدني) من لفظه لنفسه سيدي الشيخ وأخي تقي الدين أبي بكر بن حجة الحموي فسح الله في أجله من قصيدة نبوية أولها

شدت بكم العشاق لما ترنموا * فغنوا وقد طاب المقام وزمزم
وضاع شذا كم بين سلع وحاجر * فكان دليل الظاعنين اليكم
ولما روى أخبار نشر ثغوركم * أراك الحمى جاء الهوى يتبسم

(وقال) القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

شكر النسمة أرضهم * كم بلغت عني تحيه
كم قد أطالت بل أطا * بت في رسائلها الزكيه
لا غروان حفظت أحا * ديث الهوى فهي الذكيه

(ومن) هنا أخذ صلاح الدين الصفدي قوله وهو حسن عندي

يا طيب نشر هب لي من أرضكم * فأثار كامن لوعتي وشجا كي
اهدى تحيتكم وأشبه لطفكم * وروى شذا كم ان ذا نشر ذكي

(وقال) شهاب الدين بن أبي حجلة مخاطبا الصلاح الدين

ان ابن ايبك لم تزل سرقاته * تأتى بكل قبيحة وقبيح
نسب المعانى فى النسيم لنفسه * جهلا وراح كلامه فى الريح

(وكان) القاضى محي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى يحب مغنيا اسمه النسيم وله فيه عدة مقاطيع وقد ذكر بعضها الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة من رقعة كتبها الى القاضى علاء الدين بن فضل الله فى منزلة الاهرام قال وقد كان تقدم من انعامه ثوب صوف أحمر * ونصفه فى يوم ماطر ونسأل الله تعالى ان لا يخلى ذوى العارض الممطر من جاه مولانا العريض وحال انعامه التى هى كالدنانير الحمر والدراهم البيض ونصف مبيته فى هذه المنزلة التى أصبحت كايلة القدر عندى ذات أنديه وخيامها التى ودلو كان طائعة بها سعد الاخبية وبردها اليابس الذى لم يترك منه رطبا سوى لسانه بصالح الادعيه هذا والهرم يضرب حتى اللحية بالشيب وأبو الهول الى جانبه يرجم حين يرجع بالغيب فان شبت من هوله فالهرم امامى وان قررت من نسيمه فهوى ناقى خافى وقدامى

هوى تذرف العينان منه وانما * هوى كل نفس حيث حل حبيبها

فلو حكم به على القاضى محي الدين بن عبد الله الظاهر رحمه الله تعالى وقد جى بهبوبه الوطيس لاشتغل بنفسه ولترك محبوبه النسيم فى الريح المريس وذلك بعد ان قال فيه

ان كانت العشاق من أشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذى أتلو لهم يا ليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

(فقلت) كأنى حاضر اخاطبه

ان كنت فى عشق النسيم متيما * وزعمت ان هواه ليس بتالف
فأنا أقول لمن تحرش بالهوى * عرضت نفسك للبلاء فاستهدف

(وقال القاضى محي الدين) بن عبد الظاهر فيمن اسمه نسيم

يا من غدا لى من عوا * صف هجره الريح العقيم
أترى يطيب لى الهوى * ويقال لى رق النسيم

فقلت له مجاوبا

بالله ان رق النسيم وأخمدت * نار توجهها يد التبريح

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ودع العذول وقوله فى الريح

(قلت) وعلى ذكر الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فى رسالته المذكورة فى ليلة من جمادى ذات أندية (ذكرت) ماقاله الشيخ المحدث الرحلة فتح الدين محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس رحمه الله تعالى قال كان القاضى فخر الدين بن نعمان والقاضى تاج الدين أحمد بن الأثير (توفى تاج الدين سنة سبعين وستمائة) صحبة السلطان على تل العجول ولفخر الدين مملوك اسمه الطنبا فاتفق انه دعى للملوك المذكور بالطنبا فقال له نعم ولم يأته وتكرر طلبه له وهو يقول نعم ولم يأته وكانت ليلة مظلمة مطيرة فاخرج فخر الدين رأسه من الخيمة وقال تقول نعم ولم أرك (فقال تاج الدين)

فى ليلة من جمادى ذات أندية * لايبصر الكلب فى ارجائها الطنبا

(وقال بعض العشاق)

ألا يانسيم الريح مالك كلما * تدانيت منا زاد نشرك طيبا
أظن سليمى خبرت بسقامنا * فاعطتك رياها فجئت طبيبا

(وكان) أبو الفرج الوأواء محمد بن أحمد الدمشقى من حسنات الشام وصناعة الكلام وكان مبدأه مناديا بدار البطيخ بدمشق قال قال ابن حمدون كان الفتح بن خاقان يأنس بى ويطلعنى على الخاص من أموره فقال مرة يا أبا عبد الله لما دخلت البارحة الى منزلى استقبلتنى جارية من جوارى فلم أتمالك دون أن قبلتها فوجدت بين شفتيها هوى لورقد المخمور فيه لصحا فكان ذلك مما يستملح ويستظرف من الفتح بن خاقان فسمع الوأواء ذلك (فقال)

سقى الله ليلا طاب اذ زاد طرفه * فأفنيته حتى الصباح عناقا
بطيب نسيم منه يستجلب الكرى * فلو رقد المخمور فيه أفاقا

(وقال علاء الدين الجوينى) صاحب الديوان دوبيت

لله مبيتنا بضوء القمر * والحب نديمنا وصوت الوتر
قد فرق بيننا نسيم سحرا * ما أبرد ماجاء نسيم السحر

(وما ألطف) ماقال سيدى تقى الدين بن حجة أبقاه الله تعالى من موشحة امتدح بها سيدنا ومولانا الامام العلامة المفتن قاضى القضاة أبى الحسن علاء الدين الشهير بالقصا الحاكم بمدينة حماه المحروسة أسبغ الله عليه ظلاله مضمنا

بالله يابرق ان أومضت فى الثغر * وحارس اللحظ فى شك من الخبر
قف بالثنيات واذ كرنى اذا عذبت * مهلات عذيب الثغر فى السحر
وارسل عليل النسيم خلفى * معرفا بالشذا ومشفى
ولا تقل انه المعتل فى شغل * فربما صحت الاجساد بالعلل

(وللقاضى الفاضل)

يالمعة البرق بل ياهبة الريح * روحى بجسمى الى من عنده روحى
خذى لهم من دموعى عنبرا عبقا * وأوقديه بنار من تباريحى
ناشدتك الله الا كنت مخبرة * عنى بأنهم ذكرى وتسبيحى

(وذكر الوهرانى) فى أول منامه هذه الابيات ولم أدرهى له أم لغيره (توفى سنة خمس وسبعين وخمسمائة)

أيا نفحة أهدت الى تحية * ينم عليها العرف من أم سالم
مشت فى اراك الواديين فنبهت * به كل نشوان المعاطف ناعم
ألا فاغا أحكى بدمعى ولوعتى * بكاء الغوانى وانتحاب الحمائم

(حكى عن الاصمعى) أنه قال كانت امرأة من العرب تأتى بصبية لها قبل الصبح فتقف على تل عال هناك وتقول أى بنى خذوا صفو هذا النسيم قبل ان تكدره الخلائق بأنفاسها (ولمؤلف الكتاب) لطف الله به من قصيدة

ألا يانسمة الريح * وفى أيديك تبريحى
قفى أسألك عن قلبى * وان شئت أقل روحى

(الباب العاشر فى الفرش والمساند والارائك)

ذكر القاضى الرشيد أبو الحسين أحمد بن القاضى الرشيد بن الزبير فى كتابه العجائب والطرف والهدايا والتحف انه لما عزم المتوكل على اعذار المعتز أمر الفتح ابن خاقان بالتأهب لذلك وان يلتمس فى خزائن الفراش بساطا للايوان فى طوله وعرضه وكان طوله مائة ذراع وعرضه خمسين ذراعا فلم يوجد الا فى ما مضى من بنى أمية فانه وجد فى أمتعة هشام بن عبد الملك على طول الايوان وعرضه وكان بساطا لم ير لاحد مثله ابريسمى مذهب مقزز مبطن فلما رآه المتوكل استحسنه و بسطه فى الايوان بعد أن قوم فى أوسط التقويم بعشرة آلاف دينار ونصب

للخليفة فى صدر الايوان سرير ومد بين يديه أربعة آلاف مرفع ذهب مرصعة بالجوهر فيها تماثيل العنبر والمسك والكافور المعمول على مثل الصور منها ماهو مرصع بالجوهر مفردا ومنه ماعليه ذهب وجوهر وجعلت بساطا ممدودا وقعد المتوكل والناس جلوس وهو على سريره وحضرت القواد والامراء والندماء وأصحاب المراتب وجلسوا على مراتبهم ووضعت بين أيديهم من الجانبين وللسماط فرجة وجاء الفراشون بزمل غشيت بأدم مملوءة دنانير ودراهم نصفين وصب فى تلك الفرجة حتى ارتفعت وقام الغلمان دونها وأمر الناس بالشرب وأن ينتقل كل من يشرب من تلك الدنانير والدراهم ثلاث حفنات بمقدار ما حملت يداه وكلما فرغ صب فيه من الزمل حتى يردّ الى حالته ووقف غلمان فى آخر المجلس فصاحوا ان أمير المؤمنين أمر أن يأخذ من شاء ماشاء فمدّوا أيديهم الى المال وأخذوه وكان اذا أثقل الواحد مافى كمه ناوله الى غلمانه ثم يعود الى مجلسه وخلع على من حضر ثلاث خلع حسان على مراتبهم وأقاموا الى أن صليت العصر والمغرب وحملوا عند انصرافهم على الخيل والمهارى وأعتق المتوكل عن المعتز ألف عبد وأمر لكل واحد منهم بمائة درهم وثلاثة أثواب وكان فى صحن الدار بين يدى الايوان أربعمائة مكبه عليها أنواع الثياب وبين أيديهم مكبه فيها أنواع الفاكهة وتقدم الى صاحب الباب ان ينثر واعلى خدام الدار والحاشية ما كان أعدلهم وهو ألف ألف درهم فلم يقدر أحد على التقاط شئ فأخذ الفتح درهما فاكب الجماعة على المال فنهبوه وكانت قبيحة أم المعتز بالله قد تقدمت بضرب دراهم عليها مكتوب بركة من الله واعذار أبى عبد الله فضرب ألف ألف درهم نثرت على وجوه الغلمان والشاكرية وقهرمانات الدار والخدام والخاصة من الصبيان والسودان (وسأل) أبو العباس الصولى حرملة المزنى كم وصل اليك من اعذار المعتز فقال صار الى أن وضع الطعام نيفا وثمانين ألف دينار سوى المصاغات والخواتيم والجواهر وحضر المجلس محمد المنتصر وأبو أحمد وأبو سليمان ابنا الرشيد وأحمد وأبو العباس ابنا المعتصم وموسى بن المأمون وأبنا حمدون النديم وأحمد بن أبى حرويم والحسين بن الضحاك وعلى بن الجهم وعلى بن يحيى المنجم وأخوه أحمد ومن المغنيين عمرو بن بانة وأحمد بن أبى العلاء والحفصى بن المكى وسلك الرازى وثمرة وسلمان

الطبال والمسدود وأبو حشيشة بن الفضل وصالح الدفاف وزنام الزامر وتفاح الزامر ومن المغنيات عريب وبدعة جاريتها وشراب وجواريها وندمان ونغم ونحلة وتركية وقديرة ورائك وعرفان قال وأقام المتوكل بالقصر ثلاثة أيام ثم صعد الى قصره الجعفرى وتقدم الى ابراهيم بن العباس بعمل حساب ما انفق فاشتمل على ستة وثمانين ألف ألف دينار وفضل بعد القسم عن الناس وانواع الخمس مما فى المدائن بساط كسرى أنفذه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقسمه بين الناس فأصاب على قطعة منها بعشرين ألف دينار وما كانت بأجود القطع وكانت الفرس تسميه القطف وكان طوله ستين ذراعا فى عرض ستين حريرفيه طرق كالصور وفيه فصوص كالانهار وخلال ذلك فى الافريز وفى حافاته كالارض المذروعة المقبلة بالنبات فى أوان الربيع فى قضبان الذهب والفضة ونواره كالجواهر واشباه ذلك وشبه فصوص ورسمه بالجواهر وزخوفته بحرير وذهب وكانوا يدخرونه للشتاء اذا ذهبت الرياحين وأرادوا الشرب شربوا عليه فكأنهم فى رياض وكان أفضل مال أصيب بالقادسية وكانت قيمته ستة وثلاثين ألف ألف دينار (ووجد) لام المعتز بالله ثلاث دواويج كانت تستعملهن فقوم الدواج بأكثر من ألف دينار ووجد لها جلود السمور فتحلق ماعليها من الوبر وترمى الجلود فاذا اجتمع من ذلك ما يكفى الدواج تنثر فيه مع فتت من المسك والعنبر وتجعله بين البطانة والظهارة عوضا عن القطن (وقال) القاضى الفاضل

بساط يرى التيجان تهوى للثمه * فما هو الا قبلة أو مقبل
اذا نشرت من نقشه لك روضة * بدا فوقها من كفه لك جدول
وأفضل أجزاء الجسوم رؤسها * وأرجاها فى وطئ بسطك أفضل

(دخل) محمد بن عمران على المأمون ذات ليلة فجعل يأمره وينهاه ثم دعا له بمتكاء فقال أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ما كنت لا تكئ فى مجالسك فقال له ان على قلبك من بدنك ثقلا ومؤونة فأردنا ان يستريح بدنك ليفرغ لنا قلبك (وقال محيى الدين بن عبد الظاهر) ملغزا فى شبرية

وهندية موطوءة غير انها * اذا افترشت أغرتك بالبيض والسمر
تعانق من أعطافها خيزرانة * وتلمع من أزرارها طالع البدر

وأعجب من ذا انها اذ تقيسها * تفوتك طولا وهى تعزى الى شبر

(وأنشدنى من لفظه) لنفسه الشيخ الفاضل بقية المتأخرين شمس الدين محمد بن بركة الجرائحى سلمه الله تعالى (مولده سنة خمس وثلاثين وسبعمائة)

يقول مخدتى لما اضطجعنا * ووسدنى حبيب القلب زنده
قصدتم عند طيب الوصل هجرى * خذونى تحت رأسكم مخده

(وأنشدنى لنفسه أيضا)

بشحانة تطرزت * قالت بلفظ موجز
على الحرير قدسما * قدرى والمطرز

(وقال) الشاعر الظريف محمد بن العفيف

بساط يملأ الابصار نورا * ويهدى للقلوب به سرورا
ويشرح حين يبسط كل صدر * وخير البسط ما أرضى الصدورا

(وقال ظافر الحداد) فيما يكتب على كرسى

نزه لحاظك فى غريب بدائعى * وعجيب تشبيهى وحكمة صانع
فكأننى كفا محب شبكت * يوم الوداع أصابعا بأصابع

(وذكر القاضى الرشيد) بن الزبير فى كتابه العجائب والطرف قال الفضل بن الربيع لما ولى محمد الامين الخلافة فى سنة ثلاث وتسعين ومائة أمرنى أن أحصى مافى الخزائن من الكسوة والفرش والآنية والآلة فاجتمعت كتاب الخزائن وأقاموا أربعة أشهر يحصون فأشرفت على مالم أتوهم أن خزائن الخلافة تحويه ثم أمرهم أن يعملوا لكل صنف جملة فكان فى خزائن الكسوة أربعة آلاف جبة منسوجة بالذهب وعشرة آلاف قميص وغلالة وعشرة آلاف خف وألف سروال وكثير من أصناف الثياب وأربعة آلاف عمامة وألف طيلسان وخمسة آلاف منديل من أصناف المناديل وخمسمائة قطيفة خز ومائة ألف وسادة ومخدة خز وألف بساط ملون وألف مخدة ميسانى وألف وسادة ميسانى وألف بساط طبرستانى وألف وسادة ديباج والف وسادة خز مرقوم والف ستر حرير ساذج وثلثمائة ستر مرقوم وخمسمائة بساط طبرى وألف وسادة طبرى والف مرفعة والف مخدة طبرى ومن الآنية الف طست ذهب والف ابريق ذهب وثلثمائة كانون فضة وذهب والف

نورشمع ذهب والف قطعة نحاس من سائر الاصناف والف منطقة ذهب ثم ذكر السلاح وأصنافه وقد ذكرته في بابه

(الباب الحادى عشر في الارايح الطيبة والمروحة وماشا كل ذلك)

(قال انس بن مالك) رضى الله عنه دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت فيها العرق فاستيقظ فقال يا أم سليم ماهذا الذى تفعلين قالت عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب وما أحق هذا الطيب بقول القائل وهو الشيخ (عز الدين الموصلى)

تنشق مسك اصداغي حلالا * فهذا الطيب من عرق الجبين

(وقال عمر بن الخطاب) رضى الله عنه لو كنت تاجرا ما اخترت غير المسك ان فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه (أهدى) عبد الله بن جعفر لمعوية قارورة من الغالية فسأله كم أنفق عليها فذكر مالا كثيرا فقال هذه غالية فسميت بذلك (وما أحسن) قول أبي بكر الخوارزمى (توفى سنه ثلاث وثمانين وثلثمائة)

وطيب لايحل بكل طيب * يجيئنا بأنفاس الحبيب
متى شممه أنف حن قلب * كأن الانف جاسوس القلوب

(وكان) يوزن بين يدى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه مسك للمسلمين فيأخذ بأنفه لئلا يصيب الرائحة ويقول وهل ينتفع الا بريحه وقال جعفر بن سليمان الهاشمى في الطيب أربع خصال لذة ومروءة ومنفعة وسنة ولما دخل عمر بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك بن مروان ابنة عمه أوقد في مسارجها تلك الليلة الغالية فقوم ثمن ذلك فبلغ عشرين ألف دينار (نادرة) تبخر بعض الامراء وعنده مزيد فضرطت منه ريحة خفيفة وأراد ان يدرى هل فطن لها مزيد فقال ما أطيب هذه المثلثة فقال نعم الا أنك ربعتها (سئل) جالينوس عن منافع الطيب فقال المسك يقوى القلب والعنبر يقوى الدماغ والكافور يصلح الرئة والعود يقوى المعدة والغالية تحلل الزكام والمثلث ينشف العرق (وقال ضياء الدين المناوى) في المسك

المسك انفس طيب * مثل الشباب وزينه
ان كان للطيب عين * فالمسك انسان عينه

(وله فى العود)

المندلى كريم * سقياله ولغرسه
لما أراد برينا * للهند نسبة جنسه
غدا على النار ملقى * يجود فيها بنفسه

(وقال الشيخ زين الدين ابن الوردى)

تجادلنا أماء الزهر أذكى * أم الخلاف أم ورد القطاف
وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا * وقد حصل الوفاق على الخلاف

ولبعضهم فى مبخرة

عطرت مجلسى بنية طيب * اعربوا شكلها بحسن البخارى
واذا اعتل للنسيم بخار * اسندوا نحوها صحيح البخارى

وللشيخ شهاب الدين بن ابى حجلة فيها

ومبخرة تحكى المتيم فى الهوى * تبوح بما تلقاه من شدة الكرب
تقول وقد نمت بعرف بخورها * أأكتم ما ألقاه والنار فى قلبى

(ولمؤلفه) لطف الله به وان كان غير مقصودنا

مذ باعنى بالآس لا * بالبان من اعطافه
حكموا بصحة بيعه * مع علمهم بخلافه

(وله)

سرحت مشطى سائلا * تصحيف قولى غاليه
ان لم تجد برخيصها * فالنار منها غاليه

(وقال الشيخ) جلال الدين بن خطيب داريا

حكيت فى اللطف نسج العنكبوت على * انى ظهرت لكم من جوهر قاسى
يكاد أن لا يرانى غير ذى نظر * من اللطافة الاطيب أنفاسى

(صفة غالية طيبة لذيذة) يؤخذ مسك جيد جزء وعنبر ربع جزء ومسك جزآن وسنبل الطيب جزء يسحق الجميع ناعما ويعجن بدهن بان ويرفع ويستعمل (صفة ندّ) له فى تفريح القلب أمر عجيب وفعل بالغ غريب يؤخذ عنبر جيد فيوضع فى اناء مسطح من نحاس على نار ويصب عليه شئ يسير من ماء ورد ويترك الى ان يلين ويدعك ويعلق به وزنه مسك جيد ومثل نصف وزنه عود امسحوقا

و يدعك دعكا جيدا و يبسط على رخامة و يقطع قطعا و يبخر به فانه عجيب في تقوية القلب والقوة واحداث التفريح (صفة ذريرة) منسوبة الى جعفر البرمكي وكان كثير التبخير بها في أ كثر ساعات نهاره وليله يؤخذ سليخة وقرنفل وفاغرة من كل واحد جزء وسنبل الطيب وقسط مر وصندل مقاصيري وعود وكبابة وقاقلة من كل واحد نصف جزء وزعفران ربع جزء يدق الجميع ناعما و يوضع في اناء من صيني ويسقى بماء الورد وماء القرنفل والنمام وماء الآس كل يوم مدة ثلاثة ايام ثم يترك الى أن يجف و يسحق ناعما و يضاف اليه كافور ومسك و يتبخر به نقلت هذه الصفحة من كتاب مفرح النفس تأليف الحكيم الفاضل بدر الدين مظفر بن قاضي بعلبك الذي ألفه للامير الفاضل سيف الدين عمر ابن قزل المشد تغمده الله بالرحمة

(القول في المروحة) وهي ثلاثة انواع مروحة الخيش ومروحة الاديم ومروحة الخوص ومن احسن ما سمع فيها قول عرقلة

ومحبوبة في القيض لم تخل من يد * وفي القر يسلوها اكف الحبائب
اذا ما الهوى المقصور هيج عاشقا * اتت بالهوى الممدود من كل جانب

(وقال ابن معقل)

ومروحة اهدت الى النفس روحها * لدى القيض مثبوتا باهداء ريحها
روينا عن الريح الشمال حديثها * على ضعفه مستخرجا من صحيحها

(وقال نور الدين) على بن صاحب تكريت ولله دره

ياسائلي عن نسيم طي مروحة * أهدت سرورا بترجيع وترويح
أما ترى الخوص أهدى من مراوحه * ما أودعته قديم نسمة الريح

(قلت) وعلى ذكر الخوص فما احسن ما قاله الشيخ برهان الدين القيراطي في وصف النوق

صاح هذي قباب طيبة لاحت * وفؤادي على اللقاء حريص
وتبدت نخيلها للمطايا * فعيون المطي للنخل خوص

(قال) أبو الفوارس سوار بن اسرائيل الدمشقي (مولد ابن اسرائيل سنة ثلاث وستمائة ووفاته سنة تسع وسبعين وستمائة) كنت عند صلاح الدين يوسف بن أيوب فحضر اليه رسول صاحب المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ومعه

قود وهدايا فلما جلس أخرج من كمه مروحة بيضاء عليها سطران من نساجة السعف الاحمر وقال الشريف يخدم السلطان وقال خذ هذه المروحة فما رأيت أنت ولا أبوك ولا جدك مثلها فاستشاط السلطان صلاح الدين غضبا فقال الرسول لا تعجل بالغضب قبل تأملها وكان صلاح الدين ماكا حليما فاذا فيها مكتوب

أنا من نخلة تجاور قبرا * ساد من فيه سائر الناس طرا
شملتني سعادة القبر حتى * صرت في راحة ابن أيوب أقرا

واذا هي من خوص النخل الذى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها صلاح الدين ووضعها على وجهه وقال بعضهم فيها

انني أجلب الريا * ح وبي يذهب الخجل
وجباب اذا الحبيـ * ـب ثنى الرأس للقبل

(وأما مروحة الاديم) فانها على نوعين أحدهما مستديرة الا موضع النصاب لا غير والأخرى مستديرة ثم يقطع ربع دائرتها التى تلى الوجه وفيها يقول ابن خروف

ومروحة اذا ما تأملتها * ترى فلكا دائرا باليد
وتطوى وتنشر من حسنها * فتشبه قنزعة الهدهد

(وأما) مروحة الخيش فقد ذكرها الحريرى في المقامات حيث قال اسمعوا وقيتم الطيش وملئتم العيش (وانشد) ملغزا في مروحة الخيش

وجارية في سيرها مشمعلة * ولكن على أثر القفول قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها * على أنه في الاحتثاث رسيلها
ترى في أوان القيض تنطق بالندا * ويبدو اذا ولى المصيف نحولها

(قال الشريشى) في شرح المقامات هذه المروحة تكون شبيه الشراع للسفينة وتعلق في سقف ويشد بها حبل تدير به مشيها وتبل بالماء وترش بماء الورد فاذا أراد الرجل في القائلة ان ينام جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجئ فيهب على الرجل منها نسيم بارد طيب الريح فيذهب عنه أذى الحر ويستطيب وهى فوقه ذاهبة وجائية ولذلك سماها جارية ومشمعلة سريعة الذهاب وقفولها رجوعها والسائق الشريط الذى يسوقها اذا جذبت به يستحثها يستعجلها

قوله القود الخيل أو التى تقاد بمقاودها كافى القاموس اه

قوله أقـرى هكذا وجد في الاصل اه

قوله ومروحة الخ لا يخفى ما في هذين البيتين من الكسر اه

م ح

ومن جنسها أى هو من كان مثالها رسيلها أى برسل معها الزاوية البيت وترجع معها أوان القيض وقت الصيف وتنطف تقطر وفحولها يبسها انتهى كلام الشريشى قال الشيخ شهاب الدين بن ابى حجلة وهذه المروحة محدثة فى زمن بنى العباس وكان سبب حدوثها أن هرون الرشيد دخل يوما على أخته علية بنت المهدى فى قيض شديد فألفاها قد صبغت ثيابا من زعفران وصندل ونشرتها على الحبال لتجف فجلس هرون قريبا من الثياب المنشورة فجعلت الريح تمر على الثياب فتحمل منها ريحا بليلة عطرة فوجد لذلك راحة من الحر واستطابة فأمر ان يصنع له فى مجلسه مثله على الوجه المشروح فى كلام الشريشى فاشتهرت واستعملها الناس ومن ملح ألغاز الصاحب بن عباد فيها قوله لابى العباس الحربى فى يوم قيض ما يقول الشيخ فى قلبه فلم يفهم عنه اراد فى قلب الشيخ وهو خيش (وقال السرى الرفاء)

وخيش كما انجرت ذيول غلائل * مصندلة تختال فيها الكواعب
وقد أطلعت فيها الشمائل وانثنت * مقبلة فى جانبها الحبائب

(الباب الثانى عشر فى الطيور المسمعة)

(القول على الببغا) وهو طائر هندى وحبشى دمث الخلق ثاقب الفهم له قوة على حكاية الاصوات وتلقى التلقين تتخذه الملوك فى منازلهم لينم بما يقع فيها من الاخبار وفى لونه الاغبر والاخضر والاسود والاحمر والاصفر والابيض وقد أهديت لمعز الدولة هدية من اليمن فيها ببغا بيضاء سوداء المنقار والرجلين وعلى رأسها ذؤابة فستقية وكل هذه الالوان معدومة خلا الاخضر وفى طبع هذا الطائر ان يتناول طعمه برجله كما يتناول الانسان الشئ بيده وله منقار معقف يكسر به الصلب وينقب به ما يعسر نقبه يتزاوج ويتعاشق ويسكن الذكر الى انثاه وله عفة فى مأكله ومشربه ومنكحه ليس بشره ولا أشر وهو بمثابة الانسان الظريف والناس يحتالون على تعليمه بان ينصب له تجاهه مرآة بحيث يرى خياله فيها ويتكلم الانسان من ورائها فيتوهم أن خياله فى المرآة هو المتكلم فيأخذ نفسه بحكاية ما يسمعه من صوت الانسان (الوصف) كتب أبو اسحق الصابى الى أبى الفرج الببغاء أبياتا فى الببغاء منها (توفى الببغاء

سنة ثمان وتسعين وثلثمائة)

زارتك من بلادها البعيده * واستوطنت عندك كالقعيده
ضيف قراه الجوزا والارز * والضيف فى أبياتنا يعز
تراه فى منقاره الخلوقى * كلؤلؤ نقط بالعقيق
ينظر من عينين كالفصين * فى النور والظلمة بصاصين
يميس فى حلته الخضراء * مثل الفتاة الغادة العذراء
خريدة خدورها الاقفاص * ليس لها من حبسها خلاص

فأجابه بابيات منها

وحسن منقار أشم قان * كأنما صيغ من المرجان
صيرها افرادها فى الجنس * بنطقها من فصحاء الانس
يحكى الذى تسمعه بلا كذب * من غير تغيير لجدأ ولعب
ذات غشا تحسبه ياقوتا * لا ترتضى غير الارز قوتا
كانما الحبة فى منقارها * حباية تطفو على عقارها
أقدامها بيأسها الشديد * أوقعها فى قفص حديد

وهذه المذكورة تسمى فى هذه البلاد الدرة ومن ظريف ماسمعته فيها قول الشيخ الامام العالم النحوى المفتن زين الدين عمر بن المظفر أبى الفوارس الشهير بابن الوردى رحمه الله تعالى فبينما الطاوس مصغ الى الياسمين وهو على ماساقه الذنب على ساقه حزين واذا بدرة خضراء لا بل درة عذراء تقول أف لطاوس الطير من طاوس القراء أيها الطاوس الطريد المعكوس الشريد شغلك ظاهر الثياب عن باطن العيوب ان الله لا ينظر الى الثياب ولكن ينظر الى القلوب هلا شغلت بمداوات أمراضك عن بساتينك وغياضك ولم لا أفنيت عن ملبوسك وعجبك ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك شاركت آدم فى الخروج من الجنة والاسف عليها فشاركه فى التوبة والاستغفار والعودة اليها على أن آدم خرج من الجنة فهو البزرع فى الاولى مايحصده فى الاخرى وأما أنا أيها الطاوس فانى رأيت نفوس البشر أشرف النفوس كرمهم الرب وفضلهم وخلق الموجودات لهم فشاركتهم نطقا ورزقا ونادمتهم ونديم السعداء لا يشقى فسبحان من بيده الخير المؤالف بين البشر والطير ومن أعجب أحوالى ان الصمت

محمود أفعالي لأني طائر ضعيف ولا أقاس على البشر في التكليف

غائب في القلب حاضر * كاسر للصب جابر

أنا من خوف جفاه * واقع والقلب طائر

أنا بالمحبوب فخري * فانتصب يا من يفاخر

أنا من جودة فكري * عرفت باسمي الجواهر

ها أنا الدرة فاعرف * قيمتي ان كنت تاجر

(القول على القمري) سمي بذلك لبياضه وحكاية صوته وهو يضحك كما يضحك الانسان ومن طبعه انه شديد المودة والرحمة أما مودته فانه يفرخ على فنن من أفنان شجرة كلها اعشاش لأبناء جنسه يصاحبها كل يوم ولا يعتزل اعتزال الغراب وأما رحمته فانه يربي ولده ويعف عن انثاه ما دام ولده صغيرا وهو يطاعم انثاه وتطاعمه ويظهر منه عليها وله وفيه من المروءة انه متى تزوج لا يبتغي بانثاه بدلا وله اعتناء بنفسه واعجاب بها ومن عادته انه يعمل عشه في طرف فنن دائم الاهتزاز احترازا على فرخيه لئلا يسعى اليه من الحيوان الماشي ما يقتلها (الوصف) قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ملغزا فيه

ما محي رأيته * في عداد الطير * كم له من مترجم * كم له من مشجر

كم له من كآبة * ظهرت بالتدبر * كم خواف له بدت * لالتماح المبصر

كله مجسم وان * زال بعض له قرى

(ذكرت) بقوله كم خواف له ما أنشدنيه من لفظه لنفسه ونقلته من خطه المعز الاشرف المرحوم أوحد الدهر ونخبة العصر القاضي أمين الدين محمد الانصاري صاحب ديوان الانشاء بالشام المحروس من قصيدة امتدح بها المعز الصاحب المرحوم فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس ناظر الدولة الشريفة بالديار المصرية سامحه الله تعالى أولها

جفون من تأرقها دوامي * مدامعها تفيض على الدوام

ويقول في آخرها

قوادمها يبن ولسن عنه * خواف تحت أجنحة الظلام

(وقال الشيخ برهان الدين القيراطي)

تنفس الصبح فجاءت لنا * من نحوه الانفاس مسكيه

وأطربت فى العود قرية * وكيف لا تطرب عوديه

(وأنشدنى) سيدى القاضى شهاب الدين بن حجر فسح الله فى أجله من لفظه لنفسه بتاريخ ثالث عشر ربيع الاول من شهور عام اثنين وثمانمائة بالقاهرة المحروسة بمنزله عمره الله ببقائه بحارة بهاء الدين

تخيرت رسلا سرنا عندهم خفا * اليكم وتلك الرسل فهى الحمائم
اذا قدمت منى عليكم فيالها * خوافى سر حملتها قوادم

(وأما الفاختة) فهى عراقية وليست بحجازية وفيها فصاحة وحسن صوت وصوتها فى الحجازيات يشبه صوت المثلث وفى طبعها تأنس بالناس وتعشش بالدور وهذا الحيوان يعمر وقد ظهر منه ما عاش خمسا وعشرين سنة وما عاش أربعين سنة على ما حكاه أرسطو (الوصف) أنشدنى من لفظه لنفسه اجازة أوحد المتكلمين العالم المفنن فريد الدهر المرحوم القاضى أمين الدين الانصارى صاحب ديوان الانشاء الشريف بالشام المحروس ملغزا فى فاختة

وما طائر يهوى الرياض تنزها * ويمرح فى أفنانها ويغرد
هجاء اسمه خمس حروف تعدها * وخمساه حرف ان تأملت مفرد
وبعدهما تصحيف باقيه ان ترد * بيانا له أفعى يبين ويشهد
وفيه أخ ان تهت عنه فأخته * تدل على ما قد عنيت وترشد

(قلت) أنشأت هذا اللغز الظريف التركيب للشيخ العلامة بقية السلف الصالح زين الدين أبى بكر بن عثمان الشهير بابن العجمى بمنزله بمدرسة الكاملية بشارع بين القصرين عند دار تحالى فى أوائل سنة خمس وتسعين وسبعمائة فأجاب بهذه الابيات

أيا من له مجد أثيل وسؤدد * غدا دون مرماه سماك وفرقد
تغيد يسار المقترين يمينه * ويسراه من يمنى الغمامة أجود
سؤالك عن أنثى طروب ولم تزل * على عودها فى الروض تشدو وتنشد
وتحذينى بالطوق حين نشيدها * لنحو التصابى لا أطيق أفند
يطير بها نحو النجاح جناحها * فتبلغ ما تختار ثم وتقصد
وفى بطن انثى لم تصور وانما * تصورها من جنسها من يرفد
تذكرنى تدركاها أم هانئ * فتشرف فى نفسى اذا وتمجد

ومذيان منها الطرف أمست بعكسها * تخاف الردى ممن لها يترصد

وان حذفت ثانى الاخير فانه * على الحذف خاف بل يلوح ويشهد

وأولها مع ما يليه وطرفها * لنا فاه بالمعنى الذى منه يقصد

وحرفان منها فرد حرف لناطق * واف لمن للعكس من ذاك يجحد

وتفتح فاها حين يفقد ثالثا * وثالثه يخشاه من يتصيد

فخذه مبينا مغضيا عن اساءتى * فانك للاحسان أهل ومقصد

بقيت بقاء الدهر عزك باذخ * وفى مفرق الجوزاء لواءك يعقد

ولازلت فى الدنيا سعيدا مملكا * وحظك فى الاخرى النعيم المخلد

(وأما الشعين) وهو الذى تسميه العامة اليمام وصوته فى الترنم كصوت الرباب فى الاوتار صوتا محزونا جدا وهى متى اختلطت مع أصواتها غيرها حسنت وأما مفرده فلا لان الزار مستحسن مع الغناء وغير مستحسن وحده وفى طبعه انه متى فقد انثاه لم يزل عزبا يأوى الى بعض فراخه حتى يموت وكذلك الانثى اذا فقدت الذكر وفى تركيبه انه اذا سمن سقط ريشه وامتنع من السفاد فهو لذلك لا يشبع نفسه وهو طائر ساكن جدا وقد ألهم انه يحترس من أعدائه بالسوسن يتخذه فى وكره (الوصف) ولنذكر الآن ما وقع للشعراء فى أصواتهن جملة لا تفصيلا فمن ذلك قول الحسام الحاجرى (توفى مقتولا سنة اثنين وثلاثين وستمائة)

٢ لم أر ذلك فى كتب اللغة فلعله محرف فى الاصل اه

انى لأعذر فى الاراك حمامة الشادى كذلك تفعل العشاق

حكم الغرام الجايرى بأسرها * فغدت وفى أعناقها أطواق

(قال القاضى الفاضل)

لو كنت جاوبت الحمائم نائحا * قال الوشاة اذاع سرك بائحا

سر طائرا صدع الفؤاد بسحره * أتراه غرد صادعا أم صادحا

يا ضعف من أمسى الفريسة فى الهوى * وغدا الحمام له هنالك جارحا

(وقال المنازى)

لقد عرض الحمام لنا بسجع * اذا أصغى له ركب تلاحا

شجى قلب الخلى فقيل غنى * وبرح بالشجى فقيل ناحا

(قلت) وبعد هذين أبيات فلا بأس بذكرها وان لم يكن مما نحن فيه

وكم للشوق فى أحشاء صب * اذا اندملت أجدلها جراحا

ضعيف الصبر عنك وان تقاوى * وسكران الفؤاد وان تصاحا
كذاك بنو الهوى سكرى صحاة * كأحداق المهى مرضى صحاحا

(قلت) ولهذه الابيات حكاية غريبة نقلتها من خط الحافظ اليعمورى (ولد سنة ستمائة وتوفى سنة اثنين وسبعين وستمائة) روى أن أبا نصر المنازى المذكور واسمه أحمد بن يوسف دخل على أبي العلاء المعرّى وهو في الشام في جماعة من الادباء فأنشده كل واحد من شعره ما تيسر حتى أنشده المنازي أبياتا له في وصف واد وهى

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظماء زلالا * أرق من المدامة للنديم
يصد الشمس أنا واجهتنا * ويحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

(فقال أبو العلاء) أنت أشعر من بالشام ثم رحل الى بغداد فدخل المنازي عليه فى جماعة من أهلها من الادباء وأبو العلاء لا يعرف منهم أحدا فأنشده كل واحد ما حضره من شعره حتى جاءت نوبة المنازى فأنشده لنفسه الابيات المتقدمة (فقال) أبو العلاء ومن بالعراق اشارة الى قوله من بالشام (توفى المنازى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة) وقال الشيخ صفى الدين الحلى

وبشرت بوفاة الليل ساجعة * كأنها فى غدير الصبح قد سبحت
مخضوبة الكف لا تنفك نائحة * كأن افراخها فى كفها ذبحت

(وقال) محيى الدين بن عبد الظاهر

نسب الناس للحمامة حزنا * واراها فى الحزن ليست كذلك
خضبت كفها وطوقت الجيد وغنت وما الحزين كذلك

(وقال) جمال الدين محمد بن نباتة

مالى نديم سوى ورقاء ساجعة * من بعد مغتبقى فيكم ومصطبحى
اذا أدار ادكار الوصل لى قدحا * من أحمر الدمع غنانى على قدحى

(وله)

ناجتك من مغنى دمشق حمائم * فى دف أشجار تشوق بلطفها

فاذا أشار لها النديم بلطفه * غنت عليه بجنكها او بدفها

(وقال) علاء الدين الوداعي

وفي أسانيد الاراك حافظ * للعهد يروي صبره عن علقمه
وكلما ناحت به حمامة * روى حديث دمعه عن عكرمه

(وقال) بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي

وتنبهت ذات الجناح بسحرة * بالواديين فنبهت أشواقي
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن * يعقوب والالحان عن اسحاق
قامت تطارحني الغرام جهالة * من دون صحبي بالحمى ورفاقي
انا تباريني جوى وصبابة * وكآبة وأسى وفيض مآقي
وأنا الذي أملى الهوى عن خاطري * وهي التي تملى من الاوراق

(وقال) ناصح الدين الارجاني (ولد سنة ستين وأربعمائة وتوفي سنة أربعين وخمسمائة)

من كل أخطب مسكي الاهاب له * في منبر الايك تسجاع وتهدار
خطيب خطب وقد أفنى السواد به * فمن بقيته في الجيد ازوار

(قلت) وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله تعالى

مذ غنت الورق على عيدانها * كم خلع الجو عليها من ملح
تدرعت سحبا وخاضت شفقا * وطوقت أعناقها قوس قزح

(وقال) القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

ذات طوق وذات ريق تغني * فتثني بالوجد من ليس يدري
زيقت ثم كاشفتنا فقلنا * لك زيق وزيق بالقفر
ماتراها قد حدثت خاطر النهر بما قد جرى وما منه يجري

(وأنشدني) من لفظه لنفسه سيدي وأخي تقي الدين أبي بكر بن حجة

ناحت مطوقة الرياض وقد رأت * دمعي تلون بعد فرقة حبه
لكن بتلوين الدموع تباخلت * فغدت مطوقة بما بخلت به

(وقال) الشيخ بدر الدين بن الصاحب

ناحت حمام البان أم تاهت أسى * لم أدر ما غناؤها من شوقها
عجماء لا تظهر حرفا من شجى * لانها مخنوقة بطوقها

(وقال أيضا)

وذات طوق على الاغصان تذكرني * قوام حسنك في ضمي لمعتنقك
قد سودت مهجتي نوحا فقلت له * سواد قلبي يا ورقاء في عنقك

(وقال) الامير مجير الدين بن تميم

لم أنس قول الورق وهي حبيسة * والعيش منها قد أقام منغصا
قد كنت ألبس أخضرا من أغصن * فلبست منها بعد ذاك مقفصا

(وقال الامير) سيف الدين المشد في قفص

أنا للطائر سجن * اقتني كل مليح
قضب البان ضلوعي * وحمام الايك روحي

(وله على لسان الطائر)

يا غصون البان ماذا * بلغ الاحباب عني
ما شجاهم طول نوحي * ما كفاهم فرط حزني
حبسوني عن مطاري * لا لمعنى ولفن
غير اني كنت مهما * يشرب الراح أغني

(ولمؤلفه) لطف الله به من قصيدة

حمام الايك أسعدني * فاني حلف تبريح
وحزني حزن يعقوب * فأبكي الصب أو نوحي

(وأما الديك) فمما ورد فيه ان النبي صلى الله وسلم قال الديك الابيض صديقي وعدو عدو الله يحرس دار صاحبه وسبع دور حوله وكان يبيته معه وزعم أهل التجربة ان الرجل اذا ذبح الديك الابيض الافرق لم يزل ينكب في أهله وماله (قيل) والفرخ يخلق من البياض والصفرة غذاؤه وقيل ليس في الدنيا أبخل من أهل مرو حتى ان الديك ينزع الحبة من أفواه الدجاج مع ان العادة خلاف ذلك وكأن ماء مرو يقضي ذلك فيسري في جميع حيوانها (كان مروان) ابن أبي حفصة من أبخل الناس مع يساره وما أصابه من الخلفاء لاسيما من بني العباس فانه كان رسمه ان يعطوه لكل بيت يمدحهم به ألف درهم (قال دعبل) كنت عنده في بعض الايام أنا وجماعة فأخذنا في الحديث وطال المجلس حتى أضر بنا الجوع فدعا بغداه فأتي بصحيفة فيها مرق فيها لحم ديك قد هرم لا تحز فيه السكين

ولا يؤثر فيه ضرس فأخذ قطعة من خبز فسابها جميع المرق وفقد رأس الديك فبقي مطرقا ساعة ثم رفع رأسه الى الغلام فقال له أين الرأس فقال رميت به قال ولم قال لم أظنك تأكله قال ولم ظننت ذلك والله انى لامقت من يرمى برجله فضلا عن رأسه والرأس رئيس وفيه الحواس الخمس ومنه يصيح الديك وفيه عيناه التى يضرب بها المثل فيقال شراب مثل عين الديك ودماغه عجب لوجع الركبة فان كان بلغ من جهلك ان لا تأكله فعندنا من يأكله فانظر أين هو قال والله لا أدرى أين رميت به فقال لكن أنا أدرى أين رميت به فى بطنك وكان أيضا لا يأكل اللحم حتى يجوع فاذا جاع أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله فقيل له لانراك تأكل الا الرؤوس فى الصيف والشتاء فلم تختار ذلك فقال نعم الرأس أعرف سعره فلا يستطيع الغلام ان يخوننى فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان يأكل منه ان مس عينا أو أخذ أذنا وقفت على ذلك وآكل منه ألوانا شتى آكل عينيه لونا وأذنيه لونا ودماغه لونا ولسانه لونا فقد اجتمعت لى فيه مرافق (نادرة) قال أبو حاتم الاصمعى قدمت بغداد فدخلت مسجدا يحضره جماعة فسألنى بعضهم عن قوله تعالى قوا أنفسكم ما يقول للواحد قلت ق قال فالاثنين قلت قيا قال فللجماعة قلت قوا قال فاجمع الثلاثة قلت ق قيا قوا وفى ناحية المسجد جماعة فضوا الى صاحب الشرطة فقالوا له ان هنا قوما زنادقة يفسرون القرآن على صياح الديك فما شعرنا الا باعوان فأحضرونا بين يديه فأعلمته ما سئلت فمنعنى وأمر بضرب أصحابى عشرة عشرة (وما أحسن) قول بعضهم فيه

قد قلت شعرا مليحا * فسره لى يا مليكى
أكلت ديكا وديكا * وليس لى غير ديك

(وقال) ابن المعتز فيه (مولده سنة سبع وأربعين ومائتين ووفاته سنة ست وتسعين ومائتين)

بشر بالصبح طائر هتفا * مسترقيا للجدار مشترفا
مذكرا بالصبوح صاح بنا * كخاطب فوق منبر وقفا
صفق اما ارتياحة لسنا الصبح وأما على الدجى أسفا

(ولله أبو على) ابن رشيق (توفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة) حيث مزق عنه جلباب

الممادح وتركه من شمل الذم فى الزى الفاضح فانه قال

قام بلا عقل ولا دين * يخلط تصفيقا بتأذين
فنبه الاحباب من نومهم * ليخرجوا فى غير ماحين
بصرخة تبعث موتى الكرى * قد أذكرت نفخ سرافين
كأنها فى خلقه عضة * أعضه الله بسكين

(وقال الشيخ) زين الدين بن الوردى من رسالة منطق الطير فصاح الديك ها أنا أناديك أنا قد أذنت فأقم الصلاة أنت هذا أوان صف الاقدام ووضع الجباه ومن أحسن قولا ممن دعى الى الله كم أوقظك وبانقضاء الاوقات أعظك فأشفق عليك بصياحى وأرفرف عليك بجناحى أقسم لك الوظائف بلا حساب وأعرف المواقيت بغير الاصطرلاب أنهاكم عن معصية الله بخروج الوقت فلا تعصوه والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فمن ادعى حسن الصحبة فليؤثر كايثارى ولا يختص من رفاقه بحبه كم منحت أهل الدار اخائى ووليتهم ولائى وهم يذبحون أبنائى ويستحيون نسائى

(الباب الثالث عشر فى الشطرنج والنرد وما فيهما من محاسن مجموعة)

(قال) الشيخ شمس الدين بن خلكان فى تاريخه رأيت خلقا كثيرا يعتقدون ان الصولى هو واضع الشطرنج وهو غلط وانما واضعه صصه بصادين مهملتين أحدهما مكسورة والثانية مشددة مفتوحة وفى لا آخرها ساكنة وأدزشير بن بابك أول ملوك الفرس الاخيرة هو الذى وضع النرد ولذلك قيل النردشير نسبوه اليه وازدشير لفظ عجمى تفسيره بالعربى دقيق وحليب فأزد دقيق وشير حليب وقيل دقيق وحلاوة وقيل هو بالزاى لا بالراى وضعه مثالا للدنيا وأهلها فرتب الرقعة اثنى عشر بيتا بعدد شهور السنة والمهارك ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر والفصوص مثل الافلاك ورميها مثل تقلبها ودورانها والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة كل وجهين منها سبعة الشش و يقابله اليك والبنج ويقابله الجو والجهار ويقابله السا وجعل ما يأتى به اللاعب من النقوش كالقضاء والقدر والجهار تارة له وتارة عليه وهو يصرف المهارك على ما جاءت به النقوش لكنه اذا كان عنده حسن نظر عرف كيف يتأتى

وكيف يحيل على الغلب وقهر خصمه مع الوقوف عندما حكمت به الفصوص ولما تم وضعه واشتهرت افتخرت به الفرس وكان ملك الهند يومئذ بلهيث فوضع له صصه المذكور الشطرنج فقضت حكماء ذلك العصر بتفضيله على النرد ولما عرضه على الملك وأوضح له أمره سأله ان يتمنى عليه عدد تضعيف بيوته قمحا فاستصغر الملك ذلك من همته وأنكر عليه ماقابله من النزر القليل فى ذلك (فقال) له ما أريد غير ذلك فأمر له بذلك فلما حسب أرباب الديوان ذلك قالوا للملك ماعندنا ما يقارب القليل منه فأنكر ذلك فاوضحوه له بالبرهان فاعجبه الامر الثانى أكثر من الاول قال القاضى شمس الدين بن خلكان ولقد كان فى نفسى حزازة من هذه المبالغة حتى اجتمع بى بعض حساب الاسكندرية وذكر لى طريقا بين لى ما ذكروه وأحضر لى ورقة بصحة ذلك وهو انه ضاعف الاعداد الى البيت السادس عشر فاثبت اثنين وثلاثين ألف وسبعمائة وثمانية وستين حبة وقال نجعل هذه الجملة مقدار قدح وقد عبرتها فكان الامر كما ذكروه والعهدة عليه فى هذا النقل ثم ضاعف السابع عشر الى البيت العشرين فكان فيه ويبة ثم انتقل من الويبات الى الاردب ولم يزل يضعفها حتى انتهى فى البيت الاربعين الى مائة الف اردب وأربعة وسبعين الف اردب وسبعمائة اثنين وستين أردبا وثلثى أردب وقال فى هذا المقدار شونة ثم ضاعف الشون الى بيت الخمسين فكانت الجملة الفا وأربعة وعشرين شونة ثم قال هذا المقدار مدينة ثم انه ضاعف الى البيت الرابع والستين وهو آخر الابيات فكانت الجملة ستة عشر ألف مدينة وثلثمائة وأربعا وثمانين مدينة وقال يعلم انه ليس فى الدنيا مدن أكثر من هذا العدد انتهى (قال) أبو عبد الله محمد بن الاكفانى اذا جمع هذا هرما واحدا مكعبا كان طوله ستين ميلا وعرضه كذلك وارتفاعه كذلك بالميل الذى هو أربعة آلاف ذراع بالعمل الذى هو ثلاثة أشبار معتدلة على ان الاردب المصرى مساحته ذراع مكعب وزنه ماثتان وأربعون رطلا وكل رطل مائة وأربعة وأربعون درهما والدرهم أربعة وستون حبة من القمح (قال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد ذكر عنده الشطرنج انى لأعجب من ذراع فى ذراع يديرها الحكماء منذ وضعت لم يقفوا لها على غاية قيل سبب وضع الشطرنج ان ملوك الهند ما كانوا

يروا القتال فاذا تنازعوا فى كورة أو مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال (ذمها) ذكر الصولى فى كتابه كتاب شعراء مصر أن نوسان الشاعر كان حاذقا بلعب الشطرنج فعابها الحسين الجمل مكائدة له فقال صاحبها أبدا مشغول بهموم يحلف بالله كاذبا و يعتذر مبطلا و يشتم نفسه و يسخط ربه وكل صناعة يجوز المكاثرة فيها غيرها فان صاحبها يغلب فى ساعة فيقضى دعواه وهو لعب الصائم اذا جاع والعامل اذا عزل والمخمور حتى يفيق وانما يزم خشب خشبا ثم ان الرجل يسأل عن غلامه فيقال له هو يلعب فيضربه ولا يستحى ان يقول قم حتى نلعب وهو يلاعبه وان تقول فى الكاس ما أحذقه وفى الطنبور ما أضربه واذا اعترف عن الشطرنج قلت ما ألعبه فما يقول فى صناعة العبارة عن الكاس أحسن من العبارة عن صاحبها قال الجاحظ سمعت النظام يقول فى الشطرنج غنيان عجزا عن الادب فتلاعبا بالخشب دخل أبو العميس على أبى تمام وهو يلعب بالشطرنج وكان وسخا فقال ما أوسخ هذا الشطرنج فقال أبو تمام واللعب أوسخ (نادرة) حكى ان بعضهم كان اذا لعب الشطرنج ضارب خصمه فوصف لبعض الظرفاء فقال أنا ألتزم اللعب معه وما يحصل بيننا ضراب فلما أتى به ولعبا قال له فى أثناء اللعب شاه استرفقال مليح والله القرنان أنت والقواد أنت فقال يا أخى ما الذى قلت لك قال قلت استروهى اشتر وما يشتر الا الجمل والجمل تصحيفه حمل والحمل اسم نجم فى السماء يقارب به الجدى والجدى كبش والكبش القرنان والقرنان هو الذى يقود فقال يا أخى ما رأيت من يضارب بتصحيف وتفسير الا أنت (نادرة) سأل بعض الاكابر انسانا فقال تعرف اللعب بالشطرنج فقال لا والله يا مولانا ولكن لى أخ اسمه عز الدولة وهو أخى لامى أكبر منى بسنتين وأكبر شئ يسير كان قد حصل بينى و بينه خصومة غاظته فسافر من مدة عشرة أعوام وسكن مدينة قوص و بلغنى انه فتح له دكان عطار والى الآن ما ورد على المملوك منه كتاب وهو أيضا ما يعرف يلعب الشطرنج (ومشى) البيدق البريدى مع شاب موسوم بالجمال فقال شمس الدين المنجم الشاعر أراك يا بيدق تفرزن حول هذا النفس فقال له واذا كان ذلك فقال أخشى عليك من ذلك الرخ لا يقطعك من الحاشية ويرميك عن الفرس و يقطع عليك الرقعة ولو كان فى كفيك الفيل يشير بقوله ذلك الرخ الى أحد الاعيان كان

صحب الشاب المذكور (نادرة) بعض الاجناد كان كثيرا يلعب الشطرنج مع مخدومه وكان الجندى خليعا فأعطاه الامير فرسا وقال له لا تفرط فيها قال نعم وبعد ذلك القاه راجلا وهو لابس جوخه قال ويلك أين الفرس فقال ياسيدى ضربني الشتاشاه مات سترت بالفرس وما أحسن قول القاضى الفاضل يصف حصار قلعة وحشا المنجنيق يحاكيها واسان حبله يخاصمها والخادم تحت المنجنيق الاسلامى يعرض وجهه للمنجنيق الفرنجى ونقل قطع الستائر نقل قطع الشطرنجى جنب التراس بيادق والجنابى رخاخ وجنب القلاع صيد والمنجنيقات فخاخ (وقال) الشيخ جمال الدين ابن نباته وظرف

قوله وما أحسن الخ هذا ما وجدناه بالاصل فنقلناه بحروفه اه

أشكو السقام وتشكو مثله امرأتى * فنحن فى الفرش والاعضاء نرتج
نفسان والعظم فى نطع يجمعنا * كأنما نحن فى التمثيل شطرنج

وله ملغزا فيه

وما صامت يمضى ويرجع حائرا * ويقضى على أوصاله الوصل والصد
كأن الاسى آلى عليه اليه * فما فيه الا النفس والعظم والجلد
وأحرفه خمس على ان شطره * ثلاثة أخماس الحروف التى تبدو

(وله فيمن يلعب غائبا)

ولاعب يعرب شطرنجه * عن ذهنه المتقد الصائب
يغيب لكن ذهنه حاكم * ياحبذا من حاكم غائب

(وله)

لله فى الشطرنج فكرة لاعب * ان غاب أوحضرا جتنيت حدايقه
شكرته نفس اللعب أو نفس النهى * هاتيك صامتة وهذى ناطقه

(وقال الشيخ) بدر الدين بن الصاحب

تأمل تر الشطرنج كالدهر دولة * نهارا وليلا ثم بؤسا وأنعما
محركها باق ويفنى جميعها * وبعد الفنا تحيى وتبعث أعظما

(قلت) وهذا يشبه قول القاضى الفاضل وقد أخرج له السلطان الملك الناصر صلاح الدين من القصر من يعانى خيال الظل ليفرجه فقام الفاضل فقال له صلاح الدين ان كان حراما فما نحضره وكان حديث عهد بخدمته قبل ان يلى السلطنه فما أثر انه يتكدر عليه فقعد الى آخره فلما انقضى ذلك قال له السلطان

كيف رأيت ذلك فقال موعظة عظيمة رأيت دولا تمضي ما كأنها كانت ودولا تأتي ولما طوى الازار طي السجل للكتاب اذا بالمحرك واحد فأخرج هذا الجد في هذا الهزل (وللشيخ) بدر الدين أيضا مضمنا

أميل لشطرنج أهل النهى * وأسلوه من ناقل الباطل
وكم هذبت طبع لعابها * وتأبى الطباع على الناقل

(وقال)

لعبت بالشطرنج في غاية * تقصر الاوصاف عن حدها
ان صاح في الاقران لي بيدق * تموت منه الشاة في جلدها

(وقال) أيضا وكان يلعبها غائبا وله يد طولى فيها

لي في الشطرنج نقل * أتقن الادمان حفظه
ألعب الغائب منها * فأراه طيف يقظه

(وكتب) الى شيخنا العلامة عز الدين الموصلي من حماه المحروسة كتابا وفيه من المجددات قوله مضمنا

جاهل شطرنج ينادي وقد * أمات نفس اللعب من عكسه
ماتفعل الاعداء في أحمق * مايفعل الجاهل في نفسه

(وقال) جمال الدين ابن نباتة

افديه لاعب شطرنج قد اجتمعت * في شكله من معاني الحسن أشتات
عيناه منصوبة للقلب غالبة * والخد فيه لقتل النفس شامات

(وقال) صلاح الدين الصفدي

ألاعب بالشطرنج بدر ملاحة * محاسنه تزهى على طلعة الشمس
سترت ضناجمعي فلما رأيته * يروم قطاعي خفت منه على نفسي

(وقال) زين الدين بن الوردي

لاعبت بالشطرنج من * أضحى كشمس طالعه
نفسي به ماتت وما * تجدي المقاطعه

(ومن) الاستشهادات اللطيفة ماأنشده الشيخ نور الدين علي بن سعد المصري صاحب المرقص والمطرب وغيره وقد رأى شخصا يلعب الشطرنج و يضرب بالرقعة القطع ضربا عنيفا (فقال)

رفقا بهن فما خلقن حديدا * أوما تراها أعظما وجلودا

(قلت) وهذا البيت أول قصيدة للشريف البياضي في وصف النوق ولقد أجاد نور الدين رحمه الله تعالى وعلى ذكر نور الدين فما أحسن ما كتب به الى القاهرة المحروسة سيدنا ومولانا الفاضل المؤرخ المحدث المفنن شهاب الدين أحمد بن القاضي نور الدين على الشهير بابن حجر (مولده سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة) فسح الله في أجله وذلك من بعض متجدداته

مولاى نور الدين صبحك الهنا * بسعادة تبقى لديك سرورها

لا تحتجب عن مقلتي فأنا امرء * ان لم تكن عيني فانك نورها

(ونقلت) من خط الشيخ بدر الدين ابي المحاسن محمد بن ابراهيم الدمشقي أحد فضلاء الديار المصرية وبقية متأخريها سلمه الله تعالى في القاء العاشر من الشطرنج على قاعدة الحكاية المشهورة ولم أعلم الضابط في هذه الاعداد جميعها له أم لغيره وأنسيت ان أسأله

موت عدوى يزين حزمي * وألحق سيفا به قتالى (القاء التاسع)

ولما فتنت بلحظ له * عذرت فاخفت من شامت (القاء الثامن)

أبشك يا عزشوقي لعل * تمنى بعطف به راحتي (القاء السابع)

يامليح بت شاكي بثه * ومتى رق ظلوم لشكي (القاء السادس)

ان كان في صدك قتلي فقد * أنا انى فقد أحبابي (القاء الخامس)

تنكر في حبه جائرا * فبات وفوه يبث الحرق (القاء الرابع)

وفاتن منظره فتنة * ليس يرى حرف الجفا عاشقه

اللام ألف بحرف واحد قال المنقول عن خطه أنشدني من لفظه لنفسه صاحبنا جلال الدين بن خطيب داريا سلمه الله تعالى في القاء الثالث

بك يا خير منجد يحجب الغي اذ اقبل أى حر تصيد

(وقال) القاضي السعيد بن سنا الملك

ويوم مطير قد ترنم رعده * وصفق لما أحس القطر في الرقص

ورقعة ماء تحت برد فواقع * وأفق عليه البرق يلعب بالفص

(وقال) الشيخ شمس الدين بن الصائغ (ولد سنة عشر وسبعمائة وتوفي سنة ست وسبعين وسبعمائة)

لما غدا بدر الدجى لاعبا * بالنرد يلقى الفص مثل الشرك
وفاق فى الحسن وفى لعبه * ناديت يالله ما أقمرك

(وقال) زين الدين بن الوردى

مهفهفان لعبا * بالنرد أنثى وذكر
قالت أنا قمرية * قلت اسكتى فهو قمر

(ولبعضهم) يورى باعداد النرد

ساعدنى جارى على شادن * أعطيته خمسا بمقدار
فما تأتى اليك من يكه * الا بهذا البخ والجار

فى القاء الخامس من قطع النرد من نظم الشيخ صلاح الدين الصفدى

لا تبك ان هب ريح نجد * انك يا بئس ما بليت (اللام الف حرفان)

(وله) فى القاء السابع

قد رد شانى بكل شين * عدمت فى ذا صلاح خبرى

(الباب الرابع عشر فى الشمعة والفانوس والسراج)

من رسالة للامام ضياء الدين محمد بن نصر الله الجزرى المعروف بابن الاثير (مولده سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ووفاته سنة سبع وثلاثين وستمائة) وكان بين يدى شمعة تعم مجلسى بالايناس وتغنى بوجودها عن كثرة الجلاس وينطق لسان حالها انها أجمد طاقة من مجالسة الناس ولا الاسرار عندها بملفوظه ولا السقطات لديها محفوظه وكانت الريح تلعب بلهبها وتخاف على شعبة بشعبها فطورا تقيمه فتصير أغله وطورا تميله فتصير سلسله وتارة تجوفه فتصير مدهنه وتارة تجعله ذا ورقات فيتمثل سوسنه وآونة تنشره فتصير منديلا وآونة تلفه على رأسها فيستدير اكليلا ولقد تأملتها فوجدت نسبتها الى الفص العسلى وقدها قد العسال وبها يضرب المثل للحكيم غيران لسانها لسان الجهال ومذهبها مذهب الهنود فى احراق نفسها بالنار وهى شبيهة بالعاشق فى انهمال الدمع واستمرار السهر وشدة الاصفرار وكل ذا تجددلها بعد فراق أخيها ودارها والموت فى فراق الاخ والدار وقد نزع هذا المنزع فى رسالة أخرى (فقال) وذلك انها قد األفى القوام مشبها فى نحوله واصفراره بحال

المستهام وهي والقلم شيآن في انها اذا قطع رأسها صحا بعد السقام ومن عجيب شأنها ان روحها تحيي بفناء جسمها وبالارواح تكون حياة الاجسام وقد وصفها قوم بان لها خلقا كريما في رعاية حقوق الاخوان وان بكاها ليس الا لمفارقة اخيها الذي خرجت معه من بطن ونشأت معه في مكان وهذا الوصف من الطف أوصافها وهو مما يزيد الاحباب وجدا بأحبابها ويهيج الآلاف شوقا الى آلافها وكانت الريح تلعب بلهبها الذي الخادم فتسلطه هلالا فتارة تبرزه نجما وتارة تبرزه هلالا ولربما سطع طورا كالجلنارة في تضاعف أوراقها وطورا كالاصابع في انضمامها وافتراقها وآونة تأخذه فتلقيه على رأسها كالقناع ثم ترفعه عنها حتى تكاد تزاوله بذلك الارتفاع ثم قال بعد ذلك كلاما ليس فيه تشبيه فكما كانت الريح تلعب بالشمعة فتنقلها من مثال الى مثال كذلك الشوق يلعب بالقلب فينقله من حال الى حال وهذا الوصف وان مد باعه لمعانقة الابداع وأودع اسرار المعاني في صدور الالفاظ فصانها بالايداع مأخوذ من موضعين احدهما من قصيدة الارجاني والآخر من كلام ابي محمد عبد الله ابن أبي الخصال فانه مذكور في آخر هذا الباب عند ذكر السراج أما قصيدة الارجاني فهي

نمت باسرار صبح كان يخفيها * وأطلعت قلبها للناس من فيها

قلب لها لم يرعنا وهو مكتمن * الا برقية نار من تراقيها

سفيهة لم يزل طول اللسان لها * في الحي يجني عليها ضرب هاديها

غريقة في دموع وهي تحرقها * انفاسها بدوام من تلظيها

تنفست نفس المهجور اذ ذكرت * عهد الخليط فبات الوجد يبكيها

يخشى عليها الردى مهما ألم بها * نسيم ريح اذا وافى يحييها

بدت كنجم هوى في أثر عفرية * في الارض فاشتعلت منها نواصيها

نجم رأى الارض أولى ان يبوئها * من السماء فأمسى طوع أهليها

كأنها غرة قد سال سادخها * في وجه دهماء يزهيها تجليها

أو ضرة خلقت للشمس حاسدة * فكلما حجبت قامت تحاكيها

وحيدة وهي مثل الرمح هازمة * عساكر الليل ان حلت بواديها

ما طنبت قط في أرض مخيمة * الا وأقمر للابصار داجيها

قوله سادخها لم نر معناه في القاموس وفيه في باب الجيم انسدج انكب على وجهه فلعله من هذه المادة اه

لها غرائب تبدو امن محاسنها * اذا تفكرت يوما فى معانيها
فالوجنة الورد الافى تناولها * والقامة الغصن الافى تثنيها
قد أثمرت وردة حمراء طالعة * تجنى على الكف ان أهويت تجنيها
ورد تشاك به الايدى اذا قطفت * وما على غصنها شوك يوقيها
صفر غلائلها حمر عمائمها * سود ذوائبها بيض لياليها
كصعدة فى حشا الظلماء طاعنة * تسقى أسافلها ريا أعاليها
وصيفة لست منها قاضيا وطرا * ان أنت لم تكسها تاجا يحليها
صفراء هندية فى اللون ان نعتت * والقد فى اللين ان أتممت تشبيها
ما ان تراك تبيت الليل لاهثة * وما بها علة فى الصدر تصميها
تحيى الليالى نورا وهى تقتلها * بئس الجزاء لعمر الله يجزيها
وربما لم يبد للابصار لابسها * يوما ولم يحتجب عنهن عاريها
قدت على قد ثوب قد تبطنها * ولم يقدر عليها الثوب كاسيها
غراء فرعاء ماتنفك قاليه * تقص لمتها طورا وتفليها
شيباء شعثاء لاتكسى غدائرها * لون الشبيبة الاحين تبليها
فتاة ظلماء ماينفك ثاكلها * سنانها طول طعن أو يشظيها
مفتوحة العين تفنى ليلها سهرا * نعم وافناؤها اياه يفنيها
وربما نال من أطرافها مرض * لم يشف منه بغير القطع شافيها

(وقال القاضى الفاضل)

ولما أراد الليل ينظر وجهه * تقدم ان يذكى له الشمع أعينا
وماهى الا أعين وجفونها * دجاها وانسان السعود نهارنا
رياض دجى فتحن عند وقودها * أزاهر نار ركب الشمع أغصنا
عجبت لروض منه بالنار يزدهى * والازهر منه بالعين يجتنى
فتكن الدجى والنور فيض دمائها * اذا النار نصل والشموع لها قنا

(وقال فيها)

بكت مثل ما أبكى وفاضت دموعها * ولم تفش أسرارا كفيض دموعى
اشارة مظلوم وعبرة عاشق * ووقفة مأمور ولون مروع
أقامت الى نحر الظلام أسنة * فلم تلقها الابخلع دروع

وقال أيضا

والشمع فوق البحر تحسب انه * من لجة قد اطلع المرجان
والماء درع والشموع أسنة * ولها اذا خفق النسيم طعان

وقال محمد بن على الوزير حاجب النعمان

وطفلة كالرمح شاهدتها * سنانها من ذهب قد طبع
دموعها تنهل فى نحرها * ورأسها يحيي اذا ما قطع

وقال آخر وأجاد

اذا مرضت طال منها اللسا   ن ومد المداوى اليها يدا
ويقطع من رأسها الجلنا   رفيرجع أهليلجا اسودا

(وقال) ابن خفاجة (ومولده سنة خمسين واربعمائة ووفاته سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة)

وصعدة لبست سربال مشتهر * بالحب منغمس فى الدمع والحرق
مازال يطعن صدر الليل يهدمها * حتى بدا سائلا منه دم الشفق

وقال آخر وأغرب

وباكية من غير حزن بأدمع * تذوب بها أحشاؤها حين تنهمل
دموعا اذا اردت اليها بكت بها * ولم أردمعا غيره ردفى المقل

(وقال) سيف الدين المشد

ولم أر مثل شمعتنا عروسا * تجلت فى الدجى ما بين جمع
كأن عقود أدمعها عليها * سلاسل فضة أو قضب طلع

(وقال) محاسن الشوا (مولده سنة اثنين وخمسين وخمسمائة ووفاته سنة خمس وثلاثين وستمائة)

حكتنى وقد أودى بى السقم شمعة * وان كنت صبا دونها متوجعا
ضنا وسهادا واصفرارا وزفرة * وصبرا وصمتا واحتراقا وأدمعا

وقال نور الدين ابن سعيد

ومجلس انس زينته عرائس * تزيد لنا وصلا اذا ما قطعناها
اذا طعنت صدر الظلام برمحها * ترد بسيف الصبح منها فأفناها

الشيخ زين الدين ابن الوردى

مشوقة مثل صدر الرمح عارية * قد توجت بنظير الكوكب السارى
تبكى اذا ضحكت جلاسها فرحا * فالقوم فى جنة والشمع فى نار

(وقال) ابن الجلال وأجاد الى الغاية توفى سنة ست وخمسين وخمسمائة

وصحيحة بيضاء تطلع فى الدجى * صبحا وتشفى الناظرين بدائها
شابت ذوائبها أوان شبابها * واسود مفرقها أوان فنائها
كالعين فى طبقاتها ودموعها * وسوادها وبياضها وضيائها

(مجير الدين ابن تميم) وقد طفئت شمعة بمجلس فزارهم مليح عقيب طفيها

ومخطفة أوقدتها جنح ليلة * وقد زار من أهوى وتم بها انسى
فأطفاتها اذا أشرقت شمس وجهه * ومن سفه ان يوقد الشمع فى الشمس

(وقال ابراهيم المعمار)

لا تنور فى مقامى * شمعة من غير حاجه
قد كفانا طلعة البد * ر ومصباح الزجاجه

ولما أنشدتهما للامير شهاب الدين الحاجى قال لى لم لا قلت

أطفئوا اذا الشمع عنا * مالنا بالشمع حاجه

(فقال ابراهيم) أردت مقامى وهذا فى غاية الظرافه (علاء الدين الوداعى) وقد أهدى شمعه

يامن ببعادهم أسا الدهر الى * والآن فقد أنعم بالقرب على
قد أظلمت الاشواق طرفى فلذا * قدمت اليكم شمعة بين يدى

البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى فى مليح يقط الشمع

وذى قوام أهيف * بين الندامى قد نشط
قام يقط شمعة * فهل رأيت الظبى قط

سيف الدين المشد ملغزا فى طوافه

لينة الاعطاف لا * ينكر فضل قدرها
حياتها فى طيها * وموتها فى نشرها

قوله فى طوافه هكذا فى الاصل فلتفهم

(وقال ناصر الدين بن شافع) فى وصفها (مولده سنة تسع وأربعين وستمائة وتوفى سنة ثلاثين وسبعمائة) وشمعة قد استتم نبتها فى روض الانس حتى نور * ولا نمى بدوحة المفاكهة حتى أزهر * أومأ بنان تبلجها الى طرق الهداية وأشار ودل

على نهج التبصر وكيف لا وهى علم فى راسه نار * كانما هى قلم امتد بماء ليق من ذهب أو صعدة الآن سنانها ذهب وحسبها كرما ان جادت بنفسها وأعلنت بامتناعها على همود حسها سايلها فى الجود بامثالها مسول ودمعها بالعفو للصفو من سماحتها مطلول تحيتها عمود اصباحاتها تأتى فجرها وتمام بدرها فى أوائل شهرها قد جمعت من ماء دمعها ونار توقدها بين نقيضين ومن حسن تأثرها وعين تبصرها بين الاثر والعين (وقال محيى الدين) ابن عبد الظاهر فى حين ماشق ربحى الدجى عن ترائبه جيبا ونشر الظلام ظفائره وقد اشتعل رأسه من النجوم شيبا فى ضوء شمعة نشرت على الورق رداء الاصيل وأخفت من الدجى سواد جفنه الكحيل وسترت ذوائبه فى معصفر أبهج من وجنتى بثينة لولا أنها فى صفرة وجه جميل (وكتب) الاديب الفاضل الكامل شرف الدين عيسى ابن حجاج العالية أحد شعراء العصر بالديار المصرية أبقاه الله تعالى الى الوزير العلامة فخر الدين ابن مكانس تغمده الله بالرحمة (يقبل) الارض التى شاقه ترابها المواطئ الفخريه فزاد اعجابا وقال المسك ياليتنى كنت ترابا وينهى انه أقبل على المطالعة والباقى من العشر ليال خمس واستهدى بنجوم فوائدها حين قامت الشمعة بوظيفة الشمس واستدعى اعوانا من السهر فتخازلت عنه اعوانه وخشى من غلبة النوم فتغلب عليه سلطانه ولما أغفى على وجه الكتاب لعبت الشمعة بلسانها وتناولت طرف شاشه بيد نيرانها فهب المملوك وأخمد منها ما تصاعد من الانفاس وقابلها على حرق الشاش بقطع الراس

انى جلست بشمعة موقودة * لاطالع الاسفار للتسبيح
فتناولت شاشى أوائل نارها * وتمكنت منه بمر الريح
من قبل حرق الشاش كنت مطالعا * فى الكتب صرت مطالعا فى الروح

وقد توسلت بهذه الرسالة المدونة فى باب المنظوم والمنثور ومددت يد سؤلى الى طلبى شاشا مقصورا وأرجو ان يجمع لى بين الممدود والمقصور أبقاك الله للاولياء الذين يحبون وجودك ويستمطرون كرمك وجودك (وقال) مجير الدين ابن تميم وقد مر بدار بعض أصحابه ومعه شمعة وقد طفئت فأوقدها من داره

لما أزرتك شمعتي لتنيرها * جاءت تحدث عن سراجك بالعجب
واقتك حاسرة فقبل رأسها * فأعادها تحوي بتاج من ذهب

(حكى) ان مجير الدين الخياط الدمشقي كان يتعشق غلاما من أولاد الجند فشرب في بعض الليالي وسكر فوقع في الطريق فمر الغلام عليه وهو راكب فرآه في الليل مطروحا فوقف عليه بالشمعة ونزل فأقعده ومسح وجهه فسقط من الشمعة نقطة على خده ففتح عينيه فرأى الغلام على رأسه فاستيقظ من سكرته وأنشد مرتجلا

يا محرقا بالنار وجه محبه * مهلا فان مدامعي تطفيه
احرق بها جسدي وكل جوارحي * واحذر على قلبي فانك فيه

(وأما الفانوس) فمن أحسن ما سمعه فيه قول مجير الدين بن تميم

انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب قلبه لنحوله * وتعد من تحت القميص ضلوعه

(وقال)

أبدا اعتذارا لنا الفانوس حين بدا * في حالة من هواه ليس ينكرها
رأى الهوى مضرما ما بين أضلعه * نار الجوى فغدا بالثوب يسترها

(وقال الوجيه المناوي)

كأنما الليل وفانوسنا * يجلو دجى الظلمة للحس
لجة بحر قد طما موجه * تسبح فيه كرة الشمس

(وقال) شهاب الدين بن أبي حجلة مضمنا

وكأنما الفانوس نجم نير * منع الظلام من الهجوم طلوعه
أو عاشق أجرى الدموع بحرقة * من حر نار قد حوته ضلوعه

(وله مضمنا أيضا)

أنا في الدجى ألقى الهوى وبمهجتي * حرق يذوب بها الفؤاد جميعه
فكأنني في الليل صب مدنف * كتم الهوى فوشت عليه دموعه

(وله فيه مضمنا)

يحكي سنا الفانوس من بعد لنا * برق تألق موهنا لمعانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به أجفانه

(وله)

أنا في مقام الناصر السلطان لا * أشكو الى محبوب قلبي مابي
فاصبر كصبري في الهوى ولانني * متجلد والنار تحت ثيابي

(مجير الدين) ابن تميم تضمين

يقول لها الفانوس لما بدت له * وفي قلبه نار من الغيظ تسعر
خذي بيدي ثم اكشفي الثوب تنظري * ضنا جسدي لكنني أتستر

وأما السراج وماقيل فيه فمنه قول ابن أبي الخصال

عذرا اليك أعزك الله فاني حططت والنوم معازل والعزم منازل والريح يلعب بالسراج ويصول عليه صولة الحجاج وطورا يسدده سنانا وطورا يحركه لسانا وآونة يطوي جناحه وأخرى ينشره ذؤابه ويقيمه ابرة لهب ويعطفه برة ذهب أوحمة عقرب وتقوسه حاجب فتاة ذات غمرات ويتسلط على سليطه ويزيله عن خليطه ويخالفه نجما ويمده رجما ويسل روحه من ذباله ويعيده الى حاله وربما نصبته اذن جواد ومحته حدق جراد ومشقته خاطف برق بكف ودق ولثم سناه قنديله ولفت على أعطافه منديله فلاحظ منه للعين ولاهداية في الطرس لليدين (قال) شرف الدين التيفاشي رأيت فيما يرى النائم قائلا يقول لى تحفظ في السراج والمسرجة فانشدته قول ابن الرومي

وحية في رأسها درة * تسبح في بحر قصير المدا
اذا تولت فالعمى حاضر * وان تجلت بان طرق الهدى

(فقال) لى هذا في الذباله وانا سألتك في السراج والمسرجة فانشدته قول الصنوبرى

ان سراجا نوره ظلمة * كأنما يوقد في قلبي
الحب أضناني فاباله * يفنى وما يشكو جوى الحب

(فقال) هذا في السراج وأنا سألتك في السراج والمسرجة فصمت فقال أراك سكت فقلت له ماتحفظ فيهما أنت فانشد

ومسرجة تسرج من فوقها * ذبالة في جوف مصباح
كأنها مسرجة فوقها * تفاحة في غصن تفاح

فاستيقظت وأنا أحفظهما قال شهاب الدين بن أبي حجلة وهذا التشبيه في المسرجة جيد في مسارج العرب فان مسرجتهم قضيب أملس أشبه شئ بغصن التفاح (قلت) لا يخفى ما في هذين البيتين من الحسن وجودة التركيب في قوله في البيت الاول مسرجة ثم في الثاني كأنها مسرجة وقوله تفاحة في غصن تفاح وما أعرف لهما شبيها الا قول ابن وزير في الحمام حكى ان ابن قزمان الوزير أبي بكر صاحب الازجال المشهورة قام من مجلس أنس فمال على السراج فأطفأه فقال في الحال

يا أهل ذا المجلس السامي سرادقه * ما مات لكنني مالت بي الراح
فان أكن مطفئا مصباح بيتكم * فكل من حل فيكم فيه مصباح

(قال) القاضي كمال الدين بن العديم (مولده سنة ست وثمانين وخمسمائة ووفاته سنة تسع وخمسين وستمائة) في تاريخ حلب ان القاضي شمس الدين بن خلكان الاربلي (مولده سنة ثمان وستمائة ووفاته سنة احدى وثمانين وستمائة) قدم حلب وتفقه على مذهب الشافعي وأنشدني لنفسه ملغزا في السراج

أيها العالم الذى * صار حبرا ممارسا
والذى موضحاته * يجتليها عرائسا
أي شئ ترى الورى * جمعهم منه قابسا
ان في السرب نصفه * حيثما كان كانسا
ثم صحف تمامه * تلق خلا مؤانسا
واحذفن منه ثالثا * تنظرن فيه فارسا
من يصحفه عاكسا * يلق في الليل حارسا

(وما أحسن) قول القاضي الفاضل يعتذر عن كتاب كتبه الى بعض أصحابه ليلا كتبها المملوك ليلا وقد عمشت عين السراج وشابت لمة الدواة وكل خاطر السكين وخرس لسان القلم وضاق صدر الورقة فاذا وقف سيدنا على هذا الكتاب فليقف على بيمارستان وليقل الباذنجان من هذا ولا يقل هذا من الباذنجان (وقال) ابن تميم في سراج يوقد من سراج

أعلمتم يا قوم أن سراجنا * أعمى وفيه فضيلة لا تكتم

يأتى أخوه اليه حاسر رأسه * فيعيده فى الحال وهو معمم

(نادرة) اتفق ان أبا الحسين الجزار قام مرة الى بيت الخلاء فناوله السراج الوراق شمعة فقال الجزار ما عادتى أقضى الشغل الا على السراج (وما أظرف)

(قول زين الدين ابن الوردى)

لى صاحب واسمه سراج * ما قر لى عنده قرار
لسانه محرق لقلبى * ان لسان السراج نار

وممن أكثر من ذكر السراج الاديب الفاضل الكامل سراج الدين عمر الوراق حتى انه قيل له لولا لقبك راح نصف شعرك فمن ذلك قوله

اذا بحت بالشكوى عتبت معاشرا * بلا راحة فى مدحهم أتعب واذهنى
يريدوننى رطب اللسان ومن رأى * سراجا غدا رطب اللسان بلا دهن

(وقوله) يتقاضى زنجبيلا

مولاى بدر الدين أنت من المكارم تاجها
ولديك بغية كل نفس آمالك وحاجها
والنور وجهك فى الفضا ثل قد أقر سراجها
أنسيت سورة هل أتى * ونسيت كان مزاجها

(وقوله)

أقول فى يوم شتاء به * من نحبه ما خالف النيلا
خرجت من بيتى سراجا وقد * عدت بحمد الله قنديلا

(وقوله)

سبق السراج الى امتدا * حك كل من يتقدمه
وسناك مسرجة لبا * بك والمهابة تلجمه
لكن توقد ذهنه * ما كل شئ يفحمه

(وقوله)

كم قطع الجود من لسان * قلد فى نظمه النحورا
وها أنا شاعر سراج * فاقطع لسانى أزدك نورا

(وقوله)

نحى اقتدى بالكتاب العزيز * فراح لرى سعنا وراحا

فما قال لى أف مذ كان لى * لكونى أبا ولكونى سراجا

(وقوله)

أثنى علىّ الانام انى * لم أهج خلقا ولو هجانى
فقلت لا خير فى سراج * ان لم يكن ذاك فى اللسان

(وقوله)

قلبى لديك وطرفى طال بعدهما * عنى فلى أبدا سهد وتذكار
ولست متهما قول السراج اذا * ماقال من حرق فى قلبى النار

(وقوله)

بكتبك راح لى أملى وقصدى * وفى يدك النجاح لكل راجى
ولولا أنت لم ترفع منارى * ولا عرف الورى قدر السراج

(وقوله) وقد اجتمع ببدر الدين بيليك وشمس الدين سنقر

لما رأيت البدر والشمس معا * قد انجلت دونهما الدياجى
حقرت نفسى ومضيت هاربا * وقلت ماذا موضع السراج

(وقوله) يمدح ضياء الدين

أمولانا ضياء الدين دم لى * ومش فبقاء مولانا بقائى
فلولا أنت ما أغنيت شيأ * وهل يغنى السراج بلا ضياء

(وقوله)

شعيرتى مذ رمدت قد حجبت * شخصك عنى وكان مأنوسا
فالحمد لله زادنى شرفا * كنت سراجا فصرت فانوسا

(وقوله)

الهى قد جاوزت سبعين حجة * فشكرا لنعماك التى ليس تنكر
وعمرت فى الاسلام فازددت بهجة * ونورا كذا يبدو السراج المعمر
وعم نور الشيب رأسى وسرنى * وما ساءنى ان السراج منور

(وقوله)

طوت الزيارة اذ رأت * عصر الشباب طوى الزياره
ثم انثنت لما انثنى * بعد الصلابة كالحجاره
وبقيت أهرب وهى تسأل جارة من بعد جاره

وتقول ياستي استرحـــنا الاسراج ولا منـاره

(وقال فيه) بعض شعراء عصره والسراج عمر عالى المنار يتوقد كاولو لم تمسه نار

(حكى) انه جهز غلاما ليبتاع له زيتا طيبا يأكل به لفتا فأحضره وقلبه على اللفت فوجده زيتا حارا فأنكر على الغلام وأخذه وجاء الى البياع وقال لم تفعل مثل هذا بنا فقال والله ياسيدى مالى ذنب الا انه قال لى اعطنى زيتا للسراج

(وحكى) عنه أيضا انه دعى الى زفة فقالوا له صبيحتها أيش كان حالك ياسراج الدين البارحة فقال أيش حال سراج بين ألف مشعل (ومثلها) ما حكاه لى الوزير المرحوم فخر الدين بن مكانس عن صاحبه سراج الدين القوصى انه كان حصل له طلوع فى جسده فتردد اليه المزين فقال أيش حال سراج فيه سبع فتائل (وأنشدنى) لنفسه يداعب المذكور وكان سكندرى الاصل

ياذا السراج اشترايرى فانت به * أولى وذلك للامر الذى وجبا
سكندرى وتدعى بالسراج وذا * مثل المنار اذا ماقام وانتصبا

(وما أحسن قول بعضهم) * ومتى أظلم خطب عمر الله السراجا *

(فصل فى القنديل) قال شمس الدين محمد بن العفيف

صفا باطنى صرفا كما رق ظاهرى * وناجيت فتيانا من الشرب أكاسا
اذا نهضوا كنت الرفيق لهم اذا * وان جلسوا أمسيت فى الوسط جلاسا

(ولآخر)

وقنديل كان الضوء فيه * سناوجه الحبيب اذا تجلا
أشار الى الدجى بلسان افعى * فشمر ذيله هربا وولى

(ولآخر)

وشادن مر والقنديل فى يده * ما بيننا وظلام الليل معتكر
كأنه فلك والماء فيه سما * والنار شمس به والحامل القمر

(وله)

عجبت لقنديل تضمن قلبه * زلالا ونارا فى دجى الليل تشعل
وأعجب من ذا انه طول عمره * يجن عليه الليل وهو مسلسل

(الباب الخامس عشر في الخضراوات والرياحين)

(الورد) كان المتوكل يقول أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين فكل منا أولى بصاحبه وكان قدوم الورد على جميع الناس واستبد به وقال لا يصلح للعامة فكان لا يرى الورد الا في مجلسه وكان أيام الورد لا يلبس الا الثياب الموردة ويفرش الفرش الموردة ويورد جميع الآلات (ورفع) الى المأمون ان حائكا يعمل سنته كلها لا يتعطل في عيد ولا جمعة فاذا ظهر الورد طوى عمله وغرد بصوت عال

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحوا * مادام للورد أزهار وأنوار

فاذا شرب مع ندمائه غنى

اشرب على الورد من حمراء صافية * شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا

ولا يزال في صبوح وغبوق ما بقيت وردة فاذا انقضى الورد عاد الى عمله وغرد بصوت عال

فان يبقني ربي الى الورد أصطبح * وندمان صدق حائكة ونبيط

(فقال) المأمون لقد نظر الى الورد بعين جليلة فينبغي ان نعينه على هذه المروءة فأمر ان يدفع له كل سنة عشرة آلاف درهم (وقال) ابراهيم الخواص اذا جاءت أيام الورد أمرضني على بكثرة من بعصى الله تعالى فيه جلس روح بن حاتم أمير افريقية يوما في منظرة له ومعه جارية من جواريه فدخل الخادم بقادوس فيه ورد أحمر وأبيض في غير أوان الورد فاستظرفه وسأل الخادم عن أمره فأخبره ان رجلا أتى به هدية فأمر ان يملأ له القادوس دراهم فقالت له الجارية ما أنصفته قال ولم قالت أتى بلونين أحمر وأبيض فلوّنه له فأمر ان يخلط دنانير ودراهم فخلط ودفع اليه ويقال ان كسرى مر بوردة ساقطة فقال أضاع الله من أضاعك (خواصه) بارد يابس في الدرجة الاولى يابس في آخر الدرجة الثانية نافع لصاحب المرة الصفرا ومن به حرارة حريفة مسكن للصداع المتولد منها ضار لصاحب المزاج البارد مهيج لعطاسه مزعج لدماغه ومرباه بالسكر والعسل ينفع من البلغم وماؤه المصعد منه بارد رطب نافع من سائر أوجاع الدماغ الحادة ومن الاورام الحارة نقلتها من النور المجتبى من رياض الندماء

تأليف الحكيم الفاضل الاديب المعروف بالعنبرى وبابن المحلى ذكره الفاضل المؤرخ موفق الدين بن أبي أصيبعة فى تاريخ الاطباء وأثنى عليه الثناء البالغ وعلى مصنفه المذكور قلت وهذا الكتاب رتبه على فصول السنة كل فصل يشتمل على أربعين بابا عديم النظير قليل الوجود *(القول فى استخراجه فى غير أوانه)* قال صاحب المباهج من أحرق السداب فى أصول شجر الورد حتى يرتفع وجه الاحراق الى الشجر فى أى وقت كان من السنة التى تورد شجرة الورد فيه وردت بعد أيام وردا غضا ومتى جمع الرماد التى أحرق وخلط بتراب ونبش أصل الشجرة التى أحرق ذلك فى أصولها وطمر الرماد ثم سقيت الماء فى الوقت وسقيت بعد ذلك على العادة كان ماذكرناه أيضا (الحيلة فى ان يبقى الورد السنة كلها فى الفلاحة الرومية) يؤخذ ورد الذى لم يفتح بعد فتملأ به جرة فخار جديدة وتطين رأسها تطيينا محكما لا يتخلله الهواء ويدفن فى الارض فانك تخرج منها الورد متى شئت الى آخر السنة كهيئته حين أدخلته فيها فرش عليه ماء و يترك فى الهواء فانه يفتح وردا طريا كالذى يقطف من شجره (وفى كتاب الخواص) ان الورد الاحمر اذا بخر بالكبريت أبيض واذا بخر نصف الوردة صار نصفها أبيض ونصفها أحمر والورد الاحمر اذا بخر بالنورة المطفية أبيض واذا صب فى الشتاء فى أصول شجر الورد ماء حار عند كل غداة انفطر قبل انفطار الورد (غرائب من هذا النبات) حكى صاحب نشوار المحاضرة انه رأى وردا أصفر واستغرب ذلك وقد رأيناه كثيرا الا انه امتاز بكونه عدورق وردة فكانت ألف ورقة ورأى وردا اسود حالك اللون له رائحة ذكية ورأى بالبصرة وردة نصفها أحمر قانى الحمرة ونصفها الآخر ناصع البياض والورقة التى قد وقع الخط فيها كأنها مقسومة بقلم قال صاحب المباهج وحكى لى بعض أصحابى انه رأى وردا بدمشق له وجهان أحد الوجهين أحمر والآخر أبيض لا يشوب أحدهما شئ من الآخر وأخبرت أن بحلب وردا أحد وجهى الورقة أحمر والآخر أصفر وأما الورد الازرق فقد حكى لى بعض أصحابى ان رجلا أخبره انه رأى اكارا يجرى الى شجرة الورد ماء مخلوطا بالنيل قال فسألته عن ذلك فقال ان الورد يكون أزرق بهذا العمل والظاهر من الاسود انه احتيل عليه كذلك (وذكر) ابن قتيبة ان بالهند شجرا يخرج وردا عليه كتابة تقرأ لا اله الا الله (وحدث) ان منقذ لما عاد من المغرب

وكان قد توجه اليه رسولا من صلاح الدين ان فى مراكش وردا كل وردة من الثمانين ورقة الى المائة ورقة (الوصف) والتشبيه قال بعضهم وصدق

للورد عندى محل * و رتبة لا تمل
كل الرياحين جند * وهو الامير الاجل

(وقال) آخر وظرف

كتب الورد الينا * فى قراطيس الخدود
يا بنى اللهو صلونى * قد دنا وقت ورودى

(ولبعضهم) فى باكورة ورد

ودونك ياسيدى وردة * يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها رأسها

(وقال) على بن الجهم فى صبابته

لم يضحك الورد الا حين أعجبه * حسن الرياض وصوت الطائر الغرد
لا عذب الله الا من يعذبه * بجسم بارد أو صاحب نكد

(وفيه بجظلة)

يعز على بأن يشمك ساقط * أو ان تراك نواظر البخلاء

(وقال) محمد بن عفيف التلمسانى

قامت حروب الدهر ما * بين الرياض السندسيه
وأتت بأجمعها لتغـــزو روضة الورد الجنيه
لكنها انكسرت لان الورد شوكته قويه

(وتلطف) الشيخ زين الدين ابن الوردى فى قوله موريا باسمه

مهفهف الغداذا ما انثنى * قال ولا يخشى من الرد
ما أنت حلى يا كثيب اللوى * ولست يا غصن النقا قدى
لو نلت من خديه تقبيلة * تزين الريحان بالورد

(ما أحقه) بقول القائل شاكر نفسه يقرئك السلام (قلت) أحسن من بيته الثانى ما أنشدنيه من لفظه لنفسه ونقلته من خط المرحوم فخر الدين بن مكانس من أبيات

اسمر ان عاين غصن البان * قال استقم فأنت ذو الوان

يثنيك فى الدوح النسيم الوانى * وليس لى فى قامتى من ثانى

* فلاتقايسنى فلست قدى *

(رجع) وقال أبو الوليد بن الحنان الشاطبى (مولده سنة خمس عشرة وستمائة ووفاته سنة خمس وسبعين وستمائة)

فوق خد الورد دمع * من عيون الحب تذرف
برداء الشمس أضحى * بعد ما شال يجفف

(وقال) برهان الدين القيراطى

ان للروح فى دمشق لمأوى * ذا قرار وذا معين وربوه
وبروضاتها بساتين ورد * لى بأزرارها صبابة عروه

(وقال) بعضهم وأصاب

كم وردة تحمى بسيف الورد * طليعة تشرعت من جند
قد ضمها فى الغصن قرص البرد * ضم فم لقبلة من بعد

ومن أحسن ما استعمل أوصاف الورد فى اعتذاره عن الاصغاء الى كلام العذول مجد الدين النسائى الاربلى (مولده سنة اثنين وثمانين وخمسمائة وتوفى فى سنة ست وستمائة) شعر

أصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما عنكم بغير ملالى
لتلقطى زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذالى

السرى الرفا يصف وردا أبيض قال

بدا أبيض الورد الجنى كأنما * تبسم للناسى بمسك وكافورى
كأن اصفرارا منه تحت بياضه * برادة تبر فى مداهن بلورى

ولبعضهم فى الورد الاسود

لله اسود ورد ظل يلحظنا * من الرياض بأحداق المعافير
كأنما وجنات الريح نقطها * كف الامام بانصاف الدنانير

ولآخر فيه

وورد اسود خلناه لما * تنشق نشره ملك الزمان
مداهن عنبر غض وفيها * بقايا من سحيق الزعفران

وقال مجير الدين بن تميم مضمنا

لم أنس قول الورد حين جنيته * والنار لاستقطاره تتسعرو
ناشدتكم نفسي نخذوه وانما * لا تعجلوا في قبض روحي واصبروا

(من رسالة) كتبها الجناب المجدي فضل الله ابن المرحوم فخر الدين عبد الرحمن ابن مكانس الى سيدنا ومولانا أقضى القضاه بدر الدين محمد ابن أبي بكر عمر المخزومي المالكي الشهير بابن الدماميني أسبغ الله عليه ظلاله ملغزا في ورد وكان سيدنا بدر الدين قد كتب اليه قبلها الغزا في قدح فله وكتب اليه هذا اللغز ونقلته من خطه وهو ما عاطل تحلى به المجالس ويتفكه فيه المجالس تحمر وجناته من الشرب وتحمد آثاره في البعد والقرب ان قلبته رأيت تاجا وان تركته على حاله زادك ابتهاجا يعذب بالنار وغيره الجاني ويريك ان بدلت أوله برد الاماني يستخرج وهو داخل ويرى دمعه من نار قلبه هاطل لا يبرح به في غبطه ولا تجد فيه مع اهماله نقطه ان حذفت أوله وحرفت باقيه وجدته أمرا بالشراب وان فعلت كذلك في ثانيه رأيت ما بقي يؤكد للمحبة بين الاصحاب وور ان حذفت أخيره كمن ورا وغص في بحر الفكر على عكس ثلثيه لتستخرج درا وقد سطره ليحصل له من نظر المخدوم طرفا ويصير له في الالغاز شرفا والمملوك يسأل الصفح والامتنان وبسط العذر في هذا الهذيان فانه لولا المحبة ما أجاب ولا طرق بعد فقد أبيه هذه الابواب ولا عارض بجدوله البحر العباب فان بضاعته في هذا الفن مزجاه وهم أبيه غطى على حجاه والله المسؤل ان يلطف برحمته ويحسن عاقبته في دنياه وآخرته ويمتع مولانا بزناد ذهنه الواري ويطلعه وبنيه في سماء الفضل حتى يهتدي بالنجوم والدراري بمنه وكرمه (فكتب) الجواب سيدنا بدر الدين (وينهي) ورود الجواب الذي شفى الصدور وروده واللغز الذي نسي بورده بان الجاوز روده فوجده روض بلاغة عدم العابث والعائب وترعرع زهره حيث أمطرته من أنامل المخدوم خمس سحائب وتمسكت أذيال أنفاسه بالرواية عن أبي الطيب وجاد فكر مولانا على خد طرسه بالعارض الصيب فلو شاهده ابن الوردي لاحمر خجلا أوصاحب زهر الآداب لتلون وجلا ثم تأمل حل اللغز فرآه قد كشف المشكل وجلا واعترف بانه لم يعر بذوقه أطيب من ذلك الحل ولا احلا وتحقق ان مولانا أوسعه في مقام الادب بفضله ايناسا وتناول منه قدحا فأعاده

بألفاظه المسكرة كاسا وانتهى المملوك الى اللغز المخدومى فقال

مولاى مجد الدين يامن فضله * يروى وجود كفه يروى الصدا
ألغزت فى اسم عاطل حليته * منك بدر اللفظ أو قطر الندا
ان ورد التحريف فى أبياته * كان لشانيك هلاكا وردا

وقال أيضا

لله لغزك يامولى فضائله * قد عطر الاكوان منها طيب أنفاس
أتى بورد فحيانى على قدحى * به وأبهجنى ما بين جلاسى
وقد أسى جرح كسرى حين أقبل لى * روحى الفداء لذاك الورد والآسى

فاستجلى المملوك بالتحريف ورده وودّلو اقتطف من أغصان حروفه ورده فرده ذل القصور عاريا من ملابس عزه وأنشده قول ابن قلاقس وقد تقلى بنار عجزه

اذا منعتك أشجار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

فراج عليه بهرج هذا الرأى الكاسد وأقنع بالشم على رغم أنف الحاسد وعلم ان هذا الورد لا يحسن من غير تلك الخضره وان هذه الفاكهة لا يخرجها الا أغصان أقلام لها بندى الراحه المخدومية بهجة ونضره ومشى نظر المملوك من هذا اللغز فى بساتين الوزير على الحقيقه ورأى منه كل وردة واحب الوجنات الحمر فحيرا هى وردة أم شقيقة وتفكر معجبا بثمار غرسه منشدا لمن كرر النظر فى صفحة طرسه

ان كنت تزعم مافى خده عجب * قم فانظر الورد فى خديه منثورا

فلقد ظفرت من نفسه بأعنبر الورد وعوذته عند تبديل الثلاثة بالواحد الفرد وتأملت بفتور قريحتى نكتة برد الامانى وانعقد لسانى به بحر هذا البيان ونفثات تلك المعانى وتيقنت انه لا يقوى لفهم هذا البرد الا كل حديد النظر ووجدت تصحيف هذه الكلمة ياشمس الفضائل للعقول قمر وعلمت ان الفكر لا يجارى من بديهته من بحار الفضل رويه وان الخاطر الذى هو من ضعفة رعايا الادب لا يقوى على سلطان هذا اللغز لان شوكته قويه وقلت للذهن رد بعضه لتنهل شرابا سائغا وزد تصحيفه ليكون فى التعريف بمعناه مبالغا وتمتعت من ورده الوارد بالمنثور ثم تذكرت البعد عن جناب المخدوم فاستقطر البين ماء الورد فى حدقى ولولا ان المنة فى الصفح عن مقابلة الدر بالسقط

وتمر هجر بهذا الحشف الملتقط وله الفضل في اجابة المملوك الى ماسأله أولا من الاتحاف بما تيسر من آداب المقر الفخري الوالد نور الله ضريحه وتعاهد بعهاد الرحمة روحه بمنه وكرمه (ولبعضهم) في الورد التحاني

وردة جمعت لونين خلتهما * خدي حبيب وخدي هائم عشقا
تعانقا فبدا واش فراعهما * فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

وظرف من قال كأنه وجنة الحبيب وقد نقطها عاشق بدينار انظر الى هذا وجنة وحبيب ودينار وابن هذا من قول ابن الرومي (مولده سنة احدى وعشرين ومائتين ووفاته سنة أربع وثمانين وسبعمائة)

كأنه سرم بغل حين سكرجه * بعد البراز وباقي الروث في وسطه

(ونقلت) من خط شيخنا شمس الدين محمد ابن محمد بن محمد الشهير بابن سمنديار الذهبي لنفسه

اذا الربيع جيشت أزهاره * فورده ذو الشوكة السلطان

(وأنشدني) من لفظه لنفسه ارتجالا الشيخ الاديب الفاضل بقية المتأخرين شمس الدين محمد بن بركة الرئيس فسح الله في مدته

شاب ورد الرياض من * ورد خديك وانفرك
فله الناس انبتوا * واتقى الورد للكرك

(النرجس) قال أبقراط كل شئ يغذو الجسم والنرجس يغذو العقل وقال جالينوس من كان له رغيف فليجعل نصفه في النرجس فانه راع الدماغ والدماغ راعي العقل ويروى عن علي كرم الله وجهه أنه قال تشمموا النرجس ولو في اليوم مرة فانه في القلب داء لا يبرئه الا شم النرجس وقال الحسن بن سهل من أدمن شم النرجس في الشتاء أمن من البرسام في الصيف وكان كسرى أنوشروان مغرما بالنرجس ويقول هو ياقوت أصفر بين در أبيض على زمرد أخضر (وقال) اني لاستحي أن أباضع في مجلس فيه النرجس لانه أشبه شئ بالعيون الناظرة ومن هنا أخذ من قال

غضي جفونك ياعيون النرجس * لعسى أفوز بنظرة من مؤنسي
فلقد تحير اذ أراك شواخصا * ترونه بلواحظ المتفرس
حتى كأنك لن ترى قمر الدجا * بين الاحبة طالعا في مجلس

(نادرة) تحدث رجل مع خاطبة فى ان تخطب له امرأة يتزوجها فقالت له عندى امرأة كأنها طاقة نرجس فتاقت نفس الرجل اليها فتزوجها فلما زفت اليه وكشف القناع لقى عجوزا مكمشة الوجه بيضاء الشعر دقيقة الساقين صفراء الوجه مخضرة الساقين بالشعر فلم يقربها وعاد باللوم على الخاطبة وقال لها كذبتينى وغررتينى فقالت له ما كذبتك ولا غررتك وانما أنت رجل جاهل قلت لك عندى امرأة كأنها طاقة نرجس فرغبت فيها وما هى طاقة النرجس الا هكذا (خواصه) حار يابس ينفع من سائر أوجاع العصب من برد وكذلك النسرين ويصدع النرجس الرؤس الحارة وفعلهما أقل من فعل الياسمين وينفعان من وجع الارحام من برد ويفتح سدد الدماغ وينفع من الصداع البارد الرطب والسوداوى ودهنه ينفع من أوجاع المفاصل انتهى كلام ابن المحلى فى النور (وقال) صاحب المباهج خاصيته للنفع من الاوجاع الباردة الكائنة فى الرحم أصله يدمل القروح وينفع من أوجاع المفاصل واذا سحق أصله وخلط بدقيق واغتسل به نقى أوساخ البدن والقروح واذا ضمد به فجر الاورام والدملات وهذا الفعل موجود فى أصله وزهره ورائحته مقوية للدماغ مفتحة للسدد طاردة لما فى بطونه من الارياح واذا أديم شمه نفع من الصداع الكائن من بخار البلغم ومن الرطوبة المحتقنة فيما بين أغشية الدماغ وان اتخذ منه شمامة مستديرة فى شكل الرمانة ورش عليها شئ من ماء الورد المسك وبخرت بالند الرفيع أو العود الرطب والزعفران الشعر الطرى أكسبها البخور بذلك نفعا عظيما وان شوى بصله فى النار أو فى الرماد وقشر وسحق فى الهاون وسكب عليه شئ من دهن الخيرى وأغلى بالدهن عليه وضمد به على الخنازير والجراحات الفجة الجاسئة والدماميل الصلبة ألانها وفجرها (وفى كتب الخواص) قال هرمس اذا وضعت طاقات النرجس التى لم تفتح بعد فى ماء البقم حتى ينفتح فيه أبدل من بياض أوراقه حمرة شديدة وبقيت على حالها (الفلاحة) النبطية ان أوفق ما غرس بصل النرجس فى الارض التى أقام الماء فيها عشرة أيام أو عشرين يوما ثم نضب الماء عنها وجف وبقى فيها شئ من الندواة [illegible] فليحفر فى هذه الارض حفائر عمقها قدم أو أقل ويجعل البصلة فيها ويغطى بالتراب ويكبس فوقه التراب كبسا جيدا فاذا ابتدأ يطلع منه

شئ يسير فيسقى سقية خفيفة و يتعاهد كذلك حتى يكمل ورده (ومن) أراد ان يجعل العين منه مضاعفا فيأخذ بصلة سمينة فيشق وسطها و يغرس فيها سن ثوم غير مقشرة ويغرقها فى البصلة و يطمر البصلة فى التراب فانها تحمل نرجسا مضاعفا (غريبة) ذكرها صاحب المباهج من أخذ من بصل النرجس بصلة كبيرة وأخدشها بالمسلة من ذهب خالص ثم غرز البصلة برأس المسلة باليد اليسرى ثم يدور الماسك فى الموضع الذى يريد ان يغرس فيه تلك البصلة خمس دورات وهو يضحك أو يتضاحك ثم يغرسها فى مقطع الدورة الخامسة فان تلك البصلة تحمل نرجسا أحمر مثل الشقيق طيب الريح جدا وصفة غرسه كما يفعل بغيره ومن أراد أن يكون النرجس فى غير أوانه فليحرق السداب مع شئ فى قشور الجوز على منابت أصله فانه يسرع اخراج ورقه (الوصف) وقال ابن الرومى

خجلت خدود الورد من تفضيله * خجلا يورد عليه شاهد
لم يخجل الورد المورد لونه * الا وناصله الفضيلة عاند
للنرجس الفضل المبين وان أبى * آب وحاد عن الطريقة حائد
فصل القضية ان هذا قائد * زهر الربيع وان هذا طارد
شتان بين اثنين هذا موعد * بتصرم الدنيا وهذا واعد
فاذا احتفظت به فامتع صاحبا * بجنابه لو أن حيا خالد
يلهى النديم عن النديم بلحظه * وعلى المدامة والسماع مساعد
اطلب بعيشك فى الملاح سميه * أبدا فانك لامحالة واجد
والوردان فتشت فى فرداسمه * مافى الملاح له سمى واحد
هذى النجوم هى التى ربتهما * بحيا السحاب كما يربى الوالد
فانظر الى الاخوين من ادناهما * شبها بوالده فذاك الماجد
أين العيون من الخدود نعاسة * ورياسة لولا القياس الفاسد

(وناقضه) أحمد بن يونس الكاتب فقال

يامن يشبه نرجسا بنواظر * دعج تنبه ان فهمك راقد
اين القياس ولم يصح قياسه * بين العيون و بينه متباعد
[illegible] * فعلام تجحد فضله يا جاحد

ملك قصير عمره متأهل * مخلوده لو أن حيا خالد
ان قلت ان الورد فرد فى اسمه * مافى الملاح له سمى واحد
فالشمس تفرد فى اسمها والمشترى * والبدر شرك فى اسمه وعطارد
أو قلت ان كوا كبا ربتهما * بحيا السحاب كما يربى الوالد
قلنا أحقهما بطبع أبيه فى الـ * ـجدوى هو الزاكى النجيب الراشد
زهر النجوم تروقنا بضيائها * ولها منافع بعد ذا وعوائد
وكذلك الورد الانيق يروقنا * وله فضائل جمة وفوائد
وخليفة ان غاب آب بنفحة * ونسيمه أبدا مقيم راكد
ان كنت تنكر ماذكرنا بعدما * وضحت عليه دلائل وشواهد
فانظر الى المصفر لونا منهما * وافطن فما يصفر الا الحاسد

(وقال) سعيد ابن هاشم الخالدى بفضل النوعين

أحب النرجس البلدى ودى * ومالى باجتناب الورد طاقه
كلا الاخوين معشوق وانى * أرى التفضيل بينهما حماقه
هما فى عسكر الازهار هذا * مقدمة يسير وذاك ساقه

(وقال أبو العلاء المعرى الشروى) يهجو النرجس

انظر الى نرجس تبدت * صبحا لعينيك منه طاقه
واكتب اسامى مشبهيه * بالعين فى دفتر الحماقه
كأنه ركبت عليها * صفرة بيض على رقاقه

(وقال) ابن الشبلى البغدادى فيهما

ونرجس قابل فى مجلس * وورد غلا فى نعته الناعت
فخد ذا يخجل من لحظ ذا * وطرف ذا فى وجه ذا باهت

(وقال) منصور الهروى يصفه مع البنفسج

قرن الزمان الى البنفسج نرجسا * متبرجا فى حلة الاعجاب
كخدود عشاق غدت ملطومة * نظرت اليها أعين الاحباب

(لما دخل) الاديب الفاضل المؤرخ الرحال نور الدين على بن سعيد الى القاهرة المحروسة صنع له أدباؤها صيغا فى بعض منتزهاتها وانتهت بهم الفرجة الى روض نرجس وكان فيهم أبو الحسين الجزار فجعل يدوس النرجس برجليه فقال

ناصر الدين حسن ابن النقيب

يا واطئ النرجس ما تستحى * ان تطئ الاعين بالارجل

فتهافتوا بهذا البيت وراموا اجازته فقال زكى الدين ابن أبى الاصبع

فقال دعنى لم أزل محنقا * على لحاظ الرشا الا كحل

ثم أبوا أن يجيزه غيره أعنى بن سعيد فقال

قابل جفونا بجفون ولا * تبتذل الارفع بالاسفل

ثم استدعاه ابن سابق الى مجلس على النيل مبسوط بالورد وقد قامت به ثمامة نرجس فقال فى ذلك

من فضل النرجس فهو الذى * يرضى بحكم الورد اذ يرأس

أما ترى الورد غدا قاعدا * وقام فى خدمته النرجس

(وقال) مجد الدين ابن محنون خطيب النيرب وقد أهدى نرجسا

لما تحجبت عن طرفى وارّقنى * بعد ولم تحظ عينى منك بالنظر

أرسلت مشبهها من نرجس عطر * كيما أراك باحداق من الزهر

(وقال) صفى الدين الحلى رحمه الله تعالى

أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الى وللانغام حولى المام

أيا رب حتى فى الحدائق أعين * علينا وحتى فى الرياحين نمام

وما أحسن قول بدير الجنوى رحمه الله تعالى

وكأن نرجسه المضاعف خائض * فى الماء لف ثيابه فى رأسه

(وأظرف) من قال

يغض من فرط الحيا طرفه * ما أحسن الغض من النرجس

ونقلت من خط المرحوم فخر الدين ابن مكانس لنفسه

بعدك شمس الدين يا ماجرى * من أدمع الطل بخد الشقيق

والنرجس الغض غدا شاخصا * فلا تخلى عنه للطريق

زاد على البيتين المتقدمين وأجاد

ليس جلوس الورد فى مجلس * قام به نرجسه يوكس

وانما الورد غدا باسطا * خدا لمشى فوقه النرجس

قول أمين الدين الجوتان توفى سنة ثلاث وستين وستمائة

نفش غصن البان أذنابه * وماس عند الصبح زهوا وفاح
وقال هل فى الروض مثلى وقد * تعزى الى غصنى قدود الملاح
فحدق النرجس يهزو به * وقال حقا قلت ذا أم مزاح
بل أنت بالطول تحامقت يا * مقصوف مجبا بالدعاوى القباح
فقال غصن البان من تيهه * ما هذه الا عيون وقاح

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه ارتجالا لا بحضورى ونحن نتنزه بجزيرة الفيل وقد مررنا بقطعة نرجس نسق سيدنا المقر المجدى فضل الله ابن مكانس أبقاه الله

وجدول الماء يجرى بين نرجسه * لذى البصائر جرى الطيف فى المقل

وقال القاضى شهاب الدين ابن فضل الله فى كتابه مسالك أبصار فى ترجمة ابن تميم وحكى أنه حضر فى مجلس بعض الاكابر وقد غص المجلس وبهتت فيه عيون النرجس وقعت فيه أصابع المنثور وأعطى فيه أمير الحسن ذؤابة شعره المنثور وطال اعمال الكؤس حتى غمضت الجفون ولم يبق دور الكاس خال من الجنون وأن امنية ابن تميم قد تركه السكر ملقى وخلا خده المصرج محاقا فنهض غير مرة لتقبيله ثم خاف أعين قتيله فقعد بعد اللجاج ورجع رجوع الصادى والماء يجلى عليه فى الزجاج فقال

كيف السبيل لان اقبل خده من * أهوى وقد نامت عيون الحرس
وأصابع المنثور تومى نحونا * حسدا وتغمزنا عيون النرجس

(البنفسج) بارد رطب فيه حرارة يسيرة تتحلل بها الاورام وهو ينفع المحرور وينوم نوما معتدلا ويذهب الصداع العارض من المرة الصفراء والدم الحريف وهو وشرابه يسهل المرة الصفراء وينفع للصدر والرئة وكذلك مرباه ينفع من ذات الجنب انتهى كلام ابن المحلى فى النور (وقال) صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر البنفسج من الرياحين اللطيفة ومن الخواص الظريفة أن من أراد أن يكون البنفسج على غير سبيل الفلاحة فى المرعة أن يأخذ من السداب البستانى شيأ يكون مقداره فى القلة والكثرة بمقدار البنفسج ويكون السداب لم يصبه الماء البتة بل يقطع من منابته ويجفف حتى يزول التراب المتعلق بعروقه عند قلعه ثم يؤخذ لكل طاقة بنفسج طاقة سداب ويعمد الى أطراف مجارى الماء الى اصول البنفسج فيجعل فيها السداب ويؤخذ من أغصان خشب التين المجففة

شئ ثم يحرق الجميع على مقربة من البنفسج بحيث لا يبلغ لهب النار اليه فانه متى
فعل ذلك للبنفسج أهاجه وحمل بعد عشرين يوما من هذا الفعل (ومن عجيب)
أمره أن الانسان اذا تغوط فى مجارى الماء اليه مات وذبل وكذلك ان خرج منه
ريح فى مزرعته وحاجته ان كان ابتدأ فى توريده فانه يفسد ولا يكاد يجذب من
الماء الذى يسقى به شيأ وانه اذا دام الضباب عليه يوما أو نحوه ضعف ومتى توالى
نقصت زهرته وصغر ورقه وتغيرت رائحته ومن الاشياء المضادة له القصب فانه
لا يفلح بقربه ولا ينمو ومن آفاته المهلكة له والمضعفة لقوته لسرعة قبوله
للتأثيرات الرديئة أن تقع صاعقة على اربعمائة ذراع منه أو أقل فانه يهلك
سريعا والبرد يفسده فساد الاصلاح معه وكذلك الرعد الشديد المتتابع
يضعفه ويوهنه والسمائم أيضا تتلفه والريح الشمال الباردة والمطر الكثير
يذهب به لضعف ساقه وماء الابار الثقيل يضعفه وربما أهلكه وكذلك
الدخان اذا دام عليه ولا ينبغى أن يماسه فى منبته تراب من قبور أو ما يقرب من
القبور فان ذلك يضعفه وان أصابه أهلكه (الوصف) من رسالة لابى العلاء
عطاء بن يعقوب يصفه سماوية اللباس مسكية الانفاس واضعة رأسها
على ركبها كعاشق مهجور ينطوى على قلب مهجور كبقايا النقس فى بنان
الكاعب أو النقش فى أصابع الكاتب أو الكحل فى لحاظ الملاح
الفاترات الغانيات القاتلات لازوردية فاقت بزرقتها على اليواقيت
كأوائل النار فى أطراف كبريت (وأجاد أبو هلال العسكرى فى قوله
رحمه الله تعالى)

ومعذر قال الاله لحسنه * كن فتنة للعالمين فكانه
زعم البنفسج أنه كعذاره * حسنا فسلوا من قفاه لسانه

(وقال آخر وهو المكيال رحمة الله عليه آمين)

يا مهديا لى بنفسجا أرجا * يرتاح صدرى له وينشرح
بشرنى عاجلا مصحفه * بأن ضيق الامور ينفسح

(وأنشدنى الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه رحمه الله تعالى)

بنفسج الروض تاه عجبا * وقال طيبى للعود ضمخ
فاقبل البان فى احتفال * والزهر من غيظه تنفخ

(وقال مجير الدين بن تميم)

عاينت ورد الروض يلطم خده * ويقول وهو على البنفسج محنق
لاتقربوه وان تضوع نشره * مابينكم فهو العدو الازرق

آخر

بنفسجا جمعت أوراقه فحكت * دمعا تشرب كحلا يوم تشتيت
كأنه بين طاقات ضعفن بها * أوائل النار فى أطراف كبريت

(ويعجبنى) قول الراضى بالله وان لم يكن مما نحن فيه لكن الشئ بالشئ يذكر

قالوا الرحيل فانشبت أظفارها * فى خدها وقد اعتلقن خضابا
فظننت أن بنانها من فضة * قطفت بأرض بنفسج عنابا

حار يابس واذا غمس فى الماء اعتدل وقلت حرارته وشمه ينفع من اللقوة ويضمد به مدقوقا للسعة العقرب فيسكن وينفع المبرود الدماغ ويضر المحرور انتهى كلام العنبرى (وذكر) الشيخ جمال الدين بن نباتة فى كتابه شرح العيون فى شرح رسالة بن زيدون عند ذكر كسرى أنوشروان أنه كان جالسا بالايوان واذا بحية قد دنت من عش حمامة فى بعض شرف الايوان لتأكل فراخها فرمى الحية بسهم أو ببندقة فقتلها وقال هكذا نفعل بعدو من استجار بنا فلما كان بعد أيام جاءت الحمامة بحب فى مناقرها فألقته اليه فأخذه وقال ازرعوه فنبت ريحانا لم يكن يعرفه فقال نعم ما كافأتنا به الحمامة نسأل الله الذى ألهمها أن يلهمنا الاحسان الى رعيته والشكر على نعمته (قلت) وذكر الشيخ جمال الدين ماخص به كسرى من الاشياء الغريبة فلا بأس بايراد نبذة منها اذ كان كتابنا هذا يشتمل على مآثر فمنها الفيل الابيض لركوبه طوله اثنا عشر ذراعا والقطعة الياقوت المسماة لسان الثور تضئ أكثر من السراج والفلهبد المغنى واضع العود الخراسانى على اثنى عشر وترا كل من ضرب به جرح الاهو وكان يعمل له كل يوم مع طعامه مهر من الخيل وعناق زرقاء مغذاة بألبان النعاج يذبحان بسكين من ذهب ويسجر التنور بالعود ويسمط مايسمط بالجمر المغلى ويطلى بالمسك والملح ويعلق فى سفود من ذهب ورياحين من ذهب فاذا برد حمل ووضع على خوان من ذهب ويقدم اليه فيأكل أكثره ويتحف بالبقية من

أحب من ندمائه و يكسرا لتنور ويجدد كل يوم مثـله واجتمع على بابه سبعون ملكاوكانت له حكايات حسنة فى سيرته أضربت عنها لئلا نخرج عما نحن بصدده (رجع) قال الحسن ابن سهل أربعة من الرياحين تقوى بأربعة من الطيب ليكمل ذكاؤها (الورد) بالمسك (والنرجس) بماء الورد و (البنفسج) بالعنبر (والريحان) بالعبير الوصف قال ابن المعتز

قضيب من الريحان شابه لونه * اذا مابدا فى العين لون الزمرد
فشبهته لما تأملت حسنه * عذارا تدلى فى عوارض أمرد

(قلت) وأنشدنى الشيخ عز الدين الموصلى من لفظه فى مليح معذر

بخد الحب ريحان نضير * لاسطره حروف ليس تقرى
فراعيت النظير وقلت حبى * عذارك أخضر والنفس خضرى

(وقال) مجير الدين بن تميم

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
مافيه ساع سوى الساقى وليس به * بين الندامى سوى الريحان نمام

(الآس) بارد يابس دهنه يقوى أصول الشعر ويمنع تساقطه و يطيله و يسوده وورقه اليابس ينفع صنان الابط و يطيب رائحة الجسم واذا طبخ وتمضمض بمائه قوى الاسنان واللثة و يمنع من الصداع الحاد وشمه يقوى القلب المحرور ويزيل خفقانه وينفع حبه من الاسهال و يقوى المعدة انتهى كلام العنترى فى النور المجتنى (وقال) صاحب المناهج انه يتصرف فى أشياء كثيرة عظيمة النفع حبه وورقه وقوته البرودة فى الاولى وحبه نافع من الخفقان وضعف القلب وهو بجملته قاطع للاسهال المتولد من الصفراء ومن ابتلع من ورقه من الخمسة الى السبعة ورقات فانه يقوى المعدة و ينقى مافيها و يحلل رياحها وأما حبه فانه لما فيه من الحلاوة واللطافة ينفع للسعال العارض من الحرارة من غير اضرار بالصدر والرئة ولما فيه من العفوصة يقطع نفث الدم وحرقة المثانة وينفع الاسهال المزمن وماؤه اذا غسل به الشعر حسنه وقواه من الانتثار وشد أصله وينفع من الابرية والقروح الرطبة واذا جفف الورق ودق ونخل وجعل على الآباط والافخاذ الندية قطع نداوتها ومنع عرقها وعن ابن عباس رضى الله عنه قال اهبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء منها الآسة وهى سيدة

ريحان الدنيا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والحسين بكاتي يديه وردة ان الورد سيد رياحين أهل الجنة ما خلا الآس وهو باليونانية المرسين (الوصف)

خليليّ ما للآس يعبق نشره * اذا هب أنفاس الرياح العواطر
حكى لونه أصداغ ريم معذر * وصورته آذان خيل نوافر

(وما ألطف) ما ألمّ به الشيخ شمس الدين بن الصائغ في قوله

خط آس العذار في الخد لاما * عرفتني سفاهة اللوام
أنا في كسرة لبعدي عنها * جبرمثلي بالآس أو باللام

وقال آخر فاغرب

أعجب بآس معجب مؤنق * يعجب منه أي اعجاب
كأنما تقطيع أوراقه * ما بيننا أنصل نشاب

(قلت) في البيت الاول عجمات كثيرة ولكنه أصاب الغرض في الثاني ويمكن أن يقول أحبب بآس أخضر مؤنق (الياسمين) حار يابس في آخر الدرجة الثالثة نافع من الرطوبة والبلغم صالح للمشايخ ومن كان بارد المزاج ومن الصداع العارض من البلغم والمرة السوداء وعفونة البلغم وكثرة شمه تورث الصفار يفعل ذلك في الحار المزاج ودهنه ينفع من أمراض العصب الباردة والخالص من دهنه يرعف انتهى كلام ابن المحلى (وقال) صاحب المباهج في الفلاحة اذا أردت ياسمينا أحمر اللون فانه يشق قصب الياسمين ويخرج ما فيه ويحشى مكانه بالك مسحوقا ويوضع عليه طين ويلف عليه مشاق ويغرس ويتعاهد بالسقي فانه يزهر ياسمينا أحمر والازرق بالسلح والاصفر بالزرنيخ مجرب (الوصف)

ولما خلناها سماء زبرجد * لها أنجم زهر من الزهر الغض
تناولها الجاني من الارض قاعدا * ولم أر من يجني السماء من الارض

آخر في الاصفر منه

كأنما الياسمين حين بدا * يشرق منه جوانب الكثب
عساكر الروم نازلت بلدا * وكل صلبانها من الذهب

(وقال) محيي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى

وياسمين قد بدت ازهاره لمن يصف
كمثل ثوب أخضر عليه قطن قد ندف

(الخيري) وهو المنثور حار يابس في الثانية فيه جلاء وتلطيف وينفع من السدة في الرأس من البلغم وهو دواء فائق للاورام وخاصة لما طال لبثه وعسر ويجذب المشيمة والاجنة الموتى بأن يشم دهنه وتدلك به الاخصار والمغابن وفم الرحم والخيري ألوان مختلفة أصفر ذهبي وهو أرفعها وخمرى وبنفسجي وأكحل وملمع وبياض وغير ذلك من الالوان والابيض هو أردأها والاصفر الذهبي ذكي الرائحة يشم ليلا ونهارا وأما سائر أنواعه سوا الابيض فانها لا يشم لها بالنهار رائحة مادامت الشمس طالعة فاذا غابت ظهر لهذه الالوان رائحة عجيبة عطرة مشاكلة لروائح القرنفل أو روائح ماء القرنفل المصعد بماء الورد ولا تزال روائحها تزداد طيبا الى طلوع الشمس ثم تزول تلك الحمرة والرائحة باقي النهار الى وقت المغيب وأما الابيض فلا يؤدي رائحة في ليل ولا نهار وهو أقلها نفعا وأردأها وفي أصنافه منفعتها واحدة وقد يتخذ من الاصفر منه والخمرى والبنفسجي دهن يربى بالسمسم كما تربى أدهان الازهار فينفع الاورام الباردة ويحلها ولعقد الرقاب والاعصاب المعارضة لهما وادمان شمه ينفع من اللقوة والفالج وذوى الامزجة الباردة واذا أخذ من بزر الاصفر مجففا وزن دانقين يسحق مع زهرتين من زهر القرنفل الذكر وأضيف اليهما وزن حبة من مسك أذفر خالص ووزن القرنفل من أنفحة أرنب وسحق الجميع وربت على الصلابة بالبان المبسوس بالمسك واتخذ منه فرزجات وتحملت المرأة فرزجة منها في ليلة طهرها وواقعها بعلها فانها تحمل باذن الله من تلك المواقعة وذكر جالينوس أن بزر الخيري اذا سحق مع دم هدهد ودهن زئبق واحتملته المرأة وواقعها زوجها حملت وهو من النبات الذي اذا لقطت ورده امرأة حائض فسد وذبل وهلك لخاصية فيه ولا ينبغي أن يعمل أعماله كلها امرأة ألبتة حائضا كانت أو غير حائض بل الرجال الذين أسنانهم فوق أسنان الصبيان ويطرح بزره الذي يطرحه وهو طاهر نظيف بعيد العهد بملامسة النساء ويعالج جميع أعماله والقمر زائد في الضوء وان كان متصلا بالسعود جيد المكان في الفلك كان أجود ومما يوافقه أن يذر في أصله شئ من دقاق بعر المعز بعد السقي فانه ينفعه

ويزيد فى رائحته زيادة بينة وليس يحتاج الى الشمس الحارة لانها تضعفه ولا يكثر عليه الماء اكثارا مفرطا فانه يضره انتهى كلام صاحب المباهج (الوصف) قال مجير الدين بن تميم

حاذر أصابع من ظلمت فانه * يدعو بقلب فى الدجى مكسور
فالورد ما ألقاه فى جمر الغضا * الا الدعا بأصابع المنثور

وقال متعصبا للورد

ولم أنس قول الورد لا تركنوا الى * معاهدة المنثور فهو يمين

(وقال) متعصباله على النرجس

مذ لاحظ المنثور طرف النرجس المزور قال وقوله لا يدفع
فتح عيونك فى سواى لاننى * عندى قبالة كل عين أصبع

(وقال)

ومذ قيل للمنثور انى مفضل * على حسنك الورد الجليل عن الشبه
تلون من قولى وزاد اصفراره * وفتح كفيه وأومى الى وجهه

وقال ابن حجة

رأيت مع المنثور بعض وقاحة * ولم أدر ما بين الغدير وبينه
تلون منه ثم مد أصابعا * الى وجهه عمدا وجر عينه

(وقال)

ومذ قيل للمنثور ان الورد قد * وافى على الازهار وهو أمير
بسمت ثغور الاقحوان مسرة * لقدومه وتلون المنثور

(وقال)

لما دعى المنثور ان الورد لا * يأتى وأن يصلى بنار السعير
ودت ثغور الاقحوان لوانها * كانت تعض أصابع المنثور

وأحسن التصرف الامير شهاب الدين الحاجبى فى قوله

ولقد نثرت مدامعى ودمى معا * يوم الوداع وخاطرى مكسور
لا تعجبوا لتلونى فى أدمعى * لا بدع أن يتلون المنثور

(الادريون) حاربابس منافعه أن يسحق بالخل ويطلى به داء الثعلب ينبت الشعر فيه وينفع سائر السموم لاسيما اللذوغ وقال صاحب المباهج ان

شرب من أصله خمسة دراهم مع عسل أو من أسهل اسهالا شديدا بلغما وكيموسا بائيا ويشربه أصحاب اليرقان وينبغي أن يضطجع من يشربه في بيت حار ويغطى بثياب كثيرة فانه يسيل منه عرق لونه لون المرة الصفراء والشربة منه ثلاث مثاقيل ونصف بشراب حلوى وبماء العسل وينفع شربه بالطلاء من السم القاتل ولدغ الهوام ومن عجائب خواصه أنه ان دخلت امرأة حامل بيتا فيه اذريون أسقطت وان تحملت به امرأة في فرجها ثم جامعها بعلها حملت وقال ديسقوريدس أصل بخور مريم اذا علق على المرأة منع الحبل واذا تخطته المرأة الحامل أسقطت واذا أخذ منها وهي جافة وسحق منها مثقال وسقى بماء فاتر وعسل لمن يجب أن يسهل باطنه فانه يجليه بلغما كثيرا وينقى كل ما في صدره من البلغم ويخرج ما في باطنه من الخام وان شربت منه امرأة أسهل حيضها وان أحتشت منه صوفة أسهل حيضها وهي تنزل الولد الميت ويشرب منها لعسر البول وعسر الولد ولمن سقى سما أو لدغه شئ من ذوى السموم وهي سليمة مأمونة لا يخاف منها نافعة وهي تنفع لوجع الكبد يسقى منها رطلا وعسلا وبماء فاتر وعسل وهي نافعة من السرطان ومن العقد التي تخرج في الاصابع والسلع يعمل لهم منها مرهم ثم يطلى عليها والاذريون من الاشياء الصابرة على العطش وهي كبيرة وصغيرة ونباتهما سواء فالكبيرة شجرة مريم والصغيرة اذن العجوز وزعم السلف أن الحامل اذا أمسكته بيديها مطبقة احداهما على الاخرى ان الجنين يناله ضرر شديد فان أدامت امساكه واشتمامه أسقطت وان عسرت الولادة على الحامل فلتمسكه بيديها كما وصفنا فانها ترمي الولد سريعا واذا بخر به هرب الفار والوزغ من الموضع الذي يبخر فيه وفيه منافع جمة اختصرناها (الوصف) قال الصنوبرى

كأن آذريونها من فوق تلك القضب

خيام مسك فوقها سرادق من ذهب

وقال ابن المعتز وأجاد

كأن أذريونها والشمس فيه كاليه * مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه

قال ابن حجة في الاذريون

كأن أذريونها ونوره قد أبهجا * وبيض برق لامع في جنح ليل قد دجا

(السوسن) بضم السين لحن والصواب بالفتح وزن جوهر وكوثر ولم يسمع بالضم الاجوذر وهو حار يابس فى أول الدرجة الثانية ينفع من كان بارد المزاج ومن الاوجاع المعارضة فى العصب من البلغم ودهنه نافع من وجع العصب المتولد من البلغم ووجع الرحم والاسمانجوى أقل حرارة وأصل الاسمانجوى يسهل الماء الاصفر الشربة منه مثقال انتهى كلام صاحب النور (الوصف) قال أبو نواس رحمه الله تعالى

سقيا الارض اذا ماغنت نبهنى * على الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها فى كل شارفة * على الميادين اذناب الطواويس

قال ابن حجة فى السوسن

بدا سوسن الروض المديج أزرقا * وأصفر يعلو طوله فوق مبيض
كأن الربا أرخت ذيول غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

(الينوفر) وهو أزرق وأصفر وأحمر وأبيض وجميع أصنافه باردة رطبة منوم مخدر للدماغ أقوى فعلا من البنفسج فى التنويم والتبريد وينفع الصدر والرئة فى الامراض الحارة ويزيل الصداع وكثرة شمه تزيل الاحتلام ويقطع شهوة الباه لاسيما ان شرب منه فانه يجمد المنى لخاصية فيه لاسيما أصله وبزره وشرابه ودهنه نافعات لامراض الرأس من حرارة انتهى كلام ابن المحلى (الوصف) قال ابن صابر

ياحبذا بركة نيلوفر * قد جمعت من كل فن عجيب
أزرق فى أحمر فى أبيض * كقرصة فى صحن خد الحبيب
كأنه يعشق شمس الضحى * فانظره فى الصبح وعند المغيب
اذا تجلت يتجلى لها * حتى اذا غاب سناها يغيب
يدنو اليها شاخصا طرفه * ولا يخاشى نظرات الرقيب
لا يبتغى وجها سوى وجهها * فعل محب مخلص فى حبيب

(وقال) ابن حمديس

اشرب على بركة نيلوفر * محمرة الاوراق خضراء
كأنما أزهارها أخرجت * ألسنة النار من الماء

(وقال) ابن تميم وأجاد

لينوفر لما تاش ماؤه * ثوبا فتاه على النجوم بثوبه
لحظته أعينها فنكس رأسه * خجلا وغاص من الحيا في ثوبه

وقال أيضا

غدا الينوفر المصفر يحكي النـــجوم فلا يغادرها شبيها
تغوص العين فيه اذا تجلى النـــهار وفي الظلام يغوص فيها

وقال أيضا

ولينوفر كالزهر شكلا ومنظرا * محاسنه فيها اللواحظ ترتع
وكل نجوم لكن الفرق بينها * تغيب صباحا وهو في الليل يطلع

وقال ابن حجة

لينوفر الليل مذ أبدى تلونه * أحمر وأزرق من ساسيناوشكا
قلنا له ذاك لون واحد وبه * يسمو وأنت بليد وهو فيه ذكا

(الباب السادس عشر في الروضات والبساتين)

أجمع جوابوا أقطار الارض على أن متنزهاتها أربعة سغد سمرقند وشعب بوان ونهر الابلة وغوطة دمشق قال أبو بكر الخوارزمي قد رأيتها كلها فكان فضل الغوطة على الثلاث كفضل الاربع على غيرهن كأنها الجنة صورت على وجه الارض فاما السغد فهو نهر تحف به قصور وبساتين وقرى مشتبكة العمائر ما مقداره اثنى عشر فرسخا في مثلها وأما شعب بوان فبقعة من نواحي كورة سابور يكون مقدارها فرسخين قد ألحقتها الاشجار ظلالها وجاست الانهار خلالها وهذا الشعب لبوان بن أبرج أفريدون وفيها يقول المتنبي

مغاني الشعب طيبا في المعاني * بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربي فيها * غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها * سليمان لسار بترجمان
غدونا ننفض الاغصان فيه * على أعرافها مثل الجمان
فسرت وقد حجبن الشمس عني * وجئن من الضياء بما كفاني
وألقى الشرق منها في ثيابي * دنانيرا تفر من البنان

اهاثم يشير اليك منه * باشربة وقفن بلا أوان
وأمواه تصل بها حصاها * صليل الحلى فى أيدى الغوانى
اذا غنى الحمام الورق فيها * أجابتها الاغانى والقيانى
ومن بالشعب أحوج من حمام * اذا غنى وناح الى البيان
وقد يتقارب الوصفان جدا * وموصوفاهما متباعدان
نقول بشعب بوّان حصانى * أعن هذا تسير الى الطعان
أبوكم آدم قدسن هذا * وعلمكم مفارقة الجنان

وأما نهر (الابلة) وهو من أعمال البصرة وطوله أربع فراسخ وعلى جانبيه بساتين كأنها بستان واحد قد خط على خط مستقيم وكأن نخله غرس فى يوم واحد (وأما الغوطة) وهى من حيز دمشق فانها ناحية يكون طولها ثلاثين ميلا وعرضها خمسة عشر ميلا مشتبكة القرى والضياع لا يكاد أن يقع للشمس على أرضها شعاع للالتفاف أشجارها واكتناف أزهارها وللشعراء فى وصفها قصائد كثيرة أضربنا عن ذكرها لتردد الملل فيما يختار منها اذ كلها حسان لو جمعت لحفيت من تسطيرها الاقلام وكلت البنان وقد روى فى بعض الاخبار عن كعب الاحبار انه قال غوطة دمشق بستان الله فى أرضه (وقال) جمال الدين بن نباتة كتبها المملوك ومنظر الروض قد شاق ودمع الغيث قد رقا ووجه الارض قد راق والغصون المنعطفة قد أرسلت أهواء القلوب بالاوراق وحمائمها المترنمة قد جذبت القلوب بالاطواق والورد قد احمر خده الوسيم وفككت أزراره من أجياد القضب أنامل النسيم وخرجت أكفه من أكمامه بأخذ البيعة على الازهار بالتقديم (وقال) مجير الدين بن تميم

كيف السبيل بلثم من أحببته * فى روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور وناظر نرجس * مع أقحوان وصفه لا يدرك
هذا يشير بأصبع وعيون ذا * ترنوا الى وثغر هذا يضحك

وقال آخر وحللنا موضع كذا فافترشنا من زهره أحسن بساط واستظللنا من شجره بأوفى رواق وطفقنا نتعاطى شموسا من أكف بدور وجسوما نارفى غلائل نور الى أن جرى ذهب الاصيل على لجين الماء ونشبت نار الشفق بفحمة

الظلماء (وقال) الشريف على ابن دفترخوان

ودوحة سكرت أغصانها بصبا * فللهوى فى معاينها اشارات
ماست فنقطها غيث بلؤلؤة * ففوق أوراقها منه جمانات
فهن فى العين هاآت مطمسة * من اللجين وان سالت فجمات

(وقال) على ابن ظافر فى منزل قد انقطفت قدود أشجاره وابسمت ثغور أزهاره وذاب كافور مائه على عنبر طيبه وامتدت بكاسات الجلنار أنامل غصونه والنسيم قد خفت واعتل وسقط رداؤه الخفاق فى الماء فابتل ووهنت قوته حتى ضعف عن السير واشتد مرضه حتى ناحت عليه نوائح الطير (نفر الترك) أندم المجنوى

الروض مقتبل الشبيبة مؤنق * خضل يكاد غضارة يتدفق
نثر الندى فيه لآ لى عقده * فالزهر منه متوج وممنطق
وارتاع من مر النسيم به ضحى * فغدت كمائم نوره تتفتق
وسرى شعاع الشمس فيه فالتقى * منها ومنه سنا شموس تشرق
فالغصن مياس القوام كأنه * نشوان يصبح بالنعيم ويغبق
والطير ينطق معربا عن شجوه * فيكاد يفهم عنه ذاك المنطق
غردا يغنى للغصون فينثنى * طربا جيوب الطل منه تشقق
والنهر لما راح وهو مسلسل * لا يستطيع الرقص ظل يصفق
فتمل أيام الربيع فانها * ريحانة الزمن الذى يستنشق

(برهان الدين) القيراطى فى دمشق سمى سهمها على قوس الكواكب وأقبلت من كتائب زهورها فى مواكب وتحرك عودها حين غنت عليه من الورق القيان وطمع يزيد ها فقلت وهذا مما يعجب أبا سفيان (وقال) سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد المخزومى المالكى الشهير بابن الدمامينى أسبغ الله عليه ظلاله يصفها عند دخوله اليها فى ثامن رمضان المعظم سنة ثمانمائة ونقلتها من خطه فتأملها المملوك فاذا هى جنة ذات ربوة وقرار معين و بلدة تبعث محاسنها الفكر على حسن الوصف وتعين وحسبك بالجامع الفارق بينها وبين سواها والانهار التى اذا ذكر قبل المحل فأجراها واذا سمع حديث الخصب فما أرواها ما أقول الامتزهات مصر عارية من المحاسن وهذه ذات

الكسوة ولا أن النيل احترق الا من الاسف حيث لم يسعده الدهر بالصعود الى تلك الربوة ولا أظنه احمر الا خجلا من صفاء أنهارها ولا ناله الكسر الا لتألمه بالانقطاع عن الوصول الى سقي أزهارها فلو رأى العاشق جبهتها لسلا بصر معشوقه ونسي ظهور جواريه المتحببة بمقامات غصونها المشوقه ولو تطاولت المجنونة الى المفاخرة لتأخرت الى خلفها متخبلة وأحجمت عن الاقدام حين تحركت لها بدمشق السلسلة وحق مصر أن لا يجري حديث المفاخرة في وهمها وأن تتقي شر المنازعة قبل أن تصاب في هذه المادة بسهمها فسقى الله منتزهاتها التي طرب المملوك برؤية حبكها وطالما اهتزت له المعاطف على السماع ورأى بها كل نهر ذاب عنه الجليد فانعقد على حلاوة شكره الاجماع تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم (وقال) البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي

هلم يا صاح الى روضة * يجلو بها العاني صداهمه
نسيمها يعثر في ذيله * وزهرها يضحك في كمه

(وقال) ابن عمار

يا ليلة بتناها في ظل أكناف النعيم
من فوق أكمام الرياض وتحت أذيال النسيم

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي في تشبيه القمر من خلال الاغصان

كأنما الاغصان لما انثنت * امام بدر التم في غيهبه
بنت مليك خلف شباكها * تفرجت منه على موكبه

(وقال) سيدنا بدر الدين محمد بن الدماميني في كتابه الذي وضعه على غيث الادب الذي انسجم في شرح لامية العجم تصنيف الشيخ صلاح الدين الصفدي وسماه كتاب نزول الغيث عند ذكر هذين البيتين (ظاهر هذه العبارة) أن الاغصان شبهت في حال انثنائها امام البدر في الدجا ببنت مليك تطل من خلف شباكها للنظر في موكب أبيها وذلك عن مظان التوجيه بمعزل ومقصوده أن البدر في حال ظهوره من خلال الاغصان المنثنية على الصفة المذكورة شبه ببنت مليك على تلك الحالة تمثيلا للهيئة الاجتماعية بشبيهها لكن لفظه لا يساعده على هذا المطلوب فانه جعل الاغصان مبتدأ وأخبر عنه بقوله بنت مليك فلم يتم له

المرادو كثيراما يقع له فى هذا قال يصف خالا على شفة

قدشبه الخال على ثغره * تشبيه من لاعنده شك
كسبجة من جوهر تضمنت * حق حقيق قفله مسك

وأين هذا من قول الطغرائى

انظر الى الجنـة فى ثغره * لاريب فى ذاك ولاشك
أما ترى فيه الرحيق الذى * ختامه من خاله مسك

على أن مقطوع الصفدى الاول مع ما فيه من العيب مأخوذ من قول ابن قرناص

وحديقة غناء ينتظم الندى * بفروعها كالدر فى الاسلاك
والبدر يشرق من خلال غصونها * مثل المليح يطل من شباك

وقدعيبت هذا البيت وشتان بين ذاك وبينه فتأمله انتهى كلام الشيخ بدر الدين وقال بعضهم وأحسن

نحن فى عب سماء أقلعت بعد الارتواء وأقشعت عند الاستغناء والنبت خضل ممطور والنقع ساكن محصور رش جبين النسيم وابتل جناح الهوى وضربت خيمة الغمام واغرورقت مقلة السماء وقام خطيب الرعد ونبض عرق البرق (وقال) ابن الساعاتى (توفى سنة أربع وستمائة بالقاهرة وعمره احدى وخمسون سنة)

ولقد نزلت بروضة عبقية * رتعت نواظرنا بها والانفس
فظللت أعجب حيث يحلف صاحبى * والمسك من نفحاتها يتنفس
ماالدوح الاجوهر والجوالا * عنبر والارض الاسندس
سفرت شقائقها فهم الاقحوا * ن بلثمها فرنا اليها النرجس
فكأن ذا خد وذا ثغر تحا * وله وذا أبدا عيون تحرس

بدر الدين بن يوسف بن لؤلؤ الذهبى رحمه الله تعالى

وحديقة مطلولة باكرتها * والشمس ترشف ريق ازهار الربا
يتكسر الماء الزلال على الحصا * واذا غدا بين الرياض تشعبا

(وقال)

باكر الى الروضة نستجلها * فثغرها ياصاح بسام

والنرجس الغض اعتراه الحيا * فغض طرفا فيه أسقام
والغصن فيها ألف قد بدا * والنهر في أرجائها لام
وبلبل الدوح فصيحا على * الايكة والشحرور تمتام

صفوان بن ادريس (توفي سنة ٩٨ رحمه الله تعالى)

جاد الربا من بانة الجرعاء * نوآن من دمعي وغيم سماء
ياليت شعري والزمان منقل * والدهر ناسخ شدة برخاء
هل نلتقي في روضة موشية * خفاقة الاغصان والافياء
وننال فيه من تألفنا ملوما * فيه سخنة أعين الرقباء
في حيث أطلعت الغصون سوالفا * قد قلدت بلآلئ الانداء
وجرت ثغور الياسمين فقبلت * عني عذار الآسة الميساء
والورد في شط الخليج كأنه * رمد ألم بمقلة زرقاء
وكأن غض الزهر في خضر الربا * زهر النجوم تلوح في الخضراء
وكأنما جاء النسيم مبشرا * للروض يخبره بطول نواء
فكساه خلعة طيبة ورمى له * بدراهم الازهار رمي سخاء
وكأنما احتقر الصنيع فبادرت * بالعذر عنه نغمة الورقاء
والغصن يرقص في حلى أوراقه * كالخود في موشية خضراء
واجتر ثغر الاقحوان بما رأى * طربا وقهقه منه جرى الماء
أفديه من أنس تصرم وانقضى * فكأنه قد كان في الاغفاء

(ونقلت) من خط سيدنا ومولانا بدر الدين محمد بن الدماميني هذا اللغز وكتب به الى بعض الفضلاء الثغر المحروس ماقول مولانا أبقاه الله تعالى وضاعف اقباله ووالى في ذات ينعم بها الجاني وتطرب في مرابعها الالحان المغنية عن المثالث والمثاني خرساء لاتعرف حديث الادب المأثور وطالما تأملها الكاتب فوجد بها السجع والمنثور عيونها تذبل اذا شربت وأعطافها ترقص اذا طربت طالما تحركت بها السواكن وهاجت البلابل ونهر من سأل عنها فاستعذب نهرها السائل وروى منها عن الزهري حديث حسن ولم يعزاليها مع ذلك براعة ولا لسن ورمقت الاعين خدودها وودت الانفس على الحالين ورودها استحسنت الخواطر حديثا راويها اذا اعتل واستروحت لنفسه

له وكتب الخ
أمل معناه
-ى تظهر
اسمة

الطيب اذا اختل ان عرف لفظها كان علما المحل لا يطرقه محل ولا ينكر تأنيثه فحل يحدث المصري بحلاوته ويخبر بلفظه وطلاوته قد سهر من قديم تألفه البسطه وجهل السكر على انه مازال يقول بالنقطه يعرف المعشوق وآثاره وينال من المشتهى أمانيه وأوطاره وتوطأ فيحمد حمله الانعال وتقف عنده الجواري على الارجل فلا تود الانتقال وينشد من شغف بمعانيه وبعث طرفه لتأمل مغانيه وكتب اذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر والافعلم على جملة يعرفها الطالب ويحسن ارتكاب المهالك لينيل مافيها من المطالب قد فتحت لارباب المقاصد أبوابها ومنحت الافهام الضالة هديها وصوابها وصحت بما اشتملت عليه من العلل ونسخت مع انها أحكمت بالسلامة على الخلل

وقد بسقت منها الفروع وأثمرت * الى أن جنا منها الورى ثمر العليا
وفي وصفها يبدو الطباق فضدها * يموت بها غما وصاحبها يحيي

(الوزير بن عمار)

وليل لنا بالسد بين معاطف * من النهر ينساب انسياب الاراقم
بحيث اتخذنا الروض جارا تزورنا * هداياه في أيدي الرياح البواسم
تبلغنا أنفاسه فنردها * بأعطر أنفاس وأزكى المباسم
تسير الينا ثم عنا كأنها * حواسد تمشي بيننا بالنمائم

(وقال) القاضي بدر الدين بن الدماميني لنفسه رحمه الله

يقول مصاحبي والروض زاه * وقد بسط الربيع بساط زهري
تعال نباكر الروض المفدا * وقم نسعى الى ورد ونسري

(وقال) أبو جعفر ابن الشعري (توفي سنة احدى وثلاثين وستمائة)

ياهل ترى أظرف من يومنا * قلد جيد الافق طوق العقيق
وأنطق الورق بعيدانها * مرقصة كل قضيب وريق
والشمس لا تشرب خمر الندى * في الروض الا بكؤس الشقيق

وقال بعضهم

في روضة علم أغصانها * أهل الهوى العذري كيف العناق
هبت بها ريح الصبا سحرة * فالتفت الاشجار ساقا بساق

(وقال) الشيخ عز الدين الموصلي ونقلتها من خطه رحمه الله تعالى

منابر الدوح فيها الورق قد سجعت * فمالت القضب للألحان واستمعت
وهاجها سحرا مر النسيم فذ * هب القبول الى طيب الصبوح دعت
أبدت فرادى ومثنى من عجائبها * تلك الرياض التى للحسن قد جمعت
بينا ثغور بها الزهر قد بسمت * أضحت عيونا بماء الطل قد دمعت
ومذ تلون وجه الروض قابله * نهر به أعين فى صدره دفعت

(وقال) الشيخ الفاضل الكامل يحيى بن هذيل التجيبي أبو زكريا كذا ذكره العلامة ذو الوزارتين لسان الدين محمد بن الخطيب فى تاريخه الاحاطة بتاريخ غرناطة (وذكر ان وفاته سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة)

نام طفل النبت فى حجر النعامى * لاهتزاز الطل فى مهد الخزاما
وسقى الوسمى أغصان النقا * فهوت تلثم أفواه الندامى
كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا فى وجنة الصبح لثاما
يحسب البدر محيا ثمل * قد سقته راحة الصبح مداما
حوله الزهر كؤوس قد غدت * مسكة الليل عليهن ختاما

وقال الوزير العلامة فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس تغمده الله بالرحمة يصف شجرة بشاطئ النيل المبارك بالروضة

ياسرحة الشاطئ المنساب كوثره * على اليواقيت فى أشكال حصباء
حلت عليك عزاليها السحاب اذا * نوء الثريا استهلت ذات انواء
فان تبسم فيك النور من جذل * سقاك من كل غيم كل بكائى
رجاك بالوارف المعهود منك فكم * لنا بظلالك من اهواء اهوائى
وكم نزلنا مقيلا منك ماحى الهجير * اذ حيث لامرائى لحربائى
يظل من قبل الفضفاض فى ظلل * من الغمام يقينا كل ضرائى
ياطيبة بدواء القيض عالمة * أنت الشفاء لدى الرمضا من الداء
لاصوح الدهر منك الزهر وانبجست * عليك كل هتون الودق سوداء
عصابة الشرب أموا روض زاهرة * تعزى لاكرام اخوال وآبائى
خمائل الروض منشاها ومرضعها * ضرع الغميرين من نيل وانوائى
فاستمهدت دوحها الخضل وافترشت * نجم الربا ورقت عرشا على الماء

قوله وكم نزلنا الخ هو كذلك فى الاصل ونقل بحروفه وليحرر اهـ

قريرة

قوبرة العين بالانواء باردة القلب الذى لم تنله غير سراء

مقيل ندمان بل مغنى جاثم بل * كناس أرام بل أفناء درماء

لها مطارف سجيج فصيفها * ظل يعادل فيه طيب مشتاء

قديمة العهد هزتها الصبا فصبت * فهى العجوز تهادى هدى رهاء

لا يدرك الطرف أقصاها على كلك * حتى تعود له لحظات حولاء

وصوت بلبلها الراقى ذرى غصن * بحلة من دمقس الريش دكناء

كقرع ناقوس ديرى على شرف * مسبح فى سواد الليل دعاء

خليفة حين أجنيت الضلوع على * نار بشجوى بها لاحب لمياء

تحكمت بى فلم تجنى أضالعها * على الهواء وأجنتها على الماء

بديعة الحسن قد فاز الجناس لها * من المعانى بأفنان وأفياء

وقام عنها لسان الزهر ينشدنا * للهو كم أرج ما بين ارجاء

كم صفق الموج من أزهارها طربا * فنقطته ببيضاء وصفراء

وكم طربت لما أبدته من ملح * يصبو له كل ذى عقل وآراء

وجدت بالتبر من مالى ومن أدبى * فكنت فى كل حال منهما الطاء

كأنها من جنان الخلد قد كملت * حسنا وحسبك من خضراء العاء

كأن أغصانها اللدن الرشاق اذا * هصرت أفنانها أعطاف وطفاء

كأن صمغتها الحمرا بقشرتها الدكناء قرص على أعكان سمراء

كأنها فوق دعص الموج اذ سفحت * هضابه سفح وادرب أفياء

مالت على النهر اذ جاش الخرير به * كأنها أذن مالت لاصغاء

كأنما النهر مرآة وقد عكفت * عليه تدهش فى حسن ولألاء

ذو شاطئ راق غب القطر فهو على * نهر الابلة يزرى أى ازراء

كأنه عند تفريك النسيم له * فرند سيف نضته كف جلاء

كأنه شبك من لؤلؤ نظمت * أو جوهر السن أو تحليل رقشاء

كأنه حين يهدى زرقة وصفا * رقراق عين بوجه الارض شهلاء

وكم شدتنا حمامات الاراك على * أغصانها فأرتنا رقص هيفاء

من كل ورقاء فى الافنان صادحة * بين الحدائق فى فيحاء زهراء

ورق تغنت بحيات رقين على * عيدانها فاله فى مغنا وغناء

باكرتها في سراة من أصاحبنا * لاينطوون على حقد وشحناء
تداعبوا بمعاني شعرهم فأروا * ود الاحبة في ألفاظ أعداء
من شيخ مجنون في شباب فتى * يقري المجون بقلب غير نساء
يسعى اليها على جرداء جارية * من ايكها كهلال الافق حدباء
نوحية الصنع في الاحكام منشأة * تسير ماسيرت من غير اعياء
سوداء تحكي على الماء المصندل شا * مة على شفة كالشهد لعساء
ساجية ألبستها الصانعون لها * من التدابيج ماتزهو بصنعاء
غريبة ذات ألوان وأجنحة * لم أدر تعزى لروض أو لعنقاء
لم يستطع شاوها اذ سيرها عنق * عز الجياد على كد وانضاء
كم قد نعمنا بها عيشا بصافية * شمطاء تجلى على الخلاء عذراء
مما تخيرها كسرى وأودعها * رب الخورنق في قوراء جوفاء
واما اذا ركع الابريق يمزجها * سمعت من صوته تسبيح فأفاء
أم السرور التي أبقى الزمان بها * جزؤ الحياة وقد ألوى بأجزاء
فعاطنيها على طل الندى سحرا * فان ترشافها موتى واحياء
واستجلها بنت مصر تستطيل على * بغداد والموصل الحدبا وسوراء
كم بين من قام معتل النسيم بها * على اعتدال وحدباء وزوراء
من كل ظبي وشاد أو وشادية * تشدو لنا بين صوت العود والناء
على الحدائق لا الآكام تنفحنا * ريح البنفسج لا نشر الخزاماء
أما أنا لست نواحا على طلل * ولا خليط ولا نداب أحياء
تركته لاناس كالتيوس غذوا * عن المدام بدر الابل والشاء
يعزون للشعر لكن من جهالتهم * لم يفرقوا بين ايطاء واقواء
من كل ألكن عند البحث منقطع * كأنه واصل والشعر كالزاء

(وقال) الشيخ برهان الدين القيراطي

أشتاق في وادي دمشق معهدا * كل الجمال الى حماه ينسب
مافيه الا روضة أو جوسق * أو جدول أو بلبل أو ربرب
وكأن ذاك النهر فيه معصم * بيد النسيم منقش ومكتب
واذا تكسر ماؤه أبصرته * في الحال بين رياضه يتشعب

وشاهدت

وشدت على العيدان ورق أطربت * بغنائها من غاب عنه المطرب
فالورق تشدوا والنسيم مشبب * والنهر يسقى والحدائق تشرب
وضياعها ضاع النسيم بها فكم * أضحى له من بيننا متطلب
وخلت بقلبي من عسالة حبه * فيها لارباب الخلاعة ملعب
ولكم طربت على السماع بجنكها * وغدا بربوتها اللسان يشبب
فمتى أزور معالما أبوابها * بسماحها كتب الكرام تبوب

(وقال) ابن ظافر في بدائع البداية اجتمع الوزير أبو بكر ابن القبطرنة والاديب أبو العباس ابن صارة في يوم جلا ذهب برقه وأذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فقال ابن صارة

هذى البسيطة كاعب ابرادها * حلل الربيع وحليها النوار

(فقال) ابن القبطرنة

فكأن هذا الجو فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

(فقال) ابن صارة

واذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

(فقال) ابن القبطرنة

من أجل ذلة ذا وعزة هذه * تبكى الغمام وتضحك الازهار

وقال ابن تميم

لو كنت اذا نادمت من أحببته * في روضة تسبي العقول وتفتن
لرأيتها وعيونها من غيرة * مني تفيض ووجهها يتلوّن

(وقال) محيي الدين بن عبد الظاهر

والاغصان قد اخضر نبات عارضها ودنانير الازهار ودراهمها وقد تهيأت لتسليم قابضها والمنثور وقد نظمت قلائده وصيغت رلائده والحور وقد جاوز السهى بالبشائر والسرور قد كشف عن سوقها وقالت لها تلك الغدران بهديرها انه صرح ممرد من قوارير والسوسان وقد لاحظ جفنه الوسنان والورد وقد ورد والبان وقد بان (وقال) الشيخ عز الدين الموصلي ونقلتها من خطه رحمه الله تعالى

وروضة نقشتها للحيا ابر * فأصبحت بين تطريز وتزهير
مثل السوار لها سور أحاط بها * من سلسل هي منه ذات تسوير
أو كالخلاخيل للادواح دار على * سوق لها مطلقا في زي مأسور
تحت الغياض رياض دبجت فبدت * ألوانها ذات تشهير وتشذير
أغصانها الند والاوراق سوسنه * والزهر عرق ياقوتا ببلوري
والزهر بين شعاع الشمس تحسبه * دراهما نثرت بين الدنانير
والظل ثوب اذا مر النسيم به * فالروض ما بين مهتوك ومستور
ونهرها زائد بالخصب يدنينا * كصارم في سبيل الله مشهور
(وقال)
وروض نجم الزهر أصبح معجبا * فحسده من حسنه الانجم الزهر
ومذ أرجف الماء النسيم تدرعت * مزردة الاثواب من خوفها الغدر
فللروض تدبيج بالوان زهره * وللغصن من أوراقه الحال الخضر
فراع نصيرا من حنان جناسه * فحلى الضحى زهر وحلى الدجى زهر
وأغربت الالحان في الدوح ورقة * فكن قيانا دونها أسبل الستر
وأسفر للاصباح خد مورد * ومن قبله حيى بريحانة الفجر
وقال العفيف التلمساني قدس الله سره
انظر الى الاغصان في حركاتها * الشكر ها أم سكرها تتأود
فتقول أرباب البطالة ينثني * وتقول أرباب الحقيقة يسجد
وقال شهاب الدين بن دمرداش (مولده سنة ثمان وثلاثين وستمائة ووفاته سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة)
انظر الى الأشجار تلق رؤسها * شابت وطفل ثمارها ما أدركا
وعبيرها قد ضاع من أكمامها * وغدا بأذيال الصبا متمسكا
وقال برهان الدين القيراطي من قصيدة
تشوقني الفات الروض مائلة * من النسيم سكارى وهي دالات
ولي من الورق في أوراقها طربا * كأنهن على العيدان قينات
(وقال) الشيخ مجد الدين الارموي (توفي سنة احدى عشرة وسبعمائة)
كم للنسيم على الربا من نعمة * وفضيلة بين الورى لن تجحدا

مازارها وشكت اليه فاقة * الا وهزلها الشمائل بالندى

(وقال) محيي الدين ابن قرناص رحمه الله تعالى

أظن نسيم الروض والزهر قد روى * حديثا ففاحت من شذاها المسالك

وقال دنا فصل الربيع فكله * ثغور لما قال النسيم ضواحك

(وقال) الفاضل علاء الدين على بن ظافر العسقلانى فى كتابه بدائع البداية قال اجتمعت أنا والقاضى الاعز يوما فقلت له أجز

* طار نسيم الروض من وكر الزهر * فقال * وجاء مبلول الجناح بالمطر *

(قلت) الشئ بالشئ يذكر ذكرت بقول العسقلانى ما أنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ عز الدين الموصلى محاجيا

يامن له حسن لفظ يثنى عليه المثانى

ما مثل قول المحاجى أحوى الشفاه جفانى

(وذكرت) بلطف هذه الاحجية ما أنشدنيه من لفظه لنفسه سيدنا ومولانا الفاضل المفتن المحدث المؤرخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ نور الدين على الشهير بابن حجر ابقاه الله محاجيا

يا فاضلا هو فى الاحاجى ليس يخلو من ولع

ما مثل قولك للذى يبكى الحبيب اسكت رجع

(وظرف من قال)

وروضة رقصت أغصانها وشدت * أطيارها وتولى سقيها السحب

وظل شحرورها الفريد تحسبه * أسويدا زامرا مزماره ذهب

وقال ابن خفاجة فى نهر تحف به أشجار

قد رق حتى ظن درعا مفرغا * من فضة فى بردة خضراء

وغدت تحف بها الغصون كأنها * هدب تحف بمقلة زرقاء

(وقال) الرصافى فى نهر تحف به شجرة

فاتت عليه مع الظهيرة سرحة * صدئت لفيئها صفيحة مائه

فتراه أزرق فى غلالة سمرة * كالدارع استقلى بظل لوائه

(وقال) نور الدين على بن سعيد

كأنما النهر صفحة كتبت * أسطرها والنسيم ينشئها

لما أبانت عن حسن منظرها * مالت عليه الغصون تقرؤها

(وقال) بعض المغاربة وأجاد الغاية

ومنمنم الشطين أحكم صقله * كالمشرفي قد اكتسى بفرنده
فحمائل الديباج منه حمائل * متعانق فيها البهار بورده
واقد اختفى طرف له في دوحة * كالسيف رد ذبابه في غمده

(وقال) محي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله

وبطحاء في روض يروقك روضها * ولاسيما ان جادغيث مبكر
تلاحظها عين تفيض بأدمع * يرقرقها منه هنالك محجر
بها فاض نهر من لجين كأنه * صفائح أضحت بالنجوم تسمر
كأن حصاها اذ بدا فيه أحمر * وأبيض دمع في خدود ينثر
والا فسرد بالظلال مسهم * والا فطرس بالتجعد يسطر
ومالاح في جنبيه نبت وانما * تبدا عذارا منه في الخد أخضر
وكم غازلته للغزالة مقلة * تسارق أوراق الغصون فتنظر
وتبصر منه كل حسن فينبري * حياء لديه وجهها وهو أصفر
اذا فاخرته الريح ولت عليلة * بأذيال كثبان الربى تتعثر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا * به الروض يحيي وهو لاشك جعفر

(وقال) علي بن ظافر مررت أنا والقاضي الاعز رحمه الله تعالى بساقية تتلوى تلوي الافعوان * وتخفق خفقان قلب الجبان * والزهر قد نظم بامتها عقود فوق أثوابها الممسكة والنسيم يكسوها ويسلبها غلائل معركة فقلت

* أساقية أم أرقم فرهاربا * (فقال) * أم الريح قد هزت من الماء قاضبا *

(فقلت)

حصا مثل در الثغر أجرى زلاله * رضابا وأبدى نبته النضر شاربا

(فقال)

يوشحها زهر الرياض قلائدا * ويلبسها مر الرياح جلاببا

(وقال) الاديب أبو اسحق ابراهيم بن خفاجة

ورشحة رياتها تهابها الصبا * تهادى عطف المترف المتخرر
وقد صقلت من صفحة الماء منصلا * به من شعاع الشمس رونق جوهر

فمن شبك قد حيك حولك مفاضة * ومن سمك قد صيغ صيغة خنجر
وقد نظرت شمس الاصيل الى الربا * بأضعف من طرف المريب وأفتر
ولاح على بلورة من غديره * شعاع شراب للعشية أصفر
وصفرة مسواك الاصيل تروقني * على لعس من مسقط الشمس أسمر
الى أن توارت بالحجاب مريضة * تلفع في ثوب من الليل أخضر
وغازلني جفن من الافق أنجل * يدير من الظلماء مقلة أحور

(ونقلت) من كتاب نزهة الابصار في نعت الفواكه والثمار تأليف الشيخ الفاضل الكامل محمد بن القاضي المنشئ البليغ ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الموصلي ولم أزل من الازهار في سؤال وجواب وأنا منصت انصات المتعجب لمفاخرات الاعجاب اذ سمعت صوت هاتفة ورقاء على بانة خضراء بلسان فصيح وقلب بفرقة الاحباب جريح وقد أوفت على غصنها الرطيب ومالت وأعلنت بما أسرته من وجد وقالت

اذ كرونا ذكرنا عهدكم * رب ذكرى قربت من نزحا
اذ كروا صبا اذا غنى بكم * شرب الدمع وعاف القدحا

يا معشر الرياحين التي يزهي حسنها على كل حين لقد جزتم حد الاكثار ولم ينج أحدكم من سقطات العثار هبوا انكم نزهة العيون وزينة الافنان والفنون فهل أنتم الاعشاش أفراخنا ومواضع أوساخنا واعواد خطبائنا وأرائك امرائنا ومهود أبنائنا وستور نسائنا رؤسكم محط أرحلنا وهاماتكم نعال أرجلنا ونحن المسجعون بحمد ربنا المثنون عليه بالالسن الناطقة والافواه العذبة الرائقة فلما سمعت كلام الحمام هممت بالانصراف من حيث أتيت لاخبر بما سمعت ورأيت اذا أقبلت غمامة تمشي لثقلها مشي الرداح ويكاد يلمسها من قام بالراح وما أظلت الاضاء البرق في جوانبها فتمثلت ليلا في صباح فلم يزل البرق يأخذ في اذهاب ردائها ويبدو نذيرا لدى أصوات ندائها وهل يلقي على الارض ما حملته في احشائها ثم قالت باذوات البكاء والنوح المفتخرات على الارائك والدوح ألستم الباكين بغير جوى الشاكين ألم الفراق من غير هوى بكم عرف الشقاق واشتهر ذكره في الآفاق قلوبكم خاشعة وعيونكم غير دامعة ومنكم عرف

اختلاف الباطن والظاهر وقد أعرب عن ذلك قول الشاعر

وهاتفة فى البان تملى غرامها * فتتلو علينا من صبابتها صحفا
ولو صدقت فيما تقول من الاسى * لما لبست طوقا ولا خضبت كفا

(ونقلت) من خط الشيخ شمس الدين محمد بن سمندار الذهبي لنفسه الكريمة (توفى قريبا من سنة خمس وثمانين وسبعمائة) وأنشدني من نظمه

سماع غناء الطير للدوح مرقص * ومن طرب بالزهر منه ينقط

(الباب السابع عشر فى آنية الراح)

الشراب فى الزجاج أحسن منه فى كل جوهر لا يفقد معه وجه النديم ولا يثقل فى اليد ولا يرتفع فى السوم وقدور الزجاج أطيب من قدور الحجارة وهى لا تصدئ ولا تندى ولا يتخللها وسخ الغمر وأوساخ الوضر وان اتسخت فالماء وحده لها جلا ومتى غسلت بالماء عادت جديدة ومن كرع فيه بشرب فكأنما يكرع فى اناء وماء وهواء وضياء (وما أحسن) رسالة سهل بن هرون يفضل الزجاج على الذهب الزجاج يجلو نورى والذهب متاع سائر والشراب فى الزجاج خير منه فى كل معدن ولا يفقد معه وجه النديم ولا يثقل اليد ولا يرفع فى السوم واسم الذهب يتطير منه ومن لونه مصيره الى اللآم وهو فاتن قاتل لمن أصابه وهو أيضا من مصائد ابليس ولذلك قالوا أهلك الرجال الاحمران والزجاج لا يحمل الوضر وهو أشبه شئ بالماء وصفته عجيبة وهى رسالة طويلة (ومن) أحسن ما قيل فى ذمه قول النظام فانه أخرجه فى كلمتين بأوجز لفظ وأتم معنى فقال سرع اليه الكسر ولا يقبل الجبر ذكر الرشيد بن الزبير فى كتابه العجائب والطرف انه وجد المنورد بن ربيعة يوم القادسية ابريق ذهب عليه ياقوت وزبرجد فلم يدر ماهو فلقيه رجل من الفرس فقال أنا أعطيك فيه عشرة آلاف دينار فعرف قيمته فذهب به الى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فباعه بمائة ألف دينار (ووجد) للوليد بن يزيد بعد مقتله جفنة بلور كأعظم ما يكون من الجفان قيل انها تسع ثلثمائة رطل ولما وقعت الفتنة بين عازم الدولة رقيب بن على و بين حاج خراسان بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة وعازم الدولة يومئذ أمير الموسم ومقدم

القافلة المصرية وكانت الهزيمة على الخراسانيين فنهبت أموالهم وأتى بعض النهابة الى عازم الدولة بزبدية فيروزج تسع وزن رطل شامى كأحسن مايكون من الزبادلا يعلم لها قيمة ودفعها عازم الدولة بعد ذلك الى الظاهر ومن الاشياء النادرة المستظرفة المتجملات فى الملابس والمجالس ماذكره الفقيه الكاتب أبو مروان عبد الملك بن بدرون فى شرحه لقصيدة الوزير عبد المجيد بن عبدون فى قصة جبلة ابن الايهم الغسانى وهو أن جبلة لطم انسانا من الناس فلما أراد الامام عمر اقادته منه فر الى هرقل وتنصر ثم ندم على تنصره فقال

تنصرت الاشراف من أجل لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفنى منها اللجاج ونخوة * فبعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى * رجعت الى القول الذى قاله عمر
وياليتنى أرعى المخاض بقفرة * وكنت أسيرا فى ربيعة أومضر
وياليت لى بالشام أدنى معيشة * أجالس قومى ذاهب السمع والبصر

ولما تنصر جبلة ولحق بهرقل صاحب القسطنطينيه أقطعه هرقل الاموال والضياع والرباع وبقى ماشاء الله ثم ان عمر رضى الله عنه بعث الى هرقل رسولا يدعوه الى الاسلام أوالى الجزية فأجاب الى الجزية فلما أراد الرسول الانصراف قال له هرقل ألقيت ابن عمك هذا الذى عندنا يعنى جبلة الذى أتانا راغبا فى ديننا قال مالقيته قال القه ثم ائتنى أعطك جواب كتابك قال الرسول فذهبت الى باب جبلة فاذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجموع مثل ماعلى باب هرقل قال الرسول فلم أزل أتلطف فى الاذن حتى أذن لى بالدخول فدخلت عليه فرأيته أصهب اللحية ذا سبال وكان عهدى به اسود اللحية فأنكرت عليه فاذا هو قد دعى بسحالة الذهب فذرها على لحيته حتى عادت سوداء وهو قاعد على سرير من قوارير قوائمه أربعة أسود من ذهب فلما عرفنى رفعنى معه على السرير فجعل يسائلنى عن المسلمين فذكرت له خيرا قلت قد أضعفوا اضعافا على ماتعرف قال وكيف تركت عمر بن الخطاب قلت بخير حال فرأيت الغم فى وجهه لماذكرت له من سلامة عمر ثم انحدر عن السرير فقال لم تأبى الكرامة التى أكرمناك بها قلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

نهى عن هذا قال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك من الدنس ولا تبال على ماقعدت فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فيه فقلت له ويحك يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله قال أبعد ما كان منى قلت نعم قد فعل رجل من بنى فزارة أكثر مما فعلت ارتد عن الاسلام فضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام فقبل ذلك منه وخلفته بالمدينة مسلما قال ذرنى من هذا ان كنت تضمن لى ان يزوجنى عمر ابنته ويولينى الامر بعده رجعت الاسلام قال فضمنت له التزويج ولم أضمن له الامر قال ثم أومى الى خادم كان على رأسه فذهب مسرعا فاذا خادم قد جاء ومعه خدم يحملون الصناديق فيها الطعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة وقال لى كل فقبضت يدى وقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الا كل فى أوانى الذهب والفضة فقال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك وكل فيما أحببت قال فأ كل فى الذهب وأ كلت فى الخلنج ثم جىء بطساس الذهب وأباريق الفضة فغسل يده فى الذهب وغسلت فى الصفر ثم أومى الى خادم بين يديه فمر مسرعا فسمعت حسا فاذا خدم معهم كراسى مرصعة بالجوهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله ثم جاءت الجوارى عليهن تيجان الذهب فقعدن عن يمينه وعن يساره على تلك الكراسى ثم جاءت جارية كأنها الشمس حسناء على رأسها تاج على ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه وفى يدها اليمنى جامة فيها مسك فتيت وجامة فى يدها اليسرى فيها ماء ورد فأومت تلك الجارية أوصفرت للطائر الذى على تاجها فطار حتى وقع فى جامة ماء الورد فاضطرب فيه ثم أومأت اليه أوصفرت فوقع على جامة المسك فتمرغ فيه ثم أومأت اليه فطار حتى نزل على تاج رأس جبلة فلم يزل يرفرف حتى نفض ما عليه فى رأسه فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت أنيابه ثم التفت الى الجوارى اللاتى عن يمينه فقال أضحكننا فاندفعن يغنين يخفق عيدانهن

لله در عصابة نادمتهم * يوما بجلق فى الزمان الاول
يسقون من ماء البريص نديمهم * راحا يصفق بالرحيق المسلسل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

قال فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال أتدرى من يقول هذا قلت لا قال حسان

ابن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أشار الى الجوارى اللاتى عن يساره فقال لهن أبكيننا فاندفعن يغنين بخفقن عيدانهن ويقلن

لمن الدار أقفرت بعمان * بين أهل اليرموك فالجان
ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهر * محلى لحادث الازمان

قال فبكى حتى سالت دموعه على لحيته فقال أتدرى من يقول هذا قلت لا قال حسان ثم أنشد الابيات التى أولها تنصرت الاشراف ثم سألنى عن حسان أحى هو قلت نعم فأمر له بكسوة ولى أيضا كذلك وأمر بمال لحسان ونوق موقرة ثم قال لى ان وجدته حيا فادفع الهدية اليه وأقره عنى السلام وان وجدته ميتا فادفعها الى أهله وانحر النوق على قبره فلما أخبرت عمر بخبره وما اشترط على وماضمنت له قال فهلا ضمنت له الامر فاذا أفاء الله به قضى الله علينا بحكمه ثم جهزنى عمر الى هرقل ثانيا وأمرنى ان أضمن له ما اشترط فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته قلت ان الشقاء سبق عليه فى أم الكتاب وذكر الحكيم موفق الدين بن أبى أصيبعة فى ترجمة الحكيم سديد الدين بن رقيعة قال ومن شعره وهو مما كتبه على كأس فى وسطه طائر على قبة مجوفة اذا قلب الماء فى الكأس دار الطائر دورانا سريعا وصفر صفيرا ومن وقف بازائه الطائر حكم عليه بالشرب فاذا شربه وترك فيه شيأ من الشراب صفر الطائر وكذلك لو شربه فى مائة مرة حتى شرب جميع ما فيه ولم يبق فيه درهم فان صفيره ينقطع والابيات هى هذه

أنا طائر فى هيئة الزرزورى * مستحسن التكوين والتصوير
فاشرب على نغمى سلاف مدامة * صرفا تنير حنادس الديجور
صفراء تلمع فى الكؤس كأنها * نار الكليم بدت بأعلى الطور
واذا تخلف فى شرابك درهم * فى الكاس تم به عليك صفيرى

(قلت) كتبت هذه الابيات لغرابة هذا الكأس وأما الشعر فانه ليس بطائل قال الثعالبى فى تحفة الارواح وموائد السرور والافراح انه كان فى الزمن القديم امرأة فى العراق تعمد الى الصينى الابيض فتصيرمنه الشمشى والاسود والسماقى والاخضر حتى لا يشك ناظر فى انه كان كذلك فى الاصل وماعلم أحد من الرجال سواها فى ذلك وأهل الخبرة بهذا النوع اذا وقع فى أيديهم

شئ من عمل هذه المرأة عرفوه (القول فى الكأس المصور) قال أبو نواس

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا * بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من خز الزقاق على الثرى * واضغاث ريحان جنى ويابس
تدار علينا الراح فى عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفى جنباتها * مها تدريها بالقسى الفوارس
فللراح مازرت عليها جيوبها * وللماء مادارت عليه القلانس

قال الجاحظ وجدنا المعانى تقلب و يؤخذ بعضها من بعض الا هذا المعنى فان الحسين ابتدعه (قلت) وضمن هذه الابيات الاديب أبو الحسين الجزار تضمينا حسنا أجاد فيه الى الغاية وهو

كتبت بها فى يوم لهو وهامتى * تمارس من أهواله ما تمارس
وعندى صحاب للمجون ترحلت * عمائمهم عن هامهم والطيالس
فللماء مازرت عليه جيوبهم * وللراح مادارت عليه القلانس
مساحب من خز الزقاق على القفا * واضغاث انطاع جنى ويابس

وقال أيضا

بنيناعلى كسرى سماء مدامة * مكللة حافاتها بنجوم
فلو رد فى كسرى ابن ساسان روحه * اذا لاصطفانى دون كل نديم

أخذه الناشى فقال

فى كأسها صور تظن لحسنها * عربا برزن من الحجال وغيدا
واذا المزاج اثارها فتقسمت * ذهبا ودرّا توءما وفريدا
فكأنهن لبسن ذاك مجاسدا * وجعلن ذا لنحورهن عقودا

وقال ابن المعتز

وساق يجعل المنديل منه * مكان حمائل السيف الطوال
غلالة خده صبغت بورد * ونون الصدغ معجمة بخال
بدا والصبح تحت الليل باد * كطرف أبلق ملقى الجلال
بكاس من زجاج فيه أسد * فرائسهن ألباب الرجال

وقال ابن قلاقس (ومولده سنة اثنين وخمسمائة ووفاته سنة سبع وستين وخمسمائة)

دارت زجاجتها وفى جنباتها * كسرى أنوشروان فى ايوانه
نخلعت عن عطفيه حلة قهوة * وشربتها فغدوت فى سلطانه

(وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدى رحمه الله تعالى

ومشمولة قد هام كسرى بكأسها * فأضحى ينادى وهو فيها مصور
وقفت لشوقى من وراء زجاجة * الى الدار من فرط الصبابة أنظر

(وقال) المرحوم فخر الدين بن مكانس رحمه الله تعالى

اذا ما أديرت فى حشا عسجدية * بها كل ذى ملك وتاج تصورا
فحسبك نيلا فى السيادة أن ترى * نديمك فى الكاسات كسرى وقيصرا

(قلت) والسبب الموجب لتصويرها ماذكره الفقيه الكاتب أبو مراون عبد الملك ابن بدرون فى شرحه لقصيدة الوزير عبد المجيد بن عبدون (وهو) ان سابور بن هرمز الملقب بذى الاكتاف لما رجع من قتال بنى تميم قصد الروم والدخول الى القسطنطينية متنكرا فاستشار قومه فحذروه التغرير بنفسه فلم يقبل قولهم وسار متنكرا الى القسطنطينيه فصادف وليمة لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام فدخل فى جملتهم وجلس على بعض موائدهم وقد كان قيصر أمر مصورا أتى عسكر سابور فصوره فلما جاء قيصر بالصور أمر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب والفضة وأتى بعض من كان على المائدة التى عليها سابور بكأس فنظر بعض الخدام الى الصورة التى على الكأس وسابور مقابل لها على المائدة فعجب من اتفاق الصورتين وتقارب الشبهين فقام الى الملك فأخبره فمثل بين يديه فسأله عن خبره فقال أنا من أساورة سابور وهربت منه لامر خفته فيه فلم يقبلوا ذلك منه وقدم الى السيف فأقر بنفسه وجعل فى جلد بقرة وتمام حكايته الى أن خلص وعاد الى ملكه فى كتاب سلوان المطاع فى السلوانة الثانية منه وهى حكاية غريبة مشتملة على أنواع من الحكم (وقال) صلاح الدين الصفدى رحمه الله تعالى

كؤوس المدام تحت الصفا * فكن لتصاويرها مبطلا
ودعها سواذج من نقشها * فاحسن ماذهبت بالطلا

(وقال) زين الدين بن الوردى رحمه الله تعالى

دع الكاس من نقشها * وصاف بصاف أحب

اذا ذهبت بالطلا * فقد طليت بالذهب

(وقال) شمس الدين بن العفيف فيما يكتب على كأس

أدور لتقبيل الثنايا ولم أزل * أجود بنفسى للندامى وأنفاسى
وأكسو أكف الشرب ثوبا مذهبا * فمن أجل هذا لقبونى بالكاسى

الشئ بالشئ يذكر قال شهاب الدين بن أبى حجلة مضمنا

يا صاح قد حضر الشراب ومنيتى * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسى العذار الخد حسنا فاسقنى * واجعل حديثك كله فى الكاس

وقال ابراهيم بن الحاج الغرناطى (ومولده سنة خمس عشرة وسبعمائة رحمه الله تعالى)

يارب كاس لم يشع شموسها * فاعجب لها جسما بغير مزاج
لما رأينا السحر من أشكالها * جلا نسبناه الى الزجاجى

(وقال) الاديب أبو بكر بن بحيرة وقد اقترح عليه حسود وصف كأس اسود فقال ارتجالا

سأشكو الى الندمان أمر زجاجة * تردت بلون حالك اللون أسحم
تصب بها شمس المدامة بيننا * فتغرب فى جنح من الليل مظلم
وتجحد أنوار الحميا بلونها * كقلب حسود جاحد يد منعم

(القول فى القدح) قال القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى وصفه تكون من جوهر مكنون وتجسد من هواء مظنون واتخذ خدر الآنية العنب وطاف به الساقى فاصبح منه فى راحة وهو فى تعب قهقه عليه الابريق فصدح وطار منه شرار المدام فقيل قدح وكتب سيدنا ومولانا بدر الدين محمد بن أبى المخزومى المالكى الشهير بابن الدمامينى فسح الله فى أجله الى سيدى الجناب المجدى فضل الله بن مكانس أدام الله عزه وذلك فى ربيع الاول سنة خمس وتسعين وسبعمائة وقد تجاسر العبد وتوقا بمكارم الاخلاق المخدومية فأهدى هذا اللغز لينعم مولانا بقبوله ويتفضل بحله عند حلوله فقال ما اسم حبيب الى النفوس شبيه بالبدر حليف للشموس ان قلب كان لقلبه من العين مكان من المناسبة وان سقط قلبه مع هذا الفعل كان ضد الاقوال الكاذبة وان صحف بعد العكس أنبأ عن الذكاه وهذا غاية الشرح وان غير ثانيا

علم رب الكلام المحرر انه دال على الطرح حسبناه مع التصحيف آلة للصيد معينة على المكر والكيد ان قلع طرفه كان مزاج باقيه قواما وان عكس كان الطرب بتصحيفه مداما وان زال أوله كان العكس عتابا لمتعاطى اثمه وان صحف اشتاقت الشفاة الى تقبيله ولثمه وربما كان الهزل عن تصحيفه الآخر منافيا لاسمه مباينا فى الحقيقة لحده ورسمه والمملوك يسأل الصفح عن هذا الهذيان والامتنان بالجواب مع شئ من نظم المقر الصاحبي للوالدى وشئ من نثره ليحلى المملوك بعقوده جيد تذكرته ويتأنس بحسنه الغريب فى زمن غربته فكل غريب للغريب نسيب ومدح مولانا أجل من أن يحيطه قلم العبد أو لسانه أو يحصره بيان الاديب أو بنانه ونسأل الله تعالى أن يمتع ببقائه ويعلى درجات ارتقائه بمنه وكرمه فكتب الجواب يقبل الارض التى أطالت بالجفا حرمانه وتداركته بعد اجراء دموعه فعظمت فى الحالتين منها شانه وانتهى الى اللغز الذى يمتع بجعله ويشرب بقدحه فابتهل شكرا ومالت أعطافه بالقدح الفارغ سكرا فوجده كما قال حبيب الى النفوس يجتهد فى التوصل بمجاراته الى الرؤس يأتيك بالمعنى اللطيف ويقف حذقك من تصحيفه بعد العكس بين تصحيف وتحريف فلله من ساعته وقابل شمسه المنيرة بذبالته وكتب قرينه لغزا وخالف نفسه اذ قالت لا تتعبنى فى مجاراة هذا الجواد لزا وقد ذكرته أولا فى باب الرياحين وقال القاضى التنوخى رحمه الله تعالى

وراح من الشمس مخلوقة * بدت لك فى قدح من نهارى
هواء ولكنه جامد * وماء ولكنه غير جارى
اذا ما تأملتها وهى فيه * تاملت نورا محيطا بنارى
فهذا النهاية فى الابيضاض * وهذا النهاية فى الاحمرار
كأن المدير لها باليمين * اذا قام للسقى أو باليسار
تدرع ثوبا من الياسمين * له فرد كم من الجلنار

وقال النصير الحمامى رحمه الله تعالى

أصبحت من أغنى الورى * مستبشرا بالقدح
عندى خمر ذهب * أكلتها بالقدح

وأنشدني سيدي وأخي تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي لنفسه مضمنا رحمه الله

أرى طير أقداحنا ناشحا * يحوم على عذب ورد القدح
فقلت لذا الحباب اجتهد * ومد الشباك وصد من سبح

وقال ابن تميم

يا حسنه قدح يضيء زجاجه * ليل الهموم اذا ادلهم وعسعسا
أهديته مثل النهار فان حوى * صرف المدام غدا نهارا أشمسا

(الابريق) قال ابن المعتز

وكأن ابريق المدامة بيننا * ظبي على شرف أناف مدلها
لما استحثه السقاة حنى لها * فبكى على قدح النديم وقهقها

وقال ابراهيم بن اسحق الموصلي رحمة الله عليه

كأن أباريق المدام لديهم * ظباء بأعلى الرقمتين قيام
وقد شربوا حتى كأن رقابهم * من اللين لم تخلق لهن عظام

صاعد اللغوي

كأن ابريقنا والراح في فمه * طير تناول ياقوتا بمنقار

السري الرفاء الموصلي رحمة الله عليه

ابريقنا عاكف على قدح * تخاله الام ترضع الولدا
أو عابدا من بني المجوس اذا * توهم الكاس سرعة له سجدا

السراج المحار (توفي سنة احدى عشرة وسبعمائة رحمة الله عليه)

يا حبذا شكل ابريق تميل له * منا القلوب وتصبو نحوه الحدق
يروق لي حين أجلوه ويعجبني * منه طلاوة ذاك الجسم والعنق
كم قد شربت به ماء الحياة ولن * ينالني منه لا غص ولا شرق
حتى غدا خجلا مما أقبله * فظل يرشح من أعطافه العرق

(الراووق) الجوبان القواس رحمه الله تعالى

ولما حكى الراووق في العين شكله * وقد عاق العنقود في سالف الدهر
تذكر عهدا بالكروم فكاه * عيون على أيام عهد الصبى تجري

وقال بدر الدين حسن المعزي رحمه الله

أعجب ما في مجلس اللهو جرى * من أدمع الراووق لما انسكبت

لم تزل البطة في قهقهة * مابيننا تضحك حتى انقلبت

وقال برهان الدين القيراطي رحمه الله

يا كرب راووقي وبطتي التي * قد قهقهت ودم المدامة يسفك

وأضعت مالي فيهما حتى غدا * هذا يصفي لي وهذا يضحك

وقال صدر الدين بن عبد الحق (توفي تقريبا سنة سبعين وسبعمائة)

أسبل الراووق لما صلبا * أدمعا لكن رأينا عجبا

بينما الراووق يبكي بدم * ضحك الابريق حتى انقلبا

وقال سيدي المقر المجدي سلمه الله تعالى وأجاد

قم واصلب الراووق واشف قلبي * منه وبلغني بذاك سؤلي

واسفك دم الزق وناد هذا * جزاء من يلعب بالعقول

وقال محمد بن العفيف في باطية وأجاد

انا المجالس والجليس أنيسه * أزهى بحسن ناضر للناظر

اصفو فاظهر ما أجن ولم يكن * في باطني شئ يخالف ظاهري

وما ألطف من قال * عجلوا عجلوا بشرب البواطي * فالصواب الصواب نيك الخواطي كان لابي الحرث خمسون دنا كان يقول انه لم يفسد فيه نبيذ قط منذ عشرين سنة فأوصى به عند موته للفضل الرقاشي وقال هذا جزاء له فانه كان كلما اجتمعنا على أمر قال قم فابدأ به (الامير صلاح الدين الاربلي) فيما يكتب على طبق تحت أقداح (توفي المذكور سنة سبع وثلاثين وستمائة ومولده سنة اثنين وسبعين وخمسمائة) رحمة الله عليه

من فرحتي بالندامى واجتماعهم * حولي وقربهم مني وايناسي

جعلت صفحة خدي تحت أخمصما * قد غادرته الندامى أسفل الكاسي

(الباب الثامن عشر فيما يستجلب بها الافراح وهو خمسة فصول)

(الفصل) الاول في من مدحها من الملوك والرؤسا

(الفصل) الثاني في تدبير استعمالها على رأي الحكماء

(الفصل) الثالث في أداب منتشيها وما يجب على مستعمليها

(الفصل) الرابع في استهدائها واستدعاء الاخوان

(الفصل) الخامس فى من وصفها من الشعراء الاعيان

(الفصل) الاول قال كسرى النبيذ صابون الهم (قلت) من هنا قول الشيخ بدر الدين البشتكى

وكنت اذا الحوادث دنستنى * فزعت الى المدامة والنديم
لاغسل بالكؤس الهم عنى * لان الخمر صابون الهموم

(وقال) أرسطاطاليس الراح كيمياء الفرح (وقال) جالنيوس الراح صديق الروح (وقال) آخر الراح درياق سم الهم قال عبد الملك بن صالح الهاشمى ماجمشت الدنيا بأظرف من النبيذ وقال الثعالبى لكل شئ سر وسر النبيذ السرور (وقال) الدنيا معشوقة ريقها الراح (وقال) الجاحظ ان النبيذ اذا غشى فى عظامك ودب فى أجرامك منحك صدق الحسن وفراغ النفس وجعلك رخى البال خلى الذرع قرير العين منشرح الصدر حسن الظن وسد عليك باب الغم وحسم عنك خاطر الهم وقيل لابى حميد الفضل بن وكيل ماتقول فى النبيذ المصفى المصفق المروق المعسل المعتق فجعل يتمطق ويقول أخاف الا اشتغل بشكر الله تعالى الكريم على نعمه فيه وكان مطيع بن اياس يقول فى النبيذ معنى فى الجنة موجود لان الله عز وجل يقول اخبارا عن أهلها الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن والنبيذ يذهب الحزن (وقيل) لابى عائشة ان فلانا لا يشرب النبيذ فقال قد طلق الدنيا ثلاثا (وقيل) للاعمش مثل ذلك فقال دعوه حتى يقتله القولنج (وقال) يزيد بن المهلب وددت لوان كأسا بألف دينار وكل منكح فى جبهة أسد فلا يشرب الاجواد ولا ينكح الاشجاع (وقال) عبد الملك للاخطل صف لى الخمر فقال أولها صداع وآخرها خمار قال فما يعجبك منهما قال ان بينهما طربة لا يعادلها ملكك وأنشأ يقول

اذا ما نديمى علنى ثم علنى * ثلاث زجاجات لهن هدير
خرجت أجر الذيل حتى كأننى * عليك أمير المؤمنين أمير

(وقال) ابقراط الخمرة صديقة الجسم والتفاحة صديقة النفس (نادرة) اجتمع محدث ونصرانى فى سفينة فصب النصرانى من ركوة كانت معه فى مشربة وشرب وصب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصرانى جعلت فداك انما هو خمر فقال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها

غلامى من يهودى وحلف أنها خمر فشربها بالجملة وقال للنصرانى أنت أحمق نحن أصحاب الحديث افنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودى والله ماشربتها الالضعف الاسناد (وقال) الجاحظ كل شئ من المأكول يكون أوله أطيب من آخره الا النبيذ فان القدح الاول ثقيل والثانى أسهل والثالث أسلس والرابع أسوغ والخامس أعذب والسادس الذى ينتهى الى غاية السرور (حكى) ان عبد الملك بن مروان امتحن اعرابيا من الشعراء فقال صف لى الخمر فاطرق الاعرابى وقال

شموس اذا شجت لدى الماء مرة * لها فى عظام الشاربين دبيب

تريك القذاء من دنها وهى دونه * لوجه أخيها فى الوجوه قطوب

(فقال) عبد الملك شربتها يا اخا العرب ووجب عليك الحد فقال ومن أين لك ذلك يا أمير المؤمنين فقال لانك وصفتها بصفتها فقال وانى قد رابنى من أمير المؤمنين ما رابه بأن يكون أيضا شربها اذ عرف انى وصفتها بصفتها فضحك منه وأحسن جائزة (نادرة) جلد مدنى فى الشراب وكان طويلا والجلاد قصيرا فقال له تقاصر لينالك السوط فقال ويلك الى أكل الفالوذج تدعونى والله لوددت انى أطول من عوج وانك أقصر من يأجوج ومأجوج (كتب) رجل الى ابن قريعة القاضى فتيا (توفى المذكور سنة سبع وستين وثلثمائة ببغداد) ما يقول القاضى أيده الله فى رجل سمى ولده مداما وكناه أبو النداما وسمى ابنته الراح وكناها ام الافراح وسمى عبده الشراب وكناه أبو الاطراب وسمى وليدته القهوه وكناها ام النشوه أينهى عن بطالته أم يؤدب على خلاعته (فكتب) تحت سؤاله لو بعث هذا لابى حنيفة لاقعده خليفه ولعقد له رايه وقاتل من تحتها من خالف رايه ولو علمنا مكانه لمسحنا أركانه فان أتبع هذه الاسماء افعالا وهذه الكنا استعمالا علمنا أنه قد أحيى دولة المجون وأقام لواء ابنة الزرجون فبايعناه وشايعناه وان تكن اسماء سماها ماله بها من سلطان خلعنا طاعته وفرقنا جماعته فنحن الى امام فعال أحوج منا الى امام قوال انظر أيدك الله الى معانى هذا النثر الذى يعجز عنه البديع والمجون الذى لا يلحقه الخليع (وقالت) دنانير جارية البرامكة من أصبح وعنده قنينة ناقصة وزبدية طباهجة بارده وتفاحة معضوضه ولم يصطبح فهو أحمق فاسد المزاج

(الفصل الثانى فى تدبير استعمالها على رأى الحكماء)

قال الشيخ الامام علاء الدين أبو الحسن بن على بن أبى الحزم القرشى المتطبب المعروف بابن النفيس تغمده الله برحمته فى الجملة الثانية فى قواعد الجبر العلى من الطب فى كتابه المشهور المعروف بالموجز عند ما ذكر تدبير المشروب ما هذا نصه وخير الشراب ما طاب طعمه وعطرت رائحته وصفى لونه واعتدل قوامه والعلامة الجيدة للشراب الجيد الخالى من الغش أنه اذا ترك المقدار القليل مدة طويلة لم يفسد وبقدر طول المدة تعرف الجودة والرقيق اللطيف أسرع اسكارا وتحللا والغليظ أبطأ اسكارا وتحللا وأدوم خمارا لكنه يسمن وخصوصا الحلو وليكن من تسديده على حذر ويختار للشباب والمحرورين الابيض الممزوج قبل شربه بمدة بكثير الماء وللمشايخ الاصفر القوى القليل المزج فان أرادوا الاغتذاء والسمن فالاحمر ودع الشيخ وما احتمله وجنبه الصبيان وعدله فى الشبان وانما يستعمل الشراب عند انحدار الغذاء من المعدة واما فى خلل الاكل أو عقيبه فضار لتنفيذه الغذاء على فجاجته على ان المعتاد به لا ينتفع باستعمال ما يعين على الهضم الا بمقدار ما يقوى على التنفيذ ومادام السرور يتزايد واللون يحسن والبشرة تلين والجلد يربو والحركة نشيطة والذهن سليما فلا تخف من افراط فان أخذ النعاس يغلب والغشيان يقوى والبدن والدماغ يثقل والذهن يتشوش والحركة تسترخى فقد وجب الترك فحينئذ يجب القىء والقىء على قليل منه ردىء لانه يغصب من البدن ما ينفعه والشرب بالاقداح الصغار خير من الكبار والتبعيد بين الاقداح لينهضم الاول قبل ورود الثانى أفضل وينبغى أن يحف مجلس الشراب بالمنظر اللذيذ من الازهار والمحبوبين من الناس والارايح اللذيذة والسماع المطرب ورفع كل ما يغم ويقبض النفس كالوسخ والصنان واللباس القذر والكمد وبعد غسل البدن والاطراف ولبس المشرف وتسريح الرأس واللحية وتقليم الاظفار وليكن المجلس مشرفا فسيحا بقرب المياه الجارية ومع الظرفاء من الاصدقاء وذلك لان الشراب يحرك قوى النفس ويثير كل الشهوات فاذا لم تجد كل قوة

مطلوبها

طلوبها تأذت وانقبضت فلا تقبل النفس على الشراب كل القبول ولا تتصرف
به التصرف الواجب فيقل نفعه وربما فسد فكان شره أكثر من نفعه
منافع الشراب منها نفسية ومنها بدنية أما النفسية فلا يمكن ان يساويه فيها غيره
وذلك كالسرور وبسط النفس وتفسيح أملها وتشجيعها وازالة البخل والغم
والفكر الفاسد وهو أنفع الاشياء للماليخوليا لتفريحه المضاد لايحاش السوداء
وتحسين الظن وتقوى ذهن قوى الدماغ لان دماغه لاينفعل عن ابخرة الشراب
المسكر بل عن حده اللطيف فيصفو ذهنه صفاء لا يصفو مثله بغيره فلذلك قوى
الدماغ لا يسكر بسرعة وبسرعة السكر وبطئه تعلم قوة الدماغ وضعفه وأما
البدنية فانها وان أمكن أن تستفاد بغيره من المعاجين والمركبات فذلك بعسر
وذلك كتحسين اللون وانارته وتبريقه واشراقه وتقوية الحرارة الغريزية
وانعاشها وانضاج الرطوبات واذلاقها وتفتيح المجارى وازالة سددها وتفتيح
المسام وتقوية الهضم وتكثير الروح وتلطيفها وانارتها واثارة الدم وتنقيته
وانضاج البلغم وتلطيفه وادرار الصفراء وترطيبها وتعديل مزاج السوداء وقمع
عادتها واخراجها ونفعه يتعلق بالقوى الطبيعية والحيوانية أكثر من القوى
النفسانية وادامته تبلد الذهن وترخى العصب وتورث الرعشة والتشنج وكثيرا
ما يموت السكران بالسكتة والصرف محرق للدم مفسد لمزاج الدماغ والكبد
والمسطار يخاف منه ذوسنطاريا بالتخمة واسهاله والسكر المتواتر يوهن قوى الدماغ
والعصب ولا بأس به فى الشهر مرتين لاراحة قوى الدماغ والفصل والبلد
الباردان يحتملان كثرة الشراب وقوته وما أمكن ترك التنقل فهو أولى لكن
المحرور قد ينتفع بالتنقل بمثل السفرجل والرمان المز والتفاح والكمثرى
والزعرور واقراص الليمون وحماض الاترج وشرابه بل يحتاج الى التنقل
باقراص الكافور كما يفعل بالمدقوقين والمبرودين بجوارش التفاح والخلنجبين
والتمر والفستق والمرطوب بالقرطامة وزيتون الماء والفستق واللوز المملوحين
والاشياء التى تبطئ بالسكر التنقل باللوز وخصوصا المزج ون لوزة تستعمل قبل
الشرب فيمنع السكر وكذلك التنقل ببزر القنبيط المملح وأكل القنبيطة
والكرنبية قبل الشراب وكذلك استعمال المدرات والثرايد الدهنية وان
أبطأت بالسكر لكنها تمنع كثرة الشرب والمسكرات بسرعة كالتنقل بجوز الطيب

ونفعه فى الشراب وكذلك العود والشيلم وورق العنب والزعفران وكل هذه تسكر مفردة وأما البنج واللفاح والشوكران والافيون فمفرط وانما يستعمل لمن يريد أن يعالجه بما لا يحتمله فى الصحو ومما يذهب رائحة الشراب الكزبرة اليابسة والرأس ودارصينى العين وأفضل ما يمزج به الشراب الماء وقد يمزج بماء لسان الثور ليزداد تفريحه وهو بذلك يسر سرورا عظيما وقد يمزج بماء الورد فيقوى المعدة والقلب أكثر وقد يمزج بأمراق الفراريج واللحم لمن غشى عليه أو ضعف وضيف عليه ان لا تطول المدة الى حيث تصل المرقة مفردة والله أعلم انتهى كلام ابن النفيس الحكيم الفاضل المؤيد محمد بن المحلى الشهير بالعنترى فى كتابه النور المجتنى من رياض الندماء واعلم ان الاكثار من الخمرة يحدث الامراض الباردة الرطبة كالسكتة والفالج واللقوة والخدر والرعشة والاسترخاء والسبات هذا لمن مزاجه مستعد للبرد فأما أصحاب المزاج الحار فانها تولد الحميات الحارة ولاسيما ان وافقها غذاء حار وفصل حار ومزاج صرف والغرض من الخمرة أن يأخذ منها اليسير بعد الطعام بثلاث ساعات ولا بأس باستعمال النشوة والسكر فى الشهر مرتين نافع وكذلك القىء كرتين فى الشهر ويجب ان لا يؤخذ الغذاء الا وقت الشهوة وبعد الرياضة ومن أراد الاستكثار من الشراب فلا يستكثر من الطعام ومن أراد أن يطول جلوسه على الشراب فلا يستكثر من الرياضة والجماع ولا يمتلئ من الطعام واذا كان الغذاء ظهرا كان الشراب عصرا ويبدأ بالاقداح الصغار أولا وأما أوقات الاجتماع عليها فيكون ذلك والقمر فى برج الزهرة أو عطارد متصلا بهما اتصالا مقبولا ويحذر ثبوت المشترى ونظره الى القمر والعاقل اذا انقطع الى الخمرة فى يوم مذموم كفى شر ذلك اليوم باشتغاله بها الا أنه يجب أن يكون خلوه مع نديم مأمون الجانب عاقلا يكفى شر ذلك اليوم ان شاء الله تعالى ومنه صفة تفاحة تسكر سريعا اذا شمت يؤخذ زعفران ومبعه وحماض ولفاح وقشور أصل اليبروح ينعم سحقه ويعجن بشراب صرف عتيق ويتخذ منه تفاحة منقشة وتشم والحرمل مفردا ومع الشراب يسكر الشارب سكرا مفرطا ومن شرب خمس سعدات أو عشرة مسحوقة لم يسكر يومه ويجب ان لا يفعل ذلك الا صاحب المزاج البارد وأما المحرور فيجعل غذاءه اذا أراد أن لا يسكر بالخل والسماق والحصرم وماء الليمون

بلحوم الدجاج والجداء والخرفان ويمتص ماء الرمان المز وأكل السمك الطرى بالخل والتنقل باللوز الحلو لاسيما ان وافق ذلك سماع مطرب أونديم يعجب (وينشد)

الخرطيبة وليس تمامها * الابطيب خلائق الجلاس

(مايقطع رائحة الشراب من الفم) فن ذلك سعد وكبابة ودارصينى بالسوية يدق ويستف منه مثقال لاسيما بعد القىء المستقصى وسف الكزبرة والنعناع ومضغ العود الرطب وكذلك السعد وأكل البصل يخفى رائحة الشراب والفوتنج النهرى اذا مضغ قطع رائحته انتهى كلام العنبرى (وقال) التيفاشى فى كتابه سرور النفس بمدارك الحواس الخمس وهو عدة مجلدات انى لما رأيت لهج الخلفاء والملوك وشغف جمهور الامم من العرب والعجم بشرب شراب العنب واختلاف مذاهبهم فى استعماله مع الاتفاق على الميل اليه على تباين نحلهم وملالهم وقد ذكر عن الاحنف بن قيس ان رجلا قال له يا أبا بحر ما ألذ الاشربة فقال له الخمر فقال كيف علمت ولم تذقها قال لانى رأيت من أحلت له لايصبر عنها ورأيت من حرمت عليه يتخطى البهائم ووجدت جل من يستعمل هذا المشروب لا يفى له خيره بشره ولايقوم نفعه بضره وذلك لجهله بوجه استعماله فان من المعلوم ان الخمر انما المقصود من شربها منفعتان احداهما للنفس بالتفريح ونفى الهموم واخراهما للبدن بحفظ صحته عليه ونفى الامراض النازلة به وتحقق عند كل من له أدنى مسكة من عقل أنها اذا استعملت على غير ماينبغى انعكست هاتان المنفعتان مضرتين فصار عوض السرور همًا وغمًا وضجرًا وسوء خلق وعوض الصحة مرضا مزمنا أو موتا فجأة حسبما نشرحه الا انه لايقتصر الامر على عكس هاتين المنفعتين فقط بل يتعدى الى مضار اخرى عظيمة ان سلمت المهجة كذهاب العقل والمال والجاه والذكر الجميل بل لا يقف الامر على ذلك بل يتعدى الضرر الى الاعقاب فان الحكماء أجمعوا قاطبة على أن مدمن الخمر لا ينجب وان أنجب كان الولد أحمق انتهى كلام التيفاشى (ونقلت) من مجموع بخط بعض الافاضل قد ذكر الحكماء والاطباء والعلماء والشعراء والفضلاء والبلغاء من مضار الخمر ومنافعها وبهجة عوارضها وطوالعها فمن ذلك قولهم الخمر يسخن الجسم ويجود الهضم ويرطب الاعضاء ويسكن القىء

والعطش اذا مزجت وتدر البول وتسهل الطبيعة وتسر النفس وتحدث النشاط والطرب والاريحة لاسيما فى الابدان المعتدلة هذا فى أخذ القصد فاذا أكثر منها أحدث ذلك السهر وورم الكبد وقلة شهوة الجماع والغذاء والنسيان والبخر والرعشة والدمع وضعف البصر والحميات واختلاط العقل والتبلد والسكتة والصرع وموت الفجأة لان الخمر تملأ الدماغ فتغمر الحرارة كما يغمر الدهن نار السراج فيطفئ انتهى

(الفصل الثالث فى آداب منتشيها وما يجب على مستعمليها)

ينبغى للمعاشر والنديم المجالس للملوك والرؤساء ان يكون نظيف الكف نقى الظفر متعاهدا التقليم والتخليل بين أصابعه وغسل يده ومعصمه فى أوقات وضوءه ومطعمه طيب المعانى عطر البشرة نظيف الوجه والشارب والانف نقى الجبين مستعملا للسنوت وأخذ السعد بالغدوات وتسريح اللحية وتنظيف الثياب وعمامته خاصة لان العين كثيرا ما تقع عليها متعطرا بالبخور والغالية والدرابر على الشعر والثياب وليجلس فى مرتبته بحسن أدب وسكون جاثيا بغير اتكاء ولا مدرجل ولا عبث بثوب ولا بلحية ولينهض بنهوض الملك ويجلس حيث يشير اليه ويدنو اذا استدناه ويجيبه اذا سأله ولا ينهض عن المائدة أولا ولا يمد يده مبتدئا ولا يلعق أصابعه و يعيدها فى الطعام ولا يغمس أنامله ولا يسرع المضغ ولا يكثر الضحك والكلام ولا يعض اللحم بأسنانه ولا يرد ما عض فى الصحفة ولا يتناول ما بين يدى غيره ولا يكثر اللقم ولا يفتت الخبز ولا يخلخل الملح ولا يلتقط الدسم بالخبز ولا يكثر من اغتراف الحبوب والامراق خوفا من أن يسيل على الثياب وينسب الى الشره وسوء الادب ولا يفسخ الدجاج بيده بعنف خوفا من الاندلاق وهو أن يكون تحت جلد الدجاجة أوفى أورا كها دسم فيطير على ثياب من بازائه بل يقطع بالسكين على تواضع ولا يعصر الزيتونة بشدة فربما طارت نواتها فأصابت وجه جليسه ولا يحمل بيده الحلوى بكثرة ولا يدخل الى فيه الطعام الحار ثم يخرجه من فيه ولا ينفخ فيه وفى المرقة ليبرد ولا يكثر شرب الماء ولا يتجشى ظاهرا ولا يتمشمش العظام ولا ينفض المخاخ ولا يعض الفواكه ان حضرت قبل الطعام ولا يمد يده الى قطعة لحم مشهورة ولا بيضة منضورة ولا

ستبوسجه مشتهاه ولا ما تقع الشهوة عليه ولا ما تسارع النفس اليه ويجب أن يجتنب الخمرة في مجالس الملوك ومن يخاف على عرضه (حكى) ان المتنبي كان يأبى شرب الخمر ويكرهه فألزمه سيف الدولة بن حمدان فشرب ذات ليلة عنده ففرطت منه فارطة بأن قبل غلاما ومازحه ثم ندم لوقته فقام وانصرف وبقي أياما لا يحضر مجلسه فأكثر بطلبه حتى حضر فأمره بالشرب فامتنع وأقسم انه لا يشرب أبدا خمرا وانشأ يقول

رأيت المدامة غلابة * تهيج للمرء أشواقه
تسيء من المرء تأديبه * ولكن تحسن أخلاقه
وبالامس مت بها موتة * وهل يشتهي الموت من ذاقه

فعفاه من الشرب واذا ألزم العاقل الشرب في مجالس الملوك فلا يشرب فان غلب لزم الصمت والسكوت وتكلفه الا أن يسأل فيرد جوابا مختصرا (وحكى) أن نصيبا كان يجالس عبد الملك بن مروان ويؤاكله ويجلس قريبا منه فألزمه بالشرب فقال يا أمير المؤمنين لست لك بقرابة ولا لي عليك يد بيضاء ولا أنا ذو حسب ونسب وانما أنا عبد أسود قربني منك أدبي وعقلي فيأبى بك أن تسلبني أدبي وعقلي الذي قربني منك فعجب منه وعفاه (وينبغي) أن لا يشربها أبدا الحمقى والسفهاء والجهال حتى يخرجون في فجورهم وسفههم وتكثر حماقتهم وقال أبو نواس رحمه الله تعالى

والخمر قد يشربها معشر * ليسوا اذا عدوا بأكفائها

وقال آخر

وقد تعرف الجهال من حلمائنا * اذا ما تعاطينا الكؤس تعاطيا
تزيد حماها السفيه سفاهة * وتترك ألباب الرجال كما هيا
وجدت أقل الناس عقلا اذا انتشى * أقلهم عقلا اذا كان صاحيا
عليك دليل من صحبت فلا يكن * جليسك من يحكي اليك المساويا

وقال آخر

على قدر عقل المرء في حال صحوه * يؤثر فيه الخمر في حال سكره
فيأخذ من عقل كثير أقله * ويأتي على العقل اليسير بأسره

قال المأمون الشراب ستر فانظر مع من تهتكه وقال الجاحظ حرم النبيذ على ثلاثة عشر

نفساعلى من فنى الخطأ واتكأ على اليمين وأكثرا كل النقل وكسر الزجاج وسرق الريحان وبل مابين يديه وطلب العشاء وقطع اللة وحبس أول قدح وأكثر الحديث وامتخط فى منديل الشراب وبات فى موضع لايحتمل المبيت ولحن المغنى ونقلت من خط الحافظ جمال الدين اليغمودى من مجاميعه المسماة بكنوز الفوائد ومعادن الفرائد ماصورته لما تقلد كسرى أنوشروان مملكته عطف على الصبوح والغبوق فكتب اليه وزيره رقعة يقول فيها ان فى أدمان الملك الشرب ضررا على الرعية والوجه تخفيف ذلك والنظر فى أمور المملكة فوقع على ظهر الرقعة اذا كانت سبلنا آمنة وسيرتنا عادلة والدنيا باستقامتنا عامره وعمالنا بالحق عامله فلم نمنع فرحة عاجله قال أبوسليمان أخطأ كسرى من وجوه أحدها أن الادمان افراط والافراط مذموم وآخر أنه جهل أن أمن السبل وعدل السيرة وعمارة الدنيا والعمل بالحق لم يوكل به الطرف الساهر ولم يحفظ بالعناية التامة ولم يحفظ بالاهتمام الجالب لدوام النظام مع أنه متى كان كذلك دب اليها النقص والنقص باب الانتقاص والانتقاص مزيل للاصل مزعزع للدعامة وآخر أن الزمان أعز من أن يبذل كله للاكل والشرب والتلذذ والتمتع فان فى تكميل النفس الناطقة باكتساب الرشد لها وابعاد الغى عنها مايستوعب أضعاف العمر فكيف اذا كان العمر قصيرا وكان مايدعو اليه الهوى كثيرا وآخر أنه ذهب عليه أن العامة والخاصة اذا وقفت على اشتهار الملك باللذات وانهماكه فى طلب الشهوات ازدرته واستهانت به وجذبت عنه بأخلاق الخنازير وأخلاق الحمير (وما) أحسن ماقال الاديب الفاضل أبوعبد الله محمد بن الرفا الرصافى من رصافة قرطبة رحمه الله تعالى وقدمر بروضة نزهة فتذكر جلوسه فيها مع رفقة له كانوا أعزاء على قلبه

سقى خمائلك الريا بأيمنها * كانت ترف بها ريحانة الادب
عن فتية نزلوا أعلى أسرتها * عفت محاسنهم الامن الكتب
محافظين على العليا وربما * هزوا السجايا قليلا بابنة العنب
حتى اذا ماقضوا من كأسها وطرا * وضاحكوها الى حد من الطرب
راحوا رواحا وقد زيدت عمائمهم * حلما ودارت على أبهى من الشهب

لا يظهر السكر حالا من ذوانيهم * الا التغاف الصبا في السن العذب

(ونقلت) من خط سيدنا ومولانا الجناب المجدي فضل الله بن المرحوم الصاحب فخر الدين بن مكانس هذه الارجوزة وسماها عمدة الحرفاء وقدوة الظرفاء من نظم والده سامحه الله تعالى

هل من فتى ظريف * معاشر حريف
يسمع من مقالى * مايبهر اللآلى
أمنحه وصيه * سارية سريه
تسير في الدياجى * كلمعة السراجى
جالبة السراء * جليلة الانباء
ماجنة خليعه * بليغة مطبوعه
رشيقة الالفاظ * تسهل للحفاظ
جادت بها القريحه * في معرض النصيحه
أنا الشفيق الناصح * أنا المجد المازح
أسلك الجماعه * في طرق الخلاعه
اجد للاكياس * عهد أبي نواس
ان تبتغى الكرامه * وتطلب السلامه
أسلك مع الناس الادب * ترمن الدهر العجب
لن لهم الخطابا * واعتمد الآدابا
تنل بها الطلابا * وتسحر الالبابا
البس حلا الخلاعه * واخلع ردا الرقاعه
ولا تطاول بنشب * ولا تفاخر بنسب
المرء ابن اليوم * والعقل زين القوم
ما أروض السياسة * لحائز الرياسة
ان شئت تلقى محسنا * فلا تقل قط أنا
وان أردت لاتهن * اذ اؤتمنت لا تخن
العز في الامانه * والكيس في الفطانه
القصد باب البركه * والخرق داعى الهلكه

لاتغضب الجليسا * لاتسخط الرئيسا
لاتصحب الخسيسا * لاتوحش الانيسا
لاتكثر العتابا * تنفر الاصحابا
فكثرة المعاتبه * تدعو الى المجانبه
وان حللت مجلسا * بين سراة رؤسا
اقصد رضا الجماعه * وكن غلام الطاعه
دار يهم باللطف * واحذروبال السخف
لاتلقين كاذبا * لاتهمل الملاعبا
قرب الندامى يلجى * للنردو الشطرنج
واختصر السؤالا * وقلل المقالا
ولا تكن معربدا * ولا بغيضا نكدا
ولا تكن مقداما * تسطو على الندامى
لاتمسك الاقداحا * تنغص الافراحا
لاتقطع الظرافه * لاتشحذ السلافه
لاتحمل الطعاما * والنقل والمداما
فذاك فى الوليمه * شناعة عظيمه
لم يرتضيها آدمى * غير وضيع عادم
وقل من الكلامى * مالاق بالمدامى
كرائق الاشعار * وطيب الاخبار
واترك كلام السفله * والنكتة المبتذله
وقالت الاكياسى * اذا أريق الكاسى
بادره بالمنديل * فى غاية التعجيل
فشملة الكرام * سفينة المدام
وان رقدت عندهم * فلا تشا كل عبدهم
فان سلمت مره * فلا تعد بامره
لاتأمنن الثانيه * فان تلك القاضيه
والدبدبون احذره حذر * فانه احدى الكبر

فيالها من فضيحه * ومحنة قبيحه
فاعلها لا يكرم * وان دوى لا يرحم
كم أسكن الترابا * ذا قسوة ذبابا
وكم فتى من ذره * أصبح مفضى الثقبه
جازوه من جنس العمل * وصار فى الخلق مثل
ليس له من آسى * كمثل بعض الناس
كفته تلك شهره * ومثلة وعبره
اياك والتطفيلا * وشامة الوبيلا
فيالها من محنة * وثلمة وهجنة
لا تقرب الطاعه * فانها دلاعه
ولا تكن مبذولا * ولا تكن ملولا
وان دعاك الاخوه * الى ارتشاف القهوه
فلا تصقع ذقنكا * ولا تزرهم بابنكا
ولا بجار الدار * ولا بشخص طارى
ولا بخل تألفه * ولا صديق تصدفه
ولا تقل لمن تحب * ضيف الكرام يصطحب
فهذه أمثال * غالبها محال
سيرها الاغراب * السادة السغاب
قد وضعوها فى الورى * طرًا بأولاد الخرا
وان حلت مشربه * مع سوقه لا كتبه
فأقلل من المدام * فى مجلس العوام
فكثرة المجون * نوع من الجنون
والامر فيه محتمل * وكل من شاء فعل
وآنو الامر الرضى * وكل مفعول مضى
فعصبة العوام * ضرب من الانعام
وان صحبت تركى * فاصبر لا كل السكك
هذا اذا تلطفا * ولم يكن فيه جفا

وان يكن ذا عربده * ونزغة منكده
يقوم للجلوس * بالسيف والدبوس
أبشر بقتل القوم * ونحس ذاك اليوم
فاقبل كلامي واعتمد * وصيتي واوص وفد
ولا تخالف تندم * ولا تعزز تقدم
فالشؤم في اللجاج * والحر لا يلاجي
فهاكها وصيه * تصحبها التحيه
يحملها الكرام * اليك والسلام

(الفصل الرابع في استهدائها واستدعاء الاخوان)

كتب ابن العميد الى بعض أصحابه يستهديه خمرا قد اغتنمت الليلة أطال الله بقاء سيدي ومولاي رقدة عين الدهر وانتهزت فرصة من فرص العمر وانتظمت مع أصحابي كالثريا فان لم تحفظ علينا ما نحن فيه من النظام باهدائي المدام عدنا كبنات نعش والسلام (وقال) جحظة البرمكي يستهدي نبيذا (توفي سنة ست وعشرين وثلثمائة رحمه الله)

قد زارني اليوم نور عيني * وكان بالامس صدّعني
وليس عندي له نبيذ * وليس يرضى بذاك مني
فجد علينا بنصف دن * بربع دن بثلث دني
لا تنكرن كدني وشحتي * فانني شاعر مغني
حالان لو خاناملكا * اذا لكدى بكل فن

(وكتب) عبد الرحيم بن أحمد القاريس خوى الى أخيه الاكبر

بلغ جمال الدين عبد الواحد * صدر الانام الماجد بن الماجد
برد الهوا زاد في قلبي الهوى * فانعم عليّ بقلب ضد البارد

(وأنشدني) الصاحب المرحوم فخر الدين بن مكانس من لفظه لنفسه

براح ورمان بعثت اليكم * وبسر وتفاح تضوّع كالند
كما حليت بكر على الشرب ناهد * مقمعة الاطراف قانية الخد

(الاستدعاء) قال بعضهم

تفضل بحق الكاس والراح والهوى * وترجيل أصداغ غدون على خد
وكن غير مأمور بجواب كأبنا * ولا توحشنا بالتعلل والوعد

ولآخر

جعلت فداك قد حضر الطعام * وضجت من تأخرك المدام
فاما جئتنا عجلا والا * أخذنا في اغتيابك والسلام

(وكتب) أحمد بن يوسف الى صديق له هذا يوم رقت حواشيه وبدت تباشير محبور فيه والمرء باخيه كبير وبمساعدته جدير وأنت قطب السرور ونظام لامور فلا تتأخر عنا فنقل ولا تتفرد منا فنذل (وقال) عبيد الله بن طاهر (توفى سنة ثلثمائة)

القدر قد هدرت والدن مبذول * والروض قد رش والريحان مبلول
وقرت العين قد جاءت بزمرها * يصيح في يدها والناي مشغول
ولا يتم لنا عيش ولا طرب * حتى نراك فانت القصد والسؤل
وكل عيش بلا راح ومسمعة * ولا نديم ولا أنس فتعليل
يوم التلاق قصير كيف طال لنا * وغيره فيه مع ابعاده طول

وقال آخر نحن في مجلس قد أبت راحته أن تصفو أو نتناولها بناك وأقسم غناؤه لا طاب ان لم تعه أذناك فاما خدود تاريخه فقد احمرت خجلا لابطائك وأما عيون نرجسه فقد حدقت تأميلا للقائك ونحن لغيبتك كعقد ذهبت واسطته وشباب قد اخذت حدته فاذا غابت شمس السماء عنا فلا بد أن تدنو شمس الارض منا فان رأيت أن تحضر لتتصل الواسطة بالعقد ونحصل بقربك في جنة الخلد فكن الينا أسرع من السهم الى مرمه والماء الى مقره (وقال) الوزير أبو القاسم بن السقاط يومنا أعزك الله يوم بقيت شمسه بقناع الغمام وذهبت طاسه بشعاع المدام ونحن في قطار الوسمى في رداء هدى ومن نضير النوار على نضائد النضار ومن نواسم الزهر في لطائم العطر ومن غرر الندمان بين زهر البستان ومن سقاة الكؤس ومعاطى المدام بين مشرقات الشموس وعواطى الارام فرأيك في مصافحة الاقمار ومنافحة الانوار واجتلاء غرر الظباء الجوارى وانقادر بالغناء الحجازى موفقا ان شاء الله تعالى وقال محمد بن أبي محمد بن الفياض كاتب سيف الدولة بن حمدان

وقد أجلتنا يومين وهذا ثالث وأعطيتنا عهدين وكنت الناكث فهل
ابتدعت ما أتيت أو كان لك عليه باعث فيا قسيم روحى ويا نسيم صبوحى
ها قد آن الغبوق الا أنه يعز بغير رشف شفتيك وكأس عينيك والله لا شربت
الا على آس عذارك وورد خديك فابر قسمى ورد الجواب من فك الى فى
وقال القاضى السعيد بن سناء الملك وقد انتظمنا انتظام الجمان واجتمعنا على
رغم أنف الزمان وعندنا فلان وما أدراك ما فلان تارة ينظر فيملأ علينا البيت
سحرا وتارة يبسم فيفرق علينا درا وقال أبو الوليد بن الحباب الشاطبى نحن فى
روض أغصانه الندماء وغمامته الصهباء فبالله الا ما كنت لروض مجلسنا
نسيما ولزهر حديثنا شميما وللجسم روحا وللطيب ريحا وبيننا عذراء زجاجتها
خدرها وحبابها ثغرها بل شقيقة حوتها كمامه أو شمس حجبتها غمامه
اذا طاف بها معصم الساقى فوردة على غصنها أو شربها مقهقهة فحمامة على فننها
طافت علينا طوفان القمر على منازل الحلول فأنت وحياتك اكليلنا وقد آن
حلولها فى الاكليل (وقال) بدر الدين بن صاحب وكتب بها الى الصاحب فخر
الدين ابن مكانس تغمدهما الله برحمته وسامحنا واياهم بمحمد وآله هل لك
بسط الله آمالك وضاعف نعمك ودلالك فى عذراء مصونه كالدرة
المكنونه فتانة مفتونه كأن على خدها فوق ورده ياسمينه مخدرة تدهش
العقول بجلاها وتغشى العيون لضوء سناها مظلومة الريق فى تشبيهها
بالضرب وفى اللثات وفى أنيابها شنب لها من ذاتها طرب يغنى عن المزامير
ولقيسية الجمال لها صرح ممرد من قوارير ضرة للشمس تلبس زى البدور
ليلين ويرطب بها عيش السرور ليلها من حسنها نهار وضوء وجهها اليد
لامسها سوار يجوز الاسم صبية الاستمتاع بكر تستخف الحليم بكشف القناع
تعصبت بالدجى طيبا وتلثمت بالصباح وتلطفت حتى مازجت الارواح كريمة
الاصل والفعال حسنة المعانى والخصال أديمها كلما يعتق يغلو وورودها
كلما مر يحلو يخلع الوقور فى حبها العذار ويطيعها بالسعد فلك اللهو المدار
ثملة المعاطف تقهقه قهقهة الرعونه كأنما خلقت نشوانة من الطينه تزداد
ثغرها طيبا فى ساعة السحر وتعرف عينها المخفية بحسن الاثر حديثها السحر
الحلال وعتيقها خلع الدلال أيامها أعياد وأوقاتها أقوات القلوب والا كباد

تطيب عيش الجلاس وتفرك أذن الوسواس من القاصرات الطرف فى كل قصر وهى على الاطلاق مليحة ذهبية العصر رومية لها بالكيمياء معرفه مع أنها بادراك المطالب متصفه فتارة تقلب الاحزان أفراحا ومرة تكال الك الذهب أقداحا نديمها يجد فى نفسه تخاييل المملكه ويكاد أن يدعى الدنيا من لؤلؤ حباتها شبكه قينة كأنما غنت الفلك فنقطتها بالنجوم قارية تخلقت بعد أن تقمصت ببياض الغيوم تجمع شمل الاحباب وتهذب الاخلاق الصعاب لو خالطها جبل لماس أو قابلها جماد لقيل انه كاس أوقات ندمائها المانسبت الى اياس ولقال لسان حالهم وفيها منافع للناس وتلطف حتى كأن راشفها سامع يطيب ويطرب وحتى يكاد يأكل بالضمير ويشرب تغايرت الاستقصاآت على شكلها النورانى وما نفثت فى خلقها الجثمانى الروحانى فلم يجد الطبر له فيها مدخلا لكن قنع منها بالتلطيخ تطفلا على أنه وارثها بالتعصيب وقل جدها للام بلا تثريب أنفاسها مسكيه وطباعها برمكيه ومكارمها حاتميه وانسانها قيصريه بكر بخاتم ربها وهى ترضع أباها من حابها فتعيد الشيخ صبيا والمشغول خليا فكأنها استعارت الارضاع من أمها التى لها ندى كالنجوم عده وتعلمت منها المكارم لما رأت أكفها بالندى ممتده غانية طعم الحياة فى ريقها وضيق الموت فى مباينتها وتطليقها لا تنزل الحوادث ساحتها ولا يعرف التعب من صافح راحتها حمراء تخلع ثوبها على الندمان بل تكاد تطبق عينها على الانسان لا ينهض البليغ بوصفها فالعجز عن ادراك لطفها ادراك لطفها (أخبرنى) الجناب المجدى سلمه الله تعالى أن والده أجاب عن هذه الرساله جوابا معجزا الى الغايه وأن مسودتها عدمت وقال أبو الحسين بن بسام ليستنهض همة نديم (توفى سنة ثلاث وثلثمائة رحمه الله)

الا بادر فلا ثان سوى ما * عهدت الكأس والبدر التمام
ولا يكسل برؤيته ضبابا * يظن به الحديقة والمدام
فان الروض ملتثم الى * ان توافيه فيحط اللثام

(وقال) الشهاب الاعزازى من موشحة أولها (توفى سنة عشر وسبعمائه)

كاس رويه * جلا علينا المديم * أم سنا مصباح

أم شمس حسن * قد توجتها النجوم * في سماء الاقداح

(ومنها)

وأجاد لنا خليـل * نراه منذ ليالي

غائبا عنا وماء الشمول * لذيذه وهو سالي

أيش منا قل يا رسول * نائبا في ظلالي

(غيره) دوحه في زبرجديه * ونم شادورنم * وبقايا راح

ويوم دجن * وقد دعاك النديم * فأجب يا صاح

(وقال) الحكيم شمس الدين بن دانيال يداعب

شمس الدين قد أبطأت عنا * لامر قل لنا ماذا الجفاء

وقلت اليوم بعد العصر تأتي * وبعد العصر يأتينا الجزاء

(ونقلت) من خط الصاحب المرحوم فخر الدين بن مكانس ما صورته كتبت الي صاحبنا الاديب الفقيه العالم الحافظ الراوية أبي حفص سراج الدين عمر السكندري الشهير بالقوصي استدعيه وفيها بعض مداعبه

الحمد لله المجيب لمن دعاه

يا ذا الذي فكره مثل اسمه يقد * فندت عنا ومامن شأنك الفند

عما اعتذارك عن هذا الصدود وما * هذا وقد ضمنا بالجيرة البلد

عافاك ربك من داء القطيعة بل * شفاك من كل داء أمره نكد

فيم التواني وشهر الصوم مقتبل * عن خمرة ضوءها في الكأس يتقد

وفتية مخلصين الود قد جبلوا * على المحبة لا حقد ولا حسد

ان ذاع وصفك في ناديهم طربوا * أوجال ذكرك فيما بينهم سجدوا

ان لم تشرف بناديهم فما شرفوا * أولم تنفق لهم آدابهم كسدوا

لم ذا هجرت بني الآداب فابدلنا * فما اعتذارك لا أهل ولا ولد

قد صرت توحشهم بعدا وان قربوا * وكنت تؤنسهم قربا وان بعدوا

تركت عشرتهم لما رغبت الى * جاه طويل عريض زانه مدد

ماهكذا تفعل الدنيا بصاحبها * فالناس بالناس والاخوان تنتقد

وبعد فاحضر فذنب العبد مغتفر * ولو تطاول من هجرانك الامد

أولا فعصبة فسق كلهم سبق * سود غلاظ شداد مالهم عدد

لهم ايور قيام طول دهرهم * من حين ادراكهم بالحسين مارقدوا
كأنهم من حديد جعوازبرا * يستوثبون فلايقواهم الاسد
من كل ابرتحك السحب هامته * يهيج كالبحر اذ يبدو له زبد
مرنفل مكعهو معضب شرس * لظهره جلونات بها عقد
مسكرج الرأس فى عرنينه شمم * معشر الدوم فى حالقومه غدد
تلك الايور تراهم فى نكورهم * كأنهم تحت فسطاط السماعمد
ومن قرى رقعتى هذى وليس يرا * عقيبه حاضرا لم ينه أحد
مولاى انى محب فاتخذ كلمى * نصيحة فعلها الخل يعتمد
بادرلنافبنو الآداب كلهم * تجمعوا من فجاج الارض واحتشدوا
وأنت أدرى بقوم ان قلوا سلقوا * بألسن مالقتلى حربها قود
فأوعدوك وان لم تأت نحوهم * فكل منحر فى الحال مايعد
لازلت ترقى على زهر النجوم علا * ماحلت الريح أقوام ومارصد

(وكتب) اليه يداعبه

يوم عليك سعيد * يبدى الهنا ويعيد
يابحر علم خضم * تأتى اليه الوفود
ياناقض الود يامن * شوقى اليه يزيد
ويا رقيق الحواشى * ماذا الجفا والصدود
ياجامع الشمل يامن * بما لديه يجود
قد غيرتك الليالى * والجاه وهو شرود
فكيف تبدى نفارا * منا ونحن عبيد
لم لا تتيه وتعلو * على الورى وتسود
وأنت خلفك قرم * كل قوى شديد
والناس شكوا وقالوا * ماشاب منه الوليد
والشعر فيك توالى * طويله والمديد
أصبحت كالبدر مراه * وهو القريب البعيد
ياأكثر الناس نحبا * قل لى لماذا العقود
وقد أتى الصوم فالمم * بنا فقربك عيد

واغتنم شفاءك واشرب * فقد أتتك السعود
واحضر الينا اذاما * وافاك دن النضيد
فعندنا ان تزرنا * ما نشتهى ونريد
راح وظبى وشاد * يشجى الانام وعود
تزوج الماء بالراح * والملاح شهود
وأنت جوهر فضل * به تحلى العقود
لازال عزمك والرأى مفلح ورشيد
يستخدم الدهر فيما تقره وتبيد
أيامه خدم وبيض والليالى سود

وقال آخر نحن قوم من شيعة الخمر نحب العتيق قد فرضنا عنايد الهم بسماع الوتر واقمنا من ناصب الغم وعدك المنتظر

(الفصل الخامس فى من وصفها من الشعراء الاعيان)

القول فى الكرمه الكرم أكرم الشجر جوهرا وأشرفها محتدا وعنصرا منافعها عظيمه وعوائدها جسيمه وثمرها زهى على جميع الثمار طيبا ومنفعه ومواد الشرب فيما يستخرج منه مستجمعه وينبغى أن يختار لها أرض معتدلة رطبه لامفرطة الرخاوة ولاصلبه ولايكثر سقيها فيصير ما يعصر منها رقيقا مائيا ولايفرط فى تعطيشها فيكون يابسا ناريا ويعتمد تزبيل أرضها باخثاء البقر فانها حافظة لما استودعته دون غيرها من الشجر وان لايغرس ما يضادها فى أقرب مواضعها ولا يلاصقها الاما يقاربها فى طبائعها فيجتنب الدفلى والدلب والخروع وما شاكلها وتجاور الورد والتفاح واللوز والخوخ وماعائلها والتفاح أشبهها به (نكتة حسنة) قال أبو مسلم الخراسانى صاحب الدعوة لسليمان بن كثير بلغنى أنك كنت فى مجلس قد جرى بين يديك فيه ذكرى فقلت اللهم سود وجهه واقطع عنقه واسقنى من دمه فقال نعم قلته ونحن فى كرم الحصرم اما نظرت اليه فاستحسن قوله وعفا عنه لسداد جوابه (القول) على ثمرها أجمع العجم والعرب على أن رأس الفاكهة التين والعنب لانهما يهديان الخصب الى الجسوم ونفذوا أنهما غذاء غير مذموم وعقيد

العنب اذا طبخ نفع من بعض الخوانيق وقطع الرطوبات المضرة بالحلوق وقد ورد فى الخبر المأثور ما هو عند أصحاب الحديث مشهور وهو كلوا الزبيب فانه يطفئ الغضب ويذهب الوصب ويشد العصب ويرضى عن الرب وأطيب العنب ما اخضر عوده وتسلسل عنقوده وتدفق ماؤه ورق لحاؤه وقل عجمه واستجلاه مستطعمه وأفضل الاشربة ما اتخذ منه وهو الخمر لما فيها من الفضائل ولما انفردت به من شريف الخصائل فالالسنة منبسطة بنشر محاسنها والمدايح مشوقة اليها من أفضل معادنها والنفوس بمحبتها كلفه والقلوب الى ما تجتنيه منها متشوفه من اعتاد شربها لم يصبر عنها ومن لم يذقها ورآها دعاه نسيمها ولونها الى الاخذ بحظ وافر منها وما أحسن قول ابن المعتز فيها

معتقة صاغ المزاج لرأسها * أكاليل در ما لمنظومها سلك
جرت حركات الدهر فوق سكونها * فذابت كذوب التبر أخلصه السبك
وأدرك منها الآخرون بقية * من الروح فى جسم أضر به النهك
وقد خفيت من صوفها فكأنها * بقايا يقين كاد يذهبه الشك

وقال القاضى الفاضل رحمة الله عليه

أيا ما ترى تصفو على الشرب أربع * وواحدة لولا سماحتها تكفى
سرور الى قلب وتبر الى يد * ونور الى عين وعطر الى أنف
ولما رأينا ياسمين حبابها * مددنا يمين القطف قبل فم الرشف

وقال القاضى مجير الدين بن عبد الظاهر

خمرة للشقيق أمست شقيقة * بنت كرم بالمكرمات خليقه
قال قوم من اطفنا هى فى الكا * س مجاز والكاس قالت حقيقه
كيف تغدو عتيقة لدنان * وهى فى قبضة الندامى رقيقه
أنتجت فرحة وجاءت بكاس * صبغت حمرة فنعم العقيقه
هى مخلوقة من الماء فاعجب * كيف نار من مزنة مخلوقه
كم تبدت بها معانى سرور * بسوى الماء لم تكن مطروقه
سلفتنا على العقول وقالت * يتولى الجناب كتب الوثيقه
جهلت همنا فهدا وشكرا * لعجوز على بنيها شفوقه

كم بكت بالدموع منها الراووق * وجاءت جيوبها مشقوقه
أتراني أعصي الهوى فيها ثم * أخشى من أن يقول الخليقه

وما أحسن قوله ملغزا في شمعة وان لم يكن مما نحن فيه لكن الشيء بالشيء يذكر بلوازمه

ومشمولة رقت وراقت فأصبحت
على الشرب تزهي حين تهدى الى الكاس
معتقة ما شمست بعد عصرها * لا ثم وكم فيها منافع للناس
ولا عصرت يوما برجل ولا لها * اذا ما أديرت من صعود الى الراس

وقال ديك الجن عبد السلام بن رعبان الحمصي (مولده سنة احدى وستين ومائة وتوفي سنة ست وثلاثين ومائتين)

بها غير معذور فداو خمارها * وصل بعشيات الغبوق ابتكارها
فقم أنت واحتث كأسها غير صاغر * ولا تسق الا خمرها وعقادها
فقام يكاد الكاس تحرق كفه * من الشمس أو من وجنتيه استعارها
ظللنا بأيدينا نتعتع روحها * فيأخذ من أقدامنا الراح ثارها
موردة من كف ظبي كأنما * تناولها من خده فأدارها

(قلت) أحسن ما ضمن هذا العجز الشيخ بدر الدين حسن العربي الشهير بالزعاري

وبي سامري مربي في عمامة * قد اكتسبت من وجنتيها احمرارها
موردة دارت بوجه كأنما * تناولها من خده فأدارها

(وقال) مجير الدين بن تميم مضمنا

لو كنت شاهدنا وقد جليت لنا * في كأسها لما انتشى الندماء
لرأيت أحسن ما يرى بزجاجة * سال النضار بها وقام الماء

(وقال) صدر الدين بن غنوم

قم نفترع بكر المدامة بكرة * في روضة حسنت وراقت منظرا
فالراح سيف قاطع لهمومنا * أو ما تراه بالحباب مجوهرا

(وقال) شرف الدين راجح الحلي

أعجب شيء رأته عيني * ما بين عود وحقق ناي
زحف سرور بجيش هم * وقتل خمر بسيف ماء

(وقال) محيي الدين المغربي طافي رأسه (مولده سنة خمس وثمانين وستمائة وتوفي سنة اثنين وستين وسبعمائة)

لم يبتدر بدر الحباب بكأسها * الا لصيد بلابل الارواح
مزجت فأنجزت الذي وعدت به * من نفخ روح اللهو في الاشباح

وقال الناشئ

صفت وأحداق نورها بزجاجها * فكأنما جعلت اناء انائها
وتكاد أن مزجت لرقة لونها * تمتاز عند مزاجها من مائها
تزداد من كرم الطباع بقدرما * تؤدي به الازمان من أجزائها

وقال البديع الهمداني قال ابن خلكان (كانت وفاته سنة ثمان وتسعين وثلثمائة مسموما بمدينة هراه)

وفتيان كأقران الثريا * على طرق من العيش الرخيم
يساقيهم من الغزلان أحوى * كأن بطرفه داء الظليم
تنادوا للمدام وعنفوني * وقالوا هاك حظك من نعيم
فقلت أخاف عقباها ولكن * أشيعكم الى باب الجحيم

وقال أبو تمام الطائي (توفي سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة) وفي وفاته ثلاثة أقاويل

وعدامة تعدو المنا لكؤوسها * حولا على السراء والضراء
راح اذا ما الراح كن مطيها * كانت مطايا الشوق في الاحشاء
صعبت وراض المزج سيئ خلقها * فتعلمت من حسن خلق الماء
حوقاء تلعب بالعقول حبابها * كتلعب الافعال بالاسماء
وضعيفة فاذا أصابت فرصة * قتلت كذلك قدرة الضعفاء

وقال أبو الحسن علي بن موسى الغرناطي ضمني وأبا يحيى الكاتب مجلس أنس فتذاكرنا ما قيل في معاقرة الشراب في المشيب فأنشدني لنفسه

لاموا على حب الصبا والكاس * لما بدا زهر المشيب براسي
والغصن أحوج ما يكون لشربه * ايان يبدو بالازاهر كاسي

ثم قال هل سمعت في هذا المعنى شيأ غيرى فقلت لا ثم أعملت حتى عملت فيه وهو معنى غريب قلت

يلومونني ان شبت في الخمر صاحة * واني اذا وافى المشيب مباحة

اذا شاب رأس الليل بالفجر قربت * له أكؤس الصهباء من خمرة الشفق

آخر

صب فى الكاس عقيق فجرى * وطفا الدر عليه فسبح
نصب الساقى على حافاتها * شبك الفضة فاصطاد الفرح

وقال أبو نواس رحمة الله عليه

يطوف بها ساق أغن يرى له * على مستدار الاذن صدغا معقربا
اذا عب فيها شارب القوم خلته * يقبل فى داج من الليل كوكبا

وقال ابن المعتز رحمة الله عليه

قد اظلم الليل يا نديمى * فاقدح لنا النار بالمدام
كأننا والورى رقود * نقبل الشمس فى الظلام

وقال ابن حمديس الصقلى رحمة الله عليه

قم هاتها من كف ذات الوشاح * فقد نعى الليل بشير الصباح
من قبل ان ترشف شمس الضحى * ريق الغوادى من ثغور الاقاح

وقال ابن رشيد رحمة الله عليه أيضا

خليل النفس لا تخلى الزجاجا * اذا بحر الدجى فى الجو ماجا
مشعشعة كأن الشمس ألقت * على ايدى السقاة به محاجا
اذا مريخها اتقد احمرارا * سكبن المشترى فيه مزاجا

وقال ابن حجاج رحمة الله عليه

ويحكم يا كهول أو شيوخ الفسق أو يا معاشر الفتيان
اشربوها خمرا مما اقتناها * آل دير القنون للقربان
بكؤس كأنها ورق النسرين فيها شقائق النعمان
اشربوها وكل اثم عليكم * ان شربتم بالرطل فى ميزان
فى ليال لو أنها دفعتنى * وسط ظهرى وقعت فى رمضان

وقال ابن سناء الملك

الكاس لم تذنب فكيف حبستها * أوحشتها من طول ما أنسيتها
لا بل هممت بشربها ورأيتها * ألقت عليك شعاعها فلبستها

وقال وجيه الدين بن الذروى

يفيض على كسرى غلالة قهوة * ويسلبه عمدا لراحة سالب
ونص على دين المجوس لهيبها * فشق الدجى عن صدره صبح راهب

وقال القاضى الفاضل رحمه الله

يلوح عليها خجلة اذ أدارها * فمن عرق يبدو الحباب لذى المزج
أتانى بها والصبح من تحت ذيله * كما استل سيف أو كما ابتسم الزنجى
حبيب كأن كأسه من صبابتى * فظاهرها برد يرزع على وهجى

وقال أبو نواس رحمة الله عليه

وخمار الحب عليه ليلا * قلائص قد تعبن من السفار
فترجم والكرى فى مقلتيه * كمخمور شكى ألم الخمارى
أبن لى كيف صرت الى حريمى * وجفن الليل مكتحل نقار
فقلت له ترفق بى فانى * رأيت الصبح فى خال الديار
فكان جوابه أن قال كلا * وهل صبح سوى ضوء العقار
وقام الى الدنان فسد فاها * فعاد والليل منسدل الازار

وقال آخر

جلوها على الندمان فاحمر وجهها * بخجلتها عند البروز من الخدر
وألقوا عليها الماء فاصفر لونها * وتحسن عند الملتقى وجل البكر

وقال يزيد بن معاوية

ولى وله اذا الكاسات دارت * رقاسحر ابحل عرى الهموم
محادثة ألذ من الامانى * وأبث جوى أرق من النسيم

وقال البحترى رحمة الله عليه

تخفى الزجاجة لونها فكأنها * فى الكف قائمة بغير اناء
ولها نسيم كالرياض تنفست * فى أوجه الارواح والانداء
وفواقع مثل الدموع تحدرت * فى صحن خد الكاعب الحسناء

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى ملغزا فى مدام

وما شئ حشاه فيه داء * وأوله وآخره سواء
اذا ما زال آخره فجمع * يكون الحد فيه والمضاء
وان أهملت أوله ففعل * له بالرفع والنصب اعتناء

وله

حبذناها مشعشعة تلالا * وثوب الليل فضفاض الذيول
فنحسبها اذا الساقي جلاها * تعتش بالمراح على العقول

ولآخر

أدير بلحيتي البيضاء كأسي * بكيس زائد مني وفطنه
ألم يرنى وعفو الله راج * ومن شرهي أصفيها بقطنه

وقال الشيخ يحيي الخبان (توفى سنة سبعين وسبعمائة)

بعيشك هاتها حمراء صرفا * صباحا واطرح قول النصوح
فهذى الشمس قد بزغت بعين * تغامزنا على شرب الصبوح

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

مورد الخد أدار الطلا * فقال لى فى حبها عاتبي
عن أحمر المشروب ما تنتهى * قلت ولا عن أخضر الشارب

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى

قم هاتها فى الظلام صافية * تورث جسمى وقبضتى بسطه
أضحت عليها الافراح دائرة * يا صدق من قال انها نقطه

وقال المرحوم فخر الدين بن مكانس

للراح بالكيميا شبه فان لها * للقلب والرأس تقطيرا وتصعيد
قالوا هى الشمس اشراقا وقد جهلوا * ماذاك الا شعاع الشمس معقود

وقال بدر الدين بن الصاحب

يا حابس الكاس لا تردها * من بعد حبس الدنان حسره
واغتنم مزاجا له طيها * يورثه الانتظار صفره

وقال من لفظه لنفسه سيدنا القاضى بدر الدين محمد بن الدماميني

قم بنا نركب طر * ف اللهو سبقا للمدام
وانثني يا صاح عناني * للكميت وللجامي

وللشيخ شهاب الدين بن حجر أبقاه الله تعالى لنفسه الكريمة

أطيل الملال لمن لامني * وأملأ فى الروض كأس الطلا
وأهوى الملاهي وطيب الملا * ذفها أنا منهمك فى الملا

ومن لفظه لنفسه الكريمة الجناب المجدى بن مكانس

نزل الطل بكرة * ونوالى تجددوا
والندامى تجمعوا * فأجلى كاسى على الندا

وقال شهاب الدين بن أبي حجلة

أمعطل الكاسات عن عشاقها * يكفيك بالتعطيل عيب عائبا
ذهبت كؤسك بالمدام فقد أرى * للناس فيما يعشقون مذاهبا
فتى سلكت من الهموم مهالكا * صادفت فى فتح الدنان مطالبا
ومتى امتطيت من الكؤس كميتها * أمسيت تمشى فى المسرة راكبا
ومتى طرقت عشىّ أنس ديرها * لم تلق الا راغبا أوراهبا

وقال الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه تغمده الله برحمته

لان شبه الساقى المدام بعسجد * فقد مال بالتشبيه عن صنعة الادب
ولكن رآها جوهرا سميت طلا * فقوه لما حلت الكاس بالذهب

(ونقلت) من خط الشيخ بدر الدين البشتكى لنفسه

وخمار هديا فى الدياجى * بجذوة كأسه وسنا النديم
سألنامنه عن خمر حديثا * فاخبرنا عن العصر القديم

(قلت) وعلى ذكر الحديث قال أبو بكر بن عياش كنت وسفيان الثورى وشريك نمشى بين الحيرة والكوفة فرأينا شيخا أبيض الرأس واللحية حسن السمت فقلنا هذا شيخ جليل قد سمع الحديث ورأى الناس وكان سفيان أطلبنا للحديث وأشدنا بحثا وأعلمنا به وأحفظنا له فتقدم الى الشيخ وسلم عليه ثم قال له أعندك شئ من الحديث فقال له أما الحديث فلا ولكن عندى عتيق سنين قال فنظرنا فاذا الشيخ خمار (نادرة) قيل لخالد بن صفوان أتمل الحديث قال انما العتيق يمل (رجوع) وقال المرحوم فخر الدين بن مكانس

من شرطنا ان أسكرتنا الطلا * صرفا تداوينا بشرب الما
نعاف مزج الماء فى كاسها * لا آخذ الله السكارى بما

وقال بدر الدين بن الصاحب

ياايها العاصر بادر الى * عنقودك الفاخر فى كرمه
اياك ان تتركه ساعة * تزيب النحس على أمه

وقال مجير الدين بن تميم

وليلة بت أسقى فى غياهبها * راحا تسل شبابى من يد الهرم
ما زلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

ولما تمثلت فى أوائل سنة خمس وتسعين وسبعمائة بين يدى سيدنا ومولانا أوحد العصر من غير مدافع ولا منازع أقضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى بكر المخزومى الشهير بالدمامينى أسبغ الله ظلاله تذاكرنا بين يديه الكريمة الكتب وحسن أسمائها فأخبرنا أنه فى زمن الصبا جمع مقاطيع من الخمريات وسماها مقاطع الشرب تأمل ما ألطف هذه التسمية (القصائد) قال الشيخ العالم المفتن البارع صدر الدين محمد بن المرحل و يعرف فى الشأم بابن وكيل بيت المال تغمده الله بالرحمة (مولده سنة خمس وستين وستمائة و وفاته سنة ست عشرة وسبعمائة رحمه تعالى)

ليذهبوا فى ملامى أية ذهبوا * فى الخمر لا فضة تبقى ولا ذهب
لا تأسفن على مال تمزقه * أيدى سقاة الطلا والخرد العرب
والمال أجمل وجه فيه تصرفه * وجه جميل وراح فى الدجى لهب
فما كسوا راحتى من راحها حللا * الا وعروا فؤادى الهم واستلبوا
راح بها راحتى فى راحتى حصلت * فتم عجبى بها وازداد بى العجب
اذ ينبع الدر حلوا من مذاقته * والتبر ذوب فى الكأس منسكب
وليست الكيمياء فى غيرها وجدت * وكلما قيل فى أبوابها كذب
قيراط خمر على القنطار من حزن * يعيد ذلك أفراحا و ينقلب
عناصر أربع فى الكأس قد جمعت * وفوقها الفلك السيار والشهب
ماء ونار هواء ارضها قدح * وطوقها فلك والانجم الحبب
ما الكاس عندى بأطراف الانامل بل * بالخمس تقبض لا يحلو لها الهرب
شججت بالماء منها الرأس موضحة * فخذ بن أعقلها بالخمس لا يجب

(وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدى لو لم يقل الشيخ صدر الدين من الشعر الا هذا البيت لكان قد اتى بشئ غريب نهاية فى البديع لقد غاص فيه على المعنى ودق تخيله فيه

وما تركت بها الخمس التى وجبت * وان رأوا تركها من بعض ما يجب

وان أقطب وجهي حين تبسم لي * فمنذ بسط الموالي يحسن الادب

هذا البيت أيضا بديع المعنى دقيقه وقد اعتذر عن اقتضابه بأحسن عذر وأوضحه وما أحسن قول بن رشيق

أحب أخي وان أعرضت عنه * وأقل على مسامعه كلامي

ولي في وجهه تقطيب راض * كما قطبت في وجه المدام

وتتمة الابيات

عاطيتها من بنات الترك عاطية * لحاظها الاسود الغاب قد غلبوا

هيفاء جارية للراح ساقية * من فوق ساقية تجري وتنسكب

من وجهها وتثنيها ومقلتها * تخشى الاهلة والقضبان والقضب

يا قلب أردافها مهما مررت بها * قف بي عليها وقل لي هذه الكتب

وان مررت بشعر فوق قامتها * بالله قل لي كيف البان والعذب

تريك وجنتها ما في زجاجتها * لكن مذاقته للريق تنتسب

تحكي الثنايا التي أبدته من حبب * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

(وقال) الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن نباتة المصري

قضى وما قضيت منكم لبانات * متيم عبثت فيه الصبابات

ما فاض من جفنه يوم الرحيل دم * الا وفي قلبه منكم جراحات

أحبابنا كل عضو في محبتكم * كليم وجد فهل للوصل ميقات

غبتم فعادت مسرات النفوس فلا * انتم زعمي ولا تلك المسرات

يا حبذا في الصبا عن حبكم خبر * وفي بروق الفضا منكم اشارات

وحبذا زمن اللهو الذي انقرضت * أوقاته الغر والاعوام ساعات

أيام ما شعر البين المبيت بنا * ولا خلت من مغاني الانس أبيات

حيث المنازل روضات مدبجة * وحيث جاراتها غيد وقينات

وحيث لي بديار اللهو سلطنة * ولي على ثغور من أهوى ولايات

وحيث أسعى لاوطان الصبا مرحا * ولي على حكم من أهوى ولايات

ورب حانة خمار طرقت وما * حانت ولا طرقت للقصف سانات

سبقت قاصدا معناها وكنت فتى * الى المدام له بالسبق عادات

أعشو الى ديرها الاقصى وقد لمعت * تحت الدجى فكأن الدير مشكاة

وأكشف الحجب عنها وهي صافية * لم يبق في دنها الاصبابات
وانحرفت على جيش الهموم بها * حتى كأن سنا الاكواب رايات
وبت أجلو على الندمان رونقها * حتى لقد أصبحوا من قبل ماباتوا
مصونة السرح ماتت دون غايتها * حاجات قوم وللحاجات أوقات
تجول حول أواو بنها أشعتها * كأنما هي للكاسات كاسات
ويصبح الشرب صرعى دون مجلسها * وهي الحياة كأن الشرب أموات
تذكرت عند قوم دوس أرجلهم * فاسترجعت من روث القوم تارات
واستضحكت فلها في كل ناحية * هبات حسن وفي الاناء هبات
كأنها في أكف الطائفين بها * نار تطوف بها في الارض جنبات
من كل أغيد في ديناروجنته * توزعت من قلوب الناس حبات
مبلبل الصدغ طوع الوصل منعطف * كأن اصداغه للعطف واوات
ترنحت وهي في كفيه من طرب * حتى لقد رقصت تلك الزجاجات
وقت أشرب من فيه وجرته * شربا تشن به في العقل غارات
وينزل اللثم خديه فينشدها * هي المنازل لي فيها علامات

(وقال) الاديب الفاضل الكامل أبو الفتح بن قلاقس السكندري

الحق بنفسج فجرى وردي شفق * كافورة الصبح فتت مسكة الغسق
قم هات جامك شمسا عند مصطبح * وخل كأسك نجما عند مغتبق
واقسم لكل زمان ما يليق به * فان للزند حليا ليس للعنق
هب النسيم وهب الريم فاشتركا * في نفحة من نسيم المندل العبق
واسترقصتني كاسترقاص حاملها * مخضرة الورق في محضلة الورق
وظلت بالكأس أغنى الناس كلهم * فالخمر من عسجد والكاس من ورق

(وقال) الشيخ الفاضل الكامل برهان الدين ابراهيم بن عبد الله بن محمد المعروف بالقيراطي رحمة الله عليه

قسما بروضة خده ونباتها * و بآسها المخضر في جنباتها
وبسورة الحسن التي في خده * كتب العذار بخطه أياتها
وبقامة كالغصن الا أنني * لم أجن غير الصد من ثمراتها
لاعزرن غصون بان زورت * أعطافه بالقطع من عذباتها

ولاصحبن للــذى متيقظا * مادامت الايام فى غفــلاتها
وابا كرن رياض وجنته التى * مازهرة الدنيا سوى زهراتها
كم ليلة نادمت بدر سمائها * والشمس تشرق فى أكف سقاتها
وجرت بنادهم الليالى للصبا * وكؤسنا غرر على جبهاتها
فصرفت دينارى على دينارها * وقضيت أعوامى على ساعاتها
خالفت فى الصهباء كل مقلد * وسعيت مجتهــدا الى حاناتها
فتحير الخمار أين دنانها * حتى اهتدى بالطيب من نفحاتها
فشممتها ورأيتها ولستها * وشربتها وسمعت حسن صفاتها
وتبعت كل مطاوع لايختشى * عنداركتاب ذنوبه تبعاتها
يأتى الى اللــذات من أبوابها * ويحج للصــهباء من ميقاتها
عرف المدام بجنسها وبنوعها * وبفصلها وصــفاتها وذواتها
ياصاح قد نطق الهزار مؤذنا * أيليق بالاوتار طول ســكاتها
فحذار تفاع الشمس من أقداحنا * وأقم صــلاة اللهو فى أوقاتها
ان كان عندك ياشراب بقية * ممــا تزال به العــقول فهاتها
الخمر من أسمائها والدرمن * تيجانها والمسك من سماتها
واذا العقود من الحباب تنظمت * اياك والتفريط فى حباتها

(وقال) الصاحب العالم المفتن فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس

خليلى هيا للصبوح وبكرا * وحثا أوانى لهوها تحمد السرا
ولاتركا الليل البهيم اركامــدا * ما كميتا أومن الصبح أشــقرا
وصيدا ابنات الكرم من دنها * فان أوانى راحها عندى القرا
اذا ماأديرت فى حشا عسجدية * بهــا كل ذى ملك وتاج تصورا
فحسبك نبلا فى الســيادة أن ترا * نديمك فى الكاسات كسرى وقيصرا
مدام حوت معنى السرور وأفرطت * فنها سرى فيها السرور وأثرا
لذلك قد تزهى بوجــه مخلق * وحلتها ثوب النعــيم مزعفــرا
اذا ضرحتها الريح تحت حبابها * تخال بهاقى الكاس سيفا مجوهرا
وبرهــانه ذبح الهــموم الاترا * على جانبهــا ذلك الدم أحمرا

(وقال) الاديب الفاضل الكامل فخر الترك أيدمر المحيوى من قصيدة مطوله

تقدمت أوائلها فى باب الروضات والبساتين

وسلافة بالكرم سافى فتية * من مثلها خلق لهم وتخلق
شربت كثافتها الدهور فاترى * فى الكأس الا جذوة تتألق
يسعى بها ساق يهيج به الهوى * وترى سبيل العشق من لا يعشق
تتنادم الالحاظ منه على سنا * خد تكاد العين فيه تغرق
راق العيون غضاضة وغضارة * فهو الجديد ورق فهو معتق
ورنا كلمع الحسام المستضى * ومشى كما اهتز القضيب المورق
وأظلنا فى فرعه وجبينه * ليل تألق فيه صبح مشرق
وكأن مقلته تردد لفظه * لتقولها لا كنها لا تنطق
واذا العيون تجمعت فى وجهه * فاعلم بأن قلوبنا تتفرق

(وقال) الشيخ الفاضل الكامل كمال الدين على بن النبيه

طاب الصبوح لنا فهاك وهات * واشرب هنيئا يا أخا اللذات
كم ذا التوانى والشباب مطاوع * والدهر سمح والحباب مواتى
قم فاصطبح من شمس كأسك واغتبق
بكواكب طلعت من الكاسات
صفراء صافية توقد بردها * فعجبت للنيران فى الجنات
ينسل من قار الظروف حبابها * والدر مجتلب من الظلمات
وتريك خيط الصبح مفتولا اذا * صبت من الراووق فى الكاسات
عذراء واقعها المزاج أما ترى * مصديل عذرتها بكف سقات
يسعى بها عبل الروادف أهيف * خنث الشمائل شاطر الحركات
يهوى فتسبقه ذوائب شعره * ملتفة كأساود الحيات
يدرى منازل نيران كؤسه * ما بين منصرف وآخر آتى

(وقال) الاديب الفاضل الأوحد أمين الدين جوبان القواس

اذا افتر جنح الليل عن مبسم الفجر * ولاح به ثغر من الانجم الزهر
وفاحت لنا من عاتق الروض نكهة * يشفنا بها برد الرضاب من الخمر
وعهدى بوجه الارض مبتسما لما * يغرغر منها الدمع فى مقل القدر
اذا أرجفت اما الصبا النسيم لوقعه * كساه شعاع الشمس درعا من التبر

وبحر الرياض الخضر بالزهر مزبد * كأنا به فى فلك مجلسنا نسر
ومن شهب الكاسات بالنجم نهتدى * اذا ظل سار العقل فى لجة السكر
نصون الحميا بالقنانى وانما * نصون القنانى بالحميا وما ندر
ولما حكى الراووق فى العين شكله * وقد علق العنقود فى سالف الدهر
تذكر عهدا بالكروم فكاه * عيون على أيام عهد الصبا تجرى
عجبت لها والراح تبكى به فلم * غدت بحباب الكأس باسمة الثغر
اذا ما أتانى كأسها غير مترع * تحققت عين الشمس فى هالة البدر
يناولنيها مخطف الخصر أهيف * فلله ذاك الاهيف المخطف الخصر
ينادمنا نظما ونثرا ولفظه * ومبسمه يغنى عن النظم والنثر
فلم يسقنى كأس المدامة دون أن * سقانى بعينيه كؤسا من الخمر
وناجوز ثم انثنى غصن بانة * وعن مهالما تبسم عن در
وقال وفرط السكر يثنى لسانه * الى غير ما يرضى التقى وهو لا يدرى
ردوا من رضابى ما يعيض عن الطلى * اذا كان وجهى فيه مغنى عن الزهر
ومن كان لا تحوى ذراعاه مئزرى * فدون الذى تحوى أنامله خصرى
وقال) الشيخ الامام الفاضل البارع صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى رحمه الله
أدار التبر فى كأس اللجين * رشا بالراح مخضوب اليدين
وطاف على الصحاب بكأس راح * فطافت مقلتاه بآخرين
رخيم من بنى الاتراك طفل * يجاذب خصره جبلى حنين
يبدل نطقه ضادا بدال * ويشرك عجمة قافا بغين
اذا يجلو الحميا والمحيا * شهدنا الجمع بين النيرين
يطوف على الرفاق من الحميا * ومن خمر الرضاب بمسكرين
وآخر من بنى الاعراب حفت * بجيوش الحسن منه بعارضين
الى عينيه تنتسب المنايا * كما انتسب الرماح الى ردين
يلاحظ سوس الخدين منه * فيبدلها الحياء بوردتين
ومجلسنا الانيق تضىء فيه * أوانى الراح من ورق وعين
فاطلقنا فم الابريق فيه * وبات الزق مغلول اليدين
وشمعتنا شبيه سنان تبر * تركب فى قناة من لجين

وقهوتنا شبيه شواظ نار * توقد فى أكف الساقيين
اذا ملئ الزجاج بها وطارت * حواشى نورها فى المشرقين
عجبت لبدر كأس صار شمسا * يحف من السقاة بكوكبين

(وله)

بدت لنا الراح فى تاج من الحبب * فمزقت حلة الظلماء باللهب
بكر اذا زوجت بالماء أولدها * أطفال در على مهد من الذهب
بعيدة العهد بالمعصار لو نطقت * لحدثتنا بما فى سالف الحقب
باكرتها فى رفاق قد زهت بهم * قبل السلاف سلاف العلم والادب
بكل متشح بالفضل متزر * كأن فى لفظه ضربا من الطرب
بل رب ليل غدا فى الاهاب غدت * تضىء فيه كؤس الراح كالشهب
بذلت عقلى صداقا حين بت به * أزوج ابن سحاب بابنة العنب
بتنا بكاساتها صرعى ومطربنا * يعيد أرواحنا من مبدء الطرب
بعث أتانا فلم نعلم لفرحتنا * من نفخة الصور أم من نفخة القصب
بروضة ظل فيها الطل أدمعه * والزهر مبتسم عن ثغره الشنب
بكت عليه أساليب الحيا فغدا * خذلان يرفل فى أثوابه القشب
بسط من الروض قد حاكت مطارفها * يد الربيع وجادتها يد السحب

(وقال) الوأواء الدمشقى رحمة الله عليه

اسقيانى ذبيحة الماء فى الكأ * س وكفا عن شرب ما تسقيانى
اننى قد آمنت بالامس اذ متـ * ـت بأنى أموت بكرة ثانى
قهوة تطرد الهموم اذا ما * سكنت فى مواطن الاحزان
نثرت راحة المزاج عليها * حدقا ماتدور فى أجفان
فهى تجرى من اللطافة فى الار * واح مجرى الارواح فى الابدان
يتهادى بكأسها من هدايا * ه ظبى من طرائف الاشجان
آنها الرائح الذى راحتا * ه بخضاب الكؤس مخضوبتان
عج بضحك الاقداح فى رهج القصـ * ـف اذا ما بكت عليها القنانى
واسقنى القهوة التى تذبت الور * د اذا شئت فى خدود الغوانى
لا تدغدغ صدر المدام بأيدى المز * ج ما دغدغت صدور المثانى

(وقال) أبو الفتوح بن قلاقس رحمه الله

كم مقلة للشقيق الغض رمداء * انسانها سابح فى بحر دمع انداء
وكم ثغور اقاح فى مراشفها * رضاب طائفة بالرى وطفاء
فما اعتذارك من عذراء جامحة * لانت كما لامستها راحة الماء
نضت عليها حسام المزج فامتنعت * بلامة للحباب الجم حصدائى
أما ترى الصبح يخفى فى دجنته * كأنما هو سقط بين أحشائى
والطير فى عذبات الدوح ساجعة * تطابق اللحن بين العود والناء
فحى بالكأس كسرى تحى رمته * بروح راح سرت فى جسم سراء
وعذ بمجز آيات المدامة من * نوافث السحر فى أجفان حوراء
فما الفصاحة الاما تكرره * منازل الدن من ترجيع فأفاء
فاعكف على جلس اللذات مغتنما * فالدهر فى حربه تلوين حرباء

قيل) أتى عبد الملك بن مروان بسكران فقال له ماذا شربت فقال

معتقة كانت قريش تعافها * فلما استحلوا قتل عثمان حلت

فقال مع من فقال

سقونى مع الشعرى بكأس روية * وأخرى مع الجوزاء لما استقلت

قال فما غنيت فقال

سقونى وقالوا لا تغن فلو سقوا * جبال حنين ما سقونى لغنت

فعفى عنه وأطلق سبيله ومن كلام الشيخ برهان الدين القيراطى

يوم أنيق وغيم دقيق * وروض اذا اسلسل ماؤه المطلق تهلل وجهه الطليق * فاذا دعى الندامى فيه بالصبوح جاءت قينة فى يدها ابريق * واذا نحرت السقاة فيه دماء الرقاق صارت أيامهم كلها أيام تشريق * واذا خاط من الشرب ثياب سروره غار من أرجه المسك الفتيق (قلت) قوله أيام التشريق مأخوذ من قول أبى الحسن الجزار يفتخر

انى لمن معشر سفك الدما لهم دأب * وسل عنهم ان رمت تصديقى
تضىء بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم أيام تشريق

وقال برهان الدين القيراطى أيضا

زوج الماء براحك * وأجلها بين ملاحك

لاتعطل يوم لهو * من صبوح فى صباحك
واذاخفت افتضاحا * كل عيش فى افتضاحك
أوترى فيها جناحا * قم ودعنى من جناحك
وصل اليوم اغتباقا * من كؤس باصطباحك
صاح هذا وقت راحى * واقتراحى واقتراحك
فاطرح من لام جهلا * فى اطراحى والطراحك

وقال شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة هذه الابيات تحبب فى الحبب وتقلب اكسير راحها الجين الزجاج الى الذهب قد امتزجت بالقلوب امتزاج الماء بالراح ولم يفتح بناها على صاحب مفتاح الافراح * كم رقصت على سماعها الاحبه ونقط الحبيب دينارها من خده وشامته بدينار بقيراط وحبه وقال الشيخ بدر الدين البشتكى أبقاه الله تعالى

أقول كلما والله نظرت الى هذه الابيات * والكلمات الجميلات * أكاد أسكر بلا راح * وأطير من الادب بلا جناح هذه عبارة الشيخ بدر الدين ومن خطه نقلت (قلت) ولو قال بدر الدين وأطير من الادب وأطير من الفرح لكان أحسن فتأمله وأنشد عن لفظه لنفسه سيدنا القاضى المفنن البارع صدر الدين على بن سيدنا ومولانا القاضى أمين الدين بن الآدمى سلمه الله تعالى ونقلتها من خطه

سجع القمرى فى الدوح وغرد * فحسبنا ان فى الروضة معبد
والند فاض على زهر الربا * فسرت بين الندامى نفحة الند
انما الزهر ثغور فتحت * باسمات بجميل المزن تحمد
فاسقنى القهوة حتى انثنى * مثل غصن البان لما يتأود
من يدى ظبى عزيز أهيف * مخطف الخصر رقيق مايس القد
كامل الاوصاف لكن ثغره * ولما ريقه حلو مبرد
جامع الحسن لوصل مانع * طرفه الهندى قد بالغ فى الجحد
ضيق العين اذا ما سمته * قبلة سل من اللحظ مهند
وحمى فاه بلحظ فاتر * فهو تركى على الثغر مجرد
يا له من عجب فى لحظه * سكر العشاق منه وهو عربد

لينت أعطافه الخمرة لى * فأعادت أسد الخليه أغيد
بنت كرم عشقوها زمنا * طال حتى أنه لم يحص بالعد
تسلب العقل من الرأس كما * سلبت قدما من الكرمة باليد
قل لساقينا اذا طاف بها * سحرا بين الندامى يتردد
أترع الكأس واسرع واغتنم * جمع شملى واخش أن يتبدد
ماترى الانجم كانت زمرا * لم يدع ذا الصبح منها غير فرقد
فهى مثلى حين غابت سادتى * عن عيانى بعد جمع صرت مفرد

(قلت) واذ ذكرنا مدحها أيضا وأوسعنا المجال فى ذلك فلا بأس بايراد نبذة من ذمها فى الحديث المرفوع جمع الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه الخمر وفى كتاب المبهج الخمر مصباح السرور ولكنه مفتاح الشرور (وقيل) لبعضهم تركت النبيذ وهو رسول السرور الى القلب فقال نعم ولكنه بئس الرسول يبعث الى القلب فيذهب الى الرأس وكان العباس بن على عم المنصور يأخذ الكأس بيده يقول لها أما المال فتتلفين وأما المروءة فتخلقين وأما الدين فتفسدين فيسكر ساعة ثم يقول أما النفس فتسخين وأما القلب فتشجعين وأما الهم فتطردين أفتراك متى تقتلين و يشربها (قيل) لاعرابى لم لاتشرب النبيذ قال لاأشرب مايشرب عقلى (وقيل) لبعضهم لم لاتشرب فقال عقلى لا أقدر على جمعه فكيف أفرقه وماأظرف من قال شعرا

تقول أثوابى لما رأت * شيبى وتكعيبى على صدرى
بالله ياشيخ أماتستحى * الى متى تصبغنى بخمرى

وقال آخر

قد هجرت الراح حتى * ليس لى فيها نصيب
وعلى الراووق منى * طول ماعشت صليب

(وقيل) مهر الخمر العقل والدين والدرهم سئل بعض الشيوخ عن الخمر فقال تضييع مال وعقل وزيادة بول وجنون واذ قد ذكرنا الخمر ومنافعها ومضارها ومدحها وذمها فلا بأس بايراد نبذة من المفرحات المركبة نقلتها من كتاب مفرح النفس تأليف الحكيم الفاضل الرئيس بدر الدين مظفر بن القاضى مجد الدين عبد الرحمن قاضى بعلبك ولى رياسة الطب بدمشق (وتوفى سنة تسعمائة

ونحمسة وسبعين بدمشق) رحمة الله عليه (صفة) مفرح حار للملوك والكبر
الاوائل كان الخلفاء المتقدمون من بنى العباس وغيرهم يستعملونه وله منافع
كثيرة يطول شرحها والحاصل انه يبرئ جميع الامراض السوداوية عاجلا
ويفرح تفريحا مفرطا حسنا * خولنجان وزراوند مدحرج وسنبل وسليخة وجعدة
وزنجبيل وقاقلة كبار وصغار ودار صيني الصين وقرنفل وزرنب ودرساذ
من كل واحد ثلاثة دراهم قفاح الاذخر وغاريقون وحاشا وتربد وقسط
حلو وسادج وبسفايج محكوك وحاما من كل واحد خمسة دراهم وعرق ذهب
وياقوت أحمر ورمانى وزمرذ من كل واحد مثقال وزعفران مثقالان يدق الجميع
وينخل ويعجن بعسل مادى ويوضع فى اناء من صينى أو فضة ويرفع ويستعمل
الشربة منه مثقالان بشراب تفاح شامى وماء لسان ثور نافع ان شاء الله تعالى
(صفة) مفرح حار للمتوسطين من الناس سعد خمسة دراهم زر ورد منزوع
الاقماع عشرة دراهم قرنفل وسنبل الطيب ومصطكى وأسارون وزرنب
وزعفران من كل واحد درهمان بسباسة وقاقلة كبار وصغار وجوزبو من كل
واحد درهم عود ثلاثة يدق الجميع وينخل ويعجن بعسل منزوع الرغوة ويرفع
ويستعمل الشربة وزن مثقال بشراب تفاح حلو وماء لسان ثور نافع ان شاء
الله تعالى

مفرح حار للفقراء وهو شراب الابريسم وله منافع كثيرة منها التفريح المفرط
وقوة الاحشاء خصوصا الكبد وينفع من جميع الامراض الباردة ويقوى
الانعاظ يؤخذ ابريسم خام ينقع فى الماء أياما عشرة فى قدر من حديد فان لم يتهيأ
من حديد فينقع فى الماء المطفى فيه الحديد دفعات كثيرة ويغلى غليانا جيدا
ويصفى ويضاف اليه بوزن الماء سكرا وعسلا ويعقد ويرفع ويطيب بشئ من
زعفران وخولنجان ومصطكى روح ويستعمل نافع ان شاء الله تعالى
(صفة) مفرح بارد للملوك والكبراء طباشير عشرة دراهم لسان ثور خمسة
دراهم زر ورد منزوع الاقماع أربعة دراهم طين أرمنى سبعة دراهم شيراملج
خمسة عشر درهما خشب صندل أبيض وأحمر وأصفر من كل واحد درهمان
زعفران نصف درهم عرق ذهب جيد وفضة من كل واحد مثقال ابريسم
محرق على ما وصفنا درهم يدق الجميع ناعما وينخل ويعجن بجلاب قد عقد من

بعسل وسكر بماء الورد وماء التفاح وماء السفرجل وماء الرمان ويحرك ويرفع الشربة ثلاثة دراهم بشراب حماض وتفاح شامي وماء لسان الثور وماء ورد وماء خلاف نافع ان شاء الله تعالى

(صفة) مفرح بارد للمتوسطين من الناس يؤخذ اهليلج كابلي وأملج من كل واحد خمسة دراهم وزر ورد منزوع الاقماع وخشب صندل أبيض وأصفر وأحمر من كل واحد ثلاثة دراهم وورق فضة مثقالان ولؤلؤ كبار نقي البياض غير مثقوب مثقال يدق الجميع وينخل ويعجن بعسل الاهليلج الكابلي الشربة مثقالان بشراب حماض وتفاح شامي بماء ورد وماء خلاف نافع ان شاء الله تعالى

(صفة) مفرح معتدل للمتوسطين من الناس بهمنين أحمر وأبيض من كل واحد خمسة دراهم عسل اهليلج كابلي منزوع الرغوة عشرون درهما شاهترج ولسان ثور وترنجان من كل واحد عشرة دراهم طباشير وكسفرة يابسة وطين مختوم من كل واحد ثلاثة دراهم ابريسم خام محرق على ماوصفنا قشر الفستق الخارج من كل واحد درهمان بسد ولؤلؤ كبار غير مثقوب وكهربا من كل واحد درهم عود هندي خام نصف مثقال يدق الجميع ناعما وينخل ويعجن بجلاب قد عقد من سكر وعسل ويرفع في اناء من صيني أو فضة الشربة مثقالان بشراب حماض وتفاح شامي وماء لسان الثور وماء ورد وماء خلاف وماء نيلوفر نافع ان شاء الله تعالى (نادرة) دخل رجل على بعض أصحابه يعوده من مرض بالقلب وكان له غلام يدعى ياقوت شديد الافتتان به وكان متهما به فقال له حاشاك يا سيدنا تشكو وجع القلب وعندك المفرح الياقوتي

(الباب التاسع عشر في الصاحب والنديم)

قال النبي صلى الله عليه وسلم أكثروا من الاخوان فان ربكم حي كريم يستحي أن يعذب عبده بين اخوانه وقال علي رضي الله عنه أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان وأعجز منهم من ضيع ماظفر به منهم وقال عمر رضي الله عنه ثلاث يثبتن لك الود في صدر أخيك أن تبتدأه بالسلام وأن توسع له المجالس وتدعوه بأحب أسمائه اليه وقال الخليل بن أحمد الرجل بلا صديق كاليمين بلا

شمال وقال رجل لابن المقفع أنا بالصديق آنس من الاخ فقال صدقت
الصديق نسيب الروح والاخ نسيب الجسم وعن ابن مسعود رضى الله عنه
ما الدخان على النار بأدل من الصاحب على الصاحب (اعرابى) المودّة
بين السلف ميراث بين الخلف (اعرابى) دع مصارعة أخيك وان حث
التراب فى فيك اعتذر رجل الى صاحب من تعذر اللقاء فقال أنت فى أوسع
عذر عند ثقتى وفى أضيق عذر عن شوقى (المأمون) الاخوان على ثلاث طبقات
طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء لا يحتاج اليه الا فى الاحايين
وطبقة كالداء لا يحتاج اليه أبدا وقال النبى صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم
بأحبكم الى الله وأقربكم منى مجالسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون
أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه
الغريب من ليس له حبيب وقال أيضا لا تضيعن حق أخيك اتكالا على
ما بينك وبينه فانه ليس بأخ من ضيعت حقه وقال علقمة بن لبيد العطاردى
لابنه اذا نازعتك نفسك صحبة الرجال فأصحب من اذا صحبته زانك وان خدمته
صانك وان نزلت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك بفضل مدها
وان بدت بك ثلمة سدها وان رأى منك حسنة عدها أصحب من يتناسى معروفه
عندك ويتذكر حقوقك عليه قال لابى داود السجستانى صاحب له آخذ
من محبرتك قال لا فاحترك الرجل حياء فقال أعلمت انه من شرع فى مال أخيه
بالاستئذان فقد استوجب بالحشمة الحرمان قرع باب بعض السلف صديق له
بالليل فنهض اليه وبيده كيس وسيف وهو يسوق جارية له ففتح الباب وقال
فجعت أمرك بين نائبة فهذا المال وعدو فهذا السيف وأيمة فهذه
الجارية (كان) على بن الجهم يمدح أبا تمام ويطيب فيه فقيل له لو كان أخاك
مازدته على هذا المدح فقال ان لم يكن أخا بالنسب فانه أخ بالادب (مر) بخالد
ابن صفوان رجلان فعرج اليه أحدهما وطواه الآخر فقال عرج علينا هذا
لفضله وطوانا ذاك لبغيه (الاعمش) أدركت أقواما لا يلقى الرجل أخاه الشهر
والشهرين فاذا لقيه لم يزده على كيف أنت وكيف حالك ولو سأله شطر ماله
أعطاه ثم أدركت آخرين اذا لم يلق الرجل منهم أخاه يوما سأله حتى عن الدجاجة
فى البيت ولو سأله حبة من ماله منعه وأحسن من قال من رضى بصحبة من

لاخير فيه لمرض بصحبة من فيه خير (كان) يقال ان الكيس الذى لا يمل مناجات الصديق (الهند) من كتم الاحبة نصحه والاطباء علته والاخوان بثه فقد خان نفسه كان الخليل ابراهيم صلوات الله عليه اذا ذكر زلته غشى عليه وسمع اضطرابه من ميل فقال له جبريل يا خليل الله الجليل يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله قال يا جبريل كلما ذكرت الزلة نسيت الخلة قال العتبى لقاء الاخوان نزهة القلوب قال سليمان بن وهب غزل المودة أرق من غزل الصبابة والنفس بالصديق آنس منها بالعشيق وقال يونس النحوى يستحسن الصبر عن كل واحد الا عن الصديق وقال ابن المعتز اذا قدمت المودة شبهت بالقرابة وقال عمرو بن العاص من كثر اخوانه كثر غرماؤه يعنى فى قضاء الحقوق (عمرو) ابن مسعدة العبودية عبودية الاخاء لا عبودية الرق وكان بعضهم يقول اللهم احرسنى من أصدقائى فاذا قيل له فى ذلك قال انى أقدر أحترس من أعدائى ولا أقدر على الاحتراس من أصدقائى وقال ابن الرومى

عدوّك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرنّ من الصحاب

فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

واعلم انه لا يتناهى فى حسدك الا الاصدقاء والندماء فانهم متى رأوك بحال وهم بأنقص منه انغرس فى قلوبهم حسدك فلو خولتهم أضعاف نعمتك لم يزالوا يحسدونك حتى تفتقر ويستغنون والحسد داء الأبد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل قال معاوية بن قرة نظرت فى المودة والاخاء فلم أجد أثبت مودة من ذى أصل قال ابو الحسن بن جبير الاندلسى البلنسى

تغير اخوان هذا الزما * ن فكل خليل عراه الخلل

وكانوا قديما على صحة * فقد داخلتهم حروف العلل

قضيت التعجب من أمرهم * فصرت أطالع باب البدل

ولله در ناصر الدين بن النقيب

فأين الصديق الصدوق الذى * مودته من قرى صافيه

فمالى صديق سوى درهمى * ولا لى حبيب سوى العافيه

وقال أبو العلاء المعرى

جربت دهري وأهليه فما تركت * لي التجارب في ود امرء غرضا

وقال القاضي ناصح الدين الارجاني والثاني يقرأ معكوسا وهو غاية

أحب المرء ظاهره جميل * لصاحبه وباطنه سليم

مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

وقال صلاح الدين الصفدي

عذيري في الليالي من صديق * على مالي وعرضي قد تسلط

تأول اذ تأخر عنه خيري * فهل ألقاه وما قد توسط

وقال الشريف العقيلي وأجاد

الذم ودات الرجال مذاقة * مودة من ان ضيق الدهر وسعا

فلا يلبس الود الذي هو سادجا * اذا لم يكن بالمكرمات مرصعا

وقال مخارق أنشدت المأمون قول أبي العتاهية (مولد أبي العتاهية سنة ثلاثين ومائة وتوفي سنة احدى عشر ومائتين)

واني لمحتاج الى ظل صاحب * يروق ويصفو ان كدرت عليه

قال لي أعد فأعدت سبع مرات فقال لي يا مخارق خذ مني الخلافة واعطني هذا الصاحب لله در أبي العتاهية ما أحسن ما قال وأحسن من قال

بروحي من صاحبته فوجدته * أرق من الشكوى وأصفى من الدمع

يوافقني في الهزل والجد طائعا * فينظر من عيني ويسمع من سمعي

وقال الجاحظ كان أبو دؤاد اذا رأى صديقه مع عدوه قلا صديقه وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق قال ابن عائشة قال هشام بن عبد الملك ما بقي على شئ من لذات الدنيا الا وقد نلته وما اشتهي الاشيأ واحدا أخا أرفع مؤنه التحفظ بيني وبينه وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه صحبة العاقل في المفاوز والاسفار خير من صحبة الجاهل بين الرياض والانهار ولله در القاضي الفاضل وما برح الاخوان اخوان الزمان فاذا أحسن كانوا من التابعين له باحسان واذا أساء كانوا من المهاجرين لا من الهجرة ولكن من الهجران وقال جعفر بن محمد لولده يا بني من غضب عليك من اخوانك ثلاث مرات ولم يقل فيك سوأ فاتخذه خليلا ويجب على الصديق اذا رأى صديقه معسرا وهو موسر ان يواسيه ببعض ماله فقد حكي عن بعض الحكماء انه رأى رجلين لا يفترقان

فسأل عنهما فقيل هما صديقان فقال ماهما بصديقين لانى أرى أحدهما موسرا والآخر معسرا ولو كانا صديقين لتواسيا وقال المأمون لندمائه أفيكم من يقدر يدخل يده فى كم صديقه فيأخذ منه نفقة يومه فقالوا لا فقال ما أنتم بأصدقاء والصديق الصديق معدوم وأما من تصادقه مجاز فيمثل بقول القائل

ارض من المرء فى مودته * بما يؤدّى اليك ظاهره
من يكشف الناس لا يجد أحدا * تصح منهم له سرائره

(الهند اياك) والاغترار بصادقة العدوّ فانها اما أوجبها الا أمر وعلة فمع ذهاب العلة رجوع العداوة كالماء يسخن فاذا رفع عن النار عاد باردا وصفة الصديق أن يعادى من تعاديه ويهوى من تهوى وقال بعض الحكماء صديق عدوى عدوى وقال الشاعر

تودّ عدوى ثم تزعم أننى * صديقك ان الرأى منك لعازب
اذا نحن أظهرنا لقوم عداوة * ولان لهم منكم جناح وجانب
فلا أنتم منا ولا نحن منكم * اذا أنتم سالمتم من نحارب
وليس أخى من ودنى رأى عينه * ولكن أخى من ودنى وهو غائب

واعلم ان الخصال المحمودة والكمال لا يوجدان فى شخص أبدا ولا بد من عيب يشوبه فان اخترت صديقا ورضيته وكاشفته فبدت منه هفوة أو زلة فاغفرها فالسيف ينبو والجواد يكبو واذا صح فى الصديق فلا تناقشه فى دينه ولا مذهبه فان ذلك يوجب القطيعة والعداوة واجرمعه فى هواه من دينه اذا جرى هو فى هواك من صداقتك قال أبو العلاء المعرى رحمة الله عليه

اذا ما الخل أصفانى ودادا * فسقيا فى الحياة له ورعيا
ليقرأ ان أراد كتاب موسى * ويقرأ ان أراد كتاب شعيا

وأصلح ما صادقت حكيما أو أديبا عاقلا عالما فان عداوة هذا خير من صداقة الجاهل قال بعض الحكماء الجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديق غيره ما يبلغ الاعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

ومتى تغير الصديق عليك فاستنبط ذلك بقريحة حس منك كما قال الشاعر

واذا استجمت مودة خل * فاعتبرها من أعين الغلمان

ان عين الغلام تنبيك عما * فى ضمير المولى من الكتمان

(القول على النديم) النديم فعيل بمعنى مفاعل منادم والندمان أكثر منادمة وملازمة من النديم لان زيادة اللفظ توجب زيادة المعنى ويقال رجل رحيم ولا يقال رحمان لانه ثناء المبالغة وفى الدعاء يارحمان الدنيا ورحيم الآخرة لان رحمته فى الدنيا عمت الكافر والمؤمن والفاسق والناسك وفى الآخرة يخص برحمته المؤمنين والمسلمين دونهم واشتقاق اسم النديم من المنادمة كأنه يندم على مفارقته لوجود الراحة به والانس اليه (وينبغى) له أن يكون حسن المرة نبيل الهمة مستوى الذيول واطراف الاكمام نظيف الخف فى من الملبس كالقلنسوة والسراويل والتكة والجورب ومنديل الكم فاذا كملت فيه هذه الخصال كان محبوبا الى القلوب سهلا على الارواح واذا لم يكمل كان بالضد مستثقلا معيبا فى العيون بغيضا على القلوب كما قيل فى أبى يعلى الكاتب القرشى

نعمة الله لا تعاب ولكن * ربما استثقلت على أقوامى
لا يليق الغناء بوجه أبى يعلى * ولا نور بهجة الاسلامى
دنس الثوب والعمامة والبرذو * ن والنعل والقفا والغلامى

(وينبغى) له اذا جلس للشراب مع الملك أن يجلس فى المرتبة التى لا يتجاوزها الى ما هو أعلى منها عنده ولا يحط نفسه عنها ولا يكثر الاتكاء بين يديه وليكن منتصب الجلوس خفيف الوطأة ان قام قام لقيامه وليحذر التبسط والتمديد والتمطى والتثاؤب والتنخع والابصاق وتفريك اليدين وفرقعة الاصابع واللعب بالخاتم والعبث باللحية والعمامة ولا يكون من شأنه التعزية والتهنئة ولا التشميت عند العطسة ولا الاسراع بالتحية ولا العبث بالفاكهة والرياحين والازهار ولا التناول للشمامات ولا الاكثار من التنقل بعد الشرب ولا يرمى ثفل ما يمتصه بحيث يرى ولا يعض الفاكهة نهشا بل يقطع منها حاجته بالسكين قطعا ولا يكثر شم الريحان ولا ادارة اليد فيه ولا يقطع رؤسه ولا ينفضه عند أخذه ولا يفركه ولا يلتقطه بعد مضغه وليكن شربه مصا وكرعه جرعا ولا يشرب من الشراب ما لا يطيق فيزول عقله وليصب لنفسه ما يعلم أنه يقوم به ولا يرفع القدح قبل الملك ولا يصب فيه نبيذا من قبل صبه أو معه ولا يقترح صوتا ولا يظهر الطرب ولا يوقع على تلحين ولا يبدء منه هزل ان ناوله الساقى قدحا

أخذه

أخذه بلا ازدياد ولا نقصان ولا ممـاسكة ولا ممـاراة فاذا أحس بنفسه سكرا أسرع القيام والانصراف وهو مالك نفسه ولا يلمس كف غلام عند مناولة كأس ولا يكثر ملاحظته عند معاطاته الراح ولا يشير اليه ولا يغمزه ويستحب منه أن يكون مفننا فيجري مجرى أبان اللاحقي بمـا وصف به نفسه للفضل بن يحيى البرمكي وذلك انه ورد الى بابه ليعرض نفسه وأدبه عليه فأتى الى محمد بن زيد ان الثقفي فقال له ان رأيت أصلحك الله أن تعرض قصتي على الامير فقال وما فيها قال أعرض نفسي وأدبي عليه فقال عند الامير مثلك مائة ألف فأتى منصور بن هشام فقال له تعرض رقعتي على الامير فقال وما فيها فقال له أعرض نفسي وأدبي عليه فقال فهل لك فيمن دون الامير ليشاطرك الضياع والاموال والرقيق ما خلا الاهل والولد قال قد نازعتني نفسي الى شئ لا بد لي من أن أعطيها شهوتها منه فأخذ قصته فأدخلها الى الفضل بن يحيى فاذا فيها

أنا من بغية الامير وكنز * من كنوز الامير ذو ارباح

كاتب حاسب أديب خطيب * ناصح زائد على النصاح

شاعر مفلق أخف من الريـ * ـشة مما يكون تحت الجناح

لي في النحو فطنة وانتقاد * أنا فيه قلادة بوشاح

لو رمى بي الامير أصلحه الله * رماحا حطمت صدر الرماح

غير ما عاجز ولا مستكين * طوع أمر الامير أمضى الجراح

لست بالضخم يا أمير ولا القـ * ـدم ولا المدحرج الدحداح

لحية سبطة ووجه مليح * وانتقاد كشعلة المصباح

وكثير الحديث من ملح النا * س بصير بخافيات ملاح

كم وكم قد خبأت عندي حديثا * هو عند الامير كالتفاح

فبمثلي تخلو الملوك وتلهوا * وما مثلي للمشكل القداح

أعين الناس طائرا يوم صيد * في غدو وغدوة أو رواح

أعلم الناس بالجوارح والخيـ * ـل وبالخرد الحسان الملاح

كل هذا جمعت والحمد لله * على أنني ظريف المزاح

لست بالناسك المشمر كميه * ولا الفاتك الخليع الوقاح

لو دعاني الامير عاين مني * شمريا كالبلبل الصياح

(قال) فدعى به فلما دخل أتى كتاب من أرمينية فرماه اليه وقال له أجب عنه فأجاب من ساعته في عرصته فأمر له بمائة ألف درهم وكان أول داخل وآخر خارج واذا ركب في الموكب فركابه مع ركاب الفضل (ومن) صفات النديم أن لا يكون لجوجا ولا حسودا ولا ممار يا ولا طامح العين ولا طايش اللب و يكون حولا موا فقا لك في عملك ومذهبك ودينك كتوما للسر و يكون أديبا عاقلا أوحكيما فاضلا ليس على طبيعتكما منافرة طبيعية ولا عرضية بشرا اذا حدثته وبشر اذا حدثك كلما ازداد سكره ازداد تواضعه لك ومودته وفضله فالخمرة تحرك ما يوجد من عقل وجهل وتبرزه في الانسان من القوة الى الفعل وهي محك العقول (صافح) أبو العميثل عبد الله بن طاهر عند قدومه من سفره فقبل يده فقال عبد الله خدش شاربك كفي فقال شوك القنفذ لا يضر بترين الاسد فتبسم عبد الله وقال كيف كنت بعدي قال اليك مشتاقا وعلى الزمان عاتبا ومن الناس متوحشا أما الشوق اليك فلفضلك وأما العتب على الزمان فلمنعه منك وأما الاستيحاش من الناس فلرضاهم بعدلك فاحتبسه فلما حضر الشراب سقاه بيده فقال

نادمت حرا كأن البدر غرته * معظما سيدا قد أحرز المهلا
فعلني برحيق الراح راحته * فت سكرا فشكرا للذي فعلا

(بينا) أبو العباس السفاح يحدث أبا بكر الهذلي فعصفت الريح وأذرت طستا من سطح الى المجلس فارتاع من حضر ولم يتحرك الهذلي ولم تزل عينه مطابقة لعين السفاح فقال ما أعجب شأنك يا هذلي فقال ان الله تعالى يقول ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وانما لي قلب واحد فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال فلو انقلبت الخضراء على البيضاء ما أحسست بها ولا وجمت لها فقال السفاح لئن بقيت لارفعن منك ضبعا لا يطوف به السماع ولا يحط عليه العقبان ومن (الآداب) اللطيفة ما يحكى عن ابراهيم بن المهدى قال كنت عند الرشيد فأتاه رسول معه أطباق عليها مناديل ورقعة فأخذ يقرأ الرقعة و يقول وصلة الله وبره فقلت يا أمير المؤمنين من هذا الذي أطنبت في شكره لنشركك في جميل ذكره فقال عبد الملك بن صالح ثم كشف عن الاطباق واذا هي فواكه فقلت يا أمير المؤمنين ما يستحق هذا الوصف الا أن يكون في

الرقعة مالاتعلمه فرمى بها الى فاذا فيها دخلت ياأمير المؤمنين الى بستان لى قد غمرته بنعمتك وقد أينعت فواكهه فحملتها فى أطباق قضبان ووجهت بها الى أمير المؤمنين ليصل الى من بركة دعائه مثل ماوصل الى من نوافل بره فقلت ومافى هذا الكلام مايستحق الدعاء فقال أوماترى كنى بالقضبان عن الخيزران وهى اسم امنا (وقال) الشعبى أخطأت عند عبد الملك بن مروان أربعا وهى حدثنى بحديث فاستعدته منه فقال أماعلمت أنه لايستعاد أمير المؤمنين وقلت حين أذن لى أنا الشعبى ياأمير المؤمنين فقال ماأدخلناك حتى عرفناك وكنيت عنده رجلا فقال أما انه لايكنى أحد عند أمير المؤمنين وسألته أن يكتبنى حديثا فقال انا نكتب ولا نكتب (ولما) كان مجلس الشراب مؤهلا للاستكثار من اللذات والتقلب فى المسرات كان الاولى به أن يجمع من الندماء من فيه من الحذاق بالغناء ومن يكون حديثه يطرب سامعيه وملحه أحسن موقعا من الاغانى المعجبة فى قلوب منادميه كما وصفه بعض الشعراء فقال

حديث يشرب له الغوانى * ويأخذ كل سمع باستماعى

فيكون للحديث نوبة وللغناء أخرى (وحكى) عن بشار أنه قال لاتجعلوا مجالسكم حديثا كله ولا غناء كله ولا هزل كله ولا جد كله ولكن تنقلا فان العيش خلس (واعلم) أن فى النديم والخمرة لذات شتى فلذة الخمر زوال الهموم والغموم والافكار ولذة النديم المحادثة قال الشاعر

ومابقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كانوا اذا عدوا قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

(وأما) أوساط الناس فيجب أن لايستكثر من الندماء ويقتصر على القليل فان الكثير سبب اذهاب المال ووجود العداوة وفقدان المسرة وتعب القلب والجسم ولايجب أن تصطفى نديما حتى تغضبه فى الصدوفان وجدته ولا مطاوعا قبولا لماتأمره به صفيك ووداده حاضرا وغائبا مساعدا لك فى الشدائد اذا وقعت فيها فاعتمد عليه فقلما تجد هذا النديم وقد قال الشاعر

اذا كنت مختارا لنفسك صاحبا * فمن قبل ان تبديه بالود أغضبه
فان كان فى حال التعدى راضيا * والا فقد جربته فتجنبه

(قال) بعض الظرفاء شرط المنادمة قلة الخلاف * والمعاملة بالانصاف

والمسامحة بالشراب * والتغافل عن الجواب * وادمان الرضى * واطراح ما مضى واسقاط التحيات * واجتناب افتراخ الاصوات * وأكل ما حضر * واحضار ما تيسر * وستر العيب * ولقد أحسن من قال

لاخير في الشرب الامع أخا ثقة * ان سرغني وان غنيته طربا
يعطيك همتا اذا غنيته واذا * شربت حي وان حييته شربا
عف اللسان عفيف الفرج تحمده * في كل حال اذ ثرى وان تربا
فاشدد يديك عليه ان ظفرت به * وأكثر مودته لا تكثر الرهبا

(كان) ابراهيم بن المهدي يقول لذة العيش في ثلاث منادمة الاحباب ومعاقرة الشراب ومذاكرة الآداب (ويروى) ان أول من جعل لندمائه أمارة ينصرفون بها من مجلسه اذا أراد ذلك كسرى وهو انه يمد رجله فيعرفون أنه يريد قيامهم فينصرفون وتبعه الملوك فكان فيروز الاصغر يدلك عينيه وكان بهرام يرفع رأسه الى السماء وكان في الاسلام معاوية يقول العزة لله وعبد الملك يلقي المروحة من يده وحدث بهذا الحديث عند بعض البخلاء وسئل ما أمارته فقال اذا قلت يا غلام هات الطعام والناس يختلفون في الشرب فمنهم من يرى كثرة الندماء ومنهم من يرى الانفراد وممن رأى هذا الرأي جماعة من أهل الادب قديما وحديثا ولهم فيه أشعار وأخبار ومنهم من رأى مطالعة الكتب عليها واعمال الفكرة في تصنيف العلوم والآداب كما حكى عن الشيخ الرئيس ابن سينا أنه قال كنت أستعين على مصنفات علومي باستعمال اليسير من الخمر المصلوح من الماء ومنهم الفارابي ودليل ذلك قوله شعرا

لما رأيت الزمان نكسا * وليس في العشرة انتفاع
كل رئيس به ملال * وكل رأس به صداع
لزمت بيتي وصنت نفسا * لها عن اللذة امتناع
أشرب مما اقتنيت راحا * لها على راحتي شعاع
لي من قواريرها ندامى * ومن قراقيرها سماع
واجتني من حديث قوم * قد اقفرت منهم البقاع

(قال) بعضهم رأيت أعرابيا جالسا بالفلات تحت ظل شجرة ومعه ركوة وهو يشرب قدحا ويصب في أصل الشجرة قدحا فقلت له ما هذا فقال هو نديم

لا يعربد على يلحقنى بظله ويحمل عنى كله (وقال) بعضهم دخلت على بعض الرؤساء فلقيته يشرب وبين يديه كلب صيد وهو يشرب قدحا ويصب قدحا بين يدى الكلب ومهما أكل طعاما أو نقلا رمى الى الكلب منه فقلت له أتنادم كلبا فقال نعم يكف عنى أذاه ويحرسنى من أذى سواه يشكر قليلى ويحفظ مبيتى ومقيلى وأنشد شعرا

وأشرب وحدى من كراهتى الاذى * مخافة شر أو سباب لئيم

(وقال) الشيخ صفى الدين الحلى وأجاد

اذا لم أجد للراح خلا موافيا * فلى بى أنس كامل حين أشرب
لسانى يغنينى وفكرى منادمى * وكفاى تسقينى وقلبى يطرب

ومما يجب على ذوى السيادة والمروءة أن يسامحوا نديمهم اذا وقعت منه هفوة أو غفلة (وما أحسن قول خالد اليشكرى)

ولست بلاح لى نديما بزلة * ولا هفوة كانت ونحن على الخمر
عزلت بجنبى قول خلى وصاحبى * ونحن على صهباء طيبة النشر
فلما تمادى قلت خذها عريقة * فانك من قوم جحاجحة زهر
فما زلت أسقيه وأشرب مثلما * سقيت أخى حتى بدا وضح الفجر
وخر صريعا للجبين موسدا * فوسدته واخترت حلى على الهجر
وأيقنت أن السكر طار بلبه * فأغرق من شمسى وقال ولم يدر
وزال لسان كان اذ كان صاحيا * يقلبه فى كل فن من الشعر

(وقال أبو نواس رحمة الله عليه)

ولست لنديم صدق * وقد أخذ الشراب بوجنتيه
تناولها والا لم أذقها * فيأخذها وقد ثقلت عليه
ولكنى آخذ الكأس عنه * وأصرفها بعبسة حاجبيه
وان رام الوساد لنوم سكر * دفعت وسادتى أيضا اليه
وهذا ما حييت له وانى * أبر له من والديه

(ولله در الصاحب بن عباد) قد حملت أوزار السكر على ظهور الخمر
(وتلطف من قال) وطويت بساط الشراب على ما فيه من خطأ وصواب
(وقال أيضا) تعلم فى مرافقة النديم * مطاوعة الاراكة للنسيم

وعاشره بأخلاق فانى * وحقك عبد رق للنديم
أعاطيه أحاديثى وكاسى * فيسكر بالحديث وبالقديم

(وقال ابن المعتز)

وندامای فی شباب وحسن * أتلفت مالهم نفوس كرام
بين أقداحهم حديث قصير * هو سحر وما سواه كلام
وغناء يستعجل الراح بالرا * ح كماناح فى الغصون الحمام
فكأن السقاة بين الندامى * الفات بين السطور قيام

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله)

بروحى نديم يشهد العقل أنه * قضى العمر باللذات وهو خبير
تذكر مزج الكاس عند وفاته * فأوصى لها بالثلث وهو كثير

وأنشدنى من لفظه لنفسه أقضى القضاة بدر الدين محمد المخزومى

ورب نهار فيه نادمت أغيدا * فما كان أحلاه حديثا وأحسنا
منادمة فيها مناى فحبذا * نهار تقضى بالحديث وبالمنا

(كتب) الى الحسن بن وهب صديق له من أهل الادب فصلا من كتاب قال فيه وقد قسمك الله بين طرفى وقلبى ففى مشهدك أنس قلبى برؤيته طرفى وفى بعدك لهو طرفه بذكر قلبى (وأجابه الرجل) فهمت كتابك الذى أخبرت فيه بما أخبرت فسيان عندك على هذا رأيتنى ام لم ترنى اذ كان بعضك يؤنس بعضا وحضور أعضائك تنوب لك عن حضورى لكنى أراك فيخشع قلبى وأغيب عنك فيدمع طرفى فسيان بين من سلا أبدا ومن حزن دهره (سئل) اسحق الموصلى عن عدد الندماء فقال واحد هم واثنان غم وثلاثة نظام وأربعة تمام وخمسة مجلس وستة زحام وسبعة موكب وثمانية سوق وتسعة جيش وعشرة نعوذ بالله من شرهم وضرهم (قال أبو العيناء) رب وحشة أنفع من أنيس ووحدة أمتع من جليس (وقال الجاحظ)

أرى تلك الكاس حقا لا أراه * لغير الكاس الا للنديم
هو القطب الذى دارت عليه * رحا اللذات فى الزمن القديم

(وكتب المرحوم فتح الدين محمد بن الشهيد الى القاضى أمين الدين ابن الانفى المالكى) تغمده الله برحمته وكان قد تأخر عن زيارته

حتام فى سجن الصدود * سرور عبدك يحتبس
معنى الجفاء فهمته * قد زدت فى المعنى قبس
وأغث بأنفاس الرضا * نفسى فما فيها نفس
يا مالكى بأبيك زر * نروى الزيارة عن أنس
أقرأ ألم نشرح فكم * نلقاك تقرأ فى عبس
العمر أنفس أن تعيش نهار همك كالغلس
ان الحياة لغفوة * والعيش طيب مختلس

(الباب العشرون فى مسامرة أهل النعيم)

(الليلة) الاولى حكى انه كان بمدينة بغداد رجل من اولاد النعيم ورث من أبيه مالا جزيلا وكان يتعشق قينة فأنفق عليها اشياء ثم اشتراها وكانت تحبه كما يحبها ولم يزل ينفق عليها ماله وهو فى أكل وشرب الى أن لم يبق له شئ وأفلس فطلب معاشا يعيش فلم يقدر على شئ وكان الفتى فى أيام سعادته يحضر القينة فى صناعة الغناء لتزداد فى صناعتها فبلغت فى الصناعة الغاية التى لم يدركها أحد سواها وكان الفتى قد علم من صناعة الغناء مثلها وأوفى فاستشار بعض اخوانه ومعارفه فقال له ما أعرف لك معاشا اصلح من أن تغنى أنت والجارية فتأخذ على ذلك المال الكثير وتأكل وتشرب وأنت كل يوم طيب العيش فأنف من ذلك وعاد اليها فأخبرها بما أشير به عليه وأعلمها أن الموت أحب اليه من ذلك فصبرت معه على الشدة ثم قالت لقد رأيت لك رأيا قال ما هو قالت تبيعنى فانه يحصل لك من ثمنى ما ان تعيش فيه عيشا طيبا وتخلص من هذه الشدة وأخلص أنا وأحصل لى نعمة فان مثلى لا يشتريه الا ذو نعمة وبه أكون السبب فى رجوعى اليك قال فحملها الى السوق فكان أول من أعرضها عليه فتى هاشمى من أهل البصرة ظريف أديب كريم النفس واسع الحال فاشتراها بألف وخمسمائة دينار عينا وقال الرجل حين لفظت بالبيع وقبضت المال ندمت غاية الندامة وبكيت أشد بكاء وصارت الجارية فى أقبح من صورتى وجهدت فى الاقالة فلم يكن الى ذلك سبيل وأخذت الدنانير فى الكيس ومضيت لا ادرى الى أين أذهب لان بيتى موحش منها وورد على من البكا واللطم والنحيب شئ لا أصفه قال

فدخلت بعض المساجد وجلست أبكى فيه وأفكر فيما نابنى وفيما عملت بنفسى فحملتنى عينى وتركت الكيس تحت رأسى كالمخدة ونمت فلم أشعر الا بانسان قد جذبه من تحت رأسى ومضى يهرول فانتبهت فزعا فطلبت الكيس فوجدته قد أخذ فقمت أريد أجرى وراءه واذا برجلى مربوطة فى حبل والحبل فى وتد فوقعت على وجهى والى حين أن أخلص رجلى هرب ذلك الرجل عنى فبقيت ألطم على وجهى ورأسى وقلت فارقت من أحب وذهب المال فكيف حالى فزادنى الامر الى أن جئت الى الدجلة ووضعت ثوبى على وجهى ورميت روحى فى الدجلة ففطن الحاضرون بى وأن ذلك لغيظ نالنى فرموا أرواحهم خلفى فشالونى وسألونى عن أمرى فأخبرتهم خبرى فصرت بين راحم ومستجهل الى أن جاءنى شيخ منهم فأخذ بغصتى وقال لى يا هذا ذهب مالك وتذهب نفسك وتكون من أهل النار فثق بالله العظيم قم معى فأرنى بيتك فما فارقنى حتى جاء الى منزلى وقعد عندى حتى رأى السكون فى فشكرته وانصرف فكدت أقتل نفسى فذكرت الآخرة والنار فخرجت من بيتى هاربا الى بعض أصدقائى القدماء فأخبرته بخبرى وما جرى على فبكى لى رحمة وأعطانى خمسين دينارا وقال اقبل رأيى واخرج الساعة من بغداد واجعل هذه نفقة لك الى حيث تجد قلبك تشاغل وأنت من أولاد الكتاب وخطك جيد وأدبك بارع فاقصد من شئت من العمال فاطرح نفسك عليه فلعله أن يستخلفك فى شئ تنتفع به وتعيش معه ولعل الله عز وجل أن يجمع عليك جاريتك فعملت على هذا وجئت الى (الكتبين) وقد قوى حالى وزال عنى بعض الهم واعتمدت على أننى أقصد واسط لانه كان لى بها أقارب فاذا زلال مقدم وجراية كبيرة وقماش فاخر ينقل الى الزلال فسألتهم أن يحملونى الى واسط فقالوا هذا الزلال لرجل هاشمى ولا يمكننا حملك على هذه الصورة فسألتهم أن يحملونى وأرغبتهم فى الاجرة فقالوا لى اذا كان ولابد اخلع هذه الثياب التى عليك والبس ثياب الملاحين واجلس معنا كأنك واحد منا فرجعت واشتريت من ثياب الملاحين وجئت الى الزلال بعد أن اشتريت خبزا وما يصلح للسفر وجلست معهم فما كان الاساعة حتى رأيت جاريتى بعينها ومعها جاريتان يخدمانها فسهل على ما كان بى وقلت أراها واسمع غناءها من هنا الى البصرة واعتقدت أن أجعل قصدى البصرة وطمعت أن أداخل مولاها وأصير من ندمائه

وقلت لعلها لا تخليني من المراد وكنت وانقلبها فلم يكن أسرع من أن جاء الفتى الهاشمي راكبا ومعه عدة ركبان فنزلوا في الزلال وانحدروا فلما صار عند كلوادى أخرج الطعام وأكل والجارية وأكل الباقون على وسط الزلال وأطعم الملاحين ثم أقبل على الجارية فقال لها كم هذه المدافعة عن الغناء ولزوم الحزن والبكاء ليس أنت أول من فارق مولا كان له فتداعت مما كان عندها من أمري ثم ضربت ستارة في جانب الزلال واستدعى الذين يأكلون ناحية جلس معهم خارج الستارة فسألت عنهم فاذا هم اخوته ثم أخرج الصواني فيها الخماسيات والخرداديات من المحكم مملوءة شرابا ففرقت عليهم وقدمت لهم الانقال وماشا كل ذلك وما زالوا يرفقون بالجارية الى أن استدعت بالعود وأصلحته واندفعت تغني من البعيد الاول وهو

بان الخليط بمن عرفت فأدلجوا * عمدا بمن أهواه لم يتحرجوا
وغدت كأن على ترائبي نحرها * جمر الغضا في ساعة تتأجج

ثم غلبها البكاء ورمت العود وقطعت عن الغناء وتنغص على القوم مشربهم ووقعت أنا مغشيا على فظن القوم أني قد صرعت فصار بعضهم يقرأ في أذني وأفقت بعد ساعة فلم يزالوا يدارونها ويرفقون بها ويسألونها الى ان أصلحت العود واندفعت تغني في البعيد الثاني

فوقفت أندب للذين تحملوا * وكأن قلبي بالشفار يقطع
فدخلت دراهم أسائل عنهم * والدار خالية المنازل بلقع

ثم شهقت شهقة كادت تتلف وارتفع بكاؤها وصرخت أنا ووقعت مغشيا على وتبرم الملاحون مني وقالوا كيف حملتم هذا المجنون فقال بعضهم اذا بلغتم بعض القرى فأخرجوه وأريحونا منه فجاءني من ذلك أمر عظيم ثم وضعت على نفسي الصبر والتجلد وقلت أعمل الحيلة في أن أعلمها بمكاني من الزلال لتمنع من اخراجي وبلغنا الى قريب ضيعة فقال صاحب الزلال اصعدوا بنا الى الشط فطرحوا القماش وطلعوا وكان مساء فطلع الملاحون وخلا الزلال فقمت حتى صرت خلف الستارة فغيرت طريقة العود عما كانت عليه الى طريقة أخرى وكانت تعلمها مني فرجعت الى موضعي من الزلال وفرغ القوم من حوائجهم في الشط ورجعوا والقمر قد انبسط فقال لها مولاها بالله عليك لا تنغصي علينا عيشنا ولم يزالوا الى أن أخذت

العود وجسته وشهقت حتى ظنوا أن روحها قد طلعت وقالت والله مولاى معى في الزلال فقال لها مولاها والله ياهذه لو كان معنا ما منعته من معاشرتنا ولعله كان يخف ما بك وننتفع بغنائك ولكن هذا بعيد قالت هذا ما الا اسمعه مولاى معنا قال الهاشمى فنسأل الملاحين قالت افعل فسأل الملاحين وقال هل حملتم معكم أحدا قالوا لا وأشفقت أن ينقطع السؤال فصحت نعم هوذا أنا فقالت كلام مولاى والله فجاء في الغلمان فحملونى الى الرجل حملا فلما رآنى عرفنى وقال ويحك ما هذا الزى وما الذى أصابك الى أن صرت الى هذه الحالة قال فصدقته عن أمرى وبكيت وأعلى نحيب الجارية من خلف الستارة وبكى هو واخوته بكاء شديدا رقة لنا ثم قال لى يا هذا والله ما وطئت الجارية ولا سمعت لها غناء الا اليوم وأنا رجل موسع على ولله الحمد وانما وردت بغداد لسماع الغناء وطلب أرزاقى من أمير المؤمنين وقد بلغت الامرين مما أردت ولما علمت أنى أريد الرجوع لى وطنى قلت أسمع من غناء بغداد شيأ فاشتريت هذه الجارية لاصيرها عند مغنيات لى بالبصرة واذا كنتما على هذه الحالة فوالله لانال المكرمة والثواب فيكما وأشهد الله تبارك وتعالى على أن هذه الجارية اذا وصلت الى البصرة أعتقها وأزوجك اياها واجرى عليكما ما يكفيكما وزيادة ولكن على شريطة أنى اذا أردت الاجتماع تضرب لها ستارة وتغنى من خلفها ونحن مع بعضنا بعض لا يبخل علينا بذلك وأنت من جملة اخوانى وندمانى ففرحت بذلك ثم أدخل رأسه الى الجارية وقال برضيك ذلك فأخذت تدعو له وتشكره ثم استدعى غلامه فقال خذ بيد الغلام ومده بثياب وبخره وقدمه الينا بعد أن يأكل شيأ وفعل بى الغلام ما أمره وعدت اليه فحط بين يدى مثل ما بين أيديهما من الشراب والنقل ثم اندفعت الجارية تغنى بانبساط وهو

عيرونى بأن سحت دموعى * حين هم الحبيب بالتوديع
زعموا أننى تهتكت فى الحب ما أريد غير مطيع
لم يذوقوا طعم الفراق ولاما * أحرقت لوعة الاسى من ضلوع
كيف لا أسفح الدموع على رسم * عفا بعد ساكن وجموع
هب ان كتمت حالى لا تخفى * زفرات المتيم المصدوع
انما يعرف الغرام لمن لا * ح عليه الغرام بين الربوع

فطرب القوم من ذلك طربا شديدا وزاد فرح الفتى بذلك فلما رأيته على ماهو عليه من الفرح أخذت العود من الجارية وأصلحته وضربت به فى أحسن صنعة وغناء واندفعت أقول

اسأل العرف ان سألت كريما * لم يزل يعرف الغنى واليسارا
فسؤال الكريم يورث عزا * وسؤال اللئيم يورث عارا
واذا لم يكن من الذل بد * فالق بالذل ان لقيت الكبارا
ليس اجلالك الكريم بذل * انما الذل أن تجل الصغارا

ففرح القوم بى وزاد فرحهم وأنسوا بى غاية الايناس ولم نزل على مسرة وسرور وغبطة وحبور وأنا أغنى ساعة وهى تغنى ساعة كذلك الى أن جئنا الى بعض الشطوط فارسى الزلال وصعد من الزلال كل من فيه وقضوا حوائجهم وصعدت أنا أيضا وكنت سكرانا فقعدت أبول فأخذتنى عينى فنمت وطلع القوم وانحدر الزلال ولم يعلموا بى وهم سكارى وكنت دفعت النفقة التى معى الى الجارية ولم يبق معى حبة واحدة وأن القوم انحدروا ووصلوا الى البصرة ولم أنتبه انا الا من حر الشمس فجئت الى الشط فلم أرى حسا وقد كنت أجللت الرجل أن أسأله بمن يعرف وأين داره من البصرة فبقيت على شاطئ نهر معتلا كاول يوم بدأت فى المحبة وكأن ما كنت فيه مناما واجتازت بى سمارية فملت فيها ودخلت الى البصرة وما كنت دخلتها قط فنزلت خانا و بقيت متحيرا لا أدرى ما أعمل ولم يتجه لى معاش الى أن اجتاز بى يوما انسان كنت أعرفه ببغداد فتبعته لا كشف له حالى وأسترفده ثم أنفت من ذلك ودخل منزله فعرفته وجئت الى بقال على باب الخان الذى نزلته فاعطيته دانقا وأخذت منه دواة وورقة وجلست أكتب اليه رقعة فاستحسن خطى البقال ورأى ثوبى دنسا فسألنى عن أمرى فاخبرته أنى رجل غريب فقير قد تعذر على التصرف وما بقى معى شئ فقال تعمل معى كل يوم بنصف درهم وطعامك وكسوتك وتضبط لى حساب دكانى فقلت له نعم قال لى اصعد فصعدت وخرقت الرقعة وجلست معه ودبرت أمره وضبطت دخله وخرجه فلما كان بعد شهر راى الرجل دخله زائدا وخرجه ناقصا فحمدنى و بقيت معه كذلك شهورا ثم جعل لى كل يوم درهما ولم يزل حالى يقوى معه الى أن حال الحول فناله منى الصلاح فدعانى الى أن

تزوجت بابنته وشاركني في الدكان ففعلت ودخلت بزوجتي ولزمت الدكان والحال يقوى الا أني في خلال ذلك مكسور النفس ميت النشاط ظاهر الحزن وكان البقال يشرب فربما جذبني الى مساعدته فأمتنع وأظهر ذلك حزنا مني واستمرت بي الحال على هذا سنتين وأكثر فلما كان في بعض الايام اذا قوم يجتازون بطعام وشراب وكل أحد على ذلك فسألت الشيخ عن القصة فقال لي هذا اليوم عيد الشعانين يخرج أهل الطرب واللعب والشراب والقينات الى نهر الابلة فيرون النصارى ويشربون ويتفرجون فدعتني نفسي الى هذا وقلت لعلي أقف لاصحابي على خبر فقلت للبقال كنت اريد النظر الى هؤلاء قال لي شأنك وأصلح لي طعاما وشرابا وسلم الي غلاما وسفينة فخرجت فأكلت وبدأت بالشراب حتى وصلت الى الابلة وابتدأ الناس ينصرفون وعزمت على الانصراف واذا أنا بالزلال بعينه في وسط الناس سائرا في نهر الابلة فتأملت واذا بأصحابي على سطحه ومعهم عدة مغنيات فحين رأيتهم لم أتمالك فرحا وصحت بهم فلما رأوني عرفوني وأخذوني اليهم وقالوا لي أنت حي وعانقوني وفرحوا بي وسألوني عن قصتي فأخبرتهم بها على أتم شرح وقالوا انا لما فقدناك في الحال وقع لنا أنك قد سكرت ووقعت في الماء وغرقت فخرجت الجارية من ثيابها وكسرت عودها وقطعت شعرها ولطمت وجهها وأقبلت على البكاء والنحيب ولم نقدر نمنعها من ذلك ووردنا البصرة فقلت لها ما تحبين أن نعمل بك فقد كنا وعدنا مولاك بوعد تمنعنا المروءة من استخدامك بعده وسماع غنائك قالت يا مولاي تملكني من القوت اليسير ولباس ثياب الشعر السواد وأن أعمل قبرا في جنب من الدار وأجلس عنده وأتوب عن الغناء فمكناها من ذلك وهي جالسة عنده الى الآن فأخذوني معهم ومضوا بي فلما دخلت الى الدار ورأيتها على تلك الصورة ورأتني شهقت شهقة عظيمة ما ظننت أنها تعيش فاعتنقنا عناقا طويلا ثم افترقنا ثم قال مولاها أخذتها قلت نعم أعتقها كما وعدت وزوجني بها ففعل ذلك ودفع الينا ثيابا كثيرة وفرشا وقماشا وآلة وحمل الي خمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما اردت أجريه عليك في كل شهر منذ أول دخول البصرة وقد اجتمع طول هذه المدة فخذه والجراية متسابقة في كل شهر وشيء آخر لكسوتك وكسوة الجارية والشرط في المنادمة وسماع الجارية من وراء الستارة وقد وهبت لك الدار الفلانية قال

فحملت الى الدار فاذا قد غمرت بالفرش والقماش وجميع ما أصاحبه وحملت اليها الجارية وجئت الى البقال فحدثته الحديث وسألته أن يجعلني في حل من طلاقه لابنته بغير ذنب ودفعت اليه مهرها وما يلزمني من أمرها وأقمت مع الهاشمي على ذلك الحال سنين وصرت رب ضيعة ونعمة وعادت حالتي الى قريب ما كنت فيه أنا والجارية وفرج الله الكريم عنا وسهل لنا الامور بالاحسان وهذا ما كان من حديثهم والحمد لله حمدا كثيرا (الليلة الثانية)

حدث أبو العباس ابن يزيد النحوي المعروف بالمبرد قال حدثنا محمد بن عامر الحنفي وكان من سادات بكر بن وائل وأدركته شيخا كبير القامة مملقا وكان اذا فاض على املاقه شيأ جاد به وقد كان ولي قديما شرطة البصرة فحدثني هذا الحديث الذي نذكره ووقع لي من غيرنا حيته ولا أذكر ما بينهما من الزيادة والنقصان الا أن معاني الحديث مجموعة فيما أذكر لك (ذكر) أن فتيانا كانوا مجتمعين في نظام واحد كلهم ابناء نعمة وكلهم شرد عن أهله وقنع بأصحابه فذكر ذاكر منهم قال كنا قد اكترينا دارا مشرفة على الطريق ببغداد المعمورة بالناس فكنا نفلس أحيانا ونوسر أحيانا على مقدار ما يلق الواحد من أهله وكنا لا نستنكر ان تقع مؤننا على واحد منا اذا أمكنه ويبقى الواحد منا لا يقدر على شئ فيقوم به أصحابه الدهر الاطول وكنا اذا أيسرنا أكلنا ودعونا الملهين والملهيات وكنا في أسفل الدار فاذا عدمنا الطرب فمجلسنا غرفة لنا نمتع منها بالنظر الى الناس وكنا لا نخل من نبيذ في عسر ولا يسر فانا كذلك يوما اذا بفتى يستأذن علينا فقلنا له اصعد فاذا رجل نظيف حلو الوجه سري الهمة يظهر عليه أنه من أبناء النعم فأقبل علينا وقال اني سمعت باجتماعكم والفتكم وحسن منادمتكم حتى كأنكم أدخلتم جميعا في قالب واحد فأحببت أن أكون واحدا منكم فلا تحتشموني قال فصادف ذلك منا اقتارا من القوت وكثرة من النبيذ وقد كان قال لغلامه أول ما أذنوا الى أن أكون كأحدهم هات ما عندك فغاب عنا غير كثير ثم اذا هو أتى بسلة خيزران وفيها طعام مطبوخ من جدي وفراخ ورقاق وأشنان ومحلب داخله فأصبنا من ذلك ثم أفضينا في شرابنا وانبسط الرجل واذا هو أحيى خلق الله اذا حدث وأحسنهم استماعا اذا حدث وأمسكهم عن الملاحات اذا خولف ثم أفضينا في شرابنا وانبسط الرجل فاذا هو أحسن الناس خلقا وخلقا وكان ربما امتحناه بأن

ندعوه الى الشئ الذى نعلم أنه يكرهه فيظهر لنا أن لانريد غيره ونرى ذاك فى اشراق وجهه ونسبه فلم يمكن مناغير معرفة الكنية فاناسألناه عنها فقال أبو الفضل فقال لنا يوما بعد اتصال الانس الا أخبركم كيف عرفتكم قلنا انا نحب ذاك قال أحببت فى جواركم جارية وكان سيدها ذو عزائم وكنت أجلس لهافى الطريق التمس اجتيازها فأراها حتى أخلقنى الجلوس على الطريق ورأيت غرفتكم هذه فسألت عن خبرها فخبرت عن ائتلافكم ومساعدة بعضكم بعضا فكان الدخول فيما أنتم فيه آثر عندى من الجارية فسألناه عنها فخبرنا قلنا ما نحن نجد عنها الاك حتى نظفرك بها فقال ياأخوتى انى والله على ماترون منى من شدة المحبة والكلف بها ماقدرت فيها حراما قط ولا تقدير الا مطاوأتها ومصابرتها الى أن بمن الله بثروة فاشتريها وأقام معنا شهرين ونحن على غاية الاغتباط بقربه والسرور بصحبته ثم اختلس منا فنالنا الفراقه كل ممض ولوعة مؤلمة ولم نعرف له منزلا نلتمسه منه فكدر علينا من العيش ما كان طاب لما به وقبح عندنا ما كان حسن بقربه وجعلنا لانرى سرورا ولا غما الا اذا ذكرنا اتصال الانس والسرور بحضوره والغم بمفارقته وكما فيه كما قال القائل

يذكرنيهم كل خير رأيته * وشرفا أنفك منهم على ذكرى

فغاب عناازها عشرين يوما ثم بينا نحن مجتازون من الرصافة اذا به قد طلع فى موكب نبيل وزى جليل فحيث بصرنا به انحط عن دابته وانحط غلمانه ثم قال ياأخوتى انى والله ماهنالى عيش بعدكم واستأماطلكم بخبرى حتى آتى المنزل ولكن ميلوا بنا الى المسجد فملنا معه فقال أعرفكم أولا بنفسى أنا العباس ابن الاحنف وكان من خبرى بعدكم أنى خرجت الى منزلى من عندكم فاذا المسودة محيطة بى فمضى بى الى دار أمير المؤمنين فصرت الى يحيى بن خالد فقال لى ويحك ياعباس انما أخترتك من ظرفاء الشعر لقرب مأخذك وحسن مأتيك وأن الذى ندبتك له من شأنك وقد عرفت خطرات الخلفاء وانى أخبرك أن ماردة هى الغالبة على أمير المؤمنين اليوم وأنه جرى بينهما عتب فهى بدلالة المعشوق تأبى أن تعتذر وهو بعز الخلافة وشرف الملك يأبى ذلك وقد رمت الامر من قبلهما فأعيانى وهو أحرى أن تستفزه الصبابة فقل شعرا يسهل عليه هذه السبيل فقضى كلامه ثم دعاه أمير المؤمنين فصار اليه وأعطيت دواة وقرطاسا فاعترانى الزمع

وأذهب عنى كل قافية ثم انفتح لى شئ والرسل بين يدى فجاءتنى أربعة أبيات رضيتها ووقعت صحيحة المعنى سهلة الالفاظ ملائمة لما طلب منى فقلت لاحد الرسل أبلغ الوزير أنى قد قلت أربعة أبيات فان كان فيها مقنع وجهت بها فرجع الى الرسول بأن هاتها ففى أقل منها مقنع وفى ذهاب الرسول ورجوعه قلت بيتين من غير ذلك الروى وكتبت الاربعة الابيات فى صدر الرقعة وعقبت بالبيتين فكتبت

العاشقان كلاهما متعتب * وكلاهما متوجد متغضب
صدت مغاضبة وصد مغاضبا * فكلاهما مما يعالج متعب
راجع أحبتك الذين هجرتهم * ان المتيم قل ما يتجنب
ان التجنب ان تطول منكما * دب السلو له فعز المطلب

وكتبت تحت ذلك

لابد للعاشق من وقفة * يكون بين الصد والصرم
حتى اذا ما الهجر تمادى به * راجع من تهوى على رغم

ثم وجهت بالكتاب الى يحيى بن خالد فرفعه يحيى الى الرشيد فقال والله ما رأيت شعرا أشبه بما نحن فيه من هذا والله لكأنى قصدت به فقال له يحيى فأنت والله المقصود به هذا يقوله العباس بن الاحنف فى هذه القصة فلما قرأ البيتين وأفضى الى قوله راجع من تهوى على رغم استغرب ضاحكا حتى سمعت ضحكه ثم قال اى والله أراجع على رغم ياغلام هات النعل فنهض وأذهله السرور عن أن يأمر لى بشئ فدعانى يحيى فقال لى ان شعرك قد وقع بغاية الموافقة وأذهل أمير المؤمنين السرور عن أن يأمر لك بشئ قلت لكن هذا الخبر ما وقع منى بموافقة ثم جاء فساره فنهض وثبت مكانى ثم نهضت بنهوضه فقال لى ياعباس أمسيت أملى الناس أتدرى ما سارنى به هذا الرسول قلت لا قال قد ذكر لى ماردة بلغت أمير المؤمنين لما علمت بمجيئه فقالت يا أمير المؤمنين كيف هذا فأعطاها الشعر وقال هذا أتى بها اليك قالت فمن يقوله قال العباس ابن الاحنف قالت ما فعلت معه قال ما فعلت شيأ بعد قالت اذا والله لا أجلس حتى يكافئ قال فأمير المؤمنين قائم لقيامها وأنا قائم لقيام أمير المؤمنين وهما يتناظران فى صلتك فهذا كله لك قلت مالى من هذا كله الا الصلة ثم قال هذا أحسن من شعرك فأمر أمير المؤمنين بمال كثير وأمرت ماردة بمال دونه وأمر

الوزير عـال دون ما أمرت به وحلت على ماترون من الظهر ثم قال الوزير من تمام البدقبلك أن لاترجع من الدار حتى يؤتى لك بهذا المال ضياعا فاشتريت لى ضياع بعشرين ألف دينار ودفع الى بقية المال فهذا الخبر الذى عاقنى عنكم فهلموا حتى أقاسمكم الضياع وأفرق فيكم المال فقلنا له هناك الله عـالك وكلنا راجع الى نعمة من الله فأقسم وأقسمنا قال فامضوا بنا الى الجارية حتى نشتريها فشينا الى صاحبها وكانت جارية جميلة حلواء لاتبخس شيأ أكثر مافيها ظرف اللسان وتأدية الرسائل وكانت تساوى على وجهها مائة وخمسين دينارا فلما رآنى مولاها أسامنى فيها خمسمائة دينار فأوحيناه بالعجب فحط مائة ثم حط مائة وقال العباس يافتيان انى والله أقسم أحتشم بعدما قلتم ولكنها حاجة فى نفسى بها يتم سرورى فان ساعدتم فعلت قلنا له قل قال هذه الجارية أنا عاينتها منذ دهر وأريد ايثار نفسى بها يتم سرورى فان ساعدتم فأكره أن تنظر الى بعين من قد ماكس فى ثمنها فاعطيه فيها خمسمائة دينار كما سأل قلنا فانه قد حط مائتين قال وان فعل فصادفنا من مولاها رجلا حرا فأخذ ثلثمائة دينار وجهزها بالمائتين فمازال لنا محبا الى أن فرق الموت بيننا (الليلة الثالثة) حدث عبد الرحمن بن عمر الفهرى عن رجال سماهم قال أمر المأمون أن يحمل اليه عشرة أناس من البصرة كانوا يرمون بالزندقة عنده فحملوا اليه فبينما أحد الطفيليين جائز اذ رآهم مجتمعين فقال ما اجتمع هؤلاء الا لوليمة فانسل معهم ودخل فى جملتهم ومضى بهم المتوكلون الى البحر فأطلعوهم فى زورق قد أعد لهم فقال الطفيلى كأنها نزهة فأصعد معهم فى الزورق فلم يكن بأسرع من أن قيد القوم فقيدوا الطفيلى معهم فعلم أنه قد وقع ورام الخلاص فلم يقدر ثم دفع الملاح وساروا الى أن وصلوا بغداد ودخلوا على المأمون فأمر بضرب أعناقهم فاستدعوا بأسمائهم رجلا رجلا وهو يقتل حتى لم يبق الا الطفيلى وفرغت العدة فقال المأمون للمتوكلين بهم ماهذا قالوا يا أمير المؤمنين ماندرى غير أنا وجدناه مع القوم فجئنا به فقال له المأمون ماقصتك ويلك فقال يا أمير المؤمنين امرأته طالق ان كان يعرف من أقوالهم شيأ ولا يعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله وانما رأيتهم مجتمعين فظننت انهم يدعون الى مأدبة أو دعوة فالتحقت بهم قال فضحك المأمون ثم قال بلغ من شؤم التطفيل الى

أن أدخل صاحبه هذا المدخل لقد سلم هـذا الجاهل من الموت ولـكن يؤدب
حتى يتوب قال وكان ابراهيم بن المهدى حاضرا يومئذ فقال يا أمير المؤمنين هبه لى
واحدثك بحديث عن نفسى فى التطفيل عجيب قال قد وهبته لك هات حديثك
قال يا أمير المؤمنين خرجت يوما متنكرا أنظر الى سكك بغداد فاستهوى بى التفرج
وانتهى بى المشى الى موضع شممت فيـه روايح طعام وأبازير قد تاقت نفسى
اليها ووقفت يا أمير المؤمنـين لا أقدر على المضى فرجعت بصرى فاذا شباك ومن
خلفـه كف ومعصم ما رأيت أحسـن منه فوقفت حائرا ونسيت روايح الطعام
بذلك الـكف والمعصم فأخـذت فى اعمـال الحيلة فى الوصول فنظرت فاذا بخياط
قريب من ذلك الموضع فقدمت اليه وسلمت عليه فرد على فقلت يا سـيدى لمن
هذه الدار قال يا سـيدى لرجل من البزازين قلت فـا اسمه قال فلان ابن فلان
قلت هو ممن يشرب الخمر قال نعم وأظن اليوم عنده دعوة وليس ينادم الا تجارا
مثله فبينا نحن فى الـكلام اذ أقبل رجلان راكبان فقـال هؤلاء ندماؤه فقلت
ما أسمـاؤهما وما كناهـما فقال فلان وفلان فحركت دابتى فلحقتهما وقلت
جعلت فداكما قد استبطأ كما أبو فلان أعزه الله وسايرتهـما حتى أتيا البـاب
فدخلت ودخـلا فلمـا رآنى صاحب المنزل معهما لم يشك فى أنى منهما بسبيل
فرحب بى وأجلسنى فى أفضـل المواضع ثم جىء بالمـائدة ونقـل اليها الالوان
فـكان طعمها يا أمير المؤمنين أطيب من رائحتها فقلت فى نفسى هذه الالوان
قد من الله على ببلوغ الغرض منها يبقى الـكف والمعصم ثم جىء بالوضوء فغسلنا
ثم نقلنا الى مجلس المنـادمة فاذا هو أشكل منزل وأظرفه فى سائر أموره وجعـل
صاحب المنزل يلطف بى ويقبل على فى الحديث لظنه أنى ضيف لاضيافه وهـم
على مثـل ذلك يظنون أنا كرامه لى عن معرفة متقدمة وصـداقة حتى شربنا
أقداحا خرجت علينا جارية كأنها غصن بان فى غاية الظرف وحسـن الهيئة
فسلمت غير خجلة وأتيت لها وسادة فجلست وأتى بعود فأخذته وجسته أحسـن
جس واندفعت تغنى فغنت

توهمها طرفى فأصبح خدها * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر
وصافحها كفى فآلم كفها * فمن لمس كفى فى أناملها عقر

فهيجت يا أمير المؤمنـين بلبالى وطربت لحسن شـعرها وحذقها ثم اندفعت

فغنت ايضا

أشرت اليها هل عرفت مودتى * فردت بطرف العين انى على العهد
فحدت عن الاظهار حفظا لسرها * وحادت عن الاظهار حفظا على عهد

فجاءنى من الطرب مالم أملك معه نفسى وطرب القوم طربا شديدا ثم غنت

أليس عجيبا أن بيتا يضمنى * واياك لا نخلو ولا نتكلم
سوى أعين تبدى سرائر انفس * وتقطيع أنفاس على النار تضرم
اشارة أفواه وغمز حواجب * وتكسير أجفان وكف تسلم

فحسدتها على حذقها يا أمير المؤمنين واصابتها معنى الشعر لانها لم تخرج من الفن الذى ابتدأت فيه فقلت قد بقى عليك يا جارية شئ فرمت بالعود وقالت متى كنتم تحضرون فى مجالسكم البغضاء فندمت على ما كان منى ورأيت القوم كأنهم تنكروا بى فقلت فى نفسى فاتنى جميع ما أملت ان لم أتلافى قضيتى فقلت أثم عود قالوا نعم فأتيت بعود مليح الصنعة فأصلحت ما أردت ثم اندفعت فغنيت

ماللمنازل لا تجيب حزينا * أصم أم قدم الليل البلا فبلينا
روح الفتية دوحة مذكورة * ان مت متنا وان حييت حيينا

فما استتممت يا أمير المؤمنين حتى وثبت الجارية على رجلى تقبلها وتقول معذرة اليك والله ما علمت مكانك ولا سمعت مثل هذه الصنعة من أحد ثم زاد القوم فى اكرامى وتبجيلى وطربوا غاية الطرب وشربوا بالطاسات

فلما رأيت طربهم اندفعت فغنيت

أبى الله أن تمسين لا تذكرينى * وقد سهدت عيناى من ذكرك الدما
الى الله أشكو بخلها وسماحتى * لها عسل منى وتبدى علقما
فردى مصاب القلب أنت قتلته * فلا تتركيه ذاهب العقل مغرما
الى الله أشكو أنها أجنبية * أكون لها ما عشت بالود محرما

فرأيت من طرب القوم شيأ خشيت أنهم فارقوا عقولهم فأمسكت عنهم ساعة ثم راجعت أمرهم لما هدئت نفوسهم واندفعت وغنيت

هذا محبك مطويا على كمده * صب مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحة * مماته ويد أخرى على كبده
يامن رأى كلفا مستهترا دنفا * كانت منيته فى طرفه ويده

فجعلت الجارية تصيح هذا والله الغناء لا ما نحن فيه وشرب القوم وسكروا وبقى في صاحب المنزل مسكة لجودة شربه فأمر غلمانه بحفظهم الى منازلهم وانصرفوا وخلوت معه وشرب أقداحا ثم قال يا سيدى ذهب ما مضى من عمرى هدرا اذ لم أكن أعرف مثلك ولم أحاضر رئيسا يشبهك فبالله يا مولاى من أنت لاعرف نديمى فأخذت أورى عليه وهو يقسم على الى أن أعلمته من أنا على الحقيقة فوثب قائما على قدميه وقال لقد عجبت أن يكون هذا الفعل الا لمثلك ولقد أسدى الزمان الى يدا لا أقوم بشكرها ومتى طمعت بأن يزورنى ذو الخلافة فى منزلى و ينادمنى ما هذا الا فى المنام فلا أتممت ليلتى الا قائما بين يديك اذ كنت أحقر أن أجالس ذا الخلافة فأقسمت عليه الى أن جلس ثم أخذ يسألنى ما السبب فى حضورى عنده بألطف معنى فأخبرته يا أمير المؤمنين بالقصة من أولها الى آخرها وما سترت منها شيئا ثم قلت أما الطعام فنلت منه بغيتى وأما الكف والمعصم ان شاء الله ثم قال يا فلانة قولى لفلانة جارية له تنزل وجعل يستدعى واحدة واحدة ويعرضها على وأنا لا أرى صاحبتى الى أن قال والله ما بقى غير أمى وأختى والله لينزلان فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت جعلت فداك ابدأ بالاخت فقال حبا وكرامة ثم نزلت أخته فأرانى يدها فاذا هى التى رأيتها فقلت حسبك هذه الجارية فأمر غلمانه لوقته واستدعى عشرة مشايخ سماهم لهم ثم قام فأخرج بدرتين عشرين ألف درهم وحضرت المشايخ فقال لهم هذا سيدى ابراهيم بن المهدى يخطب منى أختى فلانة واشهدكم أنى قد زوجتها له وأمهرتها له عشرة آلاف درهم فقلت له قبلت ورضيت النكاح فشهدوا علينا ثم دفع البدرة الواحدة الى أخته والاخرى فرقها على المشايخ ثم قال اعذروا فهذا ما حضر فشكروا ودعوا له وانصرفوا ثم قال يا سيدى أمهد لك بعض البيوت وتنام مع أهلك فاحتشمنى ما رأيت من كرمه واستحييت أن أخلو بها فى داره فقلت بل أحضر عمارية وأجهزها وأحملها الى منزلى فقال ما شئت فأحضر عمارية وحملها الى منزلى فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حمل الى من الجهاز ما ضاقت عنه بيوتنا على سعتها فأولدتها هذا الغلام القائم بين يديك يا أمير المؤمنين فعجب المأمون من كرم هذا الرجل فقال لله دره ما سمعت قط بمثله ثم أطلق الطفيلى باجازة ابراهيم وأمر باحضار الرجل ليشاهده فأحضر بين

يديه فاستنطقه فأعجبه وصار من جملة خواصه ومحاضرته (الليلة الرابعة) حدث غيرالهلالى قال كان من فتيان بنى هلال فتى يقال له بشر ابن عبد الله وكان يعرف بالاشتر وكان من سادات بنى هلال أحسنهم وجها وأسخاهم كفا وكان مغرما بجارية من قومه تدعى جيدا وكانت بارعة الجمال والكمال ثم اشتهر أمره وأمرها وظهر خبرهما بين أهليهما الى أن كانت بين الفريقين ثم افترقوا وأبعدت منازلهم فقال غير فلما طال على الاشتر الفراق وتمادى البعد جاءنى فقال يا غير هل لك من خير ثم ماعندى الا ما احببته فقال تساعدنى على زيارة جيد فقد أذهب الشوق روحى فقلت نعم بالحب والكرامة فانهض بنا اذا شئت وركبت وسرنا يومنا وليلتنا والغد حتى اذا كان العشاء اختار احلتنا فى شعب قريب من الفريق فقال يا غير اذهب فتأنس بالناس واذكر ان لقيت أحدا أنك صاحب ضالة ولا تعرض بذكرى بين شفة ولا لسان الى أن تلقى جاريتها فلانة ترعى غنمهم فأقرئها منى السلام وسلها عن الخبر وأعلمها بموضعى قال فخرجت لا أعدو الى ما أمرنى به حتى لقيت الجارية وأبلغتها الرسالة وأعلمتها مكانه وسألتها عن الخبر وأعلمتها بموضعى فقالت هى والله مشدد عليها تحفظ بها ولكن مواعدكم أوائل الشجرات اللواتى عند أعقاب البيوت مع صلاة العشاء قال فانصرفت الى صاحبى فأعلمته الخبر ثم نهضت أنا وهو نقود راحلتنا حتى أتينا الى الموضع فى الوقت المعهود فلم نلبث الا قليلا واذا جيد تمشى قريبا منا فوثب الاشتر فصافحها وسلم عليها وقمت أنا موليا عنهما فقالا نقسم عليك بالله الا ما رجعت فوالله ما نحن فى مكروه ولا بيننا ما يستر عنك فرجعت اليهما وجلست معهما فقال الاشتر ما فيك حيلة يا جيد نتعلل الليلة قالت لا والله ومالى الى ذلك من سبيل الا أن يرجع الذى عرفت من البلاء والشر فقال لها لا بد من ذلك ولو كان ما عسى أن يكون قالت فهل فى صاحبك هذا من خير قلت قولى ما بدا لك فانى انتهى الى رأيك ولو كان فيه ذهاب روحى فخلعت ثيابها وقالت البسها وأعطنى ثيابك ففعلت ثم قالت اذهب الى بيتى وادخل فى سربى فان زوجى سيأتيك بعد فراغه من الحلبة والقدح مملوء فيقول هاك غبوقك فلا تأخذه منه حتى تطل ذلك عليه ثم خذه أودعه حتى يضعه ويذهب فاستتراه حتى تصبح ان شاء الله تعالى قال فذهبت ففعلت ما أمرتنى به حتى اذا جاء بالقدح

لم آخذه حتى نكد عليه ثم أهويت لاخذه منه وأهوى هو ليضعه فاختلفت أيدينا على الاناء فانكفأ القدح وانهرق اللبن فقال ان هذا الطماح جدا وضرب بيده الى مقدم البيت واستخرج سوطا ملويا مثل الثعبان ثم دخل فهتك الستر على ومتع السوط منى تمام عشرين سوطا ثم جاءت امه واخته فانتزعاه من يده لا والله مافعلا ذلك حتى زال عقلى وهممت أن أجيه بالسكين وان كان فيها الموت فلما خرجوا شددت سترى وقعدت كما كنت فلم البث الا قليلا حتى دخلت ام جيداف كلمتنى وهى لا تشك انى ابنتها واندفعت فى البكاء والنحيب وتغطيت بثوبى ووليتها ظهرى فقالت يابنية اتقى الله فى نفسك ولا تعرضى بمكروه زوجك فذاك أولى بك واما الاشتر فذاك آخر الدهر وخرجت من عندى وقالت سأرسل اليك أختك تونسك الليلة فالبثت غير دقيقة واذا الجارية قد جاءت فجعلت تبكى وتدعو على من ضربنى وأنا لا أكلمها ثم اضطجعت الى جنبى فلما استمكنت منها شددت يدى على فيها وقلت يا هذه تلك أختك مع الاشتر وقد قطع ظهرى الليلة بسببها وأنت أولى بالستر عليها فاختارى لنفسك ولها ولئن والله تكلمت بكلمة لاصيحن أنا بجهدى حتى تكون الفضيحة شاملتهم فلما سمعت ذلك دفعت يدى عن فيها واهتزت كما يهتز القضيب فلم أزل بها حتى انست بى فباتت والله معى أحسن رفيق رافقته ولم نزل نتحدث وتضحك منى وما انى لو تمكنت منها تمكن من لو أراد زنية فعلها ولكن الله عصم فله الحمد ولم نزل كذلك حتى طلع الفجر واذا جيد قد دخلت علينا فلما رأتنا ارتاعت وقالت ويحك من هذه فقالت أختك قالت وما الخبر قالت هى تخبرك فانها والله نعم الاخت وأخذت ثيابى ومضيت الى صاحبى فركبت أنا وهو وحدثته بما أصابنى وكشفت له عن ظهرى فاذا فيه ضرب رمى الله ضاربه بالنار كل ضربة يخرج منها الدم فلما رأى كذلك قال لقد عظم صنعك ووجب شكرك وطالت يدك فلا أحرمنى الله مكافأتك ولم يزل لى شاكرا معترفا (الليلة الخامسة) قال الواقدى كان ابراهيم بن المهدى قد ادعى الخلافة لنفسه بالرى وأقام مالكها سنة واحدى عشر شهرا واثنى عشر يوما وله أخبار كثيرة أحسنها عندى ما حكاه لى قال لما دخل المأمون الرى وطلبنى أشد الطلب وجعل لمن أتاه بى مائة ألف درهم خفت على نفسي وتحيرت فى أمرى

فخرجت من داري وقت الظهر وكان يوما صائفا وما أدري أين أتوجه فمررت على وجهي حتى وقعت في زقاق لا ينفذ فقلت انا لله وانا اليه راجعون ان عدت على أثري يرتاب بي فرأيت في صدر الزقاق عبدا أسود وهو قائم على باب دار فتقدمت اليه فقلت له أعندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار فقال نعم وفتح الباب فدخلت الى دار نظيفة فيه حصيرة نظيفة ومخدة جلدا الا انها نظيفة ثم أغلق الباب علي ومضى لسبيله فتوهمته قد جعل الجعالة في وانه خرج ليدل علي فبقيت على مثل النار قلقا فبينما انا كذلك اذ أقبل ومعه حمال عليه كلما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديد وجرة نظيفة وكيزان جدد فحط عن الحمال والتفت الي وقال جعلني الله فداك انا رجل حجام وانا أعلم انك تتقذرني لما أتولاه من معيشتي فشأنك بما لم تقع عليه يد وكان لي حاجة الى الطعام فطبخت لنفسي قدرا ما أذكر أني أكلت مثله فلما قضيت أربي من الطعام قال لي هل لك من شراب فانه يسلي الهم ويطيب العيش ويدفع عن النفس الغم قلت ما أكره ذلك رغبة في أن أؤانسه فأتى بقطرمين جديد لم تمسه يد وجاءني بدنين من شراب مطيبة وقال لي روق نفسك فروقت شرابا نهاية في الجودة وأحضر لي قدحا جديدا وفاكهة ونقلا مختلفة في طسوت فخار جدد ثم قال لي بعد ذلك اتأذن لي جعلت فداك أن أقعد ناحية عنك وآتي بنبيذ لي فأشرب منه سرورا بك فقلت له افعل فشرب وشربت ثلاثا ثم دخل الى خزانته فأخرج عودا مصلحا ثم قال يا سيدي ليس من قدري أن أسألك تغني ولكن قد وجب على مروءتك حرمتي فان أردت أن تشرف عبدك بأن تغني لنفسك فافعل فقلت ومن أين لك أني أحسن الغناء فقال متعجبا سبحان الله أشهر من ذلك أنت ابراهيم بن المهدي خليفتنا بالامس الذي جعل المأمون لمن دل عليك مائة ألف درهم فلما قال ذلك عظمت هيبته ومروءته عندي وعلمت أن مروءته أجل من المال الذي بذله في فتناولت العود فأصلحته وغنيت وقدم بخاطري فراق أهلي وولدي

وعسى الذي أهدى ليوسف أهله * وأعزه في السجن وهو أسير
أن يستجيب لنا فيجمع شملنا * والله رب العالمين قدير

فقال يا سيدي اجعل الذي تغنيه ما يقتضيه حالك فقلت نعم فقال غن لي

ان الذى عقد الذى انعقدت به * عقد المكاره فيك يحسن حلها
فاصبر فان الله يعقب راحة * ولعلها ان تنجلى ولعلها

فغنيته ولم أكن أحسن لحنه ولكنى لحنته وتفاءلت به وحسن عندى ايراده فشرب وشربت وقال غن لى يا سيدى فقلت

فلا تجزع وان اعسرت يوما * فقد أيسرت فى الزمن الطويل
ولا تيأس فان اليأس كفر * لعل الله يغنى عن قليل
ولا تظن بربك غير خير * فان الله أولى بالجميل

وكنت أعرفه فغنيت وشربت فقال لله درك على لله يداذ آنسنى بمثلك وما كنت أحسب أن الزمان يسمح لى بكونك فى منزلى فان رأيت أن تغن لى فقلت

واذا تنازعنى أقول لها اصبرى * موت يريحك أو علو المنبر
ما قد قضى الرحمن فاصطبرى له * ولك الامان من الذى لم يقدر

فغنيته وحسن فى روحى اقتضاه وآنست به واستظرفته ثم قال لى يا سيدى أتأذن لى أن اغنى ما سنح وان كنت من غير أهل هذه الصناعة فقلت له زيادة فى أدبك ومروءتك فأخذ العود وغنى

شكونا الى احبابنا طول ليلنا * فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم * سريعا ولا يغشى لنا النوم أعينا
اذا ما بدا الليل المضر بذى الهوى * جزعنا وهم يستبشرون اذا رنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثلما * نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

فوالله لقد احسنت بالبيت قد سرنى وذهب عنى كلما كنت فيه من الملح وسألته ان يغنى فغنى

تعيرنا انا قليل عدادنا * فقلنا لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثيرين ذليل
وأنا القوم لانرى القتل سبة * اذا ما راته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

فداخلنى من الطرب مالا مزيد عليه الى أن عاجلنى السكر فلم أستيقظ الا بعد المغرب فعاودنى فكرى فى نفاسة هذا الحجام وحسن أدبه وظرفه وكيف

اقتضاني من الغناء ما أراد أن يسليني به فقمت وغسلت وجهي وأيقظته وأخذت خريطة كانت صحبتي فيها دنانير كثيرة لها قيمة فرميت بها اليه وقلت له استودعك الله فاني ماض من عندك وأسألك أن تصرف ما في هذه الخريطة على بعض مهماتك ولك عندي المزيد ان أمنت من خوفي فأعادها الى متنكرا وقال لي يا سيدي ان الصعلوك مالا قدر له وليس عندكم من ذوي الرياسات ويظن به الظنون الرديئة عن الاخذ آخذ على ما وهبنيه الزمان من قدرك وحلولك عندي ثم اني ألححت عليه فأومى الى موس وقال والله لئن راجعتني فيها لاقتلن نفسي فخشيت عليه وأخذت الخريطة فأعدتها الى كمي وقد اثقلني حملها فلما انتهيت الى باب داره عولا الى المضي قال لي يا سيدي ان هذا الموضع أخفى لك وليس في مؤنتك ثقلة فأقم عندي الى أن يفرج الله عنك فرجعت وسألته أن يكون منفقا من الخريطة فلم يفعل وكان يفعل في كل يوم مثل ما فعله في يوم حلولي عنده وأقمت اياما في ألذ عيش فتبرمت من الاقامة في منزله واحتشمت من التثقيل فتركته وقد مضى يجدد لنا حالنا فقمت وتزينت بزي النساء بالخف والنقاب فخرجت فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف أمر شديد وجئت لاعبر الجسر فاذا أنا بالموضع قد رش وصار زلقا فأبصرني جندي ممن كان يخدمني فعرفني وقال هذه حاجة المأمون فتعلق بي فمن حلاوة الروح دفعته هو وفرسه فرميتهما في ذلك الزلق وتبادر الناس لينقذوه فاجتهدت في المشي حتى قطعت الجسر ودخلت زقاقا فوجدت باب دار وامرأة في دهليزه فقلت يا سيدة النساء أحقني دمي فاني رجل خائف فقالت على الرحب وأطلعتني الى غرفة وفرشت لي وقدمت لي طعاما وقالت يهدي روعك فما يعلم بك مخلوق عندي ولو أقمت سنة وهي معي في ذلك واذا بالباب يدق دقا عنيفا فخرجت ففتحت الباب فاذا بصاحبي الذي دفعته على الجسر وهو مشدود الرأس ودمه يجري على ثيابه وليس معه فرس فقالت يا هذا ما بالك فقال لها ان حديثي عجيب ظفرت بالفتى وانفلت مني ولو كنت حملته الى المأمون لتعجلت لي مائة ألف درهم قالت وما هو قال ابراهيم بن المهدي لقيته وتعلقت به فدفعني والفرس فأصابني ماترين قال فأخرجت اليه خرقا فعملتها في جرحه وعصبته وأسقته شرابا ونام عليلا وطلعت الى فقالت أظنك صاحب القصة فقلت نعم

فقالت

فقالت لا بأس عليك ثم جددت الكرامة فأقمت عندها ثلاثا ثم قالت انى خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع على أثرك فينم بك فانج بنفسك فسألتها امهالى الى الليل ففعلت فلما دخل الليل لبست زى النساء وخرجت من عندها فأتيت الى بيت مولاة كانت لى فلما رأتنى توجعت لى وبكت وحمدت الله على سلامتى وخرجت كأنها تريد السوق والاهتمام فى الضيافة وظننت خيرا فما شعرت الا باسحاق بن ابراهيم الموصلى بنفسه فى خيله ورجله والمولاة معه فسلمتنى له فرأيت الموت عيانا وحملت الى المأمون فجلس مجلسا عاما وأدخلنى اليه فلما مثلت بين يديه سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلم الله عليك ولا رعاك ولا حياك فقلت على رسلك يا أمير المؤمنين ان أولى الثار يحكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى ومن تناولته أيدى الاغترار بما أمدله من اسباب الرجا لم يأمن من غائلة الدهر وقد جعلك الله فوق كل ذى عفو كما جعل كل ذنب تحت عفوك فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك ثم أنشدت

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * فاصفح بحلمك عنه
ان لم أكن فى فعالى * من الكرام فكنه

فرفع رأسه الى فبدرته وقلت

أذنبت ذنبا عظيما * وأنت للعفو أهل
فان عفوت فمن * وان جزيت فعدل

فرق لى المأمون واستروحت روائح الرحمة فى وجهه ثم أقبل على أخيه أبى اسحق وابنه العباس وجميع من حضر فى خاصته وقال ما تقول يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت عنه لم نجد مثلك عفا عن مثله فنكس المأمون رأسه ينكت بأصبعه فى الارض ثم قال متمثلا

قومى هم قتلوا أميم أخى * فاذا رميت يصيبنى سهمى
فلئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهين عظمى

فكشفت المقنعة عن رأسى وكبرت تكبيرة عظيمة فقلت عفا والله عفى أمير المؤمنين فقال لا بأس عليك يا عم فقلت يا أمير المؤمنين ذنبى عظيم أعظم من أن أتفوه معه بعذر وعفوك أعظم من أن انطق معه بشكر ولكن اقول

ان الذى خلق المكارم حازها * فى صلب آدم والامام الشافعى
ملئت قلوب الناس منك مهابة * وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
فعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت أطفالا كأفراخ القطا * وحنين والدة بقلب جازع
رد الحياة على بعد ذهابها * كرم الملك العادل المتواضع

فقال لى المأمون لا تثريب عليك اليوم قد عفوت عنك ورددت عليك ضياعك فقلت رددت مالى ولم تبخل على به وقبل ردك مالى قد رددت دمى

نأيت عنك وقد خولتنى نعما * هما الحياتان من موت ومن عدم
فلو بذلت دمى أبغى رضاك به * والمال حتى أسل النعل من قدم
ما كان ذاك سوى عارية رجعت * اليك لو لم تعدها كنت لم تلم
وان جحدتك ما أوليت من نعم * انى الى اللؤم أولى منك بالكرم

فقال المأمون ان من الكلام كلاما كالدر وهذا منه وامر لابراهيم بمال وخلع عليه وقال يا ابراهيم ان ابا اسحق وابا العباس اشارا بقتلك فقلت انهما نصحا لك يا أمير المؤمنين ولكن ابيت الا ما أنت أهله ودفعت عنى ما خفت بما رجوت فقال المأمون قد مات حقدى عليك بحياة عذرك وعفوى عنك واعظم من عفوى عنك انى لم أجرعك مرار امتنان الشافعين ثم سجد المأمون طويلا ثم رفع رأسه وقال يا ابراهيم أتدرى لم سجدت فقلت شكرا لله الذى أظفرك بعدوك وعدو دولتك فقال ما أردت هذا ولكن شكرا لله على ما ألهمنى من العفو عن مثلك فحدثنى الآن حديثك فشرحت له صورة أمرى وما جرى لى مع الحجام والجندى والمرأة والمولاة التى أسلمتنى وأمر المأمون باحضارها وهى فى دارها تنتظر الجائزة فقال لها ما حملك على ما فعلت مع انعامه عليك فقالت رغبة فى المال فقال لها هل لك من ولد أو زوج فقالت لا فأمر بضربها مائة سوط وتخليدها فى السجن ثم قال أحضروا الجندى وامرأته والمزين فأحضروا فسأل الجندى عن السبب الذى حمله على ما فعل فقال لرغبة فى المال فقال المأمون أنت أولى أن تكون حجاما من أن تكون من أوليائنا ووكل به من يلزمه الجلوس فى دكان الحجام ليتعلم الحجامة واستخدم زوجته قهرمانة فى قصره وقال هذه امرأة عاقلة دينة تصلح للمهمات ثم قال للحجام لقد ظهر من مروءتك ما يجب

معه المحافظة عليه وسلم اليه دار الجندى ودابته وخلع عليه وأثبته برزقه وزيادة ألف دينار فى كل سنة ولم يزل بخير الى أن مات (الليلة السادسة) قال الامير بدر الدين يوسف المهمندار ابن الامير سيف الدين ابى المعالى ابن رماح المعروف بمهمندار العرب حكى لى الامير شجاع الدين محمد الشرزى متولى القاهرة فى الايام الكاملية سنة ثلاثين وستمائة قال بينما انا عند رجل ببعض بلاد الصعيد فضيفنا واكرمنا وكان الرجل أسمر شديد السمرة وهو شيخ كبير وحضر له اولاد حسان فيهم صفاء لون فقلنا يا فلان هؤلاء اولادك بيض وأنت شديد السمرة فقال هؤلاء امهم فرنجية اخذتها فى ايام الملك الناصر صلاح الدين وأنا شاب نوبة حطين فقلنا وكيف اخذتها فقال لها حديث عجيب فقلت أتحفنا به فقال زرعت كتانا فى هذه البلدة وقلعته ونفضته فانصرف عليه خمسمائة دينار فلم يجب أكثر من ذلك فاشير على بحمله الى الشام فحملته فلم يجب أكثر من ذلك فقيل لى بعه صبرا لعله يرجع لك حق الطريق فبعت بعضه صبرا الى ستة اشهر والبعض تركته عندى واكتريت حانوتا ابيع فيه على مهل الى حين انقضاء الستة اشهر فبينما أنا أبيع وقد مرت بى امرأة فرنجية زوج بعض الخيالة ونساء الفرنج يمشون فى الاسواق بلا نقاب فأتت تشترى منى كتانا فرأيت من جمالها ما أبهرنى فبعتها وسامحتها ثم انصرفت وعادت الى بعد أيام فبعتها وسامحتها أكثر من الكرة الاولى فتكررت الى عندى وعلمت أنى أحبها فقلت للعجوز التى معها انى قد تعلقت بحبها فكيف تحيلين لى فقالت لها ذلك فقالت تروح أرواحنا الثلاثة أنا وأنت وهو فقلت لها اذا ذهبت روحى باجتماعى بها ما هو كثير وحكت لى كلاما كثيرا جرى بينهما واتفق الحال على أن أدفع لها خمسين دينارا صورية وتجئ اليه قال فوزنت خمسين دينارا صورية وسلمتها للعجوز فقالت هئ لها موضعك ونحن الليلة عندك قال فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من ماكول ومشروب وشمع وحلوى وكانت دارى مطلة على البحر وكان الصيف ففرشت لى على سطح الدار وجاءت الفرنجية فأكلنا وشربنا وجن الليل فنمنا تحت السماء والقمر يضئ علينا والنجوم تنظر فى البحر فقلت فى نفسى أما تستحى من الله وأنت غريب وتحت السماء وعلى بحر وتعصى الله مع نصرانية فتستوجب عذاب النار وعذاب الدنيا اللهم انى أشهدك أنى قد

عففت عن هذه النصرانية في هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ثم غبت الى الصبح فقامت في السحر وهي غضبى ومضت ومضيت الى حانوتي فجلست فيه واذا هي قد عبرت علي هي والعجوز وهي مغضبة وكأنها القمر فهلكت وقلت في نفسي من م أنت حتى تترك هذه الجارية أنت الجنيد أو السري السقطي ثم لحقت العجوز وقلت ارجعي فقالت وحق المسيح ما ترجع اليك الا بمائة دينار فقلت نعم ومضيت الى حانوتي ووزنتها وجاءت الى ثاني دفعة فلحقتني تلك الفكرة الاولى وعففت عنها وتركتها لله تعالى ثم مضت ومضيت الى موضعي ثم عبرت علي وكلمتني وكانت مستغربة وقالت وحق المسيح ما بقيت تفرح بي عندك الا بخمسمائة دينار أو تموت كمدا فارتعت لذلك وعزمت أني أغرم ثمن الكتان جميعه وأفدي نفسي فبينما أنا كذلك والمنادي ينادي معاشر المسلمين ان الهدنة التي بيننا وبينكم قد انقضت وقد أمهلنا من هنا من المسلمين الى جمعة ليقضوا أمورهم وينصرفوا الى بلادهم فانقطعت عني وأخذت أنا في تحصيل ثمن الكتان الذي لي والمصالحة على ما بقي منه وأخذت معي بضاعة حسنة وخرجت من عكا وأنا في قلبي من الفرنجية ما فيه فوصلت الى دمشق وبعت البضاعة التي لي بأوفى ثمن لانقطاع وصولها بسبب فراغ الهدنة ومنّ الله سبحانه وتعالى علي بكسب جيد وأخذت اتجر في الجواري عسى أن يذهب ما بقلبي من الفرنجية ولازمت التجارة فيهن فمضى علي ثلاث سنين وجرى للسلطان الملك الناصر ما جرى من وقعة حطين وأخذه جميع الملوك وفتحه بلاد الساحل باذن الله تعالى فطلب مني جارية للملك الناصر وكان عندي جارية حسنة فاشتريت له بمائة دينار فوصلوا الى تسعين دينارا وبقيت عشرة دنانير فلم يجدوها في الخزانة ذلك اليوم لانه أنفق الاموال جميعها فشاوروه على ذلك فقال امضوا به الى الخزانة التي فيها السبي من نساء الفرنج فخيروه في واحدة منهن يأخذها بالعشرة دنانير التي له فأتيت الخزانة فنظرت اليها فعرفت الجارية الفرنجية غريمتي فقلت أعطوني هاتيك فأخذتها ومضيت الى خيمتي وقلت لها أتعرفينني قالت لا فقلت أنا صاحبك التاجر في الكتان الذي جرى له معك ما جرى واخذت مني الذهب وقلت ما بقيت تبصري الا بخمسمائة دينار وقد أخذتك ملكا بعشرة دنانير فقالت مد يدك أنا أشهد أن لا اله الا الله وان محمد

رسول الله فأسلمت وحسن اسلامها فقلت والله لا وصلت اليها الا بأمر القاضى فرحت الى ابن شداد وحكيت له ماجرى فعجب وعقد لى عليها وباتت تلك الليلة فحملت ثم دخل العسكر فأتينا الى دمشق فما كان الا شهور قلائل وأتى رسول الملك يطلب الاسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فردمن كان أسيرا من الرجال والنساء ولم يبق الا امرأة الفارس التى عندى فسألوا عنها والحوا فى السؤال والكشف فوشى بها أنها عندى فطلبت منى وحضرت وأنا فى شدة وقد تغير لونى فقالت مابدالك وما الذى أصابك قلت جاء رسول الملك وأخذوا الاسارى جميعهم وطلبونى فقالت لا بأس عليك أحضرنى اليهم وأنا أعرف الذى أقول لهم قال فأخذتها وأحضرتها قدام السلطان الملك الناصر والرسول جالس عن يمينه فقلت هذه المرأة التى عندى فقال لها الملك والرسول تروحين الى بلادك أم الى زوجك فقد فك أسرك أنت وغيرك فقالت للسلطان انا قد أسلمت وحبلت وها بطنى كما ترونه وما بقيت الفرنج تنتفع بى فقال لها الرسول يخبرها أيما أحب اليك هذا المسلم أم زوجك الفارس فلان فقالت له كما قالت للسلطان فقال الرسول لمن معه من الفرنج اسمعوا كلامها ثم قال لى الرسول خذ امرأتك وامض فوليت بها وقد أرسل الى عاجلا وقال ان أمها أرسلت لها معى وديعة وقالت ان ابنتى أسيرة وهى عريانة شعثة واشتهى أن ترسل لها هذا الجدان وتسلمه لها قال فتسلمت الجدان ومضينا الى الدار ففتحته فوجدت قماشها بعينه وقد صرته لها أمها ووجدت الصرتين الذهب الخمسين دينارا والمائة دينار كما هما بربطى لم يتغيرا وهؤلاء الاولاد منها وهى تعيش وهى التى عملت هذا الطعام (الليلة السابعة) قصة أريب بنت اسحق زوج عبد الله بن سلام القرشى وكان عبد الله بن سلام هذا واليا لمعاوية على العراق وكانت أريب هذه من أجل النساء وقتها وأحسنهن أدبا وأكثرهن مالا وكان يزيد بن معاوية قد سمع بجمالها وبما هى عليه من الادب وحسن الخلق والخلق ففتن بها فلما عيل صبره استهاج فى ذلك مع أحد خصيان معاوية وكان ذلك الخصى خاصا بمعاوية اسمه رفيف فذكر ذلك رفيف لمعاوية وذكر شغفه بها وأنه ضاق ذرعه بأمرها فبعث معاوية الى يزيد فاستفسره عن أمره فبعث له شأنه فقال معاوية مهلا يا يزيد قال له على م تأمرنى بالمهل وقد انقطع منها الامل قال له معاوية فأين

جمالك ومروءتك فقال له يزيد قد عيل الحجا ونفد الصبر ولو كان أحد ينتفع به من الهوى لكان أولى الناس بالصبر عليه داود حين ابتلى به قال له اكتم يا بني أمرك فان البوح به غير نافعك والله بالغ أمره فيك ولابد مما هو كائن وكانت أريب بنت اسحق مثلا في أهل زمانها جمالها وتمام كمالها وشرفها وكثرة مالها فأخذ معاوية في الحيلة حتى يبلغ يزيد رضاه فيها فكتب معاوية الى عبد الله ابن سلام وكان استعمله على العراق ان أقبل حين تنظر كتابي لامر فيه حظك ان شاء الله تعالى ولا تتأخر عنه وأجد السير وكان عند معاوية يومئذ بالشام أبو هريرة وأبو الدرداء صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عليه عبد الله ابن سلام الشام أمر معاوية أن ينزل منزلا قد هيئ وأعد فيه نزله ثم قال لابي هريرة وأبي الدرداء ان الله قد قسم بين عباده نعما أوجب عليهم شكرها وحتم عليهم حفظها فحباني منها عز وجل بأتم الشرف وأفضل الذكر وأوسع على رزقه وجعلني راعي خلقه وأمينه على بلاده والحاكم في أمر عباده ليبلوني أأشكر أم أكفر وأول ما ينبغي للمرء أن يتفقده وينظر فيه من استرعاه الله أمره ومن لاغنى به عنه وقد بلغت لي ابنة أريد انكاحها وأنظر في تخيل من يباعلها لعل من يكون بعدي يقتدي بي في هديي ويتبع فيه أثري فانه قد يلي هذا الملك بعدي من يغلب عليه زهو الشيطان ويزينه الى تعطيل بناتهم ولا يرون لهن كفؤا ولا نظيرا وقد رضيت لها عبد الله بن سلام القرشي لدينه وشرفه وفضله ومروءته وأدبه فقال أبو هريرة وأبو الدرداء ان أولى الناس برعاية نعم الله وشكرها وطلب مرضاته فيما خصه منها لانت أنت صاحب رسول الله وكاتبه وصهره وقال معاوية فاذكرا ذلك عني وقد كنت جعلت لها في نفسها شورى غير أني لارجو أن لا تخرج من رأي ان شاء الله تعالى فخرجا من عنده متوجهين الى منزل عبد الله بن سلام بالذي قال لهما معاوية ثم دخل معاوية على ابنته فقال لها اذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة فعرضا عليك أمر عبد الله بن سلام وانكاحي اياك منه فاحرصي على المسارعة الى هواي وقولي لهما عبد الله بن سلام كفؤ كريم وقريب حميم غير أن تحته أريب بنت اسحق وأنا خائفة أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء فأنال منه ما يسخط الله فيه فيعذبني عليه ولست بفاعلة حتى يفارقها فلما ذكر ذلك أبو هريرة وأبو الدرداء لعبد الله بن سلام وأعلماه

بالذى أمرهما معاوية فردهما الى معاوية خاطبين منه فقال قد تعلمان رضاى به وحرصى عليه وقد كنت أعلمتكما الذى جعلت لها فى نفسها من الشورى فادخلا عليها وأعرضا الذى رأيت لها عليها فدخلا عليها وأعلماها ذلك وأعلماها بالذى ارتضاه أبوها فقالت كالذى قال أبوها فأعلما عبد الله ابن سلام بذلك فلما ظن انه لا يمنعها منه الا افتراق أريب أشهدهما على طلاقها وبعثهما اليها خاطبين وأعلما معاوية الذى كان من فراق عبد الله بن سلام امرأته طالبا رضاها فأظهر معاوية كراهيته لفعله وقال لهما ما أستحسن له طلاق امرأته ولا أحببته فانصرفا فى عافية ثم عودا الينا فيها وناخذ ان شاء الله رضاها وكتب الى يزيد ابنه يعلمه بما كان من طلاق عبد الله بن سلام لاريب بنت اسحق فلما عاد أبو هريرة وأبو الدرداء الى معاوية أمرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها تبريا من الامر ونظرا فى القدر ويقول لم يكن لى أن أكرهها وقد جعلت لها الشورى فى نفسها فدخلا وأعلماها بطلاق عبد الله امرأته ليسراها وذكرا من فضله وتمام مروءته وكريم محمدته فقالت جف القلم بما هو كائن وانه فى قريش لرفيع القدر وقد تعرفان ان التزويج جده جد وهزله جد والاناءة فى الامور من لا يخاف فيها من المحذور فان الامور اذا جاءت خلاف الهوى بعد التأنى فيها كان المرء فيها بحسن العذر خليقا وبالصبر عليها حقيقا وانى سائلة عنه حتى أعرف دخيلة خبره ويصح لى بالذى أريد علمه من أمره وان كنت أعلم أن لا اختيار لاحد فيما هو كائن ومعلمتكما بالذى يرينيه الله فى أمره ولا قوة الا بالله قالا وفقك الله وخار لك ثم انصرفا عنها فلما أعلماه بقولها أنشأ يقول فان يك صدر هذا اليوم ولى فان غدا لناظره قريب وتحدث الناس بالذى جرى من طلاق عبد الله بن سلام امرأته وخطبته ابنة معاوية وقالوا لم بطلق حتى فرغ من طلبه له الذى كان من بغيته واستحث عبد الله أبا هريرة وأبا الدرداء فأتياها فقالا لها اصنعى ما أنت صانعته واستخيرى الله فانه يهدى من استهداه قالت أرجو والحمد لله أن يكون الله قد خار فانه لا يكل الى غيره من توكل عليه وقد اختبرت أمره وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسى مع اختلاف من استشرته فيه فمنهم الناهى عنه والآمر به واختلافهم أول ما كرهت فلما أبلغاه كلامها علم أنه مخدوع فان المرء وان كمل له حلمه واجتمع

له عقله واستبد برأيه ليس يدافع عن نفسه قدرا برأي ولا كيد ولعل ما أسروا به واستحلوا به لا يدوم لهم سروره ولا يصرف عنهم محذوره قال وذاع أمره وفشا في الناس وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته وانما أرادها لابنه فبئس ما صنع فلما بلغ ذلك معاوية قال لعمري ما خدعته فلما انقضت أقراءها وجه معاوية أبا الدرداء الى العراق خاطبا لها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال أبو الدرداء اذ قدم العراق ما ينبغي لذي نهى أن يبدأ بشيء ويؤثره على مهم أموره قبل زيارة الحسين سيد شباب أهل الجنة فاذا دخلت موضعاه وفيه وأديت حقه والسلام عليه انقلبت الى ما جئت اليه فقصد الحسين فلما رآه الحسين عليه السلام قام اليه وصافحه اجلالا لصحبته من جده صلى الله عليه وسلم ولموضعه من الاسلام وقال له ما أتى بك يا أبا الدرداء قال وجهني معاوية خاطبا على ابنه يزيد أريب بنت اسحاق فرأيت على حقا أن لا أبدأ بشيء قبل السلام عليك فشكر له الحسين ذلك وأثنى عليه وقال لقد كنت ذكرت نكاحها وأردت الارسال اليها اذا انقضت اقراؤها فلم يمنعني من ذلك الا تخير مثلك فقد أتى الله بك فاخطب رحمك الله علي وعليه ليحري من اختاره الله لها وهي أمانة في عنقك حتى تؤديها اليها وأعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه فقال أفعل ان شاء الله فلما دخل عليها قال أيتها المرأة ان الله خلق الامور بقدرته وكونها بعزته فجعل لكل أمر قدرا ولكل قدر سببا فليس لاحد عن قدر الله مستخلص ولا للخروج عن علمه مستناص فكان ما سبق لك وقدر عليك من فراق عبد الله بن سلام اياك ولعل ذلك لا يضرك و يجعل الله فيك خيرا كثيرا وقد خطبك أمير هذه الامة وابن ملكها و ولي عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية والحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أول من آمن به من أمته وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة وقد بلغك سناهما وفضلهما جئتك خاطبا عليهما فاختاري أيهما شئت فسكتت طويلا ثم قالت يا أبا الدرداء لو كان هذا الامر جاءني وأنت غائب لاشخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه رأيك ولم اقتطعه دونك فاما اذا كنت أنت المرسل فيه فقد فوضت أمري بعد الله اليك

وجعلته فى يدك فاختر لى ارضاهما لربك والله شاهد عليك فاقض فى قصدى بالتحرى ولا يصدنك عن ذلك اتباع هوى فليس أمرهما عليك خفيا ولا أنت عما طوقتك غبيا قال أبو الدرداء أيتها المرأة انما على اعلامك وعليك الاختيار لنفسك فقالت عفا الله عنك انما أنا بنت أخيك ومن لا غنا لها عنك ولا يمنعك رهبة أحد من قول الحق فيما طوقتك فقد وجب عليك أداء الامانة فيما حملتك والله خير من روعى وخيف انه بنا خبير لطيف فلما لم يجد بدا من القول والاستشارة قال يا بنية ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى ولك وأرضى عندى والله أعلم بخيرهما لك وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا شفتيه على شفتى الحسين فضعى شفتيك حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم شفتيه قالت قد اخترت ورضيته فتزوجها الحسين بن على عليهما السلام فساق لها مهرا عظيما وبلغ معاوية الذى كان من فعل أبى الدرداء فى ذلك نكاح الحسين اياها فتعاظمه جدا ولامه شديدا وقال من يرسل ذا بله وعمى يركب خلاف ما يهوى وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه اياها بدرات مملوءة ذهبا وكان ذلك أعظم ماله لديه وأحبه اليه وقد كان معاوية أطرحه وقطع عنه جميع رواتبه عنده لسوء قوله وتهمته انه خدعه فلم يزل يجفوه حتى عيل صبره وقل ما فى يده ولام نفسه على المقام لديه فرجع الى العراق وهو يذكر ماله الذى استودعه اياها ولا يدرى كيف يصنع فيه وأين يصل اليه وهو يتوقع جحودها لسوء فعله بها ولانه طلقها على غير شئ أنكره عليها فلما قدم العراق لقى الحسين فسلم عليه ثم قال له قد عرفت ما كان من خبرى وخبر أريب وكنت قبل فراقى اياها قد استودعتها مالا عظيما وكان الذى كان ولم أقبضه ووالله ما انكرت منها فى طول صحبتها فتيلا ولا أظن بها الا جميلا فذكرها أمرى واحضضها على رده الى على فان الله يحسن عليه ذكرك ويجزل به أجرك فسكت عنه فلما انصرف الحسين الى أهله قال لها قدم عبد الله بن سلام وهو يحسن الثناء عليك ويحمل النشر عنك فى حسن صحبتك وما آنسه قديما من أمانتك فسرنى ذلك وأعجبنى وذكر أنه كان استودعك مالا فأدى اليه أمانته وردى عليه ماله فانه لم يقل الا صدقا ولم يطلب الا حقا قالت صدق استودعنى مالا لا أدرى ما هو وانه لمطبوع عليه بخاتمه ما حول منه شئ الى يومه وها هو ذا فادفعه اليه بطابعه فأثنى

عليها الحسين خيرا وقال الا أدخله عليك حتى تبرئي اليه منه كما دفعه اليك ثم لقي عبد الله فقال ما أنكرت مالك وزعمت أنه كما دفعته اليها بطابعك فادخل يا هذا اليها وتوف مالك منها قال عبد الله أو تأمر من يدفعه الي قال لا حتى تقبضه منها كما دفعته اليها وتبرئها منه اذا أدته اليك فلما دخل عليها قال لها الحسين هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته فأديه أمانته فأخرجت اليه البدر فوضعتها بين يديه وقالت هذا مالك فشكر وأثنى وخرج الحسين عنهما وفض عبد الله خواتم بدره وحثى لها من ذلك وقال خذي فهذا قليل مني فاستعبرا جميعا حتى علت أصواتهما بالبكاء أسفا على ما ابتليا به فدخل الحسين عليهما وقد رق لهما للذي سمع منهما فقال اشهد انها طالق ثلاثا اللهم قد تعلم أني لم أستنكحها رغبة في مالها ولا جمالها ولكني أردت احلالها لبعلها فطلقها ولم يأخذ شيأ مما ساق لها في مهرها فسألها عبد الله أن يصرف للحسين ما ساق لها فأجابته شكرا لما صنعه بهما فلم يقبله الحسين وقال الذي أرجوه من الثواب خير لي فلما انقضت اقراؤها تزوجها عبد الله بن سلام وبقيا زوجين متصافيين الى أن فرق الموت بينهما وحرمها الله يزيد بن معاوية نقلتها من تاريخ ابن بدرون

---

*(الباب الحادي والعشرون في الشعراء المجيدين
وهو مقدمة ونتيجة)*

أقول لابد من مقدمة ينتفع بها الطالب لهذا العلم لئلا يخلو كتابنا من ذلك الشعر قول موزون مقفى بالقصد يدل على معنى والمعنى للشعر بمنزلة المادة واللفظ بمنزلة الصورة وهو يشتمل على أربعة أشياء لفظ ومعنى ووزن وقافية وتهذيبه أن يكون اللفظ سمحا سهل المخارج حلوا عذبا وتهذيب الوزن أن يكون حسنا تقبله النفس والغريزة غير منكسر ولا مزحف وتهذيب القافية أن تكون سلسلة المخارج مألوفة فان القوافي حوافر الشعر وأن يقصد الكلام الجزل دون الرذل ولا يعمل نظما ولا نثرا عند الملل فان الكثير معه قليل والخواطر ينابيع واذا رفق بها جمت واذا عنف عليها مرجت وليترنم بالشعر وقت عمله فانه يعين عليه وقد يتخيل الشاعر الشعر الجيد فيمكنه

مرة ولا يمكنه أخرى وإياك وتعقيد المعاني واجعل المعنى الشريف في اللفظ اللطيف لئلا يتلاف أحدهما الآخر ومتى عصى الشعر فاتركه ومتى طاوعك فعاوده وروح الخاطر اذا كل واعمل في أحب المعاني اليك وفي كلما يوافقه طبعك فالنفوس تعطي على الرغبة ولا تعطي على الاكراه واعمل الابيات متفرقة على ما يجود به الخاطر ثم انظمها في الآخر وحصل المبدأ والمقطع والخروج فهو أصعب ما في القصيدة فاذا فعلته سهل عليك واشعرها أولا وهذبها أخرا فقد قيل عن زهير انه كان يعمل القصيدة في شهرين ويهذبها في حول ولذلك سمي شعره الحولي المنقح قال الخوارزمي من روى حوليات زهير واعتذارات النابغة وأهاجي الحطيئة وهاشميات الكميت ونقائض جرير وخمريات أبي نواس وتشبيهات ابن المعتز وزهريات أبي العتاهية ومراثي أبي تمام ومدائح البحتري وروضيات الصنوبري ولطائف كشاجم ولم يخرج الى الشعر فلا شب الله قرنه واذا نثرت منظوما فغير قوافي شعره عن قراش سجعه واذا سرقت معنى فغير الوزن والقافية ليخفى ذلك واذا أخذت شعرا فزد على معناه وانقص من لفظه واحترز مما يطعن به عليك فبذلك تكون أحق من قائله به وأن لا يكاتب العامة بكلام الخاصة ولا بالعكس وأكثر من حفظ النظم والنثر فعلى قدر ما يحفظ منه يقوى فيه واعلم أن الشعر يسخي البخيل ويشجع الجبان ويفرج الهموم ويرضي الغضبان وكذلك قالوا الشعر يعد من السحر وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا (وقال الشافعي) في كتاب الام والشعر كلام كالكلام فحسنه كحسنه وقبيحه كقبيحه وفضله على سائر الكلام أنه سائر في الناس يبقى على الزمان فينظر فيه وان كان حسنا كان كغيره من الكلام الحسن انتهى (وقال) الشيخ برهان الدين القيراطي في خطبة ديوانه ويكفي من تفضيله أن النبي صلى الله عليه وسلم استنشد بعض الصحابة من شعر أمية فأنشده مائة قافية وكانت الصدقة تحفظ للبيد ألف بيت وافية وكان الشعبي يقول لو شئت أن أملي عليكم من انشادي شهر الأعياد بيتا لفعلت وكان الاصمعي يحفظ اثني عشر ألف ارجوزة ومازال السلف يحفظون الشعر قديما ويتخذونه في الخلوات نديما وينشدونه في مواطن المؤانسة ويوردون دقائقه في ساعات المجالسة ولو أوردنا ما ورد في فضله من الآثار المسندة والاخبار

المهذة لوقف الناظر منها على حجج قوية ومحجة ضوية ولقد كان جماعة من العلماء الراسخين والائمة الورعين لهم فى صناعة الشعر الغاية وانتهوا فى الاجادة فيه الى النهاية يعرف ذلك من وقف على تراجمهم واحصاها وطالع أخبارهم واستقصاها (وحديث) أحثوا فى وجوه المداحين التراب فالمراد به الغلو والاطراء واستقباح المدح المفرط كلاما وشعرا ونظما ونثرا ولا يختص ذلك بالشعر وحده لما يخشى من افتتان سامعه عنده (وقال أبو بكر الهذلى) قال لى الشعبى أتحب الشعر قلت نعم قال انما تحبه فحول الرجال ويكرهه مؤنثوهم ثم ان الناظمين لارواح الالية أفراد والظافرين بفرائده ذو وانفراد والسالكين للمناهج الفاصلية أضمرتهم البلاد والمقتفين لمنار السراج والمتحلين بحلية الجمال قلت منهم الاعداد والمؤلفين لعقودها المتواتر مدحها أجادوا بما ادعانه انحاد وجهال مالهم بالاشعار اشعار راموا الوصول الى معانيه اللطيفة بطباع كثيفة وحاولوا أسبابه الخفيفة بنفوس ثقيلة وأسبابه الثقيلة بعقول خفيفة لا يظفر احدهم بأبيات أوتاده وان كان فى عتوه ذو الاوتاد ولا يتحملون من ملابسه بما يسترهم وان تعصبوا أونقبوا فى البلاد ولا يحيمون من ألفاظهم اليابسة الاعما يقال لهم اذا قطعوه جابوا الصخر بالواد فيقال لجيدهم اذا أتى بلفظ وزنه وأخلاه من المعانى الحسنة اذا كنت لا تدرى سوى الوزن وحده فقل أنا وزان وما أنا شاعر ثم ان منهم من يظفر بمعنى ولكن يقلبه تركيبا ويركبه مقلوبا ويأتى بجمل غير مفيدة وقد قلت فى ذلك من قصيدة

وشاعر بالمعانى لا شعور له * مركب الجهل يبدى سوء تركيب
موكل بمعانيه يحرسها * فما تركب معنى غير مقلوب

فأولاه بأن يركب على نفسه مقلوبا ويضرب بأذنه على سوء الادب تأديبا انتهى كلام القاضى برهان الدين (وقال) الشيخ الامام العالم المفتن النحوى العروضى القاضى زين الدين عمر بن الوردى فى خطبة الكلام على مائة غلام ولعمرى ما أنصفنى من ساء بى الظن أو قال عنى كيف رضى مع درجة العلم والتقوى بهذا الفن فالصحابة كانوا ينظمون وينثرون ونعوذ بالله من قوم لا يشعرون (وقال أبو بكر الخوارزمى) فى مدحهم ما ظنك بقوم الاقتصاد محمود

الا منهم والكذب مذموم الا فيهم اذا ذموا أبدعوا واذا مدحوا سلبوا واذا رضوا رفعوا الوضيع واذا غضبوا وضعوا الرفيع واذا أقروا على أنفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد ولم تمتد اليهم يد غنيهم لا يصادر وفقيرهم لا يحقر وشيخهم يوقر وشابهم لا يستصغر وسهامهم تنفذ فى الاعراض اذا بثت سهامهم عند الاعراض وشهادتهم مقبولة وان لم ينطق بها سجل ولم يشهد عليها عدل سرقتهم مغفورة وان جاوزت ربع دينار وبلغت ألف قنطار ان باعوا المغشوش لم يرد عليهم وان صادروا الصديق لم يستوحش منهم بل ماظنك بقوم اسمهم ناطق بالفضل واسم صناعتهم مشتق من العقل هم أمراء الكلام يقصرون طويله ويقصرون مديده ويخففون ثقيله (وقال الحسن ابن سهل) لا تكسد صناعة الشعر الا فى شر زمان وأخس سلطان (ومن حيلهم) اللطيفة ماذكره أبو الفتح كشاجم فى كتابه المصائد والمطارد وهو ان بعض الملوك كان كثير الاشتغال بالصيد منهمكا فيه وكان بعض الشعراء قصده فتعذر ما امله وحال بينه وبينه الحجاب لكثرة الفه بالصيد فعمد الشاعر الى رقاع لطاف وكتب فيها ماقاله من الشعر فى مدحه وصاد عنده من الظبا والارانب والثعالب وشد تلك الرقاع فى أذناب بعضها وآذان بعض وراعى خروجه الى الصيد فلما خرج كمن له فى مظانه ثم أطلقها فلما ظفر بها ورأى تلك الرقاع استبشر وزاد فى استظراف الرجل واستلطفه وزاد فى رعى ذمامه وأمر بطلبه فأحضر ونال منه خيرا كثيرا (وقريب) منها سأل رجل فخر الملك وزير بنى بويه حاجة وأمله فلم يعطه شيأ فمضى الرجل الى القاضى واستدعى على بن نباتة الشاعر فلما جاءه الرسول قال والله ما لاحد على دين ولا بينى وبين أحد معاملة ولا محاكمة فمن خصمى أحضره حتى أرضيه فلما جاء الرجل قال ما حقك حتى أوفيك قال له أنت قلت فى شعرك حيث مدحت فخر الملك بقولك

لكل فتى قرين حين يسمو * وفخر الملك ليس له قرين
أنخ بجنابه وانزل عليه * على حكم الرجا وأنا الضمين

فأنت قد ضمنت لى ونزلت عليه فلم يفعل والضمين غارم فما أعطانى شيأ فقال أمهلنى حتى أصل اليه فلما دخل على فخر الملك أخبره بالقصة فقال له وكم أملت

منه فقال مائة دينار فقال ادفعوها اليه ثم قال لابن نباتة اذا مدحتني فلا تضمن عني (توفي ابن نباتة المذكور سنة خمس وأربعمائة ومولده سنة سبع وعشرين وثلثمائة) وقال فخر الترك أيضمر الجنوي يمدح السلطان الملك الصالح أيوب بن السلطان الملك الكامل محمد بن الملك العادل تغمدهم الله برحمته ويذكر بنيانه للجزيرة المسماة بالروضة وجلوسه بالمقياس وأولها

الروض مقتبل الشبيبة مؤنق * خضل يكاد عصارة يتدفق

وقد ذكرت اوائلها في باب الروضات والبساتين ثم ذكرت منها المخرباتالى مبتدا هذه الابيات

ايه مديحي لانفصال قصيدة * يوم الرهان ولامحولك ضيق
هذا مقام الملك حيث تقول ما * تهوى وتطيب كيف شئت فتصدق
في حيث لاشرف الصفات يعوزه * فيه ولا باب المدائح مغلق
ملك يلوذ الدين منه بمعقل * أسس سطاه سوره والخندق
لوان سر الملك فيه مخنف * قامت شمائله عليه تنطق
هدأت بسيرته الرعية واغتدى * قلب الحسود من المهابة يخفق
فالدين بعد تفرق متجمع * والكفر بعد تجمع متفرق
الصالح الملك الذى آبائه * عقد به جيد الزمان مطوق
عرق الرعية من دولته التى * فيهم تأكد عهدها والموثق
جمعت كما اقترح الرجاء الى الغنى * امنا فقد رزقوا الذى لم يرزقوا
فالله محمد ثم أيوب الذى * أمن الغنى به واثرى المملق
تظل بهم عداته بسنانه * عشقا وقد الرمح ممايعشق
فيضمه ضم الحبيب ولو بها * يوم الوغى وهو العدو الازرق
أيات ملكك معجزات كلها * ومدى اهتمامك غاية لايلحق
شيدت أبنية تركت حديثها * مثلا يغرب ذكره ويشرق
من كل شاهقة تظل تجيبا * من هول مطلعها الكواكب تسهق
لبس الرخام ملونا فكأنه * روض يفوقه الربيع المغدق
واحتال في الذهب الصقيل شعوفه * فكأنه شفق الاصيل المشرق
باحسنها والنيل مكتنف بها * كالسطر مشتمل عليه مهرق

فكأنما طرف اليه ناظر * وكأنه جفن عليه مطبق
واذا مصطفقا عليه موجه * فكأنما هو للسرور مصفق
وتجاذبت أيدي الرياح رداءه * عنه فظل رداؤه يتمزق
وسرى النسيم وراهن برفقه * فرقى الذى عذب الرياح يمزق
تلك المنازل لاحديث بفترى * عما سمعت ولا العراق وجلق
لله يوم كان فضلك باهرا * فيه ومنك جماله والرونق
يوم تحلى الدهر منه برونق * لما غدا المقياس وهو مخلق
هو ثالث العيدين الا انه * للهوايس على العبادة يطلق
جمعت لمشهده خلائق غادرت * فيه رحيب البر وهو مضيق
وعلا عباب البحر من سباحه * أمم يغص بها الفضاء و يشرق
كادت تبين لهم على صفحاته * طرق ولكن يعيقون وترتق
لم يعش مركوب بهم فنفوسهم * حشوا النحاك كما تحث الانيق
حفت جسومهم لفرط صبابة * هزت اليك فاخشوا ان يغرقوا
وفدوا اليك موهين بأخذما * تعطى وأكثر سؤلهم ان يرمقوا
متجردين عن المخيط لانهم * حجاج بيتك غير أن لم يحلقوا
طافوا به سبعا على وجناتهم * سعيا وأرخى ستره فتعلقوا
والناس شاخصة اليك عيونهم * كل يحدد طرفه و يحدق
طمئت نفوسهم اليك فلم يكن * صدر يقربه فؤاد شيق
متطلعين كما تطلع صائم * ليرى هلال العيد ليلة يرمق
حتى اذا قضيت مناسك كعبة المقياس وهي اكم عوائد سبق
وشكرت ربك فى الزيادة طامعا * ولشاكر النعماء المزيد محقق
ومددت للخليق أكرم راحة * أضحى الخلوف بطيبها يتخلق
أقبلت تنظرك العيون فتنثنى * حسرى و بلحظك القلوب فتطرق
تمشى الهوينا قد علتك سكينة * كادت قلوب القوم منها تصفق
متتوجا تاج الجلالة لابسا * حلل الوقار وأنت فيها أليق
وقد امتطى بنى يديك مهندا * غصنا بروق النصر منه يبرق
حتى انتهيت الى مقر كرامة * بالنيرات مزخرف ومنمق

فجلست حيث جلست منه بزينة * شرفا وطاف بك الملوك وأحدقوا
كل يغض من المهابة طرفه * فتراه وهو لغير فكر مطرق
والنيل مضطرب الغوارب مزبد * صب اليك فؤاده متشوق
لو يستطيع سعى فقبل راحة * هو في السماح بخلقها يتخلق
فرأيت منك ومنه بحرى رحمة * يتبارزان كلاهما يتدفق
أطعمتهم لما سقى فعليكما * رزق العباد كلا كما يسترزق
لكن بينكما على ما فيكما * من نسبة في الجود فرقا يفرق
تحصى الاصابع جوده لحسابها * لكن حساب يداك ليس يحقق
ويفيض ذا في كل عام مرة * وبحار جودك كل حين يدفق
ويخص ذا قوما وجودك يستوى * فيه الانام مغرب ومشرق
وذاك لامن يكدره وذا * يمنن فهو لاجل ذاك مريق
لما غدا المقياس مقسم راحة * يحيى الرعية فيضها المتدفق
أكبرت أن تعلوا الملابس عطفه * فكسوته أنوار شمس تشرق
انسانه خلقا جديدا ما رأى * راءله شبها ولا هو مخلق
حرم الخلافة حله من ربه * ملك بمقلته الخلائق ترمق
ذو معنيين فللتمنع معقل * صعب المرام وللتمتع جوسق
أخذ الوقار عن المشيب وربه * لكن عليه للشبيبة رونق
أيوان كسرى حيث شئت رأيته * منه وأدنى ما هناك خورنق
حصن تمرد صنعه لامارد * وعلا فعز مناله لاالابلق
دغنت به هوج الرياح فاجرت * في كرة الا بقلب يخفق
وكأنما هو في النجوم ملجج * وكأنما هو في النجوم محلق
هذا الذى أعيى الملوك وجوده * من بعد ما حاموا عليه وحلقوا
أدركت بالتمكين مالم يدركوا * ورزقت بالتوفيق مالم يرزقوا
فانقض وواترهم فالقضاء مسدد * والسعد مكتنف وأنت موفق

(قال) شرف الدين أبو الطيب أحمد بن محمد بن أبي الوفا الموصلي الشهير بابن الحلاوى (مولده سنة ثلاث وستمائة ووفاته سنة ست وخمسين وستمائة) يهنئ الملك الرحيم صاحب الموصل بدار بناها

يادارنال العلا والجد يأتيك * حاشاك مماعنيه أعاديك
عدنا اليك على رغم العداة فكم * بتنا نحث الاغانى فى مغانيك
وكم جلونا عروس الراح مشرقة * وكم خلونا بمن نختاره فيك
أصبحت بالعين للذات منزلة * فكل عين لمن عاداك تفديك

(قال) الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة يهنئ ببناء دار

ودار علت قدرا على الدور مثلما * علا ربها بالمكرمات على الورى
مطابقة الاوصاف أمانسيمها * فصح وأماماءها فتكسرا
تكرر فيها النبت دهنا وروضة * فلله ماأحلا نباتا مكررا
وشيدها رب الفضائل والندى * فياحبذا دار القرا آة والقرا
تذكره دار النعيم بطيبها * فيسعى لجنات النعيم كماترى
لقد زادها فى الحسن يوسف فاغتدت * تباع بمرآها القلوب وتشترا

(والمليح) فى هذا المعنى قول أشجع السلمى

قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الايام
أجرى الامام عليه نهرا منعما * أعطى القياد وما عليه زمام

(ومنها) فى المديح وأجاد

وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

(قلت) الشئ بالشئ يذكر وما أحسن ماضمن هذه الابيات الشيخ برهان الدين القيراطى رحمة الله عليه وقال

ومشرف ان زاد تشريفا * فقد خلعت عليه جمالها الايام
هو جامع للحسن الا أنه * قصر عليه تحية وسلام
وعلى العدى من نقشه وطروسه * رصدان ضوء الصبح والاظلام

(وقال) على بن الجهم رحمة الله عليه

وفيه ملك كأن النجو * م يقضى اليها بأسرارها
تخر الملوك لها سجدا * اذا ما تجلت لابصارها
وفوارة نارها فى السماء * فليست تقصر عن نارها
ترد على المزن ماأنزلت * على الارض من صوب أمطارها

(ونقلت) من كتاب رفع الحجب المنشوره على محاسن المقصوره من الجزء الاول تأليف العلامة قاضي الجماعه بحضيرة غرناطه الشريف المرحوم والخطيب بها أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسيني رحمه الله تعالى وهذا التأليف من العجائب المخترعه ألفه شرحا لمقصورة الامام الاوحد أبي الحسن حازم بن محمد بن حسين بن حازم الانصاري القرطاجني تغمده الله بالرحمة (قلت) ذكر العلامة لسان الدين محمد بن الخطيب في تاريخه المسمى بالاحاطة ان مولد الشريف الحسيني سنة سبع وتسعين وستمائة ووفاته سنة ستين وسبعمائة قال الشارح ويتعلق بذكر الهالة ماذكره أبو عبد الله بكر بن عباس كاتب المنصور أبي يوسف يعقوب قال كان لابي بكر بن مجير عادة على المنصور في كل سنة فصادف المنصور في احدى وفادات فراغه من احداث المقصورة التي كان أحدثها بجامعه المتصل بقصره في حضرة مراكش وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع لخروجه وتخفض لدخوله وكان جميع من بباب المنصور يومئذ من الشعراء والادباء قد نظموا أشعارا أنشدوه اياها في ذلك فلم يزيدوا على شكره وتجربته على الخير فيما جدد من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى الى وصف الحال حتى قام أبو بكر بن مجير فانشده قصيدته التي أولها

أعلمتني ألقي عصا التسيار * في بلدة ليست بدار قرار

واستمر فيها حتى ألم بذكر المقصورة فقال يصفها

طورا تكون بمن حوته محيطة * وكأنها سور من الاسوار
وتكون طورا عنهم مخبية * فكأنها سر من الاسرار
وكأنها علمت مقادير الورى * فتصرفت لهم على مقدار
فاذا أحست بالامام يزورها * في قومه قامت الى الزوار
تبدو فتبدو ثم تخفى بعده * كتكون الهالات بالاقمار

فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها (ومن لطيف) بداية الشعر بحضرة ملوكهم ماذكره القاضي شهاب الدين بن فضل الله في كتابه مسالك الابصار في ترجمة مجير الدين بن تميم (حكى) ان الملك المنصور استدعاه في ليلة غفل رقيبها وحضر زبيبها وسحبت من سود الذوائب ظفائرها وسحبت من بيض الايام ضرائرها الى مجلس مزخرف وفواكه لم تخرق وامامه جدول قد خوماه

فتك

فتكسر وانّ عليه كل بارق وتحسر والكؤس دائره والشموس فى أيدى البدو سائره فلما رأى الجدول وقد أصابته من العين نظرة فتعثر وسقط عقد لؤلؤه وتنثر نظر اليه وقال رحمة الله عليه

يا حسنه من جدول متدفق * يلهى برونق حسنه من أبصرا
مازات أيدى عيونا حوله * خوفا عليه ان يصاب فيعثرا
فأتا و زاد تمـاديا فى جريه * حتى هوى من شاهق فتكسرا

فسر المنصور بأبياته وأحب استطلاع خبايا ته وأمره بالجلوس اليه وجعله أرفع القوم لديه ولم يستقر به المكان ولا قعد ولا استكان حتى تحرك المجلس لغلام ورد كأنما يبسم عن برد فقال له المنصور بصوت يخفيه ما تقول فيه فقال

بأبى أهيف تبدى وحيى * بابتسام عدمت منه اصطبارى
فأرانى بوجهه وثنايا * نجوما طلعن وسط النهار

فقال له سرا وقد أسفر وجهه وتسرا الا انه شديد النفار من المدام وله قرع بالملام فهل تقدر على استلانته وتسهيل بأسه واستهانته فاقطع المقال حتى التفت اليه بن تميم وقال

اشربها صرفا لاجل خمارها * وذلك شئ لوجرى غير ضائر
فلا تخش من داء الخمارى وعاطها * هنيئا مريا غير داء مخامر

(فكاد) الغلام يسطو عليه كالعاتب وقال له كالعابث ماهذه فقال

صفراء لولاحت لشمس الضحى * من قبل أن تطلع لم تطلع
أحسن ما فى وصفها أنها * لم تجتمع والهم فى موضع

فقال بل أشرب خيرا منها وأدع المنهى عنها ثم انه أتى بركة فعب من مائها وأرى وجهه خيال قمره فى سمائها فقال

أفدى الذى أهوى بفيه شاربا * من بركة طابت وراقت مشرعا
أبدت لعينى وجهه وخياله * فأرتنى القمرين فى وقت معا

ثم لم يزل به حتى شرب ولدمعه ايلة وطرب فلما طلع ابن ذكا وأنار الصبح وأضاء شكر له المنصور حل عقدة الغلام وقال مثلك من سحر بالكلام ثم أحسن له الجائزه وغدا ابن تميم وبيده لها جائزه (وحكى) عنه أنه استدعاه فى صبيحة يوم أبيض

ونوبات ياسمينه على الارض تنغض والثلج قد نثر كافوره والجليد قد كسر بلوره والسحائب قد أصحبت ذيولها مجروره والبرق قد تلون طول ليلته حتى أخرجها من صورة الى صوره وأوانى الزجاج قد شفت من وراء مدامها والدنان قد فك عنها ختام قدامها ورجال الراح قد زادت فى اقدامها والساقى بعذار كأنما كتب بالريحان أونسج بالزمرد نبت ألحان وتحت عذاره خيلان قد خبأت مسكها فزاد تضوعا وكثر طيبه تنوعا قد تأرج نشرها وفاح وعلم بنقطها فى خده أنه قديم وصف التفاح فلما دخل عليه فى بكرة ذلك اليوم الاغر ورأى الدنيا ضاحكة تفتر أنشده

يا أيها الملك الذى بسطت له * بالجود كف دهره لم تقبض

دنياك مذ وعدت بأنك لم تزل * فى نعمة وسعادة لا تنقضى

كأن الدليل على وفاها أنها * أضحت تقابلنا بوجه أبيض

فأجزل له الصله ولم تكن عوائده بنفصله (ذكر) ابن ظافر فى بدائع البدايه ان المعتمد بن عباد كان جالسا فمر عليه بعض خطباته فى غلالة لا يكاد يفرق بينها وبين جسمها فسكب عليها اناء ماء ورد فعجب من حسنها وجمالها فقال

وهويت سالبة النفوس عزيزة * تختال بين أسنة وبواتر

واستجاز النحلى وهو على الباب فقال

راقت محاسنها ورق أديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر

وتمايلت كالغصن فى ورق الندى * يلتف فى ورق الشباب الناضر

تبدى بماء الورد عنبر شعرها * كالطل يسقط من جناح الطائر

تزهى برونقها وحسن حديثها * زهو المؤيد بالثناء العاطر

فلما قرأه استحسنه وقال له أو كنت معنا جالسا (وقال) محاسن الشوى

وحولك من كماة الارض شوش * غلائلها الجواشن والدروع

قد اعتقلوا ذوائب كالافاعى * اذا اضطربت عواملها تروع

تلوك اللجم تحتهم جياد * سلاهب مابها عطش وجوع

صدمت بهم فريق الترك حتى * تهدم ركن جمعهم المنيع

فكروا والصوارم تستضاء * بأيديهم فعلقها النجيع

(وقال) الصليحى الداعى رحمه الله

أنكحت بيض الهند سمر رماحهم * فرؤسهم عوض النثار نثار
وكذا العلا لا يستباح نكاحها * الا بحيث تطلق الاعمار

(وقال) ابن رشيق الازدى

لو أورقت من دم الابطال سمر قنا * لاورقت عنده سمر القنا الذبل
اذا توجه فى أولى كتائبه * لم تفرق العين بين السهل والجبل
فالجيش ينفض حواليه اسنته * نفض العقاب جناحيها من البلل

(العلامة) ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب (مولده سنة ثلاثة عشر وسبعمائة وتوفى تقريبا سنة خمس وسبعين وسبعمائة)

لله موقفك الذى وثباته * وثباته مثل به يتمثل
والخيل خط والمجال صحيفة * والسمر تنقط والصوارم تشكل
والبيض قد كسرت حروف جفونها * وعوامل الاسل المثقف تعمل
لله قومك عند مشتجر القنا * اذ ثوب الداعى المهيب واقبلوا
قوم اذا لفح الهجير وجوههم * حجبوا برايات الجهاد وظللوا

وقال السيد الفاضل شمس الدين محمد بن الصاحب موفق الدين الآمدى

واذا سرى يلقى السنابك ضعف ما * يراه فوق الطروس من الجفا
مزاج كأس الراح من ماء الظبا * كما أسال من النجيع القرقفا
كأس العجاج ترى الكماة شخوصها * والبيض فوقهم حباب قد طفا
خضب النجيع لكل سيف معصما * ولكل رمح أصبعا قد طرفا

(وقال) عبد العزيز بن نباتة

وولوا عليها يقدمون رماحنا * وتقدمها أعناقهم والمناكب
كتبنا بأطراف القنا لظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب

(وقال) الشهاب محمد يمدح الاشرف خليل بن قلاون

فصبحتها بالجيش كالروض بهجة * صوارمه انهاره والقنا الزهر
وأبدعت بل كالبحر والبيض موجه * وجرد المذاكى سفن جودك الدر
وأغربت بل كالليل عوج سيوفه * أهلته والنبل أنجمه الزهر
وأخطأت لا بل كالنهار فشمسه * جيوشك والآصال راياتك الصفر

(وقال) الاسعد بن مماتى يمدح الظاهر غازى

أسكران نديم العدو غاز * وأسماء الملوك لها حلاها
كأن العمر ريشها طوال * فكم نفس بهن قد استقاها
اذا اكتحلت عيون من عداة * بغير حيلة وجدت عماها
وأطمع نفس أسمره وأضحى * يفتش عن نفوس ما خباها
كأنك خلتها سترت كمينا * فتطعنها لتبصر ما وراها
سل البيت المقدس عنه يخبر بسورة فتحه لما تلاها
محا الناقوس والصلبان عنه * وأثبت هل أتى فيه وطاها

وقال التهامي رحمة الله عليه

ودحوا فويق الارض أرضا من دم * ثم أنثنوا فبنوا سماء غبار
قوم اذا لبسوا الدروع حسبتها * سحبا مزررة على أقمار
وترى سيوف الدارعين كأنها * لجج تمد بها أكف بحار
حشوا الجياد من المطى وراوحوا * بين السروج هناك والاكوار
وكأنما ملؤا عياب دروعهم * وعمود نصلهم شراب قفار

(وقال) سبط بن الجوزى لما صالح الكامل الفرنج على دمياط وعاينوا الهلاك أرسلوا اليه يطلبون الصلح والرهان ويسلمون دمياط فحرص الكامل على خلاص دمياط منهم أجابهم ولو أقاموا يومين أخذوهم برقابهم فبعث اليهم الكامل ابنه الصالح أيوب وابن أخيه شمس الملوك وجاءت ملوكهم الى الكامل فالتقاهم وأنعم عليهم وضرب لهم الخيام ووصل المعظم والاشرف فى تلك الحال الى المنصورة وذلك فى ثالث رجب سنة ثمان عشرة وستمائة فجلس الكامل فى خيمة عظيمة كبيرة عالية ومد سماطا واحضر ملوك الافرنج والخيالة ووقف فى خدمته اخوته المعظم والاشرف وغيرهما وقام شرف الدين راجح الحلى وأنشد

هنيأ فان السعد راح مخلدا * وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا اله الخلق فتحا بدا لنا * مبينا وانعاما وعزا مؤبدا
تهلل وجه الارض بعد قطوبه * وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طغى البحر الخضم بأهله * الطغاة وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام لهذا الدين من سل عزمه * صقيلا كما سل الحسام مجردا

..

فلم ينج الا كل سلو مجندل * ثوى منهم أو من تراه مقيدا
ونادى لسان الكفر فى الارض رافعا * عقيرته فى الخافقين ومنشدا
أعباد عيسى ان عيسى وحزبه * وموسى جميعا يخدمون محمدا

(وقال) الشيخ شهاب الدين أبو شامة بلغنى أنه وقت الانشاد أشار عند قوله عيسى الى المعظم وعند قوله موسى الى الاشرف وعند قوله محمدا الى الكامل وهذا من أحسن الاتفاق (وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدى فى شرح لامية العجم أنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف قال أنشدنى من لفظه لنفسه بدر الدين أبو المحاسن محمد بن يوسف المهمندار فى السلطان الملك الظاهر لما خاض الفرات

لو عاينت عيناك يوم نزالنا * والخيل تطفح فى العجاج الاكدر
وسنا الاسنة والضياء من الظبا * كشفا لاعيننا قتام العثير
وقد اطرخم الامر واحتدم الوغى * ووهى الجبان وساء ظن المجتر
لرأيت سدا من حديد مائد * فوق الفرات وفوقه نار ترى
ظفرت وقد منع الفوارس ردها * تجرى ولولا خيلنا لم تشكرى
ورأيت سيل الخيل قد بلغ الربا * ومن الفوارس أبحرا فى أبحر
لما سبقنا أسهما طاشت لنا * منهم الينا بالخيول الضمر
لم يفتحوا للرمى منهم أعينا * حتى كحلن بكل لدن أسمر
فتسابقوا هربا ولكن ردهم * دون الهزيمة رمح كل غضنفر
ما كان أجرى خيلنا فى اثرهم * لولا انها برؤسهم لم تعثر
كم قد فلقنا صخرة من صرخة * ولكم ملأنا محجرا من محجر
ملأ والفضاء فعن قليل لم ندع * فوق البسيطة منهم من مخبر
سدت علينا طرقنا قتلاهم * حتى جنحنا للمكان الاوعر
من كل أشهب خاض فى بحر الدما * حتى بدا لعيوننا كالاشقر
وجرت دماءهم على وجه الثرى * حتى جرت منها مجارى الانهر
والظاهر السلطان فى آثارهم * يذرى الرؤس بكل عضب أبتر
ذهب العجاج مع النجيع بصقله * فكأنه فى غمده لم يشهر

(وقال) الاديب الفاضل الكامل الترحال جواب الآفاق برهان الدين

ابراهيم الساحلى الشهير بالطويجى المغربى ذكره العلامة لسان الدين ابن الخطيب فى الاحاطة وأثنى عليه الثناء البالغ وذكر ان وفاته سنة سبعمائة وتسعة وثلاثين من قصيدة مطولة مدح بها أحد ملوك اليمن وأولها

خطرت كمياد القنا المتناظر * ورمت بألحاظ الغزال الاعفر
تسجى على الخد النقاب واغما * ترخى الغمام على الصباح المسفر
فتخال فوق الروض ظل أراكة * وعلى ثرى الكافور صلة عنبر
وبملع الصدغين مطرز وجنة * زحفت عليه كتائب ابن المنذر
من أمره زحفوا بعسكر تبع * وتقلدوا بعزائم الاسكندر
السائمين الرمح من خلل الظبا * والنجم من طرف السنان الازور
والمطعمين الاسد من أمثالها * أسلا كل مجندل ومعفر
والخالعين على الزمان ملابسا * نظمت مفاخرهم كنظم الجوهر
سلوا أسنته الضحى يوم الوغى * فبعيدها بالليل أين العثير
وجياده بالعاديات وبيضه * بالقارعات وكفه بالكوثر
قابل برعبك جيش صدك تنثنى * واضرب بعزمك قبل سيفك تنصر
فرؤس من عاديت أغماد الظبا * ودماء من ناويت زى السمهرى
جرع عدوك فضل كأس قدسقى * منها أبوه فان أبى فليجبر
أحمد ذؤابته التى لم تستتر * وحمام مزنته التى لم تمطر
أرسل عليه عقاب عزم صادق * يستاق روح لعامه المستبشر
مزق ثياب العز عنه وخل فى * عطفيه حاشية الرداء الاحمر
هذى قواعد ملكه مدت الى * علياك جيد اللائذ المستنصر
صادت يداه بها وقل نصيره * فيها فطلقها طلاق المعسر
خذها اليك مجاجة من شاعر * غاصت اليك بأبحر لم تسجر
مرضى العيون كليلة اجفانها * ان لم تنر انسانها لم تبصر
وقف ابن أوس دونها وتخضدت * فى نسج حلتها أكف البحترى
واسحب ذيول العز فى أرض الندى * واركب ظهور الشهب يوم المفخر
واضرب رواق العز فى أرض العلى * وارفع سماك الفخر فوق المشترى

(وقال) القاضى الفاضل تغمده الله برحمته

أهذه سير في المجد أم سور * وهذه أنجم في السعد أم غرر
وأنمل أم بحار والسيوف لها * موج وافرندها في لجها درر
وأنت في الارض أم فوق السماء ففي * يمينك البحر أم في وجهك القمر
يقبل البدر ترباً أنت واطئه * فللتراب عليه ذلك الاثر
نأى به الملك حتى قيل ذا ملك * دنا به الجود حتى قيل ذا بشر
في كل يوم لنا من مجده عجب * وكل يوم لنا من ذكره سمر
نظرت في نجمه فالسعد طالعه * لا ينقضي وعلى أمواله سفر
أبو الفوارس والابطال مشفقة * وهم بنوك فما تبقي ولا تذر
يلقى عروس المنايا وهي حاسرة * وخدها فيه من فيض الدما خفر
والضرب بالبيض من آثاره عكن * والطعن بالسمر من آثاره سرر
ورب ليلة خطب قد سريت بها * وما سرى كوكب فيها ولا قمر
سمت الغويص بعزم ماله ضجر * والبعيد بباع ما به قصر
وأنت في جيش رأى لا غبار له * ترمي العداة بقوس ما لها وتر
هي الحروب التي لا السيف منثلم * فيها ولا الذابل الخطي منتظر
في كعبة الندى لو حلها ملك * هب النطق حتى قيل ذا حجر
وسائل لي ما العليا فقلت له * في فعله الخير أو في قوله الخبر
ما أنصفت مجده نظام سيرته * ان الذي ستروا فوق الذي نظروا
نال السما بأطراف القنا فبدت * من النصول عليها أنجم زهر
لا يحدث النصر في أعطافهم مرحا * حتى كأنهم بالنصر ما شعروا
أجروا دما العدا بين الرماح فما * يقال ما عندهم ماء ولا شجر
نرى غرائب من أفعال مجدهم * يردها الفكر لو لم يشهد النظر
خلائق في سموات العلا زهر * منها تنير وفي روض الثنا زهر
الناس أضيافكم والارض داركم * فهو المقام فلم قالوا هو السفر
ما أنصف الشكر لولا ان تسامحنا * فأنت تطنب جودا وهو يختصر

(الباب الثاني والعشرون في الحذاق المطربين)

قال افلاطون من حزن فليسمع الاصوات الطيبة فان النفس اذا حزنت

تجسد نورها واذا سمعت ما يطربها و يسرها اشتعل منها ما خمد (وكان) حكماء الهند يسمعون الغناء للمريض ويزعمون أنه يخفف العلة و يقوى الطبيعة والغناء غذاء الارواح كما أن الاطعمة غذاء الاشباح (وقال) معاوية وقد سمع عنده مغن فحرك رأسه وصفق بيده ودخلته أريحية ثم لما ثاب رأيه اليه اعتذر منه ان الكريم طروب ولا خير فى من لا يطرب (وقال) أبو الحسن بن مقلة يجتبى من يقول الشعر تأدبا لا تكسبا و يغنى تطربا لا تطلبا والشئ بالشئ يذكر ما ألطف قول الشيخ برهان الدين القيراطى من قصيدة

بابى غنى ملاحة أشكو له * فقرى فيصبح بالغنا يتطرب

(وكان) مروان بن أبى حفصة اذا تغذى عند الموصلى يقول له الغناء غذاء الارواح كما أن الشراب غذاء الاشباح (يقال) السماع كالروح والخمر كالجسد والسرور ولدهما (اعلم) ان بين الخمر والغناء مناسبة فى أكثر الاحوال ومضارعة فيما يجمعانه من محمود الخصال لان فيه ما يصير الجبان اذا سمعه شجاعا ومنه ما يكون للهم دفاعا ونغمه يبعث الشحيح على السخاء ومقابلة سؤال السائل بالعطاء وفيه ما ليس فى الخمر من الخصائص العجيبة الامر وذلك أن الرجل الواحد يغنى له فى طريقه فيلين خلقه و يغنى له فى غيرها فتظهر شراسته وترفه واذا سمع ضربا منه استنفره و ذا غنى بصوت آخر لم يمكن العواصف ان تهزه وفيه ما يبكى سامعه ولممازجة الاصوات الحسنة للارواح واهدائها الى القلوب طرائف الافراح كانت البهائم اذا سمعتها تحن اليها والطير شغف بها و يطرب عليها والابل يكسبها الحداء اكثر ما يكسب الانسان الغناء والخيل والبغال والحمير تلذ بشرب الماء اذا تواصل من ساقيها الصفير والحمامة المطوقة والشحارير والبلابل والزرازير والهزاردستانات وغيرها من الطيور المستحسنة الاصوات تسمع أصواتها فيبين منها الطرب وذلك داعيها الى تكررها ولاجل ذلك يتخذها الملوك فى قصورهم و يجعل أماثل الناس كثيرا منها فى دورهم وان كانت أصواتها لا تدل على معنى رائق يعلم ولا تتضمن ما يعرب عنه الكلام الذى يفهم فما ظنك بالالفاظ التى يسمعها السامع فيعيها و يفهم ما يفيده اياه من معانيها اذا أدركها بالجنة من خصوا بصفاء الحلق والنغمات المستحسنة ولهذه العلة صار من يسمع غناء المحسن يشرب من النبيذ عليه أزيد مما يحتمله حاله اذا لم يصغ

اليه ويستمرئ الكثير منه مع سماعه وان كان يثقل عليه قليله اذا خلا من استماعه وقد علم ان الصبى الطفل اذا انزعج خلقه واتصل بكاؤه لوجع يناله أو ضجر يجده وصوتت له دادته بكلام تلحنه وترجعه سكن قلقه أو سمع من منومته مثل ذلك زال أرقه (وقال) اسحق بن ابراهيم الموصلى عيش الدنيا بعد الصحة والشباب فى الطلاء والغناء والنساء والآلات التى اتخذت للغناء بها واستعملت على ترتيب أمكن معه ان يظهر منها ما يظهر من الحيوان الذى يرجع صوته بألحان فان الحكمة فيها عظيمة والمنافع المكتسبة منها جليلة جسيمة والعود أجلها خطرا وأحسنها فى القلوب أثرا وقد كان داود عليه السلام أحذق الناس بصوغ الالحان فى تسبيحه ويعرف الفاسد من ذلك من صحيحه وبه كان يضرب المثل فى حسن ايقاعه فى عوده وارتياح القلوب لصوته وتغريده وكان قبل افضاء الملك اليه واجتماع بنى اسرائيل عليه يحضره ملكهم طالوت اذ غلب عليه خلط ردىء كان يعتريه فيأمره أن يوقع له بالعود ويسمعه من أصواته ما يستلذه فيفعل فيسكن ما هاج به ولما صار الملك اليه نصب من أعظم الحذاق بتلحين المزامير والتسبيح بها على العيدان والطنابير وغيرها من الدفوف والطبول والصلاصل وما يجرى مجراها جماعة وكانت العدة التى تحضر من هذه الطائفة عنده أربعة آلاف فى كل ليلة ذكر ذلك جميعه الثعالبى فى موائد الافراح وحدود الغناء أربعة لا يستغنى عن واحد منها وبها يتم وعليها يبنى فأولها النغم ثم تأليفه ثم قسمته ثم ايقاعه فما اشتمل من الشعر على هذه الحدود فهو غناء وان نقص منه فليس بغناء (وذكر) اليونانيون ان الاوتار الاربعة شبهت بالطبائع الاربع وان البم مشاكل للارض والسوداء والمثلث بالماء والبلغم والمثنى بالهواء والدم والزير بالنار وان النار لما كانت فى الطرف الاعلى فى العالم والارض فى الجهة السفلى منه جعل ما بين البم والزير كذلك وزعمت الاعاجم أنه مشتق من صرير باب الجنة وما قدم أحد من الامم على العود من الملاهى الا لما جمع من الفضائل التى استبد بها وقصر سواه عن اللحاق فيها والحاذق به فى الغناء مقدم على كل حاذق (وذكر) ان عبد الملك أتى بعود قد أخذ مع شارب بالليل فقال وعنده قوم ما هذا ولاى شىء يصلح هذا وأى شىء يعمل به فسكت جلساؤه فقال عبد الله بن مسعدة الفزارى هذا عود يؤخذ

خشبه فيشقق و يرقق و يلصق ثم يعلق عليه هذه الاوتار وتحركها الجارية الحسناء فينطق بأحسن من وقع القطر فى البلد القفر وامرأتى طالق ان لم يكن كل من فى هذا المجلس يعلم منه مثل ما علمت وأولهم أنت يا أمير المؤمنين قال فضحك عبد الملك

(فصل) وينبغى أن يكون المغنى جميل الخلق صافى الخلق له حلاوه وعليه طلاوه مستعذب العباره نظيف الشارب يحفظ كثيرا من الملح والاخبار والنوادر والاشعار وشيأ صالحا من علم الاعراب ما يختلط معه بذوى الآداب غير غنام ولا مغتاب ولا فضولى ولا عتاب كامل الظرف بعيدا من الطئرمة وقيا للهجن كتوما للاسرار مرتكبا طريق الاسرار ذو روايح ذكيه وبشرة نقيه وجوارح سالمة من العيوب وشمائل يخفق بها على القلوب صناعته محببه وأغانيه مطربه فمن اجتمعت فيه هذه الصفات والمناقب وسلم مما تقدم ذكره من المعائب والمثالب كان حقيقا من الملوك بالاختصاص وخليقا منهم بأن يشرفوه بالاصطناع والاختصاص ومنهم من يكون حاذقا فى صناعته فيبلغ فى احكامه غاية استطاعته واجتمعت فيه الخلال الحميده وعرف بالاخلاق السديده غير انه لم يرزق صوتا يستعذبه ويحسن ممن يغنى له موقعه فتصطفيه الملوك لتعليم الغناء ممن يؤهلونه لذلك من الوظائف والاماء وتختلف أحوال الباقين فى أخلاقهم وخلقهم والمذهب من كل ذى علم وصناعه قليل وتعديد ما يوجد من أخلاق الرجال يطول (وقال) اسحق بن ابراهيم الموصلى شر الغناء والشعر الموسط لان الاعلى منهما يطرب والرذل يضحك من صاحبه و يلهى به والوسط لا يطرب ولا يضحك (وذكر) الشيخ جمال الدين بن نباتة فى شرح العيون ما صورته و يقال ان أول من اتخذ العود الملك المتوشلخ على مثال فخذ ابنه الميت وهو قول ضعيف (وقيل) بطليموس (وقيل) بعض حكماء الفرس وسماه البربط وتفسيره باب النجاة ومعناه انه مأخوذ من صرير باب الجنة وقد جعلت أوتاره أربعة كما تقدم ذكره (وذكر) ان أول من غنى على العود بألحان الفرس النضر بن الحرث بن كلدة وفد على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب العود والغناء وقدم مكة فعلم أهلها وأول من غنى فى الاسلام بألحان الفرس سعيد بن مسجح وقيل طويس وذلك ان عبد الله بن الزبير لما وهى بناء الكعبة رفعها وجدد بناءها وكان فيها

صناع من الفرس يغنون بألحانهم فوقع عليها ابن مسجح الغناء العربي ثم دخل الى الشام فأخذ عن ألحان الروم ثم رحل الى فارس فأخذ الغناء وضرب العود واتبعه من بعده وبدأ هذا العلم بيطليموس وختم باسحق بن ابراهيم الموصلي (وذكر) القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه العجائب والطرف أنه وجد للاسعد المرتضى أحمد بن عبد الواحد لما قبض عليه المستنصر في سنة تسع وخمسين وأربعمائة ما يجوز حد الحصر لكثرته وجلالته وعلو همته وفيما وجد له عدلان كبيران أوتارا برسم عيدان الغناء وعدلا بخزوما مضارب العيدان وثلثمائة طبل شبري وغير ذلك من سائر أصناف الملاهي ووجد له هاون فضة وزنه سبعون رطلا

(فصل) فيما ورد للفضلاء في مدحهم قال الشيخ برهان الدين القيراطي

أقول اذ جس عود مطرب حسن * يريك يوسف في انغام داود
من حسن وجهك تضحى الارض مشرقة
ومن بنانك يجري الماء في العود

وقال أطربنا العود الى أن غدا * مقاصنا يرقص مع محبه
فشمعه قام على ساقه * وكأسه دار على كعبه

الشئ بالشئ يذكر أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ تقي الدين بن حجة الحموي فسح الله في أجله من قصيدة حربية

ان جس عود الضرب مال سامعه * والخيل يرقصها ان حرك الوترا

(وقال) الشيخ برهان الدين القيراطي

وشذا في أصفها * ن بالاغاني المطربات
مسمع غنا فأغنا * بصفات الحسن ذات
قلت اذ حرك عودا * عارفا بالنغمات
أنت مفتاح سرو * ري يا سعيد الحركات

(وقال) المرحوم فتح الدين بن الشهيد وقد أحضر له بدر الدين طائرا ينهي العواد بسفارة الحاجب توكل

نهاري ليس كله بمنادم * على عودة تعروا الحشايا لتفرك
وكنت أراه طائرا عز مطلبا * ولكنني حصلته بتوكل

وأنشدني من لفظه لنفسه اجازة سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد المالكي المخزومي الشهير بالدماميني أسبغ الله ظلاله

يا عزولي في مغن مطرب * حرك الاوتار لما سفرا
لم تهز العطف منه طربا * عند ما يسمع منه وترا

(وقال) علاء الدين الوداعي في مغن يدعى الفصيح

وليلة ما لها نظير * في الطيب لو ساعفت بطولي
كم نوبة للفصيح فيها * أطرب من نوبة الخليل

وممن برع في الالحان وعلمها أبو عامر محمد بن الجمارة الغرناطي اشتهر عنه انه كان يعمد الى الشعر فيقطع العود بيده ثم يصنع منه عود الغناء وينظم الشعر ويلحنه ويغني به ومن شعره قوله

اذا ظن وكرى مقلتي طائر الكرى * رأى هدبها فارتاع خوف الحبائل

(ذكر) هذا الاديب نور الدين على بن سعيد في كتابه المعرب في حلى المغرب
(وقال) سيف الدين المشد

ومطرب قد رأينا في أنامله * سبابة السرور النفس أهلها
كأنه عاشق وافت حبيبته * فضمها بيديه ثم قبلها

وقال محيي الدين بن قرناص

مشبب بجفاه راح يقتلنا * فان تداركنا بالنفخ أحيانا
هويت تشبيها من قبل رؤيته * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

(وقال) محيي الدين بن عبد الظاهر

وناطقة بالروح عن أمر ربها * تعبر عما عندنا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فأطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

(وقال) الشيخ بدر الدين ابن الصاحب

أطربنا مشبب من غير جعل سأله * بأحسن موصول له لم يفتقر الى صله

(وظرف) في قوله أيضا وان لم يكن في المعنى

يا مهدى الاقصاب من سكر * صفرا حكى سمر القنا طولها
اياك أن تقطعها ساعة * فأطيب الاقصاب موصولها

(ومن) ذلك قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

اصغ لما قال أحور فهنا * وخل قبل اليوم ما قيلا
واسمع مقاطيعا لنا أطربت * فلا تقل الا مواصيلا

وقال ابراهيم المعمار

ومشبب أبدى لنا * قولا بنغمته الشهيه
متعاشم فكأنه * متكلم بالفارسيه

(وقال) زين الدين بن عبد الله سعنا

وناشحة صفراء تنطق عن هوى * فتعرب عما فى الضمير وتخبر
براها الهوى والوجد حتى أعادها * أنابيب فى أجوافها الريح تصفر

(وقال) صلاح الدين الصفدى

لى مطرب كملت جميع صفاته * متأدب الحركات والتسكين
فاذا دعاه لمجلس حرفاؤه * يأتى ويجلس فيه بالقانون

(وقال) فتح الدين بن الشهيد

غنى على القانون حتى غدا * من طرب يهتز عطف الجليس
فحنت الارواح من شدوه * الى أنيس ياله من أنيس
داوى قلوبا من غليل الاسى * وكان فيه حوله رسيس
فصاحت الجلاس عجابه * يا صاحب القانون أنت الرئيس

(وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدى أنشدنى القاضى جمال الدين عبد القاهر التبريزى لنفسه ملغزا فى الشبابة

وناطقة بأفواه ثمان * تميل بعقل ذى اللب العفيف
لكل فم لسان مستعان * يخالف بين تقطيع الحروف
يخاطبنا بلفظ لا يعيه * سوى من كان ذا طبع لطيف
فصيحة عاشق ونديم راع * وعزه موكب ومدام صوف

(وقال) الشيخ علاء الدين على بن أيبك من لفظه لنفسه فى مغن معذر (توفى المذكور سنة احدى وثمان مائة)

منهم العارض غنى لنا * أشياء بالسمع حلا ذوقها
كأنما فى فيه قرية * تشدو ومن عارضه طوقها

(نادرة) شهد على امرأة أربعة بالزنا وكان فيهم مغن فقال له الوالى بما تشهد قال

أشهد أنى رأيته قد رفع رجليها مثل البنجك وبحر حتى كأنه يغنى وجعل مضرابه على التم وجعلت أسته ترقص ولا أدرى أتم الصوت أم لا

(فصل) فيما ورد فى ذم الغناء كتب البديع الهمذانى الى تلميذ له توفى أبوه وخلف له مالا يا مولاى ذلك المسموع من العود يسميه الجاهل نقرا ويسميه العاقل فقرا وذلك الخارج من النأى هو فى الآذان زمر وغدا فى الابواب سمر والعمر مع هذه الآلات ساعه والقنطار فى هذا العمل بضاعه وطلب بعض المغنيين جائزة من بعض المحصلين فقال له المملوك اعلم ان المال روح والغناء ريح ولست اشترى الريح بالروح ومما ورد من النظم فى ذم المتخلفين من أهلها

(حكى) بعضهم ان بعض الفلاسفة خرج مع تلميذه فسمع صوت عود فقال لتلميذه امض بنا الى هذا المغنى لعله يفيدنا صورة شريفة فلما قربا منه سمعا صوتا رديئا وتأليفا غير متقن فقال لتلميذه تزعم أهل الكهانة والزجر أن صوت البومة يدل على موت الانسان فان كان ذلك حقا فصوت هذا يدل على موت البومة

ولبعضهم يهجو مغنيا

كنت فى مجلس فقال مغن القوم كم بيننا وبين الشتاء
فشربت البساط منى اليه * قلت هذا المقدار قبل الغناء

ولبعضهم يذم صوت مغن

انك لو أصغيت يومالى * الحانه تلك المقادير
لخلت فى الحلق أمراه حالسا * يعرك أذان السنانير

ولآخر فى المغنى قال

أذنك لو تسمع الحانه * تلك اللواتى ليس يعدوها
[illegible] * وسواسا يخنق معتوها

[illegible]

[illegible] ان تعنى * أوسع الندمان هما
أحسن الفتيان حالا * كل من كان اصما

(وقال) النصيبى الخياط

و ذات [illegible] بعدها * وغدا يحرك عوده متقاعسا
فكأنما [illegible] كلها * فى عوده يقرض خزائن بسا

(وقال) آخر وأجاد

قلت اذغنى عراقا * ليتنا فى أصفهانى

(وقال) آخر

غنى أبو الفضل فقلنا له * سبحان مخليه من الفضل

غناؤه حد على شرب * فاشرب فات اليوم فى حد

(وقال) آخر وأجاد

ومغنى يتغنى * اذهب اللذات عنا

فسألناه سكوتا * فأبى ذاك وغنى

فشتمناه فغنى * فاشتفى الفواد منا

(وقال) آخر فى مغن بالرباب

لاتبعثوا بسوى المهذب جعفر * فالشيخ فى كل الامور مهذب

طورا يغنى بالرباب وتارة * يأتى على يده الرباب وزينب

(وقال) سيف الدين المشد يهجو عوادا

عوادنا قد طمست عينه * فصار بالتصحيف قوادا

ماعاد الا لقياداته * لاجل ذا أصبح قوادا

قلت وان كان حصل له عمى فأحسن وأنشدنى المرحوم فخر الدين بن مكانس قال أنشدنى من لفظه لنفسه صاحبنا شمس الدين محمد الواسطى يهجو عوادا وزامرا

شبهت ذا العواد والزامراذ * ضاقت علينا بهم المناهج

يعقوب يضرب وهو ساكت * وأرقم ينفخ وهو خارج

ولا بأس بايراد نبذة من حكايات الحذاق فى الغناء (قال) اسحق بن ابراهيم الموصلى بعث الى المأمون يوما وبين يديه ثمانية عشر مغنية تسع عن يمينه وتسع عن شماله وعنده ابراهيم ابن المهدى فقال كيف تسمع يا اسحق فقلت اسمع يا أمير المؤمنين خطأ فقال لابراهيم ماتقول ياعم فيما قال قال باطل ماههنا خطأ ولكنه يريد أن يتزيد عندك فقلت له أتأذن لى أن أقفه على الخطأ وأناظره فيه قال نعم قلت على انه سيدى وأنا عبده أو على الانصاف قال بل على الانصاف قلت يؤمرون الجوارى أن يغنين الصوت الذى غنينه أولا فغنين ثم قلت له أفهمت الخطأ قال لاقلت فانى ألقى عنك النصف والخطأ فى التسع البواقى

اللواتى عن الجانب الايسر قال فتفهم وقال ما أسمع خطأ قلت فانى أخفف عنك أيضا هؤلاء الاربع الاواخر فاجتهد فى التفهم وقال ماههنا خطأ قلت فانه فى آخر الجوارى كلهن فتفهم فلم يقف عليه فقلت للجارية اضربى وحدك وامسكن البواقى وغنت فقلت ماترى فقال بل الخطأ ههنا فقال المأمون احسنت فيهم الخطأ بين اثنين وسبعين وترا ولم تفهمه أنت الامين أربعة (وقال) أحمد بن المرزبان حدثنى بعض كتاب السلطان ان الرشيد هب ليلة من نومه فدعا بحمار كان يركبه فى القصر أسود فركبه وخرج فى دراعة متلثما بعمامة متلحفا بازار وشى و بين يديه أربعمائة خادم سود سوى الفراشين وكان مسرور الفرغانى جرئا عليه لمكانة كانت له عنده فلما خرج من باب القصر قال له اين تريد يا أمير المؤمنين فى هذه الساعة قال أردت منزل ابراهيم الموصلى قال مسرور فمضيت معه حتى انتهى الى منزل الموصلى فخرج فتلقاه وقبل حافر حماره وقال له يا أمير المؤمنين افى مثل هذه الساعة تظهر قال نعم شوق طرفك بى ثم نزل فى طرف الايوان وأجلس ابراهيم فقال له ابراهيم يا سيدى أتنشط لشئ تأكله قال نعم (حاميرطى) فأتى به كأنما كان معدا له فأصاب منه شيأ يسيرا ثم دعا بشراب حمل معه فقال الموصلى ياسيدى أغنيك أم تغنيك اماؤك فقال بل الجوارى فخرجن جوارى ابراهيم فأخذن صدر الايوان وجانبيه فقال أيضربن كلهن أم واحدة واحدة فقال بل يضرب اثنتان اثنتان وتغنى واحدة واحدة ففعل ذلك حتى مر صدر الايوان وأحد جانبيه والرشيد يسمع ولا ينصت لشئ من غنائهن الى أن غنته صبية من حاشية الصفة

ياموري الزند قد أعيت قوادحه * اقبس اذا شئت من قلبى بمقباس

ما أقبح الناس فى عينى وأسمجهم * اذا نظرت فلم أبصرك فى الناس

(قال) فطرب لغنائها واستعاد الصوت مرارا وشرب أرطالا وسأل الجارية عن صانعه فأمسكت فاستدناها فتقاعست فأمر بها فأقيمت بين يديه فأخبرته بشئ اسرته اليه فدعى بحماره فركبه وانصرف ثم التفت الى ابراهيم وقال له ماضرك الاان تكون خليفة فكادت نفسه تخرج حتى دعا به بعد ذلك وأدناه قال وكان الذى أخبرته ان الصنعة فى الصوت لاخته علية وكانت الجارية لها فوجهتها الى ابراهيم يطارحها غناها لمكانته عندها قال قال لى الرشيد يا ابراهيم بكر حتى

تصطبح فقلت أنا والصبح فرسي رهان نستبق الى حضرتك فبكرت فاذا أنا به خال و بين يديه جارية كأنها خوط بان أو جدل عنان حلوة المنظر فغنت في شعر لابي نواس

توهمه طرفي فأصبح خده * وفيه مكان الوهم من نظري أثر
ومر بفكري خاطر فجرحته * ولم أر جسما قط يجرحه الفكر
وصافحه كفي فآلم كفه * فمن غمز كفي في أنامله عقر

(قال) ابراهيم فذهبت والله بعقلي حتى كدت أفتضح فقلت من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه الذي يقول فيها الشاعر

لها قلبي الغداة وقلبها لي * فنحن كذاك في جسدين روح

ثم قال لها غني فغنت

تقول غداة البين احدى نسائهم * لي الكبد الحرى فسر ولك الصبر
وقد خنقتها عبرة فدموعها * على خدها بيض وفي نحرها صفر

(قال) فشرب وسقاها وقال غن يا ابراهيم فغنيت حسب ما في قلبي غير متحفظ من شئ

تشرب قلبي حبها ومشى به * تمشي حميا الكأس في جسم شارب
ودب هواها في عظامي فشفها * كما دب في الملسوع سم العقارب

(قال) ففطن لتعريضي فكانت جهلة مني فأمرني بالانصراف ولم يدع بي شهرا ولا حضرت مجالسه فلما أن مضى شهر دس الي خادما معه رقعة مكتوب فيها

قد تخوفت ان أموت من الوجد ولم يدر من هويت بما بي
يا كتابي أقرى السلام على من * لا يسمى وقل له يا كتابي
كف صب اليكم كتبتني * فارحموا كاتبي وردوا جوابي
ان كفا اليكم كتبتني * كف صب فؤاده في عذاب

فأتاني الخادم بالرقعة فقلت ما هذه فقال رقعة فلانة الجارية التي غنتك بين يدي أمير المؤمنين فأحسست بالقصة فشتمت الخادم ووثبت عليه وضربته ضربا شفيت به نفسي وغيظي وركبت الى الرشيد من فوري فأخبرته بالقصة وأعطيته الرقعة فضحك حتى كاد يستلقي ثم قال على عمد فعلت ذلك بك لامتحن مذهبك وطريقتك ثم دعا بالخادم فلما رآني قال لي قطع الله يديك ورجليك ويلك

قتلتنى فقلت القتل والله كان بعض حقك ولكنى رحمتك وأخبرت أمير المؤمنين حتى يأتى فى عفو بتك بما تستحقه فأمر لى بصلة سنية والله يعلم أنى ما فعلت ذلك عفافا لكن خوفا (قلت) وقريب من هذه الحكاية مانقلته من خط الشيخ بدر الدين البشتكى سلمه الله تعالى وهو ان الوزير ابو عامر أحمد بن أبى مروان عبد الملك بن عمر بن عيسى بن محمد بن شهيد كان أهدى له غلاما من النصارى لا تقع العيون على شبهه فلمحه الناصر فقال أنى لك هذا قال هو من عند الله فقال تحفونا بالنجوم وتستأثرون بالقمر فاستعذر واحتفل فى هدية بعثها له مع الغلام وقال يا بنى كن من جملة ما بعثت به ولولا الضرورة ما سمحت بك نفسى وكتب معه

أمولاى هذا البدر سار لافقكم * وللافق أولى بالبدور من الارض
أرضيكم بالنفس وهى نفيسة * ولم أرى قبلى من بمهجته يرضى

فحسن ذلك عند الملك وأعجبه ومال جزيل وتمكنت عنده مكانته ثم انه بعد ذلك أهديت اليه جارية من أجمل نساء الدنيا فخاف ان ينمى ذلك الى الناصر فيطلبها فتكون قضية الغلام فاحتفل فى هدية أعظم من الاولى و بعثها معها اليه وكتب له

أمولاى هذى الشمس والبدر أولا * تقدم كيما يلتقى القمران
قران لعمرى بالسعادة ناطق * فدم منهما فى كوثر وجنان
فما لهما والله فى الحسن ثالث * ولا لك فى ملك البرية ثانى

فتضاعفت مكانته عليه ثم ان أحد الوشاة رفع للملك انه بقى فى نفسه من الغلام حرارة وانه لا يزال يذكره حين تحركه الشمول ويقرع السن على تعذر الوصول فقال للواشى بذلك لا تحرك به لسانك والاطار رأسك وأعمل الملك الحيلة فى ان كتب على لسان الغلام رقعة منها يامولاى تعلم انك كنت لى على انفراد ولم أزل معك فى نعيم وأنا وان كنت عند الخليفة مشاركا فى المنزلة مجاوزا ما يبدو من سطوة الملك فتحيل فى استدعائى منه و بعثها له مع غلام صغير السن وأوصاه ان يقول له جئ من عند فلان وان الملك لم يكلمه قط ان سأله عن ذلك فلما وقف أبو عامر على الرقعة واستخبر الخادم فعلم فى ؤالله ما كان فى نفسه من الغلام وما تكلم به فى مجالس المدام وكتب على ظهرها رقعة ولم يزد خوفا

أمن بعد احكام التجارب ينبغى * لدىّ سقوط العير فى غابة الاسد
وما أنا ممن يغلب الحب عقله * ولا جاهل مايدعيه أولو الحسد
فان كنت روحى قد وهبتك طائعا * وكيف ترد الروح ان فارق الجسد

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الى استماع واش به ودخل عليه بعد ذلك فقال له كيف خلصت من الشرك قال لان عقلى بالهوى غير مشترك * عن اسحق عن أبيه قال استأذنت الرشيد ان يهب لى يوما من أيام الجمعة لانبعث فيه بجوارى واخوانى فأذن لى فى يوم السبت وقال يوم أستثقله فأنت فيه بما شئت قال فأقمت يوم السبت بمنزلى وتقدمت فى اصلاح طعامى وشرابى بما احتجت اليه وأمرت بوابى باغلاق الابواب وتقدمت اليه فى أن لا يأذن لاحد علىّ فبينا أنا فى مجلس والحرم قد حففن بى يترددون بين يدى اذا أنا بشيخ ذى هيبة وجمال عليه خفان قصيران وقميصان ناعمان وعلى رأسه قلنسوة لاطية وبيده عكازة مقمعة بفضة وروائح الطيب تفوح منه حتى ملأت الدار والرواق فدخلنى لدخوله علىّ مع ما تقدمت به غيظ عظيم وهممت بطرد بوابى ومن يحجبنى لاجله فسلم علىّ أحسن سلام فرددت عليه وأمرته بالجلوس فجلس وأخذ بى فى أحاديث الناس وأيام العرب وأشعارها حتى سكن ما بى من الغضب وظننت أن غلمانى تحروا مسرتى بادخال مثله علىّ لادبه وظرفه فقلت له هل لك فى الطعام فقال لا حاجة لى فيه فقلت هل لك فى الشراب قال ذلك اليك فشربت رطلا فسقيته مثله فقال يا أبا اسحق هل لك ان تغنى لنا شيأ فنسمع من صنعتك ما قد فقت به عند الخاص والعام فغاظنى قوله ثم سهلت الامر على نفسى وأخذت العود فجسسته ثم ضربت وغنيت فقال أحسنت يا ابراهيم فازددت غيظا وقلت ما رضى بما فعله فى دخوله بغير اذن واقتراحه علىّ أن أغنيه حتى سمانى ولم يجمل مخاطبتى ثم قال هل لك ان تزيدنا فندمت وأخذت العود وغنيت وتحفظت وقمت بما غنيته قياما تاما لقوله لى أكافئك فطرب وقال أحسنت يا سيدى وأوثق عددى ثم قال أتأذن لعبدك فى الغناء فقلت شأنك واستضعفت عقله فى أن يغنى بحضرتى بعد ما سمعه منى فأخذ العود وجسه فوالله لقد خلت انه ينطق بلسان عربى واندفع يغنى

ولى كبد مقروحة من يبيعنى * بها كبدا ليست بذات قروح

أراها على الناس لايشترونها * ومن يشترى ذا علة بصحيح
أأن من الشوق الذى فى جوانحى * أنين غصيص بالشراب جريح

قال ابراهيم فوالله لقد ظننت الحيطان والابواب وكلما فى البيت يجيبه ويغنى معه من حسن غنائه حتى خلت والله أنى أسمع أعضائى وثيابى تجاوبه و بقيت مبهوتا لا أستطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبى ثم غنى

ألا ياحمامات اللوى عدن عودة * فانى الى أصواتكن حزين
فعدن فلما عدن كدن يمتننى * وكدت بأسرار لهن أبين
دعون بترداد الهدير كأنما * شربن حميا أو بهن جنون
فلم تر عينى مثلهن حمائما * بكين ولم تدمع لهن عيون

فكاد عقلى أن يذهب طربا ثم غنى شعر اليزيد بن الطثريه

ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد * فقد زادنى مسراك وجدا على وجد
أأن هتفت ورقاء فى رونق الضحى * على غصن غض النبات من البرد
بكيت كما يبكى الحزين صبابة * وذبت من الحزن المبرح والجهد
وقد زعموا ان المحب اذا نأى * يمل وان النائى يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

ثم قال يا ابراهيم هذا الغناء الماخورى خذه وانح نحوه فى غنائك وعلمه جواريك فقلت أعده على فقال لست تحتاج قد أخذته وفرغت منه ثم غاب من بين عينى فارتعت وقمت الى السيف فجردته ثم عدوت نحو أبواب الحرم فوجدتها مغلقة فقلت للجوارى أى شئ سمعتن عندى فقلن سمعن أحسن غناء ماسمع بمثله قط فخرجت متحيرا الى باب الدار فوجدته مغلقا فسألت البواب عن الشيخ فقال أى شيخ والله مادخل اليوم اليك احد فرجعت لاتأمل أمرى فاذا هو قد هتف من بعض جوانب البيت وقال لا بأس عليك يا أبا اسحق أنا ابليس وأنا كنت نديمك اليوم فلا ترع فركبت الى الرشيد وأطرفته بالحديث فقال لى ويحك اعتبر الاصوات التى أخذتها فأخذت العود فاذا هى راسخة فى صدرى فطرب الرشيد عليها وجلس يشرب ولم يكن عزم على الشرب وأمرلى بصلة جزيلة قال وكان الشيخ أعلم بما قال انك قد أخذتها وفرغت منها فليته أمتعنا بنفسه يوما واحدا كما أمتعك قال أبو الفرج الاصبهانى هكذا حدثنا ابن أبى الازهر لهذا

الخبر وما أدرى ما أقول فيه * من المدايني قال قال ابراهيم الموصلى قال لى الرشيد يوما يا ابراهيم انى قد جعلت غدا للحرم وليلته للشرب مع الرجال واقتصرت من المغنين عليك فلا تشتغل غدا بشئ ولا تشرب نبيذا وكن بحضرتى فى وقت العشاء الآخرة فقلت السمع والطاعة لامير المؤمنين فقال وحق أبى لئن تأخرت أو اعتللت بشئ لاضربن عنقك قلت نعم يا أمير المؤمنين وخرجت فما جاءنى من أحد الا احتجبت عنه ولا قرأت رقعة لاحد حتى اذا صليت المغرب ركبت قاصدا اليه فلما قربت من داره مررت بفناء قصر واذا زنبيل كبير مستوثق منه بحبال وأربع عرى ادم قد دلى من القصر وجارية قائمة تنتظر انسانا قد وعد ليجلس فيه فنازعتنى نفسى الى الجلوس فيه ثم قلت هذا خطأ فلعله ان يجرى سبب يعوقنى عن الخليفة فيكون الهلاك فلم أزل أنازع نفسى حتى غلبتنى فجلست فى الزنبيل فرفع حتى صار فى أعلا القصر ثم خرجت فنزلت فاذا جوار كأنهن أقمار جلوس فضحكن وطربن وقلن قد جاء والله فلما رأيننى من قريب تبادرن الى الحجاب وقلن يا عدو الله ما أدخلك الينا فقلت يا عدوات الله الذى أردتن ادخاله خير منى ولم كان أولى منى ولم يزل ذلك دأبنا وهن يضحكن وأضحك معهن فقالت احداهن أما من أردتن فقد فات وما هذا الاظريف فهلمن نعاشره معاشرة جميلة فأخرج الى طعام ولم يكن فى فضل الا أنى كرهت أن أنسب الى سوء العشرة فأصبت منه ثم جئ بالنبيذ وجعلت أشرب وأخرجن ثلاث جوارلهن فغنين غناء حسنا فغنت احداهن صوتا لمعبد فقالت احدى الثلاث من وراء الستر أحسن ابراهيم هذا له فقلت كذبت هذا لمعبد فقالت يا فاسق وما يدريك الغناء ما هو ثم غنت الاخرى صوتا للغريض فقالت تلك أحسن ابراهيم هذا له أيضا فقلت كذبت يا خبيثة هذا للغريض فقالت اللهم اخزه ويلك ما يدريك ثم غنت الجارية صوتا لى فقالت تلك هذا لشريح وأحسن فقلت كذبت هذا لابراهيم وأنت تنسبين غناء الناس اليه وغناءه اليهم فقالت وما يدريك فقلت أنا ابراهيم فتباشرن بذلك وظهرن كلهن لى وقلن كتمتنا نفسك وقد سررتنا سرورا عظيما فقلت أنا الآن أستودعكن الله فقلن وما السبب فأخبرتهن بقصتى مع الرشيد فضحكن وقلن الآن والله طاب حديثك علينا وعلينا ان خرجت أسبوعا فقلت هو والله القتل فقلن الى لعنة الله

فأقمت والله عندهن أسبوعا لا أزول فلما كان بعد أسبوع ودعنني وقلن ان سلمك الله فأنت بعد ثلاثة أيام عندنا قلت نعم فأجلسنني في الزنبيل وسرحت فضيت لوجهي حتى أتيت دار الرشيد فاذا النداء قد أشيع ببغداد في طلبي وأن من أحضرني فقد سوغ مالي وملكي فاستأذنت فتبادر الخدم حتى أدخلوني على الرشيد فلما رآني شتمني وقال السيف والنطع انك يا ابراهيم تشاغلت عني وجلست مع السفهاء أشباهك حتى أفسدت على لذتي فقلت يا أمير المؤمنين أنا بين يديك وما أمرت به غير فائت ولي حديث عجيب ما سمع بمثله وهو الذي قطعني عنك ضرورة لا اختيارا فاسمعه فان كان عذرا فاقبله فقال هاته فحدثته فوجم ساعة ثم قال ان هذا العجيب أفتحضرني معك قلت نعم وأجلسك معهن ان شئت قبلي حتى تحصل عندهن وان شئت فعلى موعد فقال بلى على موعد قلت أفعل قال انظر قلت ذاك حاصل فلما أصبحت أمرني بالانصراف وان أجيئه من عندهن فضيت اليهن وقت الوعد فوجدت الزنبيل على حاله فجلست فيه ومدت الجواري وصعدت فلما رأينني تباشرن بي وحمدن الله على سلامتي وأقمت ليلتي فلما أردت الانصراف قلت ان لي أخا هو عندي عدل نفسي وقد أحب معاشرتكن ووعدته بذلك فقلن ان كنت ترضاه فرحبا بذلك فوعدتهن ليلة غد وانصرفت وأتيت الرشيد فأخبرته فلما كان الوقت خرج معي متخفيا وقد كان الله وفقني أن قلت لهن اذا جاء صديقي فاسترن عني وعنه ولم يسمع لكن لفظة وليكن ما تخترنه من الغناء أو تقلنه من قول مراسلة فلم يتعدين ذلك وأقمن على أتم ستر وخفر وشربنا وشربا كثيرا وقد كان أمرني ان لا أخاطبه بأمير المؤمنين فلما أخذ النبيذ مني قلت سهوا يا أمير المؤمنين فتواثبن من وراء الستارة حتى غابت عنا حركاتهن فقال لي يا ابراهيم قد أفلت من أمر عظيم والله لو برزت لك واحدة منهن لضربت عنقك قم بنا فانصرفنا واذا هن له وقد كان غضب عليهن فحبسهن في ذلك القصر ثم وجه من غد بخدم فردوهن الى قصره ووهب له مائة ألف درهم وكانت الهدايا والالطاف تأتيني بعد ذلك منهن (حكاية)

تناظرت المغنون يوما عند الواثق فذكروا الضراب وحذاقهم فقدم اسحق بن ابراهيم الموصلي زبربا على ملاحظ والملاحظ في ذلك الرياسة عليهم كلهم فقال الواثق هذا حيف وتعد منك فقال اسحق يا أمير المؤمنين اجمع بينهما

وامتحنهما فان الامر سينكشف لك فيهما فأمر بهما فأحضرا فقال له اسحق ان للضراب أصواتا معروفة فامتحنهما بشئ منها قال افعل فسمى ثلاثة أصوات كان أولها

علق طية السكب جهلا * فقد أغري بتعذيبي
نمت عليها حين مرت بنا * محاسن ينفحن بالطيب
تصدها عنا عجوز لها * منكرة ذات أعاجيب

الشعر والغناء لاسحق فضربا عليه فتقدم ربرب وقصر ملاحظ فعجب الواثق من كشفه عما ادعاه في مجلس واحد فقال ملاحظ فما باله يا أمير المؤمنين يحيلك على الناس ولا يضرب هو فقال يا أمير المؤمنين انه لم يكن في زماني أضرب مني ولكنكم أعفيتموني من الضرب فثقلت على ومع ذلك ان معي بقية لا يتعلق بها أحد من هذه الطبقة ثم قال يا ملاحظ شوش عودك وهاته ففعل ملاحظ ذلك فقال اسحق يا أمير المؤمنين هذا خلط الاوتار خلطا متعنتا وهو لا يألو افسادها ثم أخذ العود فجسه ساعة حتى عرف مواقعه ثم قال يا مخارق غن أي صوت شئت فغنى مخارق صوتا وضرب عليه اسحق بذلك العود الفاسد التسوية فلم يخرجه من لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن نقرة واحدة ويده تصعد وتنحدر على الدساتين فقال له الواثق والله ما رأيت مثلك قط ولا سمعت به اطرحه على الجواري فقال هيهات يا أمير المؤمنين هذا شئ لا يفي به الجواري ولا يصلح لهن ألبتة وانما بلغني ان الفلهبذ ضرب يوما بين يدي كسرى أبرويز فأحسن فحسده رجل من حذاق أهل صناعته فرقبه حتى قام لبعض شأنه فخالفه الى عوده فشوش بعض أوتاره فرجع وضرب وهو لا يدري والملوك لا تصلح في مجالسها العيدان فلم يزل يضرب بذلك العود حتى فرغ ثم قام على رجله وأخبر الملك بالقصة فامتحن العود فعرف ما فيه فقال له زه وزه وزه ورهان زه ووصله بالصلة التي كان يصل بها من يخاطبه بهذه المخاطبة فلما تواطأت الروايات بهذا أخذت نفسي به ووطنتها عليه وقلت لا ينبغي أن يكون الفلهبذ أقوى على هذا مني فما زلت أستنبطه بضع عشرة سنة حتى لم يبق في الاوتار موضع على طبقة من الطبقات الا وأنا أعرف نغمته كيف هي والمواضع التي تخرج النغم كلها منها من أعاليها الى أسافلها وكل شئ منها يجانس شيأ غيره كما أعرف ذلك في مواضع الدساتين

وهذا شيء لا يفي به الجواري فقال له الواثق لعمري لقد صدقت ولئن مت لتموتن هذه الصناعة معك وأمر له بثلاثين ألف درهم

(الباب الثالث والعشرون في الغلمان)

كان يقال العبد من لا عبيد له وقال دعفل النسابة في المماليك هم غير مستفاد وغيظ في الاكباد وقال سعيد بن مسلم لا بد للعبيد من عبيد وقال جعفر بن سليمان العبيدان أكلوا من مالك زادوا في جمالك وقال غيره العيش في سعة الدار والعز في كثرة العبيد وقال آخر عز الملوك في كثرة المماليك وقال آخر رب عبد خير من الولد لان الولد في أكثر الاحوال يرى صلاحه في موت والده والعبد يرى صلاحه ببقاء مولاه (كان) يحيى بن أكثم يقول قد أكرم الله تعالى أهل جنته بأن أطاف عليهم الغلمان في وقت رضاه عنهم وافضاله عليهم وبره بهم لفضلهم في الخدمة على الجواري وما الذي يمنعني عاجلا في طلب هذه المزية المخصوص بها أهل القربة عند الله تعالى والزلفة لديه (وقال) مطيع بن اياس لو لم يكن للمرد فضيلة لما كان الله جعل ملائكته مردا وأهل الجنة مردا وهذا فيه كفاية واغناء في الحديث أهل الجنة جرد مرد مكحولون (وكان) والبة بن الحباب يقول الغلام هو الرفيق في السفر والصديق في الحضر والمعين على الشغل والنديم عند الشرب وهو سبب الانس (وقيل) لمسلم الاصفري لم فضلت الغلام على الجارية فقال لانه في السفر صاحب ومع الاخوان نديم وفي الخلوة أهل (ومن رسالة) الشيخ جمال الدين بن نباتة وكان في فرجة يحدث مرآها الحسن أحاديث جمان امامه عشرة مماليك من الترك ليس الخبر في محاسنهم المبدعة كالعيان جابهم الى مصر تاجر لحظته السعادة فاستنزلت له البدور من آفاقها وأصحبته الشموس بشرفها واشراقها فصار الى مصر بيوسف وبمن سجد له في المنام وأتى بلاد القبلة بجماعة منهم الامن هو في الحسن امام ومافيهم الامن يقول له المتأمل بلسان الاعتراف يابشرى هذا سيد وبلسان العرف يابشرى هذا غلام قد وشحوا بالدقة خصورهم وحموا بأسياف الجفون كما تحمى الثغور ثغورهم من كل لدن القوام مهفهف ساجي الطرف أوطف حلو الجناية والجاني طيف العين لا يجرد على العاني منسوب الى أرض الفان أصله فياحزنا من خده

القانى قد أفضح البدور فى الدياجى ورمى القلوب من حبه ولها بين هاجره وهاجى وعلا بعنق يحاب من أرض الفرات فعطل عنق الغزال بأرض حاجى ونضى من جفن عينيه حساما وقسم من لحظاتها على القلوب سهاما وطال قده عن قصر الاغصان ودنا عن الرماح فكان بين ذلك قواما فسبحت حين رأيت الاقمار واقفة على الارض وتفاءلت بوجوه حب التفاؤل بمثلها كاد يكون من الفرض وقلت

جئت من الاتراك سرجا آذر * يعلم زهاد الورى كيف تعشق
لهم منظر فى الحسن يفتح خاطرا * ولكن سهم اللحظ فى القلب مغلق
دخلت بقلبى فى مجال عيونهم * فأودى به ذاك المجال الضيق
وكم قمر فى القوس عاينت منهم * فمالك يا طرفى المسافر تعلق

واستقبلنا دمشق على هذا الفأل الجليل وفاصلنا السفرة بحمد الله على وجه جميل

(فصل) فى المنظوم من ذلك قول لسان الدين بن الخطيب فى غلام ساقى قال

كيف أمنتها على الشرب ساق * لحظه فى القلوب غير أمين
راح يسقى فصب فى الكأس نزرا * ثقة منه بالذى فى العيون

(وقال) الشيخ شمس الدين الرئيس فيه

مدير الكاس حدثنا ودعنا * بعيشك من كؤسك والحثيث
حديثك عن قديم الراح يغنى * ولا يسقى الانام سوى الحديث

(وقال) صلاح الدين الصفدى فى غلام يشوى أوزا

قلت لما شوى الحبيب أوزا * واكتسى باللهيب ثوب سناء
لو يعيش الجزار مات معنى * فى معانى محاسن الشوائى

وله أيضا فيه

شوى الاوز فأضحت * فى خمرة الخد بسطه
فقلت تشوى أوزا * أم كنت تشوى بطه

قال الشيخ برهان الدين القيراطى فى غلام يلعب بالعود

غنى على العود شادسهم ناظره * أضحى به قلبى المضنى على خطر
دنا الى وحسبت كفه وترا * فراحت الروح بين السهم والوتر

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة في ساقي معذر

مبقل الخد أدار الطلا * فقال لي في حبها عاتبي
من أجر المشروب ما تنتهي * قلت ولا عن أخضر الشارب

(وقال) في غلام تركي أهيف

علقته من بني الاتراك مقترنا * من خاطري وهو مني غير مقترب
حمالة الحلي والديباج قامته * تبت غصون الربا حمالة الحطب

(وقال) الشيخ صفي الدين الحلي في راقص

جاء وفي قده اعتدال * مهفهف ماله عديل
قد خففت عطفه شمال * وثقلت جفنه شمول
ثم انثنى راقصا بقد * حف به اللطف والدخول
يجول ما بيننا بوجه * فيه مياه الحيا تجول
ورنح الرقص منه عطفا * تثني الى نحوه العقول
فعطفه داخل خفيف * وردفه خارج ثقيل

(وقال) آخر في راقص

وراقص أبصرته مرة * فلم أزل بالرقص مفتونا
لو قيل شعر بين كمره * أخرجه بالرقص موزونا

(وقال) ابن خروف النحوي الاندلسي فيه

وممنوع الحركات يلعب بالنهى * لبس المحاسن عند خلع لباسه
متأودا كالغصن بين رياضه * متلاعبا كالظبي عند كناسه
بالعقل يلعب مقبلا أو مدبرا * كالدهر يلعب كيف شاء بناسه

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة في غلام يرمي بالقوس

فديتك أيها الرامي بقوس * ولحظ يا ضنا جسدي عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب * وشبه الشيء منجذب اليه

(وقال) محي الدين بن قرناص في غلام يرمي في الاماج

أتى الاماج مائسا والردف قد أقلقه * يرشق ثم ينثني بالله ما أرشقه

(وقال) بدر الدين حسن العربي في غلام يرمي في الايك

أهواه في الايك يرمي دائما * وسواد قلب الصب من اعراضه

أطلقت لحظي نحوه فأصابني * سهم وما عاينت كشف بياضه

قلت ما أحسن قول الشيخ عز الدين الموصلي من قصيدة

أصاب فؤادي المستهام بعينه * فكامه سهم له غير ناطق

(ولبعضهم) في غلام يقوم سهما

وافى وفي يده سهم يقومه * يومي اليه بعينيه ويرمقه

وذاك ايداع سر من لواحظه * فيه ليزداد فعلا حين يرشقه

(نكتة) حسنة عزم الملك المعظم على الصيد فقال له بعض الجماعة يا مولانا القمر في العقرب والسفر فيه مذموم والمصلحة الصبر الى أن ينزل القمر القوس فعزم على الصبر فبينما هو مفكر اذ دخل مملوك له من أحسن خلق الله وجها يقال له آي دغدي فوقف قدامه وقد توشح بقوس فقال له بعض الحاضرين يا مولانا بالله اركب الساعة فهذا القمر في القوس حقيقة فقام لوقته وركب استبشارا وتفاؤلا بالقول فلم ير أطيب من تلك السفرة ولا أكثر من صيدها (وقال) بدر الدين حسن بن حبيب الحلبي في غلام تركي يطلب وردا شعرا

رام ظبي الترك وردا * قلت أقصر خاب ضدك

عندك الورد المربى * قال فأني قات خدك

(وقال) الشيخ زين الدين العجمي ونقلتها من خطه في غلام نثر وردا من أكمامه

وافى وفي كميه ورد أحمر * حيي به مذ بست تحت لثامه

فرشفت صرف الراح من خرطومه * وجنيت غض الورد من أكمامه

(وقال) برهان الدين القيراطي في غلام مطاوع

أباح لي من نرجس احداقه * في مجلس ما فيه ما ننكره

فقلت وردا لخد جد لي به * أيضا فقال الكل في الحضره

(وقال) شمس الدين بن الصائغ في غلام ذي خال

بروحي أفدي خاله فوق خده * ومن أنا في الدنيا فأفديه بالمال

تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن في ذلك الخال

(وقال) شهاب الدين بن أبي حجلة في غلام يدعى مقبل

يا من تحجب عن محب صادق * ما زال عنه كل يوم يسأل

من لي بيوم فيه يسمح باللقا * ويقال لي هذا حبيبك مقبل

(وقال) برهان الدين القيراطي في غلام يبكي شعرا

لم يبك حين بكيت من * هجرانه متحسرا

وقد ذكرتهما في باب البركة والشاذروان والفوارة وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ شمس الدين الرئيس في غلام مليح وله لا ٓلاء مضمنا

ومليح لا ٓلاءه قد حكاه * فهو كالبدر في الدجى يتلالا

قلت قصدي من الانام مليح * هكذا هكذا والا فلالا

وأنشدني من لفظه لنفسه سيدي وأخي المولى الكامل شمس الدين محمد الشهير بابن الكفتي أبقاه الله تعالى لاحبابه حسبما اقترحه في غلام يعتز على من يهواه

وارحمتاه لقلبي كان يخفي * حبي وصالا وكان الحب مستترا

وحين باحت بسري أدمع هملت * دري بعشقي له فاعتز واقتدرا

(وقال) الشيخ المحدث الفصيح الترحال صلاح الدين خليل الاقفهسي قال أنشدني الشيخ العارف السالك المحقق الصوفي ابراهيم بن الشيخ أحمد العربي الشهير بابن رفاعة أعاد الله من بركته من لفظه لنفسه في غلام معذر

رسم العذار بعارضيه بنفسجا * فوق الخدود فصار كالمرقوم

قبلت مرسوم العذار تأدبا * ومن التأدب قبلة المرسوم

(وكتب) الى القاهرة المحروسة من بعض متجدداته سيدي الجناب المجدي بن مكانس أبقاه الله تعالى في غلام أبيض

دعني وحالي في هوى أبيض * كالبدر أو أحسن من ذلك

وعش معنى في هوى أسمر * أومت اذا ماشئت في حالك

(وقال) شمس الدين بن محمد بن العفيف في غلام جرحت كفه السكين

لم تجرح السكين كف معذبي * الا لمعنى في الهوى يتحقق

هي مثلما قد قيل جارحة غدت * ولكل جارحة اليه تشوق

(وكتب) الي من القاهرة من بعض متجدداته سيدي القاضي شهاب الدين أحمد ابن حجر سلمه الله تعالى في غلام مر بروضة مزهرة

ولم آنس اذ مر الحبيب بروضة * فغارت من المحبوب أعينها المرضى

ولاحت بخد الورد في الروض حمرة * حياء وسمت أطراف نرجسه غضي

(وقال)

(وقال) محيي الدين بن قرناص في غلام شد بوسطه بندا أحمر

من لقلبي من جور ظبي هواه * لي شغل عن حاجر وعقيق
خصر تحت أحمر البند يحكي * خنصرا فيه خاتم من عقيق

وقال صلاح الدين الصفدي أنشدني من لفظه لنفسه المولى شهاب الدين أحمد ابن مهاجر بحلب المحروسة في غلام لابس لامة حرب

ما لاح في درع يصول بسيفه * والوجه منه يضيء تحت المغفر
الا حسبت البحر مد بجدول * والشمس تحت سحائب من عنبر

وقال جمال الدين بن نباتة في غلام يدعى خليل متغزلا

يغيب خليل الحسن عني ليلة * فأسأم من ليل طويل أراقبه
وكيف يطيب الليل عندي والكرى * وليس الى جنبي خليل الاعبه

(وأنشدني) الشيخ عز الدين الموصلي لنفسه فيه

قال حبي خليلي غيرت ودي * وتركت الفؤاد مني عليلا
بعد عشق الملاح صرت تقيا * ما تراعي من الانام خليلا

(وأنشدني) سيدنا ومولانا القاضي صدر الدين بن الآدمي حسبما وردا قتراحه من السادة المخاديم فضلاء الديار المصرية لنفسه

يا متهمي بالقسم كن منجدي * ولا تطل رفضي فاني عليل
أنت خليلي فبحق الهوى كن * لشجوني راحما يا خليل

(وقال) سيدنا القاضي بدر الدين الدماميني في غلام يسقي الماء

بروحي ساق همت اذ طاف بيننا * بأكوابه اللاتي سقين أناما
ورمت ارتشاف الريق منه فلم يجد * ولكن كساجسمي ضنا وسقاما

والنختم هذا الباب بحكاية لطيفة ونكتة غريبة ذكرها أبو الفرج المعروف بالببغا قال تأخرت بدمشق عن سيف الدولة بن حمدان مكرها وقد سار عنها في بعض وقائعه وكان الخطر شديدا على من أراد اللحاق به من أصحابه حتى ان ذلك كان مؤديا الى النهب وطول الاعتقال فاضطررت الى أعمال الحيلة في التخلص والسلامة بخدمة من بها من الرؤساء والاخشيدية وكان سني في ذلك الوقت عشرين سنة وكان انقطاعي منهم الى أبي بكر علي بن صالح الروزبادي لتقدمه في الرياسه ومكانته من الفضل واصطناعه فأحسن مقيلي وبالغ في الاحسان الى

وفضلت تحت الضرورة فى المقام فتشوقت على قصد البقاع الحسنة والمتنزهات المطروقة تسليا وتعللا فلما كان فى بعض الايام عملت على قصد دير مران وهذا الدير مشهور الموضع فى الجلالة وحسن المنظر فاستصحبت من كنت آنس به وأمرت بحمل ما يصلح وتوجهنا نحوه فلما نزلنا أخذنا فى شأننا وقد كنت اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقة الطبع وسماحة النفس والخلق حسبما جرى به الرسم فى غشيان الخمار وطروق الديرة من الطرق بعشرة أهلها والانسة بسكانها ولم تزل الاقداح دائرة بين مطرب الغناء وزاهر المذاكرة الى ان فض اللهو ختامه ولوح السكر لعيني اعلامه وحالت منى نظرة الى بعض الرهبان فوجدته الى خطابي متوثبا ولنظري اليه مترقبا فلما أخذته عيني أكب على يزعجني بخفي الغمز ووحي الايماء فاستوحشت من ذلك وأنكرته ونهضت محلا واستحضرته فأخرج الى رقعة مختومة وقال لى قد ألزمك فرض الامانة فيما تضمنه هذه الرقعة دونى وسقط زمام كاتبها فى استرهانك عنى ففضضتها فاذا فيها بأحسن خط وأملحه وأقواه وأوضحه

بسم الله الرحمن الرحيم لم أزل فيما تؤديه هذه المخاطبة يا مولاى بين حشم يحث على الانقباض عنك وحسن ظن يحض على السانح بنفيس الحظ منك الى أن استنزلتنى الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبره ورفعت بينى وبينك سجف الحشمة فأطعت بالانبساط أوامر المؤانسة وانتهزت فى التوصل الى مودتك فأبت الفرصة والمستماح منك جعلنى الله فداك زورة ارتجع بها ما اغتصبتنيه الايام من المسرة مهنأة بالانفراد الا من غلامك الذى هو مادة مسرتك وأنشد

ومذاك عن خلق بغير بطارق * ولكن لآخذ باحتياط على حالى

فان سامحت مخطبته منك أبدت الله تمرلا ولك نفاقا غنيمة غفل الدهر عنها وان فارق مذهب فى الشدة الى منهاجى على رغبتى فى المضايقة فيما أوثره وأهواه وأترقبه من قربك وأتمناه فزمام المروءة يلزمك رد هذه الرقعة وسترها وتناسيها واطراح ذكرها واذا أنا بأبيات تتلو الخطاب

يا عامر العمر بالفتوة والقصف وحث الكؤس والطرب

هل لك من صاحب يناسب فى الغر * بة أخلاقه وبالادب

أمحشه

أوحشه الدهر فاستراح الى * قربك منتصرا على النوب
فان تقبلت ما أتاك به فلم * يشب الظن فيه بالكذب
وان أبى الزهد دون رغبتنا * نكن كمن لم يقل ولم يجب

قال أبو الفرج فورد على ما حيرني واستردني ما كان الشراب حاره من تمييزي وحصل لي في الجملة أن أغلب الاوصاف على صاحبها الكتابة خطا وترسلا ونظما فشاهدته بالفراسة في ألفاظه وجدت أخلاقه قبل الاختبار من رقعته وقلت لراهب من هذا ويحك وكيف السبيل اليه فقال أما ذكره فاليه اذا اجتمعنا وأما السبيل الى لقائه فسهل ان شئت قلت دلني قال فكيف تعمل بالغلمان قلت لا أدري قال تظهر فتورا وتنصب عذرا تفارق به أصحابك مصرفا فاذا حصلت بباب الدير عدلت بك الى باب تدخل منه فرددت الرقعة اليه وقلت ادفعها اليه ليتأكد أنسه وسكونه الي وعرفه ان التوفر على اعمال الحيلة في المبادرة الى حضرته على ما أوثره من التفرد أولى من التشاغل باصدار جواب وقطع وقت بمكاتبة ومضى الراهب وعدت الى أصحابي بغير النشاط الذى ذهبت به فأنكروا ذلك فاعتذرت اليهم بشئ عرض لي واستدعيت ما أركبه وتقدمت الى من كان معي من الخدم بالتوفر على خدمتهم وقد كا عملنا على المبيت فأجمعوا على تعجل السكر والانصراف وخرجت من باب الدير ومعي غلام صبي كنت آنس به وبخدمته وتقدمت الى الشاكري برد الدابة وستر خبري ومباكرتي فتلقاني الراهب وعدل بي الى طريق مضيق وأدخلني الى الدير من باب غامض وصاربي الى باب قلاية متميز عما جاوره من الابواب نظافة وحسنا فقرعه بحركات مختلفة كالعلامة فابتدرنا منه غلام كأن البدر ركب على أزراره مهفهف الكشح مخطفه معتدل القوام أهيفه تخال الشمس برقعت غرته والليل ناسب أصداغه وطرته في غلالة تنم على ما يستره وتخفو معرقتها عما يظهره وعلى رأسه مجلسيته بصمت فبهر عقلي حسنا فاستوقف نظري ثم جفل كالظبي المذعور فتلوته والراهب الى صحن القلاية فاذا أنا ببيت فضي الحيطان رخامي الاركان مفروش بحصير قد اتعب صانعه منقوش كأنه روضة مزخرفة بالنور أضحكها سقوط الندى فوثب الينا منه فتى مقبل الشباب حسن الصورة والاهاب ظاهر النبل والهيئة

فلقينى حافيا بمئزر فى سراويله واعتنقنى ثم قال انما استخدمت هذا الغلام الى تلقيك ياسيدى لاجعل ماالعلات استحسنته من وجهى مصانعا عما يرد عليك من مشاهدتى فاستحسنت اختصارة الطريق الى بسطى وارتحاله المبادرة على نفسه حرصا فى تأنيسى وأفاض فى شكرى على المسارعة أمره وأنا أواصل فى خلال سكاته المبالغة فى الاعتداد به ثم قال ياسيدى أنت مكدود بمن كان معك والاستمتاع بمحادثتك لايتم الا بالتوصل الى راحتك وقد كان الامر على ماذكر فاستلقيت يسيرا ثم نهضت فخدمت فى حالتى النوم واليقظة الخدمة التى ألفيتها فى دور أكابر الملوك وأجلة الرؤساء وأحضر لنا خادماله لم أر أحسن وجها منه يحمل طبقا يضم مايتخذ للعشاء مما خف ولطف وقال الا كل منى ياسيدى للحاجه ومن لك للممالحة والمساعده فأكلنا شيأ وأقبل الليل وطلع القمر ودخل من مناظر ذلك البيت الى فضاء ادّى الينا محاسن الغوطة وحيانا بذخائر رياضها من المنظر الجانى والنسيم العطرى وجاءنا الراهب من الاشربة بما وقع عليه اتفاقنا على المختار منه ثم اقتعدنا غالب اللذه وجرينا فى ميدان المفاوضه فلم نزل نتناهب نوادر الاخبار وملح الاشعار ونمزج ذلك من المزح بأظرفه ومن التودد بألطفه الى أن توسطنا الشراب فالتفت الى غلامه وقال يامترف ان مولاك ليس مما يدخر عنا السرور بحضوره ومايجب ان ندخر ممكنا فى مسرته فانتقع وجه الغلام حياء وخفرا فأقسم عليه بحياتى وأنا لا أعلم مايريد فمضى وعاد يحمل طنبورا وجلس وقال لى ياسيدى أتأذن لى فى خدمتك فهممت بتقبيل يده لما تداخانى من السرور وبذلك فأصلح الطنبور وضرب وغنى هذه الابيات

ياما لكى وهو ملكى * وسالبى ثواب نسكى
نزه يقين الهوى فيـ * ـك عن تعرض الشك
لولاك ما كنت أبكى * الى الصباح وأبكى

فنظر الى الغلام وتبسم فعلمت ان الشعر له فكدت والله أطير فرحا بملاحة خلقه وحسن خلقه وقوة حذقه وجودة ضربه وعذوبة ألفاظه وتكامل حسنه فاستدعيت كثيرا فأحضر الخادم عدة قطع من فاخر البلور وجيد المحكم فشربت سرورا بوجهه وشرب بمثل ماشربت ثم قال لى أنا والله ياسيدى أحب ترفيهك

ولا أقطعك عما أنت متوفر عليه ولكن اذا عرفت الاسم والنسب والصناعة واللقب فلا بدان نشى ليلتنا بشئ يكون لها طرازا ولذكرها معلما فجذبت الدواة وكتبت ارتجالا وقد أخذ الشراب منى هذه الابيات

ولـيلة اوسـعتنى * حسنا ولهوا وأنسا
مازلت الثم بدرا * بها وأشرب شمسا
اذ أطلع الدير سعدا * لم يبك مذ كان نحسا
فصار للروح روحا * وصـار للنفس نفسا

فطرب على قولى ألثم بدرا وأشرب شمسا وجذب غلامه فقبله وقال ماجهلت مايجب لك من التوقير وانما اعتمدت تصديقك فيماذكرته فيحيا فى الاما فعلت ذلك بغلامك فاتبعت اشاره خوفا من احتشامه وأخذ الابيات وجعل يرددها ثم أخذ الدواة وكتب اجازتها

ولم أكن لغرمى والله أبذل فلسا * لوارتضى لى غريمى بدير مران حبسا

فقلت اذا والله ما كان يؤدى أحد حقا ولا باطلا وداعبته فى هذا المعنى بما حضر وعرفت فى الجملة انه متستر من دين وقال لى قد خرج اليك أكثر الحديث فان عذرت والا ذكرت لك الحال لتعرفها على صورتها فبينت ماتؤثره من كتمان أمره فقلت له يا سيدى كل من لا يتعرف بك نكرة وقد اغنت المشاهدة عن الاعتذار وبانت الخبرة عن الاستخبار وجعل يشرب و يتعجب من غير استكراه ولاحث ولا استبطاء الى أن رأيت الشرب قد دب فيه وأكب على محادثة غلامه والفطنة تنبه فى الوقت بعد الوقت فأظهرت السكر وحاولت النوم وجاء الغلام بفرش حسن ففرش لى بازاء فرشه فنهض اليه وقام يتفقد أمرى بنفسه فقلت له ان لى مذهبا فى تقريب غلامى منى واعتمدت بذلك تسهيل مايختاره من هذا الحال فى أمر غلامه فتبسم وقال لى بسكره جمع الله لك شمل المسرة كما جمع جمعه لى بك وأظهرت النوم وعاد الى محادثة غلامه ومعاتبته بأعذب لفظ وأحلى معاتبة ويمزج ذلك بمواعيد تدل على سعة وانبساط يد وغلامه تارة يقبل يده وتارة فمه وغلبتنى عيناى الى ان أيقظنى هواء السحر وانتبهت وهما متعانقان بما كان عليهما من اللباس فأردت توديعه فخفت انتباهه وازعاجه فخرجت فلقينى الخادم يريد ايقاظه وتعريفه بانصرافى فأقسمت عليه ألا يفعل ووجدت

غلامي قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته فركبت منصرفا وعاملا على العودة اليه والتوفر على مواصلته وأخذ الحظ منه في معاشرته ومتوهما ان الذي كنت فيه منام الطيبه وقرب أوله من آخره واعترضتني أسباب أدت الى اللحاق بسيف الدولة فسرت على أتم حسرة لما فاتني من معاودة لقائه وقلت في ذلك هذه الابيات

ويوم كان الدهر ساحني به * فصار سمي بيننا هبة الدهر
جرت فيه افراس الصبا بارتياحنا * الى دير مران المعظم ذي القدر
فمن روضة بالحسن توقد روضه * ومن نهر بالفيض يجري الى نهر
وفي الهيكل المعمور منه اقترعتها * وصحبي حلالا بعد توفية المهر
ونزهت عن غير الدنانير قدرها * فازت منها أشرب التبر بالتبر
وحل لنا ما كان منها محرما * وهل يحظر المحظور في بلد الكفر
فأهدت لي الايام فيه مودة * دعتني في ستر فلبيت في ستر
أتى من شريف الطبع أصدق رغبة * فخاطبني من معدن النظم والنثر
وكان جوابي طاعة لا مقالة * ومن ذا الذي لا يستجيب الى اليسر
فلاقيت من العينين نيلا وهمة * محلى السجايا بالطلاقة والبشر
وأحشمني بالبرحتى حسبته * يريد احتداعي عن حياتي ولا أدري
ونزه عن غير الصفاء اجتماعنا * وكنت واياه كقلبين في صدر
وشاء السرور ان يلينا بثالث * فلا طفنا بالبدر أو بأخي البدر
يعط العيون ما أسهمت من جماله * ومضى القلوب بالتجني وبالهجر
جنينا جنى الورد في غير حينه * وزهر الربا من روض خديه والثغر
وقابلنا من وجهه وشرابه * بشمسين في جنحي دجى الليل والشعر
وغنى فصار السمع كالطرف أجدا * بأوفر حظ من محاسنه الزهر
وأتبعنا في وجنتيه بجدل ما * تمزج كفاه من الماء والخمر
سرور سكرنا منه لا صحو اذ دعا * اليه ولم نشكر به منة السكر
كأن الليالي غرن عنه فعدما * تنبهن يبكين الوفا الى الغدر
مضى وكأنما كنت فيه مناما * فحدثت عن طيف الخيال اذا يسري
وهل يحصل الانسان من كل ما به * تسامحه الايام الا على الذكر

ولم أزل على أتم قلق وأعظم حسرة وأشد تأسف على ماسلبت من عظيم النعمة بفراق الفتى لاسيما ولم أحصل منه على حقيقة ولا يقين خبر يؤدّ يانى الى الطمع فى لقائه الى أن عاد سيف الدولة الى دمشق وأنا فى جملته فبادأت بشئ قبل المصيرالى الراهب وقد كنت حفظت اسمه فخرج الى مرعوبا ولا يعرف السبب فلما رآنى استطار فرحا وأقسم لا يخاطبنى الا بعد النزول والمقام عنده يومى ذلك ففعلت فلما جلسنا للمحادثة قال مالى أراك لا تسألنى عن صديقك قلت والله مالى فكر منصرف عنه ولا أسف يتجاوز ماحرمته منه ولا سررت بعودى الى البلد الامن أجله ولذلك بدأت بقصدك فاذكرلى خبره فقال أما الآن فنعم هذا فتى من أولاد عظماء مصر جليل القدر عظيم النعمة كان قد ضمن من سلطانه بمصر ضياعا بمال كثير فخاسر به ضمانه لقعود السعر وأشرف على الخروج من نعمته فاستتر ولما اشتد البحث عنه خرج متخفيا الى أن ورد دمشق بزى تاجر وكان استتاره عند بعض اخوانه ممن له عادة بخدمته فأتيت عنده يوما اذ ظهر لى وقال لصديقه أريد الانتقال الى هذا الراهب ان كان مأمونا فذكره صديقى مذهبى وأظهرت السرور بما رغب فيه من الانس بى وأنا لا أعرفه غير ان صديقى قد أمرنى بخدمته وحصل فى قلايتى وواصل الصوم فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند صديقنا هو والغلام والخادم قد لحقا به ومعهما سفاتج وعليهما ثياب رثة فلما نظر الى الغلام قال ياراهب قد حل الفطر وجاء العيد ووثب اليه واعتنقه وجعل يقبل عينيه ويبكى ووقف على السفاتج وأنفذها مع درج رقعة منه الى صديقه فلما كان بعد يومين حمل اليه ألفى دينار وقال له ابتع لنا ما نستعمله فى هذه الضيعة فابتاع آلة وفرشا ولم يزل مكبا على مارأيت الى أن ورد عليه كتاب أهله بتدبير حاله مع سلطانه وأخذ خط السلطان بحطيطة المال وطيب قلبه وتحقق رضى السلطان فلما عزم على المسير قال للغلام سلم جميع ما بقى معك من نفقتنا الى الراهب ليصرفه فى مصالح الدير وسار وماله حسرة غيرك ولا أسف الا عليك يقطع جميع الاوقات بذكرك ولا يشرب الا على ما يغنيه الغلام من شعرك وهو الآن بمصر على أحسن الاحوال وأجلها ما يخل بتفقدى وخف بعض ماعندى من الحزازة بما عرفت من حقيقة خبره وأتممت يومى عند الراهب وكان آخر العهد منه ومن الغلام والسلام

(الباب الرابع والعشرون فى الجوارى ذوات الالحان)

قال الثعالبى فى تحفة الارواح وموائد السرور والافراح ان غناء الجوارى ذوات الحسن والدلال له موقع فى القلب أحسن من موقع غناء الرجال وان كان أجود منه وذلك مع الرويه وقال افلاطون غناء الملاح تحرك فيه الشهوة والطرب وغناء القباح يحرك فيه الطرب لا الشهوة وقد قيل أحسن الناس غناء من تشبه بالنساء من الرجال ومن تشبه بالرجال من النساء وما أحسن قول القائل

جاءت بوجه كأنه قمر * على قوام كأنه غصن
غنت فلم تبق فى جارحة * الا تمنيت أنها أذن

(وقال) يزيد بن الوليد اياكم والغناء فانه يسقط المروءة وينقص الحياء ويبدى العورة ويزيد فى الشهوه وانه لينوب عن الخمر ويصنع بالعقل ما يصنع به السكر وان كان ولا بد فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا (وقال) بعض أهل الادب لا يكون الملك ملكا حتى يلبس من طرازه وينكح من بلاده ويركب من نتاجه ويسمع الغناء من جاريته وغلامه (وقال) بعضهم فى جارية عوّاده

وكأنه فى حجرها ولدلها * تحنو عليه عند كل أوان
أبدا تدغدغ بطنه فاذا هفا * عركت له أذنا من الآذان

(وقال) ابن تميم فيها أيضا

ومهاة قد راضت العود حتى * عاد بعد الجماح وهو ذلول
خاف من عرك أذنه اذ عصاها * فلهذا كما تقول يقول

وقال آخر فيها وأجاد

أشارت بأطراف لطاف كأنها * أنابيب در قمعت بعقيق
ودارت على الاوتار حسا كأنها * بنان طبيب فى مجس عروق

(وقال) ابن حجاج فيها وأجاد

هذا ومحسنة بالعود عاشقها * بذلك الطيب فى الاحيان مسرور
اذا تثنت وغنت خلت قامتها * غصنا عليه قبيل الصبح شحرور

(وقال) صلاح الدين الصفدى فيها

حبست مثانى عودها بأنامل * عبثت بلب الخاشع المتورع
وشدت فلو شاءت عذوبة لفظها * عطفت عنان البارق المسرع
وعجبت من ريح الصبا اذلم يقف * طربا ولكن مالها اذن تعى
أبصرت ياعيناى مالم تبصرى * وسمعت يا أذنى مالم تسمع

(وقال) جمال الدين بن نباتة فيها

بروحى هيفاء المعاطف حلوة * تكاد بألحاظ المحبين تشرب
لقد عذبت ألفاظها وصفاتها * على أن قلبى فى هواها معذب
تجاسر عود اللهو يشبه صوتها * فمن أجل هذا أصبح العود يضرب
وأجرى دموع العاشقين بلعبها * فقال الآس دعها تخوض وتلعب

(وقال) النور الاسعردى فى جارية جنكيه

لبذت شعبان جنك حين تنطقه * يغدو بأصناف ألحان الورى هازى
لاغرو ان صاد الباب الرجال بها * أماتراه يحاكى مخلب البازى

(وقال) الصلاح الازبلى فى الجنك

الجنك مركب عقل فى تشكله * والرق قلع له الاوتار أطناب
يجرى بريح اشتياق فى بحار هوى * يؤم ساحل وصل فيه أحباب

(وقال) سيدى شهاب الدين أحمد بن حجر فى جارية تلعب بالكمنجا

ما بالها هجرت وكم قدمر لى * منها الرضا فى سالف الاعصار
وقضيت معها اذ شذت بكمنجة * مابين سالف نغمة أوطار

(وقال) سيدنا القاضى بدر الدين الدمامينى فى جارية تدق بالكف

لقد دقت بكفيها فتاة * صفت فينا حلا ئقها ورقت
فأفديها مغنية رأينا * بها الافراح حلت حين دقت

(وقال) شمس الدين بن دانيال فى جارية تضرب بالدف وأجاد

ذات القوام الذى يهتز غصن نقا * لو مر يوما عليه طائر صدحا
تبدى على الدف كالجمار معصمها * أنامل لابنان تشبه البلحا
غناؤها برقيق الغنج تمزجه * فما ينقط الاكل من رشحا

(وقال) شمس الدين الكوفى الواعظ فى جارية مشببة كذا ذكره الصفدى فى تضميخ التضمين

لقد حصلت لي ليلة لا تقوم * وعندي من أهوى بها أتنعم
وفي كفها شبابة تجمع المنا * فنحن سكوت والهوى يتكلم
وينفخ فيها الروح روح بأمرها * وما هو جبريل وما هي مريم
وما الدهر الا صورة دمها لطلا * فحرم اذ شرب الدماء محرم
وما زلت شيعيا الى أن أتوا بها * عتيقا فناديت العتيق المقدم

وهذا التضمين أغار عليه القاضي محي الدين بن عبد الظاهر وقد ذكرته في المذاق المطربين (وقال) كمال الدين جعفر الادفوي في تاريخه البدر السافر عن انس المسافر في ترجمة القاضي تقي الدين عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خلف ينعت بابن البيت الاعز الشافعي ومن شعره ملغزا في شبابة

ومحبوبة مهما خلت مع حبيبها * يقبلها لثما وينظرها شزرا
منقبة عريانة وهي فتنة * لمن أصبحوا من شرب كأس الهوى سكرى
وتصحيفها في كف من شاء منهم * ومن شاء في اليمنى ومن شاء في اليسرى

وكتب الى شرف الدين بن الحلاوي ملغزا فيها مضمنا

وناطقة خرساء باد شجوها * تكنفها عشر وعنهن تخبر
يلذ الى الاسماع رجع حديثها * اذ سدمنها منخر جاش منخر

فأجاب بهذا البيت واجاد

نهاني النهى والعلم عن وصل مثلها * فكم مثلها فارقتها وهي تصفر

(قلت) تكرير لفظة مثلها غير طائل والم بهذا التضمين مجير الدين بن تميم فقال

وشبابة قد كنت أهوى سماعها * وقد صرت منها عندما بت أنفر
وها أنا قد فارقتها غير نادم * وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

(قلت) كان المذكور لهجا بالتضمين مكثرا منه حتى قال في نفسه وظرف

أطالع كل دواوين أزاء * ولم أزجر عن التضمين طيري
أضمن كل بيت فيه معنى * فشعري نصفه من شعر غيري

(وقال) ابراهيم بن المعمار في جارية مغنيه

وجارية مغنية بلطف * على الايقاع بالكعبين دقت
فغنت ثم رقت لي بوصل * فقمت قطعتها من حيث رقت

(وقال) بدر الدين بن الصاحب فيها

غنت فأغنت عن كؤس الطلا * بالسكر من لذات تلك اللحون
فقلت اذ هيمني صوتها * فى مثل ذا الحلق تروح الذقون

(وقال) صفى الدين الحلى فى جارية ترقص بالشراب

والراقصات وقد شدت ما آزرها * على خصور كاوساط الدنانير
كأن فى الشبر عناها وقد رقصت * صبحا تقاقل فيه قلب ديجور
ترعى الضروب بكفيها وأرجلها * وتحفظ الاصل من نقص وتغيير
وتعرب الرقص من لحن فيلحقه * مايلحق النحو من حذف وتقدير

(وقال) جمال الدين حسن بن على بن داود الفارقى

لله راقصة تميس كأنها * ظل القضيب اذا تمايل مزهرا
تزهو وترجع كالخيال فلا ترى * حركاتها الا كطارقة الكرى
لانت معاطفها فكيف تلفتت * وتفلتت لا يستطاع بأن ترى

(وقال) أبو الحسن على بن أبى اليسر فيها

هيفاء ان رقصت فى مجلس رقصت * قلوب من حولها من حذقها طربا
خفيفة الوطئ لو جالت بخطرتها * فى جفن ذى رمد لم يعرف الوصبا

(وقال) الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه فيها

هيفاء راقصة للزهر قد كشفت * فى الكون ما مثلها نجم على الكرة
كالغصن ان خطرت يا ليتها عطفت * مذ أمرضتنى وعادت بالتى شفتى

(وقال) الوجيه المناوى فى جارية تلعب بخيال الظل

وجارية معشوقة اللهو أقبلت * بحسن كزهر الروض تحت كمام
اذا ما تغنت قلت شكوى صبابة * وان رقصت قلنا حباب مدام
أرتنا خيال الظل والستر دونها * فأبدت خيال الشمس خلف غمام
تلعب باشخاص من خلف سترها * كما لعبت أفعالها بأنامى

(فصل) فيما يتعلق بكتابة المتظرفات منهن على آلاتهن كتبت مزنة على مضرابها * من نظر الى سوانا لم يصدق فى هوانا * وكتبت ظبية مغنية ابن يزداد على ملهاتها * احفظ سرك من غيرك * وكتبت ظوافر على ملاويها وافق من ترافق * وقارب من تصاحب * وكتبت ضوء الصباح على عودها بالذهب * من خالفنا فليس منا * وكتبت تحفة * ومن أرادنا لا يصبر عنا

وكتبت قينة جارية الملك الظاهرية على بابها * صل من قطعك وأعط من حرمك
وكتبت نزهة جارية الجصاص على أحدى جانبي مضرابها * من ورد عودها غير حياءيه صدر نداءه * وعلى الجانب الآخر * السعيد من وعظ بغيره (حاشية)
قال على بن الجهم اشتريت جارية فقلت لها ما أظنك بكرا فقالت كثرت الفتوحات فى زمن المعتصم وقلت لها كم بيننا وبين الصبح فقالت عناق مشتاق ونظرت الى الشمس كاسفة فقالت احتشمت محاسنى فتنقبت وقلت لها نجعل مجلسنا فى القمر فقالت ما أولعك بالجمع بين الضرائر وكانت تكره الحلى وتقول يستر المحاسن كما يغطى القبائح
(فصل) فى المولدات من الجوارى وغيرهن قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى جارية تدعى وردة

بابى دمية مولدة الحسـ ـن دعوها بوردة البستان
فى التصاوير مثلها ليس يلقى * فيقولون وردة كالدهان

(وقال) شهاب الدين بن أبى حجلة فى جارية تدعى حكم الهوى

حكم الهوى صدت فبت لاجل ذا * ولهان من فرط الصبابة والجوى
يا عاذلى لا تلمنى فى حبها * نفذ القضاء وهكذا حكم الهوى

(وقال) بدر الدين بن الصاحب فى جارية تدعى صباح

وقينة تدعى صباحا قد غدت * فى حسنها تياهة فى مراح
تصد والطرف لها ساهر * تقول لى ماله من صباح

(وقال) الشيخ نجم الدين الغفارى فى جارية تدعى قلوب

عاتبنى فى حبكم عاذل * يزعم نصحى وهو فيه كذوب
وقال ما فى قلبك اذكره لى * فقلت فى قلب المعنى قلوب

(وقال) القاضى شهاب الدين بن فضل الله العمرى فى جارية تدعى حدق

سكرت فى حب من أهوى معاطفه * تطوى الضلوع على التبريح والحرق
قالوا تجد بدموع العين قلت لهم * لا تسألوا ما جرى منها على حدق

(وقال) أبو حفص جعفر الشطرنجى فى جارية سوداء

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة فى حسنها قاعده
لا شك اذ لونكما واحد * انكما من طينة واحده

(وقال) ابن قلاقس فيها وابدع

رب سوداء وهي بيضاء معنى * نافس المسك عندها الكافور
مثل حب العيون تحسبه النـــاس سوادا وانما هو نور

(وقال) أبو تمام الحجام الطيطلي وأجاد

يا كعبة بذوى الالباب لاعبة * فى أصل حسنك معنا غير متفق
خلقت بيضاء كالكافور ناصعة * فصرت سوداء من مثواك فى الحدق

(وقال) شهاب الدين بن فضل الله فى جارية سوداء مغنية

يارب سوداء لاجفانها * كما ابيض الهند تأثير
يطربنى ترجيع ألحانها * وكيف لا يطرب شحرور

ولا بأس بايراد نبذة يسيرة من ذمهم * قال المجاز لعلى الرازى وقد أراد شراء حبشية تمنعها الدهر مزمن وأبطها منتن وجسدها لا يقبل الطيب واذا شربت احمرت عيناها واخضرت وجنتاها واذا كسيت فخاعة على جسد اسود * وقال الماهانى لصديق له لما أولعت بالسودان فقال لانهن أسخن فقال الماهانى أسخن للعير (نادرة) تزوج مدنى سوداء فعوتب فقال عتق ما يمشى ان لم يكن ضراطها فى الليلة الشتائية أنفع من عدل فحم وقال الصنوبرى يهجو زامرة سوداء

فكأنما المزمار فى أشداقها * غرمول عير فى حيا أتان
وترى أناملها على مزمارها * كخنافس دبت على ثعبان

(وقال) السراج المختار الحلبى فيها

ولرب زامرة تهيج بزمرها * ريح البطون فليتها لم تزمر
شبهت أنملها على ضرباتها * وقبيح مبسمها الشنيع الابخر
بخنافس قصدت كنيفا واغتدت * تسعى اليه على خيار الشنبر

ولنختم هذا الفصل بلطائف من حكايات الجوارى الحسان وما خصوا به من فصاحة اللسان * قال بعض الرواة الاخيار ومن يوثق به فى الاخبار رأيت بالبلقاء ثلاث جوار كأنهن أقمار أوكأنما أفرغن فى قالب الحسن أو ملكن أنفسهن فتصورن كما اشتهين قلت ياضرائر الشمس أخرات أنتن قلن لا ولكنا الاف مودات وعقائل حبيبات نجتمع فى هذا المكان لسبب ما اشتمل عليه القلوب من دواتنا العيون ونحن نصف لك حالنا فاقض علينا بما تسمع من أشعارنا قلت قلن فقالت الاولى

يقولون طعم الحب مر وانني * أظن بأن الهجر مر من الحب

فقلت المريض أعلم بدائه فقالت سبحان من ستر خلقه بثوب عفوه ولم يعلم غيره ضمائرهم بثاقب علمه وقالت الثانية

أظن بأن الحب يقتل أهله * اذا لم يكن فى الحب قرب ولا وصل

فقلت من جرب أمرا عرفه فأظهر حياءها وتوردت خديها فقالت الثالثة

أخال الهوى داء يعز دواؤه * اذا غاب من يهوى وعانده الدهر

فقلت من خاف شيأ احذر منه والا وقع فيه فتنفست الصعداء وقالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقمن فما رأيت أغصانا تحملن أقمارا أسافلها كثبان الا هن * وحكى سيار بن المعتمر قال زرت مخارقا وكنت أهوى جاريته معين وكانت أديبة مسمعة فاخرجها وجعلت تغنى وطرفها يضحك فوهمتنى سرورها بجعبتى اليها فبقيت فى لذة من غنائها تجاوز الوصف فلما قرب وقت الانصراف دخلت ثم خرجت وعليها عصابة فيها مكتوب

تبسم طرفى فاستهام فؤاده * الى ضحك عين صيرته له سحرا

الا ان حسن الطرف ما كان ضاحكا * فلا يوهمنك الضحك فى مقلتى أمرا

فاختلط عقلى وتمرر على ما كان حلا من تغنى معها فلما رأت ما قد نزل بى قلبت العصابة فاذا عليها مكتوب

مزحت فلا تجعل مزاحى علة * لصرف الهوى عنى فتجعله هجرا

منحتك من قلبى مكانا وقربة * عليك فلا تأسى لما حكيته شعرا

وقرأت فى كتاب منازل الاحباب ومنارة الالباب تأليف العلامة شهاب الدين محمود الحلبى رحمه الله تعالى * حكى أبو الفرج الاصبهانى عن بعض بنى حمدان قال كنت مع المتوكل لما شخص الى الشام فلما وصلنا الى حمص قال أريد أن أطوف هذه الكنائس والمواضع التى تعرف بالفراديس فانى كنت أسمع بطيب هذا المكان فقلت الرأى ما رأى أمير المؤمنين فلما استراح من الركوب دعانى وأخذ بيدى ولم يزل يستقرئ تلك الكنائس والاديرة وما فيها من الصور واحداث الرهبان وبنات القسيسين فرأينا وجوها كأنها الاقمار على غصون تنثنى على تلك الاروقة والحصون وكل ما مر بنا شئ من ذلك قال أتدرى ما نحن فيه وخلونا براهب من قوام الكنيسة فجعل المتوكل يسأله عن اسم كل من مر به ونسبه فبينما نحن

كذلك اذمرت بنا جارية مارأيت لها شبها فى يدها مجمرة تبخر بها فقال لها المتوكل تعالى يا جارية فأقبلت بحسن أدب وكمال حسن فقال للقس من هذه قال ابنتى قال وما اسمها قال شعانين فقال لها المتوكل يا شعانين استقنى ماء فقالت ماءنا ههنا من الغدران ولست استنظف لك آنية الرهبان ولو كانت روحى ترويك لجدت لك بها ثم جاءت بكوز من فضة فيه ماء فأومت الى أن أشربه فشربته فازداد عجبه بها وقال لها يا شعانين ان أنا هويتك تساعدينى فتنفست الصعداء وقالت يا مولاى أما الآن فأنا أمتك وأما كونى عرفت صدق محبتك وتمكنها من قلبك فلا فما أخوفنى من حدوث الطغيان عند تملك السلطان أما سمعت قول الشاعر

كنت لى فى أوائل الامر عبدا * ثم لما ملكت صرت عدوّا
أين ذاك السرور عند التلاقى * صار بى تجنبا ونبوّا

فطرب المتوكل حتى كاد يشق ثوبه وقال لها هبى لى نفسك أشرب أنا وأنت اليوم فقالت على الرحب والسعة ثم أصعدتنا الى علية مشرفة على تلك الكنائس فرأينا منظرا عجيبا ثم جاءت بادام حسن ورقاق وكان المتوكل عاف ما جاءت به واستأذنها فى احضار طعام فأذنت فأتى بخرفان مشوية وأشياء غريبة الانواع فاستظرفت ما جيء به واستهولت الآلة وفطنت لامر المتوكل وقامت بين يديه وهمت بالسجود له فنعها ثم جاء القس من بيت الرهبان بشراب ذكر المتوكل انه لم يشرب مثله قط فشرب وشربت معه ثم استغفيته من أجل حمى لحقتنى فأعفانى وشربها بحديثها فلما أخذ منه الشراب قالت ياسيدى أغنيك عن ضعف الصنعة فقال ان فعلت كمل والله ظرفك فأتت بشئ يشبه العود فاندفعت تغنى بهذه الابيات

يا خاطبا من المودّة مرحبا * نفسى فداؤك لاعدمتك خاطبا
أنا عبدة لهواك فاشرب واسقنى * واعدل بكأسك عن جليسك ان أبى
قسما والذى رفع السماء ملكتنى * وتركت قلبى فى هواك معذبا

فصاح المتوكل وقال أصبت أنت وذلك لانى كنت أخطأت فى ترك مساعدته فأخذت رطلا وشربته حتى لحقته ومضى لنا من الايام الافراد ثم أرغبها المتوكل واستسلمها وتزوجها ولم تزل عنده حظية الى أن قتل فى داره * كتب بعض المجان

الى صاحب له يستهديه جارية حفظك الله وحفظ النعمة عليك ان بين كل أمر يطلبه الرجل وبين المطلوب منه ذريعة يتوسل بها الى معروفه ولى بالرجاء فيك درجة توجب قضاء الحقوق وحاجتى أبقاك الله ظريفة من الجوارى لم تتداولها أيدى التجار ولم تمتهنا خدمة الموالى ولى فيها شريطة أعرضها عليك وأذكرها اليك لترى رأيك فيها انه كان يقال اذا اتخذت جارية فاستجد شعرها فان الشعر أحد الوجهين وتكون رابعة البياض تامة القوام فانه يقال ان البياض والطول نصف الحسن كله وتكون مليحة المضحك فانه أول ما يستجلب من المرأة به المودة ومتقاربة الخطوة وتكون جيداء العنق غيداء اللبب كحلاء العين لها طرف أدعج وحاجب أزج موردة الخدين سهلتهما واضحة الجبين قنواء الانف حمراء الشفتين مفلجة الثنايا نقية الثغر مشرقة النحر ولست أكره الانكسار فى الثديين لانه لا لذة للنهود عندى الا لذة النظر وهى أيضا تحول بين المعانق وبين ارادته وان قال الشاعر

حال الوشاح على قضيب زانه * رمان صدر ليس يعطف ناهد

وأكره العجيزة الضخماء ولا أحب الرسحاء أريدها وسطا لان خير الامور أوساطها وتكون سبطة البنان فتى الساعد ممتلئة الذراع فخمة العضد قبباء البطن خميصة الخصر يطويها الضجيع طى الحمالة عبلة الفخذين ردية الساقين لطيفة القدمين ولولا افراط الغيرة لذكرت ما أحبه مما هو مستور الا عند الحاجة اليه وأريدها رخيمة الصوت شهية النغمة عذبة الالفاظ بها غنة الحداثة وبحة الاحتلام أشجى خلقا من الغريض وأنعم كلاما فى الآذان من مخارق وأثبت حجة من أبى الهذيل العلاف وأبين معنى من النظام ظريفة المجون حسنة الوقار ان أردتها دنت وان كرهتها نأت أطوع من الرداء وأذل من الحذاء وقدرك أبدك الله يحمل اقتراحى عليك وشكرى لك يستوجب ما أسأله منك وأنا بالاسعاف جدير وأنت بالافضال قمير * فأجابه سألت أعزك الله عن هذه الصفة وطلبت هذا النعت فأعيى فى الدنيا وما أرانى أجدها الا فى الآخره وقد بعثت لك بالف دينار لتلتمسها أنت وتسأل اخوانك معاونتك على ذلك فى وجدتها أو وجدها لك أحد دفعت اليه الدنانير رهن الدلالة وعن عقد الثمن لانفذه اليك

ان شاء الله تعالى

(الباب الخامس والعشرون فى الباءه)

قال الشيخ الامام علاء الدين أبو الحسن بن على بن أبى الحزم القرشى المتطبب المعروف بابن النفيس تغمده الله بالرحمة فى كتابه المعروف بالموجز فى الجملة الثانية من الكتاب المذكور فى قواعد الجزء العملى من الطب فى تدبير الجماع قال رحمه الله وسامحه الجماع أفضله ما وقع بعد الهضم وعند اعتدال البدن فى حره وبرده و يبوسته ورطوبته وخلائه وامتلائه فان وقع خطأ فضرره عند امتلاء البدن وحرارته ورطوبته أسهل من خلائه وبرده و يبوسته وانما ينبغى أن يجامع اذا قويت الشهوة وحصل الانتشار التام الذى ليس عن تكلف ولا فكرة فى مستحسن ولا نظر اليه وانما هاجته كثرة المنى وشدة الشبق وان تحصل عقيبه الخفة والنوم والجماع المعتدل ينعش الحرارة الغريزية ويهئ البدن للاغتذاء ويفرح ويحطم الغضب ويزيل الفكر الردىء والوسواس السوداوى وينفع أكثر الامراض السوداوية والبلغمية وربما وقع تارك الجماع فى أمراض مثل الدوار وظلمة البصر وثقل البدن وورم الخصية أو الحالب فاذا عاد اليه برئ بسرعة والافراط فى الجماع يسقط القوة و يضر العصب ويوقع فى الرعشة والفالج والتشنج و يضعف البصر جدا وجماع الغلمان أقل استفراغا للمنى فيكون اضعافه وضرره أقل لكن يحوج الى حركات متعبة لكونه استفراغا غير طبيعى وليجتنب جماع العجوز والصغيرة جدا والحائض والتى لم تجامع من مدة طويلة والمريضة وقبيحة المنظر والبكر فكل ذلك يضعف بالخاصية وجماع المحبوب يسر و يقل اضعافه مع كثرة استفراغه المنى وأردء أشكال الجماع أن تعلو المرأة الرجل مستلقيا لتعسر خروج المنى وربما بقى فى الذكر بقية فيتعفن بل ربما سال من الفرج رطوبات الى الذكر وأفضل أشكاله ان يعلو الرجل المرأة رافعا فخذيها بعد الملاعبة التامة ودغدغة الثدى والحالب ثم حك الفرج بالذكر فاذا تغيرت هيئة عينيها وعظم نفسها وطلبت التزام الرجل أولج الذكر وصب المنى ليتعاضد المنيان وذلك هو الحبل ومما يعين على الجماع رؤية المجامعة والنظر الى تسافد الحيوانات وقراءة

الكتب المصنفة فى الباءة وحكايات الاقوية من المجامعين واستماع الرقيق من أصوات النساء وحلق العانة يهيج الشهوة وإطالة العهد بترك الباءة ينسيه النفس والاستمناء باليد يوجب الغم ويسقط الشهوة والانتشار انتهى كلام ابن النفيس * وسئل ابقراط كم ينبغى للانسان أن يجامع فقال فى كل سنة مرة قيل فان لم يقدر قال فى كل شهر قيل فان لم يقدر قال فى كل أسبوع قيل فان لم يقدر قال هى روحه متى شاء أخرجها

(فصل) ولما كان جمال المرأة وحسن تناسب أعضائها والداعى الرجل الى وطئها وأجلب لشهوته عند النظر اليه والمدحواسه فى حال مصاحبتها فلا بأس بايراد نبذة من ذلك أجمع أهل المعرفة ان الذى يحمد فى المرأة من السواد أربعة أشياء الشعر والحاجبان والحدقة والاهداب ومن البياض أربعة أشياء بياض لونها وبياض بياض عينيها وبياض أسنانها وبياض فرقها ومن الحمرة أربعة أشياء حمرة اللسان وحمرة الوجنات وحمرة الشفتين وحمرة الاليتين ومن الغلظ أربعة أشياء العضدان والساقان والشفران والذوائب ومن الرقة أربعة أشياء العظام والانف والخصر وأطراف الانامل ومن الطول أربعة أشياء الشعر والعنق والقامة والحاجب ومن التدملج أربعة أشياء الرأس والعنق والساعدان والساقان ومن العراض أربعة أشياء الجبهة والعينان والصدر والالية ومن الصغر أربعة أشياء الفم والكفان والقدمان والاذنان ومن الضيق أربعة أشياء المنخران ثقب الاذان السرة الوطأ ومن الصلابة أربعة أشياء الثديان الاليتان القبل عضلة الساق ومن الملس أربعة أشياء ظهر الكفين الترقوة الاصابع [illegible] ومن النساء أربعة أشياء العينان المنخران الفم الفرج ومن [illegible] أربعة أشياء [illegible] البشرة الاسنان الاظفار ومن الكبر [illegible] الركبتان الفخذان الوطأ ومن الاشياء [illegible] أربعة أشياء الارداف الوطأ الكاهل ومن الحلاوة أربعة أشياء الوجه والريق والعينان والنغمة ومن اللين أربعة أشياء اللحظ نفس الكلام البشرة ومن الحسن أربعة أشياء الخلق والخلق والادب و[illegible] ومن الملاحة أربعة أشياء الضحك والنغمة والنوم

والمشية ومن النظافة أربعة أشياء الوجه والفرج والابطان والاطراف ومن الاشياء الشهية أربعة الملامسة المحادثة المعانقة المعاتبة ومن الاشياء الخافية أربعة الكعبان الزندان المرفقان الترقوة ومن الصدق أربعة أشياء المردة والحياء والعفة والامانة ومن المخونة أربعة أشياء الموطأ الكفان المجلس باطن القدم ومن الطيب أربعة أشياء النفس النكهة الابطان الفرج تمت الاربعات

* ومن الاشياء المهيجة للباءة التقبيل قال الاصمعي كل جماع لا قبل فيه فهو خداج يعني ناقصا وقال الجاحظ أربعة أشياء ممسوخة البركة أكل الارز البارد والبوس على النقاب والغناء من وراء الستارة والجماع في الماء قالوا أحسن الشفاه وأشده تهيجا وأوفق مارق الاعلا منها وأحمرت ونظفت وحرفت وكان في الاسفل منها بعض الغلظ واذا عض عليها أخضرت فان القبلة لهذه الشفة احلا وأعذب وقالوا ان الذ القبل قبلة ينال فيها لسان الرجل فم المرأة ولسان المرأة فم الرجل وذلك انه اذا كانت الجارية نقية الفم طيبة النكهة فانها تدخل لسانها في فم الرجل ادخالا يصيب ريقها وحرارة لسانها لسان الرجل فينحدر ذلك الريق وتلك الحرارة والتسخين الى ذكر الرجل وفرج المرأة فيثير ذلك شبقهما وغلمهما ويقوى شهوتهما فيزداد لونهما صفاء وحسنا وما أحسن قول ابن المعتز

وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهي خائفة * من النواطير يانع الرطب

وتلطف ابن وكيع في قوله

ظفرت بقبلة منه اختلاسا * وكنت من الرقيب على حذار
ألذ من الصبوح على غمام * ومن برد النسيم على خمار

وأما كلام المجامع عند الباءة فانه من كمال السرور وتمام اللذة لان كل حاسة من حواس الفاعل تكون مشغولة بلذة ما فالعين بلذة النظر والفم بلذة الرشف والانف بلذة الطيب والذكر بلذة الجماع فيحتاج أن تكون الاذن متمتعة بلفظ المحبوب لاسيما ان كان ذلك الكلام مما يجلب الشهوة فتتكامل اللذة فلا بد للمتلذذ أن يجد اللذات المتفرقة في شخص واحد ليتم باجتماعها سروره

واحدة شريفة قال الشاعر

وفى أربع منى حلت منك أربعا * فما أنا أدرى أيها هيج لى كربى
أوجهك فى عينى أم الريق فى فى * أم النطق فى سمعى أم الحب فى قلبى

وقال عمرو بن بحر الجاحظ كان بالهند امرأة تعرف بالالفية وذلك انه كان قد وطئها ألف رجل وكانت أعلم زمانها بأحوال الباءة وان جماعة من النساء اجتمعوا اليها فقالوا أيتها الاخت أخبرينا ماتحتاج اليه و نستعمله وما الذى يثبت محبتنا فى قلوب الرجال وما الذى يتلذذون به و يكرهون من اخلاقنا وما ينبغى أن يعمل معهم ليستجلب به محبتهم قالت نعم أول كل شئ أقوله لكم انه ينبغى أن لا يقع له نظر الا على زينة قالوا وما الذى يجب على الرجل أن يتقرب به الى قلب المرأة قالت الملاعبة قبل الجماع والرهز بعد الفراغ قلن فما الذى يكون سبب محبتهم لبعضهم بعض واتفاقهم قالت الانزال فى وقت واحد قلن فما الذى يفيد مودتهما ومحبتهما قالت أنى يكون غير ماذكرت لكم ثم سألوها عن أصناف الجماع فذكرت لهن ذلك أضربت عن ذكرها الكثرة أقسامها ومن أراد ذلك فليطالع الكتب المؤلفة فيها فانها مشحونة بها * واما ميلهن الى النكاح وشدة شبقهن منه ماحكى انه كانت امرأة لها يسار وجمال فخطبها رجل له يسار وجمال وثروة فلم تفعل فقالت لها أمها يا بنية لم لا تتزوجين بهذا الرجل فانك لا تجدى مثله فقالت لا أريده لانى سمعت ان فى وسطه ايرا عظيما مثل الوتد ولا طاقة لى به قال فتشفع الرجل الى أمها وسألها أن تشفع فقالت له قد ذكرت لها أمرك فقالت انها لا تطيق ايرك فقال زوجينى بها واشرطى لها على شرطا انى لا أدخل منه شيأ الا بأمرها ويكون فى يدك تدخلى منه الذى تشتهين وتتركى الذى لا تريدينه فقالت لابنتها ذلك فقالت رضيت بهذا الشرط فلما كان ليلة العرس قالت له أمها أنت على الشرط قال نعم فلما خلا بها قال لها تقدمى وامسكيه بيدك وأدخلى منه ماتريدا بنتك فأخذته بيدها وأدخلت منه مقدار عقدة وقالت يكفيك هذا قالت زيدى يا أماه عافاك الله فزادتها فلم تزل كذلك الى أن لم يبق منه شئ فقالت أزيدك يا بنية فقالت أى والله يا أمى قالت يا بنية فأنت قلت لا طاقة لك به فوالله ما بقى معى منه شئ فقالت البنت أسخن الله عينيك والله لقد كان أبى يقول انك أى شئ وضعت يدك عليه طارت البركة منه

وأنا لا أعلم وقد علمت الآن (صفة شربة) نافعة للهوى وعليل النوى بسم الله اللطيف الحكيم يؤخذ على بركة الله ولطفه * ثلاثة مثاقيل من صافى وصال الحبيب * منقاة من عيدان الجفا وخوف الرقيب * وثلاث مثاقيل من بزر الاجتماع * منخولة من غلث الهجران والانقطاع * وأوقيتين من خالص الود والكتمان * منزوعة من عيدان الصد والهجران * و يؤخذ من عطر البخور ولثم الثغور وضم الخصور من كل واحد مثقالان * و يؤخذ مائة بوسة رمانيه محكوكة مرضوضه منها خمسون صغار سكريه * وثلاثون زق الحمام وعشرون عصافيريه ويؤخذ غنج حلبي وشخير عراقى من كل واحد مثقالان و يؤخذ اوقيتان من مص اللسان ولثم الفم مع الوجنتين * ويدق الجميع ويخلط ويذر على وزن ثلاثة دراهم غلمة مصريه * و يضاف اليها قرص الاعكان المطويه و يغلى بماء المحبة على شراب الشوق وحطب الطرب فى مرحل البجلة و يصفى الجميع على ديبقى سلطانى ويحل فيه أوقيتان من شراب الرضاب ويشرب على الريق من ثغور الاحباب و يكون الغذاء مزورة بقطين الاشتياق ويضاف اليها قلب لوز العناق وماء ليمون الاتفاق و يتناول بعد ذلك ثلاثة أرطال من المدام ثلاثة أيام و يتبعه برطلين من شيل الساقين و يدخل الحمام نافع مجرب والسلام * بعث بعض الظرفاء الى محبوبة له مروحة و باوقة زهر وسكر نبات وشرابه وعود ففهمت مراده وبعثت اليه خيطا أحمر وقطعة من صباره وثلاث كمونات سود وغاسول وزر ففهم مقصودها وصبر والمراد من فعله أنه أراد بالمروحة نروح و بالزهر البستان و بالسكر النبات نبات وبالشرابة نشرب وبالعود نسمع الغناء ومقصودها انها عرضت بالخيط الاحمر انها حائض وبالصبارة اصبر و بالثلاث الكمونات ثلاث ليال والغاسول أغتسل وأزورك * وأهدت بعض القينات الى الملك العزيز بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف فى بعض الايام كرة من العنبر فكسرها فاذا فى وسطها زر ذهب وكانا يكتمان أمرهما خوفا من السلطان فلم يفهم معنى ذلك فارسل الى القاضى الفاضل يسأله عن ذلك فقال ارتجالا

أهدت لك العنبر فى وسطه * زر من التبر دقيق اللحام
فالزر فى العنبر معناهما * زرهكذا مستترا فى الظلام

(كتبت) بعضهن على عصابتها أصعدوتمكن على بطن معكن

(وكتبت) أم القاسم بنت بلبل العطار وكانت من كبار المساحقات على خاتمها مل من الباطل فرجع الى الحق وأين هذا من قول بعضهن وقد قيل لها ارجعى الى الحق فقالت الحق بعض مرادى وهذا من الاجوبة اللطيفة وما أحقها بقول القائل شعرا

مغرمة بالسحاق أضحت * تبكى عليه بكل عين
ما اتقنت من الهيولى الا * تصحيف اسحق فى حسين

(وحكى) ان رجلا دخل الى بيت فوجد امرأتين وهما يتساحقان فجذب التى هى فوق وقعد مكانها وقال هذا عمل يحتاج الى حبال ورجال (وقال) آخر

جرح يريد الفتيله * ايش تنفعه اللزقاق

(وقال) الشيخ زين الدين بن الوردى

قولوا لمن تهوى السحاق الذى * حرمه الله فما فيه خير
أخطأت يا كاملة الحسن اذ * أقمت اسحق مقام الزبير

يحكى ان حمده بنت زياد المؤدب ذكرها المؤرخ الرحال نور الدين بن سعيد فى كتابه المغرب وقال وهى من خنساء المغرب من نظمها وقد خرجت الى وادى مدينة وادبالقرب مع جوار لها فسبحت معهن وكان لها فيهن هوى

أباح الدمع اسرارى بواد * له فى الحسن آثار بوادى
فمن نهر يطوف بكل روض * ومن روض يطوف بكل وادى
ومن بين الظباء مهاة أنس * لها لبى وقد سلبت فؤادى
لها لحظ ترقده لامر وذا * ك الامر يمنعنى رقادى
اذا سدلت ذوائبها عليها * رأيت البدر فى أفق السواد
كأن الصبح مات له شقيق * فمن حزن تسربل بالحداد

وقالت ماجنة لمساحقة ما فى الدنيا أطيب من الموز قالت نعم الا انه ينفخ البطن وقالت ماجنة لمساحقة أين أنت من الاصلع الاقرع الاحدب المبوق الذى كأنه بوق العظيم الحوق الكثير العروق الذى يخرق الخروق ويسد الشرق ويفتق الفتوق ويرفو الشقوق ويقضى الحقوق ويأخذ بحلوق الاجرد الاربد الذى كأنه الوتد أو رقبة

الاسد الاحمر الاشقر المجر الذى رأسه كالمحور وأصله كالانحر وفيه عرق أخضر كأنه عرق لحم البقر فى رأسه كماه ووسطه قناه وفى أسفله مخلاه ولحيته فى قفاه يراك من حيث لاتراه لونطح الفيل كوره أودخل البحر ثوره كأنه غصن بان أوسيف يمان أوصقلانى عريان أوزنجى غضبان بل كأنه شيطان أوراهب بحران أوهامة هامان أوعنتر فى الحرب أوحارس فى درب أورأس جمل أوركبة جمل أوكوكب الذنب أوطن قصب أوذنب التنين أوشوبك القيارين ينطح بغير قرنين ويمشى بغير رجلين ويبصر بغير عينين يدخل فى الظلمات وهو أحد البليات فى عنقه طوق من أسفل الى فوق اذا ارتفع النهار يكون كالجلنار أتيه من ملك القند هار مدمج كالطومار يغوص فى البحار ويثقب الابكار ويدخل فى الاحجار اذا جنه الليل أطال القيام والناس نيام (فقالت) المساحقة أما علمت ان اللطف والنظافه والظرف واللياقه والتساحى والبراعه فى السحق الذى هو سبعون ومائة واحدة منها العقبى والاستكلاب والطنبلسب والملح والمعوج والمقرطح والدار تردار والطاق برطاق والمخالف والمؤالف والشراعى وقبضه وبسطه وعقبه وضغطه والتطبيط والصفعى والتفن والرهز وغيرهده * وأما أنتم فكل شئ لكم النوم على القفا والادخال فى الاست فاذا اجهدتم جهدكم كان لون آخر وهو القيام على أربع ويسمونه الحمارى وتفتخرون به وأين هذا من أخذه سوقا وعمل وسؤال وعال ورقدة وخلوه وحديث هندوالزرقا ودعنا نبوران وقد بلغنا ان رجلا قبض على امرأة فى خزانة الشراب ورفع رجليها ليضعه بين شفريها فغلط وأدخله فى أستها فنسمت ورفسته فانصدع من حلقه ست وثلاثون خابية خمر ونحن فنجتمع منا الغانية الشكل البيضاء القحبه الشطبة الرطبه الغضة البضه التى كأنها ريحان أوقضيب خيزران بثغر كاللؤلؤ وذوائب كالارسان وخدود كشقائق النعمان أوتفاح لبنان وثدى كالرمان وبطن بأربعة أعكان وحر كأنه قبة الدار أربع فى ثمان أوقرنبة عليها شونيز أوأرنب جاثم أوبطة سكاريه بشفرين أغلظ من شفة البقره كأنهما سنام نافر فى لون العاج ولين الديباج وبياض الفلك ودهنية الودك كأنه الركوة

المنفوخه منتوف محلوق مضمخ بالمسك والخلوق كأنه كسرى أنوشروان في صدر الايوان متهلل جذلان فرح مرح ومعه من الملاحات ما يخرج عن حد الصفات من الاصابع المطرفه والاصداغ المزرفه والحواجب المزججه والخدود المذبحه والشعور المرجله والنحور المزينة بالمراسل من الدر والياقوت والمرجان في الغلائل الممسكة المبخرة بالعود الهندى المعجون بالعنبر مع أخرى تتهادى كالفجر بل كالشمس والقمر في منازل السعود على الفرش الديبقيه والاردية القصبيه ومطارف الخز المضربات من رقيق القز المحشوة فوق الاسرة من الابنوس والعاج ومخاد الديباج المحشوفيها زغب الريش المحفوفه بالمدائح السليمانيه والدستونات السوسيه وبرانى النرجس مع أترج السوسن وتفاح أصبهان والسفرجل والرمان وأطباق الرياحين المشمومه بين تلك الافاويه المقمعة بالعنبر والوصائف الفارغات عليهن العقيان يتضوع من قراطقهن العنبر فيخلو معها بتلك المعاتبات الشجيه والنغم العذبه والاشارات اللطيفه والغمز بتلك الحواجب والجفون الساحره السالبة لالباب ذوى العقول والآداب بالالفاظ الرقيقة المحركة للسواكن المسكنة للمحركات بالغنج والشكل والبراعه واللمس الذى تضرب له العروق الهاديه وتهدأ له العروق الضاربه فاذا صافحت الخدود الخدود وانحدرت الدموع فيما بينهما برقة الشكوى ولطافة النجوى كالطل على ورق الورد وتطابقت الصدور على الصدور وانضمت النحور الى النحور واصطكت الثغور بالثغور والتفت الساقان المدملجة بأخواتهما وتراكب الشفران على الشفرين واختلج كل جانب منهما على الآخر لم يقع أبقراط ولا جالينوس على بنصته ولا اركاغانيس على بحسه ولا افلاطون وارسطاطاليس على حسنه ولا بطليموس على حسابه ولا اقس بن ساعدة على شرحه وبيانه ولا ابراهيم النظام على برهانه ولا النعمان على قياسه ولا منصور بن عمار على صفاته حتى اذا علت الانفاس واستغرقت الحواس وارتفعت الحرارة الغريزية الى الراس وبطل فيما بينهما كل قياس نظرت الى الحركات الحسيه والضمائر الوهميه والطبائع الغريزيه والالحاظ العشقيه وقد ضبط كل عضو اقليمه واستكمل فيما هو فيه نعيمه بين مص وقرص ومقابلة ومخايله ومخالبة

ومناهبه ومواثبة ومسالبه ورهز وغمز وشهيق ونهيق ونخير ونعير لوسمعه اهل الثغور لصاحوا النفير مع رفع ووضع وجذب ودفع وضم وشم والتزام وقبل وعمل احسن من كل عمل كل ذلك بأنين وحنين وأدب وأرب حتى اذا حان الفراغ ووصلت اللذة الى بطون الدماغ شممت روايح الروايح من حانة خمار ونظرت الى اهتزاز غصن البان فى حلى الازهار فلو ابصر الفطناء ما هم فيه لحاروا ولو سمع بها الركبان لساروا فيالها من لذة كامله ونعمة شامله (قلت) وأنشدنى الشيخ شمس الدين الرئيس من لفظه لنفسه شعرا

عشاقة النسوان مذلمتها * قالت دع اللوم وان فى المقال

مافى سويداء القلب الا النسا * ما حيلتى مافى السويداء رجال

(ونقلت) من الاحاطه بتاريخ غرناطه تأليف الامام العلامة ذى الوزارتين لسان الدين محمد بن الخطيب تغمده الله بالرحمه قال المصنف المذكور كتب الى سيدنا ومولانا قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى صبيحة الابتناء بجاريه تدعى هند

أوصيك بالشيخ أبى بكره * لا تأمنن فى حالة مكره

واجتنب الشك اذا جئته * جنبك الرحمن ما تكره

سيدى لازالت تنصف بالواج بين الخلاخل والدمالج وتركض فوقها ركض الهمالج أخبرنى كيف كانت الحال وهل حطت بالقاع من خير البقاع الرحال وأحكم بمرود المراودة الاكتحال واكتحل بالسقيا الامحال وصح الانتحال وحصحص الحق وذهب المحال وقد طولعت بكل بشرى وبشر وزفت هند منك الى بشر فلله من عشية تمتعت من الربيع بفرش موشيه وابتذل منها أى وساد وحشيه وقد أقبل ظبى الكناس من الديماس ومطوق الحمام من الحمام وقد حسنت الوجه الجميل النظربه وأزيلت عن الفرع الاثيث الابريه وصقلت الخدود فكأنها الامريه وتسلط الدلك على الجلود وأغريت النورة بالشعر المولود وعادت الاعضاء تزل عنها اللمس ولا ينالها البنان الخمس والمحلة يجول فى صفحتها الفضية ماء النعيم والمشوق يدعى من يفسه الشميم والقلب يرمى من الكف للرقيم بالمعقد المقيم وينظر الى نجوم الوسوم فيقول

انى سقيم وقد تفتح ورد الخضر وحكم لزنجي الضفيرة بالظفر واتصف أمير الحسن بالصدود المغتفر ورش بماء الطيب ثم أعلق بالله بالعود الرطيب وأقبلت الغادة تهديها الثمن وتزفها السعادة فهى تمشى على استحيا وقد ذاع طيب الربا وراق حسن المحيا حتى اذا نزع الخف وأقبلت الاكف وصحب المزمار وأجاب الدف وداع الارج وتحوّر اللوى والمنعرج ونزل على بشر بزيارة هند الفرج اهتزت الارض وربت وغوصبت الطباع البشرية فأبت ولله در القائل

ومرت وقالت متى نلتقى * فهش اشتياقا اليها الخبيث
وكاد يمزق سرباله * فقلت اليك يساق الحديث

فلما انسدل الظلام وانتصفت من عريم العشاء الآخرة فريضة الاسلام وخاطت خيوط المنام عيون الانام تأتى دنو الجلسه ومسارقة الخلسه ثم آن عض النهد وقبلة الفم والخد وارسال من الخد الى الوهد وكانت الامالة القليلة قبل المد ثم الافاضة فيما يعيط ويرعب ثم الاماطة لما يشوش ويشغب ثم اعمال المسير الى السرير وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا ورضيت فذلت صعبة أي اذلال هذا بعد منازعة الاطواق بسره تراها العين من حسن المسره ثم شرع فى حل التكه ونزع السكة وتهيأت الارض الغرار عمل السكه ثم كان الراى الاستعجال وحمى الوطيس وضاق المجال وعلا الحرة الخفيف وتصافرت الخصور الهيف وتساطر الطبع العفيف وتواتر التقبيل وكان الاخذ الوبيل وامتار الانول من النيل ومنها جائر وعلى الله قصد السبيل فيالها من نعمة متداركه ونفوس على سبيل القحة متهالكه ونفس تقطيع حروف الحلى وسبحان الذى يزيد فى الخلق وعظمت الممانعه وكثرت باليد المصانعه وطال التراوع وشكى التجاوز وهناك تختلف الاحوال وتعظم الاهوال وتخصر وتربح الاهوال فتى عصى ينقلب ثعبانا مبينا ونونه تصير سينا وبطل لم يهله المعترك الهائل والوهم الزائل ولا حال بينه وبين قرنه الحائل فتعدى فتكة السليك الى فتكة البراض وتقلد مذهب الاراقة من الخوارج فى الاعتراض ثم دق الصف وقد خضب الكف بعد ان كان يصيب البراء بطعنته ويبوء بمقت الله وبلعنته طعنة ابن عبد القيس طعنة ثائر لها نقد

ولا الشعاع أضاءها وهناك هذا القتال وسكن الجبال ووقع التوقع باستراح البال وتشوق الى مذهب التنويه من لم يكن للتوحيد بنال وجعل لجريح يقول وقد نظر الى دمه يسيل على قدمه انى له عن دمى المسفوك معتذرا وقول حملته فى سفكه تعبا ومن سبات عاد عيانا وشجاع صار جبانا كلما شابته شائبة ريبه أدخل يده فى جيبه فالجرة الحيه وماتت الغريزة الجبه وتقلب الخضر وخف اللغاب وتظاهر اللعاب ويخفق الفؤاد ويكبو الجواد ويسيل العرق ويشتد الكرب والارق ولبس فى محل الامن الغرق ويدرك فرعون الغرق ولا يزيد الحال الاشده ولا يعرف تلك الجارحة المؤمنة الارده

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجنى عليه اجتهاده

فكم مغرى بطول اللبث وهو من الخبث يؤمل الكره ليزيل المعره ويستنصر الجبال ويعمل باليد الاحتيال شعر

انك لا تشكو الى مصمت * فاصبر على الحمل الثقيل أومت

فقال سيحدث الله بعد عسر يسرا ويعدمى ثباتا اللهم انا نعوذ من فضايح الفروج اذا استغلقت أقفالها ولم تدم بالنجيع أعقالها ومن معرات الاقدار والنكول عن الابكار ومن النزول عن البطون والسرر والجوارح الحسنة الغرر قبل تثقب الدرر ولا تجعلنا ممن يستحى من البكر بالغداه وتعلم منه كلال الاذاه وهو محل فضحت فيه رجال وفراش سكنت فيه أوجال وأعملت رويه وارتجال فمن قائل

ارفعه طورا على أصبعى * ورأسه مضطرب أسفله

كالحنش المقتول يلقى على * عود لكى يطرح فى مزبله

أو قائل

عدمت من ايرى قوة حسه * يا حسرة المرء على نفسه

تراه قد مال على أصله * كحائط مرعلى أسه

وذكر أبياتا مستكثرة من هذا النمط أضربت عن ذكرها هموم لا تزال تبكى وعلل على الدهر تشكى وأحاديث تقص وتحكى قال كنت أعزك الله من النمط الاول ولم يقل وهل عند رسم دار من معول فقد جنيت واستطبت السمر فاستدعى الابواق من أقصى المدينه واخرج على قومك فى ثياب الزينه

واستبشر بالوفود وعرف صععه المسمع حارقة الجود ونجع بصلاته العود وانجاز الوعود واجن رمان النهود من أغصان القدود واقطف ببنان اللثم اقاح الثغور وورد الخدود وان كانت الاخرى فاخف الكمد وارض الثمد وانتظر الامد واكتد التوسم واستعمل التبسم واستكتم النسوه واقص فيهن الرشوه وتقلد المغالطة وارتكب وجئ على قيصك بدم كذب واستنجد الرجن واستعن على أمرك بالكتمان لا تظهر لعاذل أو غادر التبيان واستنشق الارج وارتقب الفرج فكم غمام طبق وماهما ومارميت ولكن الله رمى واملك بعدها عنان نفسك حتى تمكنك الفرصه وترفع اليك القصه ولا بشرى الى عمل لا يفي منه بتمام وخذ عن امام ولله در عروة ابن حزام

الله يعلم ماتركت قتالهم * حتى رموا مهرى بأشقر مزبد
وعلمت انى ان أقاتل دونهم * اقبل ولا يضرر عدوى مشهد
ففررت منهم والاحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

والبانات تلين وتجمع والمآرب تدنو وتبرح وتحزن ثم تسمح وكم من شجاع حام ويقظ نام ودليل أخطأ الطريق وأظل الفريق والله عز وجل يجعلها خلة موصوله وشملا أكافه بالخير مشموله ويبنت أركانها لو كانت اليمن مأموله حتى يكثر خدم سيدى وجواريه واسرته وسراريه وتصفو عليه نعمة باريه ماطورد قيص واقتحم عيص وادرك مدام غويص واعطى زاهد وحرم حريص بمنه وكرمه

(فصل) في بعض ما كتبته المتطرفات * كتبت طرفة جارية النطاف على عصابتها بالذهب ليس في الحب مشوره * وكتبت توذيق جارية ابن حمدان على برقعها كمال المكارم اجتناب المحارم * وكتبت سلامة حظية عبد الله بن طاهر ليس على القلب حكم * وكتبت عنان جارية الناطفي على عصابتها باللؤلؤ اذا لم تستحى فاصنع ماشئت * وكتبت فرحة جارية على بن الجهم على عصابتها بالريش من صبر ظفر * وكتبت مشتهى جارية القاسم العجلى على معجرتها من واصله الحبيب هان عليه الرقيب * وكتبت نزهة جارية الخصاص على عصابتها من جاد ساد ومن بخل ذل ونقشت على فص خاتمها من حن أن * وكتبت كنز جارية ابراهيم

ابن اسحق على جبينها بالمسك العشق والكتمان ضدان لا يجتمعان * وكتبت نسيم جارية جيلة المدنية على جبينها بالغالية مراغمة الرقباء فى مصالحة الاحباء * وكتبت خلف جارية ابن حمدان على طرازها من عشق ولم يصبر هلك ولم يعلم * وكتبت المستحسنة جارية اللاحق على طرازها الايمن بالذهب من دارى خليله داوى عليله وعلى الايسر من كشف الغطاء استحق العطاء * وكتبت وشاح المؤيدية على طراز معجرها بالذهب الوفاء مليح والعذر قبيح قال على بن الجهم كنت عند اسحق بن ابراهيم الموصلى فدخلت جارية مهج الموصوفة بالجمال وقد كتبت على أحد خديها بالغاليه

من يكن صبا وفيا * فعنانى فى يديه

وعلى الآخر

خذ مليكى بعنانى * لا أمانعك عليه

وعن الجاحظ قال رأيت نشوان جارية زلزل قد كتبت على عصابتها

ان للنرجس حسنا وعيونا أشتهيها
فأراها فترينى * عين من أهواه فيها

وكتبت ترشف جارية هرون بن اسحق على عصابتها

أليس عجيبا ان بيتا يضمنى * واياك لا تخلو ولا نتحدث

وكتبت جارية المتوكل زاجر على عصابتها

اذا خفنا من الرقباء يوما * تكلمت العيون عن القلوب
وفى غمز الحواجب مغنيات * لحاجات المحب الى الحبيب

وكتبت نظيفة جارية يحيى بن خالد بن برمك على طوق لها

ماذاق بؤس معيشة ونعيمها * فى الناس من فى عمره لم يعشق
والحب فيه حلاوة ومرارة * فأسأل بذلك من تطعم أوذق

وكتبت هاجر جارية محمد بن على على خمارها

اذا نظرت نحوى تكلم طرفها * فجاوبها طرفى ونحن سكوت
فكم نظرة منها تقرب بى الرحا * وأخرى لها حى تكاد تموت

وكتبت حسانة البدوية جارية المعتز على برقعها بالذهب

ألا لحظها خوف المراقب لحظة * فأشكو اطرفى ما ألاقى من الوجد

فتفهم عن لحظتي عظيم صبابتي * فتومي بطرف العين اني على العهد
كتبت ملاعب على جبينها بالمسك

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * فان كنت مظلوما فقل أنا ظالم
فانك ان لم تحمل الذنب يا فتى * يفارقك من تهوى وأنفك راغم

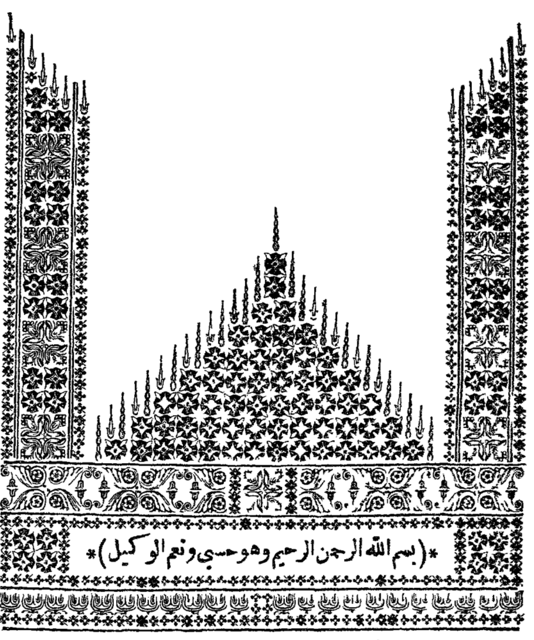
تم الجزء الاول من مطالع البدور في منازل السرور
ويليه الجزء الثاني أوله الباب السادس والعشرون
في الحمام وما غزى مغزاه

(الجزء الثانى)

من مطالع البدور فى منازل السرور
تأليف الشيخ الاديب والفاضل
الاريب علاء الدين على
ابن عبد الله البهائى
الغزولى عفا
الله عنه
آمين

(الطبعة الاولى)

(طبع بمطبعة ادارة الوطن سنة ١٣٠٠)



(الباب السادس والعشرون في الحمام وما عزي معزاه)

الحمام بالتشديد واحد الحمامات المبنية وهو مذكر *قال ابن الخباز في شرح الالفية نادرة عن بعض الكتاب كتب يوما هذه الحمام فقيل له الحمام مذكر فقال أردت حمام النساء وهذا طريف *وحكي فيه التأنيث أيضا وأنشد *واذا دخلت سمعت فيها رنة* وقال ابن عمر رضي الله عنهما الحمام من النعيم الذي أحدثوه *وروي عن أبي الدرداء وأبي ذر أنهما قالا نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذكر بالنار *وقال أبو هريرة يرفعه نعم البيت الحمام يدخله المسلم يسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار *وأول من دخل الحمام ووصفت له النورة سليمان بن داود عليهما السلام *فلما وجد حرها قال أوّه من عذاب النار * قال الغزالي في الاحياء ومن جهة الطب قيل ان الحمام بعد النورة أمان من الجذام

وقيل ان النورة فى كل شهر تطفئ الحرارة وتنقى اللون وتزيد فى الجماع * وقيل بولة فى الحمام قائما أنفع من شربة دواء وغسل القدمين بالماء البارد بعد الخروج من الحمام أمان من النقرس * وذكر السمعانى فى كتاب الحمام باسناده الى الفضل بن الفضل الكندى قال ذكر فى قوله تعالى ونعمة كانوا فيها فاكهين انها الحمام وقت الضحى * وبسنده الى يونس بن عبد الاعلى أنبأنا وهب قال سمعت مالكا يقول من أدخل رجلا الحمام وجب غذاؤه شاء أو ابى وروى عن مجاهد عن على أنه كان يغتسل من مس الابط والحجامة * وعن جابر مرفوعا نهى أن يغسل البدن بشئ يؤكل وبسنده قال الحرث بن كلدة أربعة أشياء تهزم البدن الغشيان على البطنة ودخول الحمام على الامتلاء وأكل القديد ومجامعة العجوز * وبسنده الى محمد بن عبد الحكيم قال سمعت الشافعى يقول رأيت فى الطب عجبا لمن يدخل الحمام قبل ان يأكل ثم يؤخر الاكل بعد ما يخرج كيف يموت وعجبت لمن احتجم ثم بادر الاكل كيف لا يموت وذكر بعض الحكماء ان غسل الوجه بالماء البارد عقيب الخروج من الحمام يبقى طراوته مع كبر السن * قال الشيخ هبة الله أبو المكارم بن جميع الاسرائيلى الطبيب فى كتاب الارشاد (الفصل) الخمسون فى الاستحمام ومنافع الحمام ومضاره وكيفية استعماله منافع الحمام كثيرة وذلك لموافقتها لسائر الامزجة من الحارة والباردة والرطبة واليابسة اذا استعملت على ما ينبغى وقد أشار جالينوس الى ذلك بقوله ان الحمام نافع فى الشتاء والصيف ولمن مزاجه حار أو بارد أو رطب أو يابس وقال أيضا ان الحمام علاج البدن من الضدين ان أخذه حار المزاج عدله بترطيبه وان اخذه بارد المزاج أدفأه بحرارته وهى توسع المسام وتستفرغ الفضول وتحلل الرياح وتدر البول وتحبس الطبيعة وتنظف الوسخ والعرق وتذهب الحكة والجرب والاعياء وتلين بشرة البدن وتجود الهضم وتنشط الاعضاء المتشنجة وينضج الزلات والزكام وينفع من حميات يوم ومن الدق والربع والبلغمية بعد نضجها وينفع من وجع الجنب والصدر وينضج الربو ويسمن المهزول ويهزل السمين ويرقق الدم والفضول الغليظة للزجة بحرارته ويرطب الابدان اليابسة الخشنة برطوبته وقد قال جالينوس ان الحمام يحلل الكيموس اللذاع ويفيد البدن والاعضاء الاصلية نداوة ورطوبة

صافية كل ذلك اذا استعمل على القانون الطبي واما أيضا مضار وهي أنها تسهل انصباب الفضول الى الاعضاء الضعيفة وترخي الجسد وتضعف الحرارة الغريزية والاعضاء العصبية وتسقط الشهوة وتضعف الباءة قال وأفضل الحمام ما كان قديم البناء كثيرا الاضواء مرتفع السقوف واسع البيوت عذب الماء طيب الرائحة وكانت حرارته بقدر مزاج الداخل اليه وكان وقوده بما ليس له كيفية ردئة وقد أحسن الذي قال خير الحمام ما قدم بناؤه واتسع فناؤه وعذب ماؤه وقدر الاتان وقوده بحسب مزاج من أراد وروده وقد قسم الحمام الى ثلاث بيوت كل بيت أسخن من الذي قبله لئلا يكون الانتقال من البرد الى الحر أو من الحر الى البرد فجأة فالبيت الاول مبرد مرطب والثاني مسخن مرطب والثالث مسخن مجفف وكذلك ينبغي أن يكون الانتقال في بيوتها على تدريج * قال بختيشوع اياك أن تدخل الحمام أو تخرج بغتة بل البث في كل بيت هنيئة واغسل رأسك بالسدر والطخه بقليل ملح وادخل الحمام كل جمعة مرة فانك تأمن انتشار الشعر واستعمل المشط فانه يقوى البصر ويحدث أريحة وزهوا واخرج الى المسلخ متدرجا ثم صب عليك ثوبا نظيفا طيب الرائحة وتجنب النساء يوما وليلة * وقال ابن جميع فأما أصحاب الامزجة الحارة فينبغي ان يقعدوا في البيت الاول قليلا وفي الثاني دون الاول وفي الثالث دون الثاني وأصحاب البلغم والسوداء بالضد فان قصد بالحمام الترطيب أطيل المقام في الحوض ويكثر من رش الماء على أرض الحمام ليكثر البخار فيترطب الهواء ويتمرخ بالدهن ليزيد في الترطيب ويكون الخروج من الحمام قبل أن تلحقه منه مشقة مثل ضعف أو غثيان أو غشي أو شذر أو دوار أو سكتة أو صرع أو ما شابهها مثل هذه الاعراض الردئة فان كان القصد بالحمام التجفيف أطيل المقام في البيت الحار ويقتصر على هوائه دون مائه ولاستعمال الماء البارد عقيب الحار منافع عظيمة (وقال) جالينوس الاغتسال بالماء البارد عقيب الحار يقوي الاعضاء حتى القوى الجوهرية التي في الاعضاء لكن ينبغي ان لا يكون استعمال الماء البارد عقيب الحار بغتة بل بتدريج يستعمل الماء أولا ممزوجا بالبارد ثم ينتقل بعده الى البارد ومن قصد تسمين بدنه فيدخل الحمام بعد تناوله الطعام ومن قصد تهزيله يدخل الحمام على خلو

المعدة و يطيل اللبث فيه ومن قصد حفظ صحته فيدخل الحمام عند آخر الهضم بحيث أنه اذا خرج منها يكون محتاجا الى الغذاء ويجب أن يجتنب الجماع فى الحمام والنوم والفصد والحجامة فان فى ذلك خطرا بينا وكذلك ينبغى أن يجتنب فى الحمام و بعده استعمال الاشياء الباردة بالفعل لان المسام حينئذ تكون مفتوحة فلا يلبث يندفع البرد الى جوهر الاعضاء الرئيسة فيفسد قواها وكذلك ينبغى اجتناب استعمال الاشياء الحارة الشديدة الحرارة بالفعل أيضا وخصوصا الماء فان ذلك يورث السل والدق وأما الدلك فى الحمام فان الضعيف منه يحلل ويوسع المسام ويذوب الاخلاط والقوى يصلب الاعضاء و يحلل الرطوبات والمعتدل يجلب الدم الى ظاهر الجلد وأما التمريخ بالدهن بغير ذلك فيسد المسام ويمنع ما يتحلل و بعد الماء الحار يحفظ الحرارة من التحلل ويسخن ويرطب و بعد الماء يبرد ويرطب (وقال) مهذب الدين بن هبل فى كتاب المختار خير الحمام ما كان قديم البناء فان الحمام القريب العهد بالبناء تكون حيطانه ندية فتكون أرايبح صهاريجه مضرة *قال بعض الشراح لهذا الفصل الحمام الجديد البناء يتحلل من حيطانه رطوبات ممتزجة بجوهر الكلس والجص والقار ويتبخر بحرارة الحمام فيضر استنشاقها بالروح والنفس لانها كيفيات رديئة خانقة يستصحب النفس ويهجم به على القلب فيغير قوام صحته بسبب رداءة الهواء الواصل به بهذه الكيفيات الرديئة الجوهر فأما اذا اعتقت الحمام قبل تحليل الابخرة الرديئة منها ومن حيطانها فيؤمن الضرر الحاصل منها ومن الواجب أيضا أن يكون الفناء متسعا لان أبخرة الحمام رديئة وكثيرة ومحتبسة لانها تتحلل من أبخرة أبدان الناس ومن أنفاسهم ومن مجارى الحمام النافذة الى فضاء الحمام فيكثر ويتراكم ويختلط بهواء الحمام فيزيده رداءة الى رداءته المكتسبة بحرارة الحمام فاذا استنشقه الانسان أضر بحرارته الغريزية وأنهكها بسبب خروجه لها عن الاعتدال فى كمه وكيفيته أما كمه فهو كثرة الابخرة المخالطة له وأما كيفيته فرداآت الابخرة مع سخونة هواء الحمام فاذا كانت الحمام واسعة الفضاء تعلقت الابخرة باعالى الحمام وتبددت وتفرقت فتلطف الهواء المستنشق فيها فيكون أقل ضررا من الحمام الصغير ويجب أيضا أن تكون الحمام عالية البناء فان ذلك معين على تقليل ضرر أبخرتها المستنشقة قال

وأما عسذوبة مائها فلا تحتاج الى تعليل لظهوره لان المياه اذا كانت عذبة طيبة ليس فيها شئ من الكيفيات الغريبة عدلت غالب الامزجة وصحتها فان كانت كيفية غريبة مثل أن تكون مالحة أو كبريتية أو نحاسية أو حديدية أو لها مرور على معادن رديئة الجوهر أو على منابت أشجار خبيثة أو على مطابخ وأجام مبنية كثيرة الحيوانات الرديئة كأنواع الدود والضفادع والحيات وما أشبه ذلك أخرجت المزاج عن اعتداله الى حكم هذه الكيفيات الرديئة

قال الشارح ومنافع الحمام كثيرة وأعظمها منفعة هو أنها اذا كانت معتدلة الهواء والماء فانها تفتح مسام البدن فيسهل بذلك خروج الفضل منه ويكسبه رطوبة عذبة يصير بها البدن الى نشاط وقوة وتفريح * وقال الرئيس أبو على الحسين بن سينا رحمه الله فى كتاب سماه حفظ الصحة لم يذكر فيه سوى أحكام الاسباب الستة الضرورية لاغير وينبغى ان يكون للحمام ثلاث بيوت بيت معتدل وهو الذى لا يحس فيه بحر ولا برد وبيت يحس فيه بحرارة معتدلة وبيت يحس فيه بحرارة زائدة عن الثانية بشرط أن يكون النفس فيه مستقيما غير متواتر فالبيت الاول لا يضر كبير مضرة والثانى والثالث فلا يمكث فيهما الا بقدر ما يتحلل من الرطوبة ما من شأنه أن يتحلل فان طال المكث بها أكثر من المقدار المعتدل وخصوصا ان اقترن معه حركات قوية فانه يوقع فى الدق لاشتداد سخونة القلب أو الاستسقاء لتحلل الحار الغريزى فيبرد مزاج الاحشاء قال وينبغى أن يجتنب الحمام على الامتلاء من الطعام فانه يولد سددا فى الكبد والعروق لانجذاب المواد أغذائية غير منهضمة الى ظاهر البدن فيكون ذلك سببا لحدوث أنواع لحميات العفينة والاسهال الكائن بأدوار ويجتنب فيه الاشياء الباردة مثل الفقاع والماء البارد لان فيه خطرا عظيما جدا لان الشئ البارد السيال اذا حصل فى المعدة هجم دفعة على الكبد والقلب فبردهما وأنهك حرارتهما الغريزيه وأضعف الاحشاء وهيأها للاستسقاء ويجتنب فيه الجماع أيضا فانه يسقط القوة ويوقع فى أمراض خطرة واعلم ان الحمام الحار جدا يسيل الاخلاط الجامدة الى اعماق الاعضاء فيحدث اما سددا واما اورام ويصعدها الى الدماغ ويحدث اما صداعا شديدا أو برساما والحمام البارد يحرك المادة التى تحركت بالعرق حركة ناقصة فتنجذب المواد الى جهة سطح

البدن فربما أحدثت شبيها بالورم والحكة وربما أحدث الزكام والمغص ورش الماء البارد أو بله بعد الحمام فانه ينعش القوة المسترخية من الكرب ومن لهيب الحميات وعند الغشي وخصوصا بماء الورد والخل وربما صحح الشهوة وآثارها ونصر أصحاب النوازل والصداع وأما سكب الماء البارد على الرجلين فأحكامه أحكام ما تقدم في الرش على الوجه والحمام النافع على سبيل الاجمال وهو الحمام المعتدل في حره وبرده الطيب الرائحة العذب الماء والتى أضوا ؤه كثيرة مشرقة وفناؤه واسع وفيه تصاوير بديعة الصنعة بينة الحسن مثل عاشق ومعشوق ومثل رياض وبساتين وطرد خيل ووحوش فان في تصوير مثل هذه تقوية قوية بليغة لجميع قوى البدن الحيوانية والطبيعية والنفسانية وقال الحكيم بدر الدين بن مظفر قاضي بعلبك في كتاب مفرح النفس قد أجمع الاطباء والحكماء والالباء قاطبة على أن النظر الى الصور الجميلة البديعة الجمال يفرح النفس وينشطها ويزيل عنها الافكار والوساوس السوداوية ويقوي القلب قوة لا مزيد عليها بسبب ازالة الافكار الرديئة عنه ثم قالوا فان تعذر حصول النظر الى الصور الجميلة فليكن النظر الى صور جميلة متقنة الصنعة مصورة في الكتب أو في الهياكل أو في القصور الشريفة وهذا المعنى قد ذكره الحكيم محمد بن زكريا الرازي رحمه الله وبالغ في ملازمة فعله لمن يجد في نفسه أفكارا رديئة ووساوس فاسدة غير موافقة للنظام الطبيعي وقال فان الصور الجميلة اذا جمعت الى صورتها حسن الاصباغ المألوفة من الاصفر والاحمر والاخضر والابيض مع ضبط نسبة المقادير في أشكالها فانها تشفي الاخلاط السوداوية وتزيل الهموم الملازمة لنفس الانسان وتزيل الكدورة عن الارواح لان النفس تلطف وتشرف بالنظر الى مثل هذه الصور فيتحلل ما فيها من الكدورة قال وتفكر في الحكماء المتقدمين الذين استنبطوا الحمام في مدد من السنين كيف علموا بدقة فكرهم وصائب عقلهم ان الحمام اذا دخله الانسان يتحلل من قواه شيء كثير وأفضت حكمتهم أن استخرجوا بعقولهم بالتدبير ذلك سريعا فرسموا في الحمام صورا بديعة الصنعة بأصباغ حسنة مفرحة وقسموا ذلك الى ثلاثة أقسام ولم يجعلوه قسما واحدا لانهم علموا أن أرواح البدن ثلاثة أصناف حيوانية ونفسانية وطبيعية فجعلوا كل قسم من التصوير سببا لتقوية

قوة من القوى المذكورة والزيادة فيها وصوروا للقوة الحيوانية القتال والحرب وطرد الخيل واقتناص الوحوش وصوروا للقوة النفسانيـة العشق والتفكر في في العاشق والمعشوق وتصوير معاتبة بينهما أو معانقة وما أشبه ذلك وصوروا للقوة الطبيعيـة البساتين وصور الاشجار البهية المنظر مع كثرة تصوير الازهار والالوان المشوقة فهـذه التصاوير وأمثالها هي جزء من أجزاء الحمام الفاضل ولو سألت المصور المصير عن خصوصية أن الحمام لم لا يصور المصورون فيها الا هذه الاقسام الثلاثة لما علم لها تعليلا لكن بذكر هـذه الصفات الثلاثة لا تعلل وسبب ذلك تقادم السنين على تعليل مبادي الاشياء فما خلوا شيأ سـدا ولا يجعل شيء هـدرا (وقال) الحسن المتطبب ورأيت ببغداد في دار الملك شرف الدين هرون بن الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن محمد الجويني حماما متقن الصنعة حسن البناء كثير الاضواء قد احتفت به الانهار والاشجار دخلني اليه سائسه وذلك بشفاعـة الصاحب بهاء الدين على بن الفخر عيسى المنشي الاربلي وكان سائس هذه الحمام خادما حبشيا كبير السن والقدر ففرجني في مياته وشبابيكه وأنابيبه المتخذة بعضها من الفضة المطلية بالذهب وغير مطلية و بعضها على هيئة طائر اذا خرج منها الماء صوت بأصوات طيبة ومنها أحواض رخام بديعة الصنعة والمياه تخرج من سائر الانابيب الى الاحواض ومن الاحواض ترمي جميعها الى بركة حسنة الاتقان ثم منها يخرج الى البستان ثم فرجني في خلوه نحو عشر خلوات كل خلوة صنعتها أحسـن من أختها ثم انتهى بي الى خلوة عليها باب مقفل بقفل حـ.يد ففتحه ودخل بي الى دهليز طويل كله مرخم بالرخام الابيض الساذج وفي صدر الدهليز خلوة مربعة تسع بالتقريب نحو اربعة أنفس اذا كانوا قعودا وتسع اثنين اذا كانا جالسين أو نائمين ورأيت من العجب في هذه الخلوة أن حيطانها الاربعـة مصقولة صقالا لا فرق بينـه و بين صقال المرآة يرى الانسان سائر بشرته في أي حائط شاء منها ورأيت أرضها مصورة بفصوص حمر وخضر ومذهبة وكلها متخذة من بلور مصبوغ بعضـه أصفر و بعضه أحمر فاما الاخضر فقيل انه ... و... أتي من الروم والمذهب فهو زجاج ملبس بالذهب صورا في غاية الحسـن ... ب... ماعي هيئات مختلفة في نومهم وهم بين فاعل ومفعول به اذا نظر اليهم الانسان تتحرك شهوته قال الخادم هـذا صنعوه هكذا المخدومي حتى اذا نظر الى

ما يفعله هؤلاء بعضهم مع بعض من المجامعة والتقبيل ووضع أيدى بعضهم على
أعجاز بعض تتحرك شهوته سريعا فيبادر الى مجامعة من يحب قال وهذه
الخلوة دون سائر الخلوات التى رأيت هى مخصوصة بهذا الفعل اذا أراد الملك
هرون أن يجتمع بأحد من مماليكه أو خدمه الحسان أو جواريه أو نسائه فى الحمام
ما يجتمع به الا فى هذه الخلوة فانه لما يرى كل محاسن الصور الجميلة مصورة فى الحائط
ومجسمة بين يديه يرى كل واحد منهما صاحبه على هذه الصفة ورأيت فى صدر
الخلوة حوضا رخاما مضلعا وعليه مركب فى صدره أنبوب من ذهب يفتح ويغلق
بلولب يدار وفوقه أنبوب آخر مثله برسم الماء الحار وفوقه أنبوب آخر برسم الماء
البارد والانبوبة الاول برسم الماء الفاتر وعن يمين الحوض ويساره عمودان
صغيران منحوتان من البلور يوضع عليهما مباخر الند والعود ورأيتها خلوة شديدة
الاضاءة مفرحة بديعة قد أنفق عليها أموال كثيرة وسألت الخادم عن هذه
الحيطان المشرقة المضيئة من أى شئ صنعت فقال ما أعلم فما رأيت فى عمرى
ولا سمعت بأحسن من هذه الخلوة ولا أحسن من هذه الحمام مع أنى ما أحسن
أصفها كما رأيتها فانه لم تتكرر رؤيتى لها ولا اتفق لى الظفر بصناعتها ومباشرتها
وفى الذى ذكرت كفاية انتهى كلام الحكيم بدر الدين حسن بن زفر الاربلى
ومن خطه نقلت هذه الفوائد وقال بعضهم فيه ملغزا

ومنزل أقوام اذا ما تقابلوا * تشابه فيه وغده ورئيسه
تنفس كربى اذ تنفس كربه * ويعظم أنسى اذ يقل أنيسه
اذا ما أعرت الجو طرفا تكاثرت * على من به أقماره وشموسه

وقال العفيف التلمسانى

مررنا بحمام كأنا بجحيمه * وقد عقدت منا المآزر نحرم
فلما حللناه منه صدرا كأنما * غدت فيه نيران الصبابة تضرم
بكت منه أجفان الانابيب بيننا * كأنا له اللوام وهو المتيم

وقال محاسن الشواء الحلبى

شدوا المآزر فوق كثبان النقا * بأنامل حلوا بها عقد التقى
وتجردوا فرأيت بان معاطف * نشروا ذوائبهم عليه فأورقا
وبدوا فأطلع كل وجه منهم * بدرا فأضحى كل قطر مشرقا

وتضوّع الحمام مسكا عندما * فرطوا من الاصداغ نظاما معبقا
من كل أهيف حل عقـدة بنده * وغـدا بلحظ عيوننـا متمنطقا

وقال جمال الدين يوسف الصوفى فى مليح تركى دخل الحمام وبخ ماء ورد

ولم أنسـه لمـا تعرى ثيـابه * وجاء الى حمامـه يتخطر
ولمـا أفاض المـاء فوق قوامه * وفى وجهه نور من الحسن يظهر
رأيت هلالا تحته غصن فضة * يلوح عليـه لؤلؤ يتحـدر
أتانا بمـاء ورد ذكى فبخه * بثغرله كالمسـك بل هو أعطر
فقلت أظبى الترك قد فاح مسكه * أم الورد من خديه يحمى فيقطر

(دخل) بن بقى الحمام وفيه الطليطلى الاعمى فقال له ابن بقى أجز

حمامنا كزمان القيظ محترم * وفيه للبرد برد غير ذى ضرر

فأجازه بقوله

ضدان ينعم جسم المرء بينهما * فالغصن ينعم بين الشمس والمطر

(وقال) ابن رشيق

ولم أدخل الحمام ساعـة بينهم * طلاب نعيم قـد رضيت ببوسى
ولـكن لتجرى عبرتى مطمئنة * فأبكى ولا يدرى بذاك جليسى

أخذه صدر الدين بن الوكيل فقال

ولم أدخل الحمام من أجل لذة * فـكيف ونار الشوق بين جوانحى
ولـكننى لم يكفنى فيض مقلتى * دخلت لابكى من جميع جوارحى

(وأنشـدنى) من لفظه لنفسـه الشيخ الورع الزاهـد الثقة شمس الدين محمد بن سعيد بار الذهبى مضمنا

لم أبـغ بالحمـام طيب تنـعم * أفنى البكاء دموع عينى أجمعا
فبكيت فيه أسى بجسمى كله * حتى كأن لـكل عرق مدمعا

وأنشدنى سيدى ومولاى القاضى صدر الدين بن الآدمى فسح الله فى أجله

ان حمـامنا التى نحن فيها * أى ماء بهـا وأية نار
قد نزلنا بها على ابن معين * وروينا عنه صحيح البخارى

كتب الشيخ صلاح الدين الصفدى فى حواشى المقامات عند ذكر ابن سكرة وذكر كافاته هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمى من ولد على بن المهدى قال

دخلت يوما الى حمام وخرجت وقد سرق مداسى فعدت الى دارى حافيا وأنا أقول

اليك اذم حمام ابن موسى * وان فاق المنا طيبا وحرّا
تكاثرت اللصوص عليه حتى * ليحفى من يطيف به ويعرى
ولم أفقد به ثوبا ولكن * دخلت محمدا وخرجت بشرا

(نادرة) اتفق ان اثنين سبحا فى نهر فلما خرجا صفع أحدهما صاحبه فقال له بعض الحاضرين اين فلوس الحمام فقال أنزلتها فى القرعه وقال النصير الحمامى

لى منزل معروفه * ينهل جودا كالسحب
أقبل ذا العذر به * وأكرم الجار الجنب

ووعده السراج الوراق وتأخر فقال

وكدرت حمامى بغيبتك التى * تكدر من لذاتها صفو مشربى
فما كان صدر الحوش منشرحا به * ولا كان قلب الماء فيه بطيب

(وقال)

ومذ لزمت الحمام صرت فتى * اطف يدارى من لا يداريه
أعرف حر الاشيا وباردها * وأخذ الماء من مجاريه

(وقال) يستدعى

من الرأى عندى أن تواصل خلوة * لها كبد حرا وفيض عيون
تراعى نجوما فيك من نار قلبها * وتبكى بدمع فائض لحزين
غدا قلبها صبا عليك وانت ان * تأخرت أضحى فى حياض منون

(وقال) صدر الدين بن عبد الحق الحنفى رحمه الله تعالى

وجنة لا تنطفى نارها * ندخلها وهى لنا مقصيه
نعيمنا فيها بلا طاعة * عذابنا فيها بلا معصيه

(وقال أيضا)

جهنم حمامكم نارها * تقطع أكبادنا بالظما
وفيها عصاة لهم ضجة * وان يستغيثوا يغاثوا بما

(وقال) شهاب الدين بن فضل الله

وحماما كعبة للوفو * د حج اليها حفاة عراه

يكرر صوت أنابيبه * كتاب الطهارة باب المياه

(وقال) الشهاب محمود مضمنا

قل لي عن الحمام كيف دخلته * يا مالكي لتمر خلا مشفقا
أدخلته وأولئك الاقوام قد * شدوا المآزر فوق كثبان النقا

(وقال) محيي الدين بن تميم مضمنا

لو كنت في الحمام والحنا على * أعطافه وبجسمه لألاء
لرأيت ما يسبيك منه بقامة * سال النضار بها وقام الماء

(وقال) مضمنا

عاينت في الحمام أسود وائبا * من فوق أبيض كالهلال المسفر
فكأنما هو زورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

(وقال) جمال الدين بن نباتة مضمنا

تأملت في الحمام تحت مآزر * روادف غيد ماسناها بغائب
كأني من هذي وهاذيك ناظر * بياض العطايا في سواد المطالب

(وقال) آخر في تعجيل الخروج منها

خذ من الحمام واخرج * قبل ان يأخذ منكا
حدثن عنه والا * حدث الحمام عنكا

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة في المفاضلة بين حمامات مصر وحمامات الشام

أحواض حمامات شام * تسعى لي كلمتين
لا تذكري أحواض مصر * فأنت دون القلتين

(وأنشدني) من لفظه لنفسه الشيخ عز الدين الموصلي معاكسا للشيخ جمال الدين

إليك عني حمامات مصر * ولا تذكري عند ذي عينين
حياض الشام أحق منك ماء * وأطهر وهي دون القلتين

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة

ولم أنسه كالغصن يقطر بالحيا * على أثر حمام وعطفه الصبا
ويلثم بالمنديل أبيض ساذجا * فصار بضوء الخد أحمر مذهبا

(وله)

دعانى صديق لحمامه * فأوقعنى فى العذاب الاليم

فشر مزيد وماء قليل * فبئس الصديق وبئس الحميم

(وقال) زين الدين بن الوردى

وما أشبه الحمام بالموت لامرء * يذكر لكن أين من يتذكر

يجرد من أهل ومال وملبس * ويصحبه من كل ذلك مئزر

(وقال) ابن وزير يشبه الماء على الرخام

لله يوم بحمام نعمت به * والماء من حوضه ما بيننا جارى

كأنه فوق شقات الرخام ضحى * ماء يسيل على أثواب قصار

(فقال) ابن الوردى يهجوه

وشاعر أوقد الطبع الذكاء له * فكاد يحرقه من فرط اذكاء

أقام يجهد أياما قريحته * وفسر الماء بعد الجهد بالماء

(وقال) المعمار أيضا

فى صاحب الحمام ابرى قال لى * أيلوم فى حبى له وملامى

لا يشتفى ابر عليه طهارة * الا بقلب الماء فى الحمام

(قال) ابن وزير مثل قول الآخر

كأننا والماء من حولنا * قوم جلوس حولهم ماء

(وقال) ابراهيم المعمار فى المجون

عاتبت ابرى اذ جاء ملتثما * من عقله بالخرا فما اكترثا

بل قال لى حين نكته قسما * ما جزت حمام قعره عبثا

كيف وفيه طهارتى وبه * أقلب مائى وأرفع الحدثا

(وقال) شيخ الشيوخ بحماه

وقيم كلت جسمى أنامله * من غير ألسنة تكليم خرصان

ان أمسك اليد منى كاد يخلعها * أو سرح الشعر أبكانى وأبكانى

فليس يمسك امساكا بمعرفة * ولا يسرح تسريحا باحسان

(وأنشدنى) الجناب المخدومى بن مكانس للشيخ بدر الدين بن الصاحب

وقيم قيم فى حسن صنعته * حاز الجمال على لطف من الترف

لو يخدم البدر أنقى البدر من كلف * لكنه لم يزل مابى من الكلف

(وقال) شهاب الدين بن العطار في بلان يدعى موسى

هيأ البلان موسى * خلوة تحيي النفوسا
قلت ما أصنع فيها * قال تستعمل موسى

وعلى ذكر موسى ذكرت واقعة لطيفة اتفقت لركن الدين الوهراني وهي انه لما قدم الى القاهرة المعزية مدح الامير عز الدين موسك بن حكو الهذباني خال صلاح الدين يوسف بن ايوب فأمر له بشيء لم يرضه فحضر مجلسه يوما وفيه حفل كثير من الناس فقال يا مولانا احتجت الى أن أحلق رأسي هذه الساعة وانه الامر الى بعض الجدارية ان يحضر الساعة ليحلقه لي بحضرتك فكاد الامير ان يأذن له في ذلك ثم فهم مقصده فقال لبعض مماليكه أعطه مائة دينار وقل له خذ هذه واحلق رأسك في الحمام فأخذها ومضى شاكرا فقال له بعض الحاضرين يا مولانا ما معنى هذه الحركة فقال انه أراد اذا حلقه يقول يا مهتار موسك ردىء فيشمتنا في وجوهنا * ولا بأس بايراد نبذة مما قيل في المشط اذ كان من لوازم الحمام وقال شرف الدين بن الحلاوي وقد طلب منه ثلاث أبيات تكتب على مشط برسم سلطان حلب الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي

حللت من الملك العزيز براحة * غدا لثمها عندي أجل الفرائض
وأصبحت مفتر الثنايا لانني * حللت بكف بحرها غير غائض
وقبلت سامي خده بعد كفه * فلم أخل في الحالين من لثم عارض

(وللشيخ) بهاء الدين الموصلي ولد الشيخ عز الدين ملغزا فيه من أبيات

ظننتم تصحيف مقلوبه يخفى وليس الظن بالكاذب

(قلت) وردعلى من سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد المخزومي المالكي الشهير بابن الدماميني رحمه الله كتاب من مكة المعظمة المشرفة بتاريخ تاسع عشر المحرم سنة احدى وثمان مائة وفيه انه اجتمع بمكة بالقاضي شهاب الدين بن حجر رحمه الله ووجد صحبته شخصا يقال له ابن المرجاني وذكر القاضي شهاب الدين ان المشار اليه كان رفيقا له من اليمن الى مكة المشرفة وأنشدنا له

يا ماما سألته حل لغز * شاطط عن مزار أهل الذكاء
اهمل الثلث باعتناء وقلب * تره جاء قائد الشعراء

وذكر لي القاضي بدر الدين في مشرفته أنه من الالغاز الصعبة فينبغي ان تقع

الفكرة

الفكرة فى حله قلت اشتغلت الفكرة فى حله فاذا هو لغز فى مشط فتأمله ولقد أجاد قائله قال السراج الوراق ملغزا

وبيضاء قد عانقتها وضممتها * ولا قبح فى جهرى بهذا واسرارى
على انه لا عار فيها محقق * وماسات والله قط من العارى

وقال بعض المتأخرين

الا رب حمام بدا لى حميمه * فظاهره ماء وباطنه نار
كاخوان هذا العصر من تلق منهم * فللود اعلان وللحقد اسرار

(وكتب) القاضى محي الدين بن عبد الظاهر يستدعى الى حمام هل لك أطال الله بقاك فى المشاركة فى جمع بين ماء ونار وأنواء وأنوار وزهر وأزهار قد زال فيه الاحتشام فكل عار ولا عار بنجم سمائه لا يعتريه أفول وناجم رخامه لا يعتريه ذبول تتنافس العناصر على بلوغ مآربه فارسل البحر ماء جسده من زبده لتقبيل أخمصه اذ قصرت همته عن تقبيل يده ولم ير التراب له فى هذه الخدمة مدخلا فتطفل وجاء وما علم ان التسريح لمن جاء متطفلا وأعلمت النار ضدها الماء فدخل وهو الانفاس وغلت من أجله فلاجل ذلك داخله من صوب تشاكله الوسواس ورأى الهواء أنه قصر عن مطاولة هذه النار فأمسك متهيبا ينظر من وراء زجاجة الى تلك الدار ثم ان الاشجار رأت أن لا شائبة لها فى هذه الخطوه ولا مساهمة فى تلك الخلوه فارسلت من الامشاط أكفا أحسنت بما يدعوا اليه الفرق ومرت فى سواد العذار افاحم كما مر البرق وذلك بيد قيم قيم بحقوق الخدمه عارف بما يعامل به أهل النعيم أهل النعمه خفيف اليد مع الامانه موصوف بالمهابة عند أهل تلك المهانه لطف أخلاقا حتى كأنها أعناب بين حنطة والرمان وحسن صنعة فلا يمسك يدا الا بمعروف ولا يسرح تسريحا الا باحسان أبدا يرى مع طهارته وهو ذو وصلف ويشاهد مزيلا لكل أذى حتى لو خدم البدر لأزال ما بوجهه من الكلف بيده موسى كأنها صباح تنسخ ظلاما أو نسيم ينفض عن الزهر كماما اذا أخذ صابونه أوهم من يخدمه ما يمر على جسده انه بحر عجاج وانه يبدو منه زبد الا كان التى هى أحسن من الامواج فهلم الى هذه اللذه ولا تعد الحمام دعوة أهل الحراف فربما كانت هذه بين تلك الدعوات فذه * وكتب فى محضر قيم حمام الصوفية

يقول العبد الفقير الى الله تعالى فلان ان أبا الحجاج يوسف مازال لاهل الصلاح حميما وله جودة ذهن يستحق بها أن يدعى قيما كم له عند كل جسد من صباح من جسيم وكم أقبل مستعملوه تعرف فى وجوههم نضرة النعيم كم تجرد مع شيخ صالح فى خلوه وكم قال ولى الله يا بشراى لانه يوسف حين أدلى فى حوضه دلوه كم خدم من الصلحاء والعلماء انسانا وكم ادخر ببركتهم لدنيا وأخرى فضل من كل منهم شفيعين عريانا ومؤتزرا كم حومة خدمة له عند أكابر الناس وكم له يد عند جسد ومنة على راس كم شكرته أبشار البشر وكم حك رجل رجل صالح فحقق أن السعادة لتلحظ الحجر قد ميز بخدمة الفضلاء أهله وقبيله وشكر على ما يعاب به غيره من طول الفتيله تمتع الاجساد من تنظفه بحمامه بظل ممدود وماء مسكوب ويكاد كثرة ما يخرجه من المياه أن يكون كالرمح أنبوبا على أنبوب كم رأس أنشدت مواساه

ولو أن لى فى كل منبت شعرة * لسانا يبث الشوق كنت مقصرا

(وكتب) الشيخ جمال الدين بن نباتة الى ابن معبد وكان متولى دمشق يشكو من حمام سرق فيها شاشه يقبل الارض مستجيرا بهذا البيت الذى لا يذل جاره مستغيثا بكرمه الذى ملأت الاقطار أخباره فما عبر المملوك فى عمره أحو من هذه الحمام ولا انكس فى رأسه العلية مثل هذه الايام فيا للعواطف العربيه ويا للمراحم النفوس الابيه فوالله لقد خف رأس المملوك من الجهتين عقله وشاشه ولقد تعوض من تاج عمته العربية مخدة فراشه ولقد أخذت منه هذه الحمام المتلفه ولقد نشفته بالمناشف فبئس الحمام والمنشفه وهذا وقت اغاثة الملهوف والرغبة فى اسداء المعروف لا قطع الله عن أرواح المضطرين ترويح هباته ولا عطل من منته المنتظمة أجياد عفاته بمنه وكرمه * وكتب الشيخ برهان الدين القيراطى وقد استدعى الى الحمام

قد أجبنا وأنت أيضا فصحت * بتلاقيك سالف وسلاف

وبساق تسبي العقول بساق * وقوام وفوق العناق خلاف

يقبل الارض وينهى ان المملوك ما خرج عن الاهتمام لدخول الحمام فانه متشوق لما لمولانا تشوق اليه وموجه وجه فكرته عليه وكيف يمكن الوقوع فى الخلاف والميل الى الاخلاف

وحمامكم كعبة للوفود * تحج اليها حفاة عراه
يكرر صوت أنابيبها * كتاب الطهارة باب المياه

فلاعدمت التنبيه من مولانا على هذا المنهاج ولا فقدت آداب ألفاظه الممدوحة التي مالها منهاج ولا حرمت عند الحمام هذا النصير ولا عاقني عند ارادة التخليق بمطالها تقصير ولا زالت أمحو بها آية ليل الشعر واخلع بها بعد ثياب البدن ثياب الوضر وأتنعم بها حسنا الهامن جامها في كل ناحية من وجهها قمر ولا يخفى أن الرأس تروي الآن عن الاشعث بن أبي الشعثاء أخباره والجسد كأنما كانت على أب وزير المعتصم أطماره فالاولى أن يلقى و يعتاض عنها بما هو أبقى ومولانا أجل ساع في أسداء المعروف وأفعال بر أعيذها بالاسماء الحسنى ما اشتملت عليه من الحروف لا زال بحر احسانه الطهور سالما من الخوض ونوائب فضائله الجمة محروسة الجناب بجاه صاحب الحوض

(فصل) فيما ورد في ذمها قال الامام على بن أبي طالب كرم الله وجهه بئس البيت الحمام تكشف فيه العورات وترتفع فيه الاصوات ولا يقرأ فيه آية من كتاب الله ودخل بعض الامراء مع الرقاشي الحمام فقال ذمه فقال يهتك الاسرار و يؤلف الاقذار ويذهب الوقار * فقال امدحه فقال يذهب القشافه و يعقب النظافه و ينفش التخمه و يطيب النغمه * قيل ويكره الحمام بين العشائين وقريب من المغرب قال الزمخشري و يكره أن يعطي الرجل امرأته أجرة الحمام لانه يكون معينا لها على المكروه وقال أيضا الحزم ترك الحمام اذ لا يخلو من عورة مكشوفه ولا سيما من تحت السرة الى العانه * ومن آدابه انه اذا دخله رفع رجله اليسرى عند الدخول وقال بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس والنجس والخبيث المخبث من الشيطان الرجيم وذكر السمعاني في كتاب الحمام عن مجاهد عن علي انه كان يغتسل من مس الابط والحجامة وماء الحمام و بسنده الى فرقد السبخي أنه قال ما دخل نبي حماما قط ولا أكل ثوما ولا بصلا ولا كراثا

(الوصف) قال بعضهم

وحمام سوء وخيم الهواء * قليل المياه كثير الزحام
فما للقيام به من قعود * ولا للقعود به من قيام
حنياته عطفات القسي * وقطراته صائبات السهام

(وقال) شعرا

حماما من ضيقها اشتكي * كأنها صدر وقد أخرجوه
فهي لظى نزاعة للشوا * وماؤها كالمهل يشوي الوجوه

(وقال) ابن شرف القيرواني

كأنما حمامكم فحمة النتن والظلمة والضيق
كأنني في وسطها فيشة * أولطها والعرق الريق

(وقال) ابن رشيق

وأنت أيضا أعور أصلع * فصادف التشبيه تحقيق

(الباب السابع والعشرون في النار والطباخ والقدور)

النار مؤنثة من ذوات الواو لان تصغيرها نويرة والجمع نور وانوار ونيران انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها وليس في الارض شجرة الا وتقدح منها النار الا العناب وهي على أنواع عند العرب نار القرى وهي أعظم النيران ونار السلامة توقد للمسافر اذا قدم سالما غانما ونار الزائر والمسافر وذلك أنهم اذا لم يحبوا الزائر والمسافر أن يرجع أوقدوا خلفه نارا وقالوا أبعده الله وأسحقه ونار الحرب يوقدونها على مكان عال لمن بعد عنهم ونار الصيد يوقدونها للظباء فتغشى أبصارهم ونار الاسد كانوا يوقدونها اذا خافوه لانه اذا رآها حدق اليها وتأملها ولم يستطع الهجوم على ما حولها ونار الحلف لا يعقدون الاعليها يطرحون فيها الملح والكبريت فاذا استشاطت قالوا هذه النار قد تهددتك ونار الغدر كانوا اذا غدر الرجل بجره أوقدوا له نارا بمنى أيام الحج وقالوا هذه غدرة فلان ونار الفداء كانت ملوكهم اذا سبوا قبيلة وطلب منهم الفداء كرهوا أن يعرضوا النساء نهارا لئلا يفتضحن ونار الوسم التي يسمون بها الابل لتعرف ابل الملوك فترد الماء أولا ونار الحرتين كانت ببلاد عبس تسطع من الحرة بالليل فبعث الله خالد بن سنان وهو أول نبي بعث من ولد اسمعيل وقد قدمت ابنته على النبي صلى الله عليه وسلم فبسط لها رداءه وقال بنت نبي ضيعه قومه فحفر لتلك النار بئرا فأدخلها فيها والناس ينظرون ثم اقتحم فيها حتى غيبها وخرج منها وقد بالغ مهيار الديلمي في وصف نار القرى

ضربوا بمدرجة الطريق خيامهم * يتقارعون على قرى الضيفان
و يكاد موقدهم يجود بنفسه * حب القرى حطبا على النيران

(وقال) أبو طاهر البغدادى

خطرت فكاد الورق يسجع فوقها * ان الحمام لمغرم بالبان
من معشر نشروا على هام الربا * للطارقين ذوائب النيران

(وقال) صردر

قوم اذا حيي الضيوف جفانهم * ردّت عليهم ألسن النيران

(وقال) ابن سنا الملك

نيرانه فى الحى أى تحرق * على الضيفان أبدا وأى تلهب

وأين هؤلاء القوم الكرام من الذين يقول فيهم الاخطل

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لامّهم بولى على النار
فتحبس البول شحا أن تجود به * فما تبول لهم الا بمقدار

لا يخفى ما فى هذا البيت الاول من المعائب وقد ولع الادباء بحلها وما فيها من المعانى (وقال) مجير الدين بن تميم

وكأنما النار التى قد أوقدت * ما بيننا ولهيبها يتضرم
سوداء أحرق قلبها ولسانها * بشفاهة للحاضرين تكلم

وقال آخر

انظر الى النار وهى مضرمة * وجمرها بالرماد مستور
شبه دم من فواخت ذبحت * وفوقه ريشهن منثور

(وقال آخر)

كانون يطفى برده كانوننا * ما بين سادات كرام حذق
بأراقم حمر البطون ظهورها * سود تنضنض باللسان الازرق

(وقال) ظافر الحداد

تأمل ففى الكانون أعجب منظر * اذا سرحت فى فحمه جمرة النار
كمثل الرق المروّق سائكب * فدب احمرار الخمر فى قال القار

(وقال آخر)

كأن كانوننا سماء * والجمر فى وسطه نجوم

ونحن جن بجانبيـه * والشرر الطائر الرجوم

(وقال آخر)

كأنما دخاننا اذبدا * لعين من ينظره من قريب
ذوائب من غادة سرحت * وقد بدا فيها بياض المشيب

(وقال آخر)

كأنما النار فى تلهبها * والفحم من فوقها يلطبها
زنجيـة شبكت أصابعها * من فوق نارنجـة تغطيها

(وقال آخر)

كأن نضيد الفحم فوق شراره * اذا النار مست جاده فتلونا
يذكر أيام السحاب التي جرت * بجنيتـه لما تأود أغصـنا
فأنبت منها الآبنوس بنفسجا * وأثمر عنابا وأورق سوسـنا

(وقال) الشيخ صفي الدين الحلى

البحترى مذ ما فارقتموه غدا * يحثو التراب على كانونه الخرب
لو شئتم أنه يحكى أبا لهب * جاءت بغالكم حمالة الحطب

(وقال) ظافر الحداد

كأن سواد الفحم من فوق جمره * وقد جمعا فاستحسن الضد بالضد
غدائر خود فرقتها وقد غدت * على خفر من تحتها حمرة الخد
فلما تناهى صبغه خلت أنه * فصوص عقيق أو جنى زهر الورد
الى أن حكى بعد الخمود رماده * غبارا من الكافور فى قطع الند

(كتب) النصير الحمامى ملغزا الى السراج الوراق

وما اسم ثلاثى به النفع والضرر * له طلعة تغنى عن الشمس والقمر
وليس له وجـه وليس له قفا * وليس له سمع وليس له بصر
يمد لسانا يختشى الرمح بأسـه * ويسخر يوم الحرب بالصارم الذكر
يموت اذا ما قت تسقيه قاصدا * وأعجب من ذا أن ذلك من الشجر
أيا سامع الابيات دونك حلها * والافهم عنها ونبه لها عمر

ومن التغزلات اللطيفة بذكر النار قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ

قد أودعوا القلب لما ودعوا حرقا * فظل فى الليل مثل النجم حيرانا

راودته

راودته يستعير الصبر بعدهم * فقال انى استعرت اليوم نيرانا

(قال) علاء الدين الوداعى

يا مودعا بوداعه فى مهجتى * نارا تؤججها يد التذكار
أبكيت طرفى بعد ادمعه دما * وكذا يكون بكاء أهل النار

(قال) صفى الدين الحلى

لا غرو أن يصلى الفؤاد بيعدكم * نارا تؤججها يد التذكار
فأنا اذا غبتم يصور شخصكم * فيه وكل مصور فى النار

(وأنشدنى) الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه

يا مقلة الحب مهلا * فقد أخذت بثارك
وأنت يا وجنتيه * لا تحرقينى بنارك

(وكتب) الشيخ جمال الدين بن نباتة مع منقل أهداه وهى انه تجهيز ونقل منقلا لطيف الصنعة جليلا اذا تأمل نفعه اذا هبت الشرر فى ليل فحمه ولعبت يد الرياح بأزاهر ضرمه فكأنه معدن يا قوت أحمر أو نبت جلنار بزهر يروق البصائر والابصار والا يكن فيه على الحقيقة جلنار ففيه جلنار طالما حمدت معاشرته ولذت فى الليالى الشتوية مسامرته وأطلع من أفقه نجوما بعيدة القران وتلا على الريح والثلج يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران والرأى أعلا فى قبول اهدائه والله يجعل ما فى قلبه فى قلوب أعدائه * قرأت فى كتاب روضة الجليس ونزهة الانيس تأليف الفاضل بدر الدين حسن بن زفر المتطبب الاربلى حكى عن سليمان بن محمد المهدى الصقلى قال كان بسوسة افريقية رجل نبيه شاعر وكان يهوى غلاما جميلا من غلمانها وقد اشتد كلفه به وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه كثيرا فبينما هو ذات ليلة منفرد بشرب الخمر وحده غلب عليه السكر وذكر معشوقه وأجرى بخاطره ما كان يعامله به من التجنى فقام من حينه فأخذ قبس نار وجعله عند باب الغلام ليحرق عليه داره فلما دارت النار بالباب بادر باطفائها وقبضوا عليه واعتقلوه فلما أصبحوا نهضوا به الى القاضى وأعلموه بفعله فقال له القاضى لاى شئ أحرقت باب هذا الغلام فأنشأ يقول

لما تمادى على بعادى * وأضرم النار فى فؤادى
ولم أجد من هواه بدا * ولا معينا على السهاد

حملت نفسي على وقوفي * ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبي * أقل في الوصف من رقادي
فأحرق الباب دون علمي * ولم يكن ذاك من مرادي

(قال) فاستظرف القاضي واقعته وشعره ورجمه وتحمل عنه ما أفسده من باب الغلام (وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة في وصف حصار بالنار فما كان الا ريثما ابتسمت لهم النار عن الموت العابس وعاملتهم من المحال وقودها باليابس وجاءت بما ينضج ملابس الجلود وجلود الملابس وعاجلتهم من منفعة الغوث قبل العطب واصلتهم نارا بتت بها أيدي الابراج حمالة الحطب واذا بأبدان البدنات القائمة قد قعدت والابراج لتلاوة الحرب قد سجدت فهنالك هجمها المسلمون هجوم الليث الكرار وقطعت السنة السيوف المجادلة حجج رقاب الكفار (وقال) القاضي الفاضل في مثله فولجت النار مواج تضيق عنها الفكر ويعجز عنها الابر وخولف المثل في ان السعادة لتلحظ الحجر وأغنى ضوء نهارها سؤال كل امعة ان تسأل هذا وذاك ما الخبر الى أن بدا ضوء الصباح وكأنه منها امتار وانشق الشرق فكأنه من عصفرها صبغ الازار الى أن سرى ذا النقوب الى المقاتل ودب سكرها بين المفاصل وغدت الجدران قائمة والبلاسار في أعقابها متجلدة والنار تحت ثيابها (وقال) أيضا وقد أحمته الى أن أحرقته وصرح الشرك وقد خاضته الى ان أغرقته وان الخندق بركة والبرج لها فوّاره وان الله أعدّ للعدوّ نارا في الآخرة وأحرقهم في الدنيا بشراره وان العدوّ تحصن من البرج بكثيب بنهج أحرقه الله بالنار (وقال) سيدي تقي الدين بن حجة في حريق دمشق هذا وكم مؤمن قوم خرج من دياره حذر الموت وهو يقول النجاة وطلب الفرار وكلما دعاه قومه لمساعدتهم على الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار (وقال) ابن سناء الملك

يا فالق الصبح من لألاء غرته * وجاعل الليل من أصداغه سكنا
لا غرو ان أحرقت نار الهوى كبدي * فالنار حقا على من يعبد الوثنا

(القول) على الطباخ وينبغي أن يكون عند الرئيس والملك طباخ حاذق اذا لم يشته طعاما صنع له ما يشتهيه وقيل كل طعام أعيد الى القدر فهو فاسد

وكل غناء خرج من تحت السبال فهو بارد (قال بعضهم) كنت جالسا عند بعض ولاة الطوف وقد جاءه الغلمان برجلين فقال لاحدهما من أبوك (فقال)

أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا الى باب داره * فمنهم قيام حولها وقعود

فقال ما كان أبو هذا الا كريما ثم قال للآخر من أبوك (فقال)

أنا ابن من ذلت الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها
خاضعة أذعنت لطاعته * يأخذ من مالها ومن دمها

فقال الوالى ما كان أبو هذا الا شجاعا وأطلقهما فلما انصرفا قلت للوالى أما الاول فكان أبوه يبيع الباقلى المصلوقه وأما الثانى فكان أبوه حجاما (فقال الوالى)

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك مضمونه عن النسب
ان الفتى من يقول ها أناذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

(قلت) وأنشدنى سيدنا ومولانا القاضى شهاب الدين بن حجر رحمه الله للشيخ بدر الدين بن الصاحب فى مليح يطوف بالفول

أنا ابن الذى فى الليل تسطع ناره * كثير رماد القدر للعب يحمل
يدور بأقداح العوافى على الورى * ويصبح بالخير الكثير يقول

(قال) محمد بن العفيف فى مليح طباخ

رب طباخ مليح * فاتر الطرف غرير
مالكى أصبح لكن * شغلوه بالقدور

(وقال) الصفدى

كلفى بطباخ تملك مهجتى * فعذاب قلبى فى هواه سرمد
وكأنما أنا منصب قدامه * نار تشب وزفرة تتصعد

(وقال) المعمار

كلفى بطباخ تنوع حسنه * ومزاجه للعاشقين يوافق
لكن مخافى من جفاه وكم غدت * منه قلوب فى الصدور خوافق

(وقال) أيضا مواليا

هويت طباخ بالصبحة أخدميه * حلو المزاج كانوا ابن تركيه

ولو أطارف نواعم بيض زبديه * لهامعانى على الاخوان مخفيه

(وقال) بعضهم ماعلى الشيخ المسن أضرمن أن يكون له طباخ حاذق وجارية حسناء لانه يكثر من الطعام فيسقم ومن النكاح فيهرم (وقال) ابراهيم المعمار

وطباخ بمنصبه افتخار * وقدر قد علا فى الناس وافى
أياديه على الاخوان مدّت * وكم قلب له بالودّ صافى
وكم آمنوا به من خوف جوع * سيعطى الامن فى يوم المخاف

(دخل) ابن الفضل الشاعر يوما على الوزير بن هبيرة وكان عنده نقيب الاشراف وكان مبجلا وكان ذلك فى يوم شديد الحر من شهر رمضان فقال له الوزير أين كنت فقال فى مطبخ سيدى النقيب فقال له ويحك أيش عملت فى شهر رمضان فى المطبخ فقال كسرت الحر فيه يا مولانا فتبسم وخجل النقيب الفرزدق

وقد علم الجيران أن قدورنا * ضوامن للارزاق والريح رفرف
ترى حولهن المعتفين كأنهم * على صنم فى الجاهلية عكف

(وقال) أمية بن أبى الصلت

وكأنها بفنائه * للضيف مترعة زواجر
وكأنهن بما سجن * وما جبين به ضرائر

(وقال الفرزدق) يهجو

لو ان قدرا بكت من طول ما حبست * على الجفون بكت قدر بن عمار
ما مسها دسم مذ فض معدنها * ولا رأت بعد نار القين من نار

(الباب الثامن والعشرون فى الاسماك واللحوم والجزور)

كتب الوزير المرحوم فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس الى الشيخ بدر الدين البشتكى رحمه الله وقد كانوا بمجلس أنس بشاطئ الروضة فى أيام وفاء النيل السعيد فاتفق ان الشيخ بدر الدين صاد حوتا عظيما بالصنارة يداعبه بلغنى رفع الله قدرك على السماك وأعلى محلك وأسماك وأجرى بسعدك وأحرك فى نهر السماء وبحور الارض الافلاك ولازالت همم نظمك المدريه ونثرك تعلو على النثره وفتكات عزماتك المركيه تسموالى صيد نسر السماء من وكره وحوتها من المجره ولا برحت تصرف حروف المحاسن فتخدمك من كل مجرور

عين ومن كل حاجب نون ولا فتئت تجمع شمل المعالى الى أن يفترق الفرقدان ويلتقى الضب والنون ويغدو سهيل فى السماء مصادف الثريا ويصبو الحوت للسرطان ان مولانا مع جماله خلافا للعز أفاق السابح فى لجه وراع كل حوت حتى حوت الارض فى تخومه وحوت السماء فى برجه وجاور ذوات البحر فكان لها بئس الجار يطعمه الذى اقامه علمهم فى الحيلة مقام نجمه وانه شد وسطه للصيد وكان من الحزم وأرسل آلة صيده الى الاسود والاحمر من أمم البحار فعادت عود أولى العزم فعند ذلك مولانا للصيد بالمرصاد واطاعته حروف النص فكلما تلا لسان البحر نونا تلا لسان العزم صاد (مفرد)

وهى السعادة فى السماء فلو تشا * لطعنت منها راميا بالاعزل

فمن ذلك صيد الحوت الذى قدم من أقصى النيل فياله من سفر بعيد وفارق وطنه وورد مع التيار السريع فى البحر المديد فآوى الى الشط طالما غداه اذ لقى من سفره هذا نصبا وركن الى البر فليته لو عقل واتخذ سبيله فى البحر سربا ولم يعلم ان سيدنا وضع الحبل وجعله لصيده معنى وصورة سببا فاخترمته يد المنية باعوجاج الصنارة التى نصبها للدواب البحر فالقهر والضيعة التى تعامى أقوياء الاسماك فى أعظم لجور السائلة بالنهر كأن هذا المسكين من صالح الاسماك الذى أفنى الايام سجاطو يلا فساح وانى يقبل جدارا حل فيه قدم مولانا وبركته فجازاه فجازاه التمساح أوكأنه لجأ الى البر هربا من عوارض الامواج وآمن بمجاورته فأخذ من مأمنه وخاب امله من لاج فسبح بعد بحار الامن من بحار المنون فى لجج وقالت له الحيتان اذا أعماك القضاء عن رشدك حدث عن البحر ولا حرج وكان ظنه ان عومه فى الشط ينجيه فكان حتفه فى ذلك العوم وعلى الجملة فقد آن أجله ولو آوى الى جبل لقيل لا عاصم اليوم فأتت به حوتا يلوح بياضه بين هضاب الموج كالبدر من سجف الغمام ويبدو عليه مهابة تشعر أنه من نسل حوت يونس عليه السلام فأعيذ هذا الحوت بالنون وصائده الكاتب الاديب بالقلم وما يسطرون فلقد ظفر عما لا ظفر به الحواريون فى شباكهم الشبكة ووقع له مالو وقع لابن صياد لتطاول عجبا وانتفخ حتى ملأ الشبكة وحصل به للجماعة من السرور ما يحصل بوفاء النيل وشاهدوا من جزله العظيمة كل خير جزيل ومنحوا من سنه وعظمه بالجوهر النقى،

وأنياب الفيل وأرخصوه للقرى بعد أن أمسى فى القدور يغلى وقلوه فطاب مأكلا وان كان مما لا يقلى ونوعوه محلى وحامضا فالمحلى جعلوه نقلا على الكؤس حين تحلى وفازوا على رأى ابن حزم وان لم يكن من أصحاب الرأى بالمحلى والمجلى والحامض فقطعوا عندأكله بالذوق ان ذلك الحوت مر لا محاله وقال آخرون بل هو هالة لتناسب البدور والهاله وجلوا به الموائد وحكموا لصائده بالتقدم على الضفدع الاديب فى مصائد الشوارد وقدموه على ماعندهم من طارى وبائت وأكلوه من ساعته كيلا يندموا على فائت قائلين لا تؤخروه فللتأخير آفات ولا تبيتوه فكما بات فات وبادروا طراوته لعلمهم انه أطيب ما يؤكل من السمك البورى الطرى واستطابوه ضرورة ولا خلاف ان صائد الحوت أكثر تلذذا بأكله من المشترى هذا وأما الاسماك بذلك الشاطئ فقد نادى مناديهم بالرحيل وقال أديبهم للبنية مصحفا يا بنية ليس المقام هنا جميل فكم فرخ حول وكرأمه من هناك وشال وكم عصبة من السمك صرخت قافا وقطعت الجبال وكم طائفة من رشادها فرت الى البرور الخالية من العباد وكم طائفة تخلفت ووقعت فى الشباك فقيل ضلت عن سبيل الرشاد وكم طائفة أسرعت الى رؤس الجبال الحركه وكذبت العروضيين فى قولهم لم أر على ظهر جبل سمكه وكم سمكة قالت لفراخها اهجروا ماءكم ومأواكم كما هجرت مأواى واخلوا هذه الديار وان أعشبت وابتغوا صائب الراى ومنهم من عمد الى عمق البحر نجاه وسارت به سفينة عزمه فى موج كالجبال وكان سبب النجاه وتواصوا لما رأوا طغيان الماء ان لا يأووا الى البرور وتحققوا انه الطوفان لما فار على أخيهم المصاب التنور وكم قائل الحمد لله الذى قطع عنا أثر هذا الدرن العظيم وأران عينه وقائلة سبحان من أراح ضعفاء السمك من هذا الجبار وفرق بينهم وبينه فشكرا اذا غدا مولانا شيخ البر والبحر وأضحى فى دركه ابن السماك وفى صدق حديثه أبا ذر وأمسى ضرع البلاغة مسخرا له فان جمع لغيره أو أبادر أحياه الله بدرا يشرق فى سماء المعالى ويحلى أجياد الفصاحة من بحور نظمه ونثره بالجواهر واللآلى وجعل به السماء كما جمل به الارض ولا جعله كأدباء أهل هذا الزمان الذين هم كالاسماك يأكل بعضهم بالغيبة لحم بعض عرضه وكرمه والسمك بارد رطب يولد البلغم

وينفع المحرورين ويضر بالمشايخ ودفع مضرته بالافواه الحارة والصعتر والملح وصغاره بالخل نافع لاصحاب الامزجة الحارة ومن به يرقان وكبده حار والمالح منه حار يابس يولد السوداء ويضر بالمحرورين

(فصل فى اللحوم) عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد طعام أهل الدنيا والآخرة اللحم * وفى حديث آخر سيد الادام فى الدنيا والآخرة اللحم وسيد الشراب فى الدنيا والآخرة الماء * وقال صلى الله عليه وسلم اللحم يطيب النفس ويفرح القلب ويحسن الوجه ويشد العصب وكان محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة رضى الله عنه ع بلا رخص الانامل يكاد الماء يجرى بين جلده ولحمه فقال له أبو حنيفة ما غذاؤك قال ما أريد على الخبز واللحم شيأ قال هذه الشحمة منهما تنعقد * ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء * وقالت الاطباء أجود اللحمان ماخصى من الضأن وكان فتيا ولا خير فيما أسن ولحم الضأن نافع من المرة السوداء الا أن الممرودين الذين يصرعون اذا أكلوه اشتد بهم ذلك ولحم المعز يورث الهم ويفسد ويحرك السوداء ويحدث النسيان ويحيل الاولاد * ولحم الدجاج الهرم أضر اللحمان وأغلظها وقال أبو حاتم قال خالد بن يزيد أطيب الابل لحوما الورق وأطيب البقر لحوما الصفر وأطيب الشياه لحوما الحمر وأطيب الدجاج لحوما السود وأطيب الفراخ لحوما البيض * وقال عبد الله بن جعفر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أطيب اللحم لحم الظهر * وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من سره أن يقل غيظه فليأكل لحم الدراج * ولما حضرت الوفاة للحرث بن كلدة قيل له أوصنا بما ننتفع به بعدك فقال لا تتزوجوا من النساء الا الشباب ولا تأكلوا من اللحم الا الفتى ولا من الفواكه الا ما نضج ولا يتداوين أحدكم بدواء ما احتمل بدنه الدواء واذا تغديتم فناموا قليلا واذا تعشيتم فامشوا خطوات * وقال بختيشوع للمأمون أوصيك يا أمير المؤمنين بأربعة أشياء لا تأكل طعاما بين يديك ولا تجامع على شبع الى أن يخلو جوفك من الرياح والنجو ولا تأكل من لحم البقر فوالله انى أمر به فى الطريق فأغطى عينى وعين برذونى من شدة مضرته (نادرة) قرأت فى كتاب ملح الكنايات ولمح التعريض والاشارات تأليف جمال الدين يوسف ابن مرتفع بن الفقيه فتح الدين مجالد الكتب المعروف بنقانق ووجد

الشريف محاسن عريف سوق الكتبيين فى دكانه يتغذى فدعاه للاكل فقال
من أى شئ تأكل فقال شئ من لحم جمل صغير رأيته فاشتهيت ان آكل منه فجاس
وأكل معه فنظر اليهما الضياء موسى الناسخ فقال يا محاسن احذر أن يراك
المحتسب فيؤذيك قال على م قال لانك تحشى النقانق بلحم الجمل فاستحسن
ذلك منه وفى الحديث من داوم على اللحم أربعين يوما قسى قلبه ومن تركه
أربعين يوما ساء خلقه

(فصل) كتب الوزير فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس سامحه الله تعالى الى فتح
الدين صدقة بن سعيد الكاتب بديوان الخاص وكان المذكور أسود ينحرف
من ذكر العبيد والسواد يقبل اليد الكريمة السديدة الفتحية لازال فتحها
رشيدا وفعلها سديدا وسعدها جديدا وقولها مفيدا ومطلعها صبيحا
ووجه مقاصدها نجيحا وإقبال مرورها مستمرا ورواق العز عليها مستطرا
كثر الله عبيدها وألحق مقترها بسعيدها ويصف ولاءه الذى تشهد به ذاته
الكريمة بل السواد الاعظم واخلاصه الذى صفا وده الى ان عاد كغرة البدر
فى الليل الادهم ويبدى ما يجده الى مولانا فى نفسه من الميل ويذكر محبته التى
لا تتغير ما ولج الليل فى النهار والنهار فى الليل وينهى أنه يبسط عذر مولانا فى
تأخير أبقار الاضحية بهذا العيد جعله الله عليك أبرك الاعياد ويتشكر من
إنعامه بكل كبش ينزل فى سواد وينظر فى سواد ويمشى فى سواد وكيف لا ومولانا
انسان عين الزمان والمفدا بسويداء القلوب من طوارق الحدثان فأبقاه الله
يجرر فى ميادين الكرم الذيل ويستر بجلله سقطات الجهال ستر الليل وعلم
... أن ... لاشرف الممالك قد اقتدى فى أضحية المملوك خاصة برأى
... الذى ... أفضل وان القرب بذبحها أكمل وأن الله
... الطول والعرض وأنه ... من أضحية
... قال نعم أحلينا بأضحيته
... عنه مزيد وقطعنا
... كان ... فخاص ومارك بظلام العبيد ثم تأخذه العزة
لا ... ويتذكر عن المطلوب وذل الطالب فيقول قد منعنا ما سقنا
... الاعيد أنعما ... فلو كان الامر ولانا

مستبدا به لبدل البقر بكرائم الخيل وأوضح من نحر الانعام الخيط الابيض من الخيط الاسود ومحا من ظلمة المنع آية الليل وساق أيده الله ماشاء من البقر البلد وأنعم علينا غير معتذر ولا متعنت يقول ان البقر تشابه علينا على أن مولانا اذا لاحظ أنعم بكل صفراء فاقع لونها لكن من الذهب العين واذا رأى نعق بفراق البقر غراب البين واذا شاء أتحف من ضياء انعامه بكل در نفيس واذا أتى بقلع من بحر الظلمات فى الريح المريس فطالما أمست شاكية ببنانعامه مسكويه وحركات فضله محبوبه والسنة الخواص قائلة الحمد لله الذى كف عنا ثوب بأ كف النوبه والمملوك مابرح كثير المحبة لمولانا من حين شمله بجزيل الاحسان هاجر مسموع الطير بجملته كرها للقائل منها مادق قفا السودان (وقال) الشيخ زين الدين بن الوردى مضمنا

بقاضيو فالغادة قصدت * ذبح خروف قد طاب واعتدلا
حلت رباط الخروف منشدة * أما ترى الشمس حلت الحملا

(ومن) ولع بذكر الجزارة والجزور الاديب الفاضل أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزار فمن ذلك قوله

انى لمن معشر سفك الدماء لهم دأب * وسل عنهم ان رمت تصديقى
تضئ بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم أيام تشريق

(وقوله)

حسن التأنى مما يعين على * رزق الفتى والحظوظ تختلف
والعبد مذ كان فى جزارته * يعلم من أين تؤكل الكتف

(أهدى بعضهم) الى صديق له كبشا فى يوم أضحيه وكتب معه رقعة بصف سمنه فأجاب المهدى اليه وصلت رقعتك ففضضتها عن خط مشرق ولفظ مونق وعبارة مضيئه ومعان غريبه وتصرف بين جد أمضى من القدر وهزل أرق من نسيم السحر وتنقلت فى وجوه الخطاب الجامع للصواب الا أنه على قصر عنه القول لا بل ذكرت جملا جعلته بصفتك جملا واتساع فى البلاغة يعجز عنها عبد الحميد فى كتابته وسحبان فى خطابته وكان المعدى يسمع به لا أن يراه وحصر فرايت كبشا متقادم الميلاد من نتاج قوم عاد قد أفنته الدهور وتعاقبت عليه العصور

وظننته أحد الزوجين الذى جعلهما نوح فى سفينته ليحفظ بهما جنس الغنم لذريته صغر من الكبر ولطف من القدم فبانت زمانته وتقاصرت قامته وعاد ناحلا ضئيلا باليا هزيلا بادى السقام عارى العظام جامعا للمعائب مشتملا على المثالب يعجب العاقل من حلول الحياة فيه لانه عظم مجلد وصوف ملبد لا يوجد فوق عظامه سلب ولا تقع اليد منه الا على خشب لو مر به الكلاب لاستجافه أو اطرح للذئب عند الخوى لعافه قد طال فقده الكلاء وبعد عهده بالامتلاء لم ير العشاء الا نائما ولا الشعير الا حالما وقد تحيرت بين أن اقتنيته فيكون فيه عنا الدهر أو أذبحه فيكون جيفة على وجه النهر فلت الى استبقائه لما تعرفه من محبتى التوفير ورغبتى فى التمييز وجمعى للولد وادخارى للعدد فلم أجد فيه مستمتعا للبقاء ولا مرفقا للعنا لانه ليس بانثى فيحمل ولا بفتى فينسل ولا بصحيح فيرعى ولا سليم فيبقى فلت الى الثانى من رأيك وعملت على الاخرى من قولك فقلت أذبحه ليكون وظيفة للعيال وأقيمه رطبا مقام قديد الغزال فأنشدنى وقد أضرمت النار وحدت الشفار وشمر الجزار

أعيذها نظرات منك صادقة * ان تحسب الشحم فى من شحمه ورما

ثم قال وما الفائدة لك فى ذبحى وانا لم يبق فى الا نفس خافت ومقلة انسانها باهت لست بذى لحم فأصلح للاكل لان الدهر قد أكل لحمى ولا جلدى يصلح للدباغ لان الايام قد مزقت ادمى ولا صوفى يصلح للغزل لان الحوادث قد حصت وبرى وان أردتنى للوقود فكف بعر أدفى من نارى وان تفى حرارة جمرى بريح قتارى ولم يبق الا أن تطالبنى بذحل أو بينى و بينك دم رجل فوجدته صادقا فى مقالته ناصحا فى مشورته ولم أعلم من أى حالة أعجب أم من مماطلته للدهر من أجل البقاء أم من صبره على الضر والبلاء أم من قدرتك عليه مع اعوازمثله أم من تأهيلك الصديق مع ما به خساسة قدره

(الباب التاسع والعشرون فيما تحتاج اليه الاطعمة من البقول فى السفره)

القول على القرع و يسمى الدبا قال بن جزلة فى المنهاج أجوده الرطب الاخضر

الحلو وهو بارد رطب فى الثانيه وقال روفس انه حار رطب ويتولد منه غذاء شبيه بما يصحبه فان أكل بالخردل ولد خلطا حريفا وان أكل بالملح ولد خلطا مالحا ومسلوقه يغذو غذاء يسيرا وينحدر سريعا وهو جيد للصفراء وبين وعصارته تسكن وجع الآذان مع دهن ورد وينفع من أورام الدماغ وسويقه ينفع من السعال ووجع الصدر من حره وهو اقطع العطش جيد ويلين البطن واذا دفن فى الخمر وشرب مع السكر نفع من الحميات وهو يفسد فى المعدة لمخالطة خلط ردىء ويضر باصحاب السوداء والبلغم انتهى (رافع الاندلسى)

وقرع تبدى للعيون كأنه * خراطيم أفيال لطخن بزنجار

(الباذنجان) قال ابن النفيس فى الموجز قيل بارد وقيل حار يابس فى الثانية وهو اصح يولد السوداء والسدد والسرطان والجرب السوداوى والبواسير والصلابة والجذام ويفسد اللون ويصفر ويبثر الفم انتهى كلامه (الوصف) قال ابن المعتز فيه

وابذنج بستان أنيق رأيته * على طبق تحكيه مقلة رامق
قلوب ظبا أفردت من كبودها * على كل قلب منه مخلب عاشق

(وقال) ابن رشيق القيروانى

واذا صنعت غذاءنا * فاجعله غير مبذنج
اياك هامة أسود * عريان أضلع كوسج

(وقال) صاحب كتاب ملح المماحة وكان شيخنا الاسدى يحبه الباذنجان ويقول فى تفضيله ان الناس يأكلونه ثمانية أشهر من السنه وهم أصحاء ولو أكلوا الرمان ثمانية أشهر فلجوا وقيل لرجل ماتقول فى الباذنجان فقال أنوف الزنج وأذناب المحاجم وبطون العقارب وبزر الزقوم فقيل انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لوحشى بالتقوى والمغفرة ما أفلح وقال صاحب المنهاج أجوده الحلو الاوساط والعتيق ردىء والحديث اسلم ولا يبين ضرره كثيرا الا انه غذاء مألوف وهو حار يابس فى لثانيه وفيه غلظ والمر منه حار يابس بلا خلاف والحديث أقل حرارة وأردؤه ما أكل مشويا وهو ينفع من عرق الدم لشده رقته وليس له نسبة الى اطلاق ولا عقل لكنه ان طبخ فى دهن أطلق وان طبخ فى خل أو سماق عقل

وهو يحدث وجع الخواصر والمعدة والعتيق يبثر الفم ويولد السوداء والسدد ويسود البشرة ويولد البواسير وينبغي أن ينقع في الماء والملح ويسكن فيه ثم يعمل بالدسم الكثير والخل والكراويا (القلقاس) قال بن جزلة في المنهاج حار رطب في الاولى وقيل انه معتدل الحرارة رطب في الثانية يزيد في الباءة انتهى (وللشيخ) شهاب الدين بن أبي حجلة في رسالة السجع الجليل فيما جرى من النيل عند ذكر الجزيرة الوسطى وقد أخلق ديباج روضها الانف وترك قلقاسها بعده وجزره على شفى جرف

بعيني رأيت الماء فيها وقد جرى * على رأسه من شاهق فتكسرا

(غيره)

طالما تضرع بأصابعه الى ربه * ولطم برؤسه الحيطان مما جرى على قلبه

(وتمثل) بقول الاول

وان سألوك يوم البين عن قلبي وما قاسى

فقل قاسى وقل قاسى * وقلقاسى وقل قاسى

لم يفد تحصينه من ورقه بالدرق والستائر ولا حن عليه حين تضرع باصابعه فصح أن الماء سلطان جائر

يا ويح قلقاس بمصر يقول لى * لما اغتدى في غيطه غرقانا

النيل مثل دم لفرط زيادة * فلذا برأسى يلطم الحيطانا

(السلجم) وبالشين أيضا قال ابن جزلة وهو اللفت وهو برى و بستانى وهو حار في الدرجة الثانية رطب في الدرجة الاولى يغذو كثيرا ويولد منيا يدر البول ولا يسهل ويشهى الطعام اذا سلق دفعتين وطيب بالخل والخردل وماؤه ينفع من الحصر وفيه غلظ ونفخ وان عرض منه ذلك فليتناول بعده أحد الجوارشنات (الجزر) في المنهاج أجوده الاحمر الشتوى وغذاؤه أقل من السلجم وهو حار في آخر الدرجة الثانية رطب في الاولى يحرك الباءة ويسهل ويلطف ويدر البول وهو عسر الهضم منفخ يولد دما رديئا وينبغي أن يكثر انضاجه ويصلح بالمرى والخل والخردل (وقال) بعضهم

انظر الى الجزر الذى * يحكى لنا لهب الحريق

كعقيق من سندس * فيها انصاب من عقيق

(الاسفاناخ) قال ابن جزلة أجوده فى المنهاج المطور وهو رطب بارد فى آخر الدرجة الاولى وقيل معتدل من الحرارة والبرودة فهو ملين ينفع السعال والصدر وفيه قوة التحليل وهو سريع الانحدار عن المعدة يلين الطبع وينفع من أوجاع الظهر الدموية وهو يسيء الهضم ويضر أصحاب الامزجة الباردة (السلق) قال ابن جزلة هو صنفان أسود لشدة خضرته وأقل لونا منه وأجوده العذب الطعم وهو حار يابس فى الدرجة الاولى وقيل هو مركب القوة وقيل رطب فى الاولى فيه (بورقه) ملطفة وتحليل وتفتيح وفى الاسود قبض وينفع من داء الثعلب والكلف والحزازة والثآليل اذا طلى بمائه ويقتل القمل وتطلى به القوباء مع العسل ويفتح سدد الكبد والطحال والاسود منه يعقل وخصوصا مع العدس والصنف الآخر المهرا ويحقن بمائه لاخراج الثقل وهو ينفع من القولنج مع المرى والتوابل وهو يمغص ويولد النفخ وهو ردىء الكيموس قليل الغذاء يحرق الدم ويصلحه الخل والخردل وأصله ردىء المعدة انتهى وقال ابن زهر فى خواصه عن هرمس ورق السلق وورق العاقرقرحا من كل واحد دانق اذا جعل فى طعام باسم انسان وأطعم عمل فيه روحانية المحبة عملا عجيبا وقال ابن زهر وان رض السلق وعاقرقرحا وذر فى مجرى ماء الحمام برد وسكن حره وقال أيضا وان رض ورقه بدم الحمام ودفن فى اناء رصاص أربعين يوما تولد منه دود أخضر طوال فاذا طبخت بماء السلق وطلى به رأس الاقرع أنبتت فيه الشعر وان شدخت الدودة التى تكون فى السلق ودفنت فى برج حمام أو علقت عليه لم يقرب البرج شىء من الحيوان الضارى انتهى (فصل البصل) فى المنهاج فيه مع الحرافة المقطعة مرارة وقبض وما كان منه أطول فهو أحرف والاحمر أحرف من الابيض وأجوده الابيض الريان وهو حار يابس فى الثالثة وهو ملطف يقطع ويجذب الدم الى خارج البدن ويزيد فى الباءة وينفع من تغير المياه ويفتق الشهوة ويلين الطبيعة واذا قطر ماؤه فى الاذن ينفع من الطنين وهو يجلو البصر وينفع من ابتداء الماء والبياض اكتحالا بعصارته ويهيج خروج الشعر واذا دق وعجن بعسل ووضع على الظفر الغليظ والقوابى والبهق قلع ذلك ويطلى به داء الثعلب وينفع من عضة الكلب الكلب سقيا بشراب ومن نهش الحيات وهو يصدع للرأس والاكثار منه ينسى ويضر بالعقل ويكثر اللعاب ويفتح أفواه البواسير

و يصلحه الخل واللبن الحامض أو مع الهندبا (وقال) نصر بن سيار يوما وحوله بنون له هؤلاء بنو البصل لانه كان يأكل كثيرا منه فيهتاج وقال ابن وكيع يحكي لعينيك احمرار قشره اذا رآه ناظر غلا ثلاجرا على جسوم بيض رطاب من جسوم الروم (الثوم) كذا ذكره صاحب المنهاج بالثاء المثلثة منه بستاني ومنه بري ومنه كراثي والكراثي مركب القوة من الثوم والكراث وهو حار يابس في الدرجة الرابعة وقيل في الثالثة وهو أقوى حرارة و يبسا من البصل وهو يحل النفخ و ينفع من تغيير المياه وطبيخ الجبلي منه اذا شرب قتل القمل ورماده يطلى به البهق مع العسل وكذا الثعلب والجرب والقوابي و يصفي الحلق مطبوخا و يخرج العلق من الحلق واذا حشي في طبيخ ورقه وساقه أدر الحيض والبول وأخرج المشيمة وأكله يخرج الديدان و يطلق الطبع وهو نافع من لسع الهوام ونهش الحيات وعضة الكلب الكلب سقيا بشراب و ينفع السعال من برد و يصفي الحلق وهو مقرح للجلد مصدع مضعف للبصر جالب بثور العين واذا طبخ فلت حرارته وحراقته وتصلحه الحوامض والادهان واللحوم السمان والثوم دواء لمن أصابه وجع السعي في بطنه واذا شوي ووضع على الضرس المأكول سكنه * وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بأكل الثوم وقال لولا أن الملك ينزل علي لا كلته (وقال) بعض الشعراء فيه

يا حبذا ثومة في كف ضاهية * بديعة الحسن تسبي كل من نظرا
أبصرتها وهي من عجب تقلبها * كصرة من دبيقي حوت دررا

(الكزبرة) و يقال كسبرة منها رطبة ومنها يابسة وقوتها مركبة والغالب فيها أرضية وأجودها البستاني وهي باردة في آخر الاولى واليابسة منها في الثانية وأبقراط يقول فيها حرارة وبرودة وعند جالينوس انها تميل الى التسخين وفيها قبض وتخدير وهي تزيل روائح البصل والثوم اذا مضغت رطبة أو يابسة وعصارتها مع اللبن تسكن كل ضربان شديد وتنفع من الاورام الحارة مع الخل والاسفيداج ودهن الورد ومعه العسل للشرى والنار الفارسي و ينفع من الحمرة ومن الدوار عن بخار المرار والبلغم وخاصيته أن يمنع البخار من الرأس وكذلك يجعل في الطعام ورطبه ينفع الرعاف ودرور باسه والمضمضة بعصارته

رطبة تنفع من القلاع وهو ينفع الخفقان عن حرارة ودرهمان منها مع لسان الحمل ينفع نفث الدم وهو يمنع من القيء والجشاء الحامض بعد الطعام والاكثار منه يخلط الذهن ويظلم البصر ويجفف المني ويكسر الباءة ويصلحه سكنجبين السفرجلي (وأما البقل) فما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال البقل حلية الموائد وفيما رواه مكحول عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أحضروا موائدكم البقل فانها مطردة للشياطين وروى عن على رضي الله عنه أنه قال دخلت مع النبي صلى الله عليه وسلم الى حذيفة بن اليمان فتلقانا بنبات يقال له الباذروج فنظر اليه وقال أهلا بك من بقلة ما أطيب ريحك وأحسن منظرك فانك ان رياض الجنه ثم نظر الى الهندباء فقال يا لك من بقلة تهضم الطعام وتحي الفؤاد وتجلو عن الناظر (فائدة) منقولة من خط القاضي أمين الدين بن الانفي المالكي رحمه الله تعالى قال ذكر السويدي صاحب التذكرة ان الامام فخر الدين الرازي ذكر أنه من رأى الهلال أول ليلة وكان موجوع الضرس فقال نذرت لله أن لا آكل الهندباء ولا لحم الفرس سكن وجع ضرسه ذلك الشهر وقال ابن زهر في خواصه قال يوحنا بن ماسويه ان دق أصل الهندباء وضمد به لسعة العقرب سكن الوجع والبرىء منه اذا شرب ماؤه مع الشراب نفع من لدغ الافاعي وقال ابن النفيس في الموجز يابسه يابس في الاولى ورطبه رطب في الاولى يفتح سدد الاحشاء والعروق وفيه قبض صالح يقوي المعدة والكبد أما الحارة فشديد الموافقة لها وأما الباردة فبالخاصية وتنفع مع الخيارشنبر لاورام الحلق وتنفع الرمد وبياض العين (الكرفس) حار يابس يفتح السدد ويدر البول وهو نافع للمعدة ويبطئ بالهضم ولذلك يجب ان يقدم قبله طعاما يختلط به وهو يطيب النكهة ويحتاج الى أكله من يداخل السلطان ومن كان خدمته السر وقال ابن النفيس في الموجز حار في الاولى يابس في الثانية يحلل النفخ ويفتح السدد ويسكن الوجع ويطيب النكهة جدا ردىء للصرع تهيجه في المصروعين وينفع السعال والكبد والطحال والكلى والمثانة وينفع الاستسقاء وعسر البول وتفتت الحصاة وتضر الحبالى الادرارة ويهيج الباءة (النعنع) حار يابس وهو نافع من الفواق قال ابن زهر في الخواص ان جعل من ورق النعنع الثلث ومن ورق

الثمام السدس ومن حب القرع النصف وجعل في طعام واحد باسم آخر عمل فيه روحانية المحبة (الطرخون) في المنهاج قيل ان عاقرقرحا هو أصل الطرخون وهو جبلي وبستاني وأجوده البستاني وهو حار يابس في الثانية وفيه قوة مخدرة وقيل انه بارد وهو يجفف الرطوبات فاذا مضغ نفع من القلاع ويمضغ قبل شرب الادوية الكريهة وهو يقوي المعدة ويحدث وجع الحلق وهو عسر الهضم ويقطع شهوة الباءة ويعطش ويصلحه الكرفس (الفجل) من كتاب هاضم الطعام وبزره نافع من الفواق اذا أكل بالعسل واذا شدخ على عقرب ماتت وان شرب ماء ورقه نفع من اليرقان الحادث من الطحال (قلت) ومن منافعه ما جربته وصح انه اذا مضغ ووضع على العين المحمرة من لطم وكرر ذلك فانه يزيل الحمرة في الحال وقال ابن زهر في خواصه ورق الفجل معصورا يؤخذ ماؤه وشيء من نشادر فيلطخ به سلة الحاوي فتموت الحيات كلها وورقه يحد البصر وان سحق بزره مع كندس متساويين وطلي به البهق الاسود في الحمام بالماء الحار والخل أذهبه وان أخذ ماؤه وخلط بالخل والطين وطلي على لسعة الزنبور أبراها (وقال) جالينوس عصارة الفجل اذا اكتحل بها جلت البياض من العين واذا خلط ماء الفجل بماء الورد وسخن وقطر في الاذن أذهب عسر السمع والطنين منها وان دق ورقه وصفي ماؤه وأسعط به صاحب اليرقان رأيت عجبا (وقال) ارسطاطاليس مما يبيض الشعر مثقال من ورق الملوخيا والفجل ويعجن بمرارة الثور ويضمد به الشعر بالليل ويغسل بالنهار فانه يصير الاسود أبيض وان طلي الوجه بماء الفجل أذهب عنه النمش والكلف وان دخن بورقه في بيت هربت منه الهوام (قال) النور الاسعردي يهجو

أيا مطعما أصحابه اذ دعاهم * من الفجل في أوراقه غير ما يدري
وحقك ما أكرمتهم مذ لقيتهم * بجيش ضراط تحت راياته الخضر

(نادرة) كان أبو نواس يوما عند بعض اخوانه فخرجت عليه جارية بيضاء عليها ثياب خضر فلما رآها مسح عينيه وقال خيرا رأيته ان شاء الله قالت ما رأيت قال رأيت كأني راكب أشهب عليه ثياب خضر قالت له ان صدقت رؤياك استدخلت فجلة (الرشاد) قال ابن البيطار اذا شرب بالماء الحار حل القولنج وأخرج الديدان وحب القرع ان سحق نيأ وسف نفع من البرص وان لطخ عليه وعلى

البهق الابيض بالخل نفع منهما واذا خلط بالعسل ولعق منه نفع من السعال المتولد عن اخلاط غليظة واذا ضمدت به لسعة العقرب نفعها (زين الدين بن الوردى)

رب خولى بدا من * حبه وهو ينادى
من يمت فى وردخدى * أهده سبل الرشاد

(أنشدنى) الشيخ عزالدين الموصلى لنفسه ملغزا

ما اسم له أحرف ثلاث * تصحيفه جمعه بقل
عدتها فى الحساب سبع * وان ترد مثله فكمل
ان تجر ماالبه يكثر * وان تزد نقطة يقل
يدوى اذا الماء قل لكن * يصح جسما اذا يعل

(الباب الثلاثون فى الخوان والمائدة وما فيهما من كلام مقبول)

كنية الخوان أبو جامع لاجتماع الناس حوله قال الحريرى فى درة الغواص ويقولون لما يتخذ لتقديم الطعام عليه مائدة والصحيح أن يقال خوان الى أن يحضر الطعام عليه يسمى حينئذ مائدة يدل على ذلك ان الحوار يين حين سألوا عيسى عليه السلام بأن يستنزل لهم طعاما من السماء قالوا هل يستطيع ربك أن ينزل مائدة من السماء بينوا معنى اسم المائدة بقولهم نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا (قال الاصمعى) غدوت ذات يوم الى زيارة صديق لى فاستشرت بعض الاخلاء فقال ان كان لفائدة أو عائدة أو لمائدة والا فلا وقد اختلف فى تسميتها بذلك فقيل سميت به لانها تميد بما عليها أى تتحرك مأخوذ من قوله تعالى وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد بكم وقيل بل هى من ماد أى أعطى ومنه قول رؤبة بن العجاج الى أمير المؤمنين الممتاد أى المستعطى وكأنها تميد من حوالها مما أحضر عليها وقد أجاز بعضهم ان يقال فيها ميدة واستشهد عليه بقول الراجز

وميدة كثيرة الالوان * تصلح للجيران والاخوان

(وقال الكواشى) فى تفسير سورة المائدة ولما سأل الحواريون المائدة لعيسى عليه السلام لبس صوفا وبكى وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء الآية

فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين من فوقها وتحتها وهم ينظرون وهي تهوي منقضة
حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من
الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة ثم قال ليقم أحسنكم عملا
فليكشف عنها وليذكر اسم الله تعالى فقال له شمعون أنت أولى بذلك منا فقام
عيسى عليه السلام وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيرا وكشف المنديل
عنها وقال بسم الله خير الرازقين واذا هو سمكة مشوية ليس عليها فلوس
ولا شوك بها يسيل منها الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان
البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد زيتون وعلى الثاني عسل
وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون أمن
طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال عيسى ليس شيء مما ترون من طعام
الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكنه شيء افتعله الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتم
يمددكم الله ويرزقكم من فضله فقالوا يا روح الله كن أول من أكل منها
فقال معاذ الله ان آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها
فدعا لها أهل الفاقة والمرضى وقال كلوا من رزق الله ولكم الهناء ولغيركم
البلاء فأكلوا وصدروا وكانوا ألفا وثلاثمائة ما بين رجل وامرأة من فقير
ومريض وزمن ومبتلى واذا السمكة كهيئتها حين نزلت ثم طارت المائدة
صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت وما أكل منها مريض الا عوفي ولا فقير
الا استغنى وندم من لم يأكل منها فلبثت أربعين صباحا تنزل ضحى فيأكل منها
الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء حتى اذا فاء الفيء
طارت وهم ينظرون في ظلها وكانت تنزل كناقة صالح في الحلب فأوحى الله
الى عيسى عليه السلام أن اجعل مائدتي ورزقي في الفقراء دون الاغنياء فعظم
ذلك على الاغنياء حتى شكى الناس فقال أتريدون المائدة حقا تنزل من
السماء فأوحى الله تعالى اني شرطت أن من كفر بعد نزولها عذبته عذابا
لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك الآية فمسخ
منهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثين رجلا أصبحوا خنازير فلما رأى الناس ذلك بكوا
ورغبوا الى عيسى فلما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف بعيسى
وعيسى يدعوهم بأسمائهم يشيرون برؤسهم ويبكي ويبكون وهم لا يقدرون

على الكلام ثم هلكوا أجمعين وما أظرف قول ابن حجاج

يا ذاهبا فى داره جائيا * لغير لا معنى ولا فائده
قد جن أضيافك من جوعهم * فاقرأ عليهم سورة المائده

(قلت) الشئ بالشئ يذكر أنشدنى الشيخ المحدث الرحلة الفاضل المفتن الرحال صلاح الدين خليل الاقفهسى نزيل دمشق المحروسه قال أنشدنى الشيخ العارف المحقق المسلك الحكيم برهان الدين ابراهيم الغزى الشهير بابن زقاعة أعاد الله من بركاته من لفظه لنفسه

لما مرضت أرسلت * لى صلة وعائده
لعلمها انى فتى * أهوى النساء والمائده
جارية وسكرا * للاكل والمشاهده

(وقال) الشيخ برهان الدين القيراطى

أميل لاغصان القدود صبابة * وان هى زادتنى جفا وتباعدا
ويعجبنى بين الانام تطفلى * عليها اذا شاهدتهن موائدا

(رجع) قال حاتم الطائى لغلامه قدم الينا مائدة تباعد ما بين أنفاسنا (قال) هدبة بن خالد حضرت أمير المؤمنين فلما رفعت المائدة جعلت ألتقط ما فى الارض فنظر الى المأمون وقال أما شبعت يا شيخ قلت بلى يا أمير المؤمنين انما شبعت فى فنائك وفى كنفك ولكن حدثنى حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أكل من تحت مائدته أمن من الفقر فنظر المأمون الى خادم واقف بين يديه فأشار اليه فما شعرت حتى جاءنى ومعه منديل فيه ألف دينار فناولنى فقلت يا أمير المؤمنين وهذا من ذاك وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما من أكل ما سقط من الخوان رزق أولادا كانوا صباحا وينبغى أن يصرف عن المائدة السنور والكلب وذو العيون الرديئة من الغلمان ومن يعلم منه الشره أو يشبعوا قبل احضارهم الطعام (قال) النبى صلى الله عليه وسلم من أكل وذو عينين ينظر اليه ولم يواسه ابتلى بداء لا دواء له قال التيفاشى فى سرور النفس حدثنى من حدثه بعض التجار الذين كانوا يردون الى خدام القصر فأضافنى فى حجرة له متصلة بالقصر فلما حضرت المائدة كان بين أيدينا سنانير كثيرة فعندما شاهدوا المائدة وضعت لم يبق

عندنا منها واحد ومرت كلها خارجة من المجلس دون طارد يطردها فعجبت من ذلك كل العجب فلما انقضى الطعام أحببت ان أعرف العلة في ذلك فسألت الخادم فاخذ بيدي وأدخلني الى بيت صغير فيه عدة أواني فيها طعام والسنانير مجتمعة عليه تأكله فقال عودناها اذا حضر الطعام أن تطرد الى هذا البيت ويعد لها طعام فيه فصارت عادة لها واتفق في أمر الكلب وحضوره بالمغرب واقعة عجيبة وذلك انه كان بمدينة من بلاد المغرب حمال يحمل في السوق فأتى من جملة ذات يوم فاشترى زلابية وهريسة في صحفة وصعد بها الى سطح السوق يأكلها فتبعه كلب فجلس ازاءه وهو يأكل فجعل كلما شال لقمة الى فيه يشيعها الكلب ببصره حتى يبتلعها الرجل ثم صار يرفع اللقمة ويومي بها الى الكلب على سبيل العبث به فيقرب الكلب منه فيأكل اللقمة ويزجره فلم يزل دأبه ذلك حتى بقيت لقمة واحدة فروغها في الدهن وأومى بها نحو الكلب ثم ألقاها في فمه فمضغها وابتلعها والكلب محدق نحوه فلما صارت اللقمة في حلقومه وثب عليه الكلب فاستل الحلقوم واللقمة فأكلهما وخر الرجل ميتا.

(عبد العزيز بن المهذب)

لله در غلام جاء يخدمنا * بسفرة من رفيع القطن قوراء
بدائر أزرق من حول دارتها * تحار فيه وفيها مقلة الرائي
كأنها روضة خضراء مزهرة * وحولها جدول من أزرق الماء

(ومن التحف النفيسة) ما ذكره القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه العجائب والطرف أنه أصاب عطية بن مرداس العلاوي لما ملك الرحبة في سنة اثنين وخمسين وأربعمائة وحاز ما كان ادخره أبو الحرث رسلان البساسيري من مال وغيره ومما كان وجده ببغداد من الخليفة الى جعفر عبد الله القائم ومن ذخائر بني العباس حين خلعه ونهب داره في سنة خمسين وأربعمائة وجد فيها مائدة فيروزج بحوافي مكللة بالجواهر لا قيمة لها ولا قدرا يعرف مما انتقل الى بني العباس من ذخائر الاكاسرة (كتب) البرهان الغزولي النحوي السكندري صحبة ملاعق أهداها للصاحب زين الدين بن الزبير.

لما بعدتم وكاد اليأس يقصدنا * من نيلكم ودنت منا أمانينا
تناعلى سغب الآمال في ظمأ * والشوق ينشرنا طورا ويطوينا

ثم استثنينا تحيات السلام عسى * تعود منكم تحيات فتحيينا
وقد بعثنا إليكم مملوءة قبلا * مثل الايادى التى أعيت أياديناا
مستطعمات طعاما من مطاعمنا * وافتكم بلسان الحال تحكينا

(ومما يكتب على سفرة الأكل)

ألا كل هنيئا ولا تحتشم * فما الاحتشام فعال الكرم
فما الجود والفضل إلا لمن * تفضل الينا بنقل القدم

(الخبز وما ورد فيه) قال ابن عباس رضى الله عنهما أكرموا الخبز قيل وما اكرام الخبز قال لا تنتظروا به الادم اذا وجدتم الخبز كلوه حتى تؤتوا بغيره قال أبو محمد بن خلاد كان الحسن بن رجاء يقول السميد طعام الملوك والحوارى طعام الخواص والخشكار طعام العامة والشعير طعام الزهاد وكان حميد لا تخلو مائدته من مائة رغيف سميد فى كل رغيف رطلان وكان خبزه موصوفا ببغداد كأنه المرآة المجلوة بياضا وحسنا وربما يرى فيه شعر اللحية لشدة بياضه قال أحمد بن أبى داود قال لى الواثق يوما ما جمال الموائد فقلت يا أمير المؤمنين كان يقال جمالها كثرة الخبز عليها فقال أصبت وأحسنت فاذا اختلفت الالوان وكان الخبز كثيرا شهد لصاحبها بالشرف (قال) الاصمعى كان الرشيد يأكل يومين متواليين خبز السميد والثالث الحوارى والرابع الخشكار والخامس والسادس خبز الارز النقى من خبز التنور وكان يقول الارز غذاء صحيح قال بعض الاطباء الخشكار فيه بعض الحرارة وهو أسرع انحدارا من المعدة لاجل النخالة التى فيه لان فيه جلاء للمعى وهو يولد الحكة وأكله بالادام الدهن يدفع ضرره والخبز المختمر أجود الخبز وأوفقه وأمراه والفطير بطىء الانهضام يولد الرياح وخبز التنور أغذا وأنفع والخبز المملوك وخبز الطابق ثقيلان ضاران والخبز السميد المعتدل الخبز يخصب الجسم ويحدد السدد وأكله بالاسفيدباجات والطباهجات المالحة يصلحه وكان جبريل بن بختيشوع لا يؤثر على الحوارى شيأ ويقول هو الواسطة (وروى) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال هو خبز البر وماء القراح والظل (قال) العتبى عن أبيه قال خرج أبو سفيان فى جماعة من قريش وثقيف يريدون بلاد كسرى بتجارة لهم فلما ساروا قال أبو سفيان انا لعلى خطر من قدومنا على

ملك لم يأذن لنا بالقدوم عليه فأيكم يذهب بالعير فان أصيب فعليناديته وان يعم فله نصف الربح فقال غيلان بن سلمة الثقفي أنا أمضي في العير وكان أبيض طويلا جعدا فلما وصل ديار الملك لبس ثوبين أصفرين وشهر نفسه وقعد بالباب حتى أذن له فدخل على الملك وهو جالس في شباك ذهب فقال له الترجمان يقول لك الملك ما أدخلك بلادي بغير اذني فقال لست من أهل عداوة الملك ولم آتك جاسوسا وانما حملت تجارة فان أرادها فهي له قال فبيناهو يكلمه اذ سمع صوتا فخر ساجدا فقال له الترجمان يقول لك الملك ما أسجدك فقال سمعت صوتا مرتفعا حيث لا ترتفع الاصوات فظننته صوت الملك فسجدت قال فشكر الملك ذلك له وأمر له بمرقعة توضع تحته فرأى فيها صورة الملك فوضعها على رأسه فقال الحاجب الملك يقول لك انما بعثناها لك لتجلس عليها فقال قد علمت ولكن رأيتها وعليها صورة الملك فوضعتها على أعظم أعضائي فقال له الملك ما طعامك في بلادك قال خبز البر قال هذا عقل الخبز ثم اشترى منه التجارة باضعاف ثمنها ورجع في أمن وسلامة (أبو الحسين الجزار في الخبز)

قسما بلوح الخبز عند خروجه * من فرنه وله الفداة تجار
ورغائف منه تروقك وهي في * صحف الثقال كأنها أقمار
من كل مصقول السوالف أحمر الـ * ـخدين للشونيز فيه عذار
وكأن باطنه بكفك درهم * وكأن ظاهر لونه دينار
كالفضة البيضاء لكن يغتدي * ذهبا اذا قويت عليه النار

(وقال) ابن الرومي في الرقاق

لا أنس لا أنس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة * في صفحة الما تلقي فيه بالحجر

(وله) في الزلابيه

يلقي العجين جينا من أصابعه * فتستحيل شبابيكا من الذهب

(المأموني) في الكماج

عندي للأكل اذا ما * قمت للتسحر
ملتوتة بسمنها * وسمسم مقشر

مثل البدور الطالعا * ت في شطور الانهر
أو وجه الترك اذا * اثر فيها الجدر

(وقال) بعضهم وأجاد

خبز شعير بغير ادم * عند فقير من الكرام
ألذ عندي من ألف لون * عند غني من اللئام

(وقال) مجير الدين بن تميم

وكأن أرغفة الخوان وحولها * بقل تهش اليه نفس الآكل
وجنات غيد صففت وجوهها * يبدو بها خط العذار الباقل

(غريبة) ذكرها الحافظ العلامة المؤرخ عماد الدين بن كثير في تاريخه في ترجمة الوليد بن عبد الملك ورواها الحافظ بن عساكر باسناد رجاله كلهم ثقات عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبيه قال خرج الوليد بن عبد الملك يوما من الباب الاصغر فرأى رجلا عند المأذنة الشرقية يأكل فوقف عليه فاذا هو يأكل خبزا وترابا فقال له ما يحملك على هذا قال القنوع يا أمير المؤمنين فذهب الى مجلسه ثم استدعى به فقال ان لك لشأنا فأخبرني به والا ضربت الذي فيه عيناك فقال نعم يا أمير المؤمنين كنت رجلا جمالا فبينما أنا أسير من مرج الصفر قاصدا الكسوة اذ رزمني البول فعدلت الى خربة لابول فاذا سرب فحفرته فاذا مال صبيب فملأت منه غرائري ثم انطلقت أقود برواحلي واذا بمخلاة فيها طعام فألقيته منها وقلت اني سآتي الكسوة ورجعت لاملئ تلك المخلاة فلم أهتد الى المكان بعد الجهد في الطلب ثم رجعت الى الرواحل فلم أجدها ولم أجد الطعام فآليت على نفسي ان لا آكل الا خبزا وترابا قال فهل لك عيال قلت نعم ففرض لهم في بيت المال قال ابن جابر وبلغنا أن الرواحل سارت حتى أتت بيت المال فتسلمها خازنه فوضعها في بيت المال

(الباب الحادي والثلاثون في الوكيرة والاطعمة المشتهاه)

الوكيرة طعام البناء كان الرجل اذا فرغ من بنائه يطعم أصحابه يتبرك بذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الوليمة في أربع في عرس أو خرس أو اعذار أو توكير قال الشاعر

خبز طعام تشهد العشيره * الخرس والاعذار والوكيره

(قال) الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله في شرح مسلم في كتاب النكاح قال أصحابنا وغيرهم الضيافات ثمانية أنواع الوليمة للعرس والخرس بضم الخاء المعجمة للولادة وقيل فيه الخرص بالصاد المهملة أيضا والاعذار بكسر الهمزة والعين المهملة والذال المعجمة للختان والوكيرة للبناء والنقيعة لقدوم المسافر يصنع الطعام وقيل يصنعه غيره والعقيقة يوم سابع الولادة والوضيمة بفتح الواو وكسر الضاد المعجمة الطعام عند المصيبة والمأدبة بضم الدال المهملة الطعام المتخذ ضيافة بلا سبب قال صاحب زبدة الفكره في تاريخ الهجره ولما تكامل بناء القصر الابلق الذي أنشأه السلطان الملك الناصر لسكناه بقلعة الجبل المحروسة عمل وليمة عظيمة حضرها الغني والفقير من كبير وصغير وخلع على الامراء التشاريف على قدر مراتبهم وأنعم عليهم بالبذل من الاموال وكانت عدة الخلع التي خلعت ألفي خلعة وخمسمائة والمال المطلق مائة ألف دينار من العين المصري وذلك سنة أربع عشرة وسبعمائه (وقرأت) في بعض المجاميع الادبية ان الفتح بن أبي حصينة المغربي رحمه الله امتدح نصر بن صالح بحلب فقال له تمن فقال أتمنى ان أكون أميرا فجعله أميرا بحلب مع الامراء ويخاطب بالامير وقربه وصار يحضر في مجلسه في جلة الامراء ثم وهبه أرضا بحلب قبلي حمام الواساني فعمرها دارا وزخرفها وقرنصها وتمم بنيانها وكمل زخارفها ونقش على دائر الدرابزين

دار بنيناها وعشنا بها * في نعمة من آل مرداس
قوم محوا بؤسي ولم يتركوا * علي للايام من باس
قل لبني الدنيا ألا هكذا * فليصنع الناس مع الناس

(قال) فلما انتهى العمل بالدار عمل دعوة وأحضر نصر بن صالح بن مرداس فلما أكل الطعام رأى الدار وحسنها وحسن بنيانها ونقوشها ورأى الابيات وقرأها فقال يا أمير كم خسرت على هذه الدار فقال والله يا مولاي ما للمملوك علم بل هذا الرجل ولي عمارتها فلما حضر المعمار قال كم لحقك غرامة على بناء هذه الدار فقال المعمار غرمنا ألفي دينار مصرية فأحضر من ساعته ألفي دينار مصرية وثوبا أطلس وعمامة مذهبة وحصانا بطوق ذهب وسرج

ذهب

ذهب ودفع ذلك جميعه الى الامير أبي الفتح وقال له

قل لبني الدنيا ألا هكذا * فليصنع الناس مع الناس

(قلت) وما أحسن ما ضمن هذا البيت سيدي القاضي شهاب الدين بن حجر يمدح سيدنا ومولانا بدر الدين محمد بن الدماميني المالكي رحمهما الله

نسيت أن أمدح بدر العلى * فلم يدع برى وايناس
قل لبني الدنيا ألا هكذا * فليصنع الناس مع الناس

(حكي) ان ابن البطريق واسمه علي حضر عند ابن السراج بن البجلي ناظر دار الضرب والجيش في بغداد في وليمة عملها لاجل دار عمرها فلما خرج من عنده اجتمع بالوزير نصير الدين أحمد بن الناقدي فسأله أين كنت قال في وليمة ابن البجلي فقال الوزير قيل لي ان داره مليحة فقال نعم وقد عملت فيها

دار السراج مليحه * فيها تصاوير ممكنه
تحكي كتاب كليله * فتى أراها وهي دمنه

الدعوات المشهورة دخول عبد الله بن المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل وكانت النفقة في يوم ملاكها وعرسها (قال) ابن عبدوس في سنة عشرة ومائتين ثمانية وثلاثين ألف ألف درهم وقيل خمسين ألف ألف درهم وكان يجري في كل يوم في جملة الجرايات على ستة وثلاثين ألف ملاح ووصل المأمون في قواده وحشمه ووهب لاخيها ألف ألف درهم وكساه وأقطعه فم الصلح وكانت عليه ثمانين ألف دينار في السنة وبلغت نفقة أبيها في هذه الوليمة أربعين ألف ألف درهم وبلغت نفقة الحسن بن سهل على قواد المأمون وحملتهم فأوصلهم وخلع على الخاصة خلعا قيمتها سبعون ألف ألف درهم وجليت بوران على المأمون وقد فرش لها حصير من الذهب وجاءت جدة بوران بمكيل من الذهب مرصع بالدر والجوهر فيه در كبار فنثر على من حضر من النساء وفيهن أم جعفر وحمدونة بنت الرشيد وغيرهما فلم يمسسن منه شيأ فقال المأمون شرفن أم محمد وأكرمنها فمدت كل واحدة يدها وأخذت حبة وبقي سائر الدر يتدحرج على حصير الذهب فقال المأمون قاتل الله ابن هانئ كأنه رأى ما نحن فيه حيث قال

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

ونثرت أم الفضل بن سهل جدة بوران عليها يوم دخل بها المأمون ألف درهم

فى صينية ذهب وأوقد فى تلك الليلة على المأمون شمعة عنبر وزنها أربعون منا ونثر فى ملا كها كل شئ له قدر من الكراع والرقيق والكسى والصياغات والطيب والضياع والعقار والجواهر والدنانير والدراهم وكانت أسماء كل هذا مثبتة فى رقاع وتلقى فمن التقط رقعة مضى الى الخازن الذى لذلك الصنف فأخذه منه وكان للحسن بن سهل أربعون بغلا مرتبة لحمل الحطب تصرف كل يوم عدة دفعات أقامت تنقل سنة كاملة ولم يكفهم حتى قطعوا سعف النخل رطبا وصبوا عليه الدهن والزيت وأوقدوه (وحكى) القاضى شهاب الدين بن فضل الله العمرى فى كتابه مسالك الابصار فى ممالك الامصار فى ترجمة الآمر بأحكام الله أبى على المنصور فى المجلد الرابع والعشرين منه ان الآمر بالله بيناهو فى موكبه قبلى بركة الحبش اذ تقدمهم فمر برجل على باب بستان له وحوله عبيد وموال له فاستسقاه ماء فسقاه فلما شرب قال يا أمير المؤمنين قد أطمعتنى فى السؤال فان رأى أن يكرمنى بنزوله لاضيفه فقال و يحك معى الموكب فقال وأولئك يا أمير المؤمنين فنزل فأخرج الرجل مائة بساط ومائة نطع ومائة وسادة ومائة طبق فاكهة ومائة جام حلوى ومائة زبدية أشربة سكرية كلها فبهت الآمر وقال أيها الرجل خبرك عجيب فهل علمت بهذا فأعددت له فقال لا والله يا أمير المؤمنين وانما أنا رجل تاجر من رعيتك لى مائة حظية فلما أكرمنى أمير المؤمنين بنزوله عندى أخذت من كل واحدة شيأ من فرشها و بعض أكلها وشربها ولكل واحدة فى كل يوم طبق فاكهة وطبق طعام وطبق بوارد وجام حلوى وزبدية شراب فسجد الآمر شكرا لله وقال الحمد لله الذى جعل فى رعايانا من يسع حاله هذا ثم أمر له بما فى بيت المال من الدراهم ضرب تلك السنة فكان ثلاثة آلاف ألف وسبعمائة ألف ثم لم يركب حتى أحضرها وأعطاها للرجل وقال استعن بهذه على حالك ومروءتك ثم ركب وانصرف (ولما) زوج الحجاج محمد بن الحجاج قال لاصنعن طعاما لم يسبقنى اليه الاولون ولا يدركه الآخرون فقيل له لو بعثت الى المدائن فسألت كيف صنع كسرى فتعمل على مثال ذلك فأرسل الى بعض من أدرك ذلك فقال أخبرنى عن الطعام الذى صنعه كسرى فقال ما أكثر ما كان يصنعه من الطيبات قال أطيبه قال حين تزوج هندا بنة بهرام كتب الى عماله فى الآفاق

ليقدم على كل رجل منكم ويخاب والى شرطته على بلاده فرأى عنده اثنى عشر ألفا فاطعمهم فى ثلاثة أيام كل يوم ألف خوان يقعدون على بسط الديباج المنسوجة بالذهب وكلما أكلوا أتى كل واحد منهم بمثقال مسك فيغسل يده به فلما قاموا بعث بتلك الآنية والبسط فقسمت عليهم فقال الحجاج أفسدت على لعنك الله اذهبوا فاشتروا الجزر فانحروها فى مربعات واسط وكان قد أمر بالنداء بالحضور فحضرها الناس وذلك فى أشد الحر وكثرة الذباب فاستغنى أهل الدعوة عن المراوح ولم يجد واذبابة واحدة وكان قد عمد الى المرافق التى فى المجالس فنصب فيها أحجار الثلج وكانت الريح تفضى اليها من باذهنجات فيخرج نسيمها الى المجالس والصحون وسئل عن عدم الذباب فقيل انه اشترى قبل الدعوة من دور الجيران ما يمكن شراؤه واستعار الباقى وطلى حيطانها بعسل قصب السكر فاشتغل الذباب به وانقطع عن داره فلما انقضت أيام الدعوة ردت جميع الدور لى أربابها * وعلى ذكر الذباب فلا بأس بايراد نكتة غريبه وموعظة عجيبه وهى أن الحاكم الذى كان خليفة بمصر وادّعى أنه من ولد فاطمة رضوان الله عليهما وبنى المسجد الجامع بالقاهرة المعزية المجاور لباب الفتوح فسد حاله فى آخر أمره وادّعى الالهية وكتب بسم الحاكم الرحمن الرحيم وجمع الناس للايمان به وبذل لهم نفائس الاموال وأن ذلك كان فى فصل الصيف والذباب يتراكم على الحاكم والخدام تدفع الذباب ولا يندفع فقرأ بعض القراء وكان حسن الصوت يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره فاضطرب الحاضرون بسماع هذه الآية حتى كأن الله تعالى أنزلها تكذيبا للحاكم فى دعوى الالهية وسقط الحاكم من على سريره خوفا من أن يقتل وولى هاربا وأخذ فى استجلاب ذلك الرجل الى ان طمنه وسيره فى صورة رسول الى بعض الجزائر وأمر الربان أن لا يسير به غير ثلاثة أيام ويغرقه فلما غرق رؤى فى المنام فقيل له ما وجدت فقال ما قصر معى الربان أرسى بى على باب الجنة (رجوع) ومن الهمم الملوكيه والنخوة العربيه والنفس الادبيه ما ذكره الثعالبى فى كتابه لطائف المعارف عن جميلة بنت ناصر الدولة أبى محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان أنها حجت

سنة ست وستين وثلاثمائة فصار عام حجها مثلا وتاريخا وذلك انها أقامت من المروءة وفرقت الاموال وأظهرت من المحاسن ونشرت من المكارم مالا يوصف بعضه عن زبيدة وغيرها من حاجات بيت الخلافة والملك ولا عن الخلفاء والملوك والحاجين وهو ما ذكره الثقات انها سقت جميع أهل الموسم السويق بالسكر الطبرزد والثلج وكانت استصحبت البقول المزروعة في مراكز الخزف على الجمال فضلا عما سواها وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين من رجالة الحاج ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار واستصبحت فيها شموع العنبر في مدة اقامتها بمكة وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتي أمة وأغنت المجاورين بالصلات الجزيلة وخلعت على طبقات الناس خمسين ألف ثوب وكان معها أربعمائة عمارية لا يدرى في أيتها هي ومن قصتها أنها لما رجعت الى بلدها الموصل وضرب الدهر ضرباته فكان من استيلاء عضد الدولة فناخسرو على أموالها وحصونها وممالك أهل بيتها ما كان حتى افضت بها الحال الى كل قلة وذل وتكشفت عن فقر مدقع وكان فناخسرو خطبها لنفسه فامتنعت من اجابته ترفعا عنه فاحتقدها عليها وحين وقعت في يده تشفى بها ومازال يعسف بها في المطالبة حتى عراها وهتكها ثم ألزمها أحد أمرين اما ان تصحح ما بقته ووقف عليها من المال واما أن تختلف الى دار القحاب فتكتسب فيها ما تؤديه من مال مصادرتها فلما ضاق بها الامر وأشرفت على الفضيحة انتهزت فرصة من غفلة المتوكلين بها وغرقت نفسها في دجلة رحمها الله تعالى ولا آخذها (ومن ظريف الاخبار) ان زوجة المحسن بن الفرات أرادت اعذار ابنها بعد قتل أبيه فتعذرت عليها النفقة فرأت المحسن في منامها فذكرت له ذلك فقال ان لي وديعة عند فلان الدين عشرة آلاف دينار فانتبهت وأخبرت بالقصة فسألوا الرجل فاعترف بها وحمل المال اليها (اتخذ) الحجاج وليمة اجتهد فيها واحتشد ثم قال لزاذان فروخ هل عمل كسرى مثلها فاستعفاه فأقسم عليه فقال أولم عبد عبد كسرى فأقام على رؤس الناس ألف وصيفة في يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج أف والله ما تركت فارس لمن بعدها شرفا (قلت) ذكرت بقوله أولم ما أنشدنيه من لفظه لنفسه سيدي المقر المجدي ابن مكانس

قال خلي لحبيبي صل فتى * فيك قد أضحى معنى مغرما

قال هل يوم ان واصلته * قال ان فاز بثغر أو لما

وأول من ضيف الضيف وأطعم المسكين وقص شاربه وقلم أظفاره واستحد واستاك ورأى الشيب وفرق شعره وتمضمض واستنثر واستنجى بالماء واختتن بالقدوم ولبس السراويل وأسس المحجوج أى بنى أساس البيت الحرام خليل الله ونبيه ورسوله أبونا ابراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام قيل ماخلا مضيفه الى يومناهذا من ضيف قط .وقيل له صلى الله عليه وسلم بما اتخذك الله خليلا قال بثلاث ماخيرت بين شيئين الا اخترت الذى لله على غيره وما اهتممت بما تكفل الله لى به ولا تعشيت الا مع ضيف ما أحسن قول صفوان ابن ادريس فيمن اسمه ابراهيم

اسمى من سن القرى رفقا بمن * يغنى عليك صبابة وغراما
أنا ضيف حبك فاصطنعنى انه * ضيف الهوى يستوجب الاكراما
أفنيت جسم الصب شوقا مثلما * أفنى سميك قبلك الاصناما
يازهرة سكنت بقلبى غضة * انى تبوأت الجحيم كماما
حتى كأن الحب قال لاضلعى * يانار كونى برداله وسلاما

وكان الحسن بن قحطبة مضيافا له مطبخان فى كل مطبخ سبعمائة تنور هكذا نقل عنه الزمخشرى (وحدث) عمر بن شبة قال كان الحجاج يطعم فى كل يوم على ألف مائدة على كل مائدة سمكة مشوية سمينة وجنب مشوى وساقيان يسقى أحدهما اللبن والآخر العسل وكان يطاف به على كرسى فيقول يا أهل الشام مزقوا الخبز الرقيق كيلا يعاد عليكم (وقال) الجاحظ كان كسرى ينصب فى كل يوم ألف مائدة على كل مائدة فخذ حمار وحش وبيضة نعامة ومن سائر الاصناف التى توجد فى البر والبحر والسهل والجبل حتى لا تخلو الموائد من سائر الاطعمة *وكان النبى صلى الله عليه وسلم يجيب الوليمة ويجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ولا يتأنق فى مأكل ويعصب على بطنه الحجر من الجوع وآتاه الله مفاتيح كنوز الارض فلم يقبلها واختار الآخرة وأكل الخبز بالخل وقال نعم الادم الخل وأكل لحم الدجاج ولحم الحبارى وكان يأكل ماوجده ولا يرد ما حضر ولا يتكلف مالم يحضر ولا يتورع عن مطعم حلال ان وجد تمرا دون خبز أكله وان وجد شواء أكله وان وجد خبز بر

أوشعيراً كله ولا يأكل متكئاً ولا على خوان لم يشبع من خبز بر ثلاثاً تباعاً قط حتى لقي الله عز وجل ايثاراً على نفسه لا فقراً ولا بخلاً وكان يحب الذراع من الشاة والدباء وأكل خبز الشعير بالتمر والبطيخ بالرطب والقثاء بالرطب والتمر بالزبد وكان يحب الحلوى والعسل وكان يشرب قاعداً وربما شرب قائماً وتنفس ثلاثاً منفياً للاناء ويبدأ بمن عن يمينه اذا سقاه ويشرب لبناً وقال من أطعمه الله طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيراً منه ومن سقاه الله لبناً فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه واذا رفع الطعام من بين يديه قال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن (قال) بعض الكرماء من ألطاف الله تعالى بالكريم أنه سامح المسافر بالفطر في رمضان فلولا ذلك لخجل الكريم اذ يمر عليه ضيف فيعتذر من أكل طعامه بالصوم وأين هذا من قول بعض البخلاء وقد سئل ما الفرج بعد الشدة فقال ان تدعوا الضيف فيعتذر بالصوم (وكان) معن بن زائدة اذا أراد أحد من غلمانه ان يرضى عليه بعد الغضب الشديد بادر الى شئ من طعامه فوضعه في فيه بحضوره (ووقفت) في أخبار عمارة الشاعر اليمني قال كنت هجوت ابن دخان وهو يومئذ صاحب ديوان الدست فشكاني الى السلطان شاور فأعرض عنه ثم شكاني ثانية فأعرض عنه ثم شكاني ثالثة فالتفت اليه وهو محرج وقال له ما تستحي من أن تشتكي الى رجلاً يأكل معي على طعامي في يوم وليلة قال عمارة فلم أشعر الا وقد حضر ابن دخان الى داري ليلاً وحمل الى دابتي الى آخر السنة (وحكى) بعضهم قال كنا عند الشيخ الزاهد الورع أبي العباس بن تامتيت نفع الله به فقدم لنا طعاماً فأكلنا فقال بعض الجماعة ياسيدي قد أسأنا الادب وأكلنا بغير اذن فقال الشيخ فاذن لاترفع يدك الا باذن (نادرة) قيل نزل ضيف على بخيل في ليلة وكان جائعاً فقدم له طعاماً فأتى على آخره ولم يغادر منه شيأ فخاف البخيل أن لا يبيت الضيف عنده فقال الضيف يا أخي اصبر على الى الفجر فقال لا وليال عشر فقال أما سمعت أن الضيافة ثلاث فقال البخيل لا وحق الواحد لا يبيت عندي ثلاثاً من يأكل بالخمس ولو كان له فضل من أوتي تسع آيات بينات وحسن من سجد له أحد عشر كوكباً فخرج الضيف وقال كيف جمع زوج الشكلي هذه الافراد على الترتيب (كان) لعبد الله بن جدعان جفنة يأكل منها

الطعام القائم والراكب فوقع صبي فيها فغرق فمات (وذكر) ان عطية بن صالح بن مرداس طبخ في بعض ولائمه تسعمائة خروف مصرية سوى ما طبخ من الالوان (قال) على بن الاعرابي قال الحجاج لرجل يوما وهو على خوانه وكان عليلا ارفق بيدك فأجابه على الفور وأنت يا حجاج فاغضض بصرك فقال له ان هذا الجواب المسكت (اعرابي) مما يزيد في طيب الطعام مؤاكلة الكريم الودود (حث) رجل رجلا على الاكل من طعامه فقال عليك بتقريب الطعام وعلينا تأديب الاجسام (وقال) على كرم الله وجهه اذا طرقك اخوانك فلا تدخر عنهم ما في المنزل ولا تتكلف ما وراء الباب واذا طرقت فما حضر واذا دعوت فلا تذر (قيل) لحكيم أى الاوقات أحمد للاكل قال أما من قدر فاذا اشتهى وأما من لم يقدر فاذا وجد (وقال) جعفر بن محمد تبين محبة الرجل لاخيه بجودة أكله في منزله (نزل) الشافعي بمالك رضى الله عنهما فصب بنفسه الماء على يده وقال لا يرعك مني ما رأيت فان خدمة الضيف فرض (وكان) الشافعي رضى الله عنه نازلا بالزعفراني ببغداد فكان يرقم كل يوم في رقعة ما يطبخ من الالوان ويدفعها الى الجارية فأخذها الشافعي يوما وألحق لونا آخر فعرف ذلك الزعفراني فأعتق الجارية سرورا بذلك (نادرة) روى عن أبي العباس المبرد فقال ضاف رجل قوما فكرهوه فقال الرجل لامرأته كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه عندنا فقالت الق بيننا شرا حتى نتحاكم اليه ففعلا وقالت المرأة بالذى يبارك لك في غدوك غدا أينا أظلم فقال والذى يبارك لى في مقامى عندكم شهرا ما أعلم (قيل) ويقبح على الكريم ان يغتاظ على غلمانه بحضور ضيوفه وكذلك اذا أبطأ طباخه بالطعام (حكى) ان بعض قواد طولون حضر سماطه يوما وعليه قباء منزل بفضة فجاء بعض غلمانه محلا فانكب على القباء من الطعام فما ظن أحد منا انه يحييه ففهم تخوف الغلام وانقباض الجماعة فرفع طرفه الى الغلام وقال يا شيطان قد فهمت غرضك لاشك انك استحسنت القباء اذهب به فهو لك فسر الغلام وجميع من حضر (نادرة) قيل لبنان الطفيلى كم عدد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال ثلثمائة وثلاثة عشر رغيفا وكان نقش خاتمه مالكم لا تأكلون (ونظر) طفيلى الى قوم ذاهبين فلم يشك انهم يذهبون الى وليمة فقام وتبعهم واذا هم شعراء قد قصدوا دار السلطان بمدايح

لهم فلما أنشد كل واحد منهم شعره وأخذ جائزته لم يبق الا الطفيلي وهو جالس ساكت فقيل له انشد أنت فقال لست شاعرا قيل فمن أنت قال من الغاوين الذين قال الله تعالى فيهم والشعراء يتبعهم الغاوون فضحك السلطان وأمر له بمثل جائزة الشعراء (كان) مسلم بن قتيبة لا يجلس لحوايج الناس حتى يشبع من الطيب من الطعام ويروى من بارد الماء ويقول ان الجائع ضيق الصدر فقير النفس والشبعان متسع الصدر غني النفس (وقال) ابن الاعرابي كان المحسن الضبي في الشرف من العطاء وكان ذميما فقال له زياد ذات يوم كم عيالك قال تسع بنات قال فأين هن منك قال أنا أحسن منهن وهن آكل مني فضحك وأمر له بأربعة آلاف دينار (وكتب) كسرى أنوشروان باللؤلؤ على مائدة من الذهب ليهنه طعام من أكله من حله وجاد على ذوي الحاجة من فضله ما أكلته وأنت تشتهيه فقد أكلته وما أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك (نادرة) حكى الهيثم ابن عدي قال ماشيت أبا حنيفة في نفر من أصحابه الى عيادة مريض من أهل الكوفة وكان مبخلا وتواصينا على انا نعرض بالغداء فلما دخلنا وقضينا حق العيادة قال أحدنا ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع وقال آخر وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وقال آخر آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال فغطى المريض وقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج فغمز أبو حنيفة أصحابه وقال قوموا فالكم هنا من فرج (كان) بعض مفاليس الكتاب في دعوة فلما أخذت الكاس منه قال لهم أنتم عندي غدا فلما اصبح حدثه غلامه مابدا منه فسقط في يده وأخذ يعنف غلامه كيف يزيد في افلاسه وسوء حاله والغلام يعتذر عن ذلك باشفاقه من عربدته لو اطلعهم على ذلك اذ دق القوم الباب فقال لغلامه علي بالدواة والقرطاس وكتب اليهم ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي فلما قرؤوا رقعته عرفوا عذره وتفرقوا عنه (نادرة أيضا) قيل تغدى رجل مع بعض الرؤساء فقدم اليه جديا فجعل يمعن فيه فقال له الرئيس انك لتمزقه حتى كأن أباه نطحك فقال له وأنت تشفق عليه حتى كأن أمه قد أرضعتك فخجل وانقطع (عمر بن هبيرة) عليكم

[illegible]

بمباكرة الغداء فان فى مباكرته ثلاث خصال يطيب النكهه ويطفئ المره ويعين على المروءه قيل ما اعانته على المروءه قال ان لا تتوق النفس الى طعام غيرك

(فصل) فى الاطعمة المشهورة ومضارها ومنافعها (السكباج) حارة معتدلة الرطوبة تنفع الكبد الصفراوية وتولد دما صالحا وتقوى الشهوة وتحبس البطن وهى بلحم البقر نافعة لمن يتحدر الى معدته مرارة كثيرة وقال بعضهم السكباج فى المطبخ بمنزلة الفالوذج فى الحلوى وقال الصولى كان بعض الصوفية يقول أول من عمل السكباج آدم ولذلك استوى فى استطابتها الملوك ولده وسوقتهم وكنيتها أم القرى لان طعامها من أجل الاطعمة وأم الشئ معظمه وجليله وأم القرآن الحمد وأم القرى مكة وأم الشئ أجله (المدققات) حارة رطبة مخصبة للبدن تولد دما معتدلا يحتاج لمن ضاق عليه الاستغراق بالجماع وعرض له من الاحداث النفسانية ما يبطئ الهضم عليه كالهم والفزع والغم لان جوهر اللحم انحل أكثره فى المرق ولهذا الحال يخف على الهضم وهى من أطعمة المخمور صالحة لهم جدا (الرخبة) حارة رطبة تزيد فى الباءة تولد غداء كثيرا وهى مضرة بالصفراء مكروهة لمن يعتاده الغشيان ولاصحاب المعدة الحارة لتعطينها وأكلها مع الحوامض صالح وهو غداء شهى موافق لاهل الرياضة والقوة وكثرة البيض فيها صالحة وهى من الالوان المأثورة الموصوفة (الجزورية) حارة رطبة تحرك الباءه وتدر البول وأصلح ما كانت باللحم السمين والخل والمرى والخردل (ابن سكرة) الهاشمى فى جزورية

أكلت بالامس جزورية * تخبر عن خسة أربابها

اللحم فيها أثر دارس * كأنما مر على بابها

(الحصرمية) باردة يابسة وأجودها ما عمل بالماء العتيق العذب والذى يعمل بالحصرم الطرى يولد رياحا بالمعدة لانه ثمرة نية لم تنضج ويختار فيها استعمال اللون المر لتعديل يبسها وتحسين منظرها (السماقيه) باردة يابسة أيضا (الرمانية) كذلك ولها فعل فى تقوية المعدة وينفعان من نزف الدم ومن أحب تعديل الطبع فيهما الاسفاناخ والسلق (التفاحية والريباسية) أيضا متناسبان فى البرد واليبس نافعان لاصحاب المزاج الصفراوى والاكباد الحارة

والمعدة الضعيفة يكرهان لاصحاب القولنج وهما مضرتان بالعصب والمفاصل والمثى والباءة (الزيرباج) معتدلة الحرارة نافعة الكبد تولد دما معتدلا وهى مسكنة لحدة الاخلاط مفرحة للقلب وللناس فيها مذاهب وأجدها السهلة المائعة الورسية وبعضهم يختارها ردعية بالزعفران خثرة جدا و بعضهم يتخيرها ساذجة بيضاء وهذه أقل حرارة (المضيرة) باردة معتدلة الرطوبة قامعة للصفراء تولد غداء بلغميا واستعمال حلوى العسل بعدها اصلح وهى من الالوان المستحبة المأثورة ويختار عملها بالافراخ الجليلة فانها أوفق لها من سائر اللحمان وللبصل فيها معنى خلاف سائر الطبيخ وكان بشار بن برد الاعمى يقول فيها ما أظن فى الطعام أطيب من بصلة مضيرة لانى ما سبقت البصر اليها قط ولا هم يؤثرونى بها ويستحب تقديمها فى الصحون الزرق أوما شاكلها وتكره لها الصحون البيض ويراه بعضهم قبيحا و يعده من سوء الاختيار وكان أبو هريرة رضى الله عنه تعجبه المضيرة جدا فيأكلها مع معاوية فاذا حضرت الصلاة صلى خلف على كرم الله وجهه فاذا قيل له فى ذلك شئ قال مضيرة معاوية أدسم والصلاة خلف على أفضل فقيل له شيخ المضيرة (حكى) ابن شكلة الكاتب صردر امتنع من حمل ما طلب منه واحتمل غليظ المكروه وكان يؤتى بطبق فيه طعام فرأى يوما مضيرة فى صحن أبيض هذا مالا يكون أبدا (القلايا) حارة معتدلة اليبس تختار للذين تجتمع فى معدتهم البلاغم لتقطيعها لاسيما اذا عملت بالابازير الحارة وهى باعثة للشهوة مهيجة لذوى النهمة (المهلبية) أول من اتخذها بنو المهلب فنسبت اليهم وهى من الالوان المستحسنة المستلذة تنفع لحفظ الصحة وأجدها منفعة السلسلة والانعقاد بالدجاج الحديث السمان والعسل الخالص الذهبي والسكر النقى وهى معتدلة الحرارة والرطوبة تغذو غذاء صالحا الا أنها مضرة بالصفراء وتدفع مضرتها بالحصرمية منه قبلها (الارز باللبن) قال محمد بن خلاد كان كثير من رؤساء العراق يقدمون فى أول الطعام الارز باللبن والسكر المنخول ثم يتبعونه ما شاؤا ايثارا له على غيره وكان الحسن بن سهل يفضله على كثير من المطعم ميلا الى رأى المأمون فيه وقال له انه يزيد فى العمر يا أمير المؤمنين قال من أين قلت هذا قال لان الاطباء زعموا ان الارز يولد أحلاما صحيحة فاذا صحت الاحلام فهى من زيادة النوم على اليقظة لان النوم موت واليقظة حياة

(الشوى) قال أبو عبيد العرب تقول الشوى رئيس الطعام قال ومر الفرزدق بالاحوص فقال له اقترح يا أبا فراس فقال شوى وطلى وغنا فقال ادخل فقد أعد لك والشوى حار رطب وأجوده المشوى على اسهل مثل شى الرؤس فان ذلك يكسبه فضل ترطيب ونضاج و يلطفه (الكباب) بفتح الكاف وهو اللحم المشروح وأجوده ماشرح اللحم شرايحا خفيفا ونثر عليه الملح ونصب له مقلى على النار بلادسم وطرح عليه وقلب من جنب الى جنب حتى ينضج ويحمر هذا هو الكباب الخالص بعينه وهو الذى كان يعمل ليحيى بن خالد ولولده وفيه يقول أبو الفتح البستى

عليك اذا أنجاب الدجى بكباب * وعقبه مرتاحا بكأس شراب
فلم يفتح الاقوام بابا الى المنى * كباب شراب أو كباب كباب

(الخبطية) تخصب الجسم وتغذوه وتزيد فى الباءة (الكشك) قال جالينوس أبوان كريمان انجبا الشيما (الططماج) عسر الهضم من أجل انه من خبز فطير فهو يزلق فى المعدة واصلاحه بالثوم و يؤكل معه النعنع و يشرب نبيذا صرفا قويا وعسلا مطبوخا بأفواه الا أن يكون محرورا فلا يحتاج الى ذلك (الملوخيا) غليظة لزجة باردة كثيرا الاكثار منها يضر بالمرطوبين والملغمين واصلاح ضررها أن تطبخ بلحوم الغزلان لخفته وحرارته أو من الحجل أو مع الفراخ النواهض أو الفراريج السمخسية فان لم يتفق فتلقى فيها الشرايح الجافة المدخنة أو التنورية عند نضوجها من التنور وكذلك الباذنجان المقلى يلقى عليها و يكمر ساعة ثم تؤكل وماء الليمون يلطف غلظها و يقطع لزوجتها ولا يصلحها اصلاحا تاما الا هو واذا قطع ورقها الاخضر ووضع على لسعة الزنبور نفعها وطبيخ ورقه ينفع حرق النار وفيها أكثر منافع الخطمى وهى فرع منه وذكر انها قديما لم يكن لها ذكر ولا قدر ولا تصريف فى مدينة ولا فى اقليم الا بعد ثلثمائة وستين سنة مضت من الهجرة النبوية بمصر خاصة وكان السبب فى ذلك أن المعز بانى القاهرة لما دخل مصر استوباها واختلف عليه الهواء الذى كان يعهده بافريقية ورطوبته لمجاورته البحر فأصابه يبس واستولت عليه أمراض حارة فتدبر له أطباء مصر قانونا من العلاج من جملته الغذاء بالملوخيا فوجد لها نفعا بينا فى التبريد والترطيب وأقلع عنه معظم

ما كان يجده من الاعراض الرديئة التى سببها اليبس والحرارة وأدمن أكلها فأبلى من مرضه ووقعت منه بموقع عظيم وأمر باصلاح حاله ولخواصه حتى سميت الملوكية وبلغ من اعتنائهم بها انهم كانوا يجففونها ويطبخونها مجففة السنة كلها وكان باكورها اذا دخل القصر يكون ذلك اليوم موسما عظيما ويعطى مهديها عطاء جزيلا

(ماورد من المنظوم والمنثور فى هذا الباب) كتب الشيخ جمال الدين بن نباتة يتشكر من بعض الرؤساء وقد أهدى له خروف شوى شكر الله احسان مولانا الذى وصل فأوصل الى القلب جبره والى الكف بره والى الفم كل شحمة كاهداب الدمقس المفتل وكل فلذة صفراء تسر ناظر المتأمل فما أحسن ماملأ ذلك الجود فمه وعينيه وتلقاه المملوك قائلا هذا الشرف الذى ينطح النجوم بروقيه لقد أربى تواتر هذا البر على مافى النفس ولقد جددت هذه الهدية فخرا حتى كأنما أهدى له حمل البروج على طبق الشمس ولقد آن ان ينثر من الدهر وتنتصف ولقد عرف رجاءه من أين يؤكل الكتف فانه الكرم الذى لايحيل الآمال على سوف والفضل الذى أضاف المملوك وآواه فأطعمه من جوع وآمنه من خوف لابرح مولانا يحيي مآثر آبائه الاولى ويقيم سنن قراهم التى هى على الدهر كالحلى ولازال يفتخر فيقول عزمه أنا طلاع الثنايا ويقول بشره أنا ابن جلا (وقال) ابن وكيع فيه

خروف لو أشار اليه وهم * تفطر جلده بالشحم يجرى

لباطنه قميص من لجين * تسربل فوقه بقميص تبر

وما أحسن ما كتب به ابن خروف النحوى الى ابن اللهيب وكان قد دعاه

دعانى ابن لهيب * دعاء غير نبيه

الى سرت يوما اليه * فر الذى فى أبيه

(نادرة) قدم الى أبى على الفارسى النحوى شوى غير نضيج فقال هذا لم تعمل فيه العوامل (قدم) الى الفاضل فى دعوة خروف شوى فقال هذا من البهائم التى علمت يريد قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم ماتعلمون من أمر الموت ما أكلتم منها سمينا (قيل) عن سليمان بن عبد الملك انه كان نهما على طعامه وانه كان يلف على يده بغاصل كمه ليتناول به الكلى من بطون الحملان وهى فى شدة

الحرارة ولا يمهل حتى تبرد وقد ذكر ذلك الاصمعى فى أيام الرشيد لما وجد سفط عليه ثياب مذهبة ثمينة وأكمامه مبتلة بالدهن فى ذخائر بنى أمية والقصة مشهورة (وصف) جحظة دعوة حضرها فقال أتينا برغفان كالبدور المنقطة بالنجوم وملح كالكافور السحيق وخل كذوب العقيق وبقل كاخضرار العذار وجدى من الفضة جسمه ومن الذهب قشره وجوفه وأرز مدفون فى السكر ثم جاءنا غلام بشراب ألذ من ذكره وأطيب من روحه وأصفى من وده وأرق من لطفه وأذكى من عرفه وأعذب من خلقه وأشهى من قربه (سيف الدين المشد فى دجاجة مشويه)

دجاجة صفراء من شيها * حمراء كالورد من الوهج
كأنها والجمر من تحتها * أترجة من فوق نارنج

وما أظرف قول الشيخ زين الدين بن الوردى

لى شهوتان أحب أجمعهما * لو كانت الشهوات مضمونه
أكباد عذالى مدققة * ومفاصل الرقباء مدفونه

(نادرة) مرض ابن تقلية المغنى وأشرف على الموت فجاء اليه ابن الصاحب يعوده فقال له أيش حال التقلية فقال ما أخوفنى تبقى مدفونه (وقال) كشاجم يصف مائدة وما عليها

ومن فراريج بماء الحصرم * تصلح للمحموم أو للمحتمى
قد شويت أكبادها ببيض * فهى كمثل نرجس بروض
وجاءنا فيها ببيض أحمر * كأنه العقيق مالم يكسر
حتى اذا أتى به مقشرا * أبرز من تحت العقيق الدررا
كأنه اذحاز أصناف الملح * اعاره تلوينه قوس قزح
وجاءنا براضع لم يعتلف * كأن قطنا بين جنبيه ندف
وجاءنا فيه بباذنجان * مثل قدود اكر الميدان
قد قارن الهليون بالمبازجه * تقارن الكراة بالصوالجه

(وقال) ابن القطاع فى البيض

اسمع عن البيض وصف مضطلع * بالوصف ماضى الجنان نحرير
بنادق التبر غشيت ورقا * أو مشمش فى صحاف كافور

(الوداعي)

تفضل فرمانيه العبد آيه * ومن حسنها يلتذ تكرارها القاري
فقد ذاب من طول انتظارك لحمها * وشوقا الى اقبالك ظلت على النار

(ابن تميم)

ولم أنس اذ بت ليلا هريسة * وبت لخوف النار أجل همها
فلما دنا الاصباح بادرت مسرعا * لا كشف من غمي وأكشف غمها
فصادفتها في حاجم النار قد عصت * على فلم أسطع من الحرش همها
وما أنا في شك بان لو بدا بها * فتور لغيظي كنت آكل لحمها

(السراج الوراق)

وأحمق أضيافنا بيقله * لنسبة بينهما ووصله
فمن أقل أدبا من سفله * قدم في وجه الضيوف رجله

(وله أيضا)

ومغمومات رؤس باكرتنا * تطيب شذى ولا طيب العروس
ونهنا لها اطماعى بليل * حكى لون المسوح على القسوس
فقمنا ماثلين له وقلنا * يقل لكم القيام على الرؤس

(وله)

أتيت أرجيه في حاجة * فلم تنبعث نفسه الجامده
وفتل في ذقنه والنفوس * تعاف المفتلة الباردة

(وقال بن نباتة)

ياسيدي عطماعلى عصبة * أفكارهم للقمح محميه
قد طبخت بالسوق أحشاؤهم * فيالها طبخة قمحيه

(كتب) الصلاح الصفدي الى ابن نباتة وقد كان أهدى له ابن نباتة بسلا

ظننت العبد عن مصر تسلا * فأهدى جودك الوافي بسلا
نعم قد أذكرتني عيش مصر * واقبالا من الدنيا تولى
طعاما فوقه لحم شهي * الى كل النفوس فكيف يقلى
ودهن فوقه قد صار صبا * تلظت ناره حتى تسلا

(المعمار في المجون)

وصاحب جئت الى داره * فلم أجد بالباب من يحرس
دخلت للدار على غفلة * وجدته متكئا ينعس
فقال ما تبغي فقلت القرا * منكم فانى جائع مفلس
فجادلى بالدهن من رأسه * وجادت المرأة بالكسكس

(مطاعم شهية وملاذ ملوكية) سأل الوزير أبو نصر بن أبي زيد أبا منصور بن سعيد ابن أحمد البريدى وكان من أبناء الامراء والسادة بالبصرة عما يحبه ويشتهيه ويختاره من أطايب الاطعمة الملوكية فقال قشور الدجج العتيقة المعمنة المشوية والسكباجة التمامة التي يجمع فيها بين لحم البقر والغنم ثم ينفى عنها لحم البقر وتحلى بالطبرزد وتطيب بالعنبر والهريسة بلحوم الحملان التى رضعت شهرين وربعت شهرين ومن اللحم المجذع والملبقة بالارز المدقوق والدهن بالسكر المسحوق المبخر بالند المشرب بالجلاب وماء الورد فقال يا أبا المنصور قد تحلب فى من هذا الوصف أشهد أنك من أبناء النعم والمروآت وأمر أن يلقيه على طباخه (ولما دخل الرشيد البصرة) فى سنة ست وتسعين ومائة زار جعفر بن سليمان بن على الهاشمى وكان يومئذ واليها فأحضر له جعفر بن سليمان على مائدته كل حار وبارد وأحضر ألبان الظباء وزبدها فاستطاب الرشيد طعومها فسأله عن ذلك فأمر بعض الغلمان فأطلق الظباء فتبعها أخشافها وعليها سملها حتى وقفت فى عرصة الدار تجاه عين الرشيد فلما رآها مفرطة مخصبة استفزه الفرح لذلك والتعجب حتى قال له جعفر يا أمير المؤمنين هذه الالبان واللبأ ورائب الزبد الذى بين أيدينا من هذه الظبية الفيتها وهى خشفان فتلاحقت وتلاقحت (نادرة) حضر الغاضرى عند بعض الرؤساء فقدم صحفة فيها أرز مطبوخ وقد قعر وسط الصحفة جلاب فأخذ الغاضرى الملعقه وخرق التقعير الى مايليه حتى اختلط بالارز فقال له صاحب المنزل أخرقتها لتغرق أهلها فقال بل سقناه لبلد ميت (وقال) ابن الجصاص الصوفى دخلت على أحمد بن روح الاهوازى فقال ما تقول فى صحفة أرز مطبوخ فيها نهر من سمن على حافتيها كثبان من السكر المنخول فدمعت عيناى فقال مالك قلت أبكى شوقا اليه جعلنا الله واياك من الواردين عليه بالغواصة والرداد تين فقال يا غلام قدمها فجاء بها تفور فقال لى ما الغواصة والرداد تين فقلت الغواصة الابهام والرداد تان

السبابة والوسطى فقال أحسنت بارك الله فيك (وكيفية الاكل) عند الظرفاء والادباء هو ان يقبض الانسان الخنصر والبنصر ويأكل باصابعه الثلاث وفي مذهب الظرفاء ان البنصر اذا أصابه الزفر فليس بظريف في الاكل اللهم الا في الثريد فان أكلها باربعة أصابع سوى الخنصر وقالوا الاكل على أربعة انحاء باصبع من المقت وباصبعين من الكبر وبثلاث من السنة وبخمس من الشره

(فصل) فيما يشهى المآكل قال بعضهم يصف سكردانا

وافى السكردان وفى * ضمنه مطبخات من فراريج
كأنه بدر قد رصعت * فيه ثريا من سكاريج

(وقال آخر في بحة)

وجاءتنا بجتها عجوز * لها في القلب حس أى حس
فلم أر قبل رؤيتها عجوزا * تصوغ من الكواكب عين شمس

(وقال) ابن تميم في لبأ وتمر

يا حبذا لبأ أتانا بكرة * يزهى لنا حسنا بانواع الرطب
فكأنما أهدى سماء فضة * قد أشرقت فيها النجوم من ذهب

(وقال) صفي الدين الحلي يطلب جبنا

شغفت عنكم فلم أطلب لمجلسنا * من المآكل شيأ غالي القيم
لكن أقصى مرادي من هديتكم * ما بالكرائم من لامية العجم

(يريد قول الطغراى)

قد زاد طيب أحاديث الكرام بها * ما بالكرائم من جبن ولا بخل

(وقال) صلاح الصفدي ملغزا في قريشة

أى شئ يروق للنفس أكلا * ذا بياض وأصله من حشيشه
خمسه أثقل الجمادات وزنا * فتعجب له وباقيه ريشه

(وقال) أبو الفرج الاصفهاني يصف بيضة

فيها بدائع صنعة ولطائف * ألفن بالتقدير والتلفيق
خلطان ماويان ما اختلطا على * شكل ومختلف المزاج رقيق
صنع تدل على حقيقة صانع * للخلق طرا ليس بالمخلوق

فساضها

فبياضها ورق وتبريجها * فى حق عاج بطنت بدبيق

(وقال) الشيخ جمال بن نباتة مقاضى ملوحة بدرب الحجاز يا مولانا ما كان الملوحة الا قد اتخذت سبيلها فى بحار السراب سربا أو تعلمت من تلك الهمة فاتخذت الى نهر المجرة سببا وجعل فضلها مقصورا على الاسماع وخلقت من الملائكة فلا يمكن على صورها الاطلاع ولا غرو فانها ذات أجنحة مثنى وثلاث ورباع وتوقفت من المنع والعطاء بين أمرين وحظيت من مولانا ومن الجناب الفخرى بمجمع البحرين وما أظن الظن ان يتفق هذا الظن هذا ولو انها من نسل حوت يونس عليه الصلاة والتسليم وان عظمها مما سبح فى بطن آكله الى يوم يحيى العظام وهى رميم وان بينها الذمن القرب بعد البين الطويل ورأيها أحسن من رأى عمرو بن العاص فى الامر الجليل وان قصها اللؤلؤية مما تنتظم فى السلوك وأذنابها المرجانية مما ترصعه فى تيجانها الملوك وعيونها الدرية هى التى دلت الخضر على عين الحياة فوردها وان بطونها الذهبية غنى من قصدها وعلى الجملة فقد سطر المملوك هذه الورقة ولقم الانتظار تزاحم القلم فى يده وأنامله المستعدة كالصنانير فى تصديها وتصيده فمولانا يتدارك هذا الامر قبل ان يفوت ويأمر بانقاذها ولو انها بين السماء والارض عند الحوت ومكارمه المشهورة لا تقف فى البذل مع احتياط ولا يخير عادتها طريق الحجاز ولولا الغلو لقال ولا طريق الصراط (نوادر فى هذا الباب) ذكر الشيخ علاء الدين الوداعى فى تذكرته ان الصاحب تاج الدين محمد بن حنا رحمه الله كانت له أخت ذات مال وكان كلما اجتمع بها حضها على طعام الفقراء والمساكين والصدقة وفعل الخير ويقول لها الانتباخلى فقالت له يوما وقد قال لها لا تكونى بخيلة فقالت له ما تستحى كم تقول انت بخيلة وأنا كريمتك (قال) عبد الملك بن مروان لبعض الشعراء هل اصابتك تخمة قال أما من طعام الامير فلا (وقال) بعضهم أربعة ممسوخة البركة أكل الارز البارد والغناء من وراء الستارة والقبلة فوق النقاب والجماع فى الماء (وقال) بعض الصوفية من جلس على مائدة فأكثر الحديث فقد غش بطنه (قيل) لطفيلى لم أنت حائل اللون قال للفترة بين الطعامين مخافة أن يكون قد فنى الطعام (أولم طفيلى) على ابنه فأتاه كل طفيلى فلما رآهم رحب بهم ثم رقاهم الى غرفة بسلم وأخذ السلم حتى فرغ من طعام الناس أنزلهم

وأخرجهم (دعا) يحيى بن أكثم مدوله فقدم اليهم مائدة صغيرة فتضاموا عليها حتى كان أحدهم يتقدم فيأخذ اللقمة ثم يتأخر حتى يتقدم الآخر فلما خرجوا قيل لهم أين كنتم قالوا كنا فى صلاة الخوف (الحرث) ابن كلدة اذا تغدى أحدكم فلينم على غدائه واذا تعشى فليخط أربعين خطوة وفى قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا أفاد الجناب المجدى رحمه الله ان قوله تعالى على حبه مما يستشهد به فى البديع (قدم) رجل كذاب من سفره وقد أفاد من سفره مالا كثيرا فدعا قومه الى الطعام وجعل يحدثهم ويكذب فقال أحد القوم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت (عبر) بعض الطفيلية على قوم وهم يأكلون فقال السلام عليكم أيها القوم اللئام فقالوا لا والله الا الكرام فقال اللهم اجعلهم صادقين واجعلنى كاذبا وقعد يأكل (وعبر) طفيلى أيضا على قوم وهم يأكلون فقال هل تحتاجون الى مساعدة فقالوا بالدعاء فقال لاهنا كم الله ان لم تأذنوا لى بالاكل معكم وما أحسن قول ابن دانيال فى شخص يدعى على شير

اذا ما كنت مخموما فكن ضيف على شير * فما يخرج منه الخبز الا بالمناشير

(فائدة جليلة) ذكر التوحيدى فى كتاب الامتناع والمؤانسة من أدمن الاكل والشرب فى أوانى النحاس أفسدت مزاجه وعرضت له أمراض صعبة وان أدنيت أوانى النحاس من السمك شممت لها رائحة كريهة وان كبت آنية النحاس على سمك مشوى أو مطبوخ بحرارته ما حدث منه سم قاتل (ومنه) قيل لصوفى ما حد الشبع قال لا حد له ولو أراد الله تعالى أن يؤكل بحد لبين كما بين جميع الحدود وكيف يكون للاكل حد والاكلة مختلفون بالطباع والمزاج والعارض والعادة وحكمة الله تعالى ظاهرة فى اخفاء حد الشبع حتى يأكل من شاء على ما شاء كما شاء (وقيل) لفقيه ما حد الشبع قال ما نشط على اداء الفرائض وثبط عن اقامة النوافل (وقيل) لمتكلم ما حد الشبع قال حده ما يجلب النوم ويضجر القوم ويبعث على الكوم (وقيل) لاعرابى ما حد الشبع قال أما عندكم يا حاضرة فلا أدرى وأما عندنا فى البادية فما وجدت العين وامتدت اليه اليد ودار عليه الضرس وطابت له اللهاة وأساغه الحلق وانتفخ له البطن واستدارت عليه الحوايا

واستغاثت

واستغاثت منه المعدة وتقوست منه الاضلاع والتوت منه المصارين وخشيت منه الموت (وقيل) لملاح ماحد الشبع قال حد السكر قيل فما حد السكر قال ان لا تعرف السماء من الارض ولا الطول من العرض (وقيل) لمدنى ماحد الشبع فقال لا عهد لى به فأحده فكيف أصف مالا أعرف (وقيل) لسمرقندى ماحد الشبع فقال اذا جحظت عينك و بكم لسانك وثقلت حركتك وازبجن بدنك وزال عقلك فأنت فى أوائل الشبع قيل اذا كان هذا أوله فما آخره قال ان تنشق نصفين (قيل) لجمال ماحد الشبع قال انى أواصل فما أعرف الحد ولو كنت أنتهى لوصفت الحال فيه أعنى ساعة أعجن الدقيق وساعة أمل الملة وساعة أثرد وساعة آكل وساعة أشرب ابن اللقاح فليس لى قرار فأدرى انى بلغت الشبع الا انى أعلم فى الجملة ان الجوع عذاب وان الا كل رحمة وان الرحمة كلما كانت أكثر كان العبد الى الله اقرب والله عن العبد أرضى (قال) اسحق كنت يوما عند أحمد بن يوسف فدخل علينا أحمد بن أبى خالد فجرى ذكر الغناء فقال لا والله لا أجد شيأ مما أنتم فيه فهان علىّ وخف فى عينى فقلت له كالمستهزئ به جعلت فداك قصدت الى أرق شئ خلقه الله وألينه على القلب والاذن وأظهره للسرور والفرح وأنفاه للهم والحزن ومااليس للجوارح منه مؤنة انما يقرع السمع وهو منه على مسافة فتطرب له النفس فذممته ولكنه كان يقال لا يجتمع فى كل رجل شهوة كل لذة و بعدها شهوة كل رجل على قدر تركيبه ومزاجه قال أجل أما أنا فالطعام الرقيق أعجب الىّ من الغناء فقلت أى والله ولحم البقر والجواميس والتيوس الجبلية بالباذنجان المبزر أيضا تقدمه فقال الغناء مختلف فيه قد كرهه قوم قلت فالاختلاف فيه من أطاقه لنا حتى يجتمعوا على تحريمه أعلمت جعلت فداك ان الاوائل كانت تقول من سمع الغناء على حقيقته مات فقال اللهم لا تسمعناه على حقيقته اذن فنموت فاستظرفته فى هذه اللفظة وقدموا اليه الطعام فشغله عن ذم الغناء (نظر) بعضهم الى مائدة بخيل يوضع عليها دجاجة فلا تمس ثم ترد من الغد فلما مضت عليها أيام قال يا أخى هذه الدجاجة عمرها بعد موتها أطول من عمرها حال حياتها (واقى) رجل أبا الحرث جمين وقد تعلق به غلام فقال يا أبا الحرث من هذا فقال غلام الفضل بن يحيى كنت عنده ولى هذا بالامس فقدم الينا مائدة عليها رغيفان

قد عملا من نصف خشخاشة وثريدة في سكرجة وخبيص في مسعط فتنفست الصعداء فدخل الخوان وما علق منه في أنفي فولاه بطالبني بالقيمة قال الرجل أستغفر الله مما تقول فأومى الى غلام كان معه فقال غلامي هذا حران لم يكن ما قلته صحيحا ولو ان عصفورا وقع على بعض قشور ذلك الخشخاش الذي عمل منه ذلك لما رضى مولى هذا حتى يؤتى بالعصفور مشويا بين رغيفين والرغيفان من عند العصفور ثم قال وعليه المشى الى بيت الله الحرام ان لم يكن اذا عطش بالفرات رجع الى دجلاء العوراء حتى يشرب منها صحيحا ولو ان مولى هذا كلف في يوم قائظ ان يصعد على سلم من رمل حتى يبلغ كواكب بنات نعش فيلقطها كوكبا كوكبا لكان ذا أسهل عليه من أن يشم شام تلك الثريدة أو يذوق ذائق تلك الخبيصة فقال الرجل عليك لعنة الله وعليه ان كان سمع بمثل هذا

(فصل) في الطست والابريق والخلال والحلب والاشنان والمنشفة وآداب غسل اليد وكيفية الاستعمال ولا بأس بغسل اليد في الطست وان ندب الى ذلك فليقبل الكرامة ولا يردها (قال) دفتر خوان

والطست ان رام اليك المقصدا * فلا تخالف من يقول اغسل يدا
وصاحب المرش دع مساكبا * ولا تقل بس اكتفيت كاذبا

وعن ابن مسعود رضى الله عنه اجتمعوا على غسل الايدى في طست واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم وقالوا غسل اليد في الطست في حالة واحدة أدخل في التواضع ويقتضى ان يجتمع الماء فيها وقال قال صلى الله عليه وسلم اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بات وفي يده غمر لم يغسله فأصابه شئ فلا يلومن الا نفسه وفي حديث آخر الوضوء قبل الطعام ينفي الفم وبعده ينفي اللم واللمم مس الشيطان والطست الطس بلغة طئ ابدل من أحد السينين تاء للاستثقال فاذا جمعت وصغرت رددت السين لانك فصلت بينهما بالتاء فقلت طساس وطسيس وهو اعجمى معرب أصله طشت بالشين المعجمة فلما عرب قيل بالسين المهملة (الابريق) عربى صحيح وهو افعيل من البريق وقال الحريرى في المقامات اياك واستدعاء المرجفين قبل استدعاء حلول البين أراد بالمرجفين الطست والابريق لان الاتيان بهما يؤذن بالقيام وفراغ الطعام وما أحسن

قول القاضى الفاضل فى المقامة العسقلانية يصف المائدة

وتتاو بتها الالوان * صنوان وغير صنوان

وأبطا القوم بالمرجف بن غابر جفان ولا بوجفان

وأتينا بغاسول تحظى به الافواه والانوف ولا يوجد بعده بفم الصائم خلوف (وقيل) ان كنية الاشنان أبو اياس وكنية الملح أبو عون وسمعت بعضهم يسميهما البداية والنهاية (ولهذا) حكى ان بوران بنت الحسن بن سهل لما تزوجها المأمون وأراد أن يدخل بها جعل الناس يهدون لابيها الاشياء النفيسة وكان بالقرب منهم رجل من الادباء فأهدى اليه مزودا فيه ملح مطيب ومزودا فيه اشنان وكتب اليه معهما انى كرهت ان تطوى صحيفة أهل البر ولاذكر لى فيها فوجهت اليك بالمبدأ به ليمنه وبركته وبالمختوم به لطيبه ونظافته ومع ذلك

بضاعتى تقصر عن همتى * وهمتى تقصر عن مالى

فالملح والاشنان ياسيدى * أحسن ما يهديه أمثالى

(وذكر) القاضى الرشيد بن الزهر فى كتابه العجائب والطرف ان سديد الوزراء أبا محمد اليازورى وجد فى موجوداته طستا وابريقا من البلور فأفرط فى استحسانه لهما ولعظيم قدرهما ان المستنصر وهبهما له ووجد أيضا مدهن ياقوت أحمر وزنه سبعة وعشرون مثقالا أخذ سرا من السلطان فى خزانته حين قبض عليه فى سنة خمسين وأربعمائة ولما أخرج السلطان الذخائر المصرية عند أيام فتنة ناصر الدولة وجد فيما أخرج من دار ناصر الدولة تسعين طستا وتسعين ابريقا من صافى البلور وجيده كبارا وصغارا (وقال) ابن معقل فيما يكتب على سفرة الطست

لم أصحب الطست من شوق اليه ولا * جعلت خدى له أرضا وماشعرا

لولا وصولى به يوما الى ملك * يصيبنى فضل ما ينفى به الغمرا

وغيرة ان يمس الترب مبتذلا * ما مس كميه من ماء اذا قطرا

(وقال) جلال الدين بن المكرم فى الطست والابريق والمنشفة

ولى صاحب ينفى الاذى عن جوارحى * فيخرجنى منه نقيا مطهرا

وآخر يحويه فيجعل الذى * كان لى منه اليه مصيرا

وثالثة غارت لفعلهما فلا * تزال تعفى ما تجمعى أثرا

(وقال) أبو طالب المأموني

منشفة حملها الخال بها * قد فت كافورة على طبق

كأنما أنبتت خمائلها * ما ارتشفت من لآلئ العرق

(الأشنان) عمل لهارون الرشيد يؤخذ من القرنفل والسليخة والقرفة والقاقلي والفلنجة من كل واحد جزأ ومن المصطكي والاذخر والسعد والميعة اليابسة جزء ومن المرزجوش ثلاثة أجزاء ومن الطين الابيض المكي خمسة ومن الاشنان البارد ضعف ذلك أو ثلاثة اضعافه ومن الارز الابيض المبلول المجفف المنخول مثل الاشنان يدق كل واحد على حدته ويخلط (صفة) بنك محمص يؤخذ من البنك الاصفر المجمر وزن ثلاثين درهما ومن القرنفل عشرين درهما ومن الزعفران خمسة دراهم ومن الورد خمسة عشر درهما ومن السليخة الحمراء الرقاق والسنبل من كل واحد ستة دراهم يدق الجميع بأمره ويطحن ويحمص بماء الورد ويبخر بالعود الندو الكافور والزعفران تبخيرا جيدا فانه يجيء غاية من الغايات (كيفية تناول الاشنان) أشنان الملوك والرؤساء هو طيب من جملة الطيوب وهو يجعل في اشنان دان له غطاء يحفظ رائحته ويكون له ملعقة يناول بها الغلام الاشنان ولا يأس باليد البتة ولا سيما يد الغاسل فانه ان أدخل يده فيه زفرة فسد جميعه اسرعة قبول الطيب الفساد بدخول أدنى سبب من الرائحة الكريهة عليه للطف جوهره (كان) بعض الظرفاء اذا قدم اليه الطعام تناول بعض الادهان العطرة الطيبة فمسح به يديه فلا يتمكن الزفر من مسامها ولا يعلق بهما طائل منه والذي يعلق يسهل زواله بأدنى غسل (وقالوا) كان كسرى في زمن السفرجل يتناول قطعة سفرجل وفي غير زمانه يتناول مرباه فيأ كلها عندما يقدم اليه الطعام فيتخلل ما بين أسنانه وعموره بالسفرجل فلا يعلق بهما من مضغ اللحم طائل وكان يستعمل على مائدته بين كل لونين ملعقة رمان ليغسل فمه من الطعام الاول فيذوق الطعام الثاني خالص الطعم من شوب الطعام الاول فيدرك فرق ما بين الطعامين ويلتذ بكل واحد بمفرده ومن آداب الملوك ان لا يغسل الانسان يديه في مجلس الملك أو بحضرة الرئيس ولا يبحث بما وراء الا باذنه وكذلك يصنع في الخلال فانه من اسوأ أدب الجليس وان أذن الرئيس لجليسه في الغسل في مجلسه وأحب ان يتخلل فليعتزل بحيث

لايراه ولا يقع نظر الرئيس عليه (وحكى) ان أول غضب المعتصم على الافشين
وكان حظيا عنده انه أكل عنده ثم دعا بالطست فغسل يده بحيث يراه المعتصم
فقال المعتصم هذا التيس الطويل اللحية يدعو بالطست حيث أراه ثم من
آدابه لمن يؤذن له به ان يستقصى ازالة الزفر ولا يقصر فى غسل يده (يحكى) ان
رجلا قصر فى غسل يده فى دعوة بعض الظرفاء فقال له رب الدعوة انق يدك
والا دنست منديلنا (وكان) عبد الله بن سليمان يبطئ فى غسل يده ويقول من
حكم اليد أن يكون زمان غسلها بمقدار زمان أكلها (وسأل) المأمون اليزيدى
معلم ولده العباس عن أخلاقه فأخبره انه لا يفلح ولا همة له قال كيف علمت
ذلك قال رأيته قد ناوله الغلام اشنانا فاستكثر ما وقع فى يده منه فرده فى
الاشنان دان ولم يلقه فى الطست فعلمت انه بخيل والبخيل لا يصلح للملك فكان
الامر كما قال وليحترز عند غسل اليدين من الرشش على من يليه أو نفض يديه
بالماء اذا فرغ أو التنخع فى الطست أو المخاط فيه (الخلال) روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال تخللوا فانه نظافة والنظافة من الايمان والايمان
مع صاحبه فى الجنة وفى حديث عمر رضى الله عنه عليكم بالخشنين يعنى الخلال
والسواك وقال أبو هريرة رضى الله عنه السواك بعد الطعام يذهب وصر
الطعام وفى حديث آخر انه صلى الله عليه وسلم أمر بالخلال ونهى عن ان يتخلل
بالرمان والقصب وقال انهما يحركان عرق الآكلة وفى رواية يحرك عرق
الجذام (وفى كتاب) طب أهل البيت عليهم السلام عنه صلى الله عليه وسلم
الخلال يجلب الرزق (وفيه) من تخلل بالقصب لم تقض له حاجة سبعة ايام
وعن أبى أيوب الانصارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حبذا المتخللون
قالوا يا رسول الله ما المتخللون قال التخلل من الطعام فانه ليس شئ أشد على الملك
الذى على العبدان يجد من أحدكم ريح الطعام (والخلال) عمله من الصفصاف
وعيدان الخلاف وطبع الصفصاف بارد يابس قليل الاضرار بالاسنان كثير
النفع لها وهو أجود ما استعمل وخللت به الاسنان من الزهومات مأمون عليها
(ومن مستظرف المعانى) وان لم يكن من غرض هذا الفصل لكن الحديث
شجون ما أنشدنيه من لفظه لنفسه ونقلته من خطه بالقاهرة المحروسة سيدنا
أقضى القضاة بدر الدين محمد المخزومى المالكى الشهير بالدمامينى رحمه الله

أفديه من ظبي غزالي * بلواحظ تبغي قتالي
ورآه يضمر بالجفا * في خاطر منه وبال
ماللعذول اذا أبحت لحسنه روحي ومالي
والجسم من عشق لذا لك الثغر أصبح كالخلال

(رجع) الى ما كا فيه والخلال المأمون هو زهر قضيب نبت في الصحراء يقال انه الجزر البري وهو حار يابس بزره اذا استف ألقى الدود من الجوف وانما سمي المأمون لقلة أذاه للاسنان واللثة للينه وهو خلال تستعملها العوام من الناس (الادب في الخلال) قال صاحب سرور النفس ورأيت في زماننا من يغلط في تناول الخلال فاني رأيت في بعض مجالس الوزراء من الطستدارية من يضع الخلال خلف أذنه ويقدم الطست ثم يناوله مخدومه من ذلك الموضع وهو موضع قذر لا يخلو غالبا من أذى ولو كان حامله أنظف الناس وأظرفهم وأما تناوله فاني رأيت كثيرا بعد الفراغ من الغسل ليده وفمه ورفع الطست يتناول الخلال وذلك خطأ من وجهين أحدهما انه اذا تخلل وهو مغسول الفم خرج اللحم من عموره وأسنانه الى فمه فعاد الزفر وبطلت فائدة الغسل والاخرى انه يلقي ماخرج بالخلال على البساط وحيث اتفق من مواضع مجالسه وتلك قذارة وان كانت محقرة المقدار فالتنزه عنها أشبه بذوي الاقدار (وآداب المناولة في الخلال) ان يكون مع الطستدار ملفوفا في ورقة بيضاء فاذا أخرجه وضع احدى رأسيه بين أصبعيه السبابة والوسطى ومد به يده للرئيس وهو قائم فيتناوله الرئيس وهو على الطست فيتخلل ويلقي مايخرج بالخلال في الطست أيضا ويلقي الخلال في الطست ثم يغسل يده وفمه (وقال) ومن أقبح مارأيت في أخذ الخلال أن بعض الرؤساء يتناول الخلال بيده وهي زفرة فيرشقه في شعر لحيته ويغسل يديه ويتحدث طويلا والخلال مغروز في لحيته وذلك أقبح مايكون ورأيت هذا الرئيس الذي أشرت اليه يأخذ الخلال بعد غسل يده وتنظيفها ومسحها بالمنشفة فيستعمل الخلال ويضعه في شعر لحيته تظرفا منه (قال) كاجم وأخذ الخلال من المروءة لتنظيف الاسنان وتنقيتها من زفر اللحم لان اللحم اذا بات في الاسنان أنتن لاسيما اذا كان فيه صلابة والخبز أيضا اذا بات في الاسنان أنتن الفم وصفر الاسنان (استشارت) امرأة امرأة في رجل تتزوجه فقالت لا تفعلي فانه

وكلة تكلة يأكل خلله ووكلة وتكلة بمعنى واحد كرر للمبالغة وهو الذى يتكل
فى الامور على غيره ولا يباشرها بنفسه والتاء فى تكلة واو كما قالوا فى تراث وهو
من وراث والخلال ما يخرج من بين الاسنان عند التخلل قال أبو هلال العسكرى
وليس فى اللوم شئ من الكلام أبلغ من هذا (ولبعضهم فيه)

وناولنى من كفه شبه خصره * وشبه محب ذاب من طول هجره
وقال خلالى قلت كل جديدة * سوى قتل صب حار فيك بأسره

(وقال) الفقيه أبو الحسن بن عبد الكريم الانصارى

وخلال صنع السقم به * من نحولى فى الهوى ما قد وجب
اذهب الجسم وأبقى رأسه * وكأن الرأس كالجسم ذهب
مغرم بالبيض يسعى نحوها * لارتشاف الثغر أو ورد الشنب

(فى الاحتياط) باعتبار الاسباب المتعلقة بغسل اليد المؤدية الى الهلاك ذكر
جماعة من المصنفين وفى كتاب شاناق وزنطاح الهنديين صفات مياه تمزج
بماء القراح وتخفى فيه فمن اغتسل بها أو تمضمض منها اتصل به سمام جلده
ولهواته داء مهلك ومنها ما تصير به الاسنان ومنها ما ينقع فيه الخلال ومنها
ما يجعل فى الثياب والمناشف والمناديل ومنها ما يسقى به موضع الفصد فيفعل
ذلك وأوصوا واحترزوا وأكثروا فى الاحتراز من ذلك لما يجب من حفظ مهج
الملوك ومهج مدبرى دولهم والذى يجب الاحتياط فيه أربعة الاشنان
والماء والمنشفة والخلال ولكل واحد منها نوع من الاحتياط يخصه
أما الاشنان والماء فوجه الاحتياط فيهما هو ان الغلام اذا قدم الطست جثا
على ركبتيه ثم قدم قدح الاشنان والمحلب أو البنك ففتحه ثم أخذ الملعقة فحرك
بها الاشنان جميعه حتى يقلبه ظهرا لبطن ثم يتناول برأس الملعقة منه يسيرا قدر
الدرهم أو ما يقاربه فيجعله فى كفه ثم يستفه ويعمد الى الابريق فيمسكه بيده
اليسرى ويبسط يده اليمنى ويجمعها قليلا ويصب فيها الماء من الابريق
ويشربه على أثر سف الاشنان ثم يوضع الابريق ويناول الرئيس الاشنان
بالملعقة ويسكب عليه الماء وأما المنشفة فانه يكون مع الغلام منشفتان احداهما
يناولها للرئيس عندما يقدم الطست يضعها مبسوطة على حجره تقى ثيابه رش
الماء الزفر والاخرى تكون مطوية معلقة فى وسطه على طيها وهى التى يجفف

يده بها فهذه اذا وضع الطست بين يدى الرئيس أو الملك وقبل ان يناوله الاشنان يقوم قائما ويأخذها ويجعلها فى يده اليسرى ثم يجمع حواشيها باليمنى الى آخرها ثم يقيمها قائمة و يقبض عليها بيده اليسرى من تحت اليمنى و يسلتها بيده اليسرى سلتا قويا ثم يمسكها باليسرى من وسطها ويثنيها و يقبض عليها باليمنى من تحت يده اليسرى وهى مثنية كما فعل باليسرى وهى غير مثنية ثم يسلتها باليمنى الى آخرها ثم يجمعها بين يديه و يفركها ثم يقبض عليها من حاشيتها الاخرى و يقيمها قائمة كما جعلها فى المرة الاولى و يسلتها بيده حتى يستوى تجعيدها ثم يعلقها فى وسطه وحينئذ يجتو لمناولة الاشنان وأما الخلال فقد ذكرنا انه يجب ان ينقع ليلة أو ليلتين و يعوج عند التخلل لئلا يتشظا بين الاسنان فيكون له قدح صغير من زجاج طول الاصبع بحيث تدخله الاصبع يجعل فيها ماء ورد أو ماء قراح وماء الورد أنفع لان فيه قبضا تنتفع به الاسنان وبشد اللثة ثم يترك فيه الخلال قبل الحاجة اليه فاذا احتيج اليه أخرج الغلام قدح الخلال مغطى بغطاء محكم مغلفا بغلاف من أديم ممدود له يعلقه الغلام فى وسطه فيعمد الى ماء الورد أو الماء الذى يكون فيه الخلال واليسير منه يجرى فيصبه فى راحته و يشربه جميعه ثم يناول الرئيس حينئذ الخلال على الصورة السابقة فى مناولته ثم ذلك (وفى ربيع الابرار للزمخشرى) أول من عمل الصابون سليمان عليه السلام ولبعض الادباء فى رئيس بيده صابونة

صابونة فى راحتى ماجد * قد أضحت السحب لها حسدا
تلاطم البحران من حولها * فأصبح الموج بها مزبدا

(الباب الثانى والثلاثون فى الماء وما جرا مجراه)

قالوا وينبغى ان لا يشرب الماء على المائدة ولا بعد الاكل الى أن يجف أعالى البطن الا بمقدار ما يسكن بعض العطش ولا يروى منه ريا واسعا حتى اذا جف البطن وانحدر الطعام استوفى منه ومن المشروب وفى آداب شرب الماء أحاديث نبوية ومنها أدبية حض عليها العلماء فى مراعاتها أما الشرعية فلا يشرب قائما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو يعلم أحدكم ما فى بطنه اذا شرب قائما لاستقى ومنها ان تمز الماء مزا ولا تعبه عبا وروى عن النبى صلى الله

عليه وسلم انه قال الكباد من العب والكباد داء الكبد ومنها ان لا يستوفى الماء الى آخره ومنها ان يناول من على يمينه ومنها ان لا يشرب من ثلمة الاناء هذه كلها من احياء علوم الدين ومن آداب الماء ان يجلس و يتناول الكوز بيمينه و يسمى الله عز وجل و ينظر فى الاناء قبل الشرب و يضع يده اليسرى من تحته لعله يكون قد وضع على موضع يقطر منه على ثيابه قطرة غير نظيفة ثم يشرب ثلاثة أنفاس ولا يتنفس فى الكوز ويحمد الله تعالى بعد الشرب وان يسر ان كان معه غيره (آدب شرب الماء) فى مجالس الملوك اتفق أكابر العلماء بالادب ان استدعاء الكوز فى مجلس الملك والرئيس وشرب الماء فى مواجهته من سوء الادب وأما مجلس الملك خاصة فلا سبيل الى شرب الماء فيه ألبتة (ذكر) فى سيرة كافور الاخشيدى حكاية ينتفع بسماعها من يلزم مجالس الملوك قالوا كان أبو جعفر مسلم وأبو الفضل جعفر بن الفضل الوزير عند كافور عشية صيف ولم يكن عنده غيرهما فقال لهما قد اشتد الحر وللثلج أيام ما جاءنا من الشام وما كان كافور يذوق الثلج وانما كانت الكيزان توضع عليه فيشرب منها و بهذا سلم من ضرر الثلج فبينما هم كذلك اذ خبر بمجىء الثلج فقال هاتوا ثلاث كيزان فجاؤا بها فأخذ كافور كوزا فشربه وأخذ أبو الفضل كوزا وشربه وأخذ أبو جعفر كوزا وقام فخرج من المجلس وشربه ثم عاد وأكب على يد كافور ثم قعد أبو جعفر ساعة وانصرف وأراد أبو الفضل ان ينصرف فشاغله كافور ثم قال هاتوا أبا اليمن فجاء فقال زد فى جراية الشريف أبى جعفر ألف دينار فى كل عام وانما أجلس أبا الفضل ليريه مكافأته لابى جعفر عن حسن أدبه معه فى شرب الماء (كتب) أبو الخطاب الصابى الى ابن عمه أبى اسحق الصابى مع كوز ما بعث به اليه شرط المودة أطال الله بقاء سيدى أن لا أنفرد دونه بلذة ولا اختص قبله بعطية اذ كان لا فرق بين محبتى ومحبته ولا فصل بين مبرتى ومبرته وقد شربت الساعة فى هذا الكوز فوجدته أعذب ارتشافا من الافواه وأحلى مصا من الشفاه وأصفى جوهرا من فاخر الدر وأنقى من الثنايا الغر وأرق طبعا من الهوى وأخف وزنا من الهبا وأعبق طيبا من نسيم العنبر وأذكى رائحة من المسك الاذفر

رقت حواشيه فخف على الانامل والقلوب

فكأنه مستعمل * من طيب أنفاس الحبيب

ينم على القذا ولا يحول بين الماء والهوى يلطف عن صفاء الزجاج ولا يحوج الغلام الى الثلاج ان أفرغ شف وان أترع رف تتساوى المياه فيه عذوبه وتعجب العيون قبل النفوس رؤيه

اشهى الى الابصار من * وجه الحبيب بلا رقيب

تهدى لنا أنفاسه * ما فيك من كرم وطيب

حتى كان طينته من طينتك وعذوبته مشتقة من عذوبتك وقد أنفدته مملوءا اليك لتعلم ان قلبي مملوء من المحبة عليك والسلام (وقال) صالح بن يونس فى كوز ومرفع

أم الحياة على سرير من نحاس * عريانة أبدا بغير لباس

هى فى الممات لدى الورى معدودة * لكنها ضمنت حياة الناس

وأهدى رجل لرئيس كيزانا وكتب اليه

ما بعثت الكيزان الا احتيالا * جعلت مهجتى وروحى فداكا

منعتنى الايام تقبيل كفيك فارسلتها تقبل فاكا

ولا يسمى الكوز كوزا الا اذا كان له عروة والا فهو كوب وعلى ذلك فسر قوله عز وجل وأكواب وأباريق ولذلك نظائر فى اللغة وهو ان المائدة لا يقال لها مائدة الا اذا كان عليها الطعام والا فهى خوان كما تقدم ولا يسمى الكاس كأسا الا وفيه شراب والا فهو قدح والى ذلك أشار العلامة ذو الوزارتين وامام العروتين لسان الدين أبو عبد الله محمد بن الخطيب وزير صاحب الاندلس وكاتم سره فى قوله لما وقف على كتاب ديوان الصبابة تأليف الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة مخاطبا له على قوله فى الكتاب المذكور

كتاب حوى أخبار من قتل الهوى * وسار بهم فى كل شرق ومغرب

مقاطيعه مثل المواصيل لم تزل * يشبب فيها بالرباب وزينب

قوله هذه الابيات

يا من ادار من الصبابة بيننا * قدحا ينم المسك من رياه

وأتى بريحان الحديث فكلما * صبح النسيم براحة حياه

أنا لا اهيم بذكر من قتل الهوى * لكن اهيم بذكر من أحياه

(أنشدنى) هذه الابيات المرحوم فخر الدين بن مكانس وذكر ان شهاب الدين ابن أبى حجلة أنشده اياها وانه تبجح بكونه مدح كتابه قال فقلت له ياشيخ شهاب الدين خسر عليك لسان الدين وذكر ان كتابك فارغ من المحاسن قال وكيف ذا قلت لقوله

يامن أدار من الصبابة بيننا * قدحا بتم المسك من رياه

أما علمت أن الكأس لا يقال له كأس الا اذا كان فيه شراب والا فهو قدح فامتعض له شهاب الدين وأخبرنى ان لسان الدين عارضه بكتاب سماه روضة التعريف بالحب الشريف فى التصوف أنتهى (رجع) الى ماكنا فيه سأل رجل الشيخ أبا الفرج بن الجوزى رحمه الله ما للنارى الكوز الجديد اذا صب فيه الماء نش وخرج منه صوت فما معناه قال له ياولدى ذاك صوت شكواه يشكو الى برد الماء مالقيه من حر النار فقال السائل فما للنا نراه اذا ملأناه لا يبرد فاذا نقص برد فقال الشيخ حتى تعلموا أن الهوى لا يدخل الاعلى ناقص (وذكر) الوداعى فى تذكرته قال حدثنى جماعة من أهل عانة وهيت بالعراق انه اذا كان أوان الاربعينيات ملئت فاذا انقضت رفعوها الى زمان الصيف وشربوا فيها الماء فانها تبرده بردا كثيرا يقوم مقام الثلج انتهى (قلت) وذكر لى الوزير فخر الدين بن مكانس رحمه الله ان ماء طوبا اذا شيل الى الصيف وسكب منه فى آنية الماء برده الى الغاية وان ماء هذا الفصل لا يفسد اذا شيل بخلاف غيره من الفصول (وما أحسن) قول ابن عبد الظاهر ملغزا فى شربة

وذى أذن بلا سمع * له قلب بلا قلب

اذا استولى على حب * فقل ماشئت فى الصب

(قال) وأهل مصر تقول للزير الحب واليه أشار المرحوم فخر الدين بن مكانس فى السبيل الذى أنشأه الوزير الملكى الشهير بالنشو بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنهما آمين

أنشى القطيم النشو لما ارتقى * وزارة زادته فى وزره

بالجامع العمرى سبيلا وقد * قالت لنا عنه بنو مصره

هذا سبيل حاله فاسد * وزيره يرشح من قعره

(أنشدنى) الشيخ شمس الدين الرئيس لنفسه وكتبها على الحوانى

ترفق أيها الساقى * وزد فى اللطف بالصب
وداو القلب لى واعلم * بأنى منزل الحب

(فصل) فى المحمود من المياه قال ابن النفيس فى الموجز أفضل المياه مياه الانهار وخصوصا الجارية على تربة نقية فيتخلص الماء من الشوائب أو على حجارة فيكون أبعد عن قبول العفونة وخصوصا الجارية الى الشمال والمشرق وخصوصا المنحدرة الى أسفل وخصوصا اذا بعد المنبع فان كان مع هذا خفيف الوزن يخيل لشاربه انه حلو ولا يحتمل الشراب منه الا قليلا فذلك هو البالغ وماء النيل قد جمع أكثر هذه المحامد وماء العين لا يخلو من الغلظ وأردأ منه ماء البئر وماء النز أردأ وأما الشرب على الريق وعقيب الحركة وخصوصا الجماع وعلى الفاكهة وخصوصا البطيخ فردئ جدا سواء كان المشروب ماء أو شرابا فان لم يكن بد فقليل من كوز ضيق الرأس امتصاصا وكثيرا ما يكون عطش عن بلغم لزج أومالح وكلما روعى بالشرب حركه فان صبر عليه انضجت الطبيعة المادة المعطشة واذابتها فيسكن من ذاته وفى مثل هذا كثيرا ما يسكن بالاشياء الحارة كالعسل (قلت) وعلى ذكر النيل فلا بأس بايراد نبذة مما قيل فيه (قال) الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فى كتابه السكردان ذكر المهدوى فى تفسيره عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان الله تعالى سخر للنيل كل نهر يجرى على وجه الارض فى المشرق والمغرب وذلله له فاذا أراد الله تعالى أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فاذا انتهى جريه الى ما قدره الله تعالى أمر كل نهر أن يرجع الى عنصره ومصداق هذا الا ترى ان النيل مخالف لكل نهر على وجه الارض لانه يزيد اذا نقصت وينقص اذا زادت لانها والله أعلم تمده بمائها (وفى) أصل النيل أقوال للناس حتى ذهب بعضهم الى أن مجراه من جبال الثلج وهى بجبل قاف وانه يخترق البحر الاخضر بقدرة الله تعالى ويمر على معادن الذهب والياقوت والزمرد فيسير ماشاء الله تعالى الى أن يأتى بحيرة الريح قال الحاكى لهذا القول ولولا ذلك يعنى دخوله فى البحر المالح وما يختلط به منه لما كان يستطاع ان يشرب منه لشدة حلاوته وقال قوم مبدأه من جبل القمر وأنه ينبع من اثنى عشر عينا واختلف فى سبب زيادته ونقصانه فقال قوم لا يعلم ذلك الا الله تعالى وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب يشتهى أن يعرف أصل هذا النيل فرسم أن

تشترى عبيدا صغارا زنوجا وماشا كلهم جلب لم يستعربوا وسلمهم لصيادى السمك والبحارة ليعلموهم صنعة البحر وصيد السمك وأن يكون قوتهم من السمك لا غير فاذا مهروا فى ذلك تصنع لهم مراكب صغار ليركبوا فيها و يأتوه بخبر النيل وكان فرعون يجبى خراج مصر فى كل سنة ألف ألف دينار فيأخذ الربع من ذلك لنفسه وأهل بيته و بيت ماله والربع الثانى لوزرائه وأمرائه وكتابه وجنده و يكنز الربع الثالث ذخيرة و يصرف الربع الرابع فى حفر الخلجان وسد الترع وعمل الجسور ومصالح الارض وكان فى كل سنة اذا كمل التخضير ينفذ مع قائدين من قواده أرد بين قمح فيذهب أحدهما الى أعلى مصر والآخر الى أسفلها فيتأمل القائد كل ناحية وأرض كل قرية فان وجد موضعا بائرا عاطلا قد أغفل بذره كتب الى فرعون بذلك وأعلمه اسم العامل وأخذ ماله وولده فربما عاد القائدان ولم يجد أحد منهما موضعا لبذر الاردب لتكامل العمارة واستظهار الزرع وجباها عمرو بن العاص اثنى عشر ألف ألف دينار وكان ذلك أول دخوله اياها والكلام على ذلك طويل

(ومما) قالت الفضلاء فى النيل المبارك فمن ذلك قول علاء الدين الوداعى

روّح مصر و سكانها * شوقى وجدد عهدى الخالى
وصف لى القرط وشنف به * سمعى وما العاطل كالحالى
وارو لنا يا سعد عن نيلها * حديث صفوان بن عسال

(وقال) الشيخ زين الدين بن الوردى

ديار مصر هى الدنيا وساكنها * هم الانام فقابلها بتقبيل
يا من يباهى ببغداد ودجلتها * مصر مقدمة والشرح للنيل

(وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدى

رأيت فى أرض مصر مذ حللت بها * عجائبا ما رآها الناس فى جيل
تسود عينى فى الدنيا فلم أرها * تبيض الا اذا ما كنت فى النيل

(وقال) الشيخ جمال الدين ابن نباتة

زادت أصابع نيلنا * وطمت فأكدت الاعادى
وأتت بكل جميلة * ماذى أصابع ذى أيادى

(وقال) الشيخ برهان الدين القيراطى

لنيل مصر كمال فى زيادته * وفضله غير مخفى ومكتتم

اذا بدت لك من تياره شيم * رأيته طاهر الاوصاف والشيم

(وقال) الشيخ شمس الدين بن الصائغ رحمه الله

سما النيل اذ يحكى السما فى انبساطه * فلله ما أحلى وأصدقه حاكى
تسير به الافلاك شرقا ومغربا * وحافاته أيضا تحف بأملاك

(وقال) الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة

نشروا القلوع وبشروا بوفائه * الراية البيضاء عليه بالوفاء

(وقال) الشيخ بدر الدين بن الصاحب

لله يوم الوفا والخلق قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر أزاهره
وللوفاء عمود من أصابعه * مخلق تملأ الدنيا بشائره

(وقال) الشيخ سديد الدين بن كاتب المرج

يا نيل يا ملك الانهار قد سقيت * منك البرايا شرابا طيبا رغدا
وقد دخلت القرى تبغى منافعها * فعمها بعد فرط النفع منك أذى
فقال تذكرعنى انى ملك * وتثنى ناسيا ان الملوك اذا

(وقال) ابراهيم المعمار

سمعت يوما سد مصر يقل * النيل وافى زائدا عندى
فكأن هذا خبر صادق * فرحت أرويه عن السدى

وفى هذه النبذة كفاية وعلى الجملة فمحاسن النيل مستكثرة ولو استوعبنا ما للفضلاء فى ذلك من النظم والنثر لحفيت من تسطيرها الاقلام وضاقت صدور الاوراق وما أحق هذه المقاطيع ان تسمى مقاطيع النيل (رجع) الى ما كنا فيه أنشدنى من لفظه لنفسه ونقلته من خطه الشيخ الفاضل زين الدين ابن العجمى رحمه الله ملغزا سألتك أعزك الله عن سائل لاحظ له فى الصدقة وان لم يكن متصل النسب بالاشراف كثير الرجفان من غير أن يخاف كم رد سائله نهرا وعفر وجه قاصده بالتراب قهرا مذكر كثير الحيض لطيف الانبساط سريع الغيض مطاق التصرف وعليه الحجر وطالما قبل العشا أبدى لنا الفجر يتشعب ويتكسر ويتعوج ويتدور وله خمسون عينا وأكثر يحمل القناطير المقنطرة ويعجز عن حمل ابره سريع الاستحالة قل ما يثبت على حاله بعيد الغوص ليس له قرار يعاجل صفاه وزاده بالاكدا

يسكن فى تخوم الغبرا ويتم على أحوال أهل السما رقيق القلب على كل عديم وكيف لا وهو الولى الحميم يجود بأفخر الحلى ولا يرد من نداه مؤملا كم عمر سبيلا وقطع طريقا وأخاف سبيلا كم طفا واحترق وأظهر الحقائق وهو كثير الملق كم علا درجا وحط قدر الدقائق وقلع بأصابعه عين كل مارق وكم طهر أمما من أرجاسها وأماط عن أرض ردىء أدناسها وكم درأ عن شيخ خبثا ورفع كهلا وحدثا صقيل يجلو الصدا ويظهر على شدة البرد تجلدا يبلغ فيه بشئ يسير مقاما لا ترقى اليه همة الملك الكبير كم أباح محرما للعباد واكثر الفساد فى البلاد وكم رأينا شموسا تجرى لمستقرها فيه وتجنح وتلوح فى فلكه وتسبح كم خاض فى ذاته خائض مع كثرة سباحته وربما وجد فى الجبال رابض قد جمع فيه الخوف والرجا والكدر والصفا ومن العجائب انه كافر وكم أعان على العبادة أهل الصلاح وأضاف نزيله بالميتة ولم يخش فى ذلك من جناح فسبحان من جمع فيه الاضداد وأرسله رحمة للعباد (وقال) أبو الفضل أحمد بن محمد الخازن فيه

وخل صفا زرته بعد هجره * فألفيت شخصى فى حشاه مصورا
وأودعته سرا فأفشاه للورى * فيا حسن ما أفشى الغداة وأظهرا
أبوه حليف للثريا وأمه * به حامل فى بطن منخفض الثرى
سطيح له جسم بغير جوارح * يبارى الرياح الجاريات اذا جرى
تصافح كفى منه كفا رطيبة * يخادع عينى كالخيال اذا سرى
تزر عليه الريح ثوبا مفركا * ويكسوه شهب الليل ثوبا مدثرا

(وقال) أبو الحسين الباخرزى ملغزا

لا أحاجى فى زمرة الفضلاء * غير خل خصصته بإخائى
فى شبيه البلور رد الى الما * وقد كان قبل عين الماء
ينذر الحر بالهزيمة بردا * فهو المنذر بن ماء السماء

(وأنشدنى) المقر الاشرف المرحوم أبو عبد الله محمد بن الانصارى صاحب ديوان الانشاء بالشام لنفسه حكاية حال

ضلوا عن الورد لما أنهم رحلوا * قومى فظلوا حيارى يلهثون ظما
والله أكرمنى بالورد دونهم * فقلت يا ليت قوى يعلمون بما

(وعلى ذكر الماء) ذكرت ما أنشدنيه من لفظه لنفسه شيخنا العلامة أقضى القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد المخزومي المالكي الشهير بالدماميني ملغزا في قربة وكتب به الى المرحوم الاميني صاحب ديوان الانشاء على يد مسطرها

أكاتب سر الملك والفاضل الذى * ثناه على الافكار فرض مرتب
ومن فاه في فن البديع بمنطق * فأمست غويصات المعاني تهذب
تحدث عن سهل رواة كلامه * اذا ما أتاه اللغز وهو مصعب
فديتك ماذات أطال العكم بها * ويبحث في الاسفار عنها ويطلب
تشد وكم في الارض قار امالها * فصدق اذا ما قيل تملى وتكتب
وما هي في التحقيق رواية وكم * لها خبر في الذوق يحلو ويعذب
مليحة شكل يألف الحب صبها * زمانا وفي وقت لها يتجنب
ويبلغ منها الحياض حقيقة * ولكن رأينا قلبه وهو رطيب
مزيد مريدوها اذا ما تصوفت * ويشكرها أهل الزوايا ويطنبوا
لها أربع لكن بساق رأيتها * على السعي في الاحياء بالنفع تدأب
وترضع أحيانا وما حان وضعها * وكم من فتى في حملها راح يرغب
وتحمل ما فيه الحياة لربها * فيا حبذا منها البسيط المركب
وترسله فاعجب له من مسلسل * غدا مرسلا عنه الرواية تعجب
وكم من خليع سمته اذ تعتقت * يمد اليها الراح لهوا ويطرب
وما نال اثما في تعاطيه بعدما * رأيناه من تلك العتيقة يشرب
وسم فها المفتوح كم راح سائلا * وما نطقت حرفا عن القصد يعرب
وكم قد تعبدنا بتحريف لفظها * ولم أر بالتحريف من يتقرب
وتحذفها يا بهجة الدهر بلدة * حواها من الاقطار شرق ومغرب
وتوجد في الافلاك عالية بها * ويألفها بعض الحوارى ويحجب
فيا من لرق الفضل أصبح مالكا * فمالي الانحو عليائه مذهب
تلفت للغز نحو بابك قد أتى * وكل غدا من ظرفه يتعجب

(وقال) بعضهم ملغزا في قربة السباحة

وذات فم يوما تسبح ربها * ولم تكتسب أجرا بتسبيحها قط
معانقة الصبيان مضمرة الهوى * كأن بقايا قوم لوط لها رهط

(الباب الثالث والثلاثون في المشروب والحلواء)

قال أبو عبيد معمر العرب تقول كل طعام لا حلواء فيه فهو خداج أي ناقص غير تام وقال الزمخشري عن بعضهم انه قال اللوذنج قاضي قضاة الحلواء والخبيص خاتمة الخير وقيل لبعضهم التمر يسبح في البطن فقال على هذا التقدير اللوذنج يصلي التراويح (دخل) الجمل البصري على قادم وعنده قوم بين أيديهم طباق حلواء ولا يمدون أيديهم فقال لقد أذكرتموني ضيف ابراهيم وتلا الآية فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم ثم قال كلوا رحمكم الله فضحكوا وأكلوا (وكان) أبو هريرة يقول أكل تمرة أمان من القولنج وشرب العسل على الريق أمان من الفالج وأكل الرمان يصلح الكبد والزبيب يشد العصب ويذهب الوصب والنصب (قيل) لاعرابي على مائدة بعض الملوك وهو يأكل الفالوذج لم يشبع منه أحد الا مات فأمسك وفكر ثم ضرب بالخمس وقال استوصوا بعيالي خيرا (وكان) عبد الله بن جدعان سيدا شريفا في قريش فوفد على كسرى وأكل عنده الفالوذج فسأل عنه فقيل له الفالوذج قيل وما هو قيل لباب البر يلبك مع العسل النحل فابتاع من عنده غلاما يصنعه وقدم به مكة فصنع بها الفالوذج فوضع موائده بالابطح الى باب المسجد ثم نادى من أراد أن يأكل الفالوذج فليحضر فكان ممن حضر أمية بن الصلت وكان يمدحه كثيرا (فقال)

لكل قبيلة رأس وهاد * وأنت الرأس تقدم كل هاد
له داع بمكة مشمعل * وآخر فوق دارته ينادي
الى ردح من الشيزى ملائي * لباب البر يلبك بالشهاد

(حدث) المحسن عن ابن خلاد باسناده في كتاب الموائد ان الرشيد وأم جعفر اختلفا في الفالوذج واللوذنج فحضر أبو يوسف القاضي فسأله الرشيد فقال اذا حضر الخصمان حكمت بينهما فقدما اليه فأكل منهما حتى انتهى فقال له الرشيد احكم فقال كلما أردت أن أقضي على أحدهما أدلى الآخر بحجته فضحك الرشيد وأمر له بألف دينار وبلغ زبيدة فأمرت له بألف دينار الا واحدا (حدث) حماد بن سلمة قال دخلت على اياس بن معاوية وهو يأكل فالوذجا فقال

ادن فكل فان كان شيء يزيد في العقل فهذا (وأتى) اعرابي بفالوذج فأكل منه فقيل له تعرف ما هذا فقال هذا وجدك الصراط المستقيم (ومن نوادر الصوفية) انهم اذا أكلوا طعاما عند أحد فقالوا أكل طعامك الابرار وأفطر عندك الصائمون ولا يقولون وصلت عليك الملائكة الا بعد الحلواء (قيل) لابي الحرث جمين ما تقول في الفالوذج قال وددت انها وملك الموت اختلجا في صدري والله لو ان موسى لقي فرعون بفالوذج لآمن ولكن لقيه بعصا (وقال) أنس يرفعه من لقم أخاه لقمة حلواء صرف الله عنه مرارة الموقف (اشترى) رجل احمالا من السكر وأمر باتخاذ مسجد من السكر ذي شرف ومحاريب وأعمدة منقوشة ثم دعا الفقراء فهدموه ونهبوه ذكر ذلك الزمخشري في ربيع الابرار (قدم) فالوذج حار الى مائدة عليها أبو هفان وأبو العيناء فقال له أبو هفان هذا آخر مكانك من جهنم فقال أبو العيناء ان كانت حارة فبردها بشعرك (وعن) أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لعق العسل ثلاثا في كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء أبدا (وعنه) صلى الله عليه وسلم انه قال شفاء أمتي في ثلاث لعقة من عسل أو شرطة من حجام أو آية من كتاب الله (ونقلت) من خط القاضي الفاضل واقعة غريبة اتفقت بالديار المصرية وهي انه لما أحرق شاور مصر أيام دخول الفرنج اليها كان بها رجل صالح وله ابنة مليحة احترقت دكانه في جملة ما احترق فرحل الى البر الغربي وسكن في بعض القرى وجلس في حانوت سمان يرتفق به واتفق ان مقطع القرية رأى ابنته فهويها وجعل يروم افسادها فلم يتيسر له فخطبها من أبيها فارضيه كفؤا لها فشرع في أذيته وتسخيره وطرح عليه غرامة لا تلزمه وعزم على حبسه فسأل امهاله مدة معينة فقال اكتب لي بها حجة علما منه انه فقير ومتى حلت الحجة أخذ ابنته بتلك الحجة فكتب وأشهد عليه فلما انقضت الحجة جاء شاب واشترى منه عسلا فأخذه في جرة ومضى فسقطت منه صرة مشدودة فأخذها الرجل وفتحها فوجد فيها عشرة دنانير فأخذها فلما جاءه المقطع طالبه ورفعه الى القاضي فقال له احضر الحجة فأحضرها ودفع اليه العشرة دنانير وأخذ الحجة وتخلص من الظالم فلما عاد الى حانوته جاء الشاب الذي اشترى منه العسل وسقط منه الذهب وقال انه جاءني في حل وانه يخذمني فاني لما اشتريت منه انا

العسل ذلك اليوم وقعت منى صرة فيها عشرة دنانير فاتهمتك بها وظننت انك أخذتها فلما حضرت اليوم وجدتها مرمية فى طريقى فتعجب الرجل من ذلك وقال اشكر الله الذى ردّ عليك فأنت فى حل من جهتى فلما كان ثانى يوم جاءه الظالم وقال اجعلنى فى حل فانى رأيت البارحة مناما أزعجنى بسببك وأما الذهب فانه وقع منى وذلك لانى قد أخذته حراما وقد تبت الى الله تعالى مما جرى منى فشكر الله تعالى وتفرقا (كتب) الشيخ شرف الدين عيسى العالية الى سيدنا ومولانا الشيخ بدر الدين محمد الدمامينى ملغزا فى عسل

يا أيها المولى الرئيس ومن له * ألفت مدحا كالجواهر نظمه
اسمع سمعت الخير لغزا محكما * يقضى على الالغاز جميعا حكمه
قالوا من الاطيار حقا أصله * أكرم به أصلا بروقك طعمه
لكنه ما حاز منقارا ولا * ريشا وأجنحة ولست أذمه
والجسم منه ما حوى عظما ولا * لحما ويعجب من يراه جسمه
وبفرد عين كم بدا المعاين * لم يدر ماهى من تبلد فهمه
يا من له ذكر يفوح لناشق * كالمسك حين يفض عنه ختمه
قل للذى يبدى الدعاوى قل لنا * ما أصل هذا فى الطيور وما اسمه
ان قال هذا واضح فهو الذى * قد غره فيما ادعاه وهمه
من أين يعرف اسم شئ ربما * أكلته فى وقت المجاعة أمه

(فأجابه)

يا فاضلا بين المحاسن نظمه * وبعزه قد ذل عجزا خصمه
وطرزت حلل البديع بمنطق * منه علا بين الافاضل رسمه
شرف لاغراض البلاغة سابق * ومن الفضائل قد توفر سهمه
ألغزت فى اسم طال حليته * بنفيس در صح فيها نظمه
فاذا أضفت القلب منه لاسمه * قلنا بهذا الاصل قد وضح اسمه
واذا عكست الاصل منه فهو ان * أعربت لحنا أين يبدو حكمه
قد كان فى الاذهان منه حلية * فحوت به شهد اللذيذ طعمه
وروى ابن سكرة حلاوة نظمه * فقضى بتفطير الرزانة همه
ورأى ابن لغزت الحلوانجى * عذب المذاق فخار فيه وهمه

وأعاذه بحلى أمير النحل اذ * أضحى عليا في الفصاحة نظمه
فاسلم وصغ حلى البيان لفهمنا * يا من تحلى بالنباهة فهمه
واصفح بفضل عن جواب سافل * يا طالعا في خير أفق نجمه

(ومن تذكرة الوداعي) قال الصاحب فخر الدين بن الشيرجي أهدى الامير بدر الدين لولو المسعودي قصب سكر من الغور فأرسلت اليه مع الرسول أبلوجة سكر مكرر وكتب فيها رقعة فيها

كالبحر يمطره السحاب وماله * فضل عليه لانه من مائه

(أبو الحسين الجزار ملغزا)

أتعرف لي حبلى اذا ما تنفست * سرى لانوف القوم من طيها نشر
ويرضع منها الثدي ساعة حملها * أبوها فيغدو وهي من وقتها بكر
تريك جنينا وهو من غير جنسها * فوجدانه حلو وفقدانه مر
عليه به ستر دقيق وانما * تحل اذا مادق من فوقها الستر
اذا كسرت في القوم تجبر كسرها * فيحسن بعد الكسر من قلبها الجبر
تروق عيون الناظرين جلالة * اذا جلست يوما وموضعها الصدر

(وقال) الشيخ زين الدين بن الوردي

بعثت قطائفا روى * حشاها قطرها الغامر
فسكرها أبو ذر * ومرسل صحنها جابر

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة يستهدي قطرا

لجود قاضي القضاة أشكو * عجزي عن الحلو في صيامي
والقطر ارجو ولا عجيب * للقطر يرجى من الغمام

(وقال) الشيخ العلامة أبو محمد بن جابر الاندلسي نزيل حلب

وقفت للوداع زينب لما * رحل الركب والمدامع تسكب
مسحت بالبنان دمعي وحلو * سكب دمعي على أصابع زينب

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة ملغزا

أحاجيك ما حلو اللسان وانه * لابكم اذ تعزى اليه المعارف
ترى حالسا في الصدر ما كان كاملا * فان نقصوه فهو في الخلق طائف

(وله) يستهدي قطرا

مولاى عندى للبناقصائد * تريك رياض اللفظ باسمة الزهر
وتشتاق من احسانك الحلو ودها * ولا عجب شوق الرياض الى القطر

(ابن نباتة)

أقول وقد جاء الغلام بصحنه * عقيب طعام الفطر ياغاية المنى
بعيشك قل لى جاء صحن قطائف * وجء باسم من أهوى ودعنى من الكنى

(الصلاح الصفدى)

أتانى صحن من قطائفك التى * غدت وهى روض قد تندت بالقطر
ولا غرو ان صدقت حلو حديثها * وسكرها يرويه لى عن أبى ذر

وما أحسن قول القاضى محى الدين بن عبد الظاهر فى منزلة القطيفة

هذى القطيفة التى * لا تشتهى عقلا ونقلا
حشيت ببرد يابس * فلاجل ذاك الحشو يقلى

(وقال) الشيخ برهان الدين القيراطى وكتب بها الى القاضى نور الدين بن حجر والد سيدنا القاضى شهاب الدين رحمهم الله

مولاى نور الدين ضيفك لم يزل * يروى مكارمك الصحيحة عن عطا
صدقت قطائفك الكبار حلاوة * بفمى وليس بمنكر صدق القطا

(وأنشدنى) القاضى بدر الدين بن الدمامينى قال أنشدنى شرف الدين عيسى ابن حجاج العالية لنفسه

تهن بنصف كم به من حلاوة * وجد لى بفضل لا يضيع ثوابه
فان لسانى صارم وفى له * قراب وارجو أن يحل قرابه

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه شيخنا زين الدين بن العجمى أحد فضلاء الديار المصرية وقد أهدى له حلواء سكب

لفضلك ياقاضى القضاة مزية * على الصحب لا تخفى على من له لب
فأول جود الغيث قطر مبدد * وغيث نداك الجم أوله سكب

(ابن المنشد)

وقطائف مثل البدور * أتت لنا من غير وعد
فحسبتها لما بدت * فى صحنها اقراص شهد

(السراج) الوراق

قطائفك التي رقت جسوما * لما ضغها كما كثفت قلوبا
كغيم رق لكن فيه قطر * غدا المرعى الجديب به خصيبا

(وقال) أبو الحسين الجزار يستهدي قطرا

أيا علم الدين الذي جود كفه * براحته قد أخجل الغيث والبحرا
لئن أمحلت أرض الكنافة انني * لأرجو لها من سحب راحتك القطرا

(وله)

سقى الله أكناف الكنافة بالقطر * وجاد عليها سكر دائم الدر
وتبا لاوقات المخلل انها * تمر بلا نفع وتحسب من عمري
ولي زوجة ان تشتهي قاهرية * أقول لها ما القاهرية في مصر

(المعلم المرصص)

وحقك ما أوليتني من قطائف * الذ وأحلى من وصال القطائف
وقد ضمنت مثل العتاب حلاوة * ألم ترها ملفوفة كالصحائف

(ابن نباتة)

رعى الله نعماك التي من أقلها * قطائف من قطر النبات لها قطر
أمد لها كفي فأهتز فرحة * كما انتفض العصفور بلله القطر

(وله)

شكرا لبرك يا غيث العفاة ولا * زالت مدائحك العلياء تنتخب
قد جدت بالقطر حتى زدت في طمع * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

(سعد الدين بن عربي)

قال القطائف للكنافة ما * بالي أراك رقيقة الجسد
أنا بالقلوب حلاوتي حشيت * فتقطعي من كثرة الحسد

(ولآخر) في أقرصة البسندود

أقرصة هشة مدورة * كأنها في النقا كافور
كأنها في الصحاف مطبقة * دراهم فوقها دنانير

(كتب) سيدنا القاضي صدر الدين بن الادمي الى سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد بن الدماميني ما نزا في لو ذبح يقبل الارض وينهي انه أصدرها عن صدر محرور وقلب لانقطاعه عن الباب الكريم مكسور فامنن عليها من

فضلك ستور واعذرفانها نفثة مصدور

يامن له في عروض الشعر ايد * فاق الخليل بها فضلا وتمكينا
ما اسم دوائره في نظمه ائتلفت * والثلم في صدرها مستعمل حينا
أجزاؤه من زحاف الحشو قد سلمت * هذا و يقطع مطويا ومخبونا
تصحيف معكوسه لفظ برادفه * يا فرد يا رحلة قوم مقيمونا
والعبد منتظر من حله فرجا * لازال سعدك بالاقبال مقرونا

وقد جهزها التنوب عنه في تقبيل اليد الكريمه وتستمطر من سحائب جوابه الصيب ديمه (فكتب) اليه الجواب يقبل الارض و ينهي ورود المشرفة التي عذب معناها وشهد أهل الذوق بحلاوة مجناها وحاول العبد حل لغزها المسير فأذن دون شهده ابن النحل وقرنه بالغاز المتأدبين فاذا هو مخصب النبات بتوالي القطر واذا تلك مطروقة المحل بالمحل وكادت مرارة الفقير تنفطر لعجزه عن هذه الحلاوه وجرى على عادته في الاسف المكرر حيث فقد هذا الرونق وتلك الطلاوه لكنه عقد الفضيحة على نفسه بعد ان استقال وتجاسر بعد الخوف على نظم الجواب فقال

يامرسلا من شهي النظم لي كلما * منها ابن سكرة قد راح مغبونا
لله درك صدرا من حلاوته * وجوهر النظم لم يبرح يحلينا
جليت لغزك اذ أبهمته فلذا * يا فاتني رحت بالاعجاب مفتونا
هذا وكم قد رأينا في دوائره * للكف فيضا يزيد العقل تمكينا
وليس اضماره مستحسنا فأدم * بالكشف عنه لمن وافاك تحسينا
وكن لنا هاديا صوب الصواب ودم * فينا أميرا رشيد الرأي مأمونا

والله تعالى يحلي أفواه ذا كريه بما هو أشهى من اللوذنج وأحلى وأعناق المتأدبين من كلمه بما هو أنفس من الدر وأغلى و يكلؤه في الاقامة والارتحال و يبقي عيشه كل مر و يحفظه على كل حال (وقال) الشيخ برهان الدين القيراطي ملغزا

هذان لغزان قد حلا بيابك يا * قاضي البرية اذ ذان خصمان
اسمان كل خماسي اذا كتبت * حروفه وهما الاثنان عدنان
تباينا في الورى شكلا اذا نظرا * وصورة وهما في الاصل مثلان

يرى بكانون اصلاحا لشأنهما * كما لاصلهما نفع بنسيان
فى مصر والشأم منسوب لاصلهما * يضاف يا خير بستان لبستان
لكن الى الصين منسوب مقرهما * ان أحضرا فى مكان بين اخوان
لذا كا وهو بين الناس ليس له * من كنية ما انتحى فى ذاك اثنان
فى البر يلقى وان فتشت عنه تجد * فى لجة البحر يلقى خمسه الثانى
نبت أرى النار قد أبدت له ورقا * فاعجب له ورقا ينمو بنيران
يحيى اذا ما سقاه القطر وابله * وجاده بسحاب منه هتان
كبيقة هو لكن لا يشم ولا * يضاف يوما الى أزهار بستان
ذو رقة فاذا صحفته ظهرت * كافة منه فاستره بكتمان
وكم له من بدور كل طالعة * فى سائر الشهر لم تمحق بنقصان
فقدها خيط فجر أبيض يحل * بالبرق يسطو عليها سطوة الجانى
واللغز الآخر اسم ذات ألسنة * لم يبد منها النا بالنطق حوفان
يا حسنها ألسنا أضحت حلاوتها * يحلو المديح لها من كل ملسان
تطوى على الحشو أحشاء وليس لها * فى الاشعرية من رام بنكران
بالطى والنشر فى حال قد اتصفت * والطى والنشر فيما قيل ضدان
كم سكرت ففتحنا للدخول بها * أبوابها فتلقتنا باحسان
حسناء أجمع أهل الحل أجمعهم * والعقد منا عليها بعد عرفان
وصالها حل بالاجماع فى زمن * فيه الوصال حرام بعد ايمان
ثلثا ثلاثة أخماس لها وجدا * شيأ يجئ بايضاح وتبيان
وما ذكرت من الاخماس كم نطقت * صدقا بذكر اسمها من غير بهتان
وخمسها جبل لكن بقيتها * فى مكة ترتجى فوزا بغفران
تقلى ولكن لها قلب تقربه * ممن قلاها من الاقوام عينان
ما مل ذا من القالى أماليه * عنها وما خطر القالى لها شانى
فى الجوف منها قلوب جمة جمعت * ولا يكون لجوف الشخص قلبان
كم ظل يطرحها من ليس ذا شرف * جهرا ويوصف مع هذا باتقان
جميلة الوصف طابت عنصرا وزكت * أصلا وما سلمت من ظن ظمآن
بالحل أنعم سقى القطر المواطئ من * اقدام سعيك فى ارواء ظمآن

(وكتب) الشيخ جمال الدين بن نباتة الى بعض أصحابه وقد أرسل اليه قطرا رديئا وينهى ان الذى أرسل اليه مولانا الوصول وأحال عليه بالبر المحصول أرسل قطرا ولكن بزيادة حرفين فاذا هو قطران وبكسر أوله فاذا هو لسد الامل الواحد قطران عندما شمه المملوك أنكره وعندما عاينه استغرب كدره حتى حلف بالسجدة ما هو الا دخان وقالت عينه المنتظرة خير من هذا القطر قطر الاجفان وقال الفكر ما هذه الافعلة الواسطة التى فعلها وهو من الظالمين وهمته التى بعثها وهو من الآثمين ورد المملوك ذلك المرسل بالعيب لوقته وعجبت من الايادى كيف نقض عليها سواد بخته وعلى كرم مولانا تدبير هذه القضيه والله تعالى لا يخل الامل من وجود سنته الشمسيه بمنه وكرمه (وكتب) الى الجناب العالى العلائى بن القلانسى وقد ارسل اليه سكرا يقبل الارض وينهى وصول البر الذى حلت مواقعه وجلت صنائعه وحلت عن أبهى وأبهر من بدر التمام مطالعه وابيضت به أيادى الكرم وشب شخصه الجميل وان كان أشبه شئ بالهرم فضه المملوك كنهد الحبيب وقبله أحلى وأزهر من الثغر الشنيب وابتهج به نظرا وفكرا ونقطه بدمع السرور حتى عاد السكر بالتنقيط شكرا وكرر حديثه فقال هكذا يكون المكرر وهكذا يبعث قطعة من سحابه المسخر وهذا والله البر الذى لا يستبطئ لديه القصد منجحا والفضل الذى هو أحق بقول الاول لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى أمتع الله العفاة بيمين مولانا التى أعادت من العيش حلواه وعتب الدهر خلواه وشكر عوارفه التى مافتح على مثلها الطالب جفنه وأياديه التى حسنت المدح حتى نسى الناس ما قال حسان فى أهل جفنه

(فصل فى الاشربة) عن ابن عباس رضى الله عنهما سئل النبى صلى الله عليه وسلم أى الشراب أفضل فقال الحلو البارد قالوا أراد العسل وقال صلى الله عليه وسلم سيد شراب أهل الدنيا والآخرة الماء وقيل لبعضهم أى الشراب أحب اليك فقال أعز مفقود وأهون موجود وكان المأمون يقول شرب الماء بالثلج أدعى الى اخلاص الحمد (قال) الحسن لفرقد بلغنى انك لا تأكل الخبيص قال انى لا أقوم بشكره قال وهل تقوم بشكر الماء البارد (صفة شراب) ينفع من العطش والخمار ولهب المعدة يؤخذ من ماء الرمانين ومن ماء حماض الاترج من كل واحد

نصف رطل ومن ماء الاجاص وماء نقيع التمر هندى من كل واحد رطل يطبخ بنار لينة حتى يغلظ و يصير فى قوام الاشربة و يسقى منه أوقيتين بماء بارد وثلج و بماء ورد وماء خلاف (الفقاع) يتخذ من أصناف من الحلاوات يتخذ من السكر البياض النقى بأن يحل بالماء والماء ورد و يطيب بالمسك ويوعى و يبرد بالثلج و يستعمل و يتخذ من العسل و يتخذ من ماء الزبيب الحلو السمين و يتخذ من الدبس وغير ذلك ومن الناس من يطيبه بالزنجبيل أو الفلفل أو القرنفل مع المسك والماء ورد وهذا يضر المحرورين ومن الناس من يحل شراب التفاح و يصبه فى كيزان الفقاع و يبرده و يستعمله وجميع أنواع الفقاع شربها الواجب النافع أن يكون قبل الطعام و يصبر عليها حتى ينحدر فما بعده فلا فائدة فيه غير تجشيات يسيرة يلتذ الانسان بخروجها (فقاع) ينفع المحرورين يؤخذ من الخبز الحوارى مثل ما يؤخذ من الشعير و يصنع منه فقاع و يضاف كرفس ونعنع وماء الرمان المز ويحلى بسكر بياض و يستعمل (وأهل دمشق) يأخذون الفقاع الخرجى و يسمونه المسدب لانه يعمل فى كيزان محشوة بالسداب البرى فينفضونه فى الاوانى النظيفة ويرمون فيه قطعة سكر بياض و يعصرون عليه ليمونا أخضر قدر ما يطيب لهم حمضه و يحركونه بعد ان نعنع بحيث يظهر طعمه فيه ظهورا يسيرا ثم يبردونه بالثلج ويرش عليه الماء ورد وماء الخلاف و يستعملونه وهذه الصفة تنفع أصحاب الخمار وتشهى وتطيب النفس وتصرف واعلم ان جميع أنواع الفقاع تطيب بالاشيا المناسبة لمزاج شاربه ان كان المزاج حارا كانت المطيبات باردة وان كان المزاج باردا كانت المطيبات حارة (أنشدنى) من لفظه لنفسه الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ جمال الدين يوسف الزعفرانى رحمه الله

وكيزان من الفقاع جاءت * زكت طعما على الشهد المذاب
هذا يا من أحبتنا ولكن * كما قالوا على ورق السداب

(صفة أقسماء ملوكية) يؤخذ سكر أبيض يعقد جلابا رقيقا أرق ما يكون و يؤخذ دقيق أبيض مثلث يطبخ بغسل العصيدة القوية بغير ملح و يبرد ويجعل فى طست وتضرب باليد و يقلب عليها الجلاب مغرفة بعد مغرفة وكلما زدت ضربها باليد زادت رخوبة إلى أن يصير لها قوام الحريرة الشديدة الثخن ثم رقتها [illegible] بها الفقاع [illegible] ترقى [illegible] الفقاع أفضل فإذا أردت رفعه [illegible] نظيف

و يكون فيه أثر دبس أو أثر عسل واجعل معها قبضة سداب مربوطة وقبضة نعنع كذلك وأطراف طيب مثل القرنفل والباسل والزنجبيل وجوز الطيب وماء ورد ومسك و يكثر فيها من أطراف الطيب و يجعل فى مكان داف و يغطى بغطاء كبير فانها تبقى جميعها كالرغوة ثم انها تطلع فاذا اطلعت خذ لها اناء زجاج أو حقا صينيا وبخره بالعنبر واجعله فيها واستعمله وعند استعمالها انفض عليها فقاعا خوجيا فهذا النوع من الاقسما وهو أطيب من المشروبات (صفة) نقوع مشمش يؤخذ المشمش اللوزى أو غيره يغسل من التراب والغبار غسلا مستقصى ثم يصب عليه ماء الينوفر وماء لسان الثور وماء ورد و يعصر عليه ماء رمان طرى حامض و يرمى فيه طاقات نعنع ثم يحلى بسكر بياض و يترك حتى ينتقع المشمش فى هذه المياه المذكورة نقعا معتدلا لا يبالغ أن يتهرى فى اناء مبخر بالعنبر فانه يجئ فى غاية الطيبة واللذة (ومن) أراد أن يتنقل بالمشمش اليابس الطيب فيأخذ ماء ورد ومسكا يحلان فى سكر فائق وقليل ماء ثم ينقع المشمش فيه بعد غسله بحيث لا يتهرى فى نقعه بل يكون فيه قوة ظاهرة ثم يخرج المشمش من الماء المنقوع فيه و يجفف تجفيفا معتدلا فى مكان نظيف ثم يتنقل به فانه يكون فى غاية الطيبة (ومن) الادعية المستعملة بين الناس قولهم هنيئا مريئا فالهنىء الطعام الذى لا يحصل عقيب أكله أو هضمه ضرر والمرئ السريع الهضم

(الباب الرابع والثلاثون فى بيت الخلاء المطلوب)

قال الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد رحمه الله الخلاء بالمد فى الاصل هو المكان الخالى كانوا يقصدونه لقضاء الحاجة ثم كثر حتى تجوز به عن غير ذلك قال أنس ابن مالك رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل الخلاء قال اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث بضم الخاء والباء جمع خبيث والخبائث جمع خبيثة استعاذ من ذكور الشياطين وأناثهم قال بعضهم اذا كمل للانسان فى داره حسن ثلاثة مواضع لم يبال فيما فاته منها وهى مجلس السكن والدهليز والكنيف (وفيه يقول المأمونى)

بيت اذا ما زاره زائر * فقد قضى أعظم أوطاره

يدخله المولى ببزكما * يدخله العبد باطماره
وهو اذا ما كان مستنظفا * مروّة الانسان فى داره

(وكان) جعفر الصادق يقول من سعادة المرء سعة داره وحسن مجلسه ونظافة متوضاه (حكى) عن بعض الحمقى انه استدان سبعمائة درهم وأنفقها على كنيف داره فبلغ ذلك بعض أصحابه الظرفاء فقال ليت شعري ما الذي يريد يخرى فيه (وحكى) أبو الفرج الاصبهانى فى أخبار العرجى عن الاصمعى قال مررت بكناس يكنس كنيفا وهو يغنى

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فقلت أما سداد الكنيف فعلوم وأما سداد الثغر فلا علم لنا بك كيف أنت فيه وكنت حديث السن وأردت العبث به فأعرض عنى مليا ثم أقبل على وأنشد

وأكرم نفسى اننى ان أهنتها * وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فقلت له والله ما أكرمتها وما يكون من الهوان أكثر مما أهنتها به فبأى شئ اكرمتها فقال بلى والله ان من الهوان لشر مما أنا فيه فقلت وما هو قال الحاجة اليك والى أمثالك فانصرفت وأنا أخزى الناس (ومن) آداب المضيف انه يرى الضيف بيت الخلاء (قال) ملك الهند اذا أضافك أحد فأره الكنيف فانى قد ابتليت فوضعت فى قلنسوتى (نادرة) قيل ان رجلا حكى قال كنت بائتا فى بيت بين جماعة وكنت ضيفا فتحركت بطنى فى اثناء الليل فقمت فلم أجد موضعا فطفت فى البيت فاذا أنا بمهد فيه طفل فأخذت الطفل فى حجرى ثم خريت فى المهد ثم رجعت لارد الطفل فى المهد فاذا به قد خرى فى حجرى أضعاف ما خريت فى مهده فجرى على كاتبه أعظم منها (قلت) الطبيعة مكافئة (ومثلها) حكى ان دعبل بن على الخزاعى دعا أبا هفان فأطعمه ألوانا كثيرة الحبوب وسقاه نبيذا حلوا وغمز الجوارى ان لا يدلوه على بيت الخلاء ثم تركه ونام فلما أجهده الامر قال لبعض الجوارى أين الخلاء فقالت لها الاخرى ما يقول سيدى قالت يقول غنونى فغنت

خلا من آل عالية الديار * فشوى أهلها منها قفار

فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقداحا وسقوه فقال قد أحسنتم وجدتم غير انكم لم تأتوا على ما فى نفسى وسكت فلما أجهده الامر قال لعل الجارية

بغدادية لم تفهم ماقالت لها ثم التفت الى أخرى وقال لها فداك أبوك أين المستراح فقالت الاخرى مايقول سيدى قالت يقول غنونى فغنت

واستريح الى ليلى فاذكرها * كما استراح عليل من شكيه

فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقداحا وسقوه فقال أحسنتم وجدتم غيرانكم لم تأتوا على مافى غرضى ثم قال لعلها ما فهمت ثم قال لاحداهن فداك أبوك أين الحش فقالت الاخرى مايقول سيدى قالت يقول غنونى فغنت

وحاشاك ان أدعوعليك وانما * أردت بهذا القول ان تقبلى عذرى

فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقداحا فقال أحسنتم وجدتم غيرانكم لم تأتونى على مقصودى ثم أجهده الامر فقال لعلها كوفية ثم قال للاخرى فداك أبوك أين الكنيف فقالت الاخرى مايقول سيدى قالت يقول غنونى

تكنفنى الواشون من كل جانب * ولو كان واش واحد لكفانى

فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقداحا فما تمالك حتى وثب وحل سراويله وذرق فى وجوههن فتصارخن فانتبه دعبل فقال ماشأنك يا أبا هفان (فقال)

تكنفنى السلاح فأضجرونى * على مابى بذيات الزوانى
فلما قل عن حالى اصطبارى * رميت به على وجه الغوانى

(فقام دعبل) فدله على الخلاء فدخل واغتسل وخلع عليه بعد ان ضحك منه ضحكا عظيما (وما أظرف) قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

أمط بالدوا ثياب الاذى * وطب فى الرواح به والغدو
وكرر احاديث بيت الخلاء * ولكن على رغم أنف العدو

(ولبعضهم يستحث)

ياقاعدا متفكرا * لما لولاية بالعراق
ارحم فديتك مدنفا * قد لف ساقا فوق ساق

(نادرة) قال رجل لآخر يمدحه أنت من بيت الطهارة فقال الرجل دعنى من هذا المدح فقال صدقت الشكر فى الوجه ذم ولكن أنا أذكرك فى الخلاء (حكى) ان بعض الكتاب كان يلقب بحيص فلقبه بعض حرفائه فقال له

أوحشتني يا جميص وأين كنت فانشده

وحيث ما كنت من بلاد * فلي الى وجهك التفات

(قلت) وضمن هذا الشيخ بدر الدين بن الصاحب (فقال)

يا كعبة الله ان رحلنا * وطال ما بيننا الشتات

فحيث ما كنت من بلاد * فلي الى وجهك التفات

(رجع) كان لبعض المغفلين دار فقال له الساكن ان الكنيف قد انفتح فقال له صاحب الدار نظرت اليه من أيام وأردت ان أتغدى به قبل ان يتعشى بي فسبقني (قلت) الشيء يذكر بلوازمه (نقلت) من خط الفاضل المؤرخ الناظم الناثر الرحال صاحب المؤلفات المبدعة نور الدين علي بن سعيد من كتابه الذي سماه بالمغرب في أجلاء المغرب قال في ترجمة أبي العباس أحمد بن القاسم وهو الذي يقول فيه ابن تقي في موشحته المشهورة التي منها أما ترى أحمد في مجده العالي لا يلحق أطلعه الغرب فأرنا مثله يا مشرق وجرت له معي حكايات أكرمها حكايته وقد وفد عليه مرة فوجده قد عرج عن الارتياح وأقلع عن شرب الراح وكانت له عادة باحضاره المجالس راحته عندما يصل فخاطب ذلك منه فأعلمه بتوبته وتكلف له مجلسا فيه أصحابه ومن يشرب من أقاربه وحضر هو فيه عازما على المؤانسة دون المشاركة في شراب فقال ابن تقي موشحته المشهورة

ندعنا قد طاب * بغن له وانشد

وأردد عليه الكأ * س عساه يرتد

فارتد عن توبته وشرب كأسه من توبته وأتى من المطايبة والطرب ما قربه عن الظرف والادب ولما أخذ السكر من ابن تقي قام الى المستراح وفي وسطه كيس فيه جملة من الذهب الذي جرت عادة أبي العباس أن يصله به في كل سفرة وما اجتمع له من غيره فحله وحطه في كوة المستراح حتى يقضي شغله ثم فرغ ومضى ونسي الكيس لما كان فيه من السكر ونام فلما أصبح وصحا قلب وسطه ليطلب الكيس فلم يجد شيأ ونظر اليه أبو العباس فقال له مالك فأخبره فقال أنا أخذته منك البارحة لئلا يضيع منك واذا احتجت اليه دفعته لك واستفهمه عن عدد ما فيه فأخبره فلما دخل الى منزله جعل في كيس من عنده ذلك العدد ودفعه

اليه وابن تقي لا يشك انه ذهبه ثم ودعه وانصرف ولما اجتاز عليه في سفرة ثانية حضر في ذلك المجلس ليلة على مثل تلك الحالة فلما سكر قام الى المستراح ثم تفكر في حالة السكر انه كان قد حل هناك سراويله ووضع الكيس في الكوة فمد يده الى الكوة فوجد كيسه بعينه فأخذه وجعله في وسطه ثم عاد لشربه والمجلس غاص محتفل بالاعيان فبكى ابن تقي وكدر المجلس فظن أبو العباس انه جرى عليه ما أوجب ذلك فقال له ما يبكيك هل نابك أمر أكشفه عنك فقال والله ما أبكى الا حسرة على العالم انه لا يخلد مثلك فيه وحكى الحكاية فقال أبو العباس ما كان يسعني في ذلك الوقت الا ما فعلته لاني خفت أن يكون ضاع لك فتتهم به أحد ندمائي و يشيع ذلك ولا بد من غرمه لك لئلا تنصرف خائبا فكان الاولى غرمه دون ان يفتضح أحد من أصحابنا فقبل الارض ودعى له وهذه احدى مكارمه جدد الله عليه الرحمه وجازاه عنا هو وأهله في جنة الفردوس من النعمه آمين آمين (سألني بعض المخاديم) ان أنظم له أبياتا تكتب على الخريشت الذي جدده بعد حريقه وانهدامه في الواقعة المشهورة الخواجا بدر الدين محمد بن الخواجا شمس الدين محمد بن المزلق أدام الله سعدهما بباب البريد بالجامع الاموي وكان والده قد بيضه

يا بقعة لقضا الحوايج أسست * لا زال سعدك دائما يتزيد
لحقتك من بدر وشمس نظرة * فغدا قرانا سعده لك يرصد
جددت فعل الخير يا ابن مزلق * لا زال فعل الخير منك يجدد
عشرون بيتا قد قصدت رويها * يا خير من يروي ومن يتقصد
كانت مسودة وقد بيضتها * فالماء للابيات منها ينشد
واذا نظرت الى البقاع وجدتها * تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

ولمؤلف الكتاب رحمه الله

(الباب الخامس والثلاثون في نبلاء الاطباء)

قال الحكيم الفاضل الفيلسوف العارف ابقراط ينبغي ان يكون الطبيب حرا في جنسه جيدا في طبعه حديث السن معتدل القامة متناسب الاعضاء جيد الفهم حسن الحديث صحيح الرأي عند المشورة عفيفا شجاعا غير محب

للفضة مالكا لنفسه عند الغضب ولا يكون تاركا له فى الغاية ولا يكون بليدا
وينبغي ان يكون مشاركا للعليل مشفقا عليه حافظا للاسرار لان كثيرا من
المرضى يوقفونا على امراض بهم لا يحبون ان يقف عليها غيرهم وينبغي ان
يكون محتملا للشتيمة لان قوما من المبرسمين وأصحاب الوسواس السوداوى
يقابلونا بذلك وينبغي لنا ان نحتملهم عليه ونعلم انه ليس منهم ذلك وان سببه
المرض الخارج عن الطبيعة وينبغي ان يكون حلق رأسه معتدلا مستويا
لا يحلقه ولا يدعه كالجمة ولا يستقصى قص أظافير يديه ولا يتركها تعلو على
اطراف أصابعه وينبغي ان تكون ثيابه نظيفة بيضاء نقية لينة ولا يكون
فى مشيه مستعجلا لان ذلك دليل الطيش ولا متباطئا لانه يدل على فتور النفس
واذا دعى الى المريض فليقعد متربعا ويختبر منه حاله بسكون وتأنّ لا بقلق
واضطراب فان هذا الشكل والزى والترتيب عندى أفضل من غيره وابقراط
هذا أول من برهن كيف يكون المرض والصحة فى جميع الحيوان وفى النبات
وهو الذى استنبط أجناس الامراض وجهات مداواتها وكانت له العناية
فى نفع المرضى ومداواتهم ويقال انه أول من جدد البيمارستان واخترعه
وأوجده وذلك انه عمل بالقرب من داره موضعا من بستان له مفرد اللمرضى
وجعل فيه خدما يقومون بمداواتهم وسماه أخشندوكين أى مجمع المرضى
ولذلك أيضا يقع لفظه البيمارستان وهو فارسى وذلك ان البيمار بالفارسى
هو المرضى وستان هو الموضع أى موضع المرضى ولم يكن له دأب فى مدة حياته
وطول بقائه الا النظر فى صنعة الطب واتخاذ فوائدها ومداواة المرضى واتصال
الراحة اليهم وانقاذهم من عللهم ولم يكن لابقراط رغبة فى خدمة أحد من
الملوك لطلب الغنى ولا فى زيادة مال وكان ابقراط فى زمن بهمن بن اسفنديار
ابن بستاسب وظهر ابقراط سنة ست وتسعين لبختنصر وهى سنة أربع عشرة
لملك بهمن وأما تفسير اسمه فان معناه ضابط الخيل وقيل معناه ماسك الارواح
وقيل ماسك الصحة وأصل اسمه باليونانية ابقوقراطيس ويقال هو بقراطيس
وانما العرب عادتها ان تخفف الاسماء فخففت هذا الاسم فقالوا ابقراط
وبقراط أيضا وقد جرى ذلك كثيرا فى الشعر ويقال أيضا بالتاء ابقرات
وبقرات ومات مفلوجا ومن ألفاظه الحكمية ونوادره المفردة فى الطب قال

الطب قياس وتجربة وقال العادة اذا قدمت صارت طبيعة ثانية والزجر والفأل حس نفساني وقال كل مرض معروف السبب موجود الشفاء وقال لا تأكل حتى تجوع وقال يتداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تنزع الى عادتها وقيل له لم يكون البدن أثور ما يكون اذا شرب الانسان الدواء قال لان أشدّ ما يكون البيت غبارا اذا كنس وقال مثل المنى فى الظهر كمثل الماء فى البئر ان نزفته فار وان تركته غار وقال ان الجامع يقتلع من ماء الحياة وسئل فى كم ينبغى للانسان ان يجامع قال فى كل سنة مرة قيل فان لم يقدر قال فى كل شهر مرة قيل فان لم يقدر قال فى كل أسبوع مرة قيل له فان لم يقدر قال هى روحه أى وقت شاء يخرجها وقال العافية ملك خفى لا يعرف قدرها الامن عدمها وقيل له أى العيش خير فقال الامن مع الفقر خير من الغنى مع الخوف ودخل على عليل فقال له أنا وأنت والعلة ثلاثة فان اعنتنى عليها بالقبول لما تسمع منى صرنا اثنين وانفردت العلة فقوينا عليها والاثنان اذا اجتمعا على واحد غلباه وقال للقلب آفتان وهما الغم والهم فالغم يعرض منه النوم والهم يعرض منه السهر وذلك ان الهم فيه فكر فى الخوف بما سيكون فمنه يكون السهر والغم لا فكر فيه لانه انما يكون بما قد مضى وانقضى (ومن) كلامه فى العشق العشق طمع يتولد فى القلب وتجتمع فيه مواد من الحرص وكلما قوى ازداد صاحبه فى الاهتياج واللجاج وشدة القلق وكثرة السهر وعند ذلك يكون احتراق الدم واستحالته الى السوداء والتهاب الصفراء وانقلابها الى السوداء ومن طغيان السوداء فساد الفكر ومع فساد الفكر تكون الندامة ونقصان العقل ورجاء مالم يكن وتمنى مالم يتم حتى يؤدى ذلك الى الجنون فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما مات غما وربما وصل الى معشوقه فيموت فرحا وأسفا وربما شهق شهقة فتخفى فيها روحه أربعا وعشرين ساعة فيظن انه قد مات فيقبر وهو حى وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه فى تامور قلبه فينضم عليها القلب فلا تنفرج حتى يموت وربما ارتاح وتشوّق للنظر أو رأى من يحب فيموت فجأة دفعة واحدة وأنت ترى العاشق اذا سمع بذكر من يحب كيف يهرب دمه ويستحيل لونه وزوال ذلك عمن هذه حاله بلطف رب العالمين لا بتدبير من الآدميين وذلك ان المكروه العارض من سبب قائم بمفرده بنفسه يتهيأ التلطف

فى ازالته بازالة سببه فاذا وقع السببان وكل واحد منهما علة لصاحبه لم يكن الى زوال واحد منهما سبيل كما اذا كانت السوداء سببا لاتصال الفكر وكان اتصال الفكر سببا لاحراق الدم والصفراء وميلهما الى السوداء فالسوداء كلما قويت قويت قوة الفكر والفكر كلما قوى قويت السوداء فهذا الداء العياء الذى تعجز عن معالجته الاطباء (ومن) كلامه الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع وقال أما العقلاء فيجب ان يسقوا الخمر وأما الحمقاء فيجب ان يسقوا الحريف وقال ليس معى من فضيلة العلم الا علمى بأنى لست بعالم وقال المالك للشئ هو المسلط عليه فمن أحب أن يكون حرا فلا يهوى ماليس له وليهرب منه والا صار له عبدا وقال لتلميذه ان أحببت ان لا تفوتك شهوة فاشته ما يمكنك وقال الدنيا غير باقية فاذا أمكن الخير فاصطنعوه واذا عدمتم ذلك فتحمدوا واتخذوا من الذكر أحسنه انتهى ما لخصته من ترجمة ابقراط من طبقات الاطباء للعلامة موفق الدين ابى العباس أحمد بن أبى القاسم الخزرجى المعروف بابن أبى أصيبعة رحمه الله (وذكر) الشيخ جمال الدين بن نباتة فى شرح العيون ومن طرائف حكايات أبقراط ان ولد أحد الملوك عشق جارية من حظايا أبيه فنحل بدنه واشتدت علته وهو كاتم خبره فأحضر ابقراط فجس نبضه ونظر الى بشرته فلم ير علة فذا كره حديث العشق فرآه يهتز لذلك ويضطرب فاستخبر الحال من حاضنته فلم يكن عندها خبر فقال هل نخرج من الدار فقالت لا فقال لابيه مر رئيس الخصيان بطاعتى فأمره فقال اخرج على النساء فخرجن وابقراط أصبعه على نبض الصبى فلما خرجت الجارية اضطرب عرقه وطار طبعه فعلم ابقراط انها المعينة فصار الى الملك فقال ان ابن الملك عاشق لمن الوصول اليها صعب قال الملك من هى قال زوجتى فقال انزل عنها ولك عنها بدل فتمنع ابقراط وقال هل رأيت أحدا كلف أحدا الى طلاق زوجته ولاسيما الملك فى عدله ونصفته يأمرنى بمفارقة زوجتى وهى عديلة روحى فقال الملك انى أوثر عليك وأعوضك أحسن منها فامتنع حتى بلغ الامر الى التهديد والسيف فقال ان الملك لا يسمى عادلا حتى ينصف من نفسه أرأيت لو كانت العشيقة حظية الملك ففهم الملك المراد وقال يا ابقراط عقلك أتم من معرفتك ونزل عن الحظية لابنه وشفى الفتى (فيثاغورس) قال القاضى صاعد فى طبقات الامم ان فيثاغورس

كان بعد بندقليس بزمان وأخذ الحكمة عن أصحاب سليمان بن داود عليهما السلام بمصر حين دخلوا اليها من بلاد الشام (ومن) كلامه وآدابه وحكمه قال كما ان بدأ وجودنا وخلقنا من الله سبحانه هكذا ينبغي ان تكون نفوسنا منصرفة الى الله تعالى وقال الفكرة لله خاصة فمحبتها متصلة بمحبة الله ومن أحب الله سبحانه وتعالى عمل بمحابه ومن عمل بمحابه قرب منه ومن قرب منه نجا وقال الاقوال الكثيرة في الله تعالى علامة تقصير الانسان عن معرفته وقال مالا ينبغي ان تفعله احذران تخطره ببالك وقال الاشكال المزخرفة والامور المموهة في أقصر الازمان تتبهرج وقال الاخلق بالانسان ان يفعل ماينبغي لا مايشتهي وقال الدنيا دول مرة لك وأخرى عليك فان توليت فاحسن وان تولوك فأان وكان يقول ان أكثر الآفات انما تعرض للحيوانات من عدمها الكلام وتعرض للانسان من قبل الكلام وكان يقول من استطاع ان يمنع نفسه من اربعة أشياء فهو خليق ان لا ينزل به مكروه كما ينزل بغيره العجلة واللجاجة والعجب والتواني فثمرة العجلة الندامة وثمرة اللجاجة الحيرة وثمرة العجب البغضاء وثمرة التواني الزلة ونظر الى رجل عليه ثياب فاخرة تتكلم فيلحن في كلامه فقال له اما ان تتكلم بكلام يشبه ثيابك أو تلبس لباسا يشبه كلامك وقال استعمل الفكر قبل العمل وقال كثرة العدو تقل العدو وحضرت امرأته الوفاة في أرض غربة فجعل أصحابه يتحرقون على موتها في أرض الغربة فقال يامعشر الاخوان ليس بين الموت في الغربة والوطن فرق وذلك ان الطريق الى الآخرة واحدة من جميع النواحي وقيل ما أحلى الاشياء فقال الذى يشتهي الانسان وقال انك لى لعدوك ان لا تريه انك تتخذه عدوا انتهى كلامه (سقراط) كان من تلاميذ فيثاغورس واقتصر من الفلسفة على العلوم الالهية واعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها واعلن بمخالفة اليونانيين في عبادتهم الاصنام وقابل رؤساءهم بالحجاج والادلة فثوروا العامة عليه واضطروا ملكهم الى قتله فأودعه الملك الحبس تحمدا اليهم ثم سقاه السم تفاديا من شرهم مع مناظرات جرت له مع الملك محفوظة وله وصايا شريفة وآداب فاضلة وحكم مشهور ومعنى سقراطيس باليونانية المعتصم بالعدل وبلغ من تعظيمه الحكمة مبلغا أضر بمن بعده من محبي الحكمة لانه كان من رأيه ان لا يستودع الحكمة

الصحف ولا القراطيس تنزيها لها عن ذلك ويقول ان الحكمة طاهرة مقدسة فلا ينبغي ان تستودعها الا الانفس الحية وتنزهها عن الجلود الميتة ولم يصنف كتابا ولا أملى على أحد من تلاميذه ما أثبته في قرطاس وانما كان يلقنهم علمه تلقينا لا غير وتعلم ذلك من أستاذه طيماوس فانه قال في صباه لا تدعني أدون ما أسمع منك من الحكمة فقال له ما أوثقك بجلود البهائم الميته وأزهدك في الخواطر الحيه هب انسانا لقيك في طريق فسألك عن شئ من العلم هل كان يحسن ان تحيله على الرجوع الى منزلك والنظر في كتبك فان كان لا يحسن فألزم الحفظ فلزمه سقراط (ومن) آداب سقراط وحكمه ونوادره ما ذكره الامير المبشر بن فاتك في كتابه قال سقراط عجبا لمن عرف فناء الدنيا كيف تلهيه عما ليس له فناء وقال النفس جامعة لكل شئ فمن عرف نفسه عرف كل شئ وقال ما ضاع من عرف نفسه وما أضيع من جهل نفسه وقال ستة لا تفارقهم الكآبة الحقود والحسود وحديث عهد بغنى وغنى يخاف الفقر وطالب رتبة يقصر قدره عنها وجليس أهل الادب وليس منهم وقال خير من الخير وشر من الشر من عمل به وقال اتقوا ما تبغضه قلوبكم وقال من اهتم بالدنيا ضيع نفسه ومن اهتم بنفسه زهد في الدنيا وقال طالب الدنيا ان نال ما أمل تركه لغيره وان لم ينل ما أمل مات بغصة وقال من أحب ان لا تفوته شهوة فليشته ما يمكنه وقال له رجل شريف الجنس وضيع الخلائق أما تأنف نفسك يا سقراط من خساسة جنسك فأجابه جنسك عندك انتهى وجنسي مني ابتدئ وقال لا يكون الحكيم حكيما حتى يغلب شهوات الجسم وكان يقول القينة مخدومة ومن خدم غير ذاته فليس بحر وقال انما جعل للانسان لسان واحد وأذنان ليكون ما يسمعه أكثر مما يتكلم به وقال أنفع ما اقتناه الانسان الصديق المخلص وقال الصامت ينسب الى العي والمتكلم ينسب الى الفضول و يندم وقال اذا ضاق صدرك بسرك فصدر غيرك به أضيق وقال من أراد النجاة من مكائد الشيطان فلا يطيعن امرأة فان النساء سلم منصوب ليس للشيطان حيلة الا بالصعود عليه وقال لتلميذله يا بني ان كان لا بد لك من النساء فاجعل لقاءك لهن كأكل الميتة ولا تأكلها الا عند الضرورة فتأخذ منها بقدر ما يقيم الرمق فان أخذ آخذ منها فوق الحاجة أسقمته وقتلته وقيل له ما تقول في النساء فقال

من شجر الدفلى له رونق وبهاء فاذا أكله الغرقته له وقال من قل همه على مافاته استراحت نفسه وصفا ذهنه وقال أفضل السيرة طيب المكسب وتقدير الانفاق وقال من يجرب يزدد علما ومن يؤمن يزدد يقينا ومن يستيقن يعمل جاهدا ومن يحرص على العمل يزدد قوة ومن يكسل يزدد فترة وقال القينة ينبوع الاحزان فلا تقتنوا الاحزان وقال لولا ان فى قولى انى لا أعلم اخبارا اننى أعلم لقلت انى لا أعلم (افلاطون) فيلسوفى يونانى طبى عالم بالهندسة وطبائع الاعداد ومعنى اسمه العميم الواسع لزم سقراط وسمع منه خمس سنين ثم مات سقراط فبلغه ان بمصر قوما من أصحاب فيثاغورس فسار اليهم حتى أخذ عنهم وبلغ من العمر احدى وثمانين سنة وكان حسن الاخلاق كريم الافعال كثير الاحسان الى كل أحد غريبا وقريبا متأدبا حكيما صبورا (ومن) كلامه ومواعظه العادة على كل شئ سلطان وقال من لم يواس الاخوان عند دولته خذلوه عند فاقته وقيل له لم لا تجتمع الحكمة والملك فقال لعز الكمال وقال اذا أردت ان تدوم لك اللذة فلا تستوفى الملتذ أبدا بل دع فيه فضلة تدوم لك اللذة وقال غاية الادب ان يستحى المرء من نفسه وقال ماألمت نفسى الا من ثلاث من غنى افتقر وعزيز ذل وحكيم تلاعبت به الجهال وقال لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده فان الناس ليس يسألون فى كم فرغ من هذا العمل وانما يسألون عن جودة صنعته وقال اطلب فى الحياة العلم والمال تحز الرياسة على الناس لانهم بين خاص وعام فالخاصة تفضلك بما تحسن والعامة تفضلك بما تملك وقال عين المحب عمياء عن عيب المحبوب وقال الحلم لا ينسب الا الى من قدر على السطوه والزهد لا ينسب الا الى من ترك بعد المقدره وقال الحسن الخلق من صبر على السئ الخلق وقال أشرف الناس من شرفته الفضائل لا من يشرف بالفضائل وذلك ان من كانت الفضائل فيه جوهرية فهى تشرفه ومن كانت فيه عرضية تشرف بها ولم تشرفه وقال الحياء اذا توسط وقف الانسان عما عابه واذا أفرطه وقفه عما يحتاج اليه واذا قصر خلع عنه ثوب التجمل فى كثير من احواله وقال لا تصحب الشرير فان طبعك يسرق من طبعه شرا وأنت لا تدرى وقال من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راض عنك ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك وقال رب مغبوط بنعمه

هي بلاؤه ورب محسود على حال هي دواؤه وقال الامل خداع النفوس لا تستكثرن من عشرة جلة عيوب الناس فانهم يلتقطون ما غفلت عنه وينقلونه الى غيرك كما ينقلون عنهم اليك وقال الافراط في النصيحة يوهم بصاحبها كثيرا من الظنة وقال ليس ينبغي للرجل ان يشغل قلبه بما ذهب منه ولكن يعتني بحفظ ما بقي عليه وسئل عند موته عن الدنيا فقال خرجت اليها مضطرا وعشت فيها متحيرا وها أنا أخرج منها كارها ولم أعلم فيها انني لا أعلم (ارسطاطاليس) وتفسيره تام الفضيلة قال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل في كتابه عن ارسطاطاليس انه كان فيلسوف اليونان وعالمها وخريرها وخطيبها وطبيبها وكان أوحدا في الطب وغلب عليه علم الفلسفة قال المسعودي وكان افلاطون يجلس فيستدعي من الكلام فيقول حتى يحضر الناس وربما قال حتى يحضر العقل فاذا حضر قال تكلموا فقد حضر العقل (ومن) كلامه وحكمه رغبتك فيمن زهد فيك ذل نفس وزهدك فيمن يرغب فيك قصر همة وقال الجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديق غيره وقال الحاجة تفتح أبواب الحيلة ونظر الى حدث يتهاون بالعلم فقال له انك لم تصبر على تعب العلم وصبرت على شقاء الجهل وقال كفى بالتجارب تأدبا وبالايام عظة وقال خير الاشياء أجدها الا المودات وقال كلام العجلة موكل به الزلل وأعاد على تلميذه مسئلة فقال له أفهمت فقال التلميذ نعم فقال لا أرى آثار الفهم عليك قال وكيف ذلك قال لا أراك مسرورا والدليل على الفهم السرور (جالينوس) وكان مولده من بعد زمان المسيح بتسعة وخمسين سنة على ما أرخه اسحق بن حنين وأما قول من زعم انه كان معاصره وانه توجه ليراه ويؤمن به فغير صحيح وقد أورد جالينوس في مواضع متفرقة من كتبه ذكر موسى وعيسى وتبين من قوله انه كان من بعد المسيح بهذه المدة التي تقدم ذكرها (ومن) ألفاظ جالينوس وحكمه ونوادره ما ذكره حنين بن اسحق في كتاب نوادر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء قال الهم فناء القلب والغم مرض القلب ثم بين ذلك فقال الغم بما كان والهم بما يكون وفي مواضع أخر الغم بما فات والهم بما هو آت (ومن) كلامه في العشق قال العشق استحسان ينضاف اليه طمع وقال لن واحكم تنبل تنل ولا تكن معجبا فتمتهن وقال الحياء خوف المستحي من نقص يقع به عند من هو

أفضل منه وقال يتهيؤ للانسان ان يصلح أخلاقه اذا عرف نفسه فان معرفة الانسان هى الحكمة العظمى وذلك ان الانسان لافراط محبته لنفسه بالطبع يظن بها من الجميل ما ليست عليه حتى ان قوما يظنون بأنفسهم انهم شجعان وكرماء وليسوا كذلك وأما العقل فيكاد ان يكون الناس كلهم يظنون بأنفسهم التقدم فيه وأقرب الناس الى الذى يظن ذلك بنفسه أقلهم عقلا ورأى رجلا تعظمه الملوك لشدة جسمه فسأل عن أعظم ما فعله فقالوا انه حمل ثورا مذبوحا من وسط الهيكل حتى أخرجه خارجا فقال لهم فقد كانت نفس الثور تحمله ولم يكن لها فى حمله فضيلة وقال ان العليل يتروح بنسيم أرضه كما تتروح الارض الجدبة ببل القطر وقيل له متى ينبغى للانسان ان يموت قال اذا جهل ما يضره مما ينفعه ومن كلامه انه سئل عن الاخلاط الاربعة فقيل له ما قولك فى الدموى فقال عبد مملوك وربما قتل العبد مولاه قيل له فما قولك فى الصفراء قال كلب عقور فى حديقة قيل له فما قولك فى البلغم قال ذلك الملك الرئيس كلما أغلقت عليه بابا فتح لنفسه بابا قيل له فما قولك فى السوداء قال هيهات تلك الارض اذا تحركت تحرك ما عليها (ومن) ذلك قال انا ممثل لك مثالا فى الاخلاط الاربعة فأقول ان مثال الصفراء وهى المرة الحمراء كمثل امرأة سليطة صالحة تقية فهى تؤذى بطول لسانها وسرعة غضبها الا انها ترجع سريعا بلا غائلة ومثل الدموى كمثل الكلب الكلب فاذا دخل دارك فعاجله اما باخراجه أو قتله ومثل البلغم فى البدن اذا تحرك مثل ملك دخل بيتك وأنت تخاف ظلمه وجوره وليس يمكن ان تخرق به وتؤذيه بل يجب ان ترفق به وتخرجه ومثل السوداء فى الجسد مثل الانسان الحقود الذى لا يتوهم فيه بما فى نفسه ثم يثب وثبة فلا يبقى مكروها الا يفعله ولا يرجع الا بعد الجهد الجهيد (ومن) تمثيلاته الظريفة قال الطبيعة كالمدعى والعلة كالخصم والعلامات كالشهود والقارورة والنبض كالبينة ويوم البحران كفصل القضاء والفصل والمرض كالمتوكل والطبيب كالقاضى

(ابن كلدة الثقفى) لما وفد على كسرى أنوشروان أذن له بالدخول فلما وقف بين يديه منتصبا قال له من أنت قال أنا الحرث بن كلدة قال فما صناعتك قال الطب قال اعرابى انت قال نعم من صميمها وبحبوحة دارها قال فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها وضعف عقولها وسوء أغذيتها قال أيها الملك انه

اذا كانت هذه صفتها كانت أحوج الى ما يصلح جهلها ويقيم عوجها ويسوس أبدانها ويعدل أمشاجها فان العاقل يعرف ذلك من نفسه ويميز موضع دائه ويحترز عن الادواء كلها بحسن سياسته لنفسه قال كسرى فكيف تعرف ما توردة عليها ولو عرفت الحكم لم تنسب الى الجهل قال الطفل يناغي فيداوى والحية ترقى فتداوى ثم قال أيها الملك العقل من قسم الله تعالى قسمه بين عباده كقسمة الرزق فيهم فكل من قسمته أصاب وخص بها قوم وزاد فيهم مثر ومعدوم وجاهل وعالم وعاجز وحازم ذلك تقدير العزيز العليم (قال) كسرى فما الداء الدوى قال ادخال الطعام على الطعام وهو الذي يفني البرية ويهلك السباع في البرية قال أصبت قال فما العلة التي تظلم منها الادواء قال هي التخمة ان بقيت في الجوف قتلت وان تحللت أسقمت قال صدقت قال فما تقول في الحجامة قال في نقصان الهلال في صحو لا غيم فيه والنفس طيبة والعروق ساكنة لسرور يفاجئك وهم يباعدك قال فما تقول في الحمام قال لا تدخله شبعانا ولا تغش أهلك سكرانا ولا تقم بالليل عريانا ولا تقعد على الطعام غضبانا وارفق بنفسك تكن رخي البال وقلل من طعامك يكن أهنى لنومك قال فما تقول في الدواء قال ما لزمتك الصحة فاجتنبه فان هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه فان البدن بمنزلة الارض ان أصلحتها عمرت وان تركتها خربت قال فما تقول في الشراب قال أطيبه أهنأه وأرقه أمراه وأعذبه أشهاه تشربه صرفا فيورثك صداعا ويثير عليك من الادواء أنواعا قال فاى اللحمان أفضل قال الضأن الفتي والجدي الرضيع والقديد المالح مهلك للآكل واجتنب لحم الجزور والبقر قال فما تقول في الفواكه قال كلها في اقبالها وحين أوانها واتركها اذا أدبرت وانقضى زمانها وأفضل الفاكهة الرمان والاترج وأفضل الرياحين الورد والبنفسج وأفضل البقول الهندباء والخس قال فما تقول في شرب الماء قال هو حياة البدن وبه قوامه ينفع ما شرب منه بقدر وشربه بعد النوم ضرر وأفضله أمراه وأرقه أصفاه قال فأخبرني عن اصل الانسان ماهو قال أصله من حيث شرب الماء يعني رأسه قال فما هذا النور الذي في العينين قال مركب من ثلاثة أشياء فالبياض شحمة والسواد ماء والناظر ريح قال فعلى كم شئ جبل وطبع هذا البدن قال على أربع طبائع المرة السوداء

وهى باردة يابسة والدم حار رطب والبلغم بارد رطب والصفراء حارة يابسة
قال فلم لم يكن من طبع واحد قال لو خلق من طبع واحد لم يأكل ولم يشرب
ولم يمرض ولم يهلك قال فمن طبيعتين لو كان اقتصر عليهما قال لم يجز لانهما
ضدان مختلفان يقتتلان قال فمن ثلاثة قال لم يصلح موافقان ومخالف فالاربع
هو الاعتدال والقيام قال فاجمل لى الحار والبارد فى أحرف جامعة قال كل حلو
حار وكل حامض بارد وكل حريف حار وكل مر معتدل وفى المر حار وبارد
قال فما أفضل ما عولج به المرة الصفراء قال كل بارد لين قال فالمرة السوداء
قال كل حار لين قال فالبلغم قال كل حار يابس قال فالدم قال اخرجه اذا زاد
(الشئ بالشئ يذكر) كنت أنشدت سيدى القاضى صدر الدين على بن القاضى
أمين محمد بن الادمى قول بعض الفضلاء وهو

أصبحت تخرجنى بغير جريمة * من دار اكرام لدار هوان
كدم الفصاد يراق ارذل موضع * أبدا ويخرج من أعز مكان

(فأنشدنى) لنفسه بعد أيام

قد كنت مثل دمى صدقت أجله * وأعزه لابان عن جثمانى
لما فسدت وزدت لم آمن على * روحى فصلت عليك بالهجران

(رجع) قال فالرياح قال بالحقن اللينة والادهان الحارة الليفة قال أفتأمر
بالحقنة قال نعم قرأت فى بعض الكتب للحكماء ان الحقنة تنقى الجوف وتكسح
الادواء عنه والعجب ممن احتقن كيف يهرم أو يعدم الولد وان الجاهل كل الجهل
من يأكل ما عرف مضرته ويؤثر شهوته على راحة بدنه قال فما الحمية قال
الاقتصاد فى كل شئ فان الاكل فوق المقدار يضيق على الروح مساحتها ويسد
مسامها قال فما تقول فى النساء واتيانهن قال كثرة غشيانهن رديئة واياك
واتيان المرأة المسنة فانها كالشن البالى تجذب قوتك وتسقم بدنك وماؤها سم
قاتل ونفسها موت عاجل تأخذ منك الكل ولا تعطيك البعض والشابة
ماؤها عذب زلال وعناقها غنج ودلال فوها بارد وريحها طيب وهنها ضيق
تزيدك قوة الى قوتك ونشاطا الى نشاطك قال فايهن القلب اليها أميل والعين
برؤيتها أسر قال اذا أصبتها المديدة القامة العظيمة الهامة واسعة الجبين
قناة العرنين كحلاء لعساء صافية الخد عريضة الصدر مليحة النحر فى خدها

رقة وفى شفتيها اللعس مقرونة الحاجبين ناهدة الثديين لطيفة الخصر والقدمين بيضاء فرعاء جعدة غضة بضة تخالها فى الظلمة بدرا زاهرا تبسم عن أقحوان وعن مبسم كالارجوان كأنها بيضاء مكنونة الين من الزبد وأحلى من الشهد وأزهى من الفردوس والخلد وأذكى ريحا من الياسمين والورد تفرح بقربها وتسرك الخلوة بها قال فضحك كسرى حتى اختلجت كتفاه قال ففى أى الاوقات اتيانها أفضل قال عند ادبار الليل يكون الجوف أخلى والنفس اهدى والقلب أشهى والرحم أدفى فان أردت الاستمتاع بها نهارا لتسرح عينيك فى جمال وجهها و يجتنى فوك من ثمرات حسنها و يعى سمعك من حلاوة لفظها وتسكن الجوارح كلها اليها فتجنب الشبع ووقت القيلولة وهيجان الدم قال كسرى لله درك من اعرابى لقد أعطيت علما وخصصت فطنة وفهما وأحسن صلته وأمر بتدوين ما نطق به (تياذوق) كان فى دولة بنى أمية وصحب الحجاج بن يوسف الثقفى وخدمه بصناعة الطب ومن وصيته له لاتأكل حتى تجوع ولا تكرهن على الجماع ولا تحبس البول وخذ من الحمام قبل ان يأخذ منك وقال له أربعة تهدم العمر وربما قتلن دخول الحمام على البطنة والمجامعة على الامتلاء وأكل القديد الجاف وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة العجوز بعيد منهن وقيل ان بعض الملوك لما رأى تياذوق شاخ وكبر خشى ان يموت ولا يعتاض عنه لانه كان أحذق الامة فى وقته بالطب فقال له صف لى ما أعتمد عليه فاسوس به نفسى وأعمل به أيام حياتى فلست آمن من أن يحدث عليك حادث الموت ولا أجد مثلك فقال تياذوق أيها الملك أقول لك عشرة أبواب ان عملت واجتنبتها لم تعتل مدة حياتك وهى لاتأكل طعاما وفى معدتك طعام ولاتأكل ما تضعف اسنانك عن مضغه فتضعف معدتك عن هضمه ولا تشرب الماء على الطعام حتى تفرغ ساعتين فان أصل الداء التخمة وأصل التخمة الماء على الطعام وعليك بدخول الحمام فى كل يوم مرة واحدة فانه يخرج من جسدك ما لا يصل اليه الدواء وأكثر الدم فى بدنك تحرس به نفسك وعليك فى كل فصل بقيئة ومسهلة ولا تحبس البول وان كنت راكبا وأعرض نفسك الخلاء قبل نومك ولا تكثر الجماع فانه يقتبس منك ماء الحياة فلتكثرا وتقل ولا تجامع العجوز فانه يورث موت الفجأة فلما سمع ذلك أمر كاتبه ان يكتب هذه

لا الفاظ بالذهب الاحمر ويضعه فى صندوق من ذهب مرصع بالجوهر وبقى ينظر اليه فى كل يوم ويعمل به فلم يعتل مدة حياته حتى جاءه الموت الذى لابد منه ولا محيص عنه (بختيشوع) طبيب الرشيد من كلامه أربعة تهدم العمر ادخال الطعام على الطعام والشرب على الريق ونكاح العجوز والتمتع فى الحمام (يوحنا) بن ماسويه ومن كلامه وقد سئل عن الخير الذى لاشر معه فقال شرب القليل من الشراب الصافى ثم سئل عن الشر الذى لاخير معه فقال نكاح العجوز (يعقوب) بن اسحاق الكندى فيلسوف العرب ومن كلامه ما أوصى به لولده أبى العباس قال الكندى يابنى الاب رب والاخ فخ والعم غم والخال وبال والولد كمد والاقارب عقارب وقول لا تصرف البلاء وقول نعم تزيل النعم وسماع الغناء برسام حاد لان الانسان يسمع فيطرب وينفق فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت والدينار محموم فان صرفته مات والدرهم محبوس فان أخرجته فر والناس سخرة فخذ شيئهم واحفظ شيئك ولا تقبل ممن قال ان اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع (أوحد الزمان هبة الله أبو البركات) ابن على كان يهوديا وأسلم ومن حذقه أن مريضا كان ببغداد قد عرضت له علة الماليخوليا وكان يعتقد أن على رأسه دنا وانه لا يفارقه أبدا فكان كلما مشى يتخايل أن المواضع سقوفها قصيرة ويمشى برفق ولا يترك أحدا يدنو منه حتى لا يميل الدن عن رأسه أو يقع وبقى هذا المرض مدة وهو فى شدة منه وعالجه جماعة من الاطباء ولم يحصل من معالجتهم تأثير ينتفع به وأنهى أمره الى أوحد الزمان ففكر أنه ما بقى شئ يمكن أن يبرأ به الا بالامور الوهمية فقال لاهله اذا كنت فى الدار فأتونى به ثم ان أوحد الزمان أمر أحد غلمانه بان ذلك المريض اذا دخل اليه وشرع فى الكلام معه وأشار الى الغلام بعلامة بينهما ان يسرع بخشبة كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض على بعد منه كأنه يريد كسر الدن الذى يزعم انه على رأسه وأوصى غلاما آخر وكان قد أعد معه دنا فى أعلى السطح أنه متى رأى ذلك الغلام قد ضرب فوق رأسه أن يرمى الدن الذى عنده بسرعة الى الارض ولما كان أوحد الزمان فى بيته وأتاه المريض فأقبل اليه وقال له والله لابد لى أن اكسر الدن وأريحك منه ثم أدار تلك الخشبة التى معه وضرب بها فوق رأسه بنحو ذراع وعند ذلك رمى الغلام الآخر الدن من أعلى السطح فكانت له

وبحة عظيمة وتكسر قطعا كبيرة فلما عاين المريض مافعل به ورأى الدن المتكسر تأول لكسرهم اياه ولم يشك فيه انه الذى كان على رأسه بزعمه وأثر فيه الوهم أثرا أبرأ علته من تلك وهذا باب عظيم فى المداوة (العنترى صاحب النور المجتبى) كان طبيبا ممارسا مشهورا وعالما مذكورا وافر الفضل فيلسوفيا متبصرا فى علم الادب ومن كلامه الجاهل عبد لا يعتق رقه الا بالمعرفة وقال الحكمة سراج النفس فى عدمها عميت النفس عن الحق وقال الادب أزين للمؤمن من نسبه وأولى للمرء من حسبه وأدفع عن عرضه من ماله وأرفع لذكره من جماله وقال من أحب ان ينوه باسمه فليكثر من العناية بعلمه وقال الجاهل يطلب المال والعالم يطلب الكمال وقال الغم ليل القلب والسرور نهاره وشرب السم أهون من معاناة الهم (ومن شعره)

لو كنت تعلم كل ماعلم الورى * جمالكنت صديق كل العالم

لكن جهلت فصرت تحسب كل من * يهوى خلاف هواك ليس بعالم

(يحيى بن اسحق) كان طبيبا ذكيا وعالما بصيرا باالعلاج صانعا بيده وكان فى دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله واستوزره نقل عنه من حذقه انه أتى اليه بدوى على حمار وهو يصيح على باب داره أدركونى وكلموا الوزير بخبرى فلما خرج اليه قال مابالك فقال له ورم فى احليلى منعنى النوم منذ أيام كثيرة وأنا فى الموت فقال له اكشف عنه فاذا هو وارم فقال لرجل كان قد أقبل مع العليل أطلب لى حجرا أملس فطلبه فوجده فقال ضعه على كفك وضع عليه الاحليل فلما مكن احليل الرجل على الحجر جمع الوزير يده وضرب على الاحليل ضربة غشى الرجل منها ثم اندفع الصديد يجرى فلما استوفى الرجل صديدا لورم فتح عينيه ثم بال البول فى أثر ذلك فقال له اذهب فقد برئت علتك وأنت رجل عابث واقعت بهيمة فى دبرها فصادفت شعيرة من علفها فى عين الاحليل فورم لها وقد خرجت فى الصديد فقال له الرجل قد فعلت هذا وأقر بذلك وهذا يدل على حدس صحيح وقريحة صادقة (ابن جميع الاسرائيلى) من الاطباء المشهورين والعلماء المذكورين خدم سلطان مصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظى فى أيامه وكان رفيع المنزلة نافذ الامر ونقل عنه من حذقه انه كان جالسا فى دكانه وقد مرت عليه جنازة فلما نظر اليها صاح يا أهل الميت وذكر لهم

ان صاحبهم لم يمت وانهم ان دفنوه فانما يدفنونه حيا فصاروا ناظرين اليه كالمتعجبين من قوله ولم يصدقوه فيما قال ثم انهم قال بعضهم هذا الذى يقوله ما يضرنا ان نمتحنه فان كان حيا فهو الذى نريده وان لم يكن حيا فما يتغير علينا شئ فاستدعوه اليهم وقالوا بين الذى قلت لنا فأمرهم بالمصير الى البيت وان ينتزعوا عنه أكفانه وقال لهم احملوه الى الحمام وسكب عليه الماء الحار فاحمى بدنه ونطله نطولا وغطسه فرأى فيه أدنى حس وتحرك حركة خفية فقال أبشروا بعافيته ثم تمم علاجه الى ان أفاق وصلح فكان ذلك مبدأ اشتهاره بجودة الصنعة والعلم وظهرت عنه ثم انه سئل بعد ذلك من أين علمت حال ذلك الميت وهو محمول وعليه الاكفان ان فيه روحا فقال انى نظرت الى قدميه فوجدتهما قائمتين وأقدام الذين قد ماتوا تكون منبسطة فحدست انه حى وكان حدسى صائبا والله أعلم (الحكيم صدقة السامرى) هو الفاضل صدقة بن منجا ابن صدقة ويعرف بابن الشاعر من الاكابر فى صناعة الطب والمتميزين من أهلها والاماثل من أربابها خدم الملك الاشرف موسى بن العادل بن أيوب الى أن توفى فى خدمته وكان يحترمه غاية الاحترام ويكرمه غاية الاكرام وخلف من الكتب عشرة آلاف مجلدة غير كراريس وأوراق مفرطة تقدير ألف مجلد (ومن كلامه) انظر الموت بعين عقلك تره قريبا ولا تره بعين أملك تلحظه بعيدا وقال العلم شجرة فى القلب تزرع ومن السنة تظهر ثمارها وقال أنت بنفسك قريب من موجدك ومكونك وبشهواتك وعصيانك أنت بعيد من ربك (ومن نظمه)

يا ابن قسيم أصبحت تنتحل النحـــو ودعواك فيه منحوله
أمك ما بالها قل وأجب * مرفوعة الساق وهى مفعوله
فاعلها الاير وهو منتصب * مسائل قد أتتك مجهوله
والعين عطل وعين عصعصها * بنقطة الخصيتين مشكوله

(وله)

شيخ لنا من عظمه داهيه * ما مثله فى الامم الخاليه
مهندس فى طول أيامه * مع قصره يبتلع الساقيه
مثلث بدعمه قائم * لانه منفرج الزاويه

(نقلت) من خط المرحوم فخر الدين بن مكانس كتب صاحبنا فخر الدين

عبد الوهاب كاتب الدرجة الشريفة رحمه الله الى ابن صغير المتطبب وقد دعاه في مرضه ودخل الى الطهارة فعثر في طست الحقنة فاختضبت رجله رقعة يداعبه بها أولها * الشئ بالشئ يذكر * توجه سيدي بالامس مخضب القدم من هيولاه ذاما من محله المعمور ولسامنه تولاه وما كان من حقه في أمسه تكدير نفسه ولكل شئ آفة من جنسه هذه مسئلة عركها أكبر منه لجبين واشتغل بها اشتغال ذي النحيين وأظنه قبل قدمه تخرج على تلك الصوره أو بعض أجزائه خلع صورة ولبس صوره (مفرد)

فتى غير محجوب الندى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت

على انه أكثر محافظة وودا وأرعى ذمة وعهدا كم أحرقته نار وجد الى أوطانه وازعجته من مكانه وهو لا يظهر الاحبا ولا يطلب منه الا قربا

لاشك اذلونكما واحد * انكما من طينة واحده

وبالجملة فأنا أسأل الله ان يكفيه سوء هذه المحنه كما كفى شمائله اللطيفة شر الابنه انه مجيب الدعاء ولي المنه (حكى) ان بعض الاطباء كان في بعض خدمة الملوك في غزوة ولم يكن معه وقت النصرة كاتب يرسل فتقدم الى الطبيب ان يكتب الى الوزير يعلمه بذلك فكتب الطبيب أما بعد فانا كامع العدو في حلقة كدائرة البيمارستان حتى لو رميت مبضعا لم يكن الا على قيفال فلم يكن الا كنبضة أو نبضتين حتى لحق العدو بحران عظيم فهلك الجميع بسعادتك يا معتدل المزاج (قلت) ما رأيت أحسن من هذا ولا أوجز (ووجدت) بخط طبيب على بعض الكتب طالعت هذه النسخة فوجدتها تأن سقما فعالجتها بالمقابلة الى ان تماثلت للصحة وبعضهم يهجو طبيبا يهوديا

قالوا اليهودي أخو حكمة * لازالت الامراض في كأسه
لو كان ذا النحس أخا حكمة * أزال دا الصفراء من رأسه

(وما ألطف قول الشيخ زين الدين بن لوردي مضمنا)

يا من يطبب قوما ثم يهملهم * يوما بما ذا عداك الشر تعتذر
اذكر فلان الذى أسهلته سحرا * ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا

(ولآخر) مفرد

حكيم لطيف من لطافة وصفه * يود المعافى السقم حتى يعوده

(كتب) المرحوم الوزير فخر الدين بن مكانس الى ابن صغير فى بعض مرضاته يسرع المولى عند الوقوف اليها نقل الخطوه ولا يتأخر فان القوة على الضعيف ضعف فى القوه فجاءنى على عاداته

تغدوا المنايا فما تنفك واقفة * حتى تراه على عزم فتتبعه

فحين رآنى من الهريرة كالرعديد وشاهد مابى من البرد قال ما أراك الاجليد فقلت له معالجة أم محاجه ومناصحة أم ممازجه ومطايبة أم مداعبه واستوصفته فجرى على المعهود منه فى الجهل بما يقول وعدم التمييز بين المعقول والمنقول ولكنى الظالم على نفسى والمشكك فى حسى فانى أعهده لم يزل مميت الأحيا ومقفر الاحيا فكم له بالديار المصرية من قتلى وأوراقه للرضى أشر من أوراق الدفلى كم شاب عاجله فأكسبه الصرع الفالج ولا ان يسمى مصارعا الذى به من معالج ثلاثة تدخل فى دفعه طلعته والنعش والغاسل لكنه مع ذلك ممن يجمع بين الاقران ويعمل المحرم فى رمضان قد ملك قياد القيادة على الفنين وطالت فيها مدته فاستحق ان يدعى بذى القرنين فاستعذت بالله من الشيطان وسرحته باحسان (كتب) القاضى الفاضل فى الكحالين يباكرنى كل عبرى العناصر يعرينى بالرحمة على بخت ناصر كأنه غاسل يدخل الى انسان العين بحنوطة من كحله الملعون ويدرجه فى كفن من الخرقة السوداء التى يلبسها سواد العيون مردودة عصبة ولد بها عصى العمى ينقل العين الى بياض الثغور وبسابها اللمى قد انتهى الى فوق ماضرب به المثل اذ قيل يسرق الكحل من العين وهذا يسرق العين من الكحل فهذا وأمثاله لص من اللصوص وسموا كحالين وهم صاغة لما يصوغون ويركبون فوق العيون من الفصوص بل دباغون يدبغون الجفن أيضا ومايعدوهم مهلك الدباغ بل صباغون يصبغون الاسود أبيض وليس ذلك الصباغ قد أودعوا حزن يعقوب فى كحلهم مكاحلهم فمن كحل به ابيضت عيناه وجحدوا معجز القميص اليوسفى فلو مروا به على ناظر ما انفجرت جفناه واذا رفعوا أميالهم فانما هى لشمس العيون مزوله واذا أولج أحدهم الميل فى المكحلة فهو أولى بالرجم ممن أولج الميل فى المكحله ومايؤم أهل الكتاب فى التبديل بواحد ولاخطاهم طريق الى الغى غير راشد فيوماعوا آية النبى صلى الله عليه وسلم

من النواراة وهى مسفره ويوما محوا آية النورمن الابصار وهى مسفره ولاخير فيهم حاربوا فمحوا بالامس الخطوط من الاوراق واستداموا الى اليوم فمحوا الخطوط من الاحداق (كتب) الحكيم شمس الدين بن دانيال الى السراج الوراق قطعة كحل اصفهانى

قل لعين الاماثل الاعيان * ومحل الانسان للانسان
خذه كحلا مثل السيوف جلاء * وصقالا بروق فى الاجفان
حجر كسره أجل من الاكسير * فعلا فى العين أو فى العيان
ألف عين تقيها حبة منه * قياسا يصح بالبرهان
ان تعظم مثاله فى حجاز * فلهذا التعظيم فى اصبهان

(الباب الثالث والثلاثون فى الحساب والوزراء)

اعلم ان لوزير مشتق اسمه من حمل الوزر عمن خدمه وحمل الوزير لا يكون الا بسلامة من الوزير فى خلقته وخلائقه اما فى خلقته فانه يكون تام الصورة حسن الهيئة متناسب الاعضاء صحيح الحواس وأما فى خلائقه فهو ان يكون بعيد الهمة سامى الرأى ذكى الذهن جيد الحدس صادق الفراسة رحب الصدر كامل المروءة عارفا بموارد الامور ومصادرها فاذا كان كذلك كان أفضل عدد المملكة لانه يصون الملك عن التبذل ويرفعه عن الدناءة ويغوص له على الفكرة ومنزلته منزلة الآلة يتوصل بها الى نيل بغيته وبمنزلة الذى يحرز المدينة من دخول الآفة ومنزلة الجارح الذى يصيد لطعمة صاحبه وليس كل أحد وان صلح لهذه المنزلة يصلح لكل سلطان مالم يكن معروفا بالاخلاص لمن خدمه والمحبة لمن استنصحه والايثار لمن قربه وقال الثعالبى فى يواقيت المواقيت الوزارة اسم جامع للمجد والشرف والمروءة وهى تلو الملك والامارة والرتب العلياء والدرجة الكبرى بعدهما قال منصور النميرى يمدح يحيى البرمكى

ولو علمت فوق الوزارة رتبة * تنال بمجد فى الحياة انالها

والانبياء عليهم السلام لم يستغنوا عن الوزراء فكيف الملوك والامراء وقد نطق القرآن بوزارة هرون لموسى عليهما السلام فى قوله تعالى رب اشرح لى صدرى

ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى ثم قال فى نظام الآية الكريمة وعلى نسق الكلام قد أوتيت سؤلك ياموسى فدل على انه جعله وزيره وصاحب سره وشريكه وافصح عن حسن موقع الوزارة وجلالتها ووقوع الحاجة اليها وكان آصف بن برخيا وزير سليمان بن داود عليهما السلام والمستولى على أموره وكان نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول ان لى وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الارض فأما اللذان من أهل السماء فجبريل وميكائيل عليهما السلام وأما اللذان من أهل الارض فأبو بكر وعمر رضى الله عنهما وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسى ذكره وان نوى خيرا أعانه أو أراد شرا كفه وكان انوشروان يقول لا يستغنى أعلم الملوك عن الوزير ولا أجود السيوف عن الصقال ولا أكرم الدواب عن السوط ولا أعقل النساء عن الزوج

(فصل فيما ينبغى للوزير ان يأتيه) اعلم ان الملوك لا يشبهون الآدميين الا بالصور فأما بالطباع والأخلاق والهمم فلا لانهم لا يشاكلونهم ولا يشابهونهم والملك وان كان كريما سخيا بعيد الهمة كثير المحاسن فانه لا يخلو قط من أربع خصال الحسد والحقد والملال والحرص على المال فينبغى ان يكون الوزير أعقل الناس وأحزمهم وأدهاهم وأبعد غورا فيجب عليه ان يدارى أخلاق الملك كما يدارى السباح الماء المغرق والوالدان أولادهم الصغار والحاوى الحية ويتحفظ من غائلته كما يتحفظ من السبع والنار القوية والمجنون الذى بيده السيف المسلول ويجب أن لا يملك ما يصلح للملك من الاعلاق النفيسة الا ما فى نفسه ان يهديه اليه ويخدمه به وينبغى له ان يظهر ويشيع جميع ما يملكه وتحويه يده للملك وانه انما يمسكه ويحفظه من أجله ويجب عليه ان لا يسرف فى الاهداء ولا يتخرق فى بذل ما فى يده وكما لا يشبع النار من الحطب لا يشبع الملك من الاموال ولا بد للوزير عن الاستظهار بالذخائر الخفية وقد قال الحكيم لوزير كان يستكثر من اعتقال الضياع ويغالى به عليك بحفظ الدنانير التى تشترى بها روحك من الملك فربما فعل ألف دينار ما لا تفعله ضياع ومستغل بما تأتى ألف (ومن نكت هذا الباب) ان الملك يريد كل حسن وطيب لنفسه

ويستأثر به على والده وولده ولذلك يقال من ملك استأثر وكان معاوية يقول وددت لو ان الدنيا فى بيضة نيمرشت فأحسوها حسوة واحدة لا يشركنى فيها أحد (ودعا) الفضل بن مروان المعتصم الى داره واحتفل واحتشد فى احسان الدعوة فلما حضر المعتصم ورأى مروءته وتجمله عمل فيه الحسد عمله فانقبض ورؤى فى عينه ولم ينشط لطعام ولا شراب وزعم انه يشتكى بطنه ففطن الفضل لما دهاه وأراد أن يوهم ان تلك الآلات مستعارة من دار أمير المؤمنين ليطفئ نار حسده فتقدم اليه وقال يا أمير المؤمنين انما استعرت أكثر هذه الاشياء من دار أمير المؤمنين وقد أرهقنى الخزانون والفراشون باسترجاعها فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر بامهالى فى ردها فعلت فضحك المعتصم وقال قل لهم لا يسترجعونها اليوم ثم نشط للطعام والشراب (ومما ورد فى تجنبها) قال المأمون لاحمد بن أبى خالد هل لك فى ان أستوزرك فقال دعنى يا أمير المؤمنين يكون بينى وبين الغاية درجة يرجوها الصديق ويخافها العدو فلست أريد بلوغ النهاية لئلا يقول عدوى قد بلغها وليس الا الانحطاط وكان ابراهيم بن المدبر اذا أعرضت عليه الوزارة أنشد قول العتابى

يلوم على ترك الغنى باهلية * طوى الدهر عنا كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن كالدما * مقلدة أجيادها بالقلائد
يسرك ان قد نلت مانال جعفر * من الملك أو مانال يحيى بن خالد
وان أمير المؤمنين أغصنى * بغصتها بالمرهفات البوارد
ذرينى تجيئنى منيتى مطمئنة * ولم اتجشم هول تلك الموارد
وان عليات الامور مشوبة * بمستودعات فى بطون الاساود

(فصل) فى لطائف كلام الوزراء أبو سلمة الخلال وزير السفاح كان يقول خاطر من ركب البحر وأشد منه مخاطرة من داخل الملوك (أبو عبد الله) وزير المهدى يقول الرجال تحت ألسنة الاقلام خير الكلام ما دل وقل (يحيى بن خالد) وزير الرشيد ما رأيت باكيا أحسن تبسما من القلم ما رأى أحد فى ولده ما يحب الا رأى فى نفسه ما يكره (الفضل بن يحيى) وزيره أيضا جرى بين يديه يوما مدح الناس أباه بجوده فقال وما قدر الدنيا حتى يمدح من يجود بها فضلا عن بعضها ولما عزل بأخيه جعفر قال ما انتقلت عنى نعمة صارت الى أخى ولا عزبت

عن رتبة طلعت عليه (جعفر بن يحيى) وزيره أيضا شر المال مالزمك اثم مكسبه وحرمت الاجر فى انفاقه (الفضل بن الربيع) وزير الرشيد والامين كما يقول ما أظن النعمة الا محظوطا عليها أما ترونها أبدا عند غير أهلها (الفضل بن سهل) وزير المأمون من توقيعاته الامور بتمامها والاعمال بخواتيمها والصنائع باستدامتها (اخوه الحسن بن سهل) وزير المأمون أيضا * عجبت لمن يرجو من فوقه كيف يحرم من دونه وقيل له لاخير فى السرف فقال لاسرف فى الخير ومن كلامه لا يصلح للتصدير الا واسع الصدر (أحمد بن أبى خالد) وزيره أيضا بالاقلام تساس الاقاليم وكتب الى صديق له يستدعيه يوم الالتقاء قصير فأعن عليه بالبكور وكتب الى المأمون مع هدية بعثت الى أمير المؤمنين قليلا من كثيره (محمد بن يزداد) وزيره ايضا ليس فى الحب مشورة ولا فى الشهوات خصومة ومن توقيعاته أبواب الملوك معادن الحاجات وليس لاستنجاحها الا الصبر والملازمة (الفضل بن مروان) وزير المعتصم الكاتب كالدولاب اذا تعطل تكسر * مارأيت أقرب رضى من سخط ولا أسرع ما بين قرب وبعد من الملوك (محمد بن الفضل الجرجانى) وزير المتوكل عاتبه المتوكل يوما على اشتغاله بالملاهى فقال يا أمير المؤمنين ان مقاساة هموم الدنيا لا تتأتى الا باستجلاب شئ من السرور (سليمان بن وهب) وزير المهدى * انى اغار على أصدقائى كما أغار على حرمى ونظر يوما فى المرآة فرأى شيبا كثيرا فقال عيب الا عدمناه (الحسن بن مخلد) وزير المعتمد كان يقول أعوذ بالله من نحس الاربعاء وحد الاحد وكان يقول أمر أمثالنا يأتى جملة ويذهب جملة فلم لا يتعجل اللذات قبل فوتها ويتمتع بصفو الزمان قبل كدره (صاعد بن مخلد) وزير المعتمد الموفق * النفس أصل لا عوض عنه والمال فرع يعود اذا تسرب عما قليل المنع الجميل أحسن من المطل الطويل (أبو الحسن بن الفرات) وزير المقتدر * ما أريد الوزارة الا لصديق أنفعه أو لعدو أقمعه وكان يقول انى لآنف كل شئ حتى الطريق ومن كلامه مارأيت أحدا على بابى وفى دارى ليس لى عنده احسان الا استحييت منه وصرفت غاياتى الى ارفاقه وتحصيل مراده ولولا حب المروءة مارغبت فى الرياسة والوزارة (أبو على بن مقلة) وزير المقتدر والقاهر والرضى كان يقول اذا أحببت تهالكت واذا أبغضت أهلكت واذا أرضيت أثرت واذا غضبت تأثرت وكان يقول أنا فى وزارتى

أقدم على العظائم كلها الا على اثنتين ازالة النعم وهتك الحرم (أبو جعفر أحمد بن شيرزاد) وزير المستكفي * الاصاغر يهفون والاكابر يعفون اياك والافراط الممل والتفريط المخل (أبو عبد الله الجيهاني) الكبير وزيره أيضا كان يقول جمال المرء في لسانه وجمال المرأة في عقلها ومن كلامه حسن الذكر ثمرة العمر (ابو الفضل بن العميد) وزير ركن الدولة * خير القول ما أغناك جده وألهاك هزله العاقل من أفتح من كل أمر خاتمته وعلم من بدء كل شئ عاقبته (الصاحب) ابو القاسم بن عباد وزير فخر الدولة وعد الكريم الزم من دين الغريم قد يبلغ الكلام حيث يقصر السهام الآمال ممدوده والانفاس معدوده ومن كلامه يا أسفي على رداء من الايام رقيق ما لبسناه حتى خلعناه وروض من الزمان مريع ما حللناه حتى فارقناه (قلت) لم أسمع في رقة العيش ألطف من قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفي رحمه الله تعالى

لست انسى رقة العيش الذى * زاد في الرقة حتى انقطعا

(رجع) ابو نصر بن ابي يزيد الراضي قال في امتهانه لبعض الاعداء ما عسى ان يبلغ عض النملة واسع النحلة ووقوع البقة على النخلة ومن كلامه الهدية ترد بلاء الدنيا والصدقة ترد بلاء الآخرة (ابو اسحق) ابراهيم بن حمزة وزير ابي على السمجوري قال ينبغي للاصاغر أن يتقدموا على الاكابر في ثلاثة مواطن اذا ساروا ليلا واذا خاضوا سيلا أولقوا خيلا (ابو الحسن الاهوازي) العدل أقوى جيش والامن أهنى عيش الاحن حصد المحن (عبد الله بن يحيى بن خاقان) كان يقول اذا دهانا أمر تمثلنا في أصعب حالاته فانقص منه كان سرورا بتعجله (نقلت) من تاريخ الصاحب كمال الدين بن العديم وهو تاريخه الكبير المسمى بغية الطالب في تاريخ مدينة حلب بسنده الى يحيى بن خاقان قال حضرت الحسن بن سهل وقد جاءه رجل يستشفع به في حاجة فقضاها فأقبل الرجل يشكره فقال له الحسن بن سهل على م تشكرنا ونحن نرى ان للجاه زكاة كما أن للمال زكاة ثم أنشأ يقول

فرضت على زكاة ما ملكت يدى * وزكاة جاهى أن أعين وأنفعا
فاذا ملكت فجد فان لم تستطع * فاجهد بفضلك كله ان تنفعا

(الصاحب) عون الدين يحيى بن هبيرة وزير المستنجد صاحب كتاب الافصاح حكى

عنه انه لما أدركته الوفاة أغمى عليه ثم أفاق فوجد أهله يبكون فقال ماشأنكم فقالوا بكينا لكونك خدمت الملوك والخلفاء فقال مذ دخلت فى عمل السلطان الى يومى هذا ماخانت أحدا من خلق الله وأرجو من كرم الله تعالى انه لايخجل هذه الشيبة

(فصل) فى لطائف هذا الباب قال بعض الفضلاء

غزال قد غزا قلبى * بألحاظ واحداق
له الثلثان من قلبى * وثلثا ثلثه الباقى
وثلثا ثلث مابقى * وثلث الثلث للساقى
وتبقى أسهم ست * تقسم بين عشاق

هذا الشاعر قسم قلبه الى أحد وثمانين سهما جعل لمحبوبه منها الثلثين وذلك أربع وخمسون سهما يبقى الثلث وهو سبع وعشرون زاده ثلثيه وذلك ثمانية عشر فصار له اثنان وسبعون يبقى ثلث الثلث وهو تسعة زاده منها ثلثى ثلثها وهو اثنان بقى من الثلث واحد أعطاه للساقى بقى من التسعة ستة قسمها بين العشاق فحصل لمحبوبه أربعة وسبعون سهما وللساقى سهم وللعشاق ستة الجميع احدوثمانون (وقال) ابوعبد الله محمد بن جابر المغربى نزيل حلب المحروسة

قسم القلب فى الغرام بلحظ * يضرب القلب حين يرسل سهمه
هذه فى هواه ياقوم حالى * ضاع قلبى مابين ضرب وقسمه

(وقال) شيخنا عز الدين الموصلى

نسبة قلبى للهوى قسمت * فكرى وكم للعين من ضربه
ضاع حسابى ولقيت الاسى * بالضرب والقسمة والنسبه

(وقال) الصلاح الصفدى

عملت مع الزمان حساب بعدى * وسقت الاصل من يوم الفراق
وكنت أظننى غلطت قسطى * فقد طلعت على له بواقى

(وأنشدنى) فخر الدين بن مكانس لنفسه مضمنا

عملت مالى ارتفاع ستقته غلط * الحاصل راح فى مضمونه مالى
وكما انلت من عزم ومن نكد * من غفاتى وبواقى سوء أعمالى

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه فى نكبة حصلت له وأجاد

وما تعلقت في السرياق منتكسا * لجرمة أوجبت تعذيب ناسوتي
لكنني مذ نفثت السحر من كلمي * عذبت تعذيب هاروت وماروت

(وقال) المعمارى

ولى رفيق جهول * خالى من الآداب
أقول لما أراه * فى جملة الكتاب
سبحان رازق هذا * رزقا بغير حساب

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة

لفلان فى الديوان صورة حاضر * وكأنه من جملة الغياب
لم يدر مايخرومه وبريده * سبحان رازقه بغير حساب

(وأشدنى) الشيخ المحدث لفصيح البارع الرحال غرس الدين خليل الافقهسى لابن حربى المغربى

يا ناصبا علم الحساب حبالة * لقناص ظبى ساحر الالباب
ان كنت ترزق بالحساب وصاله * فالله يرزقنا بغير حساب

وما أظرف قول حسام الدين الحاجرى

صح حساب السحر من طرفه * اذ كان فى جفنيه جمع الكسور

(وقال) ابراهيم المعمار ولطف

ومليح قال صفنى * لازداد سرورا
كم حوى جفنى معنى * قلت ألفا وكسورا

(وقال) التقى السروجى

خدمت بذاك الوجه للثغر ناظرا * لعلى أمسى واليا من ولاته
وأصل حسابى ضبط حاصل وصله * وتقبيله مستخرج من جهاته

(وقال) برهان الدين القيراطى

خدمت بالاغزال أبوابه * لما تبدى حسنها الباهر
ولى من الدمع على خدمتى * جراية أطلقها الناظر

(وقال) ابراهيم المعمار

لمولانا الوزير ندى بأس * واحسان به سمحت حياتى
فبرضينا بألفاظ وكذب * محالات على كل الجهات

(وظرف) ابن الوردى فى قوله

وكنت اذا رأيت ولو عجوزا * تبادر بالقيام على الحراره
فأضحى لا يقوم لبدر تم * كأن النحس قد أعطى الوزاره

(الباب السابع والثلاثون فى كتاب الانشاء وهو فصلان)

(الفصل الاول) فيما يحتاج اليه كاتب الانشاء من الاخلاق والادوات والآلات
(الفصل الثانى) فى اعيان كتاب الانشاء قديما وحديثا ونبذة مما لهم من المكاتبات
(الفصل الاول) قال أبو حيان التوحيدى يجب على الكاتب ان يكون حافظا لكتاب الله تعالى لينتزع من آياته وأن يعرف كثيرا من السنة والاخبار والسير حافظا الكثير من الرسائل والكتب وان يكون متناسب الالفاظ متشاكل المعانى متشابه الخط ذكيا عارفا بما يحتاج اليه خبيرا بالحلى والشيات مضطلعا بالكتابة له يد فى السواد وعمل فى الحساب وان يكون له يد فى عمل الشعر نظيف الثوب لطيف المركب ظريف الغلام لقيق الدواة حاد السكين صقيل الكاغد صاحب الاقلام متوددا الى الناس مخالطهم غير متكبر عليهم ولا منقبض منهم دمث الاخلاق رقيق الحواشى ترف الاطراف عذب المحيا حسن المحاضره مليح النادره غير قنف ولا متحرف ولا متكلف للالفاظ الغريبه ولا متعسفا للغة الغوصه انتهى كلام أبى حيان (وقال) ابو الحسين محمد بن أحمد أظنه قدامة منزلة الكاتب التى يستحق بها أن يكون كاتبا فى قوله وفعله وحاورته وفطنته وحجاجه وأن يكون مطبوعا على المعرفة محنكا بالتجربه عالما بحلال الكتاب والسنة وحرامهما ومتشابههما وناسخهما ومنسوخهما وبالازمنة والادوار فى اختلافها وتعاقبها وبالملوك فى سيرها واقدارها وبالخطوط وانسابها واقلامها فى تصاريفه وجهاتها وبوادى الكلام ومقاطعه فى فواتح الوصف وخواتم الوقف وفصول التمام ورسوم الكتب واقدار الرجال وتأليف الاوصاف ومشاكلة الاستعارة واثبات المعنى بشكله من القول والعلم بالنظائر والاشباه والتثبت بالشواهد والامثال حتى ينصب البيان أشخاصا ماثلة ويقيم للقول صورا ناطقة تنبئ عن احواله وتدل على منازل لها مع التخلق باخلاق الدين والتحلى بحلية الكرم واثبات محاسن

الامور والاجمال فى الصبر والطلاقة ولبسة اللب والوفاء واجتناب الدنايا والنقائص فى الشره والارتشاء والقلق والضجر والمخفة والسفه (وقال) محمد ابن ايوب بن سليمان عميد الرؤساء وابوطالب وزير للقائم حال كونه ولى عهد كان مترسلا بليغا متفننا صنف كتابا فى الخارج وهو القائل الكتاب سبعة أولهم الكامل الذى ينشئ ويملى ويكتب الثانى الاعزل وهو الذى ينشئ ويملى وخطه ردىء الثالث المبهم الذى يكتب خطا مليحا ولا يدله فى الانشاء الرابع الرقاعى يجيد رقعة يكتبها ولا حظ له فى التطويل الخامس المختل وهو الذى له حفظ ورواية ويعجز عن الانشاء فهذا نديم السادس المخالط وهو الذى يأتى بالدرة والبعرة ويقرن بينهما السابع السكيت شبه بالمتأخر فى الحلبة فربما جهد نفسه وأتى بمعنى توفى سنة ثمان واربعين وستمائة (وقال) الشيخ الامام سيد كتاب الانشاء شهاب الدين ابو العباس احمد بن فضل الله العمرى فى كتابه الذى سماه مسالك الابصار فى ممالك الامصار ان كتابة الانشاء كانت فى المشرق خلافة فى بنى العباس منوطة بالقدماء وربما انفرد بها رجل وذكر ابن عبدوس فى مواضع من كتابه من ديوان السر وديوان الترسل ثم كانت آخر وقت افردت واستقل بها كتاب لم يبلغوا مبلغ الوزارة وكان فى المشرق يسمى كاتب الانشاء ثم لما كثر عددهم سمى رئيسهم رئيس ديوان الانشاء ثم بقى يطلق عليه تارة صاحب ديوان الانشاء وتارة كاتب السر وهى الى الآن وعند ابنه وعند الناس أذل وكان فى دول السلاجقة وملوك الشرق يسمى ديوان الطغراوية وبه سمى مؤيد الدين الطغراى والطغراء هى الطرة وهى التى تكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ تتضمن القاب الملك وهى لفظة أعجمية وكانت تقوم مقام خط السلطان بيده على المناشير والكتب ويستغنى بذلك عن أن يكون للسلطان علامة بخطه لكثرة وثوق الناس بصاحب هذه الرتبة وأهل المغرب يسمون رئيس ديوان الانشاء صاحب القلم الاعلى وأهل هذه الرتبة لم يزل لهم الاختصاص والقرب أكثر من كل عام وخاص تحتاج الامراء الى مداراتهم وتقصر الوزراء مع علو الرتبة فى الوزارة عن مباراتهم يجتمعون بالملك اذا أرادوا على عدد الانفاس وهم معنى الدولة وعليهم عولة كل الناس وما كانت الملوك تكاتب الخلفاء ببغداد الاعلى هذا الديوان أعنى ديوان

الانشاء وكانت تسميه الديوان العزيز ولهذا كانت كتبهم تستفتح أدام الله
أيام الديوان العزيز اشارة الى ديوان الانشاء وعليه كان يطلق هذا الاسم وله
بهذا من الشرف ماله ومن الفخر ما يجرّ على السماء اذياله انتهى كلام القاضى
شهاب الدين (وذكر الثعالبي) فى كتابه لطائف المعارف انّ ادريس عليه السلام
أول من خط بالقلم وكان يوسف عليه السلام يكتب لعزيز مصر وكان هرون
ويوشع يكتبان لموسى عليهما السلام وكان سليمان يكتب لابيه داود عليهما
السلام وكان آصف يكتب لسليمان عليه السلام (وروى) ان النبى صلى الله
عليه استكتب عبد الله بن الارقم وكان يجيب عنه للملوك واستكتب أيضا
زيد بن ثابت وكان يكتب الوحى ويكتب الملوك وكان اذا غاب عبد الله بن
الارقم وزيد بن ثابت واحتاج ان يكتب الى أمراء الاجناد والملوك أو يكتب
لانسان بقطيعة أمر من حضر أن يكتب وكتب له عمر وعثمان وعلى والمغيرة بن
شعبة ومعاوية بن أبى سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وعبد الله بن سعيد بن
أبى سرح وحنظلة بن الربيع (آداب الكتابة) روى عن الشعبى انه قال كتب
النبى صلى الله عليه وسلم أربعة كتب أولها باسمك الله ونزلت سورة هود وفيها
بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزلت سورة بنى اسرائيل وفيها
قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت سورة النمل
وفيها انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها (وروى) ان فصل
الخطاب الذى أعطى داود أما بعد وروى ان أول من قالها كعب بن لؤى وهو
أول من سمى يوم الجمعة وكان زيد بن ثابت يكره أن يكتب بسم الله ليس لها سين
وكان اذا رآها بغير سين محاها وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ضرب
عمرو بن العاص لما كتب اليه بغير سين وقيل له فيما ضربك فقال ضربنى
فى سين وعن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كتب
أحدكم فليتربه فان التراب مبارك وهو أنجح للحاجة وروى عنه عليه الصلاة
والسلام انه كتب كتابين الى قريتين فاترب احدهما ولم يترب الآخر فأسلمت
القرية التى أترب كتابها وقال الحسن بن وهب كاتب رئيسك بما يستحق ومن
دونك بما يستوجب وكاتب صديقك كما تكاتب حبيبك فان غزل المودّة
أرق من غزل الصبابة قال الوداعى فى تذكرته ان القاضى تاج الدين بن بنت

الاعز رحمه الله كان اذا كتب كتابا بدأ فى ترميله بالبسملة لتعم بركتها سائر الكتاب وانه يخزن ذلك الرمل ويحتفظ به ولا يرميه فى الارض وقال بزرجمهر من لم يختم كتابه فقد استخلق صاحبه واذا كتبت فاعد النظر فيه فانما تختم على عقلك وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى انى ألقى الى كتاب كريم قال مختوم وفض الكتاب اذا كسر ختمه ومعنى الفض فى اللغة التفريق والكسر ومنه لا يفضض الله فاك (العنوان) فيه خمس لغات أفصحها عنوان ويقال علوان وعينان وعنيان وجمع عنوان عناوين وجمع علوان علاوين والعنوان الاثر وهو أثر الكتاب ممن هو والى من هو محوا باشمط عنوان السجود به والقلم لا يقال له قلم الا اذا برى والا فهو أنبوبة (ومن أحسن ما قيل فيه قول السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على بن الآمدى نقلته كذا من خط الوداعى

قوله محوا الخ هكذا فى الاصل

تمشى البراعة والمداد وراها * ظل على شمس الطروس ينوع
عوض المعانى لو يلوح لمسلم * هذا المعانى راح وهو صريع
لولم تكن ألفاظه خطية * ماراح سرب اللفظ وهو منيع
ألفاظه رقت بوجنة طرسه * فكأنهن وقد جرين دموع
قلم مسيحى الخطاب لنطقه * فى المهد من بمناه وهو رضيع
وغدا كليميا وقد ضاهى العصا * فغدا يروق بفعله ويروع
باللفظ حاكته الشموس وبالضيا * حاكته فى حال المداد شموع
قد لازم القرطاس وهو منور * والطل يهوى الروض وهو مريع
نور ونور خطه وكلامه * هذا يضىء به وذاك يضوع

(وله أيضا رحمه الله تعالى)

لعيناه ذو طرف كحيل اذا بكى * تبسم ثغر الخط من دمعه عجبا
وقد راح مشقوق اللسان متى جرى * بثغر الدوى اللعس أبدى اللما عذبا
واونه فى سنه سم أرقم * اذا ما انثنى فى الرقم من جيده جنبا
فطورا خطيب والسواد شعاره * اذا ما علا اعواد كف جلا خطبا
ويحقر فعل الخط بين كاتب * تلاقت اذا ما خط فى يدك الكتبا
حكى السمر قد احمت البيض [illegible]

(وقال) الشيخ الامام مجد الدين الروذراورى عبد المجيد بن أبى الفرج الهمدانى الفقيه الشاعر المفتن مولده سنة تسع وتسعين وخمسمائة وتوفى بدمشق سنة سبع وستين وستمائة من نظمه فى وصف القلم من قصيدة مدح بها الوزير القمى مؤيد الدين وزير الدولتين الناصر والمستنصر كذا نقلته من خط محيى الدين ابن عبد الظاهر من كتابه المسمى بالنجوم الدريه فى الشعراء العصريه

لك من نبات الماء أصفر للعدا * من رأسه المسود موت أحمر
خجل القنا من فعله حتى غدا * مثل النساء يرى عليه المجر
يصفونه وردا العلا وورده * أبدا كعيش الحاسدين مكدر
ظلمات نفس خاضها بروية * من ماء الحياة كأنه الاسكندر
متقيد يعدو وينطق ساكتا * متحكم فى الدهر وهو مسخر
يا راكعا لبس السواد وساجدا * يتلو بنى العباس وهو مزنر
قد حز رأسك واللسان لبثه * سر العلا وأسود منك المنظر
هب ان جسمك من جوالك نحوله * أوأن لونك للمخافة أصفر
مركوبك البحر الجواد وماله * من كبوة تاتى لماذا تعثر

أنشدنى) من لفظه لنفسه سيدى وأخى تقى الدين بن حجة الحموى

له براع سعيد فى تقلبه * ان خط خطا أطاعته المقادير
محبر وبتحرير العلوم اذا * جرى يرى منه تحرير وتحبير
غصن عليه طيور العلم عاكفة * وجانس النور من أوراقه النور
واشقر يده البيضاء غرته * له الى الرزق فوق الطرس تيسير
بل اسمر عينه السوداء تلحظنا * وهدب أجفانها تلك التشاعير
أو سهم علم باطراف السطور غدا * مريشا وله فى الفضل تأثير
كذا محابره سود العيون فان * دانت أياديه قلنا الاعين الحور

(ومن وقف) على رسالة السيف والقلم للشيخ جمال الدين بن نباتة رأى من هذه المعانى العجائب ولولا اطالتها لاثبتها فى هذا الباب ولقد ظرف الى الغاية شمس الدين الواسطى حيث قال

مازال يقلبه لهيب النار * اذ صير جسمه خيال الاسارى
الله بقلبه فما يعلم ما * قاساه الواسطى الا البارى

وقد فتحت فاها فقالت وقصرت * فأما استقالت فهي في ذاك تعذر

فلا زلتم أهل الكمال وجبركم * لذي النقص مثلي منه حظ موفر

بمدحكم الاقلام يضحك سنها * بحق وأفواه الدوى تعطر

(قال) بعض الفضلاء اذا أردت ان تضمن كتابا سرا فخذ لبنا حليبا واكتب به في القرطاس فاذا أراد قراءته المكتوب اليه فليذر عليه رماد القراطيس سخنا فانه يظهر ما كتب وان شئت كتبت بماء الزاج الابيض فاذا وصل الى المكاتب فليمر عليه شيأ من ماء العفص وان شئت بالعكس وان شئت أن يقرأ ليلا ولا يقرأ نهارا فاكتبه بمرارة السلحفاة (قال) الشيخ شهاب الدين بن العطار فيما يكتب على الدواة

انا دواة يضحك الجود من بكاء * يراعي جل من قد براه

دلوا على جودي من شفه * دا من الفقر فاني دواه

(وأنشدني) شمس الدين الجرائحي لنفسه

انا دواة كبحر جود * في الفضل قل للسخي عني

فلو غدا كفه سحابا * عند العطا يستمد مني

(وقال) ضياء الدين المناوي يصف حبرا

وعندي حبر ودت العين لونه * سوادا وترضاه الحسان خضابا

غدا سائلا من فرط سقم ورقة * وأصبح للسمر الرقاق رضابا

كأني لما بت أشكو صبابتي * الى الليل بالاشواق رق وذابا

(وكتب) الشيخ برهان الدين القيراطي صحبة حبر أهداه

ليراعكم أهديت انسان النظر * وشباب طرس شاب من فرط الكبر

أرسلته عبدا دعوه عنبرا * اذا فاح طيب نشره بين البشر

أقلامه أخذته حال كتابة * سجدا وألقته على طرس درر

ويود مرسله الى أبوابكم * لو زاد فيه سواد قلب أو بصر

ليل وان أبدى لنا ألفاظكم * في صبح طرس أبيض قالوا سحر

(وأنشدني) المرحوم فخر الدين بن مكانس

لدا ودار الرئيس الحبر فضل * وأنس عم ابناء الوجود

أتانا منه حبر فابتدانا * وقلنا نعم أحبار اليهود

(وقال) ابن الوردى فيمن انقلب حبر على ثوبه

انقلب الحبر على * ثوبك فأبشرت بالارب
فخبر كل كاتب * ربح اذا هو انقلب

(وأنشدنى) القاضى أمين الدين محمد الانصارى صاحب ديوان الانشاء بالشام لنفسه فى لوح الموقعين المرصد للاصاق الاوصال على لسانه

قطعونى وكنت منبر نجح * طال مافى الرياض أسبغت ظلا
فبكسرى جبرت بين الموالى * وبقطعى جعلت للوصل أهلا

(وفيها له أيضا)

طرحوها كأنهم * ليس يدرون فضلها
وهى من أصل دوحة * أسبغ الله ظلها

(ابن نباتة) وكتبها على مرملة

عملت لمن جود اقلامه * ربيع ومنطقه بارع
اذا طالع الخط رملته * فيا حبذا الرمل والطالع

(وقال) السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على بن الآمدى مجاوبا لمن كاتبه فى ورقة زرقا

أرسلت زهر الروضة الغناء * فى مثلها من رقعة زرقاء
فكأنها هى من أديم سمائنا * قدت وفيها أنجم الجوزاء
رزق جلا درر القريض بحسنه * كالوسم يحلو مبسم الحسناء
أو مثل منعطف الخليج وقد صفا * فتمثلت أزهاره فى الماء

(وله)

أنت أرسلت بالكتاب سما * تبرز الشهب قبل وقت الزوال
فيه كل نقطة مثل نجم * وبه كل جزمة كهلال

(وله)

كلمات لضحكها قد بكى الدر * وهل منكر بكا اليتيم
حسد المسك نقسه فغدا * اسود ذا دفره بحد لطيم

(وله)

وذى مقول يخفى الكلام فان رقى * الى اذن قرطاس ففيها يحدث

عقود بلاسلك يحر طروسه * ولا عقد في سحره وهو ينفث

(وقال)

جادت رياض الطرس سحب يراعه * لما صدرن من النهى عن أبحر

فكست غصون طروسه ورقابها * اكمام لفظ بالمعانى مثمر

(وقال) أبو الفتح محمد بن قادوس الدمياطى

مداده فى الطرس لما بدا * قبله الطرس وهو يزهد

كأنما قد حل فيه اللمى * وذاب فيه الحجر الاسود

(الفصل الثانى) فى أعيان كتاب الانشاء قديما وحديثا ونبذة مما لهم من المكاتبات *(عبد الحميد بن يحيى)* كان يقول لو كان الوحى ينزل على أحد بعد الانبياء لنزل على بلغاء الكتاب وذكر البلاغة فقال هى ما رضيته الخاصة وفهمته العامة (اسماعيل بن صبيح) كاتب الرشيد لم يسمع فى الجمع بين الشكر والاستزارة أحسن واوجز مما كتب به الى يحيى بن خالد فى شكر ما تقدم من احسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه (عمرو بن مسعدة) كاتب المأمون وكان يقول قليل دائم خير من كثير منقطع وكتب الى المامون كتابى هذا وفى قبلى من أجناد أمير المؤمنين وقواده فى الطاعه والانقياد على أحسن ما يكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم فقال المأمون لاحمد بن يوسف لله در عمرو ما أبلغه الا ترى الى ادماجه المسألة فى الاخبار واعفائه سلطانه من الاكثار (ابراهيم بن العباس الصولى) كاتب المستعصم والواثق والمتوكل كان يقول المتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل فيه من منشئه (الحسن بن وهب) سئل عن مبيته فقال سريت البارحة على عقد الثريا ونطاق الجوزاء فلما تنبه الصبح نمت ولم أستيقظ الا بلبس قميص الشمس ومدح صديقاً له فقال خلق كما يشتهى اخوانه ووصف مغنيا فقال كأنه خلق من كل قلب فهو يغنى بكل ما يشتهيه *(احمد بن سليمان)* أحسن الكلام ما لا تمجه الآذان ولا تتعب فيه الاذهان *(بديع الزمان الهمدانى)* من انشائه الحمد لله الذى بيض القار وسماه الوقار وعسى الله ان يغسل الفؤاد كما غسل السواد (وله) قد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشئ وليس منه بد هذه العرب تقول لا ابالك ولا يقصدون الذم وويل أمه للامر اذا أهم وسبيل أولى الالباب فى هذا الباب ان ينظر فى القول الى

قائله فان كان وليا فهو المولى وان كان خشن وان كان عدوا فهو المبتلى وان حسن (من انشاء أبي القاسم) علي بن الحسين المعروف بالمغربي * ووصلت الرقعة فاستخففت النسيم العذب بالاضافة الى لطافتها واستثقلت محل عقود اللؤلؤ بالقياس الى خفة مرفعها (وله) وكتب هذه الاحرف وقد أطل البلاد ثلج ذكرني قول الصنوبري ورد الربيع مورد مبيض ولورد في كانون أبيض الا انه انتقل الى ضد طباعه معي واستأنس الى عكس خلقه فانه مع برده أحدث لي شوقا الى سيدنا ألهب جوانحي وصبابة نحوه أضرمت جوارحي حتى عاد بياضه في عيني سواد التذكره وسقياه ظمأ برحا قلبي بتصوره على ان قلبي مزحوم من جهته مما يزدحم فيه من كآبة جفائه وصبابة بعده ونائه (وله) وعرفت في هواجس الفكر ووسواس الذكر حتى نسيتكم من شدة الذكر واقيتكم من حدة التصور وحتى عدت كأني أجد في عبقا من تقبيل ذلك الوجه الناضر وفي عيني لمعا من سناء ذلك الجمال الباهر والله تعالى اسأل ان يسقط بيننا في تشاكي ألم الفراق اسناد القلم بمشافهة الفم للفم (القاسم) الحريري قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه نصرة الثائر على المثل السائر سمعت الشيخ شهاب الدين محمود حين قرأت المقامات عليه يحكي عن القاضي الفاضل انه أراد معارضتها ووضع ثلاث عشرة مقامة عارض كل فصل فيها بمثله حتى جاء الى قوله أعني الحريري في المقامة الثالثة عشرة اعلموا يا مآل الامل وثمال الارامل اني من سروات القبائل وسريات العقائل لم يزل أهلي وبعلي يحلون الصدر ويسيرون القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى الدهر الاعضاد وفجع بالجوارح الاكباد وانقلب ظهر البطن نبأ الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة وصلد الزند ووهنت اليمين وضاع اليسار وبانت المرافق ولم يبق لنا ثنية ولاناب فمذ اغبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومي الابيض وابيض فؤادي الاسود حتى رثى لي العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر فقال القاضي الفاضل من أين يأتي الانسان بفصل يعارض هذا ثم انه قطع ما عمله من المقامات ولم يظهرها أو كما قال وناهيك بمن يقول مثل القاضي الفاضل في حقه مثل هذا ويعترف له بالعجز واما انا فكلما قرأت هذا الفصل أجد له نشوة ولا نشوة الراح وبهجة ولا بهجة السارى بضوء الصباح (أبو الحسن بن

بسام) عارض اذا سمع استوسلت البحار ونجم اذا طلع تضاءلت الشموس والاقمار وسائق لا يسمح وجهه الا بهيادب الغيوم وصارم لا يحلى غمده الا بافراد النجوم (القاضى السعيد) هبة الله بن سنا الملك وان للشوق بحرا وقلبه والله الغريق بامواجه وجرا وصدره المظلم بسراجه واقل يد للهموم عنده انها احلته فى عنفوان الشباب بحلية الاشيب وجعلته سادجا من الشعر الاسود وان كان فى وسط العمر المذهب كما قال ابو عبادة ذهبية الصبوات من اعوامه (وله) فالاسلام من طلقاته والكفر مجاهد ولكن باتقائه وسيوفه تحسن فى الاجسام البسط وفى الارواح القبض ورماحه تكاد لطولها تمسك السماء ان تقع على الارض (وله) لا جمع الله عليك المصيبتين فراق الاحباب وفراق الثواب ورزقك من الاعانة على ما تعانيه ما يفضل عنك الى ان تخلعه على وترسله الى (وله) وازهد فى دنيا تنبت الحمام وتحصد الاجسام وتقصف اغصان الاشباح وتقطف ازهار الارواح واذهل عن الذهول واحسن ضيافة النصح بالقبول

واذا رأيت جنازة محمولة * فاعلم بأنك بعدها محمول

وكيف لا يحمل المملوك تلك الاشواق وهى تقربه من المولى بالتخيل اذا ابعدته الايام و يمثل له المقام الكريم فيقابله كل ساعة بالسجود و يشافهه بالسلام ويرفع ناظره فلولا نظرة اليه لكانت عينه مطرقه وستور اهدابه مسبله وابواب جفونه مغلقه ولولا اشتغالها بطالعة طلعته لالتهبت من دموعها بماء محرقه فهو منها فى نار وجنه مغلول بغله مطوق بمنه (وله) ولقد انساه فراق المولى حروف المعجم فما يعرف منها حرفا وعاقب خاطره الذى كفر بالبلادة فاسقط عليه من سمائه كسفا شوقا ما خطر مثله على قلب بشر ودمع ما مر على بصر الا ومر بالبصر ولسان لا ينفك من الدعاء على يوم الفراق ومن دعاء على ظالمه فقد انتصر ضياء الدين بن الاثير الجزرى ودولته هى الضاحكة وان كان نسبها الى العباس وهى خير دولة اخرجت للدهر ورعايا هاخير امة اخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الا اتفاقا لا انها الاتهزم وانها الاتزال محبوة من ابكار السعادة بالوصل الذى لا يصرم (وله) يصعب بناء مرتفعا اذا اضرم برأسه قبس ظنه المتأمل نجما واذا استدار عليه قوس السماء كان فى كبده سهما (وله) فى القلم فهو المقب باحبواد انفصر واذا اخذت السوابق

فى احضارها بلغ الغاية وما أحضر وله لون يحقق فيه القول النبوى لو جمعت الخيل فى صعيد واحد لسبقها أشقر فان الاشواق عن الحمام خليفه واذا كانت حركة الفلك شوقية فما الظن بالقلوب الضعيفه (القاضى) محي الدين بن عبد الظاهر يصف بطيخا حلبيا أهدى اليه فشاهدا هابه وكأنما جمع من زهر الاقاح وكأن كل واحد منه قنديل وعروقه فتيلة الاصباح وكأن كبراه بطن خميص كم له من مجموع اللب حنين وكأن صغراه رأس كم منها ان فصلت جبين يقسم كل رأس منه رئيس من الاناسى وقصر أيمانه فى الاستحسان عليه فما يقول الاوحق راسى (ومن انشائه) تعليه بفتوحات استطعم الايمان حلاوتها من أطراف المران واستنطق الاسلام عبارتها من ألسنة الخرصان ذلك بفتح حصن الاكراد الذى كان فى حلق البلاد الشامية غصه لم تمعج بمياه السيوف المجرده وشجن صدورها لم تقاومه أدوية العزائم المفرده طالما أكسب البلاد رعبا ورهبا وطالما استعارى من أخلاق الامصار حلبا (ومن انشائه) بكتاب بأمر فيه بابطال الحشيش بعد الخمر يعلم ان المنكرات التى أمرنا أن تملأ الصحائف بأجرها ونفرغ الصحاف وان لايخلو بيت من بيوتها من كسر أو زحاف قد بلغنا الآن انها اختصرت وان كلمة الشيطان بالتعويض عنها قد نصرت وان أم الخبائث ماعقمت والجماعة التى كانت ترضع ثدى الكأس قد أرتعت بعد مافطمت وانها فى النشأة ماخيبت ابليس مسعاها وانها لما أحرج المنع عنها ماءها من الخمر أخرج لها من الحشيش مرعاها وانها استراحت من الخمار واستغنت بما تشتريه بدرهم عما كانت تبتاعه من الخمر بدينار وان ذلك فشا فى كثير من الناس وعرف فى عيونهم مايعرف من الاحمرار فى الكأس وصاروا كأنهم خشب مسندة سكرى واذا مشوا يقدمون لفساد أذهانهم رجلا ويؤخرون أخرى ونحن نأمر أن تجتث أصولها وتقتلع ويؤدب غارسها حتى يحصد الندامة مما زرع وتطهر منها المساجد والجوامع ويشتهر مستعملها فى المحافل والمجامع حتى تنتبه العيون من هذا الوسن وحتى لاتشتهى بعدها خضرا ولاخضراء الدمن (ومن انشائه) من كتاب الى الفرنج وقد أخذت شوانى السلطان وخيولهم الركب ومراكبنا الخيول وفرق من يجريها كالبحار وبين من يقف به فى الوحول وبين من يتصيد بالصقور من الخيل العراب وبين من اذا افتخر قال

تصيدت بغراب فائن أخذتم لنا قرية مكسوره فكم أخذنا لكم قرية معموره وقد قال الملك وقلنا والله أعلم ان قولنا هو الصحيح واتكلنا واتكل وأين من توكل على الله وسيفه ممن اتكل على الريح (وله) وأما فلان فانه شمر الذيل وامتطى هربا أشهب الصباح وأحمر الشفق وأصفر الاصيل وأدهم الليل (وله) فكم شاهدنا من قتلاهم كل مهيب الهامه حسن الوسامه قد فض الرمح فاه فقرع السن على الحقيقة ندامه (وله) من منشور كتبه للامير جمال الدين المجدى عند اخواجه من الاعتقال أوله الحمد لله الذى أظهر جمال الدين المجدى (وله) من منشور كتبه لبيسرى عن السلطان المنصور وبرينا فى الاحسان اليه على القياس وان كان من أكابر أصحاب الظاهر (ومن انشائه) يقبل اليد التى لو تجسدت القبل فيها لنظمت سبحا ولو أثرت فيها كتأثير الوضوء كانت حجولا ووضحا ولا برحت القبل التى قبلتها ساجده والافواه الى مسرعتها وارده حتى يقال والمباسم يقبلها أحباب فى حياض أم زهر فى رياض وبروق فى غمام أم درر فى بحور طام (ومن) انشاء قوام الدين بن زيادة يهنئ الوزير البلدى *وأفاض عليه من صنوف تشريفاته خلعا خلع بها قلوب الاعادى من أعماق الصدور وطلع فيها من آفاق البدور كأنما أنشئت من عيون عين الصريم وغزلانه أو غشيت بعصر الشباب وريعانه فألبسها من حلاه سربال الجلال وجرها على المجرة أذيال الاختيال وقلده سيفا عقد النصر بلوائه وتعلم المضاء من آرائه أهدى فى قلوب العدى من الاوجال لا ينصل نصله من خضاب القراب ولا يغمد الا فى قراب الرقاب وأمضاه صهوة صافن أسرع من تأدية الاسماع الى الافهام وأوحى من مضاحكة البرق خلال سجف الغمام يسبق مطارح نظره بمواقع حافره ويهدى ظلال ظله بأهلة أثره بشكل رأيه فيه اذا تدرع فى شوطه واشتد أمارف ردىء أم طرف يرتد كأن بركته سهم وسنبكه وهم أو يحف بقوادم شهاب أو عنده علم من الكتاب ولاطفه بدواه وهى دوام العدم واداة النعم ومنبع الكرم ومرتع أرزاق الامم يستشف لآلئ الاداء من قرارها ويصفق أمواج الحكمة والبلاغة من أقطار ثنائها تكشف براعا يردع كل روع ويتبع أمره كل متبوع قد حمل من اعباء الخلافة عظيما وحمى الاسد رضيعا والملك فطيما يصوب بكرم الغيوث الغوادى ويصول

بقرم الليوث العوادى

يمحو ويثبت أرزاق العباد بها * فما المقادير الا ما محاوده

(من انشاء) الصدر عز الدين بن سينا من بشارة للديوان العزيز بكسر عساكر الفرنج من عكا عن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سنة اثنين وأربعين وستمائة *فلا روضة الا درع ولا جدول الا حسام ولا غمامة الا نقع ولا وبل الا سهام ولا مدامة الا دما ولا نغم الا صهيل ولا معربد الا قاتل ولا سكران الا قتيل حتى أنبت كافور الرمال شقيقا واستحال بلور الحصباء عقيقا وازدحمت الجنائب فى الفضا فجعلته مضيقا وضرب النقع فى السماء طريقا وعاد الفارس بالدماء غريقا

وضاقت الارض حتى كاد هاربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا

(ومن انشاء القاضى تاج الدين بن الاثير) *والمنجنيقات تفوق اليهم سهام قسيها وتخيل اليهم انها ساعية اليهم بحبالها وعصيها وهى فى الحصون من الد الخصوم واذا أمت حصنا حكم بأنه ليس بامام معصوم ومتى امترى خاق فى آلات الفتوح لم يكن فيها أحد من الممترين واذا نزلت بساحة قوم فساء صباح المنذرين تدعى الى الوغى فتكلم وما أقيمت صلاة حرب عند حصن الا كان ذلك الحصن ممن يسجد ويسلم (ومن انشاء) سيد كتاب الانشاء وامام البلغاء القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى *فقم عنا بهذه الفريضه وطر فى تلك المضار وزفه قوادمنا المهيضه وأدر وعلينا ان نشرب وقل وعلينا ان نطرب وانفرد بالحرب وعلينا النظاره وأعطنا السلب وباشر أنت الغاره وأنفذ الينا كل يوم من أقصه يوسف قميصا ولكن قميص البشاره (وله) من شفاعة وعلى المذكور ديون كثيرة والدين عثرة الصراط والقبر على المطلوب سم الخياط فان رأى مولانا ان ينظر اليه بما يفك أسره ويغنى فقره فهناك الاطلاق بالحقيقة أو الاسر والغنى بعد العرض على الله أو الفقر فبهذا عرفتم يا أهل المعروف من آل أيوب وكذا كان يوسفكم رحمه الله يقضى كل حاجة فى نفس يعقوب (وله) والجو يتنفس عن صدر مسجور كصدر المهجور والحر وصاليه فى نحو هذه الطرق جار ومجرور والمهامه قد سرقها ملأ السراب وزخرفها بحرماء ولد لغير رشده وعلى غير فراش السحاب وحر الرمل قد منع حث

الرمل ونحن فى اكثر من جموع صفين الا اننا نخاف وقعة الجمل ووردنا ماء هذه العيون وهو كماء المحابر يعترف منه المجرم مثل عمله ويرسله سهما فلا يخطئ ثغرة مقتله وهو مع هذا قليل كأنه جادت به الآماق فى ساحات النفاق لا فى ساحات الفراق فياله من ماء لا تتميز أوصافه من التراب ولا يرتفع به فرض التيمم كما لا يرتفع بالسراب ولا يعدو ما وصف به أهل الجحيم فى قوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب فنحن حوله كالعوائد حول المريض يعللون عليلا لا يرد الجواب بل يندبون ميتا قد حال بينهم و بينه التراب يجهز للدفن ونعشه المراد ويحفر عليه ليقوم من قبره وذلك خلاف المعتاد وفى غير من قدوارت الارض فاطمع على انه لو كان دمعا لما بل الاجفان ولو كان مالا لما رفع كفة الميزان وان امرؤ روحه فى جلد غيره وهو المراد وخصمه من غير جنسه وهو النار التى فى غير الزناد لجدير أن يغرى به اغراؤه وان يلام على مفارقة الاحبة و يقال هذا اجزاؤه (وله) الى أن ترد كتب العسكر وأعلامها من مدات ألفاته ورؤس العدى قطعات همزاته والايام التى لا أشاهد فيها الوجه لا أحسبها من العمر والايام التى لا يصل فيها ركابه لا أحسبها من الدهر ولا يختصر على عمرى ولا يغالطنى فى حساب دهرى (وله) وقد أحسنت الحضرة فى بشراى بكتابة فى كتابها فقد طالع طيفا للحبيب الزوار ونجما الفجر لا أقول الفرار وعليه أبقاه الله سلام أنور مما بعد الفجر وأشرق مما تحت الخمار وأجاب للسرور مما قبل الخمار (وله) ذكر الله ذلك العهد بخير ما ذكرت العهود ولعن الله الفرنج المختندقين وقتل أصحاب الاخدود فقد قطعوا طرقات المسار وأطالوا عمر الأبكار وسبكت نار مقاساتهم الدينار فجعل الله أعلام الكافرين لمن عقبى الدار (وله) وظننا أننا به بل بدعائه قد دخلنا الجنة لما نلناه من خمرها الذى هو لذة للشاربين وانا خالطنا أهلها فأشخاص المعانى من الحروف على سرر متقابلين ووثقنا بان لنا منه الدعا الذى نأوى منه الى كنز عتيد والرأى الذى أنزله الله هو والحد يد فيهما بأس شديد (وله) رب انى لا أملك الا نفسى وها هى فى سبيلك مبذوله وأخى وقد هاجر اليك هجرة نرجوها مقبوله وولدى وقد بذلت لعدوك صفحات وجوههم وها أنا على محبوبك مكروه فرسم ومكروههم ونقف عند هذا الحد

ولله الامر من قبل ومن بعد فيا عصبة محمد عليه السلام أخلفه على أمته بما تطمئن منه مضاجعه ووفه الحق فينا فأنا والمسلمون عندك ودائعه (وله) ودعا المسلمون برؤس عدوهم فى رؤس القنا وقد اجتنوا ثمراتها وورواحهم فى صدور الظباء قد أطفؤا بماثها جمراتها فأنبتت سنابك الخيل سماء من العجاج نجومها الاسنه وطارت الهيم عقبان من الخيول قوادمها القوائم ومخالبها الاعنه وتصوبت عيون السمر الى قلوبهم كأنما تطلب سوادها وقصدت انهار السيوف اكبادهم فكأنما أرادت أن تروى جيادها ونصبت للملك خيمة حمراء كأنما وضع على الشرك عمادها وتولت حفظ اطنابها الرجال فكأنهم أوتادها (وله) وقد كان يقال ان الذهب الابريز لا يدخل عليه آفه وان يد الدهر البخيل عنه كافه وأنتم يا بنى أيوب أيديكم آفة نفائس الاموال كما أن سيوفكم آفة نفوس الابطال فلو ملكتم الدهر لا متطيتم اياليه اذاهم وقلدتم أيامه صوارم ووهبتم شموسه و بدوره دنانير ودراهم وأيام دولتكم أعراس وكان ماتم فيها على الاموال ماتم والجود فى أيديكم حاتم ونفس حاتم فى نقش ذلك الخاتم (وله) وما أحسب الاقلام جعلت ساجدة الالان طرسه محراب ولا أنها سميت خرساء الا قبل ان نفث سيدنا فى روعها رائع هذا الصواب ولا أنها اضطجعت فى دويها الا ليبعثها ما ينفخ فيه من روحه من مرقدها ولا سودت رؤسها الا أنها أعلام عباسية تناولتها الحضرة بيدها لاجرم أنها تحمى الحمى وتسفك دما وتحقن دما وتتوشح بهايده عنانا ويرسلها فيعلم الفرسان ان فى الكتاب فرسانا وتقوم الخطباء بما كتبت تعلم الاسنة أن فى الايدى كما فى الافواه اسانا ولقد عجبت من هذه الاقلام تخر ألسنتها شقا فتنطق فصيحه وتجدع أنوفها بما فتخرج صحيحه وتجلى مليحة وماهى الا آية فى يد سيدنا البيضاء موسومه وما مادتها فى الفصاحة الاعلويه ولولا الغلو لقال علويه (وله) ففضة عن فضة مسها ذهب وفاوضه عن نارذ كاء لولم يمازجه ماء الطبع لهب منه أى لهب ونجد له كل متلهب القريحة وقصرت يده فان نواه قيل له تبت يدا أبى لهب وأغار به على القلوب فرجع وهى بالاشواق محتويه الفضل مأخوذة السلب فكم فيه من فقرة قيل لها يا أخت خراخ يا بنت خراب (وله) وأما الثلوج التى وصفها ذلك البيان فأحجها بل أهداها الى الصدور فأثلجها فقد عمت البلاد وكأنما نشر علما

المولى غرضه وسرنى أن برد ذلك الفضاء فضة فأرانى النجوم فى هذه السنة وقد ناصحت فى خصبها فنزلت بأنفسها وبرزت ظاهرة فى النهار بجواريها وخنسها وأجدر بها أن تكون سنة بغسل وضر الكفر بصابون ثلجها وتبير العزمة الناصرية من هذه الرغوة صريح فلجها (وله) وبينا أنا من الجزول فى مهبط رمس اذ رفعنى التمويه الى مطلع شمس وبينا أنا أندب أفعال بنى الاصفر فى عسقلان وجفوة أبيهم يعنى الدينار لى فى مصر فأرانى الاوكان عليه من سكته عوذ اتهامنى يعتصم وكأنما يصفر خوفا منى وهو الى الغير يبتسم اذ صرت أنفضه من بنان أبى الطيب من دنانير شمسه وربما أثقله بعد الضرب الى النفى لا الى اعتقال الكيس وحبسه (وله) وان ادعى سحر البيان أنه يقضى أيسر حقوقه ويثمر ما يجب من شكر فروعه وعروقه لكنت أفضح باطل سحره وأذيقه وبال أمره وأصاب الخواطر السحارة على جذوع الاقلام واعقد ألسنتها كما تعقد السحرة الالسنة عن الكلام (وله) وأشكو بعد قلبى جسمى فقد ضعفت قوته وقوى ضعفه ونسجت عليه همومى ثوبا دون الثياب وشعارا دون الشعار من الحرب الذى عاديني ويديه وأسقم يدى من جسمى واستخدمها تحرث أرضه فان لم يكن لاضه

(الباب الثامن والثلاثون فى الهدايا والتحف النفيسة الاثمان)

ذكر ابن بدرون فى شرحه لقصيدة ابن عبدون عند ذكر كسرى وبنائه للسور المذكور فى الباب السادس من هذا الكتاب ولما بنى كسرى هذا السور هادته الملوك وراسلته *فمنهم ملك الصين كتب اليه من يعقوب ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذى فى قصره نهران يسقيان العود والكافور والذى توجد رائحة قصره على فرسخين والذى تخدمه بنات ألف ملك والذى فى مربطه ألف فيل أبيض الى أخيه كسرى أنوشروان وأهدى اليه فارسا من در منضد عينا الفارس والفرس من ياقوت أحمر وقائم سيفه من الزمرد منضد بالجوهر وثوبا حريرا صينيا وفيه صورة الملك على ايوانه وعليه حلته وتاجه وعلى رأسه الخدام بأيديهم المذاب المصورة من ذهب تحمله جارية تغيب فى شعرها يتلألأ جمالها وغير ذلك مما تهديه الملوك الى امثالها (وكتب) اليه

ملك الهند ومن ملك الهند وعظيم ملوك الشرق وصاحب قصر الذهب وايوان الياقوت والدر الى أخيه كسرى أنوشروان ملك فارس صاحب التاج والراية وأهدى اليه ألف من من عود يذوب فى النار كما يذوب الشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع وجاما من الياقوت الاحمر فتح شبر مملوء من در وعشرة أمنان كافور كالفستق وأكبر من ذلك وجارية طولها سبعة أذرع تضرب أشفار عينيها الى وجنتيها كأن بين أجفانها لمعان البرق مع اتقان شكلها مقرونة الحاجبين لها ضفائر شعر تجرها وفراشا من جلود الحيات ألين من الحرير وأحسن من الوشى وكان كتابه فى لحاء الشجر المعروف بالكاذى مكتوب بالذهب الاحمر وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين وهو نوع من النبات عجيب ذو لون حسن وريح طيبة تتكاتب فيه ملوك الصين والهند (وكتب) اليه ملك التبت من ملك تبتان ومشارق الارض المتاخمة للصين والهند الى أخيه المحمود السيرة والقدر ملك المملكة المتوسطة الاقاليم السبعة كسرى أنوشروان وأهدى اليه انواعا مما تحمل من عجائب أرض تبت منها مائة جوشن ومائة ترس مذهبة وأربعة آلاف من المسك فى نوافج غزلانه (وأهدى) يعقوب بن الليث الصفار صاحب خراسان الى المعتمد هدية فى بعض السنين من جملتها عشر بزاة منها بازى أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على بغال عشرة فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة برواقين يصلى فيه خمسة عشر انسانا ومائة من مسك ومائة من عود هندى وأربعة آلاف درهم (وأهدت) ملكة فرنجية الى المكتفى بالله فى سنة ثلاث وتسعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا وخمسين فرسا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقلبيا حسنا وعشرة كلاب كبارلا تطيقها السباع وست بازات وسبعة صقور ومضرب حرير بجمع ثلاثة وعشرين ثوبا معمولا من صوف يكون فى صدف يخرج من البحر يتلون بجميع الالوان كقوس قزح يتلون كل ساعة لونا وثلاثة أطيار تكون فى أرض افرنجية اذا نظرت الى الطعام المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت بأجنحتها ليعلم ذلك من حالها وخرزا يجتذب النصول فتخرج من غير ألم وقدم الرسول بكتابها وهديتها وكان فى فصل من كتابها وعرفت ان بينك وبين ملك قسطنطينية صلة وأنا أوسع منه سلطانا وأكثر جندا وأشد سطوة وملكى على

أربعة وعشرين مملكة لسانها لا يشبه الآخر وفي مملكتي وطاعتي رومية الكبرى (ومن ظرائف الهدايا) ما أهدته شجرة الدر جارية المتوكل وكان يميل اليها ميلا كبيرا ويفضلها على سائر حظاياه فلما كان يوم المهرجان أهدى اليه حظاياه هدايا نفيسة واحتفلن في ذلك فجاءت شجرة الدر بعشرين غزالا تربية عليهن عشرون سراجا صينيا على كل غزال خرج صغير مشبك حرير فيه المسك والعنبر والغالية وأصناف الطيب ومع كل غزال وصيفة بمنطقة ذهب وفي يدها قضيب ذهب في رأسه جوهرة فقال المتوكل لحظاياه وقد سر بالهدية ما فيكن من تحسن مثل هذا وتقدر عليه فحسدنها وعملن على قتلها بشيء سقينه لها فماتت (عبد الملك) ابن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو عبد الرحمن الامير ولي المدينة للرشيد ثم ولي الشام والجزيرة للامين وجه الى الرشيد فاكهة في أطباق خيزران وكتب اليه أسعد الله أمير المؤمنين وأسعد به دخلت الى بستان أفادنيه كرمك وعمرته لي نعمك قد أينعت أشجاره وتهدلت ثماره فوجهت الى أمير المؤمنين من كل شيء شيأ على القدرة والامكان في أطباق القضبان ليصل الي من بركة دعائه مثل ما وصل الي من بركة عطائه فقال رجل يا أمير المؤمنين لم أسمع بأطباق القضبان فقال يا أبله كني عن الخيزران بالقضبان اذ كان اسما لامنا (أنشدني) في المجدي فضل الله بن مكانس وقد أهدى له والده تحفا جليلة

تناهيت في برى الى ان هديتني * وقد كنت قبل اليوم في الغي ساريا
وأهديت لي ما حير الفكر حسنه * فلازلت في الحالين للعبد هاديا

(التحف) النفيسة الاثمان ذكر الاصمعي قال حدثت ان برمك جد يحيى بن خالد كان زوار الملوك وكان يتطبب فحدث انه صار الى ملك الهند فأكرمه وآنس به وأحضر له طعامه قال فأكلت حتى انتهيت فقال لي كل فقلت لا والله أيها الملك ما أقدر على ان أزداد شيأ فقال يا غلام هات القضيب قال فوهمت وظننت أني أخطأت فلم يلبث ان جاءه بقضيب فأخذه الملك وأمره على صدري فكأنني لم آكل شيأ قط ثم أكلت أكلا كثيرا حتى انتهيت فقال كل فقلت ما أقدر على ذلك فأخذ القضيب وفعل مثل ما فعل فكأني لم آكل شيأ قط ثم أكلت حتى انتهيت فقال لي كل فقلت ما أقدر على ذلك فأراد ان يمر القضيب فقلت أيها الملك

ان الذي دخل يحتاج الى أن يخرج فقال صدقت وأمسك عني فسألته عن القضيب فقال تحفة من تحف الملوك ثم خرجت من عنده فأتيت الاصبهبذ فقربني وأكرمني وكان جالسا في مجلس على البحر وفي يده خاتم ياقوت أحمر يغلب نوره نور الشمس قد أضاء المجلس منه فلم أزل أنظر اليه فلما رآني أفعل ذلك نزعه من يده ورمى به في البحر فوردت علي أعظم مصيبة وقدرت أني قد جنيت جناية ووجمت فلما رآني قال مالك قلت أحسب أنك أنكرت نظري الى الخاتم فألقيته في البحر قال لا وضحك ودعا بسفط فأخرج منه سمكة من فضة في رقبتها سلسلة طويلة فألقاها في البحر فغاصت ثم ظهرت بالخاتم في فيها فجذبها وأخذ الخاتم ورده الى أصبعه فورد علي ما حيرني ولم أعرف سببه ثم خرجت وأتيت الشام ولقيت هشام بن عبد الملك فأكرمني ورحب بي وسألني عن خبري فأخبرته فأمرني ان أتخذ له انجبات أرادها (قال) الشيخ الانجبات هي اخلاط تربت في العسل مثل الاترج والاهليلج ونحوها (رجع) فتشاغلت بعملها فبينما أنا في بعض الايام في منزلي قد نزعت ثيابي وأخذت في اصلاح حالي وما أمرني به اذا بغلمانه قد هجموا علي وقالوا أمير المؤمنين يطلبك فأردت ان أغتسل وألبس ثيابي فقالوا كما أنت فأخذت بصورتي واحضرت في مجلسه فلما دخلت من الباب قال اتركوه اذهب لا تقربني معك سم الله وأخرجوه فأخرجت وعدت الى منزلي وأنا على حال حيرة من انزعاجه فاغتسلت وتنظفت ولبست ثيابي ثم رحت اليه دخلت الى حضرته وسألته عما كان منه فقال لي كان معك سم أو عبثت بشيء من السموم فقلت لا والله الا اني كنت أعمل تلك الانجبات التي أمر أمير المؤمنين بها ولم تدعني الغلمان الى أن أغتسل وكان من جملتها الافيون وهو سم قال ما أشك في ذلك قلت فكيف علم أمير المؤمنين ذلك قال في عضدي كبشان من الياقوت اذا لقيني انسان معه سم أو قدم الي ما فيه سم انتطحا فلما وقعت عيني عليك انتطح الكبشان فعلمت أن في يدك شيأ من السم نقلت هذه الحكاية من مجموع بخط سيدنا وشيخنا شمس الدين محمد بن الكتبي الشهير بالتريكي رحمه الله (قال) صاحب كتاب المباهج مما وجد في خزائن الملوك والخلفاء والوزراء من الجوهر النفيس الدرة اليتيمة وسميت بذلك لانها لم يوجد لها نظير حملها الى الرشيد مسلم بن عبد الله العراقي فباعها عليه بتسعين ألف دينار

وكان للمتوكل فص ياقوت أحمر وزنه ستة قراريط اشتراه بستة آلاف دينار (وكانت) له سبحة فيها مائة حبة جوهر وزن كل حبة مثقال اشتريت كل حبة منها بألف دينار (وأهدى) بعض ملوك الهند الى الرشيد قضيب زمرذ أطول من ذراع وعلى رأسه تمثال طائر ياقوت أحمر لا قدر له نفاسة قوم هذا الطائر على حدته بمائة ألف دينار (ودفع) مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل الى مولاه زياد فصا من الياقوت الاحمر وقال له نج بهذا وكانت قيمته ألف ألف درهم وسقط من يد الرشيد فى أرض كان يتصيد فيها فاغتم لفقده فذكر له فص ابتاعه صالح صاحب المصلى بعشرين ألف دينار فأحضره ليكون عوضا عما سقط منه فلم يره عوضا عنه ووهب المأمون للحسن بن سهل عقدا قيمته ألف ألف درهم وقوم الجوهر الذى سلم من النهب عند فتنة المأمون بألف ألف الف ومائة ألف وستة عشر ألف درهم ووجد فى تركة السيدة بنت المعز العبيدى طست وابريق من البلور ومدهن ياقوت أحمر وزنه تسعة وعشرون مثقالا وكان الناس يستعظمون الطست والابريق الى أن قبض على أبى محمد البازورى وزير المستنصر العبيدى فوجد عنده تسعون طستا بأباريقها من صافى البلور وجيده كبارا وصغارا فهان عليهم ما استعظموه وكان لمحمود بن سبكتكين صاحب غزنة كنصاب المرآة من الياقوت الاحمر اذا ركب قبض عليه بيمينه فتبين طرفاه من جانبى يده بحيث ينظر اليهما الناس ووجد فى خزائن مروان بن محمد مائدة جزع أرضها بيضاء فيها خطوط سود وحمر سعتها ثلاثة أشبار وأرجلها ذهب فيقال انها صنعت على شكل المشترى من أكل منها لا يشبع (ووجد) أيضا فى خزائنه جام من زجاج فرعونى غلظ أصبع وفتحه شبر ونصف فى وسطه صورة أسد ثابت وامامه رجل قد برك على ركبتيه وقد أغرق السهم فى القوس وكان فيما أخذ من خزائن قصر العاضد العبيدى بعد وفاته الجبل الياقوتى وكان وزنه سبعة عشر درهما أو سبعة عشر مثقالا ولما انهزم أبو الفوارس بن بهاء الدولة البويهى من أخيه سلطان الدولة قصد يمين الدولة محمود بن سبكتكين فبلغ محمودا انه باع جوهرتين كانتا على جبهة فرسه فاشتراهما نصير الدولة صاحب ديار بكر بعشرة آلاف دينار فقال من غلطكم ترككم على جبهة الفرس مثل هذا وقيمته ستون ألف دينار (وأهدى) صاحب قلعة

اصطخر الى السلطان الملك العادل ألب رسلان السلجوقى قدح فيروزج فيه منوا مسك مكتوب عليه جمشاد أحد ملوك الفرس الاول (وأخذ) يوسف بن تاشفين من عبيد بن المكين الصنهاجى وكان ملك أفريقية لما قبض عليه سبحة فيها أربعمائة حبة جوهر كل حبة قومت بمائة دينار ووجد فى ذخائر العبيديين لما أخذ الملك منهم عشرة آلاف قطعة بلور محكم تفاوتت قيمتها من ألف دينار الى عشرة دنانير ووجد فيها قطعة بلخش وزنها ثلاثة وعشرون قيراطا (ووجد) فيما أفاء الله على السلطان محمود بن سبكتكين لما فتح الهند قطعة ياقوت أحمر زنتها أربعمائة وخمسون مثقالا (وكان) فيما أخذ مؤيد الملك بن نظام الملك من الجواهر قطعة بلخش وزنها احد وأربعون مثقالا (وحكى) الواقدى فى فتوح السند أن عبيد الله العبيدى عامل معاوية على السند غزا بلد القيقال فأصاب منه مغانم كثيرة وان ملك القيقال بعث اليه يطلب الفداء وحمل اليه هدايا كان فيها قطعة مرآة يذكر أهل العلم ان الله تعالى أنزلها على آدم لما كثر ولده وانتشروا فى الارض فكان ينظر فيها فيرى من بعد منهم على الحالة التى هو عليها من خير وشر فحملها عبيد الله الى معاوية فبقيت فى ذخائر بنى أمية الى ان انتقل الملك منهم الى بنى العباس فصارت عندهم فى الذخائر (بدنة عبدة) ذكر أصحاب التواريخ أن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان مات وخلف عاتكة بنت يزيد وكانت تحت عبد الملك بن مروان فلما ماتت عاتكة أوصت بأن يفرق مالها على أولاد أخيها فقسم عبد الملك تركتها بين عشامة وعبدة فتزوج عبد الملك عشامة وتزوج هشام عبدة فرآها يوما هشام وقد ألقت حليها واذا فى نحرها خال فبكى وقال لانت هى فقالت وما معنى هذا القول فقال انا نروى ان امرأة خليفة وابنة خليفة فى جيدها خال تذبح كما تذبح الشاة فقالت لا يحزنك الله ان كان الامر صحيحا فلا حيلة لى فى دفع القضاء وان لم يكن فلا معنى لتعجيل الهم فلما قتل عبد الله بن على بنى أمية واستباح أموالهم أخذ بدنة عبدة وبعث بجواهر الى السفاح فعرضها على امرأته أم سلمة بنت يعقوب المخزومية فقالت مالى لا ارى بدنة عبدة فكتب اليه بذلك وأمره بانفاذ بدنة عبدة فأنفذ اليه بدنة وزعم أنها هى فعرضها على امرأته فقالت ليست هى هذه بدنة الرائقة جارية هشام وحبة واحدة من بدنة عبدة أفضل من هذه كلها

وعلامتها ان فى ظهرها وصدرها خطين من كبار الياقوت الاحمر فكتب أبو العباس الى عبد الله يعزم عليه فى البعث ببدنة عبدة فكتب اليه أنه لا يعرفها فقالت أم سلمة لابى العباس مره يبعث لنا بعبدة فهى تعرف أين بدنتها فكتب اليه بذلك فكره أن يبعث بعبدة لئلا تقر عليه ولم يجد بدا فبعث بها ودس بعض أجناده وقال اذا صرت بموضع كذا فاقتلوها فلما صارت بموضع من طريق الشام يعرف اليوم بجب عبدة وأرادوا قتلها قالت لهم ان كنتم عزمتم على هذا فاتركونى حتى أصلى وأستتر فتركوها فصلت وشدت ازارها على يديها ورجليها وأبرزت لهم نحرها فذبحوها وكتب عبد الله الى السفاح انى انفذت عبدة فقتلها بعض الاعراب بالطريق فلما أوقع أبو مسلم الخراسانى بعبد الله وهرب منه وأخذ ماله وانفذه الى المنصور أخذ البدنة فكانت فى خزائن بنى العباس الى ان صارت الى زبيدة بنت جعفر ثم بعث بها ذلك المتوكل الى ابنة عبد الله بن طاهر التى زوجها من المعتز ولده (وذكر) القاضى الرشيد ابن الزبير فى كتابه العجائب والطرف كان المعتز بالله قد التمس من أمه قبيحة خمسين ألف دينار ينفقها فى الجند فذكرت أنها لا تملك حبة واحدة فظهر لها بعد قتل ابنها فى سنة خمس وخمسين ومائتين وكانت قبيحة قد استخفت فوجد لها خزانة فيها ألف ألف دينار وثلاثة اسفاط فى أحدهم زمرذ لم ير مثله قط وفى الآخر نصف مكوك حب كبار لؤلؤ وفى الآخر كالجة فصوص ياقوت أحمر فقوم ذلك فكانت قيمته ألفى ألف دينار وكانت غلتها فى كل سنة عشرة آلاف ألف دينار والله أعلم

(الباب التاسع والثلاثون فى خواص الاحجار وكيانها فى المعادن)

قال الفاضل أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف التيفاشى *فى الجوهر اسم عام يطلق على الكبير والصغير منه فما كان كبيرا فهو الدر وما كان صغيرا فهو اللؤلؤ المسمى حبا ويسمى أيضا اللؤلؤ الدق ولؤلؤ النظم وحيوان الجوهر الذى يتكون فيه كبيره وصغيره يسمى باليونانية اسطور وس يعلو لحم ذلك الحيوان صدفتان ملازمتان لجسمه والذى يلى الصدفتين من لحمه اسود ولهذا الحيوان فم واذنان وشحم يلى الفم من داخلهما الى غاية الصدفتين والباقى رغوة

وصدفة وماء (وذكر) ارسطاطاليس فى كتابه أن من الحيوان غير الناطق السرطان يشتهى أكل لحم هذه الدابة فلما حال دونه ودون شهوته شئ بمنزلة الحاجز بينه وبين ذلك اللحم الرخص الذى فى الصدفات احتال عليه فلا يزال السرطان راصداله حتى يراه قد فتح جادة الصدفة فيأخذ حجرا صغيرا فيرمى به فى جوف الصدفة فلا تقدر عند ذلك على انضمامها كما كانت لانها لا تلتحم بمنع الحجر من انطباقها فيدخل السرطان قرنيه الى ذلك اللحم الرخص فيستخرجه ويأكله لالتذاذه به * ويذكر من أكله من الغواصين انه شبيه بطعم قوانص الطير (وذكر) ارسطاطاليس فى كتاب الاحجار * أن البحر المحيط بالعالم هو الذى فى ظلمات مقيمة يلحق آخره أول البحر المسلوك وان الرياح تصفق هذا البحر المحيط المسمى أوقيانوس فى أوقات فصل الشتاء فيهيج هيجانا شديدا فيطلبه الصدف الذى يكون فيه الدر فى وقت ريح الشمال فاذا هاجت الرياح والامواج من ذلك البحر المحيط كان لامواجه رشاش فيلتقمه الصدف الكائن فى البحر الذى يسلكه الناس كما يلتقم الرحم المنى فتصير تلك النطفة من ذلك الماء فى اللحم المركب فى الصدف فلا يزال الصدف يعمد الى ذلك الموضع الساكن من ماء البحر فيفتح فمه ويستقبل بذلك الماء الذى هو مثل النطفة رياح الهواء وحر الشمس عند طلوعها وغروبها ولا يعرض لها فى وسط النهار لشدة حر الشمس وهيجان البخارات التى تهيج من العالم والغبار الذى تهيجه الرياح فاذا انعقدت الدرة ولو كانت الدرة منها نهاية فى الكبر فلا يكون لها طائل ثمن اذليس فيها شئ من أصناف الدر النفيس والله أعلم (جيده ورديئه) الجوهرة الكاملة خواصها اما فى الكمية فى العظم وكثرة الماء واما فى الكيفية فى شدة البياض وكثرة الاشراق واستواء اللون واستواء استدارته واكتنازه وشكله ومالم يكن كذلك فالآفات أفسدته ومنها انه ربما وجد بعض الدرة لم تتم تربيتها وربما لصق بها قشر من لحم الحلزون صار كالصدا والوسخ فأفسد لونها وربما كانت كدرة أوكان فيها ماء أوكانت فيها دودة أوكانت مجوفة غير مصمتة وكل هذه آفات دخلت على الدرة من مقر التربية وأما فساد شكلها فمن قبل ان الحبة تقع فى موضع من اللحم الذى فى الصدف غير مستوى فتجسد الدرة على صورة الموضع الذى ضمها فجيد الجوهر على الجملة المدحرج القار الصافى الشفاف

الكبير الجرم الكبير الوزن الضيق الثقب وجيد اللؤلؤ النقي من الوسخ (ذكر) خواصه ومنافعه * من خواص الجوهر أنه يتكون قشورا رقاقا طبقة على طبقة وما لم يكن كذلك فليس بجوهر مخلوق والجوهر بالجملة الدر الذي هو كبار اللؤلؤ وحبه الذي لا يمكن ثقبه لصغره كل ذلك معتدل في الحر والبرد واليبس والرطوبة لطيف يجفف الرطوبة في العين ويزيل كثرة وسخها ولا سيما العتيق منه الذي يوجد في الترب وقد جفت رطوباته فانه أصلح في ذلك ولذلك يخالطه السكحالون في أكحالهم لنفعه وتشديد أعصاب العين وخاصيته مع ذلك لخفقان القلب ومن الخوف والجزع الذي يعرض في المرة السوداء ويلطف الدم الذي يغلظ في الفؤاد ولهذا أيضا يخالطه المتطببون في أدوية القلب ويحبس نزف الدم ويجلو الاسنان جلاء صالحا واذا سحق وسقي مع سمن بقر نفع من السموم (وذكر) ارسطاطاليس ان ماء البحر الذي يتكون منه اللؤلؤ على ما قدمناه اذا قطر منه في الكف أو غمس فيه بعض أعضاء البدن ألبس ذلك العضو صبغا كالفضة المذابة (وذكر) أيضا انه من وقف على حل الدر من كباره أو صغاره حتى يصير ماء رجراجا ثم طلى به البياض الذي يكون في الابدان من البرص أذهبه من أول طلية يطليها وان سعط بذلك الماء من به صداع من قبل انتشار اعصاب العيون أذهبه عنه وكان شفاؤه في أول تسعيطة (قال) التيفاشي مما جربته واختبرته ووقفت عليه بالعمل ان حماض الاترج يحل الجوهر الا أنه يحله خاثرا مثل المني لا يعلق بالاجسام اذا طلي عليها والمياه الحادة الطاهرة القوية الحريفة تحله رجراجا يعلق بالاجسام على ما يوجبه القياس في حل الحماض له وقد جربته فصح (عيوبه) التصديف وعدم الاستقرار والصفرة والانبراص وهو قبيح البياض وخصيه وعدم رونقه وسعة الثقب وصغر الجرم وقلة الوزن (الاشياء التي تضر بالجوهر) الادهان جميعها والحموضات بأسرها لاسيما ماء الليمون ووهج النار والعرق والقذر والاحتكاك بالاشياء الخشنة والله أعلم الذي يجلوه ويذهب وسخه ماء حماض الاترج الا أنه اذا ألح عليه به قشره ونقص وزنه وهو يحله أيضا خاثرا كما ذكر قبل (محاسن) تليق بهذا المكان (قال) القاضي السعيد بن سناء الملك من قصيدة فاضلية أولها

نعم هي سعد او هي لي قمر سعد * وصال ولا صد وقرب ولا بعد

يعانقها من دوني العقد وحده * فيا عجبا يا قوم لم يعاق العقد
هي البدر الا أنها كله سنا * هي الغصن الا أنه كله ورد
ولو أبصر النظام جوهر ثغرها * لما شك فيه انه الجوهر الفرد

(وقال) من قصيدة أخرى فاضلية أيضا أولها

باتت معانقتي ولكن في الكرى * أترى درى ذاك الرقيب بما جرى
ونعم درى لما رأى في بردتي * ردعا وشم من اثياب العنبرا
بابي وأمي من حلمت بذكرها * لما انتبهت ومذ رقدت تفسرا
ومن العجائب ان ماء رضابها * حلو ويخرج حين تبسم جوهرا

(وله) من مرثية أولها

كجسمك جسمي أصبح اليوم باليا * ولكن ما بي عاد للناس باديا
يخيل لي اني دعيت الى الردى * وانك عني قد أجبت المناديا
فيا أسفي اذ كنت قبلي ماضيا * ويا خجلي اذ صرت بعدك باقيا
وغاص فؤادي في بحور همومه * فألقى الى جفني الدموع لآليا

(وقال) ابن الحلاوي جوابا عن رقعة من أبيات

فان كان زهرا فهو صنع سحابة * وان كان درا فهو من لجة البحر

(وقال) صفي الدين الحلي من قصيدة أولها

الست ترى ما بالعيون من السقم * لقد نحل المعنى المدقق من جسمي
واضعاف ما بي بالخصور من الضنا * على انها من ظلمها غصبت قسمي
وما ذاك الا ان يوم وداعنا * وقد غفلت عين الرقيب على زعمي
ضممت ضنا جسمي الى ضعف خصرها * لجنسية كانت لها علة الضم
فيا من أقامتني خطيبا لوصفها * أرصع فيه صنعة النثر والنظم
خذي الدر من لفظي وان شئت نظمه * وان عزت سلكا للنظام فها جسمي

(وقال) ابن سناء الملك من قصيدة أشرفية أولها

جسمي كما حكم الغرام وحسبها * ان الغرام يزورني ويغبها
عاقت ظبيته وعيشي أخضر * فرعته ظمأنا ان عيشي عشبها

(ومنها في المدح)

وأرى العقود حسدن ما قد سطرت * عيناه حتى اصفر منها حبها

(ومما ينظم فى هـذا السلك) قول شيخنا العلامة بدر الدين الدماميني من قصيدة أولها

رضيت فيه بقتل النفس مذ سخطا * مهفهف سل سيف الجفن واخترطا

(ومنها فى المديح)

ونظمه الدر حسناقدره لاوغلا * يناسواه رأينا نظمه سقطا

(قال) ابن منير وأجاد

لاتخدعنك وجنة محمرة * رقت ففى الياقوت طبع الجلمد

(وقال) النور الاسعردى

قد كدت أحرق خده يوم النوى * بتنفسى لولم يكن ياقوتا

وما أحسن قول أبى الحسن على بن عبد العزيز الحلبي المعروف بالفكيك يخاطب بعض التجار

أباجعفر انفذت اطاب جمة * أفاق عليها الدر رونق حسنه

كرقة دين البابلى ولونها * كطاجنه المبيض فى طول قرنه

فأنفذتها بالضد فى لون عرضه * وهمته قصرا وفى سلك ذهنه

وفصامن الياقوت أحمرناصعا * كاخوته بردا وفى ثقل ابنه

فأنفذت لى فصا كخفة عقله * وسحنة عين قلبت تحت جفنه

قصدت خلافى فى جميع ما آربى * فأشرت ميت السخط من بعد دفنه

فلوقلت قبل رأسه وبنانه * خريت اعتمادا الخلف فى جوف ذقنه

(الياقوت) قال بلينوس العلة فى تكوّن حجارة الياقوت هى ان الشمس لماطلعت على الارض سخنتها بقوتها فسخن من الارض مالم يحجب منها واشتدت سخونة المكان بظهور الشمس عليه وغيرت الشمس رطوبة المكان الذى اشتدت حرارتها عليه فلما اشتد يبسه لقلة رطوبته اجتذبت قوته من الشمس وقوتها حرا ويبسا فانقلب عن طباعه ولونه وطعمه على قدر الرطوبة التى كانت فيه من كثرتها وقلتها فلما حاشت الرطوبة وأقامت عليه اجتذب الماء ما كان فى ذلك المكان من حر الشمس ويبسها وطلعت عليه الشمس وسخنته فجمعت الرطوبة عن ذلك اليبس الذى فيها بحر الشمس فسخن الماء بحرها فتلطف وقوى على تحليل اليبس الذى قبلته الارض من يبس الشمس المتصل بها فى الماء

وانحل به واشتدت عليه السخونة حتى ظهرت قوة اليبس المفرطة فيه فكان منه الحجر المسمى بالياقوت ولشدة يبسه ضاقت مسامه لقبض اليبس له ولشدة انحلاله وشدة لطافته رجع منعقدا ولشدة اليبس تكاثفت أجزاؤه بعضها فى بعض وتداخلت (الياقوت الاصفر) *فمنه الرقيق وهو قليل الصفرة كثير الماء ساطع الشعاع والخلوقى وهو أشبع صفرة من الرقيقى والجلنارى وهو أشبع من الخلوقى وأشدها شعاعا وأكثرها ماء وهو أجوده *والاسمانجونى فمنه الازرق واللازوردى والكحلى وهو أشبع من النيلى ويسمى الزيتى *وأما الابيض فمنه المهاى وهو أشد بياضا وأكثر ماء وأقواها شعاعا ومنه الذكر وهو أثقل من المهاى وأقل شعاعا وأصلب حجرا وهو أدونها وثمنه أرخص أثمان الياقوت (ذكر خالص الياقوت ومعيبه) أجود الياقوت الاحمر البهرمانى والرمانى والوردى النير المشرق واللون الشفاف الذى ينفذه البصر بسرعة السالم من العيوب (عيوبه) الشعرة والسوس فالشعرة شبه تشقيق يرى فيه والسوس خروق توجد فى باطنه يعلوها شئ من ترابية المعدن وربما وجد فى تلك الثقبة دود حى يتحرك اذا خرجت الدودة منها الى الهواء ماتت ورأينا من رأى ذلك من الثقات (عيوب) ألوانه أردأ الالوان الاحمر الوردى الذى يضرب الى البياض والسماقى الذى يضرب الى السواد وأردأ منه الازرق الذى يضرب الى لون الرماد ويسمى السنور وكذلك الذى يسمى الزيتى وأردأ ألوان الياقوت الاصفر ما نقص لونه وضرب الى البياض وأردأ صفات جميعه فى الجملة قبح الشكل والذى قدمناه (ذكر خواصه ومنافعه) قوة الياقوت على قدر معادنه المتكون فيها وعلى قدر أصبغته وألوانه فالاحمر منه حار يابس والاصفر أقربها الى الاحمر وفيه فضل حر وكذلك الاصفر والاسمانجونى أبرد وأيبس والابيض أبرد الياقوت وأرطبها (خواصه) فى نفسه *من خواص الياقوت انه يقطع كل الحجارة شبيها بقطع الماس وليس يقطعه شئ غير الماس وانما يثقب بالماس وذلك بان تركب منه قطعة فى طرف مثقاب حديد ثم يثقب به كما يثقب الخشب ومن خواصه انه لا يحك على الخشب الذى يحك عليه كل شئ اما الياقوت فانه لا يحك على شئ الا على صفيحة نحاس بكسر الجزع اليمانى ويحرق حتى يصير كالنورة ثم يسحق بالماء حتى يصير كانه الغراء ثم يحك به على وجه الصفيحة

النحاس حجر الياقوت فينجلي حتى يصير أشد الجواهر صقالة * ومن خواص الياقوت الشعاع فانه ليس لشئ من المشفة شعاع مثله ومن خواص الياقوت الثقل فانه أثقل الاحجار المساوية لمقداره في العظم ومن خواصه صبره على النار فانه لا يتكلس كما يتكلس غيره من الاحجار المثمنة كالزمرذ وغيره ومن خواصه انه يقبل البرودة بسرعة اذا أخرج من النار بخلاف غيره من سائر الاحجار وليس من ألوانه ما يثبت على النار غير الاحمر فقط * وقد ذكر ارسطاطاليس في كتاب الاحجار أن الياقوت الاحمر اذا نفخ عليه في النار ازداد حسنا وحمرة واذا كانت فيه نكتة شديدة الحمرة ونفخ عليها في النار انبسطت في الحجر فسقته من تلك الحمرة وحسنته وان كان فيه نكتة سوداء نقص سوادها وهو حجر يزداد حسنا وصفاء عند النفخ عليه في النار واذا كان الحجر أحمر ونفخ عليه فزالت حمرته فليس بياقوت بل أحد الاشباه أو مصنوع مدلس وقد رأيت بسوق القاهرة جواهر تباع على أنها ياقوت أزرق وأصفر وهي مصنوعة مدلسة كان أصلها ياقوت أبيض ومن خواصه انه لا تعمل فيه المبارد والحديد ولا يلصق شئ في جسمه من جميع ألوانه أحمره وأصفره وسماويه ومن خواصه قطع الاحجار المشفة غير الماس والاحمر في جميع هذه الخواص زائد على جميع ألوانه في القوة * خواصه في منافعه من خواصه ذكر ارسطاطاليس أنه من تقلد هذا الحجر أو تختم به من أنواع اليواقيت التي وصفنا وكان في بلد قد وقع الطاعون فيه منعه أن يصيبه ما أصاب أهل ذلك البلد من الطاعون ونبل في أعين الناس وسهل عليه قضاء الحوائج وتيسر له من أرباب المعاش أمور صعبة ومن خواصه تقوية قلب لابسه وتشجيعه والهيبة له في قلوب الناس واجلاله ومن خواصه أن ينفع من حفقان القلب والوسواس في التعليق له ومن خواصه أن الصاعقة لا تقع على من تختم به أو علقه عليه ومن خواصه أنه لم ير في أصبع غريق قط ومن خواصه انه يقطع العطش اذا وضع في الفم وتحت اللسان ومن خواصه انه يمنع جمود الدم اذا علق ومن خواصه انه يقطع نزف الدم اذا علق ومن خواصه ما أخبرني به شريف جوهري معروف بالخبرة والذكاء في هذا ودخل الى الهند ومارس كثيرا من علم الاحجار أن الهند يقولون ان من كان معه حجر ياقوت جذب قوسا قويا من طبقته وقوته اذا لم يكن معه ذلك الحجر على شرط ان

لا يفعل ذلك على سبيل الخبرة والامتحان بل يكون ذلك بغير قصد له ولا تعمد (ومحنة) أشباه الياقوت بأجمعها أن يحك بالياقوت الاحمر فانه يخرجها كلها ولا تخرجه وليس شئ منها يقوم على النار كما قدمنا فهذه علة تكون الياقوت (وأما اختلاف ألوانه) فانه بنسبة بقاع الارض اذا وقع عليها الماء فدام عليها فيتغير الماء بما انحل فيه من يبس الارض وتسخين الشمس له فيحمى الماء على قدر الحرارة فينعقد أحمر وربما انعقد أصفر لقلة الحرارة فيه وربما اعتدل الحر عليه في اللين والانحلال فانعقد أبيض صافيا وربما اشتدت يبوسته فعرض فيه البرد لشدة اليبس وتباعد الحر عنه فعرض فيه السواد وظهر على أعلاه لبطون الحمرة في باطنه وربما طرحت الحمرة نورها الى خارج مع ظهور السواد في ظاهره فقام بينهما لون أسود اسمانجونى وذلك أن صفرة الرطوبة اذا التحمت مع سواد اليبس قام من بينهما اللون الاسمانجونى * قال بلينوس والياقوت حجر ذهبى وجميع الحجارة غير الاجساد الذائبة انما انعقدت وابتدأت لتكون ياقوتا فأقعدتها عن الياقوتية كثرة الرطوبة وقلتها أو كثرة اليبس وقلته فلم تكن ياقوتا وصارت حجارة حمرا وبيضا وخضرا وصفرا وغير ذلك من الالوان التى لا تذوب فى النار ويقع عليها الحديد فيحكها وفيها ما لا يحكه الحديد ووضعت عليه اسماء كثيرة خلاف الياقوت (ذكر معدنه) الذى يتكون فيه الياقوت يؤتى به من معدن يقال له سجران من جزيرة خلف سرنديب بنحو من أربعين فرسخا والجزيرة تكون نحوا من ستين فرسخا فى مثلها وفيها جبل عظيم يقال له جبل الراهون تحدر منه الرياح والسيول الياقوت فيلقط وهو حجر من أرض ذلك الموضع وحصباؤه وما تجر سيوله من جبل الراهون ويقال ان الشمس اذا أشرقت على ذلك الجبل أبدت فيه شعاعات كثيرة لوقوع شعاع الشمس على حصى الياقوت فيسمى ذلك برق الراهون وهذا الجبل هو الذى أهبط عليه آدم عليه السلام من الجنة ومنه خرج الى الارض فاذا أصيب ذلك الحصا أصيب وظاهره مظلم يميل أكثره الى السواد والغبرة كالحصى الموجود فى هذه الالوان عندنا فاذا استشف فى الشمس أشف لونه أحمر كان أو أصفر او سماويا أو غير ذلك من ألوان الياقوت * قال التيفاشى أخبرنى من دخل جزيرة سرنديب من التجار أن أهل ذلك الموضع اذا لم تحدر السيول والرياح لهم من

حصباء الياقوت فى بعض السنين ماجرت به العادة احتالوا لتحصيله بالحيلة التى
نذكرها وذلك ان الجبل الذى فيه الياقوت جبل شاهق صعب المسلك لا يمكن
الوصول الى أعلاه وفى أعلاه نسور كثيرة تعشش فيه وتتخذ مساكنها به لخلوته
فيعمد أهل ذلك الموضع الى حيوان فيذبحونه ويسلخون جلده ثم يقطعونه
قطعا كبارا ويتركونه فى سفح الجبل المذكور ويبعدون عنه وهم يرقبونه فتأتى
النسور فترفع ذلك اللحم وتنزل به عند أوكارها فاذا وضعته على الارض علق به
من حصى الياقوت والصق فيه ثم تأتى نسور أخرى فتجتمع على اللحم لتخطفه
فيأخذه بعضها وتطير من الجبل فيسقط منه الياقوت لثقله فيلقطه الذين
يرقبونه من الموضع الذى يسقط فيه ويذكر أن فى سفل هذا الجبل غياضا عظيمة
وخنادق عميقة وأشجارا شاهقة ويسكن بها حيات عظام تبتلع الحية منها الانسان
ورأس البقر وغيره صحيحا فاذا ابتلعته عمدت الى أصل شجرة فالتوت عليها
واشتدت فيتكسر فى بطنها ماتبتلعه وتندق عظامه فيهضمها ولاجل ذلك أيضا
لا يستطاع سلوك هذا الجبل ولا الوصول اليه والى مافيه من عجائب الاحجار
(ذكر أصنافه) أصول الياقوت أربعة أصناف أحمر وأصفر واسمانجونى وأبيض
فالاحمر منه ينقسم الى أربعة أقسام الوردى وهو يتفاضل فى شدة الصبغ الى
الوردية لا يجاوز ذلك ويقل صبغه الى أن يقرب من البياض ثم الجمرى وهو مشوب
بقرقرية كاون وردالخيرى وأظهر قرقرية وهو يتفاضل فى قوة الصبغ وضعفه
الى أن يقرب من البياض ثم الاحمر وهو بلون العصفر الشديد الحمرة الناصعها فى
القوة والى القرب من الوردية فى الضعف ثم البهرمانى وهو أحمر نقى الحمرة لا يشوبها
شائبة وهو يتفاضل فى قوة الصبغ وضعفه حتى ينتهى الى لون العصفر الشديد
الحمرة الناصعها فى القوة والى قريب من لون الورس فى الضعف وأثمن الياقوت
الذى فى لون الحمرة البهرمانى وأثمن كل واحد من بقية أصنافه أشدها استشفا
وأشدها شعاعا وأسلمها من العيوب التى تذكر فيما بعد (وأما الزمرذ) قال بلينوس
ان الزمرذ هو الياقوت لانه انما ابتدأ لينعقد ياقوتا فى جميع أجزائه وكان لونه
أحمر فلشدة تكاثف الحمرة بعضها على بعض عرض له السواد فصار اسمانجونيا
ولثقل اليبس وغلظه بطن الاسمانجونى وارتفع ماصفى على الحمرة على أعلاه
فاصفر ولما كان باطنه اسمانجونى واشتدت عليه الحرارة بطبخها فرجت

اللونين جميعا لون ظاهره بلون باطنه فتولدت الخضرة بينهما فصار لونه أخضر
فسمي زمردا وانما كان أصله ياقوتا لان الياقوت هو حجر ذهبي وهو أصل الحجارة
كما أن الذهب رأس الاجساد المذابة (ذكر معدنه) الذي يتكون فيه موضع
الزمرد الذي يؤتى به منه * في التخوم بين بلاد مصر والسودان خلف اسوان يوجد
في جبل هناك كالجسر فيه معادن تحتفر فيخرج منها الزمرد قطعا صغارا
كالحصى منبثة في تراب المعدن وربما أصيب العرق منه متصلا فيقطع وهو
جيده * وأما صغيره فانه يصاب في التراب بالنخل وذلك أنهم ينخلون التراب ثم
يوجد خلاله فيغسل كما يغسل تراب الفضة فيوجد فيه الحجر بعد الحجر ويوجد
بعضه عليه أتربة كالكحل الشديد السواد وهو أشد خضرة واكثر ماوجد
من الزمرد في التراب فهو الفص وماقطع منه من العروق فهو القضيب في
اصطلاح الجوهريين وهو أعتقه وأخلصه (ذكر جيده ورديئه) أصنافه
أربعة الذبابي والريحاني والسلقي والصابوني فأعلاه وأغلاه وأفضله في سائر
الخواص الموجودة في الزمرد هو الذبابي وهو أخضر مغلوق اللون جدا لا يشوبه
في خضرته شئ آخر من الالوان حسن الصبغ جيد المائية وانما سمي ذبابيا
لشبه لونه بالخضرة التي تكون في الكبار من الذباب الربيعي لا في صغاره الموجودة
في البيوت وهو أحسن مايكون من الخضرة بصيصا وذلك اللون غير موجود في
ذباب البيوت وأما بقية الاصناف المذكورة من الزمرد غير الذبابي فانها نازلة
مقصرة عن جميع الخواص الموجودة في الذبابي ولهذا ألغيتها (عيوب الزمرد)
من أكبر عيوب الزمرد الذبابي اختلاف الصبغ حتى لا يكون موضع منه بلون
مخالف للون موضع آخر ومن عيوبه عدم الاستواء في الشكل وهذا عام له
وللياقوت ولكل حجر مستشف ثمين أو غير ثمين ومن عيوبه التشعير وهو من
لوازمه لا يكاد يخلو منه وهو شبه شقوق خفية تظهر فيه (خواص الزمرد) الذبابي
في نفسه خواصه الكبرى في نفسه وهي التي انفرد بها عن سائر الاحجار وبها
يمتحن الخالص منه من غيره أن الافاعي اذا نظرت اليه ووقع بصرها عليه
انفقأت عيونها على المكان قال أحمد التيفاشي وقد كنت أقف على هذه
الخاصة في الزمرد في كتب الحكماء ثم جربتها بنفسي فوجدتها صحيحة وذلك
أنه كان وقع لي فص زمرد ذبابي خالص أردت امتحانه على عيون الافاعي

فاستأجرت حاوياً على صيد أفعى وجعلتها في طست وأخذت قطعة شمع فألصقتها في رأس سهم ثم ألصقت فيها الفص وقربته من عين الافعى فكانت تثب أولا نحو السهم وكانت لها حركة قوية تروم بها الخروج من الطست فلما قربت الزمرذ من عينها سمعت قرقعة خفية كمن يقتل صبانة على ظفره ثم رأيت عيني الافعى وقد برزتا على وجهها بروزا ظاهرا وبقيت حائرة في الطست تدور فيه لتقصد مخرجا ولا تدري حيث تتوجه وسكنت أكثر حركتها وانقطع وثوبها بالجملة * ومن خواصه الرخاوة وتخلل الاجزاء ومن خواصه خفة الوزن ومن خواصه شدة الملاسة والصقال والنعومة ومن خواصه زيادة الخضرة والماء اذا ركب على البطانة وأخص صفاته به الخفة (خواصه) في منافعه من خواصه انه من نظر اليه أذهب عن بصره الكلال ومن خواصه انه من تقلد بخاتم منه دفع عنه داء الصرع اذا كان لبسه له قبل حدوث الداء ومن أجل هذا كانت الحكماء تأمر الملوك تعلقه على أولادهم عند ولادتهم ليدفع عنهم داء الصرع ومن خواصه انه من سحل منه وزن ثمان شعيرات وسقاه شارب السم قبل ان يعمل السم فيه خلص نفسه من الموت ولم يتمعط شعره ولم ينسلخ جلده وكان شفاءه ومن خواصه انه ينفع من نفث الدم واسهاله اذا علق على من به ذلك ومن خواصه النفع من وجع المعدة اذا علق عليها من خارج ومن خواصه انه ينافي الحيات المسمومة ولا تقرب حامله ومن خواصه ان شرب حكاكته نفع من الجذام ومن خواصه ان جميع أصنافه كلها تصلح ان تعلق على العضد وعلى الرقبة للتعويذ وعلى الفخذ لسرعة الولادة مجرب (ومن معانيه الشعرية) قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

ذباب السيف من لحظ اليه * لاخضر صدغه بعد انتساب

فلا عجب اذا ما قيل هذا * له صدغ زمرذه ذبابي

(البلخش) معدنه الذي يتكون فيه * يؤتى به من بلخشان والعجم تقول بذخشان بذال معجمة وهي من مدن التتر فيما يتاخم الصين وأخبرني من وصل الى معدنه من التجار انه وجد في المعدن حجرا في باطنه مالم يكمل طبخه وانعقاده بعد والحجر مجتمع عليه (جيده ورديئه) هو ثلاثة أنواع أحمر معقرب وأخضر زبرجدي وأصفر وأجوده الاحمر وليس لجميعه شيء من الخواص التي لليا قوت ومنافعه

وانما فضيلته شبهه والمائية والشعاع الاحمر لم يذكر فيه شئ من الخواص البتة
(الماس) قال بلينوس ألماس حجر ذهبي وهو أشبه الاحجار بالاجساد المذابة
لانه ليس من الاحجار شئ يسحقه كما تسحق الاحجار بعضها بعضا فلذلك شبهته
بالاجساد ولم يفسده شئ من الاحجار غير الابار فلذلك قلت انه حجر ذهبي وأقول
ان الماس انما كان في معدنه وابتداء خلقته ليكون ذهبا وذلك أن الماء في
معدنه فلما سخنته الحرارة يبس الماء من الحر الذي سخنته جدا فصار حجرا
فلما كثرت عليه الحرارة وعرض في الماء غلظ فصارت فيه لزوجة لغلظه وصار
أشبه شئ بالزيبق وتولد فيها رطوبة المعدن ويبسه بلطافة الطباع وملح وشقف الماء
والريح فغلظ واشتدت عليه الحرارة فقوي الملح على نسف الحر واليبس واشتدت
يبوسته فظهرت على وجه الماء اللزج الذي هو يشبه الزيبق فانعقد حجرا بافراط
اليبس عليه وانما انعقد ليكون ذهبا فأقعده عن الذهبية انعقاده باليبس
والملوحة فلو انعقد باللين ولم يفرط عليه اليبس وبالحلاوة مكان الملوحة لكان
ذهبا فلما انعقد وكان فيه ملوحة وشدة يبس نقص عن كيان الذهب فصار حجرا
صلبا يأكل الاحجار كلها بملوحة طبيعته وشدة يبسه وانما صار يتكسر للملوحة
فبقيت الملوحة واليبس في جسده وانما صار لا يفسده شئ غير الابار لانه ذهبي
كما ان الابار يفسد الذهب ويسحقه وانما يسحق الابار الماس لكثرة يبسه
وذلك لاجتماع الكبريت الذي في الابار مع ملوحة الماس لان الملح الذي
في الماس اذا أحس برائحة الكبريت تفتت وانسحق وانما صار لون الماس
أبيض لانعقاده بالرطوبة ودفع رطوبة الموضع عنه وهيج النار فصار لذلك أبيض
فهذه علة تكون الماس (معدنه) الذي يتكون فيه * يوجد في معدن الياقوت
ويتكون فيه ويخرج منه كما يخرج الياقوت فهو حصاء معدن الياقوت اذا
أخرجته الرياح والسيول من معدنه حسبما بيناه فيما سلف (جيده ورديئه) الماس
نوعان الزيتي والبلوري والزيتي أجودهما والبلوري أبيض شديد البياض
كالبلوري والزيتي يخالط بياضه صفرة كلون الزجاج الفرعوني (خواصه) في
ذاته * من خواصه ان جميعه ذو زوايا قائمة ست زوايا وثمان زوايا وأكثر
من ذلك وأقل * يحيط بزواياه سطوح قائمة مثلثة الشكل اذا كسر فلا ينكسر
الا مثلثا ومن خواصه انه يقطع كل حجر يمر عليه وهو في نفسه عسر الانكسار

وان وضع على سندان حديد ودق بمطرقة لم ينكسر ودخل فى وجه السندان
ووجه المطرقة وكسرهما وانما يكسر بأن يصير فى شئ من الشمع ثم يدخل فى
أنبوب قصب وينقر بمطرقة غيرها برفق ومداراة بحيث لا يباشر جسمه الحديد
حتى ينكسر أو يصير فى أسربة ويفعل به ذلك (ومن خواصه) ان الانسان اذا
ابتلع منه قطعة ولو كانت أصغر ما يكون حرقت امعاءه فقتلته على الفور ومن
خواصه ما ذكره ارسطاطاليس من أن بينه وبين الذهب محبة ينشب به حيث
كان حتى يخالط منه الحبة الخفيفة يعرف ذلك صياغ الذهب فانهم اذا بردوه
وقعت تلك الحبة تحت مباردهم فأكلت المبارد وأفسدتها ومن خواصه
انه يثقب الدر والياقوت والزمرد وغيرها من جميع مالا يعمل فيه الحديد من
الاحجار كما يثقب الخشب وذلك بأن تركب فى رأس مثقاب حديد منه قطعة
بقدر ما يراد من سعة الثقب وضيقه ثم يثقب به فيثقب بسرعة وأما طبعه فانه
بارد يابس فى الدرجة الرابعة (خواصه) فى منافعه منها ما ذكره ارسطاطاليس
انه من كانت به الحصاة الحادثة فى المثانة من مجرى البول ثم أخذ حبة من هذا
الحجر وألصقها فى مرود نحاس أو فضة بمصطكا الصاقا محكما ثم أدخل ذلك
المرود الى الحصاة فتتها قال أحمد بن أبى خالد المعروف بابن الجزار فى كتابه فى
الاحجار وبهذا الفعل عالجت أنا وصيفا الخادم من حصاة عظيمة كانت به وامتنع
من الفتح عليها بالحديد فلما فعلنا به هذا الفعل انسلخت الحصاة حتى صغرت
وسهل عليه خروج ما بقى منها فى البول ومن خواصه انه ينفع من المغص
الشديد ومن فساد المعدة اذا علق على البطن من خارج (عين الهر) معدنه
الذى يتكون فيه هذا الحجر يوجد فى معدن الياقوت مع الماس فهو حصباء
معدن الياقوت كما ذكرناه عن الماس فيما سلف (جيده ورديئه) هذا الحجر
غريب الشكل وذلك ان الغالب على لونه البياض باشراق عظيم ومائية رقيقة
شفافة الا انه يرى فى باطنه نكتة على قدر عين الهر أعنى الناظر الحامل للنور
المتحرك فى فص مقلته وعلى ذلك اللون سواء وتلك النكتة مع ذلك متحركة على
الدوام اذا حرك الفص تحركت بخلاف جهة حركته بحيث ان أميل الى جهة
اليسار مالت النكتة متحركة الى جهة اليمين وذلك فى الاعلى والاسفل فهى
كناظر الهر حقيقة ولذلك سمى به فان كسر أو قطع على أقل الاجزاء ظهرت تلك

النكتة فى كل جزء من أجزائه وأجوده ما اشتد بياض أبيضه وشفيفه واشتدت كثرة مائيته تلك النكتة التى فيه وسرعة حركتها واشراقها وحسن الشكل وكبر الجرم زائدان فى جودته كسائر الاحجار (خواصه ومنافعه) هو أنه يحفظ حامله من عين السوء والانفس الخبيثة ومما أنقله فيه عن ثقات الجوهريين ممن دخل الهند ومارس هذا الفن ومهر فيه أنه يجمع خواص الياقوت البهرمانى فى منافعه ويزيد عليه بمنفعتين احداهما أنه لا ينقص مال محتمله ولا تعتريه فيه الآفات والنكبات والاخرى أنه اذا كان فى يد رجل أو معه وحضر مصاف حرب ثم هزم حزبه فألقى نفسه بين القتلى يراه كل من يمر عليه من أعدائه كأنه مقتول متشحط فى دمه فتنفر عنه النفوس حتى لا يقربه بشر منهم وأخبرنى بعض من دخل الهند من الجوهريين أنه رأى هذا الجوهر يعبد فى المعبر كما تعبد الاصنام قال وثمنه عندهم أغلا من ثمنه ببلاد العرب وهم به أغبط وهو عندهم أعز وذكر أنه وقف على حجر بيع فى المعبر بمائة وخمسين دينارا ولعله يساوى فى الهند عشر هذا الثمن وذلك لعلمهم بخواصه ووقوفهم عليها بالتجربة (البازهر) الموجود من هذا الحجر الآن بأيدى الناس نوعان احدهما حيوانى والآخر معدنى فأما المعدنى منهما فيقال انه ينفع من لدغة العقرب فقط وهو مقصر عن جميع ما يذكر فى الكتب من البازهر الحيوانى ويذكر أنه يجلب من الصين وهو حجر خفيف هش أصفر وأغبر منقط نقطة خفيفة توجد طبقات رقاق فى أصل تكونه طبقة فوق طبقة لا توجد الا كذلك وينحك سريعا اذا حك ومحكه يميل للبياض وأعظم ما يوجد منه من مثقال الى ثلاثة مثاقيل يؤتى به من بلد فارس من تخوم الصين والحيوان الذى يوجد فيه هو الايل الذى يكون بتلك الجهات ويذكر أن الايل الذى يوجد فيه البازهر يشتهى أكل الحيات لاسيما من صغر من أولادها وهو معظم غذائه يبحث عنها ويستخرجها من حيث كانت فيأكلها وقد اختلف الناس فى أى موضع من الحيوان يتكون البازهر على ثلاثة أقوال الاول أنه يتكون فى عينيه قالوا وذلك أنه اذا أكثر من أكله لفراخ الحيات اعترته حكة فى سائر جسده من سمها فيعمد الى بركة ماء فيغوص فيها رافعا رأسه عن الماء الى أن يغيب كله فى الماء حتى لا يظهر منه الا حدقتاه فيرتفع حينئذ من سائر جسده بخار رطب الى عينيه ثم يخرج من مآقيه الذين

يليان أنفه عنه و يسرة ويستحيل ماء فاذا ضربه الهواء جمد وجسده حجرا و بقى معلقا بشعرنا حتى أنفه ثم يعرض له مثل ذلك العارض فيفعل مثل هذا الفعل فيخرج بخار آخر و يستحيل ماء و يسيل من ذلك الموضع بعينه على الحجر المتكون قبل فيجمد اذا باشره الهواء فوق الحجر الاول كما جمد الذى قبله ولا يزال كذلك حتى يثقل الحجر فيسقط من ذاته أو يحكه الحيوان اذا ثقل عليه الى حجر أو أصل شجرة فيسقط فتتبع مظانه حتى يوجد فيؤخذ منها وأخبرنى من لا أشك فى صدقه وثقة نقله أن بتخوم الشام فيما بينها و بين بلاد الروم بموضع يسمى مرعش وما يتصل به ايلا يأكل فراخ الحيات و يعرض له من أكلها ما ذكرناه و يفعل الوصف الذى وصفناه وان البازهر يتكون فى عيونه على حسب ماذكرناه القول الثانى ان هذا الحجر يتكون فى قلب هذا الحيوان وانه يصاد لاجله و يذبح و يستخرج الحجر من قلبه وهذا القول رأيته لبعض أطباء مصر حسبما نورده عنه فيما بعد وهو غير صحيح القول الثالث أن هذا الحجر يتكون فى مرارة هذا الحيوان كما يتكون كثير من الاحجار فى كثير من الحيوان و يذبح فيخرج البازهر من مرارته ومن يقول ذلك يستدل على صحة قوله بأن هذا الحجر اذا ذيق ظاهره باللسان وجد طعم المرارة عليه ظاهرا وأكثر حذاق الجوهريين وأرباب الخبرة منهم على هذا القول وهذا عندى هو الصحيح وأخبرنى بعضهم أنه شاهد حجرا منه انكسر فوجد فيه حشيشة اشتمل عليها الحجر فى أصل تكونه (جيده ورديئه) الخالص الجيد الموجود منه فى هذا التاريخ هذا الحيوانى المذكور قبل وهو الاصغر الخفيف الهش المنقط ذو الطبقات الابيض الحلك المر المذاق (خواصه) فى نفسه منها أنه اذا مر على حمة العقرب أبطل لسعها وان لسعت لم يؤذ سمها ومنها أنه ان حك على أفواه الافاعى والحيات خنقها وماتت وهذا والذى قبله مما يختبر به البازهر الحيوانى الخالص من المغشوش ومنها انه اذا جعل مع أجسام خشنة مباشرة لجسمه محتكة معه غيرت صورته وخشنته وغيرت لونه وجميع صفاته حتى لا يكاد يعرف وقد كان عندى حجر بازهر حيوانى خالص فجعلته فى كيس فيه دنانير ذهبا ثم سافرت من موضع الى موضع آخر فلما استقريت فتحت الكيس واستخرجت الحجر البازهر فلم أعرفه حتى

[illegible]

فزاد تشككى ولم يكن معى من أتهمه فعجبت من ذلك وبقيت متحيرا فى أمره ثم جعلته فى حق صغير بعد أن لففته بابريسم وغفلت عنه مدة ثم أخرجته فوجدته الحجر الذى كنت أعرفه أولا قد زالت عنه الهيئة الرديئة التى اكتسبها من احتكاكه بخشونة الذهب الآن وزنه نقص بما انحك منه فى الكيس ولما كان بعد ذلك سوى ذكر البازهر بينى وبين حذاق الجوهريين فعرفنى أن من خاصيته أن احتكاكه بالاجسام الخشنة يغيره فعرفته بما شاهدته فى ذلك بالتجربة تصديقا لقوله (خواصه) فى منافعه أخص منافعه النفع من السم أى سم كان قاتله أو غير قاتله من سموم الحيوان والنبات من السموم الحارة والباردة ومن عض الهوام واللدغ والنهش اذا شرب منه من ثلاث شعيرات الى اثنى عشرة شعيرة مسحوقه أو محلولة بالمبرد أو محكوكة على المسن بزيت الزيتون أو الماء فانه يخرج السم بالعرق من جسد المسموم ويخلص نفسه من الموت ويفعل ذلك بجملة جوهره والخاصية المودعة فيه أنه هو حجر شريف نفيس ليس له فى جميع الاحجار ما يقوم مقامه فى دفع السموم ومن خواصه انه اذا سحق ونثر على موضع النهش وغيره جذب السم الى خارجه وابطل فعله ومن خواصه ماذكره ابن جميع فى كتابه الملقب بالارشاد الى مصالح الانفس والاجساد قال والحيوانى من البازهر وهو الموجود فى قلوب الايائيل افضل فى جميع الاوصاف المذكورة فى البازهر حتى أنه اذا حك بالماء على مسن وسقى منه كل يوم وزن نصف دانق للصحيح على طريق الاستعداد والتقدم بالحوطة قاوم السموم القادمة وحسم من مضارها ولم يخش غائلة ولا اثارة خلط حام كما يخشى من المثرود يطوش ولا يضر المحرورين ولا النحيفين لانه انما يفعل ذلك بخاصية جوهره ومن خواصه انه من تختم منه بوزن اثنى عشرة شعيرة فى فص خاتم ثم وضع ذلك الفص على موضع اللدغ من العقارب والهوام الطيارات وغير الطيارات ذوات السموم وأجناس الزنابير والدراريح نفع منها نفعا بينا ومن خواصه انه اذا سحق ثم نثر على موضع اللدغ من الهوام الارضية حين تلدغ اجتذب السم وأرشحه وان عفن الموضع قبل ان يبادر اليه بالدواء ثم نثر عليه من هذا الحجر مسحوقا أبرأه ومن خواصه ماذكره بعض الحكماء من الاوائل أنه اذا صنع خاتم من ذهب ويكون فصه بازهر ونقش عليه صورة العقرب حين يكون القمر فى العقرب ويكون

العقرب وتدا من أوتاد الطالع ثم طبع بهذا الخاتم طوابع من كندر ممضوغ معمول منه قرص والقمر فى العقرب أيضا ويرفع فمن لدغته العقرب وشرب قرصا من هذه الاقراص المختومة بهذا الفص البازهر لم تضره اللسعة وبرأ منها وقد جرب هذا فوجد صحيحا وختم به على غير الكندر لئلا تكون الخاصية للكندر ففعل كما يفعل اذا ختم به على الكندر انتهى (الفيروزج) حجر نحاسى يتكون من أبخرة النحاس الصاعدة من معدنه على ماتذكره بعد فى تكون غيره من الاحجار النحاسية (معدنه) الذى يتكون فيه الفيروزج يجلب من معدن جبل النيسابور ومنه يحمل الى سائر البلاد ومنه نوع يوجد فى نشاور الا أن النيسابورى خير منه (جيده ورديئه) الفيروزج نوعان سجانى وقجانى والخالص منه العتيق وهو السجانى والاجود منه الازرق الصافى اللون المشرق الصفا الشديد اللمعان المستوى الصبغ وأكثر مايكون فصوصا وذكر الكندى أنه رأى حجرا زنته أوقية ونصف *خواصه فى نفسه منها أنه حجر يصفو لونه فى صفاء الجو ويكدر مع كدورته وذكر ارسطاطاليس أن كل حجر يستحيل عن لونه فهو ردىء للابسه ومنها أنه اذا أصابه شئ من الدهن أفسد حسنه وغير لونه وكذلك العرق يفسده ويطفئ لونه بالكلية وكذلك المسك اذا باشره أبطل لونه وأذهب حسنه (خواصه) ومنافعه منها أنه يجلو البصر بالنظر اليه ومنها أنه ينفع العيون اذا سحق فى الاكحال ومنها أنه اذا سحق وشرب نفع من لدغ العقارب وطبيعته البرد واليبوسة (العقيق) حار يابس وفيه ثلاث خصال من الخواص الاولى أنه من تقلد بالاحمر منه الشديد الحمرة سكنت روعته عند الخصام الثانية انه من تختم بالنوع الثانى منه وهو الذى لونه لون ماء اللحم اذا ألقى فيه الملح وفيه خطوط بيض قطع عن حامله نزف الدم من أى موضع كان من الجسد ولاسيما النساء اللواتى يدوم طمثهن الثالثة أنه اذا استيك به من أى أنواعه اتفق أذهب عن الاسنان صداها وبيضها واذهب الحفر ومنع الاسنان أن يخرج من أصولها الدم (ظرائف) تليق بهذا المكان قال بعض الفضلاء ممن يعتمد على قوله من تمذهب للشافعى وقرأ لابى عمرو ولبس البياض وتختم بالعقيق وحفظ قصيدة ابن رزيق البغدادى فقد استكمل الظرف ومما سمع عنه قيل ان خاتمه ماوجد فى أصبع قتيل

(وقيل) وما أحسن استخدام فيه * عج بالعقيق فدمعى بحكيه

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة

لا تسل عن حديث دمعى لما * ظعن الركب واستقل الفريق

لو تتبعه وأمطرته دموعى * جرى منها الوادى وسال العقيق

(وقال) صدر الدين بن عبد الحق

اذكرها الغضا ولذيذ عيش * تقضى بالعقيق دوين سلع

فقالت ما الغضا فأجبت قلبى * وقالت ما العقيق فقلت دمعى

(وأنشدنى) الشيخ تقى الدين بن حجة من قصيدة نبوية أولها

شدت بكم العشاق لما ترنموا * فغنوا وقد طاب المقام وزمزم

وضاع شذا كم بين سلع وحاجر * فكان دليل الظاعنين اليكم

وجزتم بوادى الجزع فاخضر والتوى * على خده بالنبت صدغ منمم

ولما روى أخبار نشر ثغوركم * أراك الحمى جاء الهوى يتبسم

(ومنها) فى المديح الشريف

فياسا كنى واد العقيق بأحمد * خواتم خير قد أتت فتختموا

(وهذه) القصيدة كلها غرر فمع الله فى وجود قائلها وأنالنا شفاعة ممدوحها صلى الله عليه وسلم وكيف لا تكون غرة وهو القائل فيها

نبى غدا فى جبهة الدهر غرة * بنسبته البيضاء والشرك أدهم

وروضة حسن فى ربيع لنا بدت * ومنبتها البيت العتيق المحرم

له النسب الاعلا فيا مادح الورى * اذا كان مدح فالنسيب المقدم

ويا من غدا فى حب زينب هائما * وكان له عند الرباب ترنم

بحب ابن عبد الله أولى فانه * به يبدا الذكر الجميل ويختم

تأمل ما أحسن هذا التضمين (اليشم واليشب) حجران فضيان وكأنهما قريب بعضه من بعض ويتكونان من أبخرة مقصرة عن كيان الفضة على ما تقدم القول فيما سلف معدنه الذى يتكون فيه كاشغر ومنه يجلب الى البلاد وكاشغر بين الصين وغزنة مسيرة نيف وعشرين يوما من غزنة الى جهة الشمال لسانهم تركى (جيده ورديئه) اليشم نوعان أحدهما أبيض والآخر أصفر كلون العاج العتيق ويقال ان هذا هو الخالص (خواصه ومنافعه) من خواصه ...

نفسه اذا لفت عليه شعرة من شعر الانسان ثم وضع فى النار لم يحترق الشعر وكثير من المحرفين فى بلاد العجم يحملونه ويفعلون به ذلك ويدعون أنه من شعر النبى صلى الله عليه وسلم فيوهمون العوام بذلك وبهذه الخاصية يختبر الخالص من هذا الحجر من سواه ومن خواصه ومنافعه أن الصاعقة لاتقع عليه وعلى من حمله ألبتة وقد أخبرنى ثقات من العجم أنهم شاهدوا ذلك ببلاد العجم حيث تقع الصواعق كثيرا فبنوا فى القلعة منارة وعلوا فيها هذا الحجر فترى الصواعق نازلة من السماء تحيد عن موضع الحجر الى سائر الجهات البعيدة عنه ويقال ان من تختم به قطع عنه كثرة الاحتلام ومن خواصه ماذكره جالينوس فى الادوية المفردة انه ينفع من وجع المعدة بالتعليق عليها من خارج (البلور) معدنه الذى يتكون فيه ما يوجد بتربة العرب بالحجاز الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وهو أجوده ومنه ما يؤتى به من الصين وهو دون العربى ومنه ما يكون ببلاد أفرنجة وهو جيد أيضا ومنه معادن بناحية أرمينية يميل الى الصفرة الزجاجية كأنه مطبوخ بالنار وقد ظهر منه بهذا التاريخ معدن بالمغرب الاقصى بقربة من مراكش حاضرة الغرب نقى اللون الا أن فيه تشميرا وهو كثير عندهم حتى فرش منه ملك المغرب مجلسا كبيرا أرضا وحيطانا (جيده ورديئه) أجوده أنقاه وأصفاه وأشفه وأبيضه وأسلمه من التشمير فان كان مع ذلك كبير الجرم مائية كان أو غير آنية كان الغاية فى نوعه قال التيفاشى أخبرت أن تاجرا من تجار الافرنجة أهدى الى ملك من ملوك المغرب قبة من البلور قطعتين يجلس فيها أربعة نفر ورأيت منه صورة ديك مخروطا اذا صب فيه الشراب ظهر لونه فى أظفار الديك ورؤس أجنحته صنعة بلاد الافرنجة ويصنع منه كل عجيب من الاوانى وقال الكندى ان فى البلور قطعا يخرج فى القطعة منها من المعدن أكثر من مائة من قال التيفاشى وأخبرنى غير واحد من أهل غزنة بنقل متفق على صحته أن بالقرب منها بينها وبين كاشغر بمسيرة ثلاثة عشر يوما واديا بين جبلى ذلك الوادى طريق موصل الى كاشغر والجبلان اللذان على الوادى من جهته بلور خالص يقطع فى الليل لان أشعته اذا طلعت عليه الشمس تمنع العمل فيه بالنهار ويصنع منه خوابى للماء فى كاشغر وغزنة وأخبرنى من كان متصلا بشهاب الدين الغورى ملك غزنة أنه رأى فى قصره أربعة خوابى للماء كل خابية تحمل

ثلاث روايا ماء من روايا الجمال جميعها على محامل يصعد منها الهواء من بلور كل واحد من محمل ثلاث قناطير الى أربعة (خواصه فى نفسه) انه يذوب كما يذوب الزجاج ويقبل الصبغ ومنها أنه يستقبل به الشمس ثم ينظر الى موضع الشعاع الذى قد خرج من الحجر فيستقبل به خرقة سوداء فتحترق وتوجد فيها النار (خاصيته) فى منفعته من علق عليه لم ير منام سوء تم ذلك (ذكر القاضى شهاب الدين) بن فضل الله العمرى فى تاريخه الذى سماه مسالك الابصار أن شخصا من بعض التجار فى أصناف الجوهر يجهز كل سنة مماليكه وجماعة الى المغاص ليغوصوا على اللؤلؤ فى الوقت المعتاد وهو فى شهرين فى السنة فاتفق أنه أخذ جميع ما يملكه فى ذلك ولم يحصل على طائل ولم يطلع له شئ وافتقر ولم يبق له ما يجهز به الى المغاص فطلب من امرأته معضدة كانت فى عضدها ذهبا فقالت له يا هذا تعمل لك بهذه المعضدة حرفة غير ما أنت فيه من اللؤلؤ فقال ما أرجع عن صنفى ومتجرى وتجهز هو بنفسه فى جماعة الى المغاص فغاصوا له فى الوقت المعتاد الى اليوم التاسع والخمسين ولم يطلع له شئ الى آخر النهار طلعت درة ما لها قيمة فأحضروها اليه وقالوا له هذه غصنى على اسم ابليس وقدر الله عليك جميع ما أنفقته فاستدعى بحجرين ووضعها بينهما الى ان عدمها وكسرها ثم رمى بها فى البحر فلامه الحاضرون رفقاءه التجار على ما فعل وقالوا قطعة مثل هذه تقع لك وما عندك مثلها تعدمها فقال هذه القطعة ما أنتفع بها ولا أجد لها بركة ويجئ كل من يأتى بعدى يقتدى بفعلى و يغوصون له على اسم ابليس و يبقى على اثم ذلك الى يوم القيامة اذهبوا وغوصوا على اسم الله عز وجل فأصبحوا تمام الستين يوما غاصوا له على اسم الله فطلعت لهم الدرة اليتيمة فوجه بها الى الخليفة ببغداد وهو اذ ذاك المقتدر فابتاعها عليه بثلاثمائة ألف درهم وحسن حاله ببركة اسم الله عز وجل انتهى ذلك والله أعلم

(الباب الاربعون فى خواص السلاح والكنائن)

سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معدى كرب عن السلاح فقال ما تقول فى الرمح قال أخوك وربما خانك فانقصف قال فما تقول فى الترس قال هو المجن وعليه تدور الدوائر قال فالنبل قال منايا تخطئ وتصيب قال

فما تقول فى الدرع قال مقشلة للراجل مشغلة للفارس وانها لحصن حصين قال فما تقول فى السيف قال هنالك لا أم لك يا أمير المؤمنين فعلاه عمر بالدرة وقال له تقول لا أم لك قال الحمى أصرعتنى (القاضى) الفاضل من قصيدة

تمدالى الاعداء منا معاصما * فترجع من ماء الكلى بأساور

(وله)

ولرب هاتفة دعتهم للوغى * جعلوا صليل المرهفات صداها
هى فى بحار يديه أمواج ترى * نفوس من قتلته من غرقاها

(العنوى)

كأن على افرنده موج لجة * تعاصر فى حافاته وتجول
كأن عيون الذر كسرن حوله * عيون جراد بينهن دخول
حسام غداة الروح حتى كأنه * من الله فى قبض النفوس رسول

(أبو) العلاء المعرى

ودبت فوقه حمر المنايا * ولكن بعدما مسخت نمالا
غراراه لسانا مشرفى * يقول غرائب الموت ارتجالا
يذيب الرعب منه كل عضب * فلولا الغمد يمسكه لسالا

(النامى)

ذى مدمع من غير ما مستعبر * وتبسم من ثغره متوالى
وبريك فى لألائه متواقدا * حنق المنون به على الآجال

(وقال) أعلم الرؤساء ابن الصيرفى أبو القاسم على بن منجب من نثره على طريق اللغز يبالغ فى شكره اذا أفسد وبرح ويقبل فى تزكيته شهادة المجرح

(ابن قلاقس)

أسرته وشهرتها لجموعهم * مذ أحرمت فى راحتيك حرام
وكلاهما جفن منعت غراره * لكن ذا عضب وذاك منام

(ابن سناء الملك)

له منصل لا ينقضى فرض حجه * فبالضرب لبى وهو بالسل محرما
تنسك الاسلام لما رأيته * يحل له فى الشرع أن يشرب الدما
فكم سل للماسل من بطن غمده * لسان دم من ضربة خلفت فما

(وقال) وجيه الدين بن الدروى

فتقت بأجساد الاسود لواحظا * رنت للمنايا عن عيون الثعالب
وأنطقت أفواها على فم العدى * بألسنة البيض الرقاق المضارب
بحيث الوغى روض تغنى ذبابه * وسال على نور الطلى كالمذانب
وقد نشقت ورد الكلوم صعاده * وما شربت الادماء الترائب

(وله)

سكران من شربه خمر الدماء فان * حياه نور الطلى غنى لها هزجا

(ذو الوزارتين) لسان الدين بن الخطيب الاندلسى

وخليج هند راق حسن صفائه * حتى يكاد يعوم فيه الصيقل
غرقت بصفحته النمال وأوشكت * تبغى النجاة فأوثقتها الارجل
فالصرح منه ممرّد والصفح منـ * ـه مورّد والشط منه مهدل

(وقال) مجير الدين بن تميم

لما اقتنيت من الصوارم أعوجا * يجرى القضاء بنهره المتموج
جبت القفار وما حملت اداوة * للماء من ثقتى بنهر الاعوج

(ابن نباتة)

وصارم كعباب الموج ملتطم * يكاد يغرق رائيه ويحترق
لما غدا جدولا تسقى المنون به * أضحى يشف على حافاته العلق

(الشريف البياضى)

وانا اذا الارواح ذابت مخافة * فتحنا بأشطان الرماح ركاياها
متى ما أردنا أن يذاق حديدنا * خلعنا بحد المشرفية أفواها

(ومن كلام تقى الدين بن حجة) فى معنى سكون الحرب

واعتقل الرمح بسجن السلم بعد أن كان على رأسه لواء الحرب معقود
وهجعت مقل السيوف فى أجفانها لما علمت أن الزيادة فى الحد نقص فى المحدود

(وللشيخ برهان الدين القيراطى)

قوم مناديلهم بيض فكم مسحت * رقاب أعدائهم تلك المناديل

(ألغزى وأجاد)

وقد سلب الطعن الاسنة لونها * فعصفر فى اللبات ما كان أزرقا

وأسيافنا في السابغات كأنها * جداول تجري بين زهر تفتقا

(ابن خفاجة)

موسد تحت ظل السيف تحسبه * مستلقيا فوق شاطئ جدول ثملا

(الرمح) ذكر القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه العجائب والطرف أنه كان في خزانة السلاح أيام السفاح خمسون ألف درع وخمسون ألف سيف وثلاثون ألف جوشن ومائة ألف رمح (ومنه) قال الفضل بن الربيع لما ولي محمد الامير الخلافة في سنة ثلاث وتسعين ومائة أمرني أن أحصي ما في الخزائن من الكسوة والفرش والآنية والآلة ذكرت الفرش والكسوة في بابهما من هذا الكتاب وأما الآلة فعشرة آلاف سيف محلاة بالذهب وخمسون ألفا للشاكرية والغلمان ومائة وخمسون ألف رمح ومائة ألف قوس وألف درع خاصة محلاة وألف درع عامة وعشرون ألف بيضة وعشرون ألف جوشن ومائة ألف وخمسون ألف ترس وأربعة آلاف سرج محلاة خاصة وثلاثون ألف سرج عامة (القاضي الفاضل)

يقتل حيات الحقود من العدا * بحيات سمر بالاسنة نهشا
وينصبها أن يرتقوا الصحب سلما * ويرسلها ان ينزلوا القلب كارشا

(وله)

أمنصل الرمح الطويل بكوكب * من ذا يطاعن والسماك سنان

(ابن سناء الملك)

ملوك يحوزون الممالك عنوة * بسمر العوالي أو ببيض القواضب
رماح بأيديهم طوال كأنما * أرادوا بها تثقيب در الكواكب

(ابن قلانس)

وقد كحلت بأميال العوالي * اساة الحرب أحداق الدروع
وشب البأس نيران المواضي * وأسبل غيث أمواه الدموع
فللفرسان من محل و وحل * حديث عن مصيف أو ربيع

(وله)

ومصرف الرمح الطويل سنانه * فتخاله قلما هناك محرفا
حيث العجاجة فوق لامعة الظبى * تثني على الاصباح ايلاما دفا

فتريك طرف الجوّ منها أكحلا * ومن الطوال السمهرية أوطفا

(ابن النبيه)

والنبل فى خال العجاج كأنه * وابل تتابع فى خلال سحائب
لعبت أسنته على أعلامها * فكأنها شهب ذوات ذوائب

(الذروى)

ووراءها تيك الخيام أهلة * هاماتها نبت الوشيج الاعوج
ارتحت حولهم لزرق أسنة * حتى كأنك فى رياض بنفسج

(ابن المنشد) ملغزا فيه

أى شئ يكون مالاوذخرا * راق حسنا عند اللقاء ومخبر
أسمر القدّ أزرق السن وصفا * انما قلبه بلاشك أحمر

(الفاضل)

فياعجبا للملك قرّ قراره * بمختلفات من قتال الشواجر
طواعن أسرار القلوب نواظر * كأنك قد نصلتها بنواظر

(لسان الدين) محمد بن الخطيب

وبكل أزرق ان شكت ألحاظه * من العيون فبالعجاجة مكحل
متأود أعطافه من نشوة * مما يعل من الدماء و ينهل
عجبا له ان النجيع بطرفه * رمد ولايخفى عليه مقتل

(السيد الفاضل) شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على بن الآمدى

غصون بها طير النفوس تنافرت * وعهدى أن الغصن للطير مألف
ولاورق الامن السمر حولها * ولازهر الا من النصر يقطف

(وقال) فخر القضاة نصر الله بن بصاقة كتب للناصر دواد بن عيسى ووزرله وجلس معه فى صدر الايوان (ومن نظمه ملغزا)

وهى تقبل ان أطيل عنانه * مطيع خفيف الكل حين يقصر
ترى منه أمّيا الى الخط ينتمى * ومغزى يغزو الروم وهو مزنر
عجبت له من صامت وهو أجوف * ومن مستطيل الشكل وهو مدوّر
ومن طاعن فى السن ليس بمنحنى * ومن أرعن ماعاش وهو موقر

(ابن نباتة السعدى)

وولوا علينا يقدمون رماحنا * وتقدمها أعناقهم والمناكب
خلقن بأطراف القنا لظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب

(ذكر الثعالبي) في لطائف المعارف أن أول من عمل له سنان من حديد ذو يزن الحميري واليه نسبت الرماح اليزنية وانما كانت أسنة العرب من صياصي البقر (قلت) قد كان رسم لجماعة من الفضلاء بالمملكة الشامية أن ينظموا أبياتا تكتب على أسنة الرماح وأن تكون البيوت أربعة وذلك برسم المقر العالي الطنبغا الجوباني كافل الشام المحروس رحمه الله تعالى فنظم سيدنا المقر المرحوم الشهير بابن الشهيد فتح الدين رحمه الله تعالى

اذا الغبار علا في الجو عثيره * فأظلم الجو ما للشمس انوار
هذا سناني نجم يستضاء به * كأنه علم في رأسه نار
والسيف ان نام ملء الجفن في غلق * فانني بارز للحرب خطار
ان الرماح لاغصان وليس لها * سوى النجوم على العيدان أزهار

(وأنشدني) القاضي المرحوم أمين الدين محمد الانصاري لنفسه وهو اذ ذاك كاتب السر بحمص المحروسة

عروس سناني حين يجلى على العدا * وتظهر تبدى ما لهم من بواطن
وقد صيغ من هم فبين صدورهم * مجال له رحب فسيح المواطن
سيلقون يوم الجمع غب الموتهم * بطعني ويوم الجمع يوم التغابن
وان شهدوا بالجور في وعدلوا * فاني قد بينت فيهم مطاعني

(ونظم) سيدنا القاضي صدر الدين علي بن الحنفي الآدمي رحمه الله وأنشدنيها من لفظه وهي من مبادئ نظمه

النصر مقرون بضرب أسنة * لمعانها كوميض برق يشرق
سبكت لتسبك كل خصم مارد * وتطرقت لمعاند يتطرق
زرق تفوق البيض في الهيجاء اذ * يحمر من دمه العدو الازرق
ينسخن يوم الحرب كل كتيبة * تحت الغبار فنصرهن محقق

(ونظم) الشيخ شمس الدين محمد بن بركة الرئيس وأنشدنيها من لفظه لنفسه رحمه الله تعالى

أنا أسمر والراية البيضاء لي * لا للسيوف وسل من الشجعان

لم يحل لى عيش العداة لاننى * نوديت يوم الجمع بالمران
واذا تغافت الكماة بجحفل * كلتهم فيه بكل لسان
فتخالهم غما تساق الى الردى * قهر المعظم سطوة الجوبان

(لوقال) كانت كلامنهم بلسان * لكان أحسن (الشئ) يذكر بلوازمه نقلت من مجموعة بخط بعض الافاضل أن بعض الامراء بالاندلس وأظنه المنصور بن عامر رحمه الله كان اذا قصد غزوة عقد لواءه بجامع قرطبة و يجعل مسيره الى الغزوة من الجامع فاتفق أنه فى بعض حركاته للغزوات توجه الى الجامع لعقد اللواء واجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة فرفع حامل اللواء اللواء فصادف ثريا من قناديل الجامع فانكسرت على اللواء وتبدد عليها الزيت فتطير الحاضرون من ذلك وتغير وجه المنصور فقام رجل وقال أبشر يا أمير المؤمنين بغزوة هينة وغنيمة سارة قد بلغت أعلامك الثريا وسقاها الله من شجرة مباركة فاستحسن ذلك المنصور واستبشر وكانت تلك الوجهة من أبرك غزواته (وما أظرف) وألطف قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل متغزلا

كم قال معاطفى حكتها الاسل * والبيض سرقن ما حوته المقل
فالآن أوامرى عليهم حكمت * البيض تحد والقنا تعتقل

(ابن تميم)

لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغى * فى موقف ما الموت عنه بمعزل
لترى أنابيب القناة على يدى * تجرى دما من تحت ظل القسطل

(ابن شرف القيروانى)

وقد وخطت ارماحهم مفرق الدجى * فبات بأطراف الاسنة شائبا

(القوس) حدث العتبى عن بعض أشياخه قال كنت عند المهاجرين عبد الله والى اليمامة فأتى بأعرابى كان معروفا بالشرف فقال له أخبرنى عن بعض عجائبك قال عجائبى كثيرة ومن أعجبها أنه كان لى بعير لا يسبق وكان لى خيل لا تلحق فكنت أخرج محاربا فخرجت فاحترشت ضبا فعلقته على قربتى ثم لا أرجع خائبا فمررت بخباء ليس فيه الا عجوز وليس معها غيرها فقلت يجب ان تكون لها رائحة من غنم وابل فلما أمسيت اذا أنا بابل مائة فيها شيخ عظيم البطن شثن الكفين ومعه عبد أسود فلما رآنى رحب بى ثم قام الى ناقة فحلبها

وناولني العلبة فشربت ما شرب الرجل فتناول الباقي فضرب به جبهته
ثم حلب تسع أنيق فشرب ألبانهن ثم نحر حوارا فطبخه ثم ألقى عظامه بيضاء
ثم جثى على كومة من بطحاء وتوسدها ثم غط غطيط البكر فقلت والله هذه
الغنيمة الباردة ثم قمت الى فحل ابله فخطمته ثم قرنته ببعيري وصحت به
فأتبعني واتبعته الابل أرباً كأنها في قطار فصارت خلفي كأنها حبل ممدود
فمضيت أبادر ثنية بيني وبينها مسيرة ليلة للمسرع فلم أزل أضرب بعيري مرة
بيدي ومرة برجلي حتى طلع الفجر فأبصرت الثنية فاذا عليها شيء أسود فلما دنوت
اذا الشيخ قاعد وقوسه في حجره فقال أضيفنا قلت نعم قال أتسخو بنفسك
عن هذه الابل قلت لا فأخرج سهما كأنما نصله لسان كلب ثم قال أبصره
بين اذني الظبي المعلق مني القيتة فرماه فصدع عظمه عن دماغه ثم قال ما تقول
قلت أنا على رأيي الاول ثم قال أبصر هذا السهم الثاني في فقارة ظهره الوسطى
ثم رمى فكأنما غرسها فيه ثم قال ما رأيك قلت أحب أن أستثبت قال انظر
هذا السهم الثالث في علوة ذنبه والرابع والله في بطنك ثم رماه فلم يخطئ
العكوة قلت آنزل آمنا قال نعم ثم دفعت اليه خطام فحله وقلت هذه ابلك
لم يذهب منها وبرة وأنا انتظر متى ترميني بسهم تقصد به قلبي فلما تباعدت قال
أقبل فأقبلت والله فرقا من شره لا طمعا في خيره فقال أحسبك ما جئت الليلة
الا من حاجة قلت أجل والله قال فاقرن من هذه الابل بعيرين وامض لطيتك
فقلت لن والله حتى أخبرك عن نفسك فلا والله ما رأيت أعرابيا قط أشد ضرسا
ولا أعدى رجلا ولا أرمى يدا ولا أكرم عفوا ولا أسخى نفسا منك قال
فاستحيي وترك الابل جميعها (قلت) ذكر هذه الحكاية الشيخ جمال الدين بن نباتة
في سرح العيون بخلاف هذه الالفاظ وان الشيخ المذكور زيد الخيل واسمه
مهلهل * عزم الملك المعظم على الصيد فقال له بعض الجماعة يا مولانا القمر في
العقرب والسفر فيه مذموم والمصلحة الصبر الى ان ينزل القمر القوس فعزم على
الصبر فبيناهو مفكر اذ دخل مملوك كان له من أحسن الناس وجها يقال له
ايدغدي فوقف قدامه وقد توشح بقوس فقال بعض الحاضرين يا مولانا
اركب الساعة فهذا القمر في القوس حقيقة فقام لوقته وركب استبشارا
فلم ير أطيب من تلك السفرة ولا أكثر من صيدها (الشهاب الاعزازي) ملغزا

فيها وفي النشاب

ماعجوز كبيرة بلغت عمرا * وتفيها الرجال
قد علا جسمها اصفرار ولم تشك سقاما ولا عراها هزال
ولها في البنين سهم وقسم * وبنوها كبار قدر نبال
وأراها لم يشتهوها في الام * اعوجاج وفي البنين اعتدال

(الحلي) ملغزا

وما اسم تراه في البروج واغما * يحل به المريخ دون الكواكب
اذا قدر الباري عليه مصيبة * عدته وحلت في صدور الكتائب

(بدر الدين) بن الصاحب ملغزا

لله مملوك اذا * ماقام في الشغل اعترض
لكنه في لحظه * محصل لك الغرض

(أيدمر يرثي سهما انكسر)

ياسهم هاج رداك لي بلبالا * وأطار نومي والهموم أطالا
مذ بنت ماراع الحمام حمامه * يوما ولا علق المنون غزالا
ولطال ماشوشت من سرب المها * القاومن سطر الكراكي دالا
قد كنت أعجب للقسي سقيمة * صفراتئن كأنهن ثكالا
فاذا بها علما بيومك في الردى * كانت عليك تكابد الاهوالا
عجبا من الآجال كيف تقسمت * فيه وكان يقسم الآجالا

(وقال) الامام كمال الدين اسمعيل بن جمال الدين عبد الرزاق الاصفهاني رحمه الله ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكناله في الارض وآتيناه من كل شئ سببا فأتبع سببا حكيم جبل على السداد يهدي الى سبل الرشاد آثار بأسه مشهورة على ذرى الاعواد بطشه شديد ومرماه بعيد أيد في مغزاه بالتعقيب يأخذ في التشريق بعد التغريب فشدد بكل شديد الاغارة أسره وسدالى كل مشبوح الذراعين نصره فأنفذ رسله تترى شفعا ووترا فطير برده الى الاطراف بنوع من الاستعطاف وأثبت ما في ضميره في القرطاس اظهارا للباس وانذارا للناس وأغرق قوس عزائمه في الركض وحوم على جنبه القرار في الارض فأعين بقوة جمع بها بين اليدين

ثم قبض في البين عند ملتقى الحدين وكان من دعائه في انحنائه رب اشرح لي صدري واشدد أزري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وأخي أفصح مني لسانا فأرسله معي واشركه في أمري نعم ويسألونك عن الأهله صفرا من غير علة حنانة حنت ولا تهنت حية اذا انطلقت ارجحنت مرنان لا عن مرض يشهب الى غرض هلال يطلع بحلول الاجل المضروب استهلاله دليل الوقائع والحروب مجرة تنقض منها نجوم الرجوم برج ذو جسدين يطلع بالطائر الميشوم ثابت يقارن السيارات واقع ينهض من وكره الطيارات ذات الحبك لا تراجع كواكبها برج معوج الضلوع تغور في أسرع زمان غواربها معنى أحكمت مبانيه ورفعت بجانبيه حائطه مائل وعماده زائل لا يقوم مناده ولم ينقص وكاده نبا نبا بساكنه فترحل منه وبيت أزعج نازله فتحول عنه رباط موقوف على المارة لا تلبث فيه السيارة بيت منزحف ينفر عنه الطبع السليم ويفرعنه النبع المستقيم محل النزاع ينظر فيه عند المجادلة متحرف للقتال يولي الظهر عند المقاتلة سورة محكمة ذكر فيها القتال يتمسك به أصحاب الجدال شديد القوى ذو مرة يواتر بين رسله من غير فترة مني بذات الجنب يقلقه انبعاث مرته لا يسكن الا اذا دسع بحربته شيطان تطلع شمس النصرة من قرنيه مارد لا يسكن الا بتعريك أذنيه صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم الا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم أضلاع على الوتر تطوى أكبادها تحن الى القد من الطوى مستأسر شدت الى العقب أذقانه يضيق صدره ولا ينطلق لسانه بطل شد حيازيمه للموت ويجزع من خوف الفوت بأعلى الصوت مقدام من بني الاصفر قدم في دار الحرب وشد عليه الوثاق حتى شكا ضيق الخناق وجرى عليه سهم الاسترقاق فصار ملك اليمين باستحقاق ولا غرو أن مال الى أصحاب الشمال فهو فرع أصله ضال متكبر يأبى السجود للبشر في صلبه مثل صياصي البقر مغشي عليه جمع الى الاصفرار نحولا وحنينا فقبض وكان في النزع حينا مطية تخالف سائر الانعام قيامها باليد وقيامهن بالاقدام وكلما كانت أثبت على المقام كان راكبها أقرب الى بلوغ المرام مضمرة ينطيها الراكب اذا كانت معقوله وينزل عنها اذا أرسلت محلوله أعوجي يشتد في مراكض السباق أعجمي

يلوى الاشداق شاكية تودع شفرا لا تعود عقيلة تحن الى زوج من مودعاتكة شبق شديدة العرامه أعجب بها حدباء مديدة القامه عنقاء تزف افراخ النسور تزيد فى مرتها الدهور سلس القياد صعب الى ذى مره غير مستوى مقبوض جمع البارى عظامه فصوره وأحسن نظامه فقامت عليه القيمة ألف ونون جمعا التثنية لا برميه أهل القياس بالتخطئة بل بالف قارون نون مشددة فاذا حركته أنّ واذا تركته اطمأن حرف اذا رفع نصب للجر ولا يستعمل جزما بعدما دخله الكسر وحرف آخر معطوف عليه ومجرور بالاضافة اليه حرف أدغم فيه غيره بتسكين وجعل منه تشديد وتنوين هيئته شبه علامة اذا عطلت وتشا كل الياء اذا استعملت ذو نيرب مشاء بنميم عتل على الجفاء مقيم مغرق يتنكب على موارد الماء معرق عند دعوا النسب والانتماء وأخو دعى به لاحق عيص ألف ونبعه مطورة يمنى اذا اتصل الدعى اللاصق مقيد يحمل عليه المطلق طويل العنق من حبل عاتقه معلق خفيف الرأس يميل الى كل طياش عارى المناكب فى حبالته ذوات الرياش نحيف يرى أثر المحاجم بظهره يتمم لقصد غيره أجش يرفع صوته بين الرماه بارز يفت فى أعضاد الكماه لا مرماته ادرك الرقاه ونكب عن مراشق الرماه كان شظيته من فرع ايك تسخها النسور الطاويات العجوبة جمعت بين أضدادها تمنعا فى خضوع واباء فى خشوع وتعطفا فى قساوه وصلابة فى رخاوه اشباه أعناق الجمال طابقها زمامها أضلاع انضاء توسطها سنامها كأن قرنيه صل انسلخ من اهابه فخلع عليه بعض ثيابه مضمار جمع بين الانسى والوحشى عاطل يرفل فى اللباس موشى وثنوى يغشى النار ولا يخشى العار موتور نشر أذنيه لدرك الثار موتر أخذ فى الركوع وهو قائم خميص البطن يبتلع ذراعا وهو صائم محدوب بلغ قاب قوسين فى الارتياض متقشف ابلى طمريه فى التذلل والانخفاض منقبض جمع للانزواء أطرافه مرابط يهز عند اللقاء أعطافه متحرج يعض على ناجذ التصبر فى الشدة والرخاوه من صاحبه طرفة عين مشى على الهواء فقل فى نون التقم مرسلا فنبذه بالعراء راكع اواه يشكو وزره الذى أنقض ظهره عطوف على من مد اليه يد الاجتذاب قؤول ولو أن السيف جواب مجرم ألزم طائره فى عنقه وعرض على النار لسوء خلقه وسوف يؤخذ بالنواصى والاقدام

ويجزي بما تحمله من الاوزار والحطام ويستنطق جلوده قسرا وقهرا فينطق بما يخفيه جهرا وأنى له التناوش من مكان بعيد وقد تمكن من خوز قيته من هو أقرب اليه من حبل الوريد ناحل ألصق بطنه بظهره حتى بدت للناظرين ذات صدره وغارت كلاه في خصره لاستيلاء قوته الدافعة الهالكه على قوتيه الجاذبة والماسكه وانقطاع حبل وريده عن شريانه وتجافي جنبه عن مصرانه ثعبان اذا أنشط من عقاله أمن الناس عادية أفعاله جموح يعثر بالراكب معرقب تحمله المناكب ضرس شرس يتمطى ويتثاوب لتمدد أعضائه متجرد يستظهر ويدل بأولاده وأعقابه ظرف مظروفه يخالف الظرف هذا لا يقبل العدل وذا لا يقبل الصرف هيفاء متنها مجدول وفرعها مفتول خصرها دقيق وقدها رشيق قوية العلياء محطوطة المطاء ناشرة كادها قب الكلى يضمها صاحبها الى الصدر فتنكب عنه وتزور مزاوج مطلاق يودع صاحبه عند الاعتناق مكاف خلق في كبد طموح لا يذعن الا من عنده مديد مقبوض يقارب السريع ويفارقه عند التقطيع صحيح معلول ممدود في العرض مقصور في الطول قرناء أحصنت فرجها وأبعدت من نفسها زوجها محب ذو أناة تعود وأرادا لبنات غيورا ذا الاقي بناته الاتراب زوى حاجبه للاضراب فيمسكه على هون أم يدسه في التراب عرق من عروق الشريان اذا جسته البنان ينبض وله ضربان قوسه حين دائرة السوء يحيط بالاعداء متعصب ينشط للمنازعة بعد الاغراء دهري أتى عليه قرن بعد قرن فانحنى مطاه لا ينتصب الا وعلى اليد متكاه وينشد اذا فتح فاه

سلبت عظامي لحمها وتركتها * مجردة تخطى لديك وتحضر

خذي بيدي ثم اكشفي الثوب تنظري * ضنا جسدي لكنني أتستر

عظامي اذا انتسب عصاي اذا انتصب مكافح أولع بضرب غيره وربما رد كيده في نحره محدب يظهر الحنو ويضمر السوء من عصبته هي بالقوة بنو مياله الاعطاف تسند العود الى صدرها وتمكنه بين سحرها ونحرها وتدني من الاسماع أوتارها فيضرب بها فتغني فتفشي أسرارها قرنان يسمح بأزواجه على الاعداء ويقذف بنات صلبه بالنكراء غليظ الكبد جفوا فلاذ كبده ويشمئز من تحمل أعباء ولده فينفيه عن حرمه ثم يحن على أثره فيقول له يا هذا

أسوقا وشوقا أجمعا

حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وشعبا كما معا
فما حسن ان تأتي الامر طائعا * وتجزع ان داعي الصبابة أسمعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثني * على كبدي من خشية أن تصدعا

مشاجر مشجر النسب يطاوع من يمد اليه بسبب غدق يثمر الشوك دون الرطب منحني الظهر حمله الحطب وثيقة جامعة لاسباب اللزوم والاحكام عرية عن النواقص مطوية على النفوذ والابرام يتشبث بها عند الخطام متردد كلما قيد الاستسلام بأسبابه نكص وارتد على أعقابه أمين غير مأمون على الودائع وكلما استودعته فهو ضائع ظلوم يقبل الامانة بجهله ويؤدي ماقبل الى غير أهله نافذ الامر ليس يعادل ثاني عطفه ليجادل مكبود يعالج بالكي مطالب يدافع باللي مسدد غير سديد جمع بين المد والتشديد قاتل له في سهم الفرائض نصيب يأخذ ما يأخذ بالتعصيب معشش أفراخ العقاب صرت عليه رجل الغراب متجلد لا يتضعضع لريب الدهر ولو رمي بقاصمة الظهر يساهمني في مكابدة الشدائد ويسعد في التحنن على الاولاد والولائد

لنا كل يوم رنة خلف ذاهب * ومستهلك بين النوى والنوائب
وقاعة اخوان كأنا وراءهم * نرامق أعجاز النجوم الغوارب

منحني الظهر يتوكأ على العصا فيلقيها فاذا هي حية تسعى مجاهد يرجي دهره بين شدة وراحة وكد واستراحة ولين ووقاحة وقبض وسماحة وهو بين ولي ظاهر وعدو مجاهر جذوب يميل الى من يجذب بضبعه وينازع من خالفه بطبعه وان نحت من نبعه مقتت اذا أتاه ابن السبيل فاغرافاه أطعمه من عنده ثم ضرب قفاه وأبعده ونفاه جانبه مخضبه سليطة دربه عارية كأنها أفعى جاريه رقيق فيه شده بليد فيه حده فاتك تأبط شرا ملاعب الاسنة يقتل صبرا متلف مخلف وهاب لا يمسك سخي تجاعلك لدى اليدين بذول كأنما عناه من يقول يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما محاكم يعاضد ذا اليدين على صاحب الرقبة مسترسل لا يبالي باقتحام العقبة حاجب غمرات الحافظة كالعين تدخل الرجل القبر منذر بدء مغلولة الى عنقه للحجر كوماء معقوله هو جاء مغلوله حاجب مقرون لا يوجد مثله في القرون كالحية

الرقشاء مسهالين وخطبها غيرهين نائم العين بصره حديد كالجمل الانف ينقاد اذا قيد شاحب محقوقف سائق لايستوقف بطل شد للموت حيازيمه وشحذ للقاء العدو غرار العزيمه طائفة تنبو عن سرعة الاصحاب كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب (ومن آخر رسالة القوس) للشيخ كمال الدين الاصفهانى شيخنا زين الدين بن العجمى محاجيا فى لامة

يا سيد الحجاه * سر المحاجاة يكشف

ما مثل قول المحاجى * للنهى والامر بالكف

(ومن انشاء القاضى محيى الدين) بن عبد الظاهر ومن الجواشن حسنه القسامى والتسامت لا يرى فى حلق سمائها من تفاوت قد رفع بعضها فوق بعض درجات وبنيت أسوارا لحفظ المهجات قد زينت سماؤها بزينة الكواكب وفاق غمامها المتراكم وراق موجها المتراكب كم أحسنت دفاع البؤس عن النفوس عدة وقوع وكم حنت حين حنيت أضالعها على الضلوع كم دخلت جنة جنتها بسلام وكم بدت كأنها طلع نضيد ولا عجب فانها ذوات الاكمام (كتب) الى الجناب المجدى فيما ينقش على طير

لئن لحت طورا كالهلال شكاله * فلى من غبار النقع ياصاحبى سما

فان لحت مثل البرق فى ساعة الوغى * فعما قليل بعده تمطر الدما

(وله فيه)

ألا انظر الى شكلى واتقان صنعتى * وروح عن بديع الحسن عنى مخبرا

طلعت هلالا فى سما النقع نيرا * بتقصير أعمار البغاة مبشرا

(الباب الحادى والاربعون فى الكتب وجمعها وفضل اتخاذها ونفعها)

قال ابن الخشاب ملغزا فيها

وذى أوجه لكنه غير بائح * بسر وذو الوجهين للسر يظهر

يناجيك بالاسرار أسرار وجهه * فتسمعها مادمت بالعين تنظر

(وقال أبو زيد الدبوسى)

اذا ما خلا الناس فى دورهم * بزهر الندامى وغر الصحاب

وأكل الطعام وشرب المدام * وتم السرور بخود كعاب

خلوت وصحبي كتب العلوم * فكان الانيس لقلبي كتابي
ودرس العلوم شراب العقول * فطوفوا على بذاك الشراب
ومن كان في دهره جامعا * سوى العلم جمعه للذهاب

(أبو النصر الفارابي)

لما رأيت الزمان نكسا * وليس في الصحبة انتفاع
كل رئيس به ملال * وكل رأس به صداع
لزمت بيتي وصنت عرضا * به من العز اقتناع
أشرب مما اقتنيت راحا * لها على راحتي شعاع
لي من قواريرها ندامى * ومن قراقيرها سماع
وأجتني من حديث قوم * قد اقفرت منهم البقاع

(غيره)

وما شغفي بالكتب الا لانها * تسامرني من غير عي ولا ضجر
وأحسن من ذا أنها في صحابتي * تخفف تكليفي وتقنع بالنظر

(ابن نباتة)

لله مجموع له رونق * كرونق الحبات في عقدها
كادت مجاميع الورى عنده * تموت بالهيبة في جلدها

(قال) الجاحظ الكتاب وعاء ملئ علما وحشي ظرفا وإناء شحن مزاحا وجدا ان شئت كان أعيى من باقل وان شئت كان أبلغ من سحبان بن وائل وان شئت ضحكت من نوادره وان شئت أشجتك مواعظه والكتاب نعم الظهر والعده والكنز والعقده ونعم الذخر والعمده ونعم النزهة والنشره ونعم الشغل والحرفه ونعم الانيس ساعة الوحده ونعم المعرفة ببلاد الغربه ونعم القرين في الرحيل ونعم الوزير والنزيل والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك والصديق الذي لا يغريك والرفيق الذي لا يملك والمستميح الذي سماحته لا تستزيدك وهو يطيعك بالليل طاعته وبالنهار بطاب العطاه ويفيد في السفر كافادته في الحضر (ثم قال) فتى رأيت بستانا يحمل في ردن وروضة تقلب في حجر ينطق عن الموتى ويترجم كلام الاحيا ومن لك بواعظ مله وبزاجر مغر وبناسك فاتك وبساكت ناطق وحار بارد ومن لك بطبيب أعرابي

وبروى هندى (قال) وسمعت حسن اللؤلؤى يقول عمرت أربعين عاما ولا بت
ولا اتكأت الا والكتاب موضوع على صدرى وكان يقال انفاق الفضة على
كتب الآداب يخلف عليك ذهاب الالباب (وقرأ) أبوالحسن بن طباطبا
فى بعض الكتب الكتب حصون العقلاء اليها يلجأون وبساعتهم فيها
يتنزهون (وقال) بديع الزمان الهمدانى مارأيت جارا أبر ولا رفيقا أطوع
ولا معلما أخضع ولا صاحبا أظهر كفاية ولا أقل خيانة ولا أزهد فى مال
ولا أكف عن قتال من كتاب (وقال) الزمخشرى مارأيت قرينا أحسن موافاة
ولا أعجل مكافاة ولا أخص معرفة ولا أخف مؤنة ولا أطول عمرا ولا أجمع
أمرا ولا أطيب ثمرا ولا أقرب مجتنى من كتاب (وكتب) ابن نباتة الى بعض
الاجلاء يستعيد كتابا فى عاريته ويسأل ارسال الكتاب الذى أشرقت بمولانا
حروفه وأينعت فى الاوراق قطوفه واصبح لفظه الباسم كما قال العباس
يكون أجاجا دونكم فاذا انتهى وقد عزم المملوك على السفر حيث يجلى صدأ
الغياهب ويتسلم الغرب وديعة الشرق من درّ الكواكب ويسحب ذيل
الفجر المجرور ويتلو لسانه على الافق سورة النور والله تعالى الخليفة على مجد
مولانا الغريب وفضله الغريب وشخصه الذى لولاه فى هذا البلد لم يلف بها
غريب (وكتب) اشخص أهدى كتابا فى فضائل الاعمال يقبل الباسطة
لازالت بادية الاجمال وافية الكرم على مافى الآمال هادية مهدية مما أولته
من فضائل الاقوال وفضائل الاعمال وينهى ورود كتابيه اللذين ملآ بأكبر
يديه وبالنور قلبه وعينيه ونعماه نظرا وسمعا وأرياه القمرين فى وقت معا
فلله مكاتبته التى جنت نسماتها السحريه وغازلت عيون فضائلها السحريه
وتضوعت حتى أرخصت الغوالى بنفحاتها الشحريه تركت والحسن يأخذه
ينتقى منه وينتخب ولله كتابه الذى جمع الاعجاز والاعجاب وجالس المملوك
فكأنه المعنىّ بقول أبى الطيب وخير جليس فى الانام كتاب ماأبهج عقوده
المتسقه وماأحسن ماتدخل الخواطر عذبا من أبوابه المتفرقه وماأجمع فصوله
لحسن واحسان وماأطيب أحاديثه عن جنان الخلد اذطابت الاحاديث عن
جنان لقد أضاء حتى حسبه مشارق الانوار وتأمله فاذا عجائب الحسن من
نفسه وطرسه فى ليل ونهار وغنى فهو للطرف معنى ويلمح من فنون أفنانه

الجنة صورة ومعنى فهذه الاسطر المبدعة أشجارها وهذه الالفاظ المتنوعة أزهارها وهذه الثمرات المرتفعة اطيارها وهذه الطريق المترقرقة بين السطور أنهارها وما كان المملوك قبله يحسب ان جنة تهدى فى أوراق ولا أن حديقة تسير على البعد فتعرض على أحداق فشكر الله لمولانا هذه المنن الباهره ونفع بهداياه التى تجمع للاولياء بين خيرى الدنيا والآخره (استعار) الصنعانى كتابا سفينة من صاحب له فكتب اليه لما ردها على معيرها رأيت السفينة مشحونة علوما وصاحبها الحبر بحرا وكان من الرأي ردّي اليه سفينته فهى بالبحر أحرى (وعلى ذكر المجموع) فما أحسن قول الحكيم موفق الدين المعروف بالورن

لله أيامنا والشمل منتظم * نظم به خاطر التفريق ماشعرا
والهف نفسى على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

(ابن الوردى) فى شخص أخذ له كتابا ولم يرده

اذا لم يرد فلان الكتاب * ودافعنى عنه بالباطل
ندبت له قاضيا فاضلا * وخلصت حقى بالفاضل

(ابن نباتة) مع كتاب أهداه

أرسلته نعم الجليس * اذا تغيرت البشر
يبقى على سنن الوفا * أبدا ويقنع بالنظر

وخير جليس فى الآنام كتاب هو النديم الكريم والخدن الامين البرىء من الذنوب السالم من العيوب الذى ان أدنيته لم يباعدك وان أقصيته لم يعاودك وان واصلته جددته وان هاجرته أمنته وان استنطقته أسمعك وان استكفيته أقنعك وان استكففته كف وان استقلته خف وان دعوته لباك وان استعفيته أعفاك لا يعصى لك أمرا ولا يحملك اصرا عرضك معه وافر وهو لسرك غير ناشر أنيق المنظر طيب المخبر جميل الشاهد كثير الفوائد يملأ العيون قره والنفوس مسره يضحك الحزين اللاهف ويلهى الغضبان الاسف يجتلب السرور ويشرح الصدور يطرد الهموم والاحزان وينفى بواعث الاشجان مجاورته أحسن مجاوره ومسامرته أعلى مسامره ومجالسته أنفع مجالسه ومؤانسته أمتع مؤانسه فيه مدعاة الى الطرب ومسلاة من

الوصب وتعلة لذى الغرام وتلهية لقلب المستهام وأنس للمستوحش ورى للمتعطش وعمارة للمجالس وحلية للمؤانس تلقى القلوب محبتها عليه وتميل النفوس بكليتها اليه ليس بينه وبين حبات القلوب حجاب ولا يغلق بينه وبين سويدائها باب (كتب) شيخنا زين الدين بن العجمى على مناسك قاضى القضاة بن جماعة

ألفت يا أزكى الورى مناسكا * فقت بها من قبلكا
قد وضحت لكل سار بهجة * ولم تدع للناسكين مدركا
وقد تلت أحكامها على الورى * لكل أمة جعلنا منسكا

(الديوان) الاصل الذى يرجع اليه ويعمل بما فيه قال ابن عباس اذا سألتمونى عن شئ من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فان الشعر ديوان العرب أى أصله ويقال دون هذا أى أثبته واجعله أصلا وزعم بعضهم أن أصله أعجمى وذكره سيبويه فى كتابه وقال ان أصله دوان (الدفتر) عربى لا يعلم له اشتقاق وحكى دفتر بالكسر ويقال أيضا تفتر وأما الكراسة فمعناها الكتب المضمومة بعضها الى بعض والورق الذى الصق بعضه الى بعض مشتق من قولهم رسم مكرس اذا ألصقت الريح التراب به كما قال العجاج

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا * قال نعم وأعرفه مأسا

ابليس تحير ولم تكن له حجة وقال الخليل بن أحمد الكراسة من الكتب مأخوذة من أكراس الغنم وهى أن تبول فى الموضع شيأ بعد شئ فيتلبد (شمس الدين العفيف) كان عنده مجموع فطلبه منه بعض الرؤساء فأرسل اليه وكتب معه

يا أيها الصدر الذى وجه العلا * منه يزان بمنظر مطبوع
لا تعتقد قلبى بحبك وحده * ها قد بعثت لسيدى مجموعى

(اجتمع) لسيف الدولة بن حمدان ما لم يجتمع لغيره من الملوك كان خطيبه بن نباتة الفارقى ومعلمه ابن خالويه ومطربه الفارابى وطباخه كشاجم وخزان كتبه الخالديان والصنوبرى ومداحه المتنبى والسلامى والوأواء الدمشقى والسفاء والنامى وابن نباتة السعدى والصنوبرى وغير ذلك (قال مجير الدين بن تميم) فيما يكتب على خزانة كتب

انظر الى ترى فى صورتى عجبا * شخصا حوى العلم فى صدر من الخشب

وفيه من كل فن غير أن له * وجدا يميل به شوقا الى الادب

(وله)

يا حسنها نسخة يلهو مطالعها * وطالما قد حوت من رائق الكلم

صحت وقد لطفت في جمعها فكت * لطف النسيم وحاشاها من السقم

(ولبعضهم)

ان مجموعي البديع لحلى * قد تنقيت دره المختارا

واذا المرء عره ليس بعجيب * شغل الحلى أهله أن يعارا

(قلت) ولا بأس بايراد نبذة من التورية بأسماء الكتب فمن ذلك قول بعضهم

يا سائلي من بعدهم عن حالتي * ترك الجواب جواب هذي المسئله

حالي اذا حدثت لا المعاولا * جلا لايضاحي لها من تكمله

عبد حوى بدرا لفصيح منكدا * فاترك مفصله ودونك مجمله

القلب ليس من الصحاح فيرتجي * اصلاحه والعين سحب مثقله

(ومنه) للشيخ أبي عبد الله بن جابر المغربي نزيل دمشق المحروسة

عرائس مدحي كم أتين لغيره * فلما رأته قلن هذا من الاكفا

نوادر آدابي ذخيرة ماجد * شمائل كم فيهن من نكت تلفي

مطالعها من المشارق للعلى * قلائد قد راقت جواهرها رصفا

رسالة مدحي فيك واضحة ولي * مسالك تهذيب لتنبيه من أغفى

فيا منتهى سؤلي ومحصول غايتي * لانت أمرين حاصل الوجد مستصفى

وقد اشتملت هذه الابيات الخمسة على التورية بعشرين كتابا وهي العرائس للثعالبي والنوادر لابي على القالي وغيره والذخيرة لابن بسام وغيره والشمائل للترمذي والنكت لعبد الحق الصقلي وغيره والمطالع لابن قرقول وغيره والمشارق للقاضي عياض ولغيره والقلائد لابن خاقان وغيره ورصف المباني في حروف المعاني للاستاذ ابن عبد النور كتاب لم يصنف مثله في فنه والرسالة لابن أبي زيد ولغيره والواضحة لابن حبيب والمسالك للبكري وغيره والجواهر لابن شاش وغيره والتهذيب في اختصار المدونة وغيره والتنبيه لابي اسحق ولغيره ومنتهى السؤال لابن الحاجب والمحصول للامام والغاية

النووي ولغيره والحاصل مختصر المحصول والمستصفى للغزالي ولغيره تم ذلك
(ذو الوزارتين) لسان الدين بن الخطيب

ولما رأت عزمي حثيثا على السرى * وقد رابها صبري على موقف البين
أتت بصحاح الجوهري عيونها * فعارضت من دمعي بمختصر العين

(ولما أنشدتهما) لشيخنا العلامة أقضى القضاة بدر الدين الدماميني أسبغ الله ظلاله أنشدني ولم يسم قائله

في نصف الاستذ كارأعطيته * مختصر العين فأرضاه

(قلت) هما لابن شعيب المغربي والاول منهما

وبائع للكتب يبتاعها * بأرخص السعر وأغلاه

(مأمون) بن مأمون خوارزم سمع يقول همتي كتاب أنظر فيه وحبيب أنظر اليه وكريم أنظر اليه (نادرة) مر العلم بن الصاحب بن شكر المعروف بالاجوبة على بعض الاكابر من المصريين ومعه كتاب مجلد فقال له ياشيخ العلم أرني أنظر في كتابك هذا فقال لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب (استعار) الصدر تاج الدين أحمد بن سعيد بن الاثير الكاتب مجموعا من مجاهد الدين ابن شقير وأطال مطله فاتفق أن حضر يوما الى ديوان المكاتبات فقال ابن الاثير كيف أنت يا مجاهد الدين والله قلبي عندك وخاطري عليك فقال وأنا والله مجموعي عندك فطرب لها الحاضرون (قال الفاضل) كل كراسة لا تحزم أنفها ولا يكون الجلد دفها عرضة للضياع وما مكانها من الخزانة الا مسترق الوداع (الصفدي)

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما أحد في دهر بمخلد
اذا نظرت كتبي الجديدة جلده * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

(كتب) سيدي وأخي القاضي شهاب الدين بن حجر سامحه الله على جزأي تذكرتي التي سميتها ثمرات الاوراق

نظرت لما سطرته من مجامع * لها الفضل اذا راقت محاسنها تعزى
وقد لذ منها ما كتبت بخاطري * ولم يكف طرفي منه جزء ولا أجزا

(ابن نباتة)

رب مليح رأى كتابا * فقال ماهذا الملح عندك

فقلت فى الحال يا كتابى * غيب والا سلخت جلدك

(ووجدت) على ظهر كتاب هذا البيت

وما الكتب الا كالضيوف وحقها * بأن تتلقى بالقبول وان تقرى

(ابن الوردى) وكتبها على كتاب الشمائل للترمذى

يا أشرف مرسل كريم * ما ألطف هذه الشمائل

من يسمع لفظها تراه * كالغصن مع النسيم مائل

(الباب الثانى والاربعون فى الخيل والدواب ونفعها)

قيل أول من اتخذ الخيل وركبها اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وكان داود وسليمان عليهما السلام يحبان الخيل وورث سليمان عن أبيه ألف فرس وكان للنبى صلى الله عليه وسلم فرس يقال له السكب (نادرة) كانت مغنية عند رجل فلما أرادت الانصراف قال اسرجوا لها الاشهب فقالت لا أريده هو شئ الى خلف قال اها فولى ذنبه الى ناحية بيتكم (القول فى طبائع الفرس) وانما بدأت به لانه قريب من الاعتدال الخالص وأحسن ذوات الاربع صورة وأفضل من سائرها وأشبهها بالانسان لما يوجد فيه من الكرم وشرف النفس وعلو الهمة وتزعم العرب أنه كان وحشيا وأول من ذلل صعبه وركبه اسمعيل عليه السلام وهو جنسان عتيق وهو المسمى فرسا وهجين وهو المسمى برذونا والفرق بينهما أن عظم البرذون أحسن من عظم الفرس وعظم الفرس أصلب وأثقل من عظم البرذون والبرذون أحمل من الفرس والفرس أسرع من البرذون والعتيق بمنزلة الغزال والبرذون بمنزلة الشاة ولكل واحد منهما نفس تليق به وآلات مناسبة له وفى طبع الفرس الزهو والخيلاء والعجب والسرور بنفسه والمحبة لصاحبه ومن أخلاقه الدالة على كرمه شرف نفسه ومن شرفها أنه لا يأكل بقية عليق غيره وعلو همته كما حكى المؤرخون أن أشقر مروان كان سائسه لا يدخل عليه الا باذن يحرك له المخلاة فان حمحم دخل وان دخل ولم يحمحم شد عليه وناهيك بهذا الخلق فى علو الهمة والانثى من الخيل ذات شبق شديد واشدة شبقها تطيع الفحل من غير نوعها ويقال انه متى اشتد شبقها وقص من عرفها سكن عنها والذكر يشتد به الشبق ويزيد حتى

يؤثر أن يأتي لفرط شهوته وقصوراً لته عن الوفاء بتسكين ما يجد وربما اقتتل
الفحلان بسبب الانثى حتى تسكون لمن يغلب منهما ويقال ان الاناث تمتلئ في
أوان السفاد ريحا واذا أصابتها هذه الآفة ركض بها ركضا شديدا متتابعا
ولا يؤخذ بها الى الشرق ولا الى الغرب بل الى الشمال والجنوب حتى يخرج من
أرحامها شيء كما يخرج عند ولادتها وهي في زمان السفاد تطأطئ برؤسها
وتحرك أذنابها ويسيل من قبلها شيء يشبه المني غير أنه رقيق واذا توقدت الرمكة
فأفرطت وكان بها هزال أو ضعف من علة ولم يمكن أن تبرأ علتها لتلك أنزي عليها
بغل لانه لا يلحقها وهو يبلغ أقصى شفائها وغاية شهوتها بالذي معه من الطول
والغلظ فيسكن ذلك عنها والذكر يكون مع ثلاث أناث وأكثر واذا دنا ذكر آخر
من الانثى التي اختارها قاتله وطارده والطمث يعرض للاناث لكنه أقل من
طمث النساء والذكر ينزو اذا تمت له سنتان وكذلك الاناث والاناث تحمل
أحد عشر شهرا وتضع في الثاني عشر وهي تضع ولدا واحدا وربما وضعت في
النادر اثنين والذكر ينزو الى تمام أربعين سنة وربما عمر الى تسعين سنة
والانثى تأنف من نزو الحمار عليها فاذا أريد ذلك منها أخذت بعرفها فتذل
وتستكين وكذلك الفحل يأنف أن ينزو على أخته وعلى أمه ولقد حكى أنه
أريد أن يحمل على رمكة ولدها يريدون بذلك العتق فأنف فلما سترت بثوب
نزا عليها فلما رفع الثوب ورآها من حضر ألقى نفسه في بعض الاودية فهلك
والخيل قد ترى الاحلام وتحتلم كبني آدم وذلك لفرط الشهوة فيها ومتى ضلت
الانثى أو هلكت وكان لها فلو أرضعته الاناث وربته واذا لم يكن فيها ما يرضع
عطف عليه العواقر وتعاهدنه ولكنه يهلك اذ ليس فيها لبن وربما ضل الفلو عن
أمه فرضع من غيرها فاذا فعل ذلك ماتت أمه ويعتري الفرس داء شبيه
بالكلب وعلامته استرخاء أذنيه الى ناحية عرفه وامتناعه من العلف وليس
لهذا الداء علاج الا السكين وفي طبع الفرس أنه لا يشرب الماء الا كدرا حتى
أنه يرد الماء وهو صاف فيضرب بيده حتى يكدره ويبين مكره وربما ورد الماء
الصافي وهو عطشان فيرى فيه خيالا له ولغيره فيتحاماه ويأباه وذلك لفزعه مما
يراه ويوصف بحدة البصر حتى أن بعض المغالين فيه يقول لو أجرى فرس من شوط
بعيد في يوم ضباب واعترضت بين يديه شعرة لتوقف عندها ولم يتعهدها وفي

طبعه أنه اذا وطئ على أثر الذئب خدرت قوائمه حتى لا يكاد يتحرك ويخرج الدخان من جلده واذا وطئته الحامل منها أزلقت

(فصل) والعلامات الجامعة للنجابة فى الفرس ماذكره أيوب بن القريه وقد سأله الحجاج عن صفة الجواد من الخيل فقال القصير الثلاث الصافى الثلاث الطويل الثلاث الرحيب الثلاث فقال صفهن فقال أما الثلاث الصافية فالعينان والاديم والحوافر وأما الثلاث القصار فالعسيب والساق والظهر وأما الثلاث الطوال فالانف والعنق والذراع وأما الثلاث الرحبة فالجوف والمنخر والجبهة (ومما قيل) فيه قول عبد الجبار بن حمديس الصقلى

ومجرر فى الارض ذيل عسيبه * جعل الزبرجد منه جسم عقيق
يجرى فلمع البرق فى آثاره * من كثرة الكبوات غير مفيق
و يكاد يخرج سرعة من ظله * لو كان يرغب فى فراق رفيق

(القول فى طبائع البغل) قال أصحاب الكلام البغل حيوان مركب من الفرس والحمار ومتولد من فساد منهما ولما كان ممتزجا بينهما صار له صلابة الحمار وعظم آلات الخيل وكذا شحيجه مولد بين نهيق الحمار وصهيل الفرس وقال الجاحظ البغل يخرج بين حيوانين يلدان مثلهما ويعيش نتاجهما ويبقى عقبهما وهو لا يعيش له ولد وليس بعقيم ولا يبقى للبغلة ولد وليست بعاقر وهو أطول عمرا من أبويه وأصبر على الافعال من طرفيه كابن المذكرة من النساء والمؤنث من الرجال فانه يكون نتاجهما أخبث من البغل وأفسد اعراقا من السبع وأكثر عيوبا من الثعبان وشر الطباع ما تجاذبته الاعراق المتضادة والاخلاق المتعادية والعناصر المتباعدة ويقال ان أول من أنتجها قارون وقيل أفريدون ومن أخلاقه الالف لكل دابة ويذكر بالهداية فى كل طريق يسلكه مرة واحدة ويقول أصحاب الكلام فى الطبائع أن أبوال اناث البغال تنقية لاجسادها كما تنقى النساء بدم الطمث *مخائل النجابة فى هذا النوع *قال بعضهم اذا اشتريت بغلة فاشترها طويلة العنق تجده فى نجابتها مشرفة الهادى تجده فى طباعها مجفرة الجوف تجده فى صدرها والاحسن فى مدحها قول عبد الرحمن بن أبى ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب جوابا لصفوان بن عمرو بن الاهتم وقد أنكر عليه ركوب البغل قال تطأطأت

من خيلاء الخيل وارتفعت عن ذلة العير وخير الامور أوسطها * ويقال كم في السواج من أصحح الخدين شهير الحدين شؤمه شؤم العناق ويومه شهر لذوات الاعناق راكبه يركب أبدا وطيا وتحسبه وهو يمر مر السحاب طيا والاناث منها أجد أثرا ولذلك قيل * عليك بالبغلة دون البغل * فانها جامعة للشمل * مركب قاض وامام عدل * وعالم وسيد وكهل * تصلح للرحل وغير الرحل (وساير) عبد الحميد مروان بن محمد الجعدى على بغلة فقال له طالت صحبة هذه الدابة لك فقال يا أمير المؤمنين من بركة الدواب طول صحبتها فقال صفها فقال همها أمامها وسوطها زمامها وما ضربت قط الا ظلما (القول في طبائع الحمار الاهلى) قال المتكلمون في طبائع الحيوان ليس في الحيوان شئ ينزو في غير نوعه ويلقح ويأتي فيه شبهه الا الحمار وهو ينزو اذا مضى له ثلاثون شهرا ولا يولد له قبل أن يتم ثلاث سنين ونصف قالوا وهذا النوع صنفان صنف عاس خاس وهو يصلح لحمل الاثقال والآخر لدن دمث أحوذي بس من نفس الفرس فتراه كثير الشغب والحركة بمنزلة النار المتوقدة التي لا يهدأ اضطرابها فهذا يصلح أن يرفه للركوب في قضاء الاوطار والحاجات وأجود الحمر المصرية وأهلها يعتنون بتربيتها والقيام عليها لما يجدونه من الفراهة وسرعة الحضر والنجابة ويبالغون في أثمانها بحسب فراهيتها حتى بيع منها في بعض السنين حمار بمائة دينار وعشرة دنانير كان صاحبه يسمع أذان المغرب بالقاهرة فيركب ويسوقه فيلحقه بمصر وبينهما ثلاث أميال ومن عادة الحمار أنه اذا شم رائحة الاسد رمى بنفسه عليه من شدة خوفه له يريد بذلك الفرار منه قال حبيب ابن أوس الطائي في أبيات يخاطب بها عبد الصمد بن المعذل وقد هجاه حيث يقول

أقدمت ويلك من هجوى على خطر * كالعير يقدم من خوف على الاسد

ويوصف بالهداية لانه لا يضل عن طريق سلكه ولو مرة واحدة ولا يخطئه فان ضل راكبه هداه الى طريق وحمله على المحجة وربما غاب عن الموضع الذى كان فيه السنين العديدة فاذا مر بالزقاق الذى فيه الموضع دخله وربما سرق فتكون معرفته للموضع عونا لصاحبه على معرفة من سرقه ويوصف بحدة حاسة السمع بحيث انه ينذر راكبه بما يتوقع خوفه فيحذر منه وان بعد مثواه وهذا

الحيوان يحس بالبرد ويؤذيه أكثر من غيره ولهذا لا يوجد في بلاد موغلة في الشمال وبلاد الصقالبة ويعتريه داء الدماغ كالزكام يعرض له البرد في دماغه ويسيل من منخره بلغم كثير حار فان انحط الى الرئة مات والطريق العجيب انه اذا نهق أضر بالكلاب حتى يقال ان أهون نهيقه يحدث بالكلاب مغسا فلذلك يطول نباحه (طريقتان) رأيت أن لا أتركهما لانهما أعجوبتان احداهما أني ركبت حمارا من مصر الى القاهرة فلما كنت في أثناء الطريق حادبي عن السكة فجهدت أن أرده فلم أطق حتى انتهى الى جدار بستان فوقف وبال وعاد الى الطريق وكذا جرى لي مع حمارين آخرين والاخرى انه كان عندنا رجل بمصر يضرب حلقة على حمار قد علمه وكان يجمع له عدة مناديل من المتفرجين عليه ويلقيها على ظهره ويأمره بان يعطي كل منديل لصاحبه فيدور في الحلقة ولا يقف الا على من له في ظهره منديل فان أخذه ذهب عنه وان أخذ غيره لا يذهب ولو ضربه مائة ضربة ويأخذ الخاتم من أصبع الرجل ويسأله عن وزنه ويقول له كم وزن الخاتم فان كان وزنه درهما مشى خطوة واحدة وان كان درهما ونصفا مشى خطوة ونصفا وان كان أكثر من ذلك فبحسابه وبينما هو واقف اذ قال له شخص الوالي يسخر الحمير فما تم كلامه الا وقد ألقى بنفسه على الارض ونفخ بطنه وقطع نفسه كأنه ميت منذ زمان ثم قال له بعد ذلك ما بقيت سخرة فنهض قائما ذكر ذلك صاحب المباهج (ماقيل فيه من الاوصاف) قال أبو العيناء لبعض سماسرة الحمير اشتر لي حمارا لا بالطويل اللاحق ولا بالقصير اللاصق ان خلا الطريق تدفق وان كثر الزحام ترفق لا يصادم بي السواري ولا يدخل بي تحت البواري ان أكثرت علفه شكر وان أقللته صبر ان ركبته هام وان ركبه غيري نام فقال له ان مسخ الله بعض قضاتنا حمارا أصبت حاجتك والا فليست موجودة (وقال) شبيب بن شيبة لقيت خالد بن صفوان على حمار فقلت له يا صفوان أين أنت عن الخيل فقال تلك للطلب والهرب ولست طالبا ولا هاربا قلت فأين أنت عن البغال فقال تلك للانزال والاثقال ولست ذا نزل ولا ثقل قلت فأين أنت عن البراذين قال تلك للعدين والمسرعين ولست معدا ولا مسرعا قلت فما تصنع بحمارك قال أدب عليه دبيبا وأقرب عليه تقريبا وأزور اذا شئت عليه حبيبا ثم لقيته بعد ذلك على فرس فقلت له يا صفوان ما فعلت بالحمار

قال بئس الدابة ان أرسلته ولى وان استوقفته أدلى قليل القوة كثير الروث بطئ عن الغارة سريع الى الغرارة لاينكح به النسا ولا ترقى به الدما (ويروى) ان سليمان بن على رآه على حمار فقال له أين الخيل يا أبا صفوان فقال الخيل للجمال والبغال للاثقال والابل للاحمال والحمير للامهال (وقال) جرير بن عبد الحميد لا تركب الحمار فانه ان كان حديدا أتعب يديك وان كان بليدا أتعب رجليك ومما قيل فيه قول أحمد بن أبى طاهر

شية كأن الشمس فيها أشرقت * وأضاء فيها البدر عند تمامه
وكأنه من تحت راكبه اذا * مالاح برق لاح تحت غمامه
ظهر كجرى الماء لين ركوبه * فى حالتى اتعابه وجمامه
سفهت يداه على الثرى فتلاعبت * فى حزنه وسهوله واكامه
عن حافر كالصخر الاانه * أقوى وأصلب منه فى استحكامه
ماالخيزران اذا انثنت أعطافه * فى لين معطفه ولين عظامه
فكأنه بالريح منتقل وما * جرت الرياح كجريه ودوامه
أخذ المحاسن آمنا من عيبه * وحوى الكمال مبرأ من ذامه

(الجزار) يصفه بالبلادة والعجز

هذا حمارى فى الحمير حمار * فى كل خطوكبوة وعثار
قنطارتبن فى حشاه شعيرة * وشعيرة فى ظهره قنطار

(القول) فى طبائع الابل وهذا النوع ثلاثة أصناف عرابى ويمنى ونجيبى فاليمنى هو النجيب ويتنزل منها منزلة العتيق من الخيل والعرابى كالبرذون والنجيبى كالبغل ويقال النجب ضأن الابل وهى متولدة من فاسد منى العرابى فقط فان منى النجب منجب فكأنه حصل له نصف البغل فأما النجب فزعم من حكى عن الجاحظ قوله ان فى الابل ماهو وحشى وانه يسكن أرض وبار وهى غير مسكونة وقالوا ربما بدا الجمل فى الهياج فيحمله ما يعرض له على ان يأتى أرض عمان فيضرب فى أدنى ماهجمه من الابل فالمهرية من ذلك النتاج وتسمى الابل الوحشية الحوس ويقولون انها بقايا ابل عاد وثمود ومن أهلكه الله تعالى من العرب العاربة والمهرية منسوبة الى مهرة قبيلة باليمن وهى لا يعدلها شئ فى سرعة عدوها يعلفونها بسمك يصاد فى بحر عمان يصاد ويقدد واما

النجب فمنها ما يرهون مثل البراذين ومنها ما يحمز جمزا ويرقل ارقالا والجمز في الابل كالخبب في الخيل (وحكى) أبو هلال العسكري في كتاب الاوائل ان أول من ريضت له الابل على الحمر أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور لما حجت (وقال) الجاحظ اذا ضربت الفوالج في العرب جاءت بالجوامز والنجب الكريمة وفي البخت ماله سنامان في ظهره كالسرج ولبعضها سنامان في عرض ظهرها احدهما في ذات اليمين والآخر في ذات الشمال وتسمى الخراسانية وقد يشق عن سنام البعير ويكشط جلده ثم يجتث من أصله ويعاد على موضعه الجلد فيلتحم عليه ويؤخذ السنام فيؤكل كما يفعل بعض الناس ذلك بالكباش اذا عظمت الياها وعجزت عن النهوض فيقطعونها ويقول أصحاب السير الطبائع الحيوان انه ليس لشئ من الفحول مثل ما للجمل عند الهياج من الارباد وسوء الخلق وهجران المرعى وترك الماء حتى ينضم ابطاه ويتغير رأسه ويكون كذلك الايام الكثيرة وهو في هذا الوقت لايدع انسانا ولا جملا لايدنو منه ولو حمل على ظهره حينئذ مع امتناعه شهرا من الطعم ثلاثة أضعاف حمله لحمله وهو لا ينزو الامرة واحدة يقيم فيها النهار أجمع ينزل فيها امرارا كثيرة يجيء منها ولد واحد ويخلو في البراري حالة النزو ولا يدنو منه غير راعيه الملازم وذكره صلب جدا لانه من عصب والانثى تحمل أثنى عشر شهرا وتلقح اذا مضى عليها ثلاث سنين وكذلك الذكر ينزو في هذه المدة ولا ينزو عليها الا بعد أن تضع بسنة وفيه من كرم الطباع انه لاينزو على امهاته ولا اخوته ومتى حمل على أن يفعل حقد على من ألزمه ذلك الى ان يقتله (وحكى) ان جملا احتيل عليه بتغيير صورة امه حتى نزا عليها ثم عرفها عند فراغه فألقى نفسه من شاهق حتى مات وليس في الحيوان من يحقد حقده وانه يترصد من حقد عليه الفرصة والخلوة لينتقم منه فاذا أصاب ذلك لم يبق عليه وفي طبعه الاهتداء الى الطريق التي اعتاد سلوكها لا يضل فيها ليلا ولا نهارا والعرب تضرب به المثل في ذلك فيقولون أهدى من جمل والغيرة والصولة والصبر على الحمل الثقيل وعن الماء الزمن الطويل الخمسة أيام والستة والعشرة اذا كان الزمان ربيعا والعرب تسمى الايام التي ترد فيها الابل الخمس والسدس والسبع والثمن والتسع والعشر وكلها بالكسر ويقال ان البعير اذا صعب وخافته رعاته استعانوا عليه فتركوه وعقلوه حتى يلومه فحل آخر فاذا فعل

به ذلك ذل" والابل تميل الى شرب الماء الكدر الغليظ وهو الماء النمير فهي أبدا اذا وردت مياه الانهار حركتها بأرجلها حتى تتكدر وهي عشاق الشمس فلهذا ترى أبدا تصوب اليها في أي جهة كانت من المشرق أو المغرب (ومن) عجيب ماذهبت اليه العرب في الابل اذا كثرت فبلغت الالف فقئوا عين الفحل فان زادت على الالف فقئوا عينه الاخرى ويزعمون أن ذلك يطرد العين عنها (ومما) قيل فيها قول بعضهم لم تخلق نعم خير من الابل ان حملت أثقلت وان سارت أبعدت وان حلبت أروت وان نحرت أشبعت (الشيخ) عز الدين الموصلي في حادي

حادلنا كالشادن الربيب * لحظته بالمنظر المريب
فقال في السكرة عند نومه * يارب سلمها من الديب

(وعلى ذكر) الحادي قال الشيخ شمس الدين بن الصائغ أحسن ما سمعته من الحداة يحدون به جمالهم في طريق الحجاز قولهم

ياخودان طال المدى تنسيني * ينسى الذي ينساك نوم العين

(وآخر قول)

كم ليلة سهرتها لم أرقد * الارقادا كرقاد الارمد

(القاضي) الفاضل في وصف الخيل

جنائب في بحر العجاج سفائن * فان حركت للركض فهي جنائبه
وقد خفقت راياته فكأنها * أنامل في عمر العدو تحاسبه

(وله) من قصيدة

لها غرر يستضحك النصر وجهها * فتفهم منها العين معنى البشائر

(وقال) النبي صلى الله عليه وسلم بطونها كنز وظهورها حرز وأصحابها معونون عليها (صفة جياد الخيل) سأل معوية من صعصعة بن صوحان أي الخيل أفضل فقال الطويل الثلاث القصير الثلاث العريض الثلاث الصافي الثلاث فقال فسرلنا قال أما الطويل الثلاث فالاذن والعنق والحزام وأما القصير الثلاث فالصلب والعسيب والقضيب وأما العريض الثلاث فالجبهة والمنخر والورك وأما الصافي الثلاث فالاديم والعين والحافر (كان محمد) بن السائب الكلبي يحدث ان الصافنات الجياد المعروضة على سليمان بن داود كانت ألف فرس ورثها

عن أبيه فلما عرضت عليه ألهته عن صلاة العصر حتى توارت الشمس بالحجاب فعرقبها الا فرسا لم تعرض عليه فوفد عليه قوم من الازد وكانوا أصهاره فلما فرغوا من حوائجهم قالوا يانبي الله ان أرضنا شاسعة فزودنا زادا يبلغنا فأعطاهم فرسا من تلك الخيل وقال اذا نزلتم منزلا فاحملوا عليه غلاما واحتطبوا فانكم لا ترون ناركم حتى يأتيكم بطعام فساروا بالفرس فكانوا لا ينزلون منزلا الا ركبه أحدهم للقنص ولا يفلت شئ تقع عينه عليه من ظبي أو بقرة أو حمارة الى أن قدموا بلادهم فقالوا ما لفرسنا هذا اسم الا زاد الراكب فسموه زاد الراكب فأصل فحول العرب من نتاجه (وطلب البحترى الشاعر) من سعيد بن حميد الكاتب فرسا فوصف له انواعا من الخيل فى شعره (فقال)

لأكلفن العيس أبعد همة * يجرى اليها خائف أو مرتجى
والى سراة بنى حميد انهم * أمسوا كواكب أشرقت فى مدلج
والبيت لولا أن فيه فضيلة * تعلو البيوت بفضله لم يحجج
فأعن على غزو العدو بمنطو * أحشاؤه طى الرشا المتدرج
اما باشقر ساطع أغشى الوغى * منه بمثل الكوكب المتأجج
متسربل شية طلت أعطافه * بدم فما تلقاه غير مضرج
أو أدهم صافى الاديم كأنه * تحت الكمى مظهر بالبرج
صرم يهيج السوط من شؤبوبه * هيج الجنائب من حريق العرفج
خفقت مواطئ وقعه فكأنه * يجرى برهلة عالج لم يرهج
أو اشهب يقق يضئ وراءه * متن كمتن اللجة المترجرج
يخفى الحجول ولو بلعن لبانه * فى أبيض متألق كالدملج
أو فى بعرف أسود متعرف * فيما يليه وحافر فيروزجى
أو أبلق يملا العيون اذا بدا * من كل لون معجب بنموذج
جذلان تحسده الجياد اذا مشى * عنقا بأحسن حلة لم تنسج
وعريض أعلا المتن لو علته * بالزيبق المنهال لم يتدحرج
خاضت قوائمه الفويم بناؤها * أمواج يخنيب بهن مدرج
ولانت أبعد فى السماحة همة * من ان يضن بملجم أو مسرج

(نادرة) ذكرها أبو حيان التوحيدى فى الامتناع والمؤانسة قال الاصمعى مر

اعرابي على قوم وهم على ماء لهم فقال من رأى جملا أحمر بعنقه علاط وفي أنفه خزامة يتبعه بكرتان سمراوان عهد العاهد به عند البئر فجعل القوم يقولون حفظ الله علينا وجمع عليك لا والله ما أحسسنا وجويرية على حوض لها تغدر وهي تقول لا جمع الله عليك يا فاسق فقالوا ما تريدين من الرجل قالت انما ينشد سوقتيه قال فتبعته فقلت له يا هذا ما تنشد قال ايري وخصيتي (نادرة) اشترى رجل من رجل برذونا فقال له المشتري سألتك بالله هل فيه عيب قال لا الا أن فيه قليل مشش كأنه سفرجله وقليل جرد كأنه قثايه وقليل دبر كأنه بطيخه فقال له المشتري يا ابن الفاعلة جئنا نشتري منك برذونا أو بستانا (قال) المدائني كان ابن أبي هبيرة يساير سنان بن مكمل النميري فتقدمت بغلة النميري ابن هبيرة فقال غض من بغلتك فالتفت اليه النميري وقال أصلح الله الامير انها مكتوبة وانما أراد ابن هبيرة قول الشاعر

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأراد النميري قول سالم بن دارة من بني فزارة

لا تأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصك واكتبها باسيار

(وكتب) الوهراني على لسان بغلته الى الامير عز الدين موسك المملوكة ريحانة بغلة الوهراني يقبل الارض بين يدي الامير عز الدين حسام أمير المؤمنين نجاه الله من حر السعير وعطر بذكره قوافل العير ورزقه من القرظ والتبن والشعير وسق مائة الف بعير واستجاب فيه صالح أدعية الجم الغفير من الخيل والبغال والحمير (وتنهي اليه ما تقاسيه من مواصلة الصيام وسوء القيام والتعب في الليل والناس نيام قد أشرفت مملوكته على التلف وصاحبها لا يحتمل الكلف ولا يوافي بالخلف ولا يقول بالعلف لانه في بيته مثل المسك والعنبر والامار بقل الاكبر أقل من الامانة في الاقباط والعقل في رأس قاضي سنباط فشعيره أبعد من الشعرى العبور ولا وصول اليه ولا عبور وقراطه أعز من قرط مارية لا يخرجه صدقة ولا هبة ولا عارية والتبن أحب اليه من الابن والجلبان أعز من دهن البان والقصيم بمنزلة الدر النظيم والقضه أجل من سبائك الفضه وأما الفول فمن دونه الف باب مقفول فما يمون عليه ان يعلف الدواب الا بعيون الآداب والفقه اللباب والسؤال والجواب وما عند الله من الثواب

ومعلوم ياسيدى ان البهائم لا توصف بالحلوم ولا تعيش بسماع العلوم
ولا تطرب الى شعر أبي تمام ولا تعرف الحرث بن همام ولاسيما البغال التى
تشتغل فى جميع الاشغال شبكة من الفصيل أحب اليها من كتاب التفصيل
وقفة من الدريس أشهى اليها من فقه ابن ادريس لو أكل البغل كتاب
المقامات مات وان لم يجد الا كتاب الرضاع ضاع وان قيل له انت هالك
ان لم تأكل موطأ مالك ماقبل ذلك وكذلك الجمل لا يتغذى بشرح أبيات
الجمل وحزمة من الكلاء أحب اليه من شعر أبي العلاء وليس عنده طيب
شعر أبي الطيب وأما الخيل فلا تطرب الا لسماع الصهيل واذا أكلت كتاب
الذيل ماتت فى النهار قبل الليل والويل لها ثم الويل ولا تستغنى الاكاديش
عن الحشيش وكل ما فى الحماسة من شعر أبي الحريش واذا أطعمت الحمار شعر
ابن عمار حل به الدمار وأصبح منفوخا كالطبل على باب الاصطبل وبعد
هذا كله فقد راح صاحبها الى العلاف وعرض عليه مسائل الخلاف فطلب
من تبنه خمس قفاف فقام اليه بالخفاف يخاطبه بالشعير وفسر عليه آية
التعبير وطلب منه ويبة شعير تحمل على عياله ألف بعير فانصرف الشيخ
منكسر القلب مغتاظا من الثلب وهو أنحس من ابن بنت الكلب فالتفت
الى المسكينه وقد سلبه الغيظ ثوب السكينه وقال لها ان شئت ان تكدى
فكدى لا ذقت شعيرا مادمت عندى فبقيت المملوكة حائره لا قائمة
ولا ثائره فقال لها العلاف لا تجزعى من خباله ولا تلتفتى على سباله ولا
تنظرى الى نفقته ولا يكون عندك أخس من عنفقته هذا الامير عز الدين
سيف أمير المؤمنين عز المجاهدين أندى من الغمام وأمضى من الحسام
وأبهى من البدر ليلة التمام يرثى للمحروب ويفرج عن المكروب وهو
من بنى أيوب ولا يرد قائلا ولا يخيب سائلا فلما سمعت المملوكة هذا
الكلام جذبت الزمام ورفصت الغلام وقطعت اللجام وشقت الزحام
حتى طرحت خدها على الاقدام ورأيك العالى والسلام (ذكر القاضى)
الرشيد بن الزبير فى كتابه العجائب والظرف انه لما مات أحمد بن طولون ترك فى
بيت ماله عينا عشرة آلاف دينار وفى حاصله ألفى ألف وسبعمائة ألف درهم
سوى ما كان مودعا عند جيد الطويل وهو الف دينار سوى ما حمل الى المعتمد

فى أربع سنين أولهن سنة اثنين وستين ومائتين مانفدت به السفاتج لم يظهر بعضه وهو ألفا ألف ومائتا ألف دينار وكان له أربعة وعشرون ألف غلام مملوكا وخمسة وعشرون ألف أسود وتطبق جريدته على سبعة آلاف حر مسترزق وخلف من الخيل الميدانية سبعة آلاف رأس وثلثمائة وثلاثين رأسا ومن البغال ستمائة بغل ومن الجمال ألفين ومائة جمل ومائة مركب حربية ومن الدواب المركوب مائة ألف وثلاثين دابة وكان خراج مصر فى السنة التى مات فيها أربعة آلاف ألف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار مع ما يضاف اليها من ضياع الامراء بالحضرة وأنفق على الجامع مائة وعشرين ألف دينار وعلى البيمارستان ومستغله ستين ألف دينار وانشأ فى سنة تسع وخمسين ومائتين وحبس عليه سوق الرقيق وغيره ولم يكن قبل بمصر بيمارستان وكان قد شرط أن لا يعالج فيه جندى ولا مملوك وكان يباشره و يشارفه بنفسه ويركب اليه فى كل أسبوع مرة وانفق على عين المصنع ببركة الجيش مائة وأربعة وأربعين ألف دينار وعلى شهر الجزيرة ثمانين الف دينار ولم يتممه وعلى الميدان مائة ألف دينار وخمسين ألفا وكانت صدقاته فى كل شهر ثلاثة آلاف دينار ورسم مطبخه فى كل يوم مائة وعشرون دينارا ومات فى سنة سبعين ومائتين وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا ومن الاناث سبعة عشر أنثى (فائدة جليلة) قال ابن عباس رضى الله عنهما من هرب من عدو أو خاف فليكتب بسوطه بين أذنى دابته لا تخاف دركا ولا تخشى أمنه الله من خوفه وحال بينه و بين عدوه (قال) الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه غيث الادب ويحكى ان بعض الرؤساء قال لشهاب الدين القوصى أنت عندنا مثل الاب وشدد الباء فقال لاجرم أنكم تأكلونى واقول لايخفى مافى هذا التنكيت من اللطف لان الاب مشدد الباء هو المرعى قال بعضهم هو لك واب بمنزلة الخبز الذى للاناسى ومن يشدد الباء من الاب الذى هو الوالد مايكون الادابة (قال) الشيخ بدر الدين الدمامينى رحمه الله تعالى رادا عليه قصد الصفدى بهذا الكلام الرد على من شدد باء الاب المراد به الوالد وفيه دليل على قصوره فان الامام جمال الدين بن مالك نص فى التسهيل على ذلك قال فى أوائله وقد تشدد نون هن وباء أب وخاء أخ وحكى فى الشرح عن الازهرى أن ذلك لغة كوفية و يقال استأبيت فلانا بباءين أى اتخذته أبا واذا كان كذلك فلا وجه

للانكار على الرئيس الذى شدد الباء من أب (قلت) ولو قال القوصى فى جوابه
لاجرم انكم ترعونى لكان ألطف فى التنذير وأحسن موقعا مما قاله والله أعلم
انتهى كلام أقضى القضاة بدر الدين المخزومى (الشيخ جمال الدين الزملكانى)

وفى حلبة الخدم من أدهمى * خيول تجول ولا تركب
فسبق الكميت بها بين * ولكن تقدمه الاشهب

(وعلى ذكر البغال) ذكرت قول شمس الدين الضفدع الخياط فى وقعة القاضى
شهاب الدين محمد بن المجد عبد الله الاربلى الدمشقى الشافعى الذى مات فيها

بغلة قاضينا اذا زلزلت * كانت له من فوقها الواقعه
تكاثر ألهاه من عجبه * حتى غدا ملقى على القارعه
وأظهرت زوجته عندها * ضائقة بالرحمة الواسعه

(أبو الحسين الجزار) وقد رآه بعضهم ماشيا عقيب موت حماره

كم من جهول رآنى * أمشى لأطلب رزقا
وقال لى صرت تمشى * وكل ماش ملقى
فقلت مات حمارى * تعيش أنت وتبقى

(المعمار)

ان ابن الاطروش حوى رتبة * باع بها الجنة بالنار
تنصرت بغلته تحته * وأصبحت تمشى بزنار

(ابن دانيال مضمنا)

ولقد ركبت من الحمير مكمدا * مكرابطيا للحران مصاحبا
رجلاى فى جنبيه منذ ركبته * لن يفترا فغدوت أمشى راكبا

(ابن نباتة)

أصبحت ياسيدى ويا سندى * أقص فى أمر بغلتى القصصا
بالامس كانت لفرط سرعتها * طيرا وفى اليوم أصبحت قفصا

(الحلى مضمنا)

رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
به لم أذق طعم الشعير كأننى * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تقعقع من برد الشتاء أضالعى * لما نسجتها من جنوب وشمأل

اذا سمع السواس صوت تحمحمي * يقولون لاتهلك أسى وتجمل
أعول في وقت العلوق عليهم * وهل عند رسم دارس من معول

(حكى) أن العماد الكاتب قال للقاضي الفاضل سر فلا كبا بك الفرس فقال له دام علا العماد (ولبعض أهل عصره) أعني الحسين الجزار

مات حمار الاديب قلت لهم * مضى وقد فات منه مافاتا
من مات في عزه استراح ومن * خلف مثل الاديب ماماتا

(وقال) شرف الدين البوصيري ناظم البردة فيه

فلا تيأسن ايهذا الاديب * عليه فللموت مايولد
اذا عشت أنت لنا بعده * كفانا وجودك مانفقد

(قال) الشيخ فتح الدين بن سيد الناس كان للشيخ شرف الدين البوصيري حمارة استعارها منه ناظر الشرقية فاعجبته فأخذها وسيرله ثمنها مائتي درهم فكتب على لسانها الى الناظر المذكور المملوكة حمارة البوصيري

ياأيها المولى الذي أثبتت * أخلاقه بانه الفاضل
ما كان ظني ان يبيعوني * قط ولكن صاحبي جاهل
لو جرصوه على من سفه * لقلت غيظا عليه يستاهل
أقصى مرادي لوكنت في بلدي * ارعى بها في جانب الساحل
وبعد هذا فاحل لكم * لانني من سيدي حامل

فردها الناظر ولم يأخذ الدراهم منه (لناصر الدين بن النقيب)

نفقت لي رأسا من الخيل كانت * تسبق البرق والرياح الزعازع
وابتلى الله في المشاعر اخرى * بشقاق لها عن المشي مانع
فاذا قيل لي كم بقي لك رأس * قلت رأس بغير كوارع

وللشيخ جمال الدين بن نباتة وأفحش في السرقة في فرس له مثل الاربعة

يقول لي صاحب وفي * والخيل تحت الورى تسارع
كم لك في ذا الزمان رأس * فقلت رأس بلا كوارع

(ابن دانيال)

قد كمل الله برذوني بمنقصة * وشانه بعد ما أعماه بالعرج
أسير مثل أسير وهو يعرج بي * كأنه ماشيا ينحط من درج

فان رمانى على مافيه من عرج * فاعليه اذا ما مت من حرج

(صلاح الدين الصفدى) فيمن وعده ببغل

طلبت البغل منك فقلت انى * أسيره وما كذب الكلام

نعم أتعبته ركضا ولما * أتى الاسطبل سيره الغلام

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى أنشدنى لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق المحروسة سنة تسع وعشرين وسبعمائة

وورد من العرب منسوب ولا قطعت * أيدى الحوادث من انشائه شجره

اذا امتطى ظهره رامى السهام مضى * والسهم حذوا فلولا سبقه عقره

عجبت كيف يسمى سابحا وله * وثب لوالبحر أمسى دونه ظفره

كأنه فى هضاب الحسن صاعدة * أولا فصاعقة فى الحسن منحدره

لما ترفع عن ند يسابقه * أضحى يسابق فى ميدانه نظره

(قال) صلاح الدين وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين يوسف بن سليمان بن أبى الحسن الصوفى بدمشق فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين وسبعمائة وهو

وأدهم اللون فات البرق وانتظره * فغارت الريح حتى غيبت اثره

فواضع رجله حيث انتهت يده * وواضع يده أنى رمى بصره

شهم تراه يحاكى السهم منطلقا * وماله غرض مستوقف خبره

يعفر الوحش فى البيداء فارسه * وينثنى وادعا اذ يستتر غبره

(شرف الدين أحمد الحلاوى وأجاد)

جاء غلامى وشكا * أمر كميتى وبكى

وقال لى لاشك بر * ذونك قد تشكى

قد سقته اليوم فما * مشى ولا تحركا

فقلت من غيظى له * مجاوبا لما حكى

ابن الحلاوى أنا * فلا تكن معلكا

لو أنه مسير * لما غدا مشبكا

ابن نباتة

وأدهم اللون حندسى * فى جريه للورى عجائب

يقصر عن الرياح عنه * فكلها خلفه جنائب

(ابن سعيد المغربي في فرس أغر أصفر)

وعسجدي اللون أعددته * لساعة تظلم أنوارها
كأنه في رهج شمعة * مصفرة غرته نارها

(وله في أدهم أغر)

وقد اغتدي والليل قد سل صبحه * بليل بجلباب الصباح ملثما
وأحسبه خال الثريا لجامه * فصيره اديه الى الافق سلما

(ولابن خفاجة في أشقر أغر)

وأشقر يضرم منه الوغى * بشعلة من شعل الباس
وتطلع الغرة في شقرة * حبابة تضحك عن كاس

(الناشي)

ومصغية كأن الحرب تلقى * الى آذانها بشرى الجلود
ترى آذانها ألفات سطر * قياما في صحائف من بنود

(الارجاني)

وحرف يجوب القاع والوهد والربى * بحرف مديم الرفع والجر والنصب
نجائب يقدحن الحصى كل ليلة * كأن بأيديها مصابيح للركب

(ابن سعد في فرس لونه نيا أغر أكحل الحلية)

وأجود تبري أثرت به الثرى * وللفجر في خصر الظلام وشاح
عجبت له وهو الاصيل بعرفه * ظلام وبين الناظرين صباح

(ابن نباتة السعدي في فرس محجل بغرة)

وكأنما لطم الصباح جبينه * فاقتص منه فخاض في أحشائه

(الشئ بالشئ يذكر قال ابن الحجاج في المجون)

غضبت صباح وقد رأتني قابضا * ايري فقلت لها مقالة فاجر
بالله الا مالطمت جبينه * حتى يصدق فيك قول الشاعر

(أشار الى البيت المتقدم الاديب الفاضل الكامل الرحال ابراهيم الساحلي)
المنوفي بطوجين مولده بغرفة ووفاته بعد سنة تسع وثلاثين وسبعمائة من
قصيدة

ذهبوا الى الهيجا بكل طمرة * من نسل أعوج أو بنات الابحر
من كل مخضوب الشوى عبل القرى * عارى النواهق مستدير المحجر
ألوى بقادمتى جاجئ أفتخ * ولوى بسالفتى غزال أعفر
وأدار جفنا أشوسيا مبصرا * ظل الفوارس فى الظلام المعكر
من أحمر كالورد أو من أصفر * كالورس أو من أشهب كالعنبر
و بكل صهوة أجرد متقطب * الا اذا ضحك السنان السمهرى

(لسان الدين بن الخطيب)

قال جوادى عندما * همزت همزا أعجزه
الى متى تهمزنى * ويل لكل همزه

(أحمد بن سعيد بن غازى البستى يصف ناقة)

حرف كمثل الصاد الا أنها * بعد السرى جاءت كحرف النون
كالبدر قدره الاله منازلا * فى الافق حتى صار كالعرجون

(وما أحسن قول الشريف العقيلى) وان لم يكن مما نحن فيه

وأدهم من خيول الجوو افى * فثار من الضباب له غبار
اذا أبدى صهيل الرعد منه * لوحش المحل داخله نفار
أشبهه ولمع البرق فيه * بحراق تمشت فيه نار

(نادرة) ذكرها العلامة شهاب الدين أحمد بن فضل الله فى كتابه مسالك الابصار فى ترجمة موفق الدين عبد الله المعروف بالوزن الواعظ الكحال المتطبب أنه كان بالقاع والى من أهل الادب يعرف بابن درباس واسمه على وكان ينظم الشعر و يتوالى والوزير بدمشق اذ ذاك بدر الدين جعفر بن الآمدى وكان يتوالى أيضا فاتفق أنه ولى عنده بالقاع كاتبا من سلم من الشعيرون ديوان المطابخ وكان من حديث هؤلاء أنهم سرقوا واقندا كثيرا كان قد حمل من غور الكرك ليطبخ بدمشق للسلطان فبلغ ذلك الملك الظاهر بيبرس فأمر بهم فسمروا وطيف بهم على الجمال الا هذا الكاتب فانه شفع فيه فأطلق بعد أن قدم له الجمل ليسمر فلما استخدمه ابن الآمدى بالبقاع ضيق على ابن درباس فأقام يعمل قريحته فيما يكتبه الى ابن الآمدى فلم يأت بشئ فسأل الوزن فى ذلك (فكتب)

شكية يا وزير العصر يرفعها * ما كان يأمل هذا من ولاك على

لم يبق فى الارض مختار فتبعثه * الا فتى من بقايا وقعة الجمل

فضحك ابن الآمدى وعزله ومن انشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبى وينهى وصول ما أنعم به من الخيل التى وجد الخير فى نواصيها واعتد حصنها حصونا يعتصم من الوغى بصياصيها (فن) أشهب غطاه النهار بحلته وأوطأه الليل على أهلته يموج أديمه ريا ويتأرج ريا ويقول من استقبله فى حلى لجامه هذا الفجر قد أطلع الثريا ان التفت للضايق انساب انسياب الايم وان انفجرت المسالك مر مرور الغيم كم أبصر فارسه يوما أبيض بطلعته وكم عاين طرف السنان مقاتل العدا فى ظلام النقع بنور أشعته لا يسير داحس فى مضماره ولا تطلع الغبراء فى شق غباره ولا يظفر لاحق من لحاقه بسوى آثاره تسابق مداه مرامى طرفه ويدرك شوارد البروق ثانيا عطفه ومن أدهم حالك الاديم حالى الشكيم له مقلة غانية وسالفة ريم قد ألبسه الليل برده وأطلع بين عينيه سعده يظن من نظر الى سواد طرته وبياض حجوله وغرته انه توهم النهار نهرا فخاضه والقى بين عينيه من رشاش تلك المخاضة ومن أشقر وشاه البرق بلهبه وغشاه الاصيل بذهبه يتوجس ما لديه برقيقتين وينفض وفرتيه عن عقيقتين وينزل عذار لجامه من سالفتيه على شقيقتين له من الراح لونها ومن الريح لينها ان جرى فبرق خفق وان أسرج فهلال على شفق ومن كميت نهد كأن راكبه فى مهد عندمى الاهاب شمالى الذهاب يزل الغلام الخف عن صهواته وكأن نغم الغريض ومعبد فى لهواته فسيح الخطا قصير المطا ان ركب لصيد قيد الاوابد وأعجل عن الوثوب الوحوش اللوابد ومن حبشى أصفر يروق العين ويشوق القلب بمشابهة العين كأن الشمس ألقت عليه من أشعتها جلالا وكأنه نفر من الدجى فاعتنق منه عرفا واعتاق حجالا ذو كفل يزين سرجه وذيل يسد اذا استدبرته منه فرجه قد أطلعته الرياضة على مراد راكبه وفارسه وأغناه نضار لونه ونضارته عن ترصيع قلائده وتوشيع ملابسه له من البرق خفة وطئه وخطفه ومن النسيم طروقه ولطفه يطير بالغمز ويدرك بالرياضة مواضع الرمز ويعد كألف الوصل فى استغنائها عن الهمز ومن أخضر حكاه من الروض تفويفه ومن الوشى تقسيمه وتأليفه قد كساه النهار والليل حلتى وقار وسنا واجتمع فيه من البياض والسواد ضدان لما

استجمعا حسنا ومنحه البارى حلية وشيه ونحلته الرياح ونماتها قوة ركضه وخفة مشيه ومن أبلق ظهره حزم وجريه ضرم ان قصد غاية فوجود القضاء بينه وبينهما عدم وان صرف فى حرب فعمله ما يشاء البنان والعنان وفعله ما يريد الكف والقدم قد طابق الحسن البديع بين ضدى لونه فى جنسه عن الاوصاف وعدل بالرياح عن مباراته سلوكها من الاعتراف له بجادة الانصاف وترقى المملوك الى رتب العز من ظهورها وأعدها الخطبة الحسان اذا الجياد عليها من أنفس مهورها وكلف بركوبها فلما أكمله عاد وكلما أمله سره فلو أنه زيد الخيل لما زاد ورأى من آدابها ما دل على انها من أكرم الاصائل وعلم انها اليومى سربه وسلمه جنة الصائد وجنة الصائل وقابل احسان مهديها بثنائه ودعائه وأعدها فى الجهاد لمقارعة أعداء الله وأعدائه والله تعالى يشكر بره الذى أفرده الندى بمذاهبه وجعل الصافنات الجياد من بعض مواهبه بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى (ومن انشاء) الشيخ محيى الدين ابن عبد الظاهر وسيرمن الخيول الرهاوين كلما هو على الحسن مشتمل ومع سرعته يمشى الهوينا كمشى الشارب الثمل من كل أشقر كأنه النجم السريع لا البطى وكل أحمر كالشفق وغرته ما يتخلل الشفق من النور المضى وكل أشهب كالنار وما فى هذا من السواد ما بذلك من أوائل الليل وأوائل العشى وكل أصفر حبشى يحسن أن يكون لركاب المقر خادما وكيف لا وهو الخصى الحبشى ومن البغال كل فارهة الوثبه كارهة أن لا تكون دون رتبة الجياد فى حلبه كم قاست بذراعها شقة أرض فعلمت طولها من عرضها وكم لحقت عشيتها ما لحقه الجياد بركضها كم حسب راكبها أنه من وطئ ظهرها على فرش مرفوعه وكم بويع لها بالخلافة عن الجرد المطهمة على انها مخلوعه يشهد بتمام حسنها العقل ويصدقه على ذلك منها صحة النقل ما ضرتها هجنة أمها مع أصالة أبيها وأمها الهجينه وما شانها ذلك والله تعالى ساوى بينهما بقوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينه تسبق الطرف والطرف وأما خالها وما هى حرف (ومن انشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة) وأما الخيل المسيرة فقد وجد المملوك لذة أنسها وأوجب على نفسه فروض خمسها واستنهض لشكر محاسنها براعته فسعت ولكن على رأسها واستنزلت له

الآمال من صياصيها وحلت منه محل الخير المعقود في نواصيها وأمده بالاسعاف بمددها وقبلها عوض أنامله الشريفة لانهاء مددها وما هي الازهرات أنبتتها سحب كفه الكريمه وعقود من طوق بها جيد العبد فسبح بدائع نعمها العميمه ومنابر قام عليها خطيبا بمحاسنه التي من كتمها فكأنما كتم من المسك نطيمه فمن أشهب كأنه طلعة نجم أو قطعة صبح أو غرة فما تقرب باشعته أبدا رجح قد تزينت منه الاوضاع وانقطعت دون غايته الاطماع واعتذرت له الريح فصوب أذنيه للسماع وأصبح لصاحبه نعم العون في يوم السبق والغوث في يوم القراع وكاد يكون من الملائكة فكم له من غبار السبق أجنحة مثنى وثلاث ورباع ماخفيت مصلحة الاقبضها ولا ادلهمت سحابة نقع الاقام بنفسه وبيضها وما حدث عن حسن الارآه ولا امتطاه عازم الاحمد عند صباح لونه مسراه تقرب الطالب سفارة نزاهة المفره ويختال في الخيل كالنهار فلاجرم ان آيته مبصره كم ثنى عنانه كبرا عن مسابقة الرياح وأعرض وكم تعب عليه عازم حتى فاز منه بالعيش الا انه الابيض يتلوه أشقر كلمعة برق أو غزالة شرق فسبح الليان رقيق مجرى العنان يروق الابصار ويدني الاوطان والاوطار ويسمع بوقع حوافره صم الاحجار يضعف البصر عن اقتفاء ماله من السنن ويعجز عن بلوغ غايته السيل اذا هجم والغيث اذا هتن وتقصر عن شأوه الرياح فعن عذر اذا حثت في وجهها التراب للحزن فكأنما صعد لاشعة النجوم فكسبها أوراهن البرق على حلته فلبسها وسلبها قرنت حركاته بحسن الاتفاق وحكته في تطلعها الشموس عند الاشراق وامتدت كف الثريا تمسح وجهه من غبار السباق يتبعه كميت يسر الناظر ويشرق الخاطر كأنه جذوة نار أو كأس عقار أحلى من الضرب له من نفسه طرب كم خدمه من النصر أعوان وأسكره اسمه فاختال تحت راكبه كالنشوان وزاد لونه حتى كأنما هو بهرام وأجله عن أن أقول بهرمان أسرع الاشياء شوطه وأضيع ما في عدته سوطه يجمع لراكبه ما بين الطرب والجلاله وتحتجب الشمس اذا تصدى لصيد خوفا من تسميتها بالغزاله كم أرعد صهيله وابرق وكم لقي منه الموت الاحمر العدو الازرق قصرت عن معاناته الهمم واسود ذنبه وعرفه فكأنهما الذوب نار جمعه جمم توسع أهل الحجى برا وعقد

بخنجر نعله أديم الارض سيرا يقفوه أصفر يسرّ النظار ويسمو على النظار ويشوق البصائر ويعاشق سعيه على الابصار ويخفق وراءه حتى قلب البرق اذا ذكرهما السبق فى مضمار كم أوسع وقعه فى ليل السرى من سمر وكم نقش نعله ظهر جبل خفاء كما قيل نقش فى حجر يطلع بسماء الطلب أهلة هو عيدها واذا امتطاه عازم رأى الارض تطوى له ويدنو بعيدها كم حسن خبرا وخبرا وتأثيرا وأثرا وكم عشا الى نار سنابكه طارق فأجزل له من قصده القرى كأنما خلع عليه الدهر حلة ذهب وهبته صفرة لونها الراح حين تجلى بالحبب لو أمكن أول فجر لما سمى فى زمنه بالمرجان ولو كتب اسمه على مقدمة طليعة قرنها اليمن واليمان يحجبه أدهم كأنما التحف سبجا أو دخل تحت ذيل الدجى تخضع عواصى الذرى لعزته وينشق الصباح غيظا من تحجيله وغرته كأنما لطمته يد الفجر فخاض فى أحشائه وورد نهر المجرة فطارت بجبهته نقطة من مائه فسيح المنتشق متدرع ملابس حب القلوب والحدق كم عنت شوامخ الجبال لجلاله وقصرت عنه الخيل حتى لم تسابق الاظل ادباره واقباله وخاف سطوته الليل فحياه بمثل أنجمه وأنعله بهلاله يسرّ الموالى ويسوء المناسب ويأتى من صباح تحجيله وليل تكوينه بالعجائب وتكبو الريح دون شأوه فكلاهما من خلفه جنائب ولا برح سيدنا يجيد فى القول ويجوّد فى العمل ويتطول من خفى كرمه ومفيد كلمه بما لا ترقى اليه همة أمل ان شاء الله تعالى ثم ذلك (وقال) مجير الدين بن تميم مضمنا

بعثت عندى جواد الاحرائه به * يكاد من همزه بالركض ينخرم
فلا يغرنك منه سنه غلطا * ان الجواد على علاته هرم

(ابن النبيه) من قصيدة

فهى مثل القسى شكلا ولكن * هى فى السبق أسهم لا محاله
تركتها الحداة فى الخفض والرفع حروفا فى جرّها عماله

(علاء الدين) ابن أيبك من قصيدة

له خطبة الخيل العتاق كأنها * نشاوى تهادت تطلب العزف والقصفا
عرائس أغنتها الحجول عن الحلى * فلم تبغ خلخالا ولا التمست وقفا
فمن يقق كالطرس تحسب انه * وان جردوه فى ملاءته التفا

وأبلق أعطى الليل نصف اهابه * وغاره عليه الصبح فاحتبس النصفا
وورد تغشى جلده شفق الدجى * فحازه دلى له الذيل والعرفا
وأشقر مثل الراح صرف أديمه * وأصفر لم يسمح بها جلده صرفا
وأشهب فضى الاديم مدنر * عليه خطوط غير مفهمة حرفا
كما خطر الزاهى بمهرق كاتب * فجر عليه ذيله وهو ما جفا
تهب على الاعداء منها عواصف * لتنسف أرض المشركين بها نسفا
سرى كل طرف كالغزال فمترى * أطيبا ترى تحت العجاجة أم طرفا
وقد كان فى الميداء يألف سربه * فربته مهر وتحسبه خشفا
تناوله لفظ الجواد لانه * متى ما أردت الجرى اعطاكه ضعفا

(ابن خفاجة)

ولم أر الاغرة فوق شقرة * فقلت حباب يستدير على خمر

(نادرة) وقف اعرابى على أبى عبيدة فقال له ما يعنى الشاعر بقوله

ولقد علوت بمشرف يافوخه * يأتى المجسة ماؤه يتفصد
مزج بسيل من المزاج لعابه * فيكاد جلدا هابه يتقدد
حتى علوت به مشق ثنية * طورا أعور به وطورا أنجد

(فقال) يصف فرسا فقال الاعرابى جلك الله عليه (برهان الدين) القيراطى فى حماره

تراه أولا فى الا كل سبقا * وعند السير يأتى فى الاخير
وكم وضعوا سكرجة بفيه * فما منعته عن صحن الشعير

(عرض) شريح ناقة ليبيعها فجاء اليه رجل من قريش فقال له يا أبا امية كيف لبنها فقال احلب فى أى اناء شئت قال فكيف الوطأ قال افرش ونم قال فكيف قوتها قال احمل على الحائط ماشئت فاشتراها فلم يجد شيأ مما وصف فرجع اليه فقال له لم أر شيأ مما وصفتها به قال ما كذبتك (كتب) الصابى عن بختيار الى أبى تغلب فى وصف فرس أهداه له أما الفرس الذى أتت ايثارك به فقد تقدمنا نقوده اليك والله يبارك لك فيه ويجعل الخير معقودا بناصيته والاقبال غرة وجهه وادراك المطالب تحجيله ونيل الامانى طلق شأوه وفتح الفتوح غاية شده وسلامة العواقب مثنى عنانه (ابن حمديس الصقلى)

وكأنها نون تمط وعينها * ميم لطول نحولها بالفدفد
كحلت جفون الليل منها بالسرى * وتكحلت منه بلون الاثمد
فلجسمها والصبح يتبع نوره * من جفن ليلتها انسلال المرود
ياليتها كانت سفينة زاجر * فتخوض بى مدّ العباب المزبد
فأرى ابن حمدان ونور جبينه * يجلو سناه قذى جفون الارمد

(وله فيهن)

قلاص حباهن الهزال كأنها * حنيات نبع فى أكف جوادب
اذا وردت من زرقة الماء أعينا * وقفن على أرجائها كالحواجب

(ومما جاء) فى رقية الدابة عن سهيم بن نوفل قال كنا نعرض المصاحف عند عبد الله فجاءت جارية اعرابية الى رجل من القوم فقالت أطلب راقيا فان فلانا قد لفع فرسك بعينه فتركه يدور كأنه فلك فقال عبد الله لا تطلب راقيا اذهب فانفث فى منخره الايمن أربعا وفى الايسر ثلاثا ثم قل بسم الله لا بأس أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافى لا يذهب الضر الا أنت قال فذهب الرجل ثم رجع فقال فعلت الذى أمرتنى فأكل وبال وراث وعن ابن عباس رضى الله عنهما اذا استعصبت دابة أحدكم أو كانت شموسا فليقرأ هذه الآية فى أذنها أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون (نادرة) قال أبو العيدس دخل اعرابى السوق ليبيع ناقة له فقال له بعض المجان تبيعها يا اعرابى بأير بغل فقال الاعرابى اقعد على عطيتك فان زادونا والا انت أحق بها (الاسعد ابن مماتى)

أصبح بغلى مثلا * يضرب وهو سائر

(ناصر الدين بن النقيب)

لى بغلة من ضعفها * حزامها يثقلها
كأنها رجلى كما * تحملنى أحملها

(بدر الدين) يوسف بن لؤلؤ الذهبى

ترحلت عن ناديك لا عن ملالة * وقد لفعتنى بالهجير البسابس
على بغلة أعطيتنيها قصيرة * كأنى بلا شك على الارض جالس
وتحسبنى من فوقها الناس راجلا * ولكننى فيما ترى العين فارس

(البهاء زهير في بغلة شهاب الدين القوصي)

لك يا صديقي بغلة * ليست تساوي خردله
تمشي فتحسبها العيو ن على الطريق مشكله
وتخال مدبرة اذا * ما أقبلت مستعجله
مقدار خطوتها الطويـ ـلة حين تسرع أنمله
تهتز وهي مكانها * فكأنما هي زلزله
أشبهتها بل أشبهتـ ـك كأن بينكما صله
تحكي خصالك في الثقا لة والمهانة والبله

(القيراطي)

لي بغلة قد أتعبت راحتي * والرجل من نقذي الى كعبي
طباعها خارجة كلها * وقط لا تمشي على الضرب

(الجزار) يرثي حمارة

ما كل حين تنجح الاسفار * نفق الحمار وبارت الاشعار
خرجي على كتفي وها أنا دائر * بين البيوت كأنني عطار
ماذا على جوى لاجل فراقه * وجرت دموع العين وهي غزار
لم أنس حدة نفسه وكأنه * من أن تسابقه الرياح يغار
وتخاله في القفر جنا انما * ما كل جن مثله طيار
واذا أتى للحوض لم يخلع له * في الماء من قبل الورود عذار
وتراه يحرس رجله من زلة * برشاشها يتنجس الخطار
ويلين في وقت المضيق فيلتوي * فكأنما بيديك منه سوار
ويسير في وقت الزحام برأسه * حتى يجيد أمامك الحضار
لم أدر عيبا فيه الا أنه * مع ذا الذكاء يقال عنه حمار
ولقد تحامته الكلاب وأحجمت * عنه وفيه كما تختار
راعت لصاحبه عهودا قد مضت * لما علمن بأنه جزار

(ومن انشاء المقر الفتحي بن الشهيد) تغمده الله برحمته من رسالة كتبها عن حضورا كديش أدهم ويهني وصول الجواد المنعم به على المملوك ، أضافه الى ما في يده من الصدقات العميمة بقدر قدرها ويضاعف بالخدمة وانتهت

شكرها وفرح المملوك أنه ماخص بالفرس الاوقدثبت عندسيده أنه غلام وماأجراهاله من ديوان الخاص الالتمييزقدره على العوام ووصل هذا الجواد أدهم من الخيل كأنما ألبسه الليل حلة سابغة الكم والذيل وفهم المملوك من بعثه حالك السواد ان الامر العالى اقتضى ان المملوك يكتم هذا الاحسان فى سواد الفؤاد ويستره عن الحساد كما سترالليل عن الرقبا اجتماع أهل الوداد فتسلمه المملوك كما تسلمت الجفون طيف الحبيب وأسرالسرور به لما علم انه من صدقة السر التى أخفتها اليد الكريمة ولا يعزب عن الله مثقال ذرة فيها ولا يغيب واتخذ المملوك ظهرهذا الجواد حرزا لانه من الهيا كل وتصيد بعنانه غزلان الاعنة فكانت لصيد العزحبائل وجعله ذخيرة وعزا لانه أدهم لاينـدم صاحبه ان نابت النوائب أوغالت الغوائل (ومنها) وصل الظهر قد أعوز والسفرقد أحفز وحلت دهمته الغمه وجاءت باليد البيضاء فكذبت القائلين لاخيرفى الظلمه فرأيت منه العطايا فى سواد المطالب وركبت من مرجه المحلى بالذهب فاجزت فى ليل اهابه الااهتديت من تلك الحلى بانوار الكواكب وقرت به عينى كأنما حل من سوادى واستوطأت ظهره فى السرى فتمت لمطارق كأنه بريد رقادى (أدب حسن) قيل لاعرابى لهابل كثيرة لمن هذه الابل فقال لله فى يدى وقيل لاعرابى أنت راعى هذه الابل فقال ألله راعيها وأنا مراعيها (فائدة جليلة) قال الامير علاء الدين الدوادارى فى بعض مجاميعه بخط القاضى شمس الدين بن خلكان للمغل يكتب على حافر الفرس الايسر بقلم حديد وكل حرف من هذه الكلمات على حدته وهى النيل والفرات ودجلة أودية وقال لى شخص انه جربه وجده نافعا والله تعالى أعلم (ذوالوزارتين) لسان الدين بن الخطيب من قصيدة

صبحتهم غرر الجياد كأنما * عقد الثنية عارض متهلل
من كل منجرد أغر محجل * يرمى الجياد به أغر محجل
رجل الجناح اذا أجد لغاية * واذا تغنى بالصهيل فبلبل
جيد كما التفت الظليم وفوقه * أذن ممشقة وطرف أكحل
وكأنما هو صورة فى هيكل * من لطفه وكأنما هو هيكل

(ومن كلام سيدى المقر المجدى) حسبما اقترحه السادة المخاديم بالقاهرة المحروسة

البلاغة جعل الله تعالى كف موالينا المقبل والمؤمل كـكرائم الخيل ظهورها عزا وبطونها كنزا وآيات كرمه اذا تليت تهز أعطاف كل جواد هزا ويتبعه في مجاراتها كزا تعلى الهمم وتغلى القيم ويحوز صاحبها قصب السبق بالقلم غير أنها تلجئه في اقتراح الاخوان الى ركوب الاهوال وتعطيه في اتباع أوامرهم صهوة الخطر اذا كان لا خيل عنده يهديها ولا مال فانهم أبقاهم الله تعالى رموا العبد من اقتراحهم بما لا يطاق ودفعوه من أوصاف الخيل الى حلبة سبق الهاجاعة فكيف للملوك بعدهم بالحاق نعم كيف له بلحاق تلك الفحول وانى يمكنه مجاراتهم في هذه الليالى العواطل وقد كانت أيامهم لها غرر معلومة وحجول فاستقلت من هذا الامتحان واعتذرت انى است في أمر الخيل من الفرسان فقالوا بل أعطينا الطرف راكبه وأعطينا المال واهبه فانك رب متونها ومهذب شامسها وحرونها فجلت في ميدان الفكر وجذبت أعنة الحفظ والذكر الى ان أنجالى ما لو أوقفت استرته ولو تركت لتركته فابتدأت بوصف أخضر مليح الشيات كامل الادوات يحمل الراكب ويزين المواكب ويرضى الشهم الشديد ويسبق السهم السديد لا يخرج عن طوع فارسه ولا يعدو اختيار ممارسه كأن أديمه تجعد من نور خلاف أولف من جنات ألفاف وكميت أصم اللون مليح الكون بعيد الصفات سريع الالتفات تثنى على همته الركبان وبطنه تحت العجاجة نار علاها دخان فسيح الخطوه شديد القوه سبط الاديم معظم لدى الكرام ولا عجب اذا عظم الجواد كريم كأنما صبغ بعقار أو لبس جلنار وقير كاون الحرباء وخيال أزاهر على صفحة الماء ووجنة حب تكالت بعرق ونهر صاف طفا بوجهه علق وبهجة حباب على كؤس مدامه وأشعة شمس تألقت في طوق حمامه لا تثبت العين معرفته ولا يوفى البليغ وان أطنب صفته ولا يدركه الطير اذا طار ولا يلحقه الريح اذا اشتدت غير الغبار لا يمل السباق ولا يزعج راكبه اذا قام على قدم وساق وأبلق كريم الاصل محمود الخصل مجتمع من ظلمة الهجر وضياء الوصل يرى الناظر من لونيه بياض العطايا في سواد المطالب وتحقق للتعجب من تضادهما أن في الليل والنهار عجائب لا يحليه البصر اذا سار ولا ينجو من راكبه عدو وكيف ينجو من خلفه الليل

والنهار تفرد في جنسه وكاد يدرك المعقولات بضياء حسه عظم خبره وخبره واشتهر بين الانام قدره وعز على من رامه وطال وكيف لا وهو الابلق الفرد الذى شاع ذكره وأدهم بهى المنظر جميل المخبر تخاله خالا على وجنة الزمان وتظنه بين جفنى السماء والارض انسان أسرع من السهم وأنفذ من الوهم يطوى شقة الفلا بيديه ويجتذب سويدات القلوب الى حبه وشبه الشئ منجذب اليه تنبئك بالظفر مخائله ولا ينشد لك لونه الا باقى الابليل من تواصله وبالجملة فكانما حلفت على اقتراح الرياضه واختيار الانفس المرتاضه فكلها حسن وكل منها جاء من الصفات الغريبة بفن يأتى من المشى بما لم يكن فى حساب ويتلوا سان السرعة على مستعظم أشكالها وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب فالله تعالى يبقى المخدوم ما انتخبت القرايح وسيرت الخيول بين غاد ورايح ويكفيه ما تسعى من أجله ويجعل بابه جنة لاوليائه اذا زحف عليهم الدهر بخيله ورجله بمحمد وآله (المولى الفاضل) شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على بن الآمدى

وكميت يلقى الصخور اذا اشتد جريا بأربع من حديد
رق جلدا واحمر حتى حسبنا * انه اختال فى رداء الخدود

(وله فى فرس أدهم أغر محجل)

وأدهم خص بأوضاحه * اعلاه بالغرة أو أسفله
كالليل فى أوله آخر اليوم وفى آخره أوله

(وله)

بكل جواد سر حتى كأنما * له السيف حد والسنان له أذن

(ولبعضهم)

قم بنا نركب طرف اللهو سبقا للمدام
واثن يا صاح عنانى * لكميت ولجام

(ولآخر)

ويوم كسته الشمس غرة مهجة * كما ذهبته بالعشى تحجل
ركضت به فى حلبة اللهو سابقا * فيا لك من يوم أغر محجل

(ابن المعتز) فى وصف مطلق الواحدة محجل الثلاث

ومحجل غير اليمين كأنه * متبختر يمشي بكم مسبل

(فخر الدين بن مكانس)

يا عصبة الجود الذي يرضيهم * فرسي العتيق ومهري السباق
أما العتيق فلا نرجوا تملكه * واليكم هذا الحديث يساق

(وضمن) هذا في الغزل شيخنا عز الدين الموصلي

لحديث نبت العارضين طراوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا نهاني المرد قلت تمهلوا * فاليكم هذا الحديث يساق

(قلت) وفي مقطوع الشيخ فخر الدين زيادة حسنة على الشيخ عز الدين وهو قوله يساق واستعمل الشيخ عز الدين لفظة حديث في عدة أماكن من مقاطيعه ولعمري أجاد في جميعها (فمنها قوله)

حديث عذار الحب باد وساقه * له أوجه تبدي لقلبي اشتياقه
دري أننا نشتاق لطف حديثه * فأبدى لنا ذاك الحديث وساقه

(وقوله)

حديث عذار الحب في خده جرى * كمسك على الورد الجني تسطرا
فقبلته حتى محوت رسومه * كأن لم يكن ذاك الحديث ولا جرا

(ولغيره) وليس مما تقدم لكن ذكرناه لموافقة المعنى

ولما اجتمعنا والسلو جليسنا * على أننا نسلو الهوى ونميل
وخيل غرام قد أتتنا مغيرة * فلم ندر الا والسلو قتيل

(ومنه)

وحياة من أمست لدي حياته * أشهى الي من اتصال حياتي
ماسافرت لحظات طرفي نحوكم * الا على خيل من العبرات

(ومنه قول عز الدين الموصلي) شعرا

يستطرد الشرق خيل الدمع سابقة * ففضل السحب فضل العرب للعجم

(وما ألطف) قول بدر الدين بن الصاحب

بالله يا بدر زرني * وعد محبا سقيما
واكتم محبك واركب * من الظلام بهيما

(وأنشدني شيخنا زين الدين بن العجمي) لنفسه

لظلمات الليالى * أشكو شجونى الاليمه
وكيف تفهم معنى * شكواى وهى بهيمه

(فخر الدين بن مكانس)

لله أشكو ماجرى * وهو بشكواى عليم
ان بهيما كان لى * فضاع فى الليل البهيم

(ولمؤلف الكتاب)

ولرب ليل طال من تذكارهم * أرعى الدجى فيه وليس ببارح
قرح الجفون السهد فى ظلماته * فلذاك يدعى بالبهيم القارح

(وعلى ذكر البهيم) فما أحسن ما أنشدنى لنفسه مجد الدين بن مكانس

لله عصبة عشق * طيب الكرى حرموه
عذولهم كحمار * لابدع ان صرموه

(وأنشدنى صدر الدين بن الآدمى) لنفسه

قلت وليلى لونه حالك * وجنحه فى ليله كالسقيم

(الصفدى) فى أدهم بغرة

واعجبا للصبح من أشقر * ما آن أن يلحق ليلا بهيم

(غيره)

تردى أديم الليل تيها بنفسه * وأطمع حتى فى منال الكواكب
وأبدى لرائيه بغرة وجهه * بياض العطايا فى سواد المطالب

(وأنشدنى فخر الدين بن مكانس)

لنا فرس نلاقى منه رفقا * كرفق الوالدين اذا ثملنا
ترانا حين نركبه سكارى * نميل على جوانبه كأنا

(حدث) أحمد بن أبى خالد قال خرج الفيض بن أبى صالح وأحمد بن الجنيد وجماعة من وجوه الكتاب يوما من دار المأمون منصرفين الى منازلهم وكان يوما مطيرا فتقدم الفيض بن أبى صالح وتلاه أحمد بن الجنيد فنضحت دابة الفيض على ثياب أحمد بن الجنيد برجلها من ماء المطر فتأفف أحمد بن الجنيد وقال للفيض هذه والله مسايرة بغيضة وما أدرى حقا أوجب لك التقدم علينا فأمسك الفيض حتى صار الى منزله ثم دعا وكيله فأمر باحضار مائة تخت فى كل تخت

قيص وسر وايل ومبطنة وعمامة وطيلسان ففعل ذلك وقال احمل هذه التخوت على مائة جمال وسر بها الى دار أحمد بن الجنيد وقل له أوجب لنا التقدم عليك أن لنا مثل هذا نهديه اليك اذا أفسدنا ثيابك فان أهديت لنا مثلها قدمناك علينا (قال مؤلف الكتاب رحمه الله تعالى) ضمنا مجلس أنس بزربية قيصون بمنزل المرحوم فخر الدين بن مكانس وكان فيه اذذاك جماعة من أعيان متأدبي الديار المصرية فأطلقنا عنان المذاكره وتجارينا في ميدان المحاضره الى ان استطردنا الى ذكر الخيول وماقيل فيها من منظوم أزهى من المنثور المطلول فقال المرحوم فخر الدين سدواعنا المقاطيع واطربونا بالمواصيل اشارة الى ذكر ماقيل فيها من الرسائل التي أزرت بزهر الخمائل فذكر بعض الحاضرين رسالة القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر التي أوّلها وسيرمن الخيول الرهاوين كما هو على الحسن مشتمل وذكر المرحوم فخر الدين رسالة الشيخ شهاب الدين محمود التي أوّلها وينهي وصول ما أنعم به من الخيل التي وجد الخير في نواصيها وذكر المملوك رسالة الشيخ جمال الدين بن نباتة التي أوّلها وأما الخيل المسيرة وذكر الشيخ بدر الدين البشتكي رسالة العلامة لسان الدين بن الخطيب التي أوّلها وذكر القاضي مجد الدين بن مكانس حسب سؤال الجماعة رسالته التي أولها البلاغة جعل الله أكف مولانا ككرائم الخيل ظهورها عز وبطونها كنزا فما من الجماعة الا من استحسنها وبالغ في شكرها فقال المرحوم فخر الدين ينبغي أن تجمع هذه المقاطيع والرسائل في كراريس ويسميها مجرى السوابق انتهى

كذا بياض بأصل

(الباب الثالث والاربعون في مصائد الملوك ومافيها من نظم السلوك)

ولبعضهم في الفهد

وأهرت الشدق في فيه وفي يده * ما في الصوارم والعسالة الذبل
تنافس الليل فيه والنهار معا * فقمصاه بجلباب من المقل
والشمس مذلقبوها بالغزالة لم * تطلع على وجهه الاعلى وجل

(ابن المعتز فيه)

وعابس الوجه لاالقادحة * تحسبه من قبائل الترك
تخال أثوابه مصندلة * نقطها الغانيات بالمسك

(الارجاني فيه)

وأهرت أدم بدت كاسمها * به الدهر أدم لنا يؤتدم
من النمر خيط على جسمه * أديم تعين لا عن حلم
به علقت شرر لو حته * من نار حدله يضطرم
ففي كل عضو له أعين * تراصد ان هو بالصيد هم
تراه رديفا وراء الغلام * وبالشمس الوجه منه التثم
شبيه سبية جيش غدت * تذيق الكرى مقلة لم تنم
جرى الدمع بالكحل من عينها * فنمنم جلبابها اذ سجم
وقد كاد يخرج من جلده * وراء الطريدة لما اقتحم
فقد شمر الجلد خوفا عليه * أول ما الخالق منه استتم

(ابن الاثير الجزري في الفهود) خرجنا والشمس قد نقص مشرقها عن مغربها وأمنت جمرها وان صارت الى برج عقربها بكل فهد قد حيك اهابه من ضدين بياض وسواد وصور على اشكال العيون فتطلعت الى انتزاع الارواح من الاجساد يبلغ الامد الاقصى في أدنى وثباته ويسبق الفريسة ولا يقصها الا عن التفاته (القول في طبائعه) زعم ارسطو أنه متولد بين أسد ونمرة أو بين لبوة ونمر وفي طبعه مشابهة لطبع الكلب في أدواته وذواته والنوم الذي يعتريه ويقال ان الفهدة اذا حملت وثقل حملها حتى عليها كل ذكر يراها من الفهود ويواسيها من صيده فاذا أرادت الولادة هربت الى موضع أعدته حتى اذا علمت أولادها الصيد تركتها وبهذا الحيوان يضرب المثل في شدة النوم فيقال أنوم من فهد (قال الشاعر) وقد عيره بكثرة النوم

رقدت مقلتي وقلبي يقظا ن يحس الامور حسا شديدا
يحمد النوم في الجواد كما لا * يمنع الفهد نومه أن يصيدا

وليس شئ في جرم الفهد من الحيوان الا والفهد أثقل منه وأحطم لظهر الدابة والاناث أصعب أخلاقا وأكثر جراءة واقداما وفي أخلاقه الحياء وذلك أن الرجل يمر بيده على سائر جسده فيسكن لذلك حتى تصيب يده مكان الثفر فيقلق حينئذ ويغضب ومن خلقه الغضب وذلك أنه اذا وثب على طريدة لا يتنفس حتى ينالها فيحمى لذلك وتمتلئ رئته من الهواء الذي حبسه وسبيله أن يراح ريثما يخرج

النفس وتبرد تلك الغلة و يشق عن قلب الطريدة و يشمم اياه ثم يطعمه منه
ويسقى رى ماء ان كان الزمان قيظا ودون الرى ان كان الزمان بردا وان لم يروح
لم يفلح بعد ذلك واذا أخطأ صيده رجع مغضبا وربما قتل سائسه ومن أخلاقه انه
يأنس لمن يحسن اليه ويقال انه لص من لصوص السباع وهو وان كان وحشيا
فانه يقبل الادب الا أن كبارها أقبل وان تقادمت فى التوحش وأناثها أصيد من
ذكورها ومن طبعه أنه يحب الصوت الحسن و يصغى اليه وربما كان سببا
لصيده ومما ركب فيه ان ما عجز عن التكسب منها الهرم يجتمع على فهد يصيد
لها فى كل يوم شبعها وقال ارسطو والسباع تستنشق رائحة الفهد وتستدل بها
على مكانه وتعجب بلحمه أشد التعجب فهو يتغيب عنها الذلك وربما قرب بعضها
من بعض فيطمع فى نفسه فاذا أحس السبع منه ذلك وثب عليه فأكله وهو
ألطف شما لا رايح السباع القوية من ثم السباع لرائحته الشهية ولا يكاد
يكون على علاوة الريح أبدا وهو يستخفى فى الشجر فاذا مر به ايل ففاجأه وثب
عليه وانشب مخالبه فى اكافه ومص دمه حتى يضعف الايل و يسقط فتجتمع
عليه الفهود فتأكله فان اجتاز به أسد نهض وترك الفريسة له تقربا اليه
والفهد يعتريه داء يسمى خناقة الفهود وقد ألهم انه اذا اعتراه ذلك يأكل العذرة
فيبرأ و ينبغى اذا اصيد أن يغطى رأسه ويدخل فى جوالق ويجعل فى بيت قد وضع
فيه سراج و يلازمه سائسه ليلا ونهارا ولا يدخل عليه غيره فاذا آنس أركبه
ظهر دابة و يطعمه على يده وأول من صاد به كليب بن وائل و يقال همام بن
مرة وكان صاحب لهو وطرب وأول من حملها على الخيل يزيد بن معاوية
وأكثر من اشتهر باللعب بها أبو مسلم الخراسانى وأول من استحسن الحلقة فى
الصيد وأولع بها كثيرا المعتضد والمواضع التى يوجد فيها هذا الحيوان مما يلى
بلاد الحجاز الى اليمن وما يليها الى بلاد العراق ومما يلى بلاد الهند الى تبت والله
تعالى أعلم (القول فى طبائع الكلب) قال المتكلمون فى طباع الحيوان الكلب
لا سبع تام ولا بهيمة تامة حتى كأنه من الخلق المركب لانه لو تم له طباع السبعية
ما ألف الناس واستوحش من البرارى وجانب القفار ولو تم له معنى البهيمة فى
الطبع ما أكل لحم الحيوان وكلب على الناس وانما جعلناه تبعا للفهد وهذه
حالته لمشاركته له فى حرفة الصيد واعتناء الناس بتربيته وتعليمه كما اعتنوا

بالفهد فى ذلك وهو نوعان أهلى وسلوقى ومما يختص به الكلب السلوقى من الطباع وسبب نتاج السلوقى كما حكاه أهل الكلام فى الكلاب أن الكلاب تسفد الذئاب فى أرض سلوقة من أرض اليمن فيتولد بينهما السلوقى وقال آخرون الثعالب والكلب السلوقى له نفس متولعة بتناول ما يرسل عليه ويطلبه بالاحضار خلفه حتى يدركه فيأخذه لهم لان حرصه على الصيد وغضبه ليس من أجل نفسه كما يغضب الفهد لان الجوارح تعمل لانفسها الا الكلاب فانها تكتسب لاصحابها وهى اذا كثرت عليها الآثار واختلطت تتنكب لذلك وتذهب فى كل جهة حتى تستثبت الاثر وتحقق جهته وذلك من حرصها على مطاوعة ربها واستعدادها النكاية أعدائه ومسارعتها التحصيل غرضه الذى ارسلها بسببه ومن أعجب الاحوال فيه انه اذا عاين الظباء قريبة منه كانت أو بعيدة عرف المقبل منها والمدبر وعرف العنز من التيس واذا أبصر القطيع لم يقصد غير التيس لعلمه انه اذا عدا أشواطا لم يستطع البول مع شدة الحصر ورفع القوائم فينقص مدى خطاه ويعتريه البهر فيلحقه الكلب والعنز اذا اعتراها البول فى العدو لم تمسكه وقذفت به لسعة السبيل فلاجل ذلك لا يطلبها ومن عجيب أمره انه يعرف الميت من المتماوت حتى يقال ان الروم لا تدفن ميتا حتى يعرضونه على الكلاب فتظهر من شمه اياه علامة يستدلون بها على حياته أو موته ويقال ان هذا الحذق لم يوجد الا فى كلب يسمى القلطى وهو صغير الجرم قصير القوائم جدا ويسمى الصينى وهو مع هذا لا يبلغ رتبة الذئب فى الشم والاسترواح واناث الكلاب السلوقية أسرع تعلما من الذكور والفهد بالعكس وهذا النوع يعيش عشرين سنة على ما زعم ارسطو وربما لم يبلغ الاناث هذا العمر (دلائل النجابة والفراهة فى الكلاب السلوقية) أما فى الخلقة فطول ما بين الرجلين واليدين وقصر الظهر وصغر الرأس وطول العنق وغضف الاذنين وبعد ما بينهما وسعة العينين وبعد ما بينهما وزرقة العين ونتوء الجبهة وعرضها وقصر اليدين وأما الالوان فيقال السود أقل صبرا على الحر والبرد والبيض أفره اذا كن سود العيون وقد قال قوم ان السود أصبر على البرد وأقوى وكذلك السود من الحيوان (الفراهة فى الجرو) اذا ولدت الكلبة واحدا كان أفره من أبويه وان ولدت ذكرا أو انثى كان الذكر أفره وان ولدت ثلاثة

فيها انثى فى شبه الام كانت أفره من أبويه الثلاثة وان كان فى الثلاثة ذكر واحد فهو أفرهها (قال ابن خفاجة)

ومورس السربال يخلع قده * عن نجم رجم فى سماء غبار
يستن فى سطر الطريق وقد عفا * قدما فيقرا أحرف الآثار
عطف الضمور سربه فكأنه * والنقع يحجبه هلال سرار
يفتر عن مثل النصاب وانما * يمشى على مثل القنا الخطار

(الارجانى)

وعصف يسابق عصف الريا * ح فيسبقه خصرها ان تسم
رياح مجشمة للعيو * ن مقلدة فى طلا هارم
لهن من البيض مصقولة * تسل وتغمد من كل فم
فمن أبيض مثل لون الدمقـ * ـس ومن أصفر أملس كالزلم
وآخر ذى لمع فى السوا * د حكى لونها نفخة فى فحم
يقرط مخلبه اذنه * ويسبق ناظره حيث أم

(القول فى العقاب) وهذا الصنف يؤنث ولا يذكر ويسمى العنقاء على ماذهب اليه أهل اللغة وبهذا القول فسر قول ابى العلاء المعرى

أرى العنقاء تكبر أن تصادا * فعاند من تطيق له عنادا

ولا خلاف عند أهل اللغة فى ذلك وهو ينقسم الى صنفين عقاب ورخم فأما العقاب فمنها فى اللون السود والخوخية والصقع والسقع والبيض والشقر ومنها ما يأوى الجبال ومنها ما يأوى الصحارى ومنها ما يأوى البياض ومنها ما يأوى حول المدن ويقال ان ذكورها من طير آخر لطيف الجرم لا يساوى شيأ والعقاب يبيض فى الغالب ثلاث بيضات ويحضنها ثلاثين يوما وما عداها من الجوارح يبيض بيضتين فى كل سنة ويحضن عشرين يوما وفى طبع الذكر انه يمتحن انثاه هل هى محافظة له أو موافية لغيره من جنسه بأن يصوب بصر فرخيه الى شعاع الشمس فان ثبت عليه تحقق أنهما فرخاه وان لم يصبر عليه ونبا عنه ضرب الانثى كما يضرب الرجل المرأة الزانية وطردها من وكره ورمى بالفرخين وهى تربى فراخها الى ان تقوى على الطيران فتخرجها وتنفيها عن جميع مواضعها ومن عقوقها لفراخها انها لا تحمل على نفسها فى الكسب عليها ومتى كان الذكر

والانثى فى مكانين مجتمعين لايدعان غيرهما من جنسهما يأوى قريبا منه ولا يصيد فيه وهى اذا صادت شيأ لاتحمله على الفور الى مكانها بل تنقله من موضع الى موضع ولا تجلس الا على الاماكن المرتفعة لانها لا تستقل من الارض الا بيطأ وعسر واذا صادت الارنب تبدأ بصيد الصغار ثم تصيد الكبار وهى أشد جراءة من سائر الجوارح وأقواها حركة الى الغضب وأسرعها اقداما وأيبسها مزاجا ولذلك هى أحدها وهى خفيفة الجناح سريعة الطيران فهى ان شاءت كانت فوق كل شئ وان شاءت كانت بقرب كل شئ تتغدى بالعراق وتتعشى باليمن وريشها الذى عليها فروتها فى الشتاء وحيسها فى الصيف وربما صادت حمر الوحش وذلك انها اذا نظرت الحمار رمت نفسها فى الماء حتى تبتل جناحاها ثم تتمرغ فى التراب ثم تطير حتى تقع على هامة الحمار ثم تصفق على عينيه بأجنحتها فتملأهما ترابا فلا يبصر حيث يذهب فيؤخذ وهى مولعة بصيد الحيات ولوعها بها كولوع الحيات بالفار وفى طبعها قبل ان تدرب ان لا تراوغ صيدا ولا تعنى فى طلبه ولا تزال موفية على شرف عال فاذا رأت سباع الطير قد صادت شيأ انقضت عليه فيتركه لها وينجو بنفسه ومتى جاعت لم يمتنع عليها الذئب وهى شديدة الخوف من الانسان تنظر اليه بقرب منها ويقال انها اذا شاخت وهرمت وثقل جناحها وأظلم بصرها التمست غديرا فاذا وجدته حلقت طائرة فى الهواء ثم تقع فى ذلك الغدير وتنغمس فيه مرارا فيصح جسمها ويقوى بصرها ويعود ريشها ناشأ الى حالته الاولى ومتى ثقلت عن النهوض وعميت حملتها الفراخ على ظهورها ونقلتها من مكان الى مكان لطلب الصيد وتعولها الى ان تموت ومن عجيب ما الهمته انها اذا اشتكت كبدها من رفع الارانب والثعالب فى الهواء أكلت أكبادها فتبرأ وهى تأكل الحيات الارؤسها والطير الا قلوبها ويدل على هذا قول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

ومنقارها الاعلى يعظم ويتعقف حتى يكون سبب هلاكها لانها لا تنال به الطعم حينئذ وأول من صادبها أهل المغرب وانما رغبتهم فيما رأوا من شدة شرهها وعظم سلاحها وصفة المحمود منها وثاقة الخلق وثبوت الاركان وحمرة اللون وغؤور الحماليق وان تكون صقعاء عجزا وهى التى تكون على علوتها بياض

واجودها ماجلب من شرب وجبال المغرب (ابن نباتة)

أتيت اليها وهو كالفرخ راقد * فيا خجلى لما دنوت واقلالى
فقلت امرسيه بالاصابع فالتقى * لدى وكرها العناب والحشف البالى

(القول فى طبائع البازى) وتنقسم الى خمسة أصناف البازى والزرق والباشق والعقصى والبيدق والبازى أحرّها مزاجا لانه قليل الصبر على العطش ومأواه مساقط الشجر العادية المتلفة والظل الظليل ومطرد المياه وهو لا يتخذ وكرا الا فى شجرة لها شوك مختلفة الجون يطلب بذلك السكن ولا يقع فى شتاء ولا صيف على أغصانها ولا أطرافها واذا أراد أن يفرخ بنى لنفسه بيتا وسقفه تسقيفا لا يصل اليه منه مطر ولا ثلج اشفاقا على نفسه من البرد والحر ولهذا اذا أخطأ صائده وكان فى برية لا شجر فيها طار ممتنعا حتى يلج كهفا من جبل أو جدار من الارض ليسكن فيه ولذلك علق عليه الجرس كيما يدل على موضعه ان خفى وهو لا يطيق البرد ولا الحر لرقة جوانحه فسبيله فى البرد أن تقرب منه النار ليدفأ أو يجعل تحت كفيه فى الشتاء وبر الثعلب واللبود وسبيله فى الحر أن يجعل فى كن كنين من السموم بارد النسيم ويفرش له الريحان والخلاف وهو خفيف الجناح سريع الطيران يلف طيرانه كالتفاف الفاختة ويسهل عليه ان يزج نفسه صاعدا وهابطا وينقلب على ظهره حتى يلتقم فريسته وسبيله ان يضرأ على صيد الدراج والنحج ان كان طويل المنسر واذا كان قصير المنسر فسبيله ان يضرأ على طير الماء والحبرج والاناث من هذا الصنف أجرأ على عظام الصيد من ذكورها قال أصحاب البيزرة فى الكلام على الاناث من البزاة اذا كان وقت سفادها وهياجها يغشاها جميع أجناس الحيوان الضوارى كلها الزرق والشاهين والصقر وانما تبيض من كل طير يغشاها ولهذا تجىء مختلفة الاخلاق من الحسن والجراءة والخبث والغدر والذكاء والقوة والضعف والحسن والقبح والشراهة ولهذا البازى لا يترك ما بين العصفور الى الدراج والكراكى وصفة الفاره منه أن يكون قليل الريش أحمر العينين حادهما وان يكونا مقبلتين على منسره وجؤجؤهما مطلان عليهما لا يكون وضعهما فى جنبى رأسه كوضع عين الحمام والاورق دون الاحمر العين والاصفر دونهما وسعة الاشداق دليل على قوة الافتراس (ومن صفاته المجودة) ان يكون طويلا

عريض الصدر بعيدما بين المنكبين شديد الانخراط الى ذنبه وان تكون فخذاه طويلتين ممر ولين بريش وذراعاه قصيرتين غليظتين وأشاجع كفيه عاريه وأصابعه متفرقة لا تكون مجتمعة ككف الغراب ومخالبه اسود ومنسره اسود رقيقا وأنفر الالوان البيض ثم الشهب وهما لونان يدلان على الفراهة والكرم وأما الاسود الظهر المنقش الصدر بالسواد والبياض فهو يدل على الشدة والصلابة فان اتفق ان يكون أحمر العينين وكثيرا ما يتفق كالنهاية وهذا اللون فى البزاة كالكميت من الخيل لانه يدل على الشدة والاحمر من هذا الصنف أحسن البزاة لانه فيها كالسوسى من الخيل بعيد من الصلاح وأول من صاد بهذا الجارح لزرتق أحد ملوك الروم الاول وذلك انه رأى بازيا اذا علا كنف واذا أسفل أخفق واذا أراد أن يسمو ذرق فاتبعه حتى اقتحم شجرة ملتفة كثرة الدغل فأعجبته صورته فقال هذا طائر له سلاح تتزين بمثله الملوك فأمر بجمع عدة من البزاة فجمعت وحصلت فى مجالسه فعرض لبعضها ثم فوثب عليه فقتله فقال ملك يغضب كما تغضب الملوك ثم أمر به فنصب على كندرة بين يديه وكان هناك ثعلب فمر به مجتازا فوثب عليه فما أفلت منه الا جريحا فقال هذا جبار يمنع حماه ثم أمر به فضرى على الصيد واتخذته الملوك بعد (ابن الاثير فى البزاة) وأطلقت لك البزاة بعد أن ذكر اسم الله على اطلاقها وتعلقت بما فوقها من الطيور حتى كأنما هى أطواق فى أعناقها (ومن رسالة لابى اسحق ابراهيم بن خفاجة يصف بازيا طائرا يستدل بظاهر صفاته على كرم ذاته طورا ينظر نظرا لخيلاء فى عطفه كأنما يزهى به جبار وتارة يرمى نحو السماء بطرفه كأنما له هناك اعتبار وأخلق به أن ينقض على قنيصة شهابا ويلوى ذهابا ويحرقه مواقد والتهابا جيد العين والاثر حديد السمع والبصر يكاد يحس ما يجرى ببال ويسرى فى خيال قد جمع بين عزة مليك وطاعة مملوك فهو بما يشتمل عليه من علو الهمه ويرجع اليه بمقتضى الخدمه مؤهل لابراز ما تقتضيه شمائله وايجاب ما تعديه مخائله وخليق بحكم تأديبه وجودة تركيبه ان لو مثل له النجم قنصا أو جرى للبرق فرصا لاختطفه أسرع من لحظه وأطوع من لفظه وانتشبه أمضى من سهم وأجرى من وهم وقد أقسم بشرف جوهره وكرم عنصره لا يوجهه مسفرا الا وعاد قنيصه معفرا وآب الى يد

من أرسله مظفرا مورد المخلب والمنقار كأنما اختضب نحبا أوكرع فى عقار (وصفاته المحمودة) أن يكون صغيرا فى المنظر ثقيلا فى الميزان طويل الساقين قصير الفخذين عظيم السلاح بالنسبة الى جسمه (القول على الصقر) وهو من الجوارح بمنزلة البغال من الدواب لانه أصبر على الشدة وأحمل لغليظ الغذاء وأحسن الفا وأشد اقداما على جلة الطير من الكراكى والجوارح ومزاجه أبرد من سائر ما تقدم وأرطب وذلك معروف من ركوده وقلة حركته وعدم التفات ريشه وبهذا السبب يضرأ على الغزال والارنب ولا يضرأ على الطير لانها تفوته وفعله فى صيده الانقضاض والصرم وهو غير صاف بجناحه ولا خافق به ومتى خفق بجناحه كانت حركته بطيئة بخلاف البازى وتقول أصحاب البيزرة انه أهدى نفسا من البازى وأسرع أنسا بالناس وأكثرها رضا وقناعة وهو يغتذى بلحوم ذوات الاربع وابرد مزاجه لا يقرب المياه ويعافها ولو لم يجدها الدهر ما أرادها ولاجل ذلك يوصف بالبخر ونتن الفم وفى طبعه انه لا يركب الشجر ولا شوامخ الجبال ولا يأوى الا المقابر والكهوف وصدوع الجبال وفيه جبن ونفسه دون سدته ولذلك يضرب الغزال والارنب ويهرب منه ولا يكاد يعلق بفريسة فاذا فارقها عاد اليها منقضا فيضربها ويرقى هاربا وكلما تقدم ذكره ينقى بالماء ويغتسل وهو ينقى بالتمعك فى الرمل (وصفاته المحمودة) أن يكون أحمر اللون عظيم الهامة واسع العينين تام المنسر طويل العنق والجناحين رحب الصدر ممتلئ الزور عريض الوسط جليل الفخذين قصير الساقين والذنب قريب الفقرة سبط الكف غليظ الاصابع فيروزجيها أسود اللسان وأول من صاد به وضراه الحرث بن معاوية بن ثور بن كندة فانه وقف يوما على صياد قد نصب للعصافير شبكة فانقض صقر على عصفور قد علق منها فجعل يأكله والحرث يعجب فأمر فأتى به وقد اندق جناحاه فرمى به فى كسر بيت ووكل به من يطعمه قدرته حتى صار اذا أتى اليه باللحم ودعاه أجاب ثم صار يطعمه على اليد ثم صار يحمله لانسه به فبينما هو يوما يحمله اذ رأى حمامة فطار عن يده اليها فأخذها وأكلها فأمر الحارث باتخاذها والتصيد بها فبينما هو يوما يسير اذ لاحت له أرنب فطار الصقر اليها وأخذها فلما رآه يعاقب بين الطيور وبين الارانب ازداد الحرث فيه محبة واغتباطا

واتخذته العرب بعده (وقال) كشاجم فيه

ه دونا وطرف النجم وسنان غائر * وقد نزل الاصباح والليل سائر
بأجدل من حر الصقور مؤدب * وأكرم ما قربت منه الاحامر
جرى على قتل الظباء وانثى * ليعجبنى أن يكسر الوحش طائر
قصير الذنابى والقدامى كأنها * قوادم نسر أو سيوف بواتر
ونقش منه جؤجؤ فكأنه * أعارته أعجام الحروف الدفاتر
فما زلت بالاضمار حتى صبغته * وليس يحوز السبق الاضوامر
وتحمله منا أكف كريمة * كما زهيت بالخاطبين المنابر
وعن لنا من جانب السفح ربرب * على سنن تستن منه الجاآذر
فلى وحلت عقدة السير فانتحى * لاولها اذ أمكنته الاواخر
يحث جناحيه على حر وجهه * كما فصلت فوق الخدود المعاجر
وماتم رجع الطرف حتى رأيتها * مصرعة تهوى اليها الخناجر

(القول على الشاهين) تقول أصحاب البيزرة الشاهين من جنس الصقر الا انه أبرد منه وأيبس ولاجل ذلك تكون حركته من العلو الى السفل شديدة وليس يحلق فى طلب الصيد على خط مستقيم وانما يحوالثقل جناحه حتى اذا سامت فريسته انقض على فريستها ويا من علوالى سفل فضربها وقاربها يطلب الصعود وان سقطت على الارض أخذها وان لم تسقط عاد وضربها التسقط وذلك دليل على جبنه وفتور نفسه وبرد مزاج قلبه وعلى كل حال فالشاهين أسرعها وأخفها وأشدها ضراوة على الصيد الا أنهم عابوه بالاباق وربما يعتريه من الحرص حتى انه ربما ضرب بنفسه الارض فمات ويقولون ان عظامه أصلب من عظام سائر الجوارح ولذلك هو يضرب بصدره ويعلق بكفه وقال بعض حذاق هذا الفن الشاهين كاسمه يعنى الميزان لانه يحمل أدنى حال من الشبع ولا أيسر حال من الجوع (والمحمود من صفاته) أن يكون عظيم الهامة واسع العينين حادهما تام المنسر طويل العنق رحب الصدر ممتلئ الزور عريض الوسط جليل الفخذين قصير الساقين قريب الفقرة من الظهر قليل الريش لينه تام الخوافى رقيق الذنب اذا صلت عليه جناحاه لم يفضل عنهما شئ منه فان كان كذلك فهو يقتل الكراكى ولا يفوته صيد كبير وزعم أهل

الاسكندر أن السود منها هي المحمودة وأن السواد أصل لونها وانما قلبته الغربة فحال ويكون فيها الملح ويقال ان أول من صاد بها قسطنطين ملك عمورية حكى انه خرج يوما يتصيد بالبزاة حتى انتهى الى خليج القسطنطينية وهو المسمى بحر بنطش فعبر الى مرج بين الخليج والبحر فنظر الى شاهين ينكفئ على طير الماء فأعجبه ما رأى من سرعته وضراوته والحاحه على الصيد فأمر له أن ينصب له حتى صيد فأخذه وضرّاه ثم ريضت له بعد ذلك الشواهين وعلمت أن تحوم على رأسه اذا ركب فتظله من الشمس فكانت تنحدر مرة وترتفع أخرى فاذا نزل وقفت حوله (الوصف والتشبيه قال صلاح الدين الصفدي ملغزا في بجع)

ما طائر في قلبه * يلوح للناس عجب
منقاره كبطنه * والرأس منه في الذنب

(محيي الدين) بن عبد الظاهر

بي من أمير شكار * هو يذيب الجوانح
لما حكى الظبي حسنا * حنت اليه الجوارح

(نقلت من كتاب المصائد والمطارد) لابي الفتح كشاجم قيل لمن كان مدمنا للصيد من حكماء الملوك انك قد أدمنت هذا وهو من خير الملاهي وفيه مشغلة عن مهم الامور ومراعاة الملك فقال ان للملك في مداومة الصيد حظوظا كثيرة أقلها تنبهه في أصحاره مواقع العمارة من بلاده في النقصان والزيادة فان رأى من ذلك ما يسره بعثه الاغتباط به على الزيادة فيه وان رأى أمرا ينكره جرّد عنايته له ووفرها على تلافيه فلم يستتر عنه حال ورأس الملك العمارة ولم يخرج ملك للصيد فيرجع بغير فائدة أما حداثة خيله فيمرنها ويكفه من عرب جماحها وأما شهوته فينشها وأما فضول بدنه فيذيبها واما مراودة ومفاضلة فيسلها واما ان يكون قد طويت عنه حال مظلوم فيتمكن من لقائه ويرجع اليه ظلامته فيسلم من مأثمه واما أن ينكفئ بصيد يتفاءل بالظفر به الى خلال كثيرة لا يجهل ما فيها من الربح ومنه من فضل العلم بالصيد والعادة ما حكاه لي أبي عن أبي اسحق ابراهيم بن السدى عن عبد الملك بن صالح الهاشمي عن خالد بن برمك أنه كان نظر وهو مع صالح صاحب المصلى وغيره من رجال الدعوة وهو على سطح قرية نازل مع قحطبة حين قفلوا من خراسان و بيتهم و بين عدوهم

مسيرة ليال وأيام الى أقاطيع ظباء مقبلة من البر حتى كادت تخالط العسكر فقال لقحطبة نادفى الناس بالاسراج والالجام وخذ الاهبة فتشوف قحطبة فلم يرشيأ يروعه فقال لخالد ما هذا الرأى فقال أما ترى هذه الوحوش قد أقبلت ان وراءها جمعا يكشفها فما تمالك الناس أن تأهبوا حتى رأوا الطليعة ولولا علم خالد بالصيد لكان الجيش قد اصطلم * ووقف بعض الملوك بصومعة حكيم من الرهبان فاستجاب له فقال له ما اللذة قال كاثر اللذات أربع فعن أيهن تسأل قال صفهن لى قال هل تصيدت قط قال لا قال ألك حظ بالسماع والشراب قال لا قال فهل فاخرت ففخرت أوكاثرت فكثرت قط قال لا قال وما بقى من اللذات (الجوارح أربعة) البازى والشاهين والصقر والعقاب وما يضاف اليها فنقتصر على ذكر هذه الاربعة اذا كانت أركان الجوارح ومعتمد الملوك عليها فالمبدأ به منها البازى يقال باز وبزاة مثل قاض قضاة و بيزان كغاز وغيزان وبازى وبوازى (قال لبيد بن ربيعة)

لقيت لنا بوازى صائدات * وطير كى فى مكامنها لبود

وأول من تهدى الى الصيد به تقدم ذكره ولا يعرف لحرصه حوصا ولا لجده جدا وفى أخبار نصر بن سيار أن بعض كبراء الدهاقين غدا عليه بطبرستان ومعه منديل فيه شئ ملفف فكشف عنه بين يديه فاذا فيه هيئة شلو باز ودراجة محترقين فقال نصر ما هذا فقال الرجل خرجت ومعى هذا البازى وثارت دراجة فاضطرب عليها وأحست به وقد كنت مررت بقصباء أفسدت أرضا لى فأمرت باحراقها فاضطرمت فتحاملت الدراجة حتى اقتحمت النار هاوية واشتد قربه اليها فلم تثنه النار عنها واقتحم فى أثرها فأسرعت فيهما فأدركتهما النار واحترقا فأحضرتهما للامير ليرى بهما ثمرة افراط الحرص وافراط الجبن وما أحسن صورة اجتمع فيها ثلاث بزاة على ظهر فرس فى كف رجل واختلف رأى الملوك فيما مثلته فى تيجانها ولباسها فكانت أمثلة تاج ملك جيلان ولباسه صورة بزاة فقيل له فى ذلك فقال وجدت الانسان يحمله الفرس ووجدت البازى يحمله الانسان امثال عليه لذته وبغيته وطرده ووجدته أرضا ملك نوعه واذا كنت أجله جمعا فى الحقيقة فلا أعاب به فانا فى تمثيله وجعله مثالا فى لباسى وحلتى أعذر (ومن فضائله) ان الصيد فيه طبع لانه يؤخذ فرخا من وكره من

غيرأن يكون حذق ولا تصيد مع أبويه فيصيد ابتداء من غير تضرية ولا استجابة وليس ذلك في الصقر والصقر بعكسه ومن ملح أخباره وأمثاله أن خالد بن برمك قال بينا أبو أيوب الكاتب جالس في أمره ونهيه اذ أتاه رسول المنصور فامتقع لونه فلما رجع تعجبنا من حاله فقال أنا أضرب لكم مثلا زعموا أن البازي قال للديك ما في الارض حيوان أقل وفاء منك قال وكيف ذلك قال أخذك أهلك بيضة فحضنوك ثم خرجت على أيديهم وأطعموك في أكفهم ونشأت بينهم حتى اذا كبرت صرت لا يدنو اليك أحد الا طرت مرة كذا ومرة كذا وصوّت وحذرت وانا مسوني من الجبال فعلموني وألقوني في الهواء فآخذ صيدي فأجيء به الى صاحبي فقال له الديك انك لو رأيت من البزاة في سفافيدهم مثل الذي رأيت من الديوك لكنت أنفر مني ولكنكم أنتم لو علمتم ما أعلم ما تعجبتم من خوفي مع ما ترون من تمكن حالي وأقول ان هذا المثل يتصل به معنى حسن لكفاة السلطان وأعوانه وهو أنه ينبغي لتابع السلطان أن يجتهد في توفير الحظ واجتلاب المنافع اليه حتى يكون كالبازي الذي دفع عن نفسه ما وقع الديك فيه برغبة صاحبه في كسبه ووده ولم يقنع له بالسلامة حتى أكرمه بالدستبان وأركبه يده وحلاه الجلاجل وأطعمه من خالص كسبه ومن غير كسبه وعجز الديك عن هذه الفضائل والمكاسب واقتصر على شهوة السفاد والترفه والاقفاظ فحل به ما حل (أمارات الجراءة فيه) يمتحن ذلك بان ينصب في بيت مضيء ثم يقطع عنه الضوء ويسد ما يدخل اليه من النور فاذا أظلم البيت دنوت من البازي فلمسته مسرعا فان وثب على يدك وقبضها فهو جريء بصيد عظام الطير وان تقبض وسكن فليس كذلك ومن أمارات القوة أن يشد في زاوية البيت وينظر أين يبلغ بزرقه من الحائط فأرفعها زرقا أشدها قوة وتدل قوته على طيرانه وصيده (ومن ملح ما ورد في التعريض باسمه) ما قاله بعض التميميين لرجل من نمير ما أحسن صيد البازي فقال له النميري لا سيما اذا أرسل على القطا أراد التميمي

انا البازي المطل على نمير * أتيح من السماء لها انصبابا

وأراد النميري

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت

(قلت) وما أحسن جواب بعض الشعراء وقد حضر بين يدي أمير يمدحه

فقال له الامير ممن الرجل فقال من بنى تميم فقال الذين يقول فيهم القائل

* تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * فقال بتلك الهداية جئتك فجعل الامير وسأله كتمانها بعد الاجازة (الاوقات المحمودة للصيد) يوم الغيم الذى لامطر فيه ويوم المطر للقصف ويوم الصحو للقاء الناس والملوك تغلس للطرد لان الطرائد فى ذلك الوقت تكون رابضة فتستثار وفيها أثر النوم وأما يوم الصيد فالسبت (وقد قيل فى ذلك)

لنعم اليوم يوم السبت حقا * لصيد ان أردت بلا امتراء

والاختيار فى باب النجوم فهو اختيار الحروب والوجه أن يكون صاحب السابع فى الطالع فيكون المتبوع مأسورا ويكون القمر مناظر الاحد السعدين أو متصلا به فى برج ذات أربع قوائم قال أبو سهل النوبختى وصاحب الطالع فيه الزهرة والمشترى يسعدها بنظره وهذا معدن من معادن علم النجوم (الشيخ جمال الدين بن نباتة) يقرض رسالة بندقية ومن بندقية لها الشرف الرفيع على كل قول والطرف البعيد على كل ذى صوغ من اللفظ وصول وصف فيها الرياض فكأنما وصف كلامه وذكر فيها الواجب فكأنما ذكر بحقوق هذه الصناعة قيامه فيا قوس السماء بدا فى مصاغات غلائله ورمى ببندق برده الجذب فى مقاتله بأبهج من وصفه لتلك القسى المذبحة الجافيه المتعطفة الجانية الا على الطير الممتنع الصائبة بعيون أوتارها شمله المجتمع قسى قاسية الجوانح لينة الا على الجوارح طالعة أهلتها بفناء السوانح والبوارح مبتذلة مكرمه صامتة الا انها الذوات الجوارح مكلمه قادرة على العطاء والعطب باهرة الفضائل التى لولا بدائع الصنع لما نبتت منها فى عصب قد ألفت الرياض فلبست بعض بردوها وطلبت شأو السماء فنثرت مثل عقودها تقوم بالواجب وتعين بعين وحاجب وتأخذ على الطير المطار وتذكر قيامها تحته وهى غصن فتطالبه بأوتار كأن كل قوس منها حاجبان وقبضته البلج وكأن بندقها طالب ما فتح باب نجاح وجناح الاوج وج ومن غزالية غزلية براعية أسلية تقنص فيها شوارد الحكم وقيدوا وأبدأ المعانى بجناح القرطاس ومخلب القلم وتصرف من تقريظ مواطن الصيد فى باب المدايا والمنايح وتلطف فى الاقوال التى لو شاء لعطفت عليها الظباء السوانح وأنى

بعيون الدر التى نظمت وفنون الحلل التى رقمت لا بالجزع الذى لم يثقب من عيون الوحش ولا بعناديل أعراف الجياد التى غيرها المس والمش حتى عرف البلغاء أنها أقوى على دفع الخطب ومجمع الخطب وأن أقلامهم اذا شاركت قلمه فى المعانى كان منه الصيد ومنها الحطب وان غزالا وصفه قد سرف على الغزاله وزهى بما حشده من التقريظ وغزاله فلو استطاع الشكر منه كما لسطر مدحه فكان الخط دواة والقرن قلما على أن عدل قلمه لو شاء لم ترع ظبية فى مداها ولم تخف من مناسر البزاة حد مداها ولم تبلغ يد منهم من ريم مراما ولكانت عينه بل كل عين فى جسده من أعين الظباء حراما (وله فيها)

اسعد بها يا قرى برزة * سعيدة الطالع والغارب

صرعت طيرا وسكنت الحشى * فما تعديت عن الواجب

(وللشيخ جمال الدين بن نباتة من رسالة طردية) حاملين قسيا كالأهله لا جرم أنها تقصر لذوات الجناح عمرا متأبطين حرا وآت يقول الطير عن حواملها هذا الذى تسميه العرب تأبط شرا (ومن انشاء القاضى شهاب الدين محمود الحلبى) وبرزنا وشمس الاصيل تجود بنفسها وتسير من الافق الغربى الى موضع رمسها وتغازل عيون النور بمقلة أرمد وتنظر الى صفحات الورد نظر المريض الى وجوه العود فكأنها كئيب أمسى من الفراق على فرق أو عليل تقضى بين محبيه بقايا مدة الرمق وقد اخضلت عيون النور لوداعها وهم الروض بخلع حلته المموهة بذهب شعاعها

والطل فى أعين النوار تحسبه * دمعا تحير لم يرقى ولم يكف

كلؤلؤ ظل عطف الغصن متشحا * بعقده وتبدى منه فى شنف

يضم من سندس الاوراق فى صرر * خضر ويخبى من الازهار فى صدف

والشمس فى طفل الامساء تنظر من * طرف غدا وهو من خوف الفراق خفى

كعاشق سار عن أحبابه وهفا * به الهوى فترآهم على شرف

الى ان بضا المغرب عن الافق ذهب قلائدها وعوضه عنها من النجوم بخدمها وولائدها فلبثنا بعد آداء الفرض لبث الاهله ومنعنا جفوننا أن ترد النوم الا تحله ونهضنا وبرد الليل موشع وعقده مرصع وا كليله مجوهر وأديمه معنبر وبدره فى خدر سراره مستكن وفجره فى حشا مطالعه مستجن كأن امتزاج

لونه بشفق الكواكب خليط مسك وصندل وكأن ثرياه لامتداده معلقة
بامراس كتان الى صم جندل

ولاحت نجوم الليل زهرا كأنها * عقود على خود من الزنج تنظم
محلقة فى الجو تحسب أنها * طيور على نهر المجرة حوم
اذا لاح بازى الصبح وات يؤمها * الى الغرب خوفا منه بسر ومزيم

اى حدائق ملتفه وجداول مختلفه اذا جش النسيم غصونها اعتنقت عناق
الاحباب واذا فرك من المياه متونها انسابت فى الجداول انسياب الحباب
ورقصت فى المناهل رقص الحباب وان لثم ثغور نورها حيته بأنفاس المعشوق
وان أيقظ نواعس ورقها غنته بألحان المشوق فنسيمها وان وشميمها بعرف
الجنان عنوان وورد هامن سهر نرجسها غيران وطلها فى خدود الورد مهتد
وفى طرز الريحان حيران وطائرها غرد وماؤها مطرد وغصنها تارة يعطفه
النسيم اليه فينعطف وتارة يعتدل تحت ورقائه فيظنها قوم همزة على ألف
مع مافى تلك الرياض من توافق المحاسن وتباين الترتيب اذ كلما اعتل النسيم صح
نشر الروض وكلما نوّ الماء شمخ القضيب

وكأنما تلك الغصون وقد ثنت * أعطافها رسل الصبا أحباب
فلها اذا افترقت من استعطافها * صلح ومن سجع الحمام عتاب
وكأنها حول العيون موائسا * شرب وهاتيك المياه شراب
فغديرها كأس وعذب نطاقها * راح وأضواء النجوم حباب

تحيط بها ق ماؤها صاف وظلال دوحها ضاف وحصباؤها بصفاء مائها فى
نفس الامر را كد وفى رأى العين طاف اذا دغدغها النسيم العليل حسبت
ماءها بتمايل الظلال فيه يتبرح ويميل واذا اطردت عليه أنفاس نسيم الصبا
ظننت أفياء تلك الغصون هوى يمثلها فى قلبه وكأن النسيم أيضا كلف بها غار
من دنوها اليه فيلها عن قربه والسرو مثل عرائس لفت عليهن الملاء شمرن فضل
الازر عن سوق خلاخلهن ماء والنهر كالمرآة تبصر وجوهها فيه السماء وكأن
صواف الطير المبيضة بتلك الملق خيام أوقباب على الرقتين قيام وأباريق
فضة رؤسها الماقدام ومناقيرها المجرة أول ما أنسكب من المدام وكأن رقابها
رماح أسنتها من ذهب أوشموع أسود رؤسها ما انطفى وأحمره ما التهب وكنا

كالطبر الجليل عده وكطراز العمر الاول جده

من كل أبلج كالنسيم لطافة * عف الضمير مهذب الاخلاق
مثل البدور ملاحة وكعمرها * عددا ومثل الشمس فى الاشراق

ومعهم قسى كالغصون فى لطافتها ولينها والاهلة فى نحافتها وتكوينها والازهار فى ترافتها وتلوينها بطونها مدبجه ومتونها مدرجه كأنها كوكب الشولة فى انعطافها أو أوراق الطباء فى التفافها لاوتارها عند القوم أوتار ولبنادقها فى الحواصل أوكار اذا انتصبت لطير ذهب من الحياة نصيبه واذا انتضت لرمى بدت لها أنه أحق بها أن تصيبه ولعل ذلك الصوت زجر لبندقها ان يبطئ فى سيره أو يخطئ الغرض الى غيره أو وحشة لمفارقة أفلاذ كبدها واسف على خروج بنيها عن يدها على أنها طالما نبذت بنيها بالعراء وشفعت لخصمها التحذير بالاغراء

مثل العقارب أذنابا معقدة * لمن تأملها أوحقق النظرا
ان مدها قرنهم وعاينه * مسافر الطير فيها وانبرى سفرا
فهو المسيء اختيارا اذ نوى سفرا * وقد رأى طالعا فى العقرب القمرا

ومن البنادق كرات متفقة السرد متحدة العكس والطرد كأنما خرطت من المندل الرطب أو عجنت من العنبر والورد تسرى كالشهب فى الظلام وتسبق الى مقاتل الطير مسددات السهام

مثل النجوم اذا ما سرن فى افق * عن الاهلة لكن نونها راء
من فاتها من نجوم الليل ان رمقت * الاثبات يرى فيها وأضواء
تسرى ولا يشعر الليل البهيم بها * كأنها فى جفون الليل اغفاء
ويسمع الطير اذ تهفو قوادمه * خوافقا فى الدياجى وهى صماء

تصونها جراوة كأنها درج درر أودرج غرر أو كمامة ثمر أو كنانة نبل أوغمامة وبل حالكة الاديم كأنما رقمت بالشفق حلة ليلها البهيم

كأنها فى وضعها مشرق * تنبت منه فى الدجا الانجم
أو ديمة قد أطلعت قوسها * ملونا وانبعثت تسجم

فاتخذ له كل مركزا وتقاضى من الاصابة وعدا منجزا وضمن له السعد ان يصيب مراده محرزا

كأنهم في عين أفعالهم * في نظر المنصف والجاحد
قد ولدوا في طالع واحد * وأشرفوا من مطلع واحد

فسرت علينا من الطير عصابه أظلتنا من أجنحتها سحابه من كل طائر أقلع يرتاد مرتعا فوجدوا الكل مصرعا وآخر يشف بغي ماء جاما فورد والكل السم منقعا وحلق في الفضاء يبغي ملعبا فبات هو وأشياعه للقسي سجدا ركعا فتبركنا بذلك الوجه الجميل وتداركنا أواثر ذلك القبيل فاستقبل أولنا ثم بدره وعظم في نوعه قدره كأنه برق كرع في غسق أو صبح عطف على بقية الدجى عطف النسق تحسبه في أسداف المنى غرة نجح وتخاله تحت أذيال الدجى طرة صبح عليه من البياض حلة وقار وله كرة من عنبر فوق منقار من قارله عنق ظليم والتفت قرم وسرى غيم يصرفه نسيم

كلون المشيب وعصر الشبا * ب ووقت الوصال ويوم الظفر
كأن الدجى غار من لونه * فأمسك منقاره ثم فر

فأرسل اليه عن الهلال نجما فأسقط منهما كريما سقط جما فاستبشر بنجاحه وكبر عند صباحه وحصله من وسط الماء بجناحه وتلاه كي تنقى اللباس مشتعل شيب الراس كأنه في عرانين يشبه لاأولئك كبير اناس ان أسف في طيرانه فغمام وان خفق بجناحه قطع له بيد النسيم زمام ذو عينة كالجراب ومنقار كالحراب ولون نغرفي الدجى كالنجم ويخدع في الضحى كالسراب ظاهر الهرم كأنما يخبر عن عاد ويحدث عن أرم

ان عام في زورق الغدير حسبته * مبيض غيم في أديم سماء
أوطار في أفق السماء ظننته * في الجو شيخا عائما في ماء
متناقض الاوصاف فيه خفة الجـ * ـهال تحت رزانة العلماء

فثنى الثاني اليه عنان بندقه وتوخاه فيما بين أصل رأسه وعنقه فخر كمارد انقض عليه نجم من أفقه فتلقاه الكبير بالتكبير واختطفه قبل مصافحته من الماء وجه الغدير وقارنته أوزة حلتها دكنا وحليتها حسنا لها في الفضاء مجال وعلى طيرانها خفة ذوات التبرج وخفر ربات الحجال كأنما عبت في ذهب أو خاضت في لهب تختال في مشيتها كالكاعب وتتأنى في خطوها كاللاعب وتعطو بجيدها كالظبي الربيب وتتدافع في سيرها مشي القطاة الى الغدير

اذا أقبلت تمشى بخطرة كاعب * رداح وان صاحت فصولة خادم
وان أقلعت قالت لها الريح ليت لى * خفاذى الخوافى أوقوى ذى القوادم
فأنعم بها فى البعد زاد مسافر * وأكرم بها فى القرب تحفة قادم

فلوى الثالث جيده اليها وعطف بوجه قوسه عليها فلحت فى ترفعها معنه ثم نزلت على حكمه مذعنه فأعجلها عن استكمالها الهبوط ورفعها قبل استقرارها السقوط واستولى عليها بعد استمرارها القنوط وحاذتها الغلغة تحكى لون وشيها وتصف حسن مشيها وترى عليها بغرتها وتنافسها فى المجالس كفرتها كأنها مدامة قطبت بمائها أوغمامة سفت عن بعض نجوم سمائها

بغـــرة بيضاء ميمونة * تشرق فى الليل كبدر التمام
وان تبدت فى الضحى خلتها * فى الحلة الدكنا برق الغمام

فنهض الرابع لاستقبالها ورماها عن فلك سعده بنجم وبالها فجدت فى العلو مده وطارت امام بندقه ولولا اطراد الصيد لم تك لذه وانقض عليها من يده شهاب حتفها وأدركها الاجل لخدعة طيرانها من خلفها فوقعت من الافق فى كفه وفرت من ثناياوا صفها عن صفة وأتت فى اثرها أنيسه آنسه كأنها العذراء العانسه أوالارماء الكانسه وعليها خفرالابكار وخفة ذوات الاوكار وحلاوة المعانى التى تجلى على الافكار ولها أنس الربيب واذلال الحبيب وتلفت الزائر المريب من خوف الرقيب ذات عنق كالابريق أوالغصن الوريق قدجمع صفرته النهار الى حمرة الشفق وصدربهى الملبوس شهى الى النفوس كأنما رقم فيه النهار بالليل أونقش العاج بالابنوس وجناح يعجبها من العطب يحكى لونه المندل الرطب لولا أنه حطب مدبجة الصدر تفويفه أضاف الى الليل ضوء النهار لها عنق خاله له من رآه شقائق قد سحت بالانهار فوثب الخامس منها الى الغنيمه ونظم فى سلكه تلك الدرة اليتيمه وحصل بتحصيلها بين الرماة على الرتبة الجسيمه وأتى على صياحها حبرج تسبق همته جناحه ويغلب خفق فؤاده صياحه مدبج المطا كأنه خلع حلة منكبيه على القطا بنظر من ذهب ويخطو على عود من لهب

يزورالرياض ويجفوالحياض * ويشبه فى اللون كدرالقطا
ويهوى الزروع ويلهو بها * فلا يرد الماء الا خطا

فبدره السادس قبل ارتفاعه وأعان قوسه بامتداد باعه فخرّ على آلائه
كبسطام بن قيس وانقض عليه راميه فحصله بحذق وحمله بكيس وتعذر على
السابع مرامه ونبأ به عن بلوغ الارب مقامه فصعد هو وترب له الى جبل
وثبت فى موقفه من لم يكن له برافقته قبل فعنّ له نسر بقوادم شداد
ومناسر حداد وخوافى مداد كأنه من نسور لقمن بن عاد تحسبه فى السماء
ثالث أخويه وتخاله فى الفضاء قبته المنسوبة اليه قد حلق كالفقراء راسه
وجعل مما قصر من الدلوق الدكن لباسه واشتمل من الرياش العسلى ازارا
واختار العزلة ولا تجد له الا فى قنن الجبال الشواهق مزارا قد شابت نواصى
الليالى وهو لم يشب ومضت الدهور وهو من الحوادث فى معقل أشب

مليك طيور الارض شرقا ومغربا * وفى الفلك الاعلى له أخوان
له خال فتاك وحلية ناسك * واسراع أقدام وفترة وان

فدنا من مطاره وتوخى ببندقة عنقه فوقع فى منقاره فكأنما قد هدّ منه صخرا
وتوخى أو هدم به بناء مشمخرا ونظر الى رفيقه مبشرا له بما امتاز به من
فريقه واذا به قد أظلته عقاب كاسر كأنما قد أظلت صيدا قد أفلت من
المناسر ان حطت فسحاب انكشف وان أقامت فكأن قلوب الطير رطبا
ويابسا الدى وكرها العناب والحشف بعيدة ما بين المناكب اذا أقلعت
لحقت فى علوّ كأنما تحاول ثارا عند بعض الكواكب

ترى الطير والوحش فى كفها * ومنقارها ذا عظام مزاله
فلو أمكن الشمس من خوفها * اذا طلعت ما تسمت غزاله

فوثب اليها الثامن وثبة ليث وثق من حركاتها بنجاحها ورماها بأول بندقة
فما أخطأ قادمة جناحها فأهوت كعود صرع أو طود صدع قد ذهب
باسها وتذهب بدمها الباسها وكذلك القدر يخادع الجوّ عن عقابه ويستنزل
الاعصم من عقابه فحملها بجناحها المهيض ورفعها بعد الترفع فى أوج جوّها
من الحضيض ونزلا الى الرفقه بخزاين برج الصفقه فوجد التاسع قد مرّ به
كركىّ طويل السفار سريع النفار شهىّ العراق كثير الاغتراب
يشتو بمصر ويصيف بالعراق لقوادمه فى الجوّ هفيف ولأديمه لون سماء طرأ
عليها غيم خفيف تحنّ الى صوته الجوارح وتعجب من قوته الرياح البوارح

له شية حمراء في رأسه كوميض جمر تحت رماد أو بقية جرح تحت ضماد أو فص عقيق سفت عنه بقايا ثماد ذو منقار كسنان وعنق كعنان كأنما بخوس على عود من ابنوس

اذا بدا في افق مقلعا * والجو في الماء تفاويفه
حسبته في لجة مركبا * وجلاه في الافق مجاذيفه

فصبر عليه حتى جازه مخلبا وعطف عليه مصلبا فخر مضرجا بدمه وسقط مشرفا على عدمه ولطالما أفات لدى الكواسر من أظفار المنون واصابه القدر بحبة من حماء مسنون فكثر التكبير من أجله وحمله راميه من على وجه الارض برجله وحاذاه غرنوق حكاه في زيه وقدره وامتاز عنه بسواد رأسه وصدره له ريشتان ممدودتان من رأسه الى حلقه مفقودتان من اذنه الى مكان سبقه له من الكراكي أوصافه سوى سواد الصدر والراس ان شال رجلا وانبرى قائما ألفيته هيئة برجاس فأصمى العاشر له منصتا ورماه ملتفتا فخر كأنه صريع الاشجان أو نزيف بنت الجان فأهوى الى رجله بيده وأيده وانقض عليه انقضاض الكاسر على صيده وتبعه في المطار ضوغ كأنه من النضار مصبوغ تحسبه عاشقا قد مد صفحته أو بارقا قد بدت لفحته

طويلة رجلاه مسودة * كأنما منقاره خنجر
مثل عجوز رأسها أشمط * جاءت وفي رقبتها معجر

فاستقبله الحادي عشر ووثب ورماه حين حازاه من كثب فسقط كفارس تقنطر عن جواده أو وامق اختب حبة فؤاده فحمله بساقه وعدل به الى رفاقه واقترن به مرزم له في الاسماء معنى معروف ذو منقار كصدغ معطوف كأن رياشه فلق اتصل بشفق أو ماء صاف عاق بأطرافه عاق له جسم من الثلج على رجلين من نار اذا أقلع ليلاقات صبح في الدجى نار فانتحاه الثاني عشر عمما ورماه مصمما فأصابه في زوره وحصله من فوره وحصل له من السرور ما خرج به عن طوره والتحق به شيطر كأن مدته مسطر ينحط كالسيل ويكر على الكواسر كالخيل ويجمع من لونه بين ضدين يقبل منهما بالنهار ويدبر بالليل يتلوى في منقاره الايم كتلوى التنين في الغيم

تراه في الجو ممتدا وفي فمه * من الافاعي شجاع أرقم ذكر

كأنه قوس رام عنقه يدها * ورأسه رأسها والحية الوتر

فصوب الثالث عشر اليه بندقه فقطع الحية ودق عنقه فوقع كالصرح الممرد أو الطرف الممتد وأتبعه عنان أصبح فى اللون ضده وفى الشكل نده كأنه ليل ضم الصبح الى صدره وانطوى على هالة بدره

تراه فى الجو عند الصبح حين بدا * مسود أجنحة مبيض حيزوم

كأسود حبشى عام فى نهر * وضم فى صدره طفلا من الروم

فنهض تمام القوم الى التتمه وأسفرت عن نجح الجماعة تلك الليلة المدهمه وغدا ذلك الطير الواجب واجبا وكمل العدد به قبل ان تطلع الشمس غيبا أو تبرز حاجبا فيا لها حصرت بابها الصوادح فى الفضاء المتسع ولقيت فيها الطير ما طارت من قبل على كل شمل مجتمع وأصبحت أشلاؤها على وجه الارض كفرائد صانها النظام أو مشرب كأن رقابهم من اللين لم يخلق لهن عظام وأصبحنا مثنين على مقامنا منثنين الى مستقرنا ومقامنا * كتب القاضى شهاب الدين بن فضل الله العمرى وهو بين يدى السلطان الى نائب الشام المحروسة صحبة طيور أرسلها اليه من رأس قلمه ولا زالت مواهبنا تخصه بالمزيد وتتحفه بما يريد وتجعل له من الجوارح ما تعترف لها السهام بأنها بغير جناح حيث لا تصيب ولا تصيد صدرت هذه المكاتبة الى الجناب العالى بسلام جميل الافتتاح وثناء يطير اليه وكيف لا يطير قادمه بجناح ونعلمه ان مكاتبته المتقدمة الورود تضمنت التذكار من الجوارح بما بقى من رسمه وجرت عادة صدقاتنا الشريفة أن تحسب فى قسمه وقد جهزنا له الآن منها ثلاثة طيور لا يبعد عليها مطار ولا يوقد للقرى فى غير نهار لقها جذوة نار ولا تؤم صيدا الا وترش الارض بدمه فلا يلحق لها بغبار وهى طائر كم لها من فتك أخذ الطير من منامه وسلب ما تحلى به من رياش الريش ثم تزيا بأحسنه ومنها شاهين كم قيل له عن عزيز من الطير فقال شاهين قد أبدعت قوادمه فى وشمها ورقمت فى أجنحتها معانى النصر فبكت عيون الوحش دماء على رسمها فالجناب يتسلمها من الواصل بها ويتوصل الى الطيور المحلقة فى السماء بسببها واشكر نعمنا التى أقرت النعم لديه وبسطت فى الارض بالتمكين بين يديه ونوعت له من كرمنا من الخير وخولته فيما تقلدناه من الملك من سليمان حتى تفقد الطير والله تعالى يجدد سعوده فى شطور الصدور تترا

وجوده بها يقرى وعهوده فى البطش تارة تريش سهما وتارة تجرّد صقرا ان شاء الله تعالى * نظر رجل الى رام قصير اليد فى صنعته فقعد فى موضع الهدف فقال له ماهذا فقال له لم أرمنك مكانا سالما الا هذا * خرج الحيص بيص الشاعر ليلة من دار الوزير شرف الدين أبى الحسن على بن طراد الزينبى فنبح عليه جرو كلب وكان متقلدا سيفا فوكزه بعقب السيف فمات وكان هبة الله بن الفضل القطان بينه وبين الحيص بيص وقائع فكتب رقعة وعلقها فى عنق كلبة لها جرو ورتب معها من طردها وأولادها الى باب الوزير كالمستغيثة به فأخذت الورقة وقرئت على الوزير فاذا فيها مكتوب

يا أهل بغداد ان الحيص بيص أتى * بفعلة اكسبته الخزى فى البلد

هو الجبان الذى أبدى تشاجعه * على جرو ضعيف البطش والجلد

وليس فى يده مال يديه به * ولم يكن اسوا عنه فى القود

فأنشدت جعدة من بعد ما احتسبت دم الابلق عند الواحد الصمد

تقول للنفس بأسى وتعزية * احدى يدى اصابتنى ولم تكد

كلاهما خلف من بعد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

(قلت) ومن ملح المداعبات ما كتب به الشيخ جمال الدين بن نباتة الى الشيخ بدر الدين حسن الغزى الشهير بالزغارى صورة اجازة أما بعد حمد الله الذى جعلنا من كرم من البشر والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاسئ من فجر وعلى آله وصحبه مانبح الكلب ضوء القمر فقد قرأ على لازال صائدا للحمد من مكمنه صائلا على القرن من مأمنه نازلا منازل العواء فى أحسن افق وأحصنه هذه الفلذة من شعرى قراءة ابتغ بها الاحسان أثرا ودل على جودة القراءة وطالما دل على جود القرى ووجدته قد فاق جروا ولا خطا بابا وافتخر على الكلابى وابنه نسبا وآدابا وبلغت مفاخر قومه على زعم القبائل فلا عمرا بلغت ولا كلابا وعلا ذروة لو سامها ابن كلاب لما قرعها بل ولو نبحها كوكب الكلاب المقدم لما بلغها صوته ولا سمعها والتقى صوت الآداب منه غاد ورائح وامتزج عليها بجوارحه فحبذا ما علم من الجوارح وسعى على ظفر سعيه السريع المديد ونام على المجاراة قرناؤه منام أهل الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد وعلمت أن مكاسب آدابه عظام وأكثر فوائده لباب اذا اختلفت فوائد أهل اليسار

والنظام وان جل ملابسه من جده وكل عزائمه زائدة عن طوقه وجهده وكل رافع طوع طلبه وكل خبير مجحبه من عنده لو قارب كلاب بن ربيعة لسلم اليه زمام المكارم ولو حاور جريرا لما قال للاخطل هجوت كليبا اذا آل دارم ولو دعى الوحش بلفظه لعطف عليه ذووا النفار ولو سابق البرق لما لحق من بديهته الغبار ولو فاخر الدرر وحاكمها الى البحور لا فاتته وأقعدها عن الفخار ولو ميز حال أضداده لكان الكلاب خيرا منها عند ذوى البصائر والابصار تكاد الجمائم تقول أين ضعف سجعنا من قوة هذا النطق الضارى والتبرفي غبار معدنه ينادى أين جواره هذه الطرق من جوار غارى فأجزت له رواية هذه الابيات وحكاياتها وحفظها ورعايتها اتباعا لاشارته واعجابا بما امتازبه على اشباهه من زى النطق واشارته وتمسكا بوفاء بيته الجلية انسابه المغشية أنديته حتى ما نهر كلابه عالما بأنه المفتش على خبايا الفضائل الحامى لمرعى القول حتى ما يذكر الحى وكليب وائل المتسرع فى تصيد شوارد الآداب الناهض بنصرتها وقد قطع بها الدهر لديه أذناب الكلاب السابق حين يفتر سواه ويلبث المتحمل لاعبائها لا كالقرين الذى ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث وذلك عند سفره الحافز وبكوز عزمه الذى هو عن استيفاء القول حاجز وحركته فى أوقات الشتاء الجامده ورحلته فى ليلة من جمادى لا ينبح الكلب فيها غير واحده والله تعالى يجمع له بين الغنيمة والايابه ويفيض على القلوب ثياب مودته الثابت فضلها على كثير من لبث الثياب * ذكر أدبسم بن ابراهيم صاحب ادربجان قال كنت مجتازا على قنطرة الرى فى عسكرى فلما صرت فى وسط القنطرة رأيت امرأة تمشى وقد حملت طفلا لها فى قماطه فصدمها بغل محمل فطرحت نفسها فزعا ووقع الطفل من يدها فى الماء فلما وصل الى الماء غاص زمانا لبعد ما بين القنطرة والماء ثم طفا وسلم من الحجارة والماء يجرى به وأجراف النهر بعيدة عن الماء وفيها أوكار عقبان فحين طفا الطفل رأته عقاب هنالك فانقضت عليه ومسكت بمخالبها فى قماطه وخرجت الى الصحراء فأمرت جماعة أن يركضوا خلف العقاب ففعلوا ومشيت أنا فاذا بالعقاب قد وصلت الى الارض واشتغلت بخرق القماط فأدركها القوم وركضوا خلفها حتى شغلوها عن خرق القماط فطارت وتركت الطفل على الارض فاذا هو سالم يبكى فرددناه الى

أمه * من انشاء المجيد أبي علي بن أبي الشخباء العسقلاني رسالة طردية نقلتها
من خط الوداعي من أصبحت نعمه سوارح واستعبدت منته القلوب
والجوارح فأصبح لها المجد مقرا ولغرائب السودد والثناء مقرا مثل حضرة
مولاي أطال الله بقاه تطلبت له الانفس الثار ونعمت له الملاذ والمسار ومما
يطرف به العبد مولاه أسنى الله قدره وأعلاه انه خرج يوما مع أناس قد وصلوا
برهم بايناس كل منهم يهتز للاكرومه ويأوي الى شرف الارومه على خيل
مسومه مثقفة مقومه من بين جون أدهم أذكى من فارسه وأفهم أغر محجل
وعد مجل كان اسوداد اهابه اذا ضاهى به ليل رمت البلاد شهبه شبهة
العين والارض نهبه اذا زاغ عن سنان أو تعطف اعنان ظننته صد عن
مواصله وانفصل عن مفاصله واشقر كالطراف عبل الاطراف نهد كريم له
سالفة ريم كأنما خرط من عقيق أو تردى برداء من شقيق يجرى كهوج
ويعلو كموج وينزل كوابل ان قرعت عرفه سابق طرفه وان أوردته
الطراد أوردك المراد وكميت كالطود ذي وظيف كذراع العود يلطم الارض
بزبر وينزل من السما بخبر وهملاج أشهب ان زجرته الهب أديمه روضة
بهار بظرمن ليل في نهار ينساب انسياب الايم ويمزق ورا الغيم لا ينبه النائم
لو عبر به ولا يحرك الهواء في مسربه أخفى وطأ من طيف واوطى ظهرا من
مهاد ضيف فلم يزل بنا المسير وكل في طاعة صاحبه أسير الى أن صادفنا واديا
كان لعيوننا باديا فاقطعناه عرضا حتى أتينا أرضا كأنما فرش قرارها
بزبرجد وصيغت نوارها من لجين وعسجد قد رقرقت فيها السحاب دمعها
وأحسنت قيعانها جمعها نسيمها سقيم وظلالها مقيم وماؤها جوري وتربها
شجري فهي تهدي للناشق أنفاس المعشوق الى العاشق كأن غدرانها
في اخضرار رياضها وجداولها في اسوداد بياضها بدور سماء كملت وبروق
في متون غمام تسلسلت طائرها كسالى وظباؤها ارسال ذات قرون معقفة
كأذناب العقارب وبطون مبيضة كالنهار السارب مضمخة الاجساد
بخليط صندل وجساد قد اكتست أطيارها فأغربت وتغنت بلغاتها
فأطربت كأن الاماني فتحت لها أبوابا والرياض خلعت عليها أثوابا اذا
شنجت للبكاء وأعلنت بالمكاء أبت الطباع على نغمات الموصلي في نغمات

البابلى ومجت الاسماع شدو الغريض بمرقى القريض فعند ذلك يممنا ظل شجرة هنالك ذات جدول متكسر فى مسلك متيسر وكأن أعلاه بطن جان وقرارته مساقط در ومرجان فلما وردنا عليها وانضفنا اليها حنت علينا أغصانها حنو الوالد وألحفتنا أوراقها بظل خالد وأتحفتنا من ثمارها بطارف وتالد فأصبنا من ثمرها قليلا ونقعنا بماء جدولها غليلا ثم نهضنا لطلب الاوابد نستثير كوامنها والاوابد وقد يسرنا مقاود الكلاب وشركا فى البحث والطلاب كل كلب منها غلوب ولا رواح الطرائد سلوب ذو خطم مخطوف ومخلب كصدغ معطوف بقوائم كالذوابل ومتن كالغصن الذابل غائب الخصر حاضر النصر كأنما المت هامته من فهر وخوط مادون عينيه بجهر له طاعة تهذيب واخلاس ذيب وتلفت مريب وحذاقة تدريب له من الطرف أوراكه ومن الاسد صوله وعراكه اذا طلب فهو مفتون واذا انطوى فهو نون واذا استرسل فهو خط على الارض مظنون فسنح لاحدها غزال والمقود عنه مزال فاسترسل عليها وهرب وجد فى طلبه فانسرب فأنبرا فى أسلوب مابين سالب ومسلوب اذا مرق الاول كالسهم تبعه الثانى كالوهم فللظبى حذ على جناح وحل وللكلاب انبساط أمل فى سرعة أجل الى أن جمعه وبنفسه فجعه دامى الجروح بادى القروح مستسلما لسلب الروح فعاجلناه بالذكاة وأيقنا بحلول البركات ثم انتحى بعضنا بفهد ذى صدر رحب نهد كأن قرار غمرته فى اختلاط بياضه بسمرته ثوب مصمت معتق مطاق قد فرشت فوقه أقراص عنبر صففتها يد صانع خبير فنبهه ففح فحيح ثعبان وأطلقه على ظبية تدب دبيب عقربان فلما أدركه ناظر الصيد ومرت مرور عيبه فاتت أبصارنا بنفرته وسبق أفكارنا بظفرته والتمها عند الادراك من الكتف الى فرجة الاوراك فشقها شق المزاد ضاقت أفواهها عن خروج المراد وضرعها يضطرب كأن قوائمها تحترب فبادرناه مهللين وذكيناها محللين ثم ملنا الى الطيور وجوارحنا مطلقة السيور فقال رجل من أصحابنا أتبعنا عند أصحابنا ذلك الغدير فيه طير يستدير ينظر من خواة ابره ويحتال فى بروز خبره فاستدللنا عليه بالبراهين الى أن ارتكض قوم من الشواهين أطلقه حامله واقترحت عن شباقته أنامله فر

فى الهواء يتصرف فى الاهواء يذكى جـذا واعمـالا ويطعن يمينا وشمـالا كأنمـا أضـل فريقا أو جهـل طريقا حتى اذا دانى أفق السمـاء مسامتا للمـاء كأنه يسمع الفلك أو يطلب شـيأ هلك طرن من خوفه فانحدر وهو سابق القـدر كأنه صخرة منجنيق أو حجر ارسل من رأس نيق له دوى كدوى الرعد نطق عن الغيث بوعد فانتحى احداهن وقد قرن مداهن فقنعها بيسراه وقد أضحت من يسراه وشيعها بيمناه وقد بلغ منها مناه فدحاها كأنها كره طوحت بها ضربة منكره فذ كيناها تحليـلا وأذقناه منها تعليلا ثم ملنا الى قسى البنادق من كل ناطقة بالوعـد الصادق يعطيك المراد لكرم اعراقها ويمنعك القياد من استغراقها ذات بطن كالحاجب المقرون وظهر قد أثرت فيـه الجنادب القرون قد تعصفر أعلاها فرحا باستعلائه وأحـد ردا ها أسفا على استيلائه ترن عنـد الرشق رنين مصابها ويتشكى اليم أوصابها بل يسجـع للنبض سجـع الحمـامه وينظر عنـد النقص نظر زرقاء اليمامه ألوان أوعيتها مختلفه وأكوان تسـيرها مؤتلفه كأنها مجارى أنهار بين طرائق أزهار فسرنا صفوفا فوافينا الطيور رفوفا فلما قطعت فى عراضنا وصارت منا كأعراضنا قلبت نحوها القسى أبصارا واتخذت من البندق رسلا وأنصارا فرشقناها بسهامها واصرع أكثرها ومثلـين نجرت تتهافت وأجنحتها تنقبض وتتـكافت كأنمـا أسبقت الى أقواتها واستنزلتهـا الفراخ بحسـن أصواتها فبادرناها مكبرين وانعم الله عليها مكثرين ووا جرناها غصص المنايا بمدى معوجـة كالحنـايا وأصليناها نارا تلظى تشقى بجميمها وتحظى كأنهـا عبـدة أوثان أو متخذة لها ثان فسبحان من أحل سفك دمائها وأحل للبشر سبك ذمائها والسـلام (السـيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين ابن الامدى) فى الفهد

اذا طلب الغزلان فهو منون * وان دار فى طرس الفلاة فنون
وكيف يضل الوحش عنه وجلده * بسودذاك النقط فيـه عيون

(وله) فى الصقور

وكأنمـا فوق الاكف فوارس * فى الخافقين يجلن بين خوافق
أكثرن لبس السابغات أماترى الصـدأ الحديد لهن فوق عوائق

(من الكلام الفاضلى) انى رغبت الى مولانا لازالت المرغبات اليه مرفوعه وثمراتها كثمرات الجنة لامقطوعة ولاممنوعه فى الاحسان بشاهين يجعل وكيل مطبخى لكثرة مايجلب اليه من الخير واستنيبه عن صاحب صالح فهو قدار الطير لا يعتصم منه بغير حتفها ولا تلوذ الحمامة بعوسجها قد رقمت يد القدرة على جؤجؤه ديباج أسطره وعرفت أقلامها نون منسره فكأنما عقد ليحسب ما صاد لمرسله ويوفيه حساب عمله وكأنه منجل أرسل على الطير بحصاد أجله تأتى بالرزق رغدا وتتخذ عند كل فم يدا ان عاش فأجنحته للطيور كالقيود وان نوى ورث السهام ريشه فهو ولى عهده فى الصيرد وما أجدر الطير بأن تقول لا تجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ومن لا يقنع برزقه فى الارض حتى يطالب به فى السما * طرديه الشيخ جمال الدين بن نباتة التى سماها فرائد السلوك فى مصائد الملوك * أثنى شذى الروض على فضل السحب واشتملت بالوشى أرداف الكتب ما بين نور مسفر اللثام وزهر يضحك فى الاكمام ان كانت الارض لها ذخائر فهى لعمرى هذه الازاهر قد بسطتها راحة الغمائم بسط الدنانير على الدراهم احسن بوجه الزمن الوسيم تعرف فيه نضرة النعيم وحبذا وادى حماة الرحب حيث زهى العيش به والعشب أرض السنا والبها والمرح والامن واليمن ورايات الفرح ذات النواعير سقات الترب وأمهات عصفه والاب تعلمت نوح الحمام المتف أيام كانت ذات فرع أهيف فكلها من الحنين قلب وكيف لا والماء فيها صب لله ذلك السفح والوادى الغرد والماء معسول الرضاب مطرد يصبو بها الرائى فكيف السامع ويحمد العاصى فكيف الطائع اذا نظرت للربى والنهر فار وعن الربيع أوعن جعفر محاسن تلهى العيون والفكر ربيع روضات وشحرور وصفر امام كل منزل بستان وبين كل قرية ميدان أما رأيت الورق فى الاوراق جاذبة القلوب بالاطواق فبادر اللذة يا فلان واغنم متى أمكنك الزمان ولا تعل مشتى ولا مصيف فكل أوقات المناشريف كل زمان ينقضى بالجدل زمان عيش كيف ما دار اعتدل أحسن ما أذكر من أوقاته وخير ما انعت من لذاته مرورنا بالصيد فيه والقنص وحوزنا من نزهه أحلى الفرص وأخذنا الوحش من المسارب وفعلنا فى الطير فوق الواجب لما دنا زمان رمى

البندق سرنا على وجه السرور المشرق في عصبة عادلة في الحكم وغلة مثل بدور التم من كل مبعوث الى الاطيار تظلله غمامة الغبار وكل معسول الرضاب أغيد منعطف عطف القضيب الاملد قد عهد القوم به عقبى السفر عند اقتران القوس منه بالقمر لولا حذار القوس من يديه لغنت الورق على كفيه في كفه محنية الاوصال قاطعة الاعمار كالهلال زهراء خضراء الاهاب معجبه مما ثوت بين الرياض المعشبه فاغرة الافواه للاطيار طالبة لهن بالاوتار كأنها حول المياه نون أو حاجب بما تشاء مقرون لها بنات بالمنى مقدوقه من طينة واحدة مخلوقه سامعة لما تشير الام مع انها مثل الجوارح صم كأنها والطير منها هارب خلف الشياطين شهاب ثاقب وأهالها شهب كرات تخطف شاهدة بالعزم وهي تقذف حتى نزلنا بمكان مؤنق اخوان صدق أحدقوا بالملق فماله في الحسن من محل مرادجد ومراد هزل للطير في أملاقه مواقع كأنها لمائه فواقع فلم نزل في منزل كريم تروى حديث الرمى عن قديم حتى طوى الافق رداء الورس والتقم المغرب قرص الشمس وابتدر القوم عن المراصد من ساهر ليل التمام شاهد كالليث يسطو كفه بأرقم والبدر يرمى في الدجى بأنجم بينا الطيور في مداها سائره اذا هم من عينه بالساهره وأقبلت مواكب الطيور على طروس الجو كالسطور فجبذا السطور في المهارق مسقوطة الاحرف بالبنادق من كل حق ان يسمى ضياؤه للشرق بدر التم تخاله من تحت عنق قد سجا طرة صبح تحت أذيال الدجى وكل تم حسن الوسامه تخاله في أفقه غمامه كى يتبعه اوزه دكا من دونها الغلغة غرا يقدمها انيسة ملونه تابعة من كل وصف أحسنه ورب مامرّ عليها حبرج كأنه على نضار يدرج وانقض من بعض الجبال نسر له بأبراج النجوم وكر مضبر الخلق شديد الايد يبنى على الكسر حروف الصيد بحث مسراه عقاب كاسبه خافضه لحظ الطيور ناصبه اذا مضت جلتها المعترضه تواصلت خيوطها المفترضه بكل كركى عجيب السير كأنه طيف خيال الطير يحس غرنوقا شهى المجتلا مقدما على الغرانيق العلا وأبيض الغيم يسمى مرزما كم بات مثل نوءه منسجما حفه شيطر قوى معجزه في الطير وسوى كم حاش ثعبانا وحسم حواه كأنه في يده عصاه هذا وكم من طائر ممتاز ينعت في الواجب بالعناز اسود الالمعة في الصدر كأنها

نور الهدى في الكفر فلم تزل قسينا الضوارى تصيبها بأعين الاوتار حتى غدت دامية النحور ساقطة منا على الخبير كأنما وهى لدينا وقع لدى محاريب القسى ركع وأصبحت أطيارنا قد حصلت ولم نسئل بأى ذنب قتلت مستتبعا وجه العشى وجه السحر وكل وجه منهما وجه أغر يالك من صيد مقر العين مرضى الصحاب وهو ذو وجهين لم يرض ما وفى من الامان حتى شفعناه بوجه ثان صيد الملوك الصيد بالكواسر والخيل فى وجه الصباح السافر ذلك الذى تصبو له الجوارح فهى الى طلابه طوامح واثقة بالرزق حيث كانا تغدو خماصا وتجئ بطانا سرنا على اسم الله والمسابح نعوم فى الاقطار بالسوابح خيل تحاذى الصيد حيث مالا كأنها أضحت له ظلالا تسعى بها قوائم لا تتبع وكيف لا وهى الرياح الاربع تحفنا من فوقها اغلمان كأنهم من فوقها أغصان ترك تريك فى سماء الملبس كواكبا طالعة فى الاطلس منظومة الاوساط بالسلاح من كل شهم زجل الجناح وكل عضب درب المقاطع يحرف الهام عن المواضع على يد السائر منهم زاده من كل باز قرم فؤاده قد كتبت فى صدره حروف تقرى بما تقرى به الضيوف وكل شاهين شهى المرتقى كبارق طار وصوب قد همى يبنا تراه ذاهبا بصيده معتصما بأيده وكيده حتى تراه عائدا من افقه ملتزما طائره فى عنقه أفلح من كان على يسراه حتى غدت حاسدة يمناه وكل صقر مسبل الجناح مواصل الغدو والرواح ذو مقلة لها اضطرام واقد تكاد تشوى ما يصيد الصائد كأنما المخلب منه منجل لحصيد أعمار الطيور مرسل يا حبذا طير وجد ولعب تهوى الى الارض وللافق تثب من سنقر عالى المدا والشان معظم الاخبار والعيان يصعد خلف الرزق ليس يمهله كأنه من السماء يستعجله ومن عقاب بأسهام وقع كأنها للطير حين تصرع كم جليت لطائر من وهن فكم وكم قد أهلكت من قرن وحبذا كواسر اللواهى عديمة الانظار والاشباه مخصوصة بالطرد القويم حدباء ظهر الذنب الرقيم ذلك لعمرى جذب للرائى تعدل ملك القلعة الحدباء هذا وقد تجهزت اعداد يجمعها الكلاب والفهاد من كل فهد عنترى الحله اذ راى شخص مهاة عبله مبارك الاقبال والاعراض مستقبل الحال بناب ماض كأنه من حدة اكتسابه قد أحرق الانجم فى اهابه له على مسائل الجفون خط كخط الالفات الجون

ما أبهم الباصر خطا مثله وكيف لا والخط لابن مقله وكل منسوب الى سلوق أهرت وناب الخطام مشوق طاوي الفؤاد ناشر الاظافر يا عجبا منه لطاو وناشر يعض بالبيض ويخطو بالقنا ويسبق الوهم لادراك المنى كالقوس الا أنه كالسهم والغيم يجلو عن شهاب رجم اذا رأى بقر الوحش اندفع كأنه المريخ في الثور طالع قاصرة عن يده عيناه مشروطة برجله اذناه يشفعه من كل عورعاري مغالب الصيد على الاوكار وأهالها من أكاب طوارد معربة عن مضمر المصائد قد بالغت من طمع في كسبها ففتشت عن أنفس لم تحبها حتى اذاعت بها الامور حفت بنا الصيد ها الطيور ما بين روضات صعدنا نحوها وحول آفاق ملكنا جوها واستقبلت أطيارها البزاه معلمة كأنها غزاه فلم تزل تسطو سطا الحجاج على الكراكي الى الدراج حتى غدت تلك السراة صرعى مجموعة على التراب جمعا على الربى من دمها خلوق كأن كل نبتها شقيق ثم عطفنا للوحوش السانحه فاستقبلت تلك الضواري الطامحه كلاب صيد بينها سنافر يفعل في الوحش بها الفواقر يخشى بها العفر على نفوسها فالطير لاشك على رؤسها وللكلاب حولها مغار يكاد أن يقدح منها النار من نم لسانه يلوب يقول هذا كوسج مخضوب يعانق الظبي عناق الوامق ما كان أغنى الطير عن معانق والفهد يشتد على الآجال شدو صي السوء في الآمال لا يهمل القصد ولا يخون كأن كل جسمه عيون وللزغاريات خلف الارنب حقائق تبطل كيد الثعلب كم مرحت بالهارب الممدود وطوحت بصاحب الاخدود وربما مرت ظباء ومهى للنبل أكل في حشاها مشتهى قد نسجت ملاءة من عنبر تخاط من فروتها بالابر فابتدرت أجنحة السهام صائبة الاعراض والمرامي تجرح كل سانح نفور كأنه بعض شهود الزور كأن أقطار العلاة مجر بره أو روضة من الدماء مزهره كأن صرعى وحشها كفار الموت عقبى أمرها والنار للمرء فيها منظر أحبه يملأ من شحم ولحم قلبه لله ذاك المنظر المهنا أي معاد عن ذراه عدنا قد ملئت من ظفر أيدينا وقد شكرنا فضل ما حيينا نسير حول الملك المنصور كالشهب حول القمر المنير* من كلام القاضي زين الدين بن الوردي رحمه الله وينهي وصول الصقرين فسر العبد بهذين الجزئين اللذين تحن الجوارح اليهما من وجهين ويعز على ابن المعتز أن

يذكرلهما فى تشبيهاته شبهين فوقع الصقران من الملوك بموقع يفوق النسر وتأمل نحوهما واذاهما منصوبان لبناء ما ارتفع وانخفض من الصيد على الكسر مثلهما جر كسيوفه وأجنحتهما مسبلة كغمائم بره على رعاياه وضيوفه مخالبه كالمناجل لحصاد أعمار أعدائه وأعمار الطير ومناقيرهما كالاهلة المبشرة له ولأوليائه بكل خير فلسان حال كل منهما يقول لمرسليه تفرقوا فبكسبي أجمعكم أجمعكم ويخطف لهم الخطفة ويعود بسرعة فبينما ينظرون بغيته قالوا طائركم معكم فما أحسن ما يعود يرجع كل واحد منهما من أفقه وقد التزم طائره فى عنقه كم للاقى الطير من حرون وكم أهلكا فى الوحش من قرون فما أحق هذا الخبر بمقابلة الثناء عليه وان عد المملوك لما بين اليدين كلتا يديه ومن كرامات مولانا أنه أصبح جابرا بكاسرين فرحبا برسوله الذى ان قدم وسول بأيمن طائر فقد قدم هو بأيمن طائرين والسلام * منقول من كتاب الفوائد الجليلة فى الفوائد الناصرية وهو ما جمعه الملك الامجد من شعر والده الملك الناصر صلاح الدين داود بن مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدين أبى المظفر عيسى بن السلطان الملك العادل أبى بكر محمد بن الملك الافضل نجم الدين أيوب رحمهم الله تعالى

وظباء كأمثال العذارى سنح * تأوى الى حزن اللوى وسهوبه
فأجابها وهنا وهن روائح * مابين واديه وبين كثيبه
والروض كهل قد تضوح نبته * فشبابه متلفع بمشيبه
يبكى تداويه الغمائم رحمة * والبرق يضحك رحمة بقشيبه
مستسبق صحب الجلاجل أجدل * يرتاح رائيه الى تقليبه
تغنى شمائله وحسن صفاته * عن نعت مطربه وعن تجريبه
ومحصر الخصر اغتدى فى عدوه * ترفا يخف ضنائه بوثوبه
عاناه فى تهذيبه ذو فطنة * وبصارة فأجاد فى تهذيبه
فقنصت منها ظبية كانت الى * قلبى الذ من المدام وطيبه
أوقبلة من ابرفى صدة * خالستها منه برغم رقيبه

هجرتك لا قلى منى ولكن * رأيت بقاء ودك فى الصدود
كهجر الظاميات الماء لما * تيقنت المنايا فى الورود
تذوب نفوسها ظمأ وتخشى * هلاكا فهى تنظر من بعيد

انتهى من المناهج

(القول) فى الحمار الوحشى ويسمى العير والفراء وهو لا ينزو الا اذا بلغ ثلاثين شهرا ويوصف بشدة الغيرة فهو يحمى غابته الدهر كله ويضرب فيها كضربه لو أصاب اتانا من غيرها ويقال ان الانثى اذا ولدت جحشا كره الذكر الاناث تصيبها فالاناث تعمل الحيلة فى الهرب منه حتى تسلم وهكذا حتى لا يكون فى الغابة غيره ذكر (وحكى) الجاحظ ان أبا الاخضر ذكر عن فحل الغابة انه يستهيم الانثى ويحملها وان الولد لم يجئ منه عن طلب ولكن النطفة البرية من الاسقام انجبت وذكر أن نزوه على قدر ما يحضره من الشبق لانه لا يلتفت الى دبر من قبل ولا الى ما يلقح مما ينتج فهو لا يريد الولد ولا يعزل ويقال ان الحمار الوحشى يعمر مائتى سنة وأكثر وكلما بلغ مائتى سنة كانت له مبولة ثانية وشوهد منها ماله ثلاث مباول وأربع وهو كشكل الحصير المحشو بين المبولة والمبولة حتى كأن بينهما حاجزا مسدودا ومعادنه بلاد النوبة ويوجد منه ما تكون سنه مغمدة ببياض وسواد يستطيلان فيما استطال لمن عصى به ويستديران فيما استدار بأصح قسمة وأحسن ترتيب ومن الحمر الوحشية صنف يقال له الاخدرى وهو أطول الحمير عمرا ويقال انه نتاج الاخدرى وهو فرس كان لازدشير بن بابك أفلت من خيله فصار وحشيا فحمى عدة غابات فضرب فيها فكان أولاده منها أعظم من سائر الحمير وأحسن وخرجت أعمارها من أعمار الخيل وفى هذه الحكاية نظر لذوى الفكر لانه لا يتولد من نوعين مختلفين من الحيوان حيوان يشبه احدهما وانما يكون ممتزجا كالبغل بين الحمار والفرس والضبع والذئب وحكى القولين أبو الحسن على بن رشيق فى كتاب العمدة (ومن رسالة كتبها أبو الفرج الببغا) يصف فيها أتانا مغمدة ببياض وسواد كان لصاحب اليمن كبختار وأما الاتان الناطقة فى كمال الصنعة بأفصح لسان فان الزمان لاطف مولانا أيده الله منها بأنفس مذخور وأحسن منظور وأعجب مرأى وأغرب موسى وأفخر مركوب وأشرف محبوب وأعز موجود وأبهى محدود وكانما وسمها

الكمال بنهايته أو لحظها الفلك بعنايته فصاغها من ليله ونهاره وحلاها بنجومه واضماره ونقشها ببدائع آثاره ورمقها بنواظر سعوده وجعلها أجل حدوده ذات اهاب منير وقرى محبر وذنب مشجر وسوى مسوّر ووجه مزجج وراس متوج يكتنفه اذنان كأنهما زجان سجية الاتصاف بلورية الاطراف جامعة شبها بالربيب بين زمن الشبيبة والمشيب فهي قيد الابصار وأمد الافكار ونهاية الاعتبار غنيّ عن الحلى عطفها مزرية بالزهر حلاها واحدة جنسها وعالم نقشها صنعة المنشئ الحكيم وتقدير العزيز العليم

(القول) فى طباع الظباء من المباهج وهى ألوان تختلف بحسب مواضعها فصنف منها يسمى الاروام وألوانها بيض ومساكنها الرمل وهى أشد حصرا وصنف يسمى العفر وألوانها حمر وصنف يسمى الادم وهى تسكن الجبال وفى هذا اللون من أسرار الطبيعة انه ما رأى ذا روح الا ويعلم ما يريده منه من خير وشر واذا فقد الماء استنشق النسيم فاعتاض به واذا طلب لم يجهد نفسه فى حصره من أول وهلة واذا رأى طالبه قد قرب منه زاد فى الحصر حتى يفوت الطالب وهو يهشم الحنظل حتى يرى ماؤه يسيل من شدقيه ويرد البحر فيشرب من الماء الاجاج كما تغمس الشاة حيها فى الماء العذب تطلب النوى المنقع فيه وهو لا يدخل كناسه الامستدبرا يستقبل بعينيه ما يخافه على نفسه وله نومتان فى مكنسين مكنس الضحى ومكنس العشاء واذا أسن الظبى وبقيت لقرونه شعب تنح واذا هزل ابيض وهو شنج الفساء لا يسمو بالمشى فاذا أراده العدو فانما هو الفر والوثب ورفع القوائم معا كما يفعل الغراب فهو أبدا يحجل كما يحجل المقيد وليس له حصر فى الجبال ويصاد بنار توقد له فيذهل لها سيما اذا اضيف الى ذلك تحريك اجراس فانه يتخذل ويرقد ويصاد بالعطش الشديد بأن يحولوا بينه وبين الماء فيتخذل ولا يبقى به حراك ألبتة وبين الظباء والحجل الفة ومحبة والحذاق فى الصيد يصيدونها ببعضها البعض ويوصف بحدة البصر ويسمى باليونانية اسما معناه النظارة والمبصرة ويلحق بهذا النوع غزال المسك وهو أسود ولونه أسود ويشبه ما تقدم فى القد ودقة القوائم وافتراق الاظلاف وانتصاب القرون وانعطافها غير أن لكل واحد منهما نابين خفيفين أبيضين خارجين من فيه فى فكه الاسفل قائمين فى وجهه كنابى الخنزير كل واحد

منها دون الفتر على هيئة ناب الفيل ويكون بالتبت والهند ويقال ان الغزال يسافر من التبت الى الهند بعد أن يرعى من حشيش التبت وهو غير طيب فيلقى ذلك المسك بالهند فيكون رديئا ثم يرعى حشيش الهند الطيب و يعقد منه مسكا و يأتى بلاد التبت فيلقيه فيكون جيدا والمسك فضل دموى يجتمع من جسدها الى سررها فى وقت من السنة معروف بمنزلة المواد التى تنصب الى الاعضاء وهذه السرر جعلها الله معدنا للمسك فهى تثمره بمنزلة الشجرة التى تؤتى أكلها كل حين فاذا حصل هذا الدم فى السرر ورمت وعظمت فتمرض لها الظباء وتألم حتى تتكامل فاذا بلغ وتناهى حكته بأظلافها وتمرغت فى التراب فتسقطه فى تلك المفاوز والبرارى فيخرج الجلابون ويأخذونه ويقال ان أهل التبت يضربون لها أوتادا فى البرية تحتك بها اذا ألمها السرر فتنقطع وتسقط فاذا سقطت عن الظبي كان فى ذلك افاقته وصحته فانتشر حينئذ فى المرعى وورد الماء

(الوصف) قد ينبغى ان يعلم أن هذا قليل جدا الان الشعراء نقلوا محاسن الغزال الى الغزل وشرحوا بها حال من جذبه الحب وهزل والصفة التى يصفون بها الظبي وصفوا بها الجارية والغلام وصرفوا الحقيقة الى المجاز فيما أرادوه من الكلام (قال بعضهم)

فما مغزل تعطو بجيد كأنه * يمان بأيدى الناظرين صقيل
هضيم الحشا مغضوضة الطرف عالها * بذات الاراك مربع ومقيل
اذا نظرت من نحوه أو تفرست * دعاها احم المقلتين كحيل
بأحسن منها حين قالت صرمتنا * وأنت صروم للخيال وصول

وقال آخر

وصالية بالحسن والجيد عاطل * ومكحولة العينين لم يكتحل قط
على رأسها من قرنها الجعد وفرة * وفى خدها من صدغها شاهد يسط
يخللها من غيرة الجلد وفرة * ويجمعها من بيض آباطها امرط
وقد أدمجت بالشحم حتى كأنما * ملاتها من فرط ما اندمجت قط

(خواص الايل ومنافعه) من المصائد والمطاردفنه ان ذكره من عصب لا لحم فيه وأن دم كل حيوان يجمد الادمه ولحمه غليظ مائل الى كموسة السواد وليس

للانثى قرن واذا بخر بقرنه مع كبريت أحمر ذهبت الحيات وكذلك دمه بطحين الكرسنة وقرنه تبخر به الحامل فتيسر ولادتها

(خواص حمار الوحش) الجحش البرى أجودها لحما ولحم الهرم يولد دما رديئا ومن داوم على أكله لم يكد يبرأ وسرته أطيب ما فيه وكثير من الناس يأكلون الحمار مسموطا ويستطيبون جلده مشويا ويجدون فيه طعم لحم الدراج وشحمه نافع من الكلف فى الوجه اذا طلى به ومن وجع الظهر والكلى العارض من البلغم واذا أحرق حافره وسحق فى الكحل نفع من الغشاوة ودفع وجع العين وزبله اذا خلط بمخ وطلى به الجبين قطع الرعاف ويقال ان الخاتم اذا خرط من حافره وعلق على من يعتريه الصرع نفع منه ودماغه يضاف بماء الكرفس والعسل ويغلى ويسقى من به السل فى الحمام بماء حار على الريق فيبرأ

(خواص بقر الوحش) لحمها غليظا يولد دما رديئا قريبا من السواد وبطنها أطيب ما فيها ودمها أسرع الى الجمود من دم سائر الحيوان ويطبخ لحمها بخل فاذا غلى جدد خل آخر واناثها المها والعين والنعاج وأولادها البراغز والواحد برغز والجآذر جمع جؤذر والذرعان جمع ذرع والبحازج جمع بحزج والفرافر جمع فرفر والفرائر جمع فرير وهو ساعة يولد طلاء وأقاطيعها الاجل والربرب والسرب والصوار

(خواص الظبى) والظبى أول ما يولد طلاء ثم خشف ثم شادن اذا طلع قرنه فاذا تمت قوته فهو شصر ثم جذع ثم ثنى ولا يزال كذلك الى ان يموت لا يزيد على هذا وسأل جعفر بن محمد النعمان بن ثابت أبا حنيفة فقال له ما على محرم كسر رباعية ظبى فقال يا ابن رسول الله ما أعلم ما فيه فقال له أنت تتداهى ولا تعلم أن الظبى لا يكون له رباعية هو ثنى أبدا ولحمه يولد دما قريبا الى السواد وهو أقل ضررا من لحم البقر وطبخه بالماء والملح أجود والقديد منه أكثر ضررا وأكثر لتحريك السوداء لانه يزداد يبسا ويجود فعله ويقوى وأطيب ما يؤكل فيه كبده مشوية وشحوم الظباء تغذو غذاء كثير وزعمت الحكماء ان دم التيس منها عن شكل ماعز من السموم وانه اذا صب حارا على الحجر الذى يضرب عليه النحاس فتته واذا خلط مع الزنجفر صبغ الياقوت ويخلط معه وهو يابس قرطاس محرق ويعجن بشيرج ويضمد به البواسير فتنفع ومرارته تنفع من الغشاء فى العين

وكبده اذا شويت واكتحل بها وكبد جميع الماعز نفعت واذا دهن الرجل مذاكيره بشحم خصى التيس مع شئ من عسل عند الجماع وجد له لذة ويعجن بعر التيس بخل ودقيق شعير ويضمد به الطحال فينفع واذا حرق وسحق بالخل نفع داء الثعلب وان شرب مع الخل نفع من لدغ الهوام ويخلط دمه بابسابلاذن ويدهن به الشعر فيغلظه ويطوله

(القول على طبائع الارنب من المباهج) تقول أصحاب الكلام ان قضيب الذكر من هذا النوع كذكر الثعلب أحد شطريه عظم والآخر عصب وربما ركبت الانثى الذكر حين السفاد لما فيها من الشبق وتسفد وهى حبلى وهى قليلة الدرور على ولدها ويزعمون انه يكون شهرين ذكرا وشهرين أنثى وكنت استبعد هذا وأقول انه من الخرافات حتى وقفت عند مطالعتى للكتاب الذى وضعه ابن الاثير فى التاريخ وسماه الكامل على حكاية أوقفتنى على الاعتراف بعد الانكار * ذكر فى حوادث سنة ثلاث وعشرين وستمائة فقال وفيها اصطاد صديق لنا أرنبا فرآه وله انثيان وذكر وفرج أنثى ولما شقوا بطنه رأوا فيه حريفين فان كان كما زعموا من أن يكون تارة ذكرا وتارة أنثى فيكون كذلك والا فيكون فى الارانب كالخنثى فى بنى آدم يكون لاحدهما فرج الرجل وفرج الانثى ثم أعقب هذه بما هو أعجب منه فقال كنت بالجزيرة ولنا جار له بنت اسمها صفية فبقيت لذلك نحو خمس عشرة سنة فاذا قد طلع لها ذكر رجل ونبتت لها لحية فكان لها فرج امرأة وذكر رجل والارنب تنام مفتوحة العين وربما جاء القناص اليها حتى يأخذها من جهة وجهها وهى لا تبصر وسبب ذلك ان حاجبى عينيها الا يلتقيان فهما مفتوحتان فى النوم واليقظة (قلت) ما أحسن ما أنشدنى الشيخ بدر الدين البشتكى أحد شعراء العصر بالديار المصرية للشيخ العلامة شهاب الدين بن أبى حجلة مضمنا قول المتنبى

وقوم بالحشيشة ذاب منهم * فؤاد ما يسليه المدام
أرانب غير أنهم ملوك * مفتحة عيونهم نيام

(قلت) هذا التضمين ما سمع مثله لشاعر فانه ضمن عجز البيت الاول والبيت الثانى بكماله ولم يكن للشيخ شهاب الدين فيها غير صدر البيت الاول فتأمله ويقال ان الارانب اذا رأت البحر ماتت ولذلك لا توجد بالساحل وتزعم العرب

ان الجن تهرب منها الموضع حيضها قالوا وهى كالمرأة وتأكل اللحم وغيره وتجتر وتبعر وفى باطن أشداقها شعر وكذلك تحت رجليها وليس شئ قصير اليدين أسرع منها حضرا ولقصرهما يخف عليها الصعود والرقل وهى تطأ فى الارض على زمعاتها وهى مؤخر قوائمها مغالطة للطالب حتى لا يعرف أثرها الا أن الكلب الفاره والقانص الحاذق لا يخفى عليهما ذلك لانها لا تفعل ذلك الا فى السهل الذى يثبت فيه الاثر وربما مشت فى الثلج فيقتفى أثرها بكثرة التردد فيه واذا قربت الى الموضع الذى تريد أن تجتم فيه وثبت اليه

(خواصه) من المصائد لحمها أطيب ما يؤكل بنارلأن النار يضعفها هواء الزمان ولحمها من أخف اللحوم وله خاصية فى الماليخولياء والصرع وان طلى بدمها الكلف أذهبه وان طبخ أوشوى فى جوف قرن نفع من القرحة فى الامعاء ويحرق رأسها فيكون سنونا جيدا للجلاء ووبرها يشد به الشريان اذا انقطع وتعلق الاعراب كعبها على الصبيان للعين وأنفحتها تدفع السم اذا شربت بماء السلق وسداب واذا أخذتها المرأة حملت ومخها ودماغها يمنع الشعر المنتوف من النبات وبعرها يدق بالخل للقوباء ومرارتها تطرح فى الشراب فتنوم (الوصف) لبعض الاندلسيين من المباهج افراد حوان كأنهن أولاد غزلان بين رواع ينعطف انعطاف البره ووثاب يجمع اجتماع الكره حال العصب ازاره وصاغ التبر طوقه وسواره قد غلل بالعنبر بطنه وحلل بالكافور متنه كأنما نضح بعبير وتلفع فى حرير ينام بعينى ساهر ويفوت بجناحى طائر قصير اليدين طويل الساقين هامان فى الصعود تحده وبابك عند الوثوب تؤيده

(القول فى النعامة) من المباهج وانما ذكرناه مع ذوات الاربع من الوحوش وان كان ذا جناح لانه عند المتكلمين فى طباع الحيوان ليس بطائر وان كان يقنص وله جناح وريش ويعدون الخفاش طائرا وان كان يحبل ويلد وله اذنان بارزان وليس له ريش لوجود الطيران فيه ومراعاة لقوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وهم يعدون الدجاجة طيرا وان كانت لا تطير والنعامة تسمى بالفارسية اشترمرغ وتأويل اشترجمل ومرغ طائر فكأنهم قالوا جمل طائر ولما وجد هذا الاسم ظن

الناس أنها نتاج ما بين الابل والطير و بهذا أجرى عليها المثل فى قولهم قيل للظليم احمل قال أنا طائر قيل فطر فقال أنا جمل وربما أكد عندهم القول بالتوليد أنهم رأوا فيه من الجمل الميسم والوظيف والعنق والكرش والخف والجرامة ومن الطير الريش والجناح والمنقار والبيضة ويشبه النعام بالابل فتسمى الانثى منها قلوصا وفى طبعها انها تحضن أربعين بيضة وثلاثين ومن أعاجيبها انها تضع بيضها طولا حتى لو مد عليها خيط لما وجد لشئ منها خروج عن الآخر ثم تعطى كل بيضة منها نصيبها من الحضن اذا كان بدنها لا يشتمل على عدد بيضها وهى تخرج لطلب الطعم فتمر ببيض نعامة أخرى فتحضنه وتنسى بيضها ولعلها تصاد ولا ترجع اليه فتهلك ولهذا توصف بالمرق والحمق ويضرب بها المثل فى ذلك وعلى هذا ينشد قول ابن هرمة

فانى وتركى ندى الاكرمين وقدحا بكفى زندا شحاحا
كتاركة بيضها بالعرا * ء وملحفة بيض أخرى جناحا

ويقال انها تقسم بيضها اثلاثا فمنه ما تحضنه ومنه ما تجعل صفاره غذاء ومنه ما تفتحه وتتركه للهواء حتى يعفن ويتولد من عفنه دواب فتتغذى بها افراخها اذا خرجت وهو من الحيوان الذى يزاوج ويعاقب الذكر فى الحضن وهو لا يأنس بالابل ولا بالطير مع مشاركته لهما وكل ذى رجلين اذا انكسرت له احداهما استعان بالاخرى ما خلا النعامة فانها تبقى فى مكانها جاثمة حتى تهلك جوعا ويقال ان الحيوان الوحشى ما لم يعرف الانسان لا ينفر منه اذا رآه ما خلا النعام فانه شارد أبدا وبه يضرب المثل فى الشرود وعظامه وان كانت عظيمة وشديد العدو بها لا مخ فيها ولا مجرى لها وتزعم العرب ان الظليم أصلخ وانه لما كان كذلك عوض عن السمع بالشم فانه يعرف بأنفه ما لا يحتاج معه الى السمع فربما كان على بعد فشم رائحة القناص على اكثر من غلوه والعرب تضرب به المثل فى حاسة الشم وفسر بعض المعتنين بتفسير أمثال العرب (قوله أحمق من نعامه) أن من حمقها اذا أدركها القناص أدخلت رأسها فى الرمل تقدر أنها قد استخفت منه وهو قوى الصبر عن الماء شديد العدو وأشد ما يكون عدوا اذا استقبل الريح وكلما كان أشد لعضوفها كان أشد حضرا وهو فى عدوه يضع عنقه على ظهره ثم يخرق الريح وهو يبتلع العظم الصلب والحجر والدر والحديد فيميعه بحر

فانصته حتى يصير كالماء ويلتام الجمر حتى ينفذه الى جوفه فيكون جوفه هو العامل على اطفائه ويكون الجمر هو العامل على احراقه وفى ذلك أعجوبتان احداهما التغذى بما لا يغتذى والاخرى الاستمراء والهضم وهذا غير منكر لان السمندل وهو كما زعم بعضهم دابة توجد ببلاد الهند وبلاد السند دون الثعلب خلنجية اللون حمراء العين ذات ذنب طويل ينسج من وبرها مناديل اذا اتسخت ألقيت فى النار المتأججة فيزول منها الزهم ولا تحترق وببلاد الترك جردان تسلخ جلودها ويتخذ من وبرها مناديل اذا اتسخت غسلت بالنار بان تلقى فيها ولا تحترق وزعم آخرون أن السمندل طائر ببلاد الهند يبيض ويفرخ وفيه من الخاصية أنه يدخل النار ويخرج منها ولا يحترق ريشه ويعمل من جلده مناديل الغمر فكما ان خاصية هذا الحيوان فى ظاهره كانت خاصية النعام فى باطنه والباطن فى الحيوان كله أنعم من الظاهر وقد حكى أبو عبيد البكرى فى كتاب المسالك والممالك لما ذكر قابس أن بعض البادية دخل على أميرها بطائر على قدر الحمامة ذكر أصحابه أنهم لم يروه قبل وما عهدوه وكان فيه من كل لون وهو أحمر المنقار فأمر بقص جناحيه وأن يرسل فى قصره فلما كان الليل أوقد بين يدى الامير مشعل فلما رآه الطائر قصده وأراد الصعود اليه فلم يستطع النهوض فلم يزل يجهد نفسه حتى صعد اليه وجلس فى وسطه وجعل يتفلى فيه كما يتفلى الطائر فى الشمس فلما قضى وطره منه نزل والنعام تصاد بالنار كما تصاد سائر الوحوش فانه اذا رآها دهش لها واعتراه فكر فيها فيقف وقوف حيرة فيتمكن منه الصائد (خواصه) من المصائد لم يذكر منها شيأ (الوصف) أبو اسحق ابراهيم بن خفاجة

ولرب طيار خفيف قد جرى * مثل انجار خلفه طيار
من كل قاصرة الخطا مختالة * مشى الفتاة تجر فضل ازار
مخضوبة المنقار تحسب أنها * كرعت على ظمأ بكأس عقار
لا يستقربها الاداحى خشية * من ليل ويل أو نهار بوار

(قال الزمخشرى)

يا سائلى انني أصبحت فى بلد * لا عطله ترجى لى ولا عمل
ولا غريب ولا لى فيه من أحد * مثل النعامة لا طير ولا جمل

(الطاوس) قال أصحاب البحث عن طبائع الحيوان ان الطاوس فى الطير

كالفرس فى الدواب عزا وحسنا غير أن الناس لا يتبركون به و يكرهون كونه فى دورهم وفى طبعه العفة وحب الزهو بنفسه والخيلاء والاعجاب بريشه وعقده لذنبه كالطاق لاسيما اذا كانت الانثى ناظرة اليه والانثى تبيض بعد أن يمضى لها من العمر ثلاث سنين وكذلك لا يحصل التلون فى ريش الذكر الا بعد هذه المدة وهى نهاية البلوغ والانثى تبيض مرة واحدة فى السنة اثنتى عشرة بيضة وأقل وأكثر ولا تبيض متتابعا ويسفد فى زمن الربيع ويلقى ريشه فى زمن الخريف كما تلقى الشجر ورقها وهى كثيرة العبث بالانثى اذا حضنت وربما كسر البيض ولهذا يحضن بيضه تحت الدجاج والدجاجة لا تقوى على حضن أكثر من بيضتين منها وينبغى أن يتعاهد الدجاجة بجميع ما تحتاج اليه مخافة أن تقوم عنه فيفسده الهواء والفرخ يخرج من البيضة كاسيا كما يخرج الفروخ والطاوس من الطير الذى يبيض بيض الريح ويقال ان عبث الطاوس بأنثاه وان حضنها غيره منه أن يخرج من البيض ما يشبهه فى حسن ريشه وبهاء خلقه وزعم ارسطو أن الطاوس يعيش خمسا وعشرين سنة وهذا منه حكم لا يعينه الاستقراء (الوصف) أبو الصلت أمية بن العزيز الاندلسى

أهلا به لما بدى فى مشيه * يختال فى حال من الخيلاء
فالروضة الغناء أشرق فوقه * ذنب له كالروضة الغناء
ناديته لو كان يفهم منطقى * أو يستطيع اجابة لندائى
يا رافعا فوق السماء ولابسا * للحسن روض الحزن غب سماء
أيقنت أنك فى الطيور مملكا * لما رأيتك منه تحت لواء

(وله)

أبدى لنا الطاوس عن منظر * لم ترعينى مثله منظرا
متوج المفرق ان لا يكن * كسرى بن ساسان يكن قيصرا
فى كل عضو ذهب مفرغ * فى سندس من ريشه أخضرا
نزهة من أبصر فى طيها * عبرة من فكر واستبصرا
تبارك الخالق فى كلما * أبدعه منه وما صورا

(الباب الخامس والاربعون فى الاسد النبل والزرافة والفيل)

وانما بدأنا به أولا لانه أشرف فى هذا النوع لان منزلته فيه منزلة الملك المهيب لقوته وشجاعته وقساوته وجهامة خلقه وشراسة خلقه قال أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان ان اللبوة لاتضع الاجروا واحدا وتضعه بضعة لحم ليس فيها حس ولا حركة فتحرسه من غير حضان ثلاثة أيام ثم يأتى أبوه بعد ذلك فينفخ فى تلك البضعة المرة بعد المرة حتى يتحرك ويتنفس ويتفرج الاعضاء ويتشكل الصورة ثم تأتى أمه فترضعه ولا يفتح عينيه الا بعد سبعة أيام من تخليقه وهى مادامت ترضع لايقربها الذكر ألبتة فاذا مضت على الجرو ستة أشهر كلف الاكتساب لنفسه بالتعليم والتدريب وطارد الذكر الانثى فان كانت صارفة أمكنته من نفسها وان لم تكن دفعته ومنعته ونفته مع شبلها بقية الحول وستة أشهر من الثانى وحينئذ تألف الذكر وتمكنه من نفسها وللاسد من بعد الوثبة واللصوق بالارض والاسراع فى الحضر اذا هرب والصبر على الجوع وقلة الحاجة الى الماء ماليس لغيره من السباع وربما سار فى طلب القوت ثلاثين فرسخا ولا يأكل فريسة غيره من السباع وهو اذا شبع من فريسة تركها ولم يعد اليها ولو جهده الجوع ولا يأكلها واذا أكل يقيم يومين وليلتين بلا طعام لكثرة امتلائه ويلقى بعد ذلك شيأ يابسا مثل جعر الكلب واذا بال رفع احدى رجليه كالكلب واذا فقد أكله صعب خلقه واذا امتلأ بالطعام فهو وادع وأكل الخفيف أحب اليه من اللحم العريض الغض وهو لايثب على الانسان للعداوة ولكن للطعم فانه لو مربه وهو شبعان لم يتعرض له وهو مع ذلك حريص بهم واسع النحر ينهش ولا يمضغ قليل الريق ولهذا يوصف بالبخر ولحم الكلب أحب اللحوم اليه ويقال انما ذلك لحنقه عليه فانه اذا أراد التطواف فى جنبات الحى ألح الكلب بالنباح عليه والانذار به فيرجع خائبا لنهوض الناس عليه فاذا أراد ذلك بدأ بالكلب حتى يأمن انذاره ومن شأنه اذا أكثر من حسو الدم وأكل اللحم وحلت نفسه منها طلب الملح ويجعله كالحمضة بعد الخلة فيطلبه ولو كان بينه وبينه خمسون فرسخا وهو يوصف بالجبن والجراءة فمن جبنه أنه يذعر لصوت الديك ومن نقر الطست وضرب الطنبور والحمل الاسود والديك

الابيض والسنور والفأرة وقد تكون النار من أسباب اغتراره واغتياله لانه
يعتريه ما يعتري الظباء والوحوش عند رؤية النار من الحيرة والعجب بها وادمان
النظر اليها والفكر فيها حتى يشغله عن التحفظ والتيقظ ومن جراءته انه
يقدم على المعتب الكبير والجمع الكثير ويقابل ولا يرجع من الضرب
والجراح ولا يذله ما يصيبه من ذلك بل يقابل بعضه حتى يموت وهو اذا كر
لا يفر الا فرا خفيفا تخالسا والاسود أكثر جراءة وجهالة ويقال ان الانثى
أجرأ من الذكر والجاحظ لا يعجبه هذا القول ويقول انما هي أشرف ومن
عاداته انه اذا عاين أحدا لا يفزع ولا ينهزم فان ألجأ الى ذلك وأحس بالصيادين
تولى وهو يمشي رويدا وهو مع ذلك يتلفت ويضمر الخوف ويظهر عدم الاكتراث
وان تمكن منه الخوف هرب عجلا حتى يبلغ مكانا يأمن فيه فاذا علم انه أمن مشى
مارا وان كان في سهل وألجأ الى الهرب جرى جريا شديدا كالكلب وان رماه
أحد ولم يصبه شد عليه فان أخذه لم يضره وانما يخدشه ثم يخليه كأنه من عليه
بعد الظفر به واذا شم رائحة الصيادين عفى أثره بذنبه وفيه من شدة البطش
ما انه يأتي الجمل الهائج البازل فيضربه بيده فيثني الجمل عنقه اليه كأنه يريد
عضه فيضرب بيساره الى مشفره فيجذبه جذبة يفصل بها بين ذوات عنقه وان
ألفاه قائما وثب عليه فاذا هو في ذروة سنامه فعند ذلك يضربه كيف شاء
ويتلعب به كيف أحب ومن عجيب أمره أنه لا يألف شيأ من السباع لانه لا يرى
فيها ما هو كفؤ له فيصحبه ولا يطأ على أثر شئ منها ومتى وضع جلده مع سائر
جلودها تساقطت شعورها ولا يدنو من المرأة الطامث ومتى مس قوائمه لحا
شجر البلوط خدر ولم يتحرك من مكانه واذا غمره الماء جاء الصبي حتى يركب
على ظهره ويقبض على أذنه ولا تفارقه الحمى ولذلك الاطباء يسمون الحمى داء
الاسد وعظامه عاسية جدا واذا طلب نارا دلك عظامه بعضها ببعض فيخرج
منها كما يخرج من الحجارة ولذلك في جلده من القوة والصلابة ما لا يعمل فيه
السلاح الا من مراق بطنه وقد يطول مثوى الواحد منها مع الناس حتى يهرم
وهو في جميع حالاته صعب شديد الغرام لا يؤمن شروده اذا انفرد من سواسه
وأبصر غيضة بين يديها صحراء ويبلغ من العمر كثيرا وعلامة ذلك انه يصاد
فيوجد مهتوم الاسنان وليس ذلك الا من الكبر

(خواصه)

(خواصه) يقال ان خصيته اذا ملحت بنورق أحمر ومصطكى وجففت وقليت بزئبق نفعت من البواسير والزحير ووجع الارحام ويقال ان من يمسح بشحم كليته يؤمن من أكل السباع ومرارته بعسل تنفع الخنازير ودمه يطلى به السرطان وصيده بأنواع من الحيل فمنها ان تصنع له العرب الزباء وهي حفائر في نشر من الارض وتغطى وفي وسطها جرو كلب فيأتي الاسد ليأخذ الجرو فيسقط فيها وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه بلغ الماء الزباء أي أعظمها

(الوصف والتشبيه) وصفه أبو زبيد الطائي في حكاية حكاها لعثمان بن عفان رضي الله عنه وقد لعنه فقال أقبل يتضالع من بغيه ولصدره نحيط ولبلاعيمه غطيط ولطرفه وميض ولأرساغه نقيض كأنما يخبط هشيما أو يطأ صريما ذا هامة كالمجن وخد كالمسن وعينان سجراوان كأنهما سراجان وقصرة ربلة وهرمة وهلة وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شثنة البراثن ومخالب كالمحاجن فم أشدق كالغار الاحرق يفتر عن معاول مصقولة غير مغلولة فهجهجنا به فرفر وبربر ثم زار فجرجر ثم لحظ فخلت البرق يتطاير من جفونه عن شماله ويمينه فأرعشت الايدي واصطكت الارجل وجحظت العيون وساءت الظنون ولصقت الظهور بالبطون وأنشد عبوس شموس مثل جذ مكابر جرىء على الاقدام للقرن قاهر

براثنه شثن وعيناه في الدجى * كجمر الغضا في وجهه الشر طائر
يدل بانياب حداد كأنها * اذا قلص الاشداق عنها خناجر

(وقال أبو الطيب يصفه من أبيات)

وردا اذا ورد البحيرة وارد * ورد الفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس * في غيله من لبدتيه غيلا
في وحدة الرهبان الا انه * لا يعرف التحريم والتحليلا
ما قوبلت عيناه الا ظنتا * تحت الدجى نار الفريق حلولا
يطأ الثرى مترفقا من تيهه * فكأنه آس يجس عليلا
ويرد عفرته الى يافوخه * حتى يصير لرأسها اكليلا
ويظنه مما يزمجر نفسه * عنها لشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكأنما * ركب الكمي جواده مشكولا

ثم خرج الى ذكر الممدوح الحسين بن عبد الله بن طغج أمير مصر كان قد خرج متصيدا فرأى أسدا على فريسته فهاجه فوثب الاسد على كفل فرسه فأعجله عن استلال السيف فضربه بالسوط فألقاه عن كفل الفرس فقال المتنبي القصيدة التي أولها

في الخدّ أن عزم الخليط رحيلا * مطر يزيد به الخدود محولا

(وجاء منها)

أمعفر الليث الهزبر بسوطه * لمن ادخرت الصارم المسلولا

(وقال عبد الجبار بن حمديس الصقلي)

وليث مقيم في غياض منيعة * أمير على الوحش المقيمة في القفر
يوسد شبليه لحوم فوارس * ويقطع كاللص السبيل على السفر
هزبر له في فيه نار وشفرة * فما يستوي لحم القتيل على الجمر
سراجاه عيناه اذا أظلم الدجى * فان بات يسري باتت الوحش لا تسري
له جبهة مثل المجن ومعطس * كأن على أرجائه صبغة الحبر
يصلصل رعدا من عظيم زئيره * ويلمع برق من جواليقه الحمر
له ذنب مستنبط منه سوطه * ترى الارض منه وهي مضروبة الظهر
ويضرب جنبيه به فكأنما * له فيهما طبل محيص على الكر
ويفتح في التعبيس فكيه عن مدى * بنوب صلاب ليس يهتم بالفهر
يصول بكف عرض شبرين عرضها * خناجرها أمضى من القضب البتر
يجرد منها كل ظفر كأنه * هلال بدا للعين في أول الشهر

(وأحسن ماورد في قتل الاسد) قول بشر بن عوانة الفقعسي يصف ملاقاته للاسد وما اتفق له معه وحكايته انه تزوج ابنة عمه فخرج يبغي مهرها فلما كان ببعض الطرق عارضه أسد فكر مهره عليه فتقاعس ولم يقدم عليه فنزل عنه وأقبل نحو الاسد مصلتا سيفه فقتله وقال

أفاطم لو شهدت ببطن خبت * وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا
اذا لرأيت ليثا رام ليثا * هزبرا أغلبا يبغي هزبرا
تبهنس اذ تقاعس عنه مهري * محاذرة فقلت عقرت مهرا
أنل قدمي ظهر الارض اني * وجدت الارض أثبت منك ظهرا

وقلت له وقد أبدى نصالا * محدّدة ووجها مكفهرّا
يدل بمخلب وبحدّ ناب * وباللحظات تحسبهنّ جمرا
وفي يمناي ماضي الحدّ ألقى * لمضربه غداة الروع أثرا
ألم يبلغك ما فعلت ظباه * بكاظمة غداة لقيت عمرا
وقلبي مثل قلبك لست أخشى * محاذرة ولست أخاف ذعرا
وأنت تروم للاشبال قوتا * وأبغي لابنة الاعمام مهرا
ففيم تروم مثلي ان يولي * ويترك في يديك النفس قسرا
نصحتك فالتمس يا ليث غيري * طعاما ان لحمي كان مرّا
ولما ظن ان الغش نصحي * وخالفني كأني قلت هجرا
دنا ودنوت من أسدين راما * مراما كان اذ طلباه ذعرا
يكفكف غيله احدى يديه * ويبسط للوثوب على أخرى
هززت له الحسام فخلت أني * هززت له لدى الظلماء فجرا
حساما لو رميت به المنايا * لجاءت نحوه تعطيه عذرا
وجدت له بجائفة رآها * لمن لديه ما منه قدرا
بضربة فيصل تركته شفعا * وكان كأنه الجلمود وترا
فخرّ مضرّجا بدم كأني * هدمت به بناء مشمخرّا
وقلت له يعز عليّ أني * قتلت مناسبي جلدا وقهرا
ولكن رمت شيأ لم يرمه * سواك فلم أطق يا ليث صبرا
تحاول ان تعلمني فرارا * لعمر أبي لقد حاولت نكرا
فلا تبعد فقد لاقاك حرّ * يحاذر ان يعاب فمت بحرّا

(نادرة) قيل تعرض أسد لقافلة وصال على رجل منها فبادر واحتى حالوا بينهما وقالوا للرجل كيف حالك قال صالحة ولكن الاسد قد نوى في سرا ويلي
(ولمؤلفه رحمه الله)

سألتك يا جميل الستر سترا * أغيب به عن الخصم الظلوم
وذاك الستر ستر معنوي * يراني منه كالاسد العظيم

(القول في طبائع الفيل) زعم بعض الباحثين عن طبائع الحيوان ان الفيلة مائية الطباع بالجاموسية والخنزيرية التي فيها وبعضها يسكن الماء وبعضها لا يسكنه

وزعم آخرون ان الفيلة ضربان فيل وزندفيل وهما كالبخت والغراب والبقر والجواميس والبراذين والخيل والفار والجرذان والنمل والذر وبعضهم يقول الفيل الذكر والزندفيل الانثى وهذا النوع لا يتلاقح الا في بلاده ومعادنه ومغارس أعراقه وان صار أهليا وهي تتوالد بأرض السند والهند وهي أعظمها خلقا وبجزيرة سرنديب وينتهي في عظم الخلق الى أن يبلغ في الارتفاع عشرة أذرع وفي ألوانها الاسود والابيض والازرق والابلق وهو اذا اغتلم أشبه الجمل في ترك الماء والعلف حتى ينضم أبطاه ويتورم رأسه ولم يكن لسوّاسه غير الهرب منه وربما صار وحشيا وجهل جهلا شديدا والفيل ينزو اذا مضى له من العمر خمس سنين واذا حملت لا يقربها الذكر ولا يمسها ولا ينزو الذكر عليها اذا وضعت الا بعد ثلاث سنين ولا ينزو الا على فيلة واحدة وله عليها غيرة شديدة واذا تم حملها وأرادت الوضع دخلت النهر حتى تضع ولدها في الماء لانها تلد قائمة اذ لا فواصل لقوائمها فتبرك والذكر بعد ذلك يحرسها وولدها من الحيات وذلك لعداوة أصلية بينهما ووضع ذكر الفيل شبيه بالفرس لكنه صغير عنه جثة وهو في الفرس العتيق صغير أيضا وأنثيا الفيل داخل ذنبه قريب من كليتيه ولذلك يسفد سريعا كالطيرلان كونهما داخلا قريبا من القلب ينضج المني بسرعة ويقال ان الفيل يحقد كما يحقد الجمل ويحفظ الشئ الذي يكرهه القيم عليه حتى يقابله عند تمكنه منه وربما قتله وزعم أهل الهند ان لسان الفيل مقلوب ولولا ذلك لتكلم وهو صغير جدا ويجعلون أن قرنيه هما ناباه يخرجان مشتطين حتى يخرقا الحنك وعلم ذلك من تشريحه ويوجد فيه الاعقف والمستقيم قال المسعودي وربما بلغ الناب منه مائة وخمسين منا وأكثر من ذلك والفيل يحمل بهما على الجدار الوثيق البنيان فيقلبه على الارض وقد فتح به محمود بن سبكتكين مدينة الطاق وهي من أعظم الحصون التي ببلاد سجستان فانه جعل نابيه تحت بابها فاقلعه وهو من أسرع الحيوان الوحشي أنسا بالناس وسرعة الانس دليل على حسن الطباع ودماثة الاخلاق وخرطومه من غضروف أنفه وهو يده التي يوصل بها الطعام الى فيه ويقاتل بها وبها يصيح وليس صياحه على مقدار جثته لانه كصياح الديك ويتنزل منه منزلة عنقه وله فيه من القوة بحيث يقلع به

الشجرة من منابتها وفي طبعه انه اذا سمع صوت الخنزير ارتاع ونفر واعتراه الفزع والجزع واذا ورد الغدران والانهار للشرب وكان الماء صافيا فهو أبدا يثيره ويكدره كالخيل لانها ترى صورها على سطح الماء فتتوهم انه غيرها فتنفر منه وهو قليل الاحتمال للشتاء والبرد ويقوم ويسير في الماء منغمسا ماعدا خرطومه لانه منه يتنفس ولا يقدر على السباحة لثقل جثته وفيه من الفهم ما به يقبل التأديب ويفعل ما يأمره به سائسه من السجود للملوك وغير ذلك من الخير والشر في حالتي السلم والحرب وفيه من الاخلاق أنه يقاتل بعضه بعضا قتالا شديدا والمقهور منها يخضع ويتعبد للقاهر ويخاف سطوته ويقال انه يصاد باللهو والطرب واللعب والزينة وريح الطيب والنساء يصيدونه بذلك وربما احتيل على صيده بأن يترقب حال سكونه وهدوه وذلك أنه لا ينام الا معتمدا على ساق شجرة اذ لا يمكنه الاضطجاع لكون قوائمه لا فواصل لها لكنها كالاساطين المصمتة والسواري الوثيقة والصيادون يأتون الشجرة التي غالب أوقاته يعتمد عليها فيضعفون أصلها فاذا أتى على عادته اليها يعتمد عليها انكسرت فسقط وبقي عاجزا لا يقدر لنفسه بشيء فيصيدونه كيف شاؤا والهند تعظم الفيل وتشرفه لما اجتمع فيه من الخصال المحمودة من علو سمكه وعظم صورته وبديع منظره وطول خرطومه وسعة أذنه وطول عموده وثقل حمله وخفة وطئه فانه ربما مرّ بالانسان وهو لا يشعر به لحسن خطوته واستقامته وللهند طيب يجمعونه من جباه الفيلة ورؤسها فانه اذا اغتلمت عرقت هذه الاماكن عرقا كأنه المسك ويستعملونه لظهور الشبق في الرجال والنساء ويزعمون أنه يشجع القلب ويقوي النفس ويبعثها على الاقدام والفيل يشب الى تمام ستين سنة ويعمر مائتي سنة واكثر (وحكى ارسطو) أن فيلا ظهر عمره أربعمائة سنة (وحكى) بعض المؤرخين ان فيلا سجد لابرويز ثم سجد للمعتضد وبينهما زمان ذكره ارسطو واعتبر ذلك بالوسم وهذا الحيوان يعتريه من الامراض وجع المفاصل لطول قيامه وثقل جثته لانه لا يضطجع

(الوصف والتشبيه قال عبد الكريم النهشلي)

وأضخم هندي النجاد تعده * ملوك بني ساسان ان نابها دهر
يجيء كطود جائل فوق أربع * مضبرة يلبس كما يلبس الصخر

له فخذان كالشثين لبد * وصدر كما أوفى من الهضبة الصدر
ووجه به أنف كراوورق خمرة * ينال به ما يدرك الانمل العشر
وجنبان لا يروى القليب صداهما * ولو أنه بالباع منهرب حفر
وأذن كنصف الرد يسمعه الندا * خفيا وطرف ينقص الغب مزور
ونابان شقا لا يريد سواهما * قيامين سمراوين لمعهما تبر
له لون ما بين الصباح وليله * اذا نطق العصفور أو صوت الصقر

(صلاح الدين الصفدى رحمه الله ملغزا)

أيما اسم تركيبه من ثلاث * وهو ذو أربع تعالى الاله
حيوان والقلب منه نبات * لم يكن عند جوعه يرعاه
فيك تصحيفه ولكن اذا ما * رمت عكسا يكون فى ثلثاه

قد جعل الله فى طبع الفيل الهرب والوحشة من النسور واذا احتملت المرأة من نحو هامه العسل لم تحبل أبدا وكذلك اذا علق على شجرة لم تحمل تلك السنة

(القول على طبائع الكركدن) وتسميه الهند النوسان ويسمى أيضا الحمار الهندى وهو عدو الزبرقان والفيل ومعادنه ببلاد الهند والنوبة والحبا وهو دون الجاموس ويقال انه متولد بين الفرس والفيلة وله ظلف واحد غير مشقوق وقرن واحد عظيم على أنفه بارز ولا يستطيع لثقله أن يرفع رأسه وهذا القرن مصمت قوى الاصل حاد الرأس مرهفه يقاتل به الفيل فلا يفيده معه ناباه ويقال انه اذا نشر رؤى فى داخله صورة بياض فى سواد صفة انسان ودابة وسمكة وما يشا كل ذلك وأهل الصين يتخذون منه المناطق ويغالون فى ثمنه ويقال ان حمل الانثى من هذا النوع كأيام حمل الانثى من الفيلة والانثى تأكل ولدها ولا يسلم منها الا القليل والولد يخرج قويا نابت الاسنان والقرن قوى الحافر وقد زعم أنه اذا كان فى بطن أمه وقارب الوضع يخرج رأسه من فرجها ويرعى من أطراف الاشجار ما يقوته ثم يرجع به وقد أنكر الجاحظ هذا القول وقد جعله ضربا من الخرافات وتزعم الهند أنه اذا كان فى ناحية من البلاد لا يقربها حيوان أصلا ويكون بينها وبينه من البعد مائة فرسخ من أربع جهاته هيبة له وهربا منه والدس كذى القرن مشقوق الظلف وهو

يجتر كما يجتر البقر والغنم والابل ويأكل الحشيش والهند تأكل لحمه وكذلك في بلادها من المسلمين لانه نوع من البقر والجواميس ويقال انه شديد العداوة للانسان حتى أنه اذا شم رائحته أو سمع صوته جد في طلبه فاذا أدركه قتله وان لم ينتفع به لانه لا يأكل اللحم وهذا الحيوان لا يبرك ولا ينام اذ ليس له مفصل في ركبتيه ولا في يديه بل هو من ظلفه الى ابطه قطعة واحدة

(القول في الزرافة) والزرافة في كلام العرب الجماعة لانها اجتمع فيها صفات كثيرة من الحيوان وهي عنق الجمل وجلد النمر وقرن الظبي وأسنان البقر ورأس الابل ولهذا زعم بعض المتكلمين في طبائع الحيوان أنها متولدة من حيوانات وقال ان السبب في ذلك اجتماع الوحوش في حماوة القيظ على شرائع المياه فتتسافد فيلقح منها ما يلقح ويمتنع ما يمتنع فربما سفد الانثى من الحيوان ذكور كثيرة فتختلط مياهها فيجيء خلق مختلف الصور والالوان والاشكال والفرس تسمي الزرافة استركاو بلنك فتأويل استر بعير وكاو بقرة وبلنك الضبع وهذا كما رأيت موافق لكلام العرب من كونها مركبة الخلق من حيوانات شتى والجاحظ لا يعجبه هذا القول ويقول انه جهل شديد لا يصدر من لديه تحصيل لان الله يخلق ما يشاء وهو نوع من الحيوان قائم بنفسه كقيام الخيل والحمير ومما يحقق ذلك أنه يلد مثله وقد شوهد وهي طويلة اليدين والعنق جدا حتى يكون في مجموعها عشرة أذرع وأكثر قصيرة الرجلين جدا وليس لها ركب وانما الركب ليديها كسائر البهائم واذا أكلت مما على الارض تفحجت لقصر عنقها عن بدنها ومن عادتها أن تقدم عند المشي اليد اليمنى والرجل اليسرى بخلاف ذوات الاربع فانها كلها تقدم اليد اليمنى والرجل اليمنى وفي طبعها التألف والتودد والتأنس وهي تجتر وتبعر

(الوصف) ابن حمديس

ونوبية في الخلق منها خلائق * متى ما يرق العين فيها تسهل
اذا ما اسمها ألقاه في السمع زاجر * رأى الطرف ما عنى عناه بمقول
لها فخذ اقرم وأظلاف قرهب * وناظرتا ريم وهامة أيل
كأن الخطوط البيض والصفر أشبهت * على جسمها ترصيع عاج مصندل
ودائمة الاقعاء في أصل خلقها * اذا قابلت ادبارها غير مقبل

تلفت أحيانا بعين كحيلة * وجيد على طول اللواء المطائل
وتنفض رأسا فى الزمام كأنما * تريك له هادى على السحب مقتل
وعرف رقيق الشعر تحسب نبته * اذا الريح هزته ذوائب سنبل
وتحسبها من نفسها ان تبخترت * تزف الى بعل عروسا وتجتلى
فكم منشد قول امرئ القيس عندها * أفاطم مهلا بعض هذا التدلل

(ومن أبيات الفقيه عمارة اليمنى)

وبها زرافات كأن رقابها * فى الطول ألوية تؤم العسكرا
نوبية المنشا تريك من المها * زرقا ومن بزل المهارى مشفرا
جبلت على الاقعاء من اعجابها * فتخالها للتيه تمشى القهقرا

(الباب السادس والاربعون فى الحمام وما فى وصفها من بديع النظام)

قد جرت عادة الكبراء والعظماء باتخاذ الحمام فى منازلهم ولا سيما فى أيام الخلفاء فأكثر ذلك فى أيام الناصر لدين الله أحمد بن الامام المستضئ فانه اهتم بأمرها وبأمر انشائها وما زالت الخلفاء والملوك يطيرون الحمام ويسابقون به ولا يختص بذلك بنو العباس قال صاحب روض الاذهان كان الوزير أبو الفرج يعقوب وزير المعز أجل الخلفاء المصريين وأفخمهم وكان له حمام يسابق به فاتفق انه سابق بها طيور الخليفة العزيز فسبق حمامه فعظم ذلك على الخليفة ووجد أعداء الوزير الطعن عليه من أن هذا الوزير يختار الجيد لنفسه من كل شئ ويختار للخليفة الادنى فبلغ ذلك الوزير فكتب الى الخليفة

قل لامير المؤمنين الذى * له العلا والكوكب الثاقب
طائرك السابق لكنه * جاء وفى خدمته حاجب

فسكن غيظ الخليفة عنه ولما مات هذا الوزير خلف أربعة آلاف مملوك وحارة الوزيرية فى القاهرة وتعرف به وبساتين الوزير بالقرب من بركة الجيش ولما مات نزل الخليفة وألحده فى قبره وبلغ كفنه وما يدخل فيه عشرة آلاف دينار (قال الجاحظ) وقد تباع الحمامة بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك شئ من الطير ومن دخل بغداد والبصرة عرف ذلك وتباع البيضة بخمسة دنانير والفرخ بعشرين دينارا روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه اشتكى الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة فقال اتخذ حماما تؤنسك وتصيب من فراخها وتوقظك للصلوة بتغريدها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمام فانها تلهى الجن عن صبيانكم روى جابر أنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه النظر الى الحمام والابراج وكان فى منزله صلى الله عليه وسلم حمام أحمر اسمه وردان وكان ابراهيم بن بشار معجبا بالحمام وكان اذا ذكرها يقول ان الله جمع فيها حسن النظر وكريم الخبر تكفيك مؤنتها فهى للطارق عدة وللمستوطن لذة تطعم فى الصحراء وتعود اليك فى السراء يأنس الوحيد بحركاتها وتغنيه عن الاوتار بنغماتها وغيرها من الطير يستعجم وهى ناطقة وتنفر عنك وهى داجنة وفى طبعها السكون الى الناس والاستئناس بهم وهى طير عفيف يبقى الذكر بعد الانثى منفردا والانثى مثل ذلك مع شدة اتفاقهما على المحبة ان طارا طارا معا وان وقعا وقعا معا مع سرعة طيران لا تكاد سباع الطير تصيدها الا بحيلة ولم تزل العرب تستحسن سجع الحمام وتغريد البلابل والورشان واعراب وادى القرى اذا ظفروا بشراب الطائف أتوا حوائط من النخل عند استواء الظهيرة اذا صارت الوراش والفواخت الى ذلك الظلال فيشربون و يأنسون بتغريدهن و يقيمون أصواتهن مقام المزامير والاوتار وفى ذلك يقول بعضهم

أحن الى حوائط ذات عرق * لتغريد الفواخت والحمام

ألم بها وكل فتى كريم * من الفتيان مخلوع الزمام

(وقد ألف) القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر كتابا سماه تمائم الحمائم وذكر فيه أنسابها وأنواعها وغير ذلك ومنه قول القاضى الفاضل لازالت أجنحتها تحمل من البطائق أجنحه وتجهز جيوش المقاصد والاقلام أسلحه وتحمل من الاخبار ما تحمله الضمائر وتطوى الارض اذا نشرت الجناح الطائر وكادت تكون ملائكة لانها رسل اذا نيطت بالرقاع طارت أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع وقد باعد الله بين أسفارها وقربها وقربها وجعلها طيف اليقظة الذى صدق العين وما كذبها وقد أخذت عهود اداء الامانة فى رقابها أطواقا وأذنها من أذنابها أوراقا فصارت خوافى وراء الخوافى وغطت سرها بكتمان سحبت عليه ذيول ريشها الصوافى ترغم النوى بتقريب العهود وتكاد

العيون تلاحظها تلاحظ أنجم السعود وهي أنبياء الطير لكثرة ماتأتي به من الانباء وخطباؤها لانها تقوم على منابر الاغصان قيام الخطباء وسماها القاضي الفاضل في مكان آخر ملائكة الملوك فرحمه الله ما كان أقدره على الكلام وما أحسن ما وصف الحمام وتسميته اياها أنبياء الطير قال الشيخ تاج الدين بن الاثير من فصل طالما جارتها الرياح فأصبحت مخلفة وراءها تبكي على المحب وصدق من سماها أنبياء الطير لانها مرسلة بالكتب وقال الشيخ السديد علم الرؤساء من رسالة في تقدمته بالبشائر يكون المعنى بقولهم أيمن طائر ولا غرو أن فارق رسل الارض وفاتهم وهو مرسل والعيان عيانه والجو ميدانه والجناح مركبه والرياح موكبه وابتداء الغاية شوطه والتشوق الى أهله (وقال الاسعد بن مماتي) من صدر رسالة

أعوامل بالفلات مما يدلنا * على ان معنى الغاب من عادة القلب
ومن لم يجد شخصا من الانس كاملا * يثبت له الشكوى تشاغل باللعب

بلغني أن الحضرة قد أطاعت سلطان نفسها واسترجعت شيطان أمسها وعزمت على انفاق كيس الايام بالاشتغال بالحمام (وللشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة) وفرضا ماأعزك الله ان ذلك الواشي في كلامه مصيب فالملوك أولى بالتقاط فوائد مولانا الاني ابن أبي حجلة وللطير في دار الكرام نصيب (صلاح الدين الصفدي) وكتبها الى بعض أصحابه

هذي بطاقة قادم * قد جاء يلهج بالمدح
حملتها قلبي الذي * قد طار نحوك بالفرح

(قلت) ماألطف قول الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة

شكرت اقتراحي في المديح فلمتني * وقبلي أناس كان يشكر ما اقترح
ولو كان من شعري المحجل ريشة * لكل بني الآداب طارت من الفرح

القاضي الفاضل

ليهنك طائر الفتح المبين * وما أدى من الخبر اليقين
وأشرق في الخيام على رياض * وخط من الرماح على الغصون
وأطرب بالكتاب وزاد حتى * ظننا ه يغني باللحون
وسرك باليقين بغير وعد * ترجمه ظنون بقدوسين

بما أسهرت جفن السيف حتى * جعلت السيف غمدا للجفون

(وله تغمده الله برحمته)

وقد ألف التخليق ريش جناحها * فجاءت إلينا فى رداء العرائس
وما خلقت بالزعفران وانما * تضمخن دما من أكل قتلى الفوارس
ملائكة الرحمن ترجى كتابها * اليهم بشراهم بقتلى الابالس

(وله رحمه الله)

بشائر يأتى الطير حامل كتبها * فيأتى سرور لم يدعه ونفسه
غدوت ولا سيف يقر بغمده * وبت ولا طير يقر بعشه

(ذكر ابن مسدى فى معجمه) قال سمعت أبا الحسن محمد بن نصر الله بن عنين يقول كنت بخراسان بمجلس الفخر الرازى اذ أقبلت حمامة يتبعها جارح فسقطت فى حجر الفخر الرازى وعاذت به على منبره فقمت وأنشدت بديها

يا ابن الكرام المطعمين اذا شتوا * فى كل مسغبة وثلج خاسف
والعاصمين اذا النفوس تطايرت * بين الصوارم والوشيج الراجف
من نبأ الورقاء أن محلكم * حرم وأنك ملجأ للخائف
وافت اليك وقد تدانى حتفها * فحبرتها بحياتها المستأنف
ولو انها تحبى بمال لانثنت * من راحتيك بنائل متضاعف
جاءت سليمان الزمان حمامة * والموت يلمع من جناحى خاطف

فخلع عليه جبة كانت عليه وكان هذا سبب الاقبال السعود عليه (من انشاء الشيخ زين الدين بن الوردى) فبينما البازسكران عما بان من البان واذا بحمامة قد وقعت أمامه وقالت كم تفتخر وأنت تعظم تجر أنت من آلة اللعب والصيد وأنا من آلة الجد والكيد أنا مع الطوق والخضاب من جملة حملة الكتاب ومع خوفى من شرك الشرك وحذرى من فخ الافك حملت الامانة التى أبت الجبال عن حملها وامتثلت مرسوم ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فلما أوصلت الحقوق أمنت العقوق وتزينت بالبشائر والخلوق ومما أعجب العالمين أنى مخضوبة البنان ولى عين أقول للاندع الاهتمام ولا تحزن فانى أنا الحمام مهما حدث عليك من البعد من أخر امك أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك كتمت عن الناس سرى وأبهمت فى الغناء والنوح أمرى

وروى خضابى وما وقى * فاستنكفوا من بكائى
ثم ادّعوا أن نوحى * مناسب لغنائى
فقلت كفوا فدمعى * باد بغير اختفاء
الخضب من فيض دمعى * والصبر عقد ولائى

(قال القاضى علاء الدين الوداعى) كان القاضى الفاضل يسمى الحمام ملائكة الملوك فسميت انا البريدية شياطين السلاطين

(الباب السابع والاربعون فى الحصون والقصور والآثار)
(وما قيل فيها من رائق الاشعار)

ما أحسن قول القاضى الفاضل ووردنا حصين كوكب وهو نجم فى سحابه وعقاب فى عقاب وهامة لها الغمامة عمامه وأنملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامه (وقال الشيخ شهاب الدين محمود) حصن قد تفرط بالنجوم وتقرطق بالغيوم وسما فرعه الى السماء ورسى أصله الى التخوم تخال الشمس اذا علت أنها تتنقل فى أبراجه ويظن من سها الى السها أنها ذبالة فى سراجه لا يعلوه من ممر الطير غير نسر السما وزمامه ولا يرمق متبرجات بروجه غير عين الشمس والمقل التى تطرف من أنجمه وحوله كل شامخ تهيب عقاب الجو قطع عقابه وتقف الريح حسرى اذا توقلت فى هضابه تخفق العيون اذا رمقته سلوك مادونه من المحاجر ويخيل الفكر صورة الترقى اليه لا يبلغها حتى تبلغ القلوب الحناجر وحوله من الاودية خنادق لا تعلم منها الشهور الا بأنصافها ولا تعرف فيها الاهلة الا بأوصافها (وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة) من باب محروم الخاطر وادهى سماء يتقاعس الفكر عن محاولة شهبها وحسناء كلما رمت أن تنظر وجهها الحسن فكان قرص الشمس مرآة وجهها تزاحم بروجها السماء بالمناكب وتضىء اضاءة نجومها الثواقب وتلقى اذا عطشت كوكب الدلو بأرشية البروق فى قليب السحائب لا تسامى ولا تسام ولا يحصل منها قادم سفر الا على معانقة العوالى ومصافحة السهام (وقال علاء الدين بن غانم) ذات أودية ومحاجر لا تراها العيون لبعد مرامها الا شزرا ولا ينظر ساكنها العدد الكثير الا نزرا ولا يظن ناظرها الا أنها

طالعة بين النجوم بما لها من الابراج واهامن الفرات خندق يحفها كالبحر الا ان هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ولها وادلا يتقى لفحة الرمضاء ولا حر الهواجر وقد توعرت مسالكه فلا يداس فيه الا على المحاجر وتفاوت ما بين مرات العلا وقراره العميق ويقتحم راكبه الهول في هبوطه فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق (وقال سيدى الاخ العزيز الفاضل تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى) سلمه الله تعالى في وصف قلعة دمشق عندما حوصرت في الوقعة المشهورة ونظرت بعد ذلك الى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة حربها حتى قلنا أزفة الآزفه وقد ستروا بروجها من الطارق وهم يتلون ليس لها من دون الله كاشفه واستجليت عروس الطارمة عند زفتها وقد تجهزت للحرب ولم ترض بغير الارواح مهر وقد أعقدت على رأسها تلك العصائب وقد توشحت بتلك الطوارق وأدارت على معصمها الابيض سوار النهر وغازلت بحواجب قسيها ورمت القلوب من عيون مراميها بالنبال وأهدت الى العيون من مكاحل نارها أكحالا كانت السهام لها أميال وطالما كل من الحاضرين وقد غلا دست الحرب وشمخ وهو على فرسه بنفسه الغاليه وراموا كشفها وهم في رقعة الارض كأنهم لم يعلموا بأن الطارمة عاليه وتالله لقد حوت بقوم لم يتدرعوا بغير آية الحرس في الاسحار وقد استيقظوا لحمل قسيهم ولم تنم أعينهم عن الاوتار فأعيذ رواسيها التى كالجبال الشامخة من أسس المحجوج وأحصنها قلعة بالسماء ذات البروج (قلت) ويحسن ذكر المنجنيق في هذا الموطن نقلت من خط القاضى صلاح الدين الصفدى قال نقلت من خط السراج الوراق لنفسه يصف حجارة المنجنيق

ترقى بمكر المنجنيق الى السها * وتعود تطلب مركزا رباها
وحمت بها الاسوار ثم تكلمت * لم لا وقد فتحت بها أفواها
وتوالت السمر الطوال سواكها * وثغورها لا تنجلى بسواها

(وقال ابن النبيه) من قصيدة يمدح بها الاشرف ويصف دارا بناها بقلعة أخلاط

سقى الله من أعلام أخلاط قلعة * يحوم بها نسر السما على وكر
ودار على خير الطوالع أسست * فمن حل فيها في أمان من الدهر
تجلى مدى الابصار لمع بياضها * فأحسبها قد ألبست بهجة الدر

وقد أثبتت أركانها من نقوشها * تماثيل روض لم يزل يانع الزهر
تكاد تشم المسك من نسماتها * و يقطر من أرجائها ورق التبر
تسر وتلهى ساكنيها بحسنها * فان شئت أغنت عن غناء وعن خمر
اذا فتحت أبواب مستبشر بها * جلت لك نور البحر والوحش في البر
فان شئت للأخرى فمحراب ناسك * وان شئت للدنيا فريحانة العمر
وان جمعا فلله مازال جامعا * شتيت العلا الاشرف بن أبي بكر
(وللشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة) في مدرسة القاضي بدر الدين بن الجزولي بمصر
تأمل ففضلي سار في البر والبحر * ولي خبر في مصر يغني عن الخبر
يقابلني المقياس يوم وفائه * بوجه فتاه لاح من خلل الستر
فشباكه يرنو الى باعين * جلبن الهوى من حيث أدري وما أدري
أهيم بها في مصر حتى كأنها * عيون المها بين الرصافة والجسر
فلا عذري عندي للنسيم اذا سرى * وكم في الهوى العذرى للصب من عذر
تداوى بشرب الماء عندي جماعة * كما يتداوى شارب الخمر بالخمر
عماتي من عين الحيوة لانه * من الروض يأتيني على قدم الخضر
و بسطي روضى والقناديل زهرها * وثغر حباب الماء يبسم عن در
فلا تعجبا من زائري ان توقدت * عليه مصابيح الطلاقة والبشر
تشاهد مني العين في مصر روضة * ترى زهرها في الماء كالانجم الزهر
وكم وردة أبدى دهاني حسنها * يبيت بها قلب الحسود على الجمر
(وله فيها)
داريصان الجار في أرجائها * ويذل فيها صين الاموال
نسيت بها الاهرام لما ان غدت * بضيائها هولا من الاهوال
(الشيخ شمس الدين بن القريه السكندري) فيمن له غلام اسمه ريحان
ان الامير حباه رب العرش احسانا ومنه
هو والغلام وداره * روح وريحان وجنه
(حكى) عن سنمار أنه كان رجلا حاذقا بالبنيان فأمره النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس اللخمي ان يبني له حصنا بظاهر الجزيرة وهو الذي يقال له الخورنق فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه واتقان عمله فقال

له لو وفيتموني أجرى لبنيته بناء يدور مع الشمس كيفما دارت فقال النعمان أقدرت على أحسن منه ولم تفعل فأمر بقذفه من أعلاه وقيل انما قتله لانه لما فرغ من بنائه خلا به وقال له ان هذا البنيان كله مردود الى هذا الحجر فاحتفظ به فانه ان نزع سقط البناء كله فقتله لئلا يطلع على ذلك غيره فضربت به العرب المثل وأكثرت فيه فقالوا جزاه الله جزاء سنمار (وقال الشاعر) أنشده ابن مالك

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمار

(وقال عبد العزيز بن امرئ القيس)

جزاني جزاه الله شر جزائه * جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

(قال ابن الشجري) يقال رجل سنمار اذا كان حسن الوجه أبيضه ويقال للقمر سنمار (ولما أراد المنصور) أن يبني بغداد في سنة أربعين ومائة سأل راهبا كان في صومعة في مكان بغداد عندما أراد أن يختطها أريد أن أبني هنا مدينة فقال له الراهب انما يبنيها ملك يقال له الدوانى فضحك المنصور وقال أنا هو وشرع في بنائها سنة أربعين ومائة ونزلها سنة ست وأربعين وفي سنة ست وأربعين تم بناؤها وهي بغداد القديمة التي بالجانب الغربي على دجلة وهي بين الفرات ودجلة كما جاء في الحديث لا بغداد الثانية وهي الجديدة التي في الجانب الشرقي وفيها دور الخلفاء وبغداد عبارة عن سبع محال لا تفتقر منها محلة الى غيرها على شاطئ دجلة فالذي في الجانب الشرقي الرصافة بناها المهدي بن المنصور حين ضاقت بالرعية والجند سنة (قلت) احدى وخمسين وهي مدينة مسورة والثانية مشهد أبي حنيفة مسورة والثالثة جامع السلطان غير مسورة والرابعة مدينة المنصور في الجانب الغربي وتسمى باب البصرة وكان بها ثلاثون ألف مسجد وخمسة آلاف حمام والخامسة مشهد موسى بن جعفر مسورة والسادسة الكرخ مسورة والسابعة دار القز مسورة (قلت) مكتوبا على ظاهر المدرسة التي أنشأها الشيخ الامام العالم أوحد القراء أبو عبد الله شمس الدين محمد بن الجزري تغمده الله برحمته بعقبة الكتاب عمرها الله ببركته وأظن أنها من نظمه

يا دار علم لما ثمّ تقصد * وبصدرها تروى العلوم وتسند

خلعت عليك الكائنات جمالها * فلذاك سعدك دائما يتجدد
أضحيت للراجين قبلة قاصد * لكمالها تعنو الوجوه وتسجد
نظرتك شمس للعلوم منيرة * منها الطلاب الفضائل تنجد
ياباذلا للمال غير مذمم * حاشاك من ذم وأنت محمد
كم قلد الناس اجتهادك منة * فحمدت مجتهدا وأنت مقلد
طربت بذا المعنى العقول فياله * من دار قرآن وفيه معبد
بالامس كان على الطريق قامة * واليوم فهو على الحقيقة مسجد
ماان تراه مشاهدا لجماله * الاوتعجب من سناه فتنشد
واذا نظرت الى البقاع وجدتها * تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

(وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب) في عمارة السلطان الملك الطاهر برقوق التي بناها بين القصرين عمرها بحياته عمارة الظاهر قد أصبحت أركانها شاهقة كالعلم وبشرت أحجارها بالبقاء وأنه يبلغ سن الهرم (وله) في رباط المعشوق الذي بمصر المحروسة المشرف بالآثار الشريفة

لنا رباط وبالمعشوق شهرته * آثار خير الورى فيه بتحقيق
يصبو فؤادي لمرآه ولا عجب * ان هام قلبي في آثار معشوق

(غيره)

أتيت الى المعشوق من بعد فرقة * وهجر وقلبي بالنوى يتضرم
فقابلني والثغر بالزهر باسم * وما أحسن المعشوق للصب يبسم

(قلت) وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام الفاضل اللغوي جلال الدين أبو المعالي بن خطيب داريا

ياعين ان بعد الحبيب وداره * ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد حظيت من الزمان لطائل * ان لم تريه فهذه آثاره

(صلاح الدين الصفدي رحمه الله)

أكرم بآثار النبي محمد * من زارها استوفى السعود مزاره
ياعين ويحك فانظري وتمتعي * ان لم تريه فهذه آثاره

(وقال الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفي) موريا به وبغيره من عمارة مصر المحروسة

وليلة مرت بنا حلوة * ان رمت تشبيها لها عبتها
لا يبلغ الواصف في وصفه * حدا ولا يلقى لها منتهى
بت مع المعشوق في خلوة * ونلت من خرطومه المشتهى

(وقرأت) في شرح قصيدة بني الافطس التي شرحها الكاتب أبو القاسم عبد الملك ابن عبد الله بن بدرون الحضرمي السلي رحمه الله عند ذكر كسرى هو كسرى أنوشروان بن ساسان كان ملكه ثمانية وأربعين سنة وقيل سبعا وأربعين سنة وثمانية أشهر وهو الذي بني سور الباب والابواب وجعل هذا السور من جوف البحر مقدار ميل وبناه على الزقاق بلبن الحديد والرصاص وكلما ارتفع البناء نزلت الى ان استقرت في قرار البحر وارتفع السور على الماء فغاصت الرجال بالخناجر والسكاكين الى ذلك الزقاق فشقتها وتمكن السور على وجه الارض في قاع البحر وذكر المسعودي أن هذا السور كان باقيا سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة ويسمى هذا السور الذي في البحر القيد وصعد هذا السور في أكرعلى جبل القبخ أربعين فرسخا حتى انتهى الى طبرستان وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور بابا من الحديد وأسكن من داخله أمة من الناس تراعي ذلك الباب وما يليها من السور وذلك لدفع الامم المتصلة بذلك الجبل وهم أنواع من الامم منهم اللان والجرز والترك والبرغز وغيرهم وذكر في كتابه هذا عند ذكر المأمون ومن تسمى باسمه فمنهم يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة يحكى أنه بنى قصر طليطلة وتأنق في بنائه وأنفق فيه أموالا كثيرة وصنع فيه بحيرة وبنى في وسطها قبة وسيق الماء الى رأس القبة حواليها محيطا بها متصلا بعضه ببعض فكانت القبة في غلالة من ماء تسكب ولا تفتر والمأمون بن ذي النون قاعد فيها لا يمسه فيها شئ ولو شاء أن يوقد فيها الشمع لفعل فبينما هو نائم فيها اذ سمع منشدا ينشد

أتبني بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها لو عقلت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية * لمن كان يوما يقتضيه رحيل

فما لبث بعد هذا الا يسيرا حتى قضى نحبه (أنشدني الشيخ شمس الدين الجرائحي) من لفظه لنفسه وقد أمره القاضي فتح الدين بن الشهيد أن ينظم شيأ يكتبه على طراز في صدر ايوانه

أيا من بطرز الدر أكمامهم سمت * قفوا وانظروا ادار الطراز على خصرى
وصدرى لاسرار الممالك حائط * من الفضة البيضاء والذهب المصرى
فمن ذا يضاهى افتخارا وقد غدت * خزائن اسرار الممالك فى صدرى

(نقلت) من خط الشيخ بهاء الدين الموصلى والد شيخنا العلامة عز الدين أبى الخير الموصلى من مقامة وسماها بسلوة الغريب وخلوة الحبيب منها فى وصف القصر الابلق بدمشق وقصرها الابلق ليس بالعقوق من شاهد بديع معانيه لنهى عن العاشق والمعشوق قد شام فى غمده مشهور عمدان وأسبل على ايوان كسرى ستر النسيان يبهر الناظر حسن معناه ولا يقدر على وصف محاسنه من يراه الماء مرفوع فى أقطاره ونواحيه منتصب فى فوار بركه لتمييز ناظريه يتكسر جمعه على شاذروانانه مجرورا باضافته الى مجاريه فقد اجتمع لقاطنه اضافة المعنى والحسن الباهر ولم يكمل ذلك البهاء الا بكمال جمال الظاهر أعين شبابيكه الى ميدانه الاخضر ناظرة قد جمع الصادح والباغم واللاقط والطاعم به الظباء الاوانس والمها الكوانس أقطاره عريضة طويله لا ترجع الابصار من السفر فى زمنه الا كليله أخجلت خمائله الايك والغصن ولاذ القائف بالسلوان عن اقتفاء أثر السلوك فى معانيه التى كلها عيون وقف الابلق حين جرى الى منتهاه وأدركه الاعياء فسكن بأقصاه وشاهد الشقراء تمرح فى ميدان واديها فأراد الوصول اليه فعاوده الاضطراب فقطعت عليه الانهار الطريق وضرب بينهما بسور له باب (الايوان) من بعد هدمه بناه كسرى أبرويز فى نيف وعشرين سنة ومائة ذراع فى عرض خمسين فى سمك مائه من الآجر الكبار والجص وثخن الجدار الازج خمس أجرات وطول الشرف خمسة عشر ذراعا ولما بنى المنصور بغداد حب ان ينقضه ويبنى به فاستشار خالد ابن برمك فنهاه وقال هو آية الاسلام ومن علم أن هذا بناؤه لا يزيل أمره الا نبى وهو مصلى على بن أبى طالب رضى الله عنه والمؤنة فى نقضه أكثر من الارتفاق به فقال أبيت الا الميل الى العجم فهدمت ثلمه منه فبلغت النفقه عليها مالا كثيرا فأمسك فقال خالد أنا الآن أشير بهدمه لئلا يتحدث بعجزك عنه فلم يفعل وعلى ذكر الايوان فما أحسن ما أنشدنى من لفظه لنفسه أجازة شيخنا العلامة عز الدين أبو الخير الموصلى محاجيا

يامن له الطول في المعالي * وبالمعاني لنا يبصر
اني كما قلت في سؤالي * ما مثل قولي نعم مقصر

(القاضي فتح الدين بن الشهيد) على لسان مجلس داره وقد بنى لبعض الاجلاء في داره مجلس عال

يامن ينزه في حسني نواظره * اسمع صفات بها قد فقت أمثالي
انى مقام مقر عز جانبه * ودون قدر جناب المجلس العالي

(أنشدني من لفظه لنفسه الاديب الفاضل الكامل شمس الدين أبو عبد الله الجرائحي) في مجلس بناه سيدنا ومولانا قاضي القضاة وشيخ الشيوخ خطيب الخطباء أبو الحسن علاء الدين بن أبي البقاء السبكي الشافعي تغمده الله برحمته

ومجلس قد قال لي منشي * ما مثله في الفضل قاضي القضاه
قد أسس البنيان مني على * تقوى من الله وأرضى الاله
فصرت كالكعبة من أجله * تسعى الى نحوى الحفاة العراه
فما سعى نحوى أخو شدة * الا ومن ربي لاقى رضاه
فالاسم مني في الهجا معرب * وانما للمدح قصدا بناه
خص بخفض العيش من أمني * ورفعه يبقى بقصد النحاه
قاض قضى بالحق لكنه * جار على ما ملكته يداه
فما اشتكى الفقر اليه امرؤ * الا ونادى المال كن في رضاه

(وأنشدني لنفسه) فسح الله في أجله في منزل القاضي فتح الدين بن الشهيد)

يا منزلا بالبهاء والحسن ناظر من * طرز الملوك طرازي است من طرزي
والناس دون محل الغير تقصدني * من القبول لان السر في حرزي

(ومن المباني العظيمة المذكورة في القرآن العظيم ارم ذات العماد) قال أصحاب الآثار ورواة الاخبار لما سمع شداد بن عاد بن أرم وصف الجنة سولت له نفسه أن يبني مثلها فبنى مدينة بين حضرموت وصنعاء طولها أثنى عشر فرسخا وعرضها مثل ذلك وأحاط بها سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشى خارجها فضة مموهة بالذهب وبنى داخلها امائة مائة ألف قصر بعدد رؤساء أهل مملكته بلبن الذهب والفضة وكذلك جذوع سقوفها وأساطينها وأجرى في وسطها نهرا

صفح أرضه بالذهب وجعل على حافتيه أنواع الجواهر واليواقيت بدلا من الحصباء وألقى فيه المسك والعنبر عوضا عن الحمأة وفرع منه جداول الى تلك القصور والمنازل وغرس على شطوطها من الاشجار ما كان لزهره عرف ورائحته ذكية وزعموا أنه أقام في بنائها ثلاثمائة سنة فلما تم بناؤها زاد في طغيانه ولم يعبأ بربه فبعث الله هودا عليه السلام يدعوه الى الله تعالى ويحذره سطوته ويخوفه نقمته فلم يجبه الى مادعاه اليه وخرج من حضرموت الى ذات العماد ليبلغ نفسه مناها بسكناها فلما أشرف عليها جاءته صيحة من السماء فأهلكته وجنوده وأفاتته أمله ومقصوده (ويروى) أن عبد الله بن قلابة خرج في طلب ابل ندت له فوقع عليها فحمل ماقدر عليه مما ثم فبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه خبره فبعث الى كعب فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وفي عنقه خال يخرج في طلب ابل ندت له ثم التفت فرأى ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل وزعم الاخباريون أنه كان بها أربعمائة ألف وأربعون ألف عمود ولهذا سميت ذات العماد (ومن المباني العظيمة سد ذي القرنين) الذي بناه على يأجوج ومأجوج وصفته على ماحكاه ابن خردادبه أن مكانه جبل أملس مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا وفي جانبي الوادي عضادتان مبنيتان عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا كل ذلك مبني بلبن الحديد مغيب في نحاس في سمك خمسين ذراعا وعلى العضادتين دروند حديد طرفاه في العضادتين طوله مائة وعشرون ذراعا وفوق الدروند بناء بتلك اللبن الحديد المغيبة في النحاس الى رأس الجبل وارتفاعه مد البصر وفوق ذلك شرافات من حديد في طرف كل شرافة قرنان يثني كل واحد منهما الى صاحبه وبين العضادتين باب من حديد بمصراعين وبين كل مصراع خمسون ذراعا في خمسة أذرع وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ باع في الاستدارة وارتفاع القفل من الارض خمسة وعشرون ذراعا وعتبة الباب عشرة أذرع ببسط مائة ذراع سوى ما كان تحت العضادتين ويقال ان آلة البناء التي بني بها هذا السد موجودة يحصون بناها ذو القرنين ورتب فيها حراسا يحرسون هذا السد وهي مغارف وبقية لبن كل ذلك من حديد وان كل لبنة ذراع ونصف في مثل ذلك في سمك شبر قد ألصق الصداء بعضها

ببعض (ومن المبانى المشهورة قصر غمدان وكان بصنعاء) قال الجاحظ أحبت العرب أن تشارك الفرس فى البناء وتنفرد بالشعر فبنوا غمدان وكعبة نجران وحصن مارد والابلق ويزعم بعض الاحبار بين ان بانيه حام بن نوح ويزعم آخرون أن بيوراسف بناه على اسم الزهرة (وذكر ابن هشام) ان الذى أسسه قحطان بن يعرب وأكمله بعده وأصله وائل بن حمير بن سبأ بن يعرب وخربه عثمان بن عفان رضى الله عنه وكانت صفته على مانقلته من الكتب المدونة فى العجائب مربعا أحد أركانه مبنى بالرخام الابيض والثانى بالرخام الاصفر والثالث بالرخام الاخضر والرابع بالرخام الاحمر فيه سبع سقوف طباقا ما بين السقف والآخر خمسون ذراعا وجعل على كل ركن تمثال أسد من النحاس اذا هبت الريح دخلت من دبره وخرجت من فيه فيسمع له صوت كزئير الاسد وقال ابن الكلبي كان على ركن من أركان غمدان مكتوب بالحميرية اسلم غمدان معاديك مقتول بسيف العدوان وذكر الجاحظ فى كتاب الامصار أن قصر غمدان كان أربعة عشر غرفة بعضها فوق بعض ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لا يستقيم أمر العرب مادام فيها غمدانها وهذا القول الذى حض عثمان على هدمه وأثره باق على تل عال مطل على البلد قريب الجامع (ومن المبانى) التى تبلى الزمان ولا تبلى وتندرس معالمه وأخبارها لا تندرس ولا تبلى الاهرام التى بأعمال مصر وهى أهرام كثيرة أعظمها الهرمان اللذان بجزيرة مصر غربى النيل يقال ان بانيها شوندير بن سلهوب بن شرناق قبل الطوفان ويقال ان هرمس المثلث بالحكمة وهو الذى تسميه العبرانيون أخنخ وهو ادريس عليه السلام استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان فأمر ببناء الاهرام وايداعها الاموال وصحائف العلوم ومايخاف عليه من الذهاب والدثور وكل هرم منها مربع القاعدة مخروط الشكل ارتفاع عموده سبعة عشر ذراعا يحيط به أربع سطوح متساويات الاضلاع كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعا ويرتفع الى أن يكون سطحه ستة أذرع فى مثلها ويقال انه كان على أعلاه حجر يشبه المكبة فرمته الرياح العواصف وهو مع هذا العظم من الصنعة واتقان الهندام وحسن التقدير بحيث لم يتأثر الى الآن بعصف الرياح وهطل السحاب وزعزعة الزلازل وهذا البناء ليس بين حجارته

ملاط ولا يتخلل بينهما الشعر وطول الحجر منه خمسة أذرع في سمك ذراعين ويقال ان بانيها جعل لها أبوابا على ازاج مبنية بالحجارة في الارض طول كل أزج عشرون ذراعا كل باب من حجر واحد يدور بلولب اذا طبق لم يعلم انه باب والازج الشرقي في ناحية الجنوب والازج الغربي في ناحية المغرب يدخل من كل باب منها الى سبعة بيوت كل بيت منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة وكلها مقفلة بأقفال وحذاء كل بيت صنم من ذهب مجوّف احدى يديه على فيه وفي جبهته كتابة بالقلم المسند اذا قرئت انفتح فيه فيوجد فيه مفتاح ذلك القفل فيفتح به والقبط تزعم أنها والهرم الصغير الملوّن قبور فالهرم الشرقي فيه سوندير الملك والهرم الغربي فيه أخوه هرجيب والهرم الملون فيه [illegible] اب ابن هرمس واليه ينسبون على قول من زعم ذلك وهم يحجون اليها ويذبحون عندها الديكة ويزعمون أنهم يعرفون عند اضطرابها عند الذبح ما يريدون به من الامور المغيبة ولم تزل همم الملوك قاصرة عن [illegible] الى ان ولي المأمون وورد مصر أمر بفتح واحد منها ففتح بعد عناء [illegible] المعينة له على تحصيل غرضه الى أن فتح [illegible] الى [illegible] وهو زلاقة ضيقة من الحجارة الصوان [illegible] الذي [illegible] طاقين ملتصقين في الحائط قد نقروا في الزلاقة [illegible] القعر ويقال ان أسفل البئر ايوانا يدخل منه الى مواضع [illegible] وعجائب وانتهى بهم الطريق الى مواضع مربعة [illegible] حوض من رخام مغطى فلما أزيل عنه غطاؤه لم يوجد فيه الا [illegible] قد أتت عليها [illegible] الخالية فأمر المأمون بالكف عما سواه [illegible] الاهرام فقال كل بناء أخاف عليه من الدهر الا هذا البناء [illegible]

(ومما قيل فيه من الشعر) قول الفقيه عمارة اليمني

خليلي ما تحت السماء أبنية [illegible]

بناء يخاف الدهر منه وكلما [illegible]

وبالقرب من الاهرام [illegible] على [illegible]

ويقال ان [illegible] بالقبطية [illegible]

لئلا [illegible]

الطين الابليز (ومن العجائب منارة اسكندرية) وهي مبنية بحجارة مهندسة
مضببة بالرصاص على قناطر من زجاج والقناطر على ظهر سرطان من نحاس فيها
نحو من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها الى سائر البيوت من داخلها وللبيوت
طاقات ينظر منها الى البحر وبين أهل التاريخ خلاف فيمن بناها فزعم قوم أنها
من بناء الاسكندر بن فيلبس المقدوني وزعم آخرون أنها من بناء دلوكة ملكة
مصر ويقال انه كان على جانبه الشرقي كتابة وأنها نقلت فوجدت بنت هذه
المنظرة قرنياء بنت مرسوس اليونانية لترصد الكواكب ويقال ان طولها
كان ألف ذراع وفي أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال قد أشار بسبابته
اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك يدور معها حيثما دارت ومنها تمثال
وجهه الى البحر متى صار العدو منهم على نحو من ليلة سمع له صوت هائل
تعلم به أهل المدينة طروق العدو ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة
صوت صوتا مطربا ويقال انه كان أعلاها مرآة يرى منها قسطنطينية
وبينهما عرض البحر وكلما جهز الروم جيشا رؤي فيها (وحكى المسعودي) ان
هذه المنارة كانت في وسط الاسكندرية وانها تعد من بنيان العالم العجيب
بناها بعض البطالسة من ملوك اليونان بعد الاسكندر لما كان بينهم وبين
الروم من الحروب في البر والبحر فجعلوا هذه المنارة مرقبا وجعلوا في أعلاها مرآة
من الاحجار المشفة يشاهد بها مراكب العدو اذا أقلعت من رومية على مسافة
تعجز الابصار عن ادراكها فلما ملكها المسلمون احتال ملك الروم على الوليد
بن عبد الملك بأن أنفذ أحد خواصه ومعه جماعة الى بعض ثغور الشام على
أنه راغب في الاسلام وأخرج كنوزا ودفائن كانت في الشام مما حمله على أن
صدقه أن تحت المنارة أموالا وأسلحة دفنها الاسكندر فجهز معه جماعة الى
الاسكندرية فهدم ثلث المنارة وأزال المرآة ثم فطن الناس انها مكيدة منه
واستشعر ذلك فهرب في مركب كانت له معدة ثم بني ما هدم بالجص والآجر ثم
قال المسعودي وطول هذه المنارة اليوم في هذا الوقت الذي وضع فيه هذا
الكتاب وهو سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وثلاثون ذراعا وكان طولها قديما نحو
من أربعمائة ذراع وبناؤها في عصرنا ثلاثة أشكال فقريب من الثلث مربع
مبني بحجارة بيض ثم بعد ذلك مثمن الشكل مبني بالآجر والجص نحو نيف وستين

ذراعا وأعلاها مدوّر الشكل وكان أحمد بن طولون قد بنى فى أعلاها قبة من الخشب ثم هدمت وبنى مكانها مسجدا فى أيام الملك الكامل صاحب مصر ثم ان وجهها البحرى تداعى وكاد أن ينقض فرمم وأصلح وكذلك الرصيف وذلك فى أيام الملك الظاهر بيبرس رحمه الله (قلت) ذكرت هنا ما أنشدنيه من لفظه لنفسه ومن خطه نقلت المرحوم الوزير فخر الدين بن مكانس فى صاحبه الشيخ سراج الدين القوصى السكندرى يداعبه

يا ذا السراج اشترى ايرى فأنت به * أولى وذلك للامر الذى وجبا
سكندرى وتدعى بالسراج وذا * مثل المنار اذا ما قام منتصبا

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه سيدنا ومولانا المقر المجدى فضل الله ولد المرحوم المشار اليه أولا أدام الله نعمته محاجيا وكتب بها الى سيدنا ومولانا أوحد المتكلمين نادرة الدهر المقر الاشرف الامينى كاتب الاسرار الشريفة بدمشق المحروسة أسبغ الله ظلاله

يا من سمى قدره نحو النجوم علا * فأوقع الضد قسرا فى مهالكه
ما بلدة ان تحاجى فى اسمها فطنا * مصحفا قلت يشكو مكر مالكه

(فكتب) اليه الجواب الجناب المشار اليه

أحجية بديعة أن صحفوا * خمسة أجزاء لها على قدر
وعكسوا باقيها وقدموا * فانما هى طفلة كقمر

(قلت) هذه الطريقة غريبة جدا ووجه الحل فيها أن يأتى بالمرادف ثم يصحفه فيكون المقصود ومثاله فى قول المقر المجدى يشكو مكر مالكه فان مرادف يشكو يبث ومرادف مكر كيد ومرادف مالكه ربه فيصير مجموع ذلك يبث كيد ربه فاذا صحفت هذه الكلمات تجدها اسكندرية وهى البلدة المعمى بها فافهمه وأما الثانية فقوله فانما هى طفلة كقمر فالمراد أن مرادف طفلة بنت ومرادف كقمر كبدر فيحصل من ذلك بنت كبدر ثم تضيف الى ذلك معكوس هى وهو يه فاذا صحفت ذلك جميعه وجدته سكندريه وهذا من المعمى الغريب ولم يحلها أحد من متأدبى دمشق والقاهرة غير سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين المخزومى المالكى الشهير بابن الدمامينى أعزالله أحكامه وذلك بتاريخ سنة ست وتسعين وسبعمائة وأنا بالقاهرة المحروسة (رجعنا) الى ما كنا بصدده ومما قيل فى المنارة

من الشعر قول الوجيه الدروى

وشامية الارجاء تهدى أخا السرى * ضياء اذا ما حندس الليل أظلما
لبست بها بردا من الأنس صافيا * فكان بتذكار الاحبة معلما
وقد طلبتنى من ذراها بقية * ألاحظ فيها من صحابى أنجما
تخيلت أن البحر تحت غمامة * وانى قد خيمت فى كبد السما

(وللقاضى الفاضل) لوصفه لبناء بيت المقدس من الرخام الذى يطرد ماؤه ولا ينطرد لألاؤه قد لطف الحديد فى تجريعه وتفنن فى توسيعه الى أن صار الحديد الذى فيه بأس شديد كالذهب الذى فيه نعيم عتيد فما ترى الامقاعد كالرياض لها من بياض الترخيم رقراق وعمد كالاشجار لها من النبت أوراق (وقال أبو عبادة البحترى) يصف قصرا بناه المتوكل بسر من رأى وسماه الكامل

غرف من ميادن فيه دنيا * يوجب الله فيه أجر الامام
شوقنا الى الجنان فزدنا * فى اجتناب الذنوب والآثام

(وله) يصف قصرا آخر بناه المتوكل وسماه الجعفرى

قد تم حسن الجعفرى ولم يكن * ليتم الا بالخليفة جعفر
ملك تبوأ خير دار أسست * فى خير مبدو للامام ومحضر
فى خير مشرفة حصاها لؤلؤ * مبيضة والليل ليس بمقمر
رفعت بمخترق الرياح وجاوزت * ظل الغمام الصيب المستعبر

وهذان القصران من جملة قصور بناها المتوكل وهى بركوانا والعروس والبركة والجوسق والمختار والغريب والبديع والصبيح والمليح والقصر والبرج والمتوكلية والقلايا (حكى المؤرخون) أنه أنفق فى بنائها مائتى ألف ألف وأربعة وسبعين ألف ألف درهم ومنها ذهب بصرف الوقت مع ما فيه من العين ثلاثة عشر ألف ألف وخمسمائة ألف وخمسة وعشرون ألف دينار وكان البرج من أحسنها وكانت فيه صور عظيمة من الذهب والفضة وبركة عظيمة غشى ظاهرها وباطنها بصفائح الفضة وجعل عليها شجرة ذهب فيها كل طائر يصوت ويصفر سماه طوبى بلغت النفقة على هذا القصر ألف ألف وسمائة ألف دينار (ومن المبانى العظيمة) جامع دمشق ذكر الشيخ عماد الدين بن

كثير فى تاريخه البداية والنهاية وفى سنة ست وتسعين من الهجرة تكامل بناء الجامع الاموى بدمشق المحروسة على يد بانيه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان جزاه الله عن المسلمين خيرا وكان أصل موضع الجامع قديما معبدا بنته اليونان والكلدانيون الذين كانوا يعمرون دمشق وهم وضعوها أول ما بنيت وقد كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيرة وكانت أبواب دمشق سبعة وهى القمر الذى فى سماء الدنيا وعطارد فى السماء الثانية والزهرة فى الثالثة والشمس فى الرابعة والمريخ فى الخامسة والمشترى فى السادسة وزحل فى السابعة وكانوا قد صوّروا على كل باب من أبواب دمشق هيكلا لكوكب من هذه الكواكب السبعة وكانت أبواب دمشق سبعة وضعوها قصدا لذلك وكان لهم عند كل باب عيد فى السنة وهؤلاء هم الذين وضعوا الارصاد وتكلموا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارناتها وبنوا دمشق واختاروا لها هذه البقعة الى جانب الماء الوارد بين هذين الجبلين وصرفوه انهارا تجرى الى الاماكن المرتفعة والمنخفضة وسلكوا الماء الى أدنية الدور وبنوا هذا المعبد وكانوا يصلون الى القطب الشمالى فكانت محاريبه تجاه الشمال وبابه يفتح الى جهة القبلة خلف المحراب اليوم كما شاهدنا ذلك عيانا وهو باب حسن من [illegible] وكان غربى المعبد قصر منيف جدا [illegible] قصر جيرون داران [illegible] دمشق قديما [illegible] دور عظيمة [illegible] تكون مكان الحصر التى [illegible] قال الحافظ [illegible] كتب بعض الاوائل انهم مكثوا [illegible] هذه الاماكن ثمانى عشرة سنة وقد حفروا أساس [illegible] الكوكبان اللذان أرادي [illegible] (قال كعب الاحبار) وان هذه الدار [illegible] والسلطنة قال الشيخ أما المعبد [illegible] ولا يخلو حتى تقوم الساعة والمقصود [illegible] التى ذكرناها [illegible]

بنى جدران هذا الجامع الاربعة هود عليه السلام وقد كان هود قبل ابراهيم الخليل بمدة طويلة وقد ورد ابراهيم عليه السلام شمالى دمشق عند برزة وقاتل قوما من أعدائه فظفر بهم وكان مقامه لمقاتلتهم عند برزة وهذا المكان المنسوب اليه بها منصوص عليه فى الكتب المتقدمة وكانت دمشق اذ ذاك عامرة أهله [illegible] فيها من اليونان وهم خصماء الخليل وقد ناظرهم الخليل فى غير موضع فى [illegible] الكواكب كما قررنا ذلك فى التفسير وفى قصة ابراهيم الخليل عليه السلام والمقصود ان اليونان لم يزالوا يعمرون دمشق و يبنون فيها وفى معاملاتها من حوران وغيرها البنايات الغريبة العجيبة حتى كان بعد المسيح عليه السلام بمدة نحو من ثلثمائة سنة فتنصرت أهل الشام على يد قسطنطين بن قسطنطين الذى بنى المدينة المشهورة فى بلاد الروم وهو الذى وضع لهم القوانين [illegible] تاركة النصارى [illegible] مركبا من أصل دين النصرانية ممزوجا بشئ من عبدة الاوثان وصلوا الى المشرق وزادوا فى الصيام وأحلوا الخنزير وعلموا أولادهم الامانة الكبيرة [illegible] فى الحقيقة خيانة كبيرة وقد [illegible] على [illegible] هذا الملك الذى تنسب اليه الطائفة الملكية منهم كنائس كثيرة بدمشق وغيرها حتى يقال انه بنى فى زمانه اثنى عشر ألف كنيسة من ذلك كنيسة [illegible] ومن ذلك [illegible] أمه هيلانة الفندقانية والمقصود [illegible] الذى [illegible] بدمشق معظما عند اليونان [illegible] كنيسة مريحيا ومنهم من يقول كنيسة [illegible] بدمشق كنائس كثيرة غيرها مستأنفة واستمروا النصارى على [illegible] بدمشق وغيرها نحوا من ثلثمائة حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم [illegible] عليه ما ذكرناه فى كتاب السيرة و[illegible] صلوات الله [illegible] الى ملك الروم فى زمانه وهو قيصر ذلك الوقت واسمه هرقل [illegible] الى الله عز وجل [illegible] صخر ابن حرب [illegible] والمسلمين جاريه وجعفر بن أبى طالب [illegible] الروم [illegible] جيشا كثيرا [illegible] والسلام على قتال [illegible] ذلك [illegible]

وضعف الحال وضيقه على الناس ثم لما توفي صلى الله عليه وسلم بعث الصديق الجيوش قبل الشام والى العراق كما تقدم في كتابنا هذا ولله الحمد والمنة ففتح الله على المسلمين الشام بكمالها ومن ذلك مدينة دمشق باعمالها * كتب أمير الجيوش اذذاك وهو أبو عبيدة وقيل خالد بن الوليد لهم كتاب أمان وأقروا أيدي النصارى على أربع عشرة كنيسة كما ذكرنا وأخذوا منهم نصف هذه الكنيسة التي كانوا يسمونها كنيسة مرتحنا بحكم ان البلد فتحه خالد من الباب الشرقي بالسيف وأخذت النصارى الامان من أبو عبيدة وهو على باب الجابية بالصلح فاختلفوا ثم اتفقوا على أن جعلوا نصف المسجد صلحا ونصفه الآخر عنوة فأخذوا نصف هذه الكنيسة الشرقي فجعله أبو عبيدة مسجدا وكان قد صارت له امرة الشام فكان أول من صلى في هذا المسجد أبو عبيدة رضي الله عنه ثم الصحابة بعده في البقعة التي يقال لها محراب الصحابة ولكن لم يكن الجدار مفتوقا بمحراب محنى وانما كانوا يصلون عند هذه البقعة المباركة والظاهر ان الوليد هو الذي فتق المحاريب في الجدار القبلي وكان المسلمون والنصارى يدخلون من باب واحد وهو باب المعبد الاصلي الذي كان من جهة القبلة مكان المحراب الكبير اليوم فتنصرف النصارى الى جهة المغرب الى كنيستهم ويأخذون المسلمون يمنة الى مسجدهم ولا يستطيع النصارى ان يجهروا بقراءة كتابهم ولا يضربوا بناقوسهم اجلالا للصحابة ومهابة وخوفا وقد بنى معاوية رضي الله عنه في أيامه على الشام دارا للامارة قبلي المسجد الذي كان للصحابة وبنى فيها قبة خضراء فعرفت الدار بكمالها بها فسكنها معاوية أربعين سنة كما قدمنا ثم لم يزل الامر كما ذكرنا من سنة أربع عشرة الى سنة ست وثمانين في ذي القعدة منها وقد صارت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك في شوال منها فعزم على أخذ بقية الكنيسة واضافتها الى ما بأيدي المسلمين منها وجعل الجميع مسجدا واحدا وذلك لتأذي بعض المسلمين بسماع قراءة النصارى الانجيل ورفع أصواتهم في صلواتهم فأحب ان يبعدهم عن المسلمين وبضيف ذلك المكان الى هذا المسجد الجامع فطلب النصارى وسأل منهم ان يخرجوا له عن هذا المكان ويعوضهم منه اقطاعات كثيرة عرضها عليهم وان يقر لهم أربع كنائس لم تدخل في العهدة وهي كنيسة مريم وكنيسة المصلبة داخل باب شرقي وكنيسة تل الجبن وكنيسة

حميد بن درة التى بدرب الصيقل فأبوا ذلك أشد الاباء فقال ائتونا بعهدكم الذى بأيديكم فأتوا بعهدهم الذى بأيديهم فى زمن الصحابة فقرئ بحضرة الوليد فاذا كنيسة توما التى خارج باب توما عند النهر لم تدخل فى العهدة وكانت فيما يقال أكبر من كنيسة مريحنا فقال أنا أهدمها وأجعلها مسجدا فقالوا بل يتركها أمير المؤمنين وماذكر من الكنائس ونحن نرضى بأخذ بقية هذه الكنيسة فأقرهم على تلك الكنائس وأخذ منهم بقية هذه الكنيسة ويقال غير ذلك والله أعلم ثم أمر أمير المؤمنين باحضار الآلات للهدم واجتمع اليه الامراء والكبراء من رؤس الناس وجاءت أساقفة النصارى وقساقسهم فقالوا يا أمير المؤمنين انا نجد فى كتبنا أن من يهدم هذه الكنيسة يجن فقال أنا أحب أن أجن فى الله والله لا يهدم فيها أحد قبلى ثم صعد المنارة الشرقية ذات الاضالع المعروفة بالساعات وكانت صومعة فاذا فيها راهب فأمره بالنزول منها فأكبر الراهب ذلك قال فأخذ الوليد بقفاه ولم يزل يدفعه حتى أحدره منها ثم صعد الوليد على أعلا مكان فى الكنيسة فوق المذبح الاكبر منها الشاهد وأخذ أذيال قبائه وكان لونه أصفر سفرجليا فغرزها فى المنطقة ثم أخذ فأسا فى يده فضرب فى أعلاه حجرا فألقاه وتبادر الامراء الى الهدم وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات وصرخت النصارى بالعويل على درج جيرون وقد اجتمعوا هنالك فأمر الوليد أمير الشرطة وهو أبو نائل رباح الغسانى أن يضربهم حتى يذهبوا من هنالك ففعل ذلك وأمر نائبه على الخراج يزيد بن تميم بن حجر السلمى باحضار اليهود ليساعدوا فى هدم الكنيسة فجاؤا فكانوا كالفعلة ذكره الحافظ بن عساكر فى ترجمة يزيد بن تميم هذا فهدم المسلمون واليهود والوليد جميع ماجدده النصارى فى تربيع هذا المكان من المذابح والابنية والحنايا حتى بقى صرحة مربعة ثم شرع فى بنائه بفكرة جيدة على الصفة الحسنة الانيقة التى لم يشهر مثلها قبلها على ماسنذكره ونشير اليه وقد استعمل الوليد فى بناء هذا المسجد خلقا كثيرا من الصناع والمهندسين والفعلة وكان المستحث على عمارته أخوه بعده وولى عهده من بعده سليمان بن عبد الملك ويقال ان الوليد بعث الى ملك الروم يطلب منه صناعا فى الرخام وغير ذلك ليعمروا هذا المسجد على ما يريد وأرسل يتوعده لئن لم يفعل ليغزون بلاده بالجيوش وليخربن كل كنيسة فى بلاده حتى كنيسة

القدس وكنيسة الرها وسائر آثار الروم فبعث الملك صناعا كثيرة جدا وكتب اليه يقول له ان كان أبوه فهم هذا الذي تصنعه وتركه فانه لوصمة عليك وان لم يكن فهمه وفهمته أنت فانه لوصمة عليك فلما وصل ذلك الى الوليد أراد أن يجيب عن ذلك واجتمع الناس عنده وكان فيهم الفرزدق الشاعر فقال أنا أجيبه يا أمير المؤمنين من كتاب الله قال وما هو ويحك قال قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فأعجب ذلك الوليد فأرسل به جوابا الملك الروم ولما أراد الوليد بناء القبة التي في وسط الرواقات عن يمينها وشمالها كالاجنحة لها حفروا لاركانها حتى وصلوا الى الماء وشربوا منه عذبا زلالا ثم انهم وضعوا فيه جرار الكرم وبنوا فوقه بالحجارة فلما ارتفعت الاركان بنوا عليها القبة فسقطت فقال الوليد لبعض المهندسين آمرك أن تبني لي هذه القبة فقال على ان تعطيني عهد الله وميثاقه أن لا يبنيها أحد غيري ففعل فبنى الاركان ثم غلفها بالبواري وغاب سنة كاملة لا يدري الوليد أين ذهب فلما كان بعد السنة حضر فهم الوليد به فأخذه ومعه رؤس الناس فكشف البواري عن الاركان فاذا هي قد هبطت بعد ارتفاعها حتى ساوت الارض فقال له من هذا أتيت ثم بناها فانعقدت وقال بعضهم أراد الوليد ان يجعل بيضة القبة من ذهب خالص ليعظم بذلك شأن المسجد فقال له المعمار انك لا تقدر على ذلك فضربه خمسين صوتا وقال ويلك أنا أعجز عن ذلك قال نعم قال فبينا ذلك فأمر فأحضر من الذهب ما سبك منه لبنة فاذا هي قد دخلها ألوف من الذهب فقال يا أمير المؤمنين أنا أريد من هذا كذا وكذا ألف لبنة فان كان عندك ما يكفي ذلك عملناه فلما تحقق الوليد صحة قوله أطلق له خمسين دينارا ولما سقف الوليد الجامع جعل لسقفه جملونات وباطنها مسطح مقرنص بالذهب فقال له بعض أهله أتعبت الناس بعدك في تطيين هذا المسجد كل عام فأمر الوليد أن يجمع ما في بلاده من الرصاص ليجعل عوض الطين ويكون أخف على السقف فجمع من كل ناحية من الشام وغيره من الاقاليم فعازوا فاذا عند امرأة منه قناطير مقنطرة فساوموها فيه فأبت ان تبيعه الا بوزنه فضة فكتبوا الى أمير المؤمنين بذلك فقال اشتروه منها ولو بوزنه فلما بدا لها ذلك قالت أما اذ قلتم ذلك فهو صدقة لله تعالى يكون في سقف هذا المسجد فكتبوا على ألواحها بطابع لله ويقال انها كانت

اسرائيلية وانه كتب على الالواح التى أخذت منها الذى أعطتهم الاسرائيلية وقال محمد بن عائذ سمعت المشايخ يقولون ماتم المسجد بدمشق الا باداء الامانة لقد كان يفضل عند الرجل من القرمة يعنون الفعلة الفلس ورأس المسمار فيجيء حتى يضعه فى الخزانة وقال بعض المشايخ بدمشق ليس بالجامع من الرخام شئ الا الرخامتان اللتان فى المقام من عرش بلقيس والباقى مرمر وقال بعضهم اشترى الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين العامودين الاخضرين اللذين تحت النسر من حرب بن خالد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار وقال دحيم عن الوليد ابن مسلم حدثنا مروان بن جناح عن أبيه قال كان فى مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخم وقال أبو قصى عن دحيم عن الوليد بن مسلم عن عمرو بن مهاجر الانصارى أنهم حسبوا ما أنفق على الكرمة التى فى قبلة المسجد فاذا هو سبعون ألف دينار وقال أبو قصى أنفق فى مسجد دمشق أربعمائة صندوق فى كل صندوق أربعة عشر ألف دينار قلت وذلك خمسة آلاف ألف دينار وستمائة ألف دينار وفى رواية فى كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار (قلت) فعلى هذا يكون المصروف فى عمارة الجامع الاموى أحد عشر ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار والله أعلم قال أبو قصى وأتى الحرس الى الوليد بن عبد الملك فقالوا يا أمير المؤمنين ان الناس يقولون أنفق الوليد أموال بيت المال فى غير حقها فنودى فى الناس الصلاة جامعة فصعد المنبر وقال انه بلغنى عنكم كذا وكذا ثم قال عمرو بن مهاجر قم فأحضر أموال بيت المال فحملت على البغال وبسطت على الانطاع تحت القبة وفرغ عليها المال ذهبا وفضة حتى كان الرجل لا يرى الآخر من الجانب الآخر وجيء بالقبانيين وقبنت فاذا هى تكفى الناس ثلاث سنين مستقبلة وفى رواية ستة عشر سنة مستقبلة لو لم يدخل للناس فيه شئ بالكلية ففرح الناس وكبروا وحمدوا الله عز وجل على ذلك ثم قال الخليفة يا أهل دمشق انكم تفتخرون على الناس بأربع بهوائكم ومائكم وفاكهتكم وحماماتكم فأحببت ان أزيدكم خامسة وهى هذا الجامع فحمدوا الله وانصرفوا شاكرين وذكروا أن أرضه كانت مفصصة كلها والرخام فى جدرانه الى قامات وفوق ذلك كرمة عظيمة من ذهب وفوقها الفصوص المذهبة والخضر والحمر والزرق والبيض قد صور بها

منابر البلدان المشهورة الكعبة فوق المحراب وسائر الاقاليم يمنة و يسرة وما فى البلدان من الاشجار الحسنة المثمرة والمزهرة وغير ذلك وسقفه مقرنص بالذهب والسلاسل المعلقة فيه من ذهب وفضة وأنوار الشمع فى أماكنه متفرقة قالوا وكان فى محراب الصحابة منه حجر من بلور و يقال حجر من جوهر وهى الدرة وكانت تسمى القليلة وكان اذا اطفئت القناديل تضىء لمن هنالك بنورها فلما كان زمن الامين بن الرشيد وكان يحب البلور بعث الى سليمان والى شرطة دمشق ان يبعث بها اليه فسرقها وسيرها الى الامين فلما ولى المأمون أرسل بها الى دمشق ليشنع بذلك على الامين قال الحافظ بن عساكر ثم ذهبت بعد ذلك فجعل مكانها برنية من زجاج وقد رأيت تلك البرنية ثم انكسرت بعد ذلك فلم يجعل مكانها شئ وكانت الابواب الشارعة من الداخل الى الصحن ليس عليها أغلاق وانما عليها الستور مرخاة وكذلك الستور على سائر جدرانه الى حد الكرمة التى فوقها الفصوص المذهبة ورؤس الاعمدة مطلية بالذهب الكثير وعملوا له شرافات تحيط به وبنى الوليد المنارة الشمالية فيه التى يقال لها مأذنة العروس فأما الشرقية والغربية فكانتا قبل ذلك بدهور متطاولة وقد كان فى كل زاوية من هذا المعبد صومعة شاهقة جدا بنتها اليونان للرصد فسقطت وبقيت القبليتان الى الآن وقد احترق بعض الشرقية بعد الاربعين وسبعمائة ونقضت وجدد بناؤها من أموال النصارى حيث اتهموا بحريقها فقامت على أحسن الاشكال بيضاء بذاتها والله أعلم الشرقية التى ينزل عليها عيسى بن مريم فى آخر الزمان بعد خروج الدجال كما ثبت فى صحيح مسلم عن النواس بن سمعان والمقصود أن الجامع الاموى لما كمل بناؤه لم يكن على وجه الارض أحسن بناء منه ولا أبهى ولا أجل منه بحيث اذا نظر الناظر فى أى جهة منه أو الى بقعة أو الى مكان منه تحير فيما ينظر اليه لحسنه جميعه وكانت فيه طلسمات من أيام اليونان فلا يدخل هذه البقعة شئ من الحشرات بالكلية لا من الحيات ولا من العقارب ولا الخنافس ولا العناكب و يقال ولا العصافير أيضا تعشش فيه ولا الحمام ولا شئ مما يتأذى به الناس واكثر هذه الطلسمات أو كلها كانت مودعة فى سقف الجامع مما يلى السبع فاحترقت لما وقع فيه الحريق وكان ذلك ليلة النصف من شعبان بعد العصر سنة احدى وستين

وأربعمائة ومازال سليمان بن عبد الملك فى تكميله وزيادته مدة ولايته وجددت له فيه المقصورة رحمه الله فلما ولى عمر بن عبد العزيز عزم على أن يجرد ما فيه من الذهب ويقلع السلاسل والرخام والسقوف ويرد ذلك كله الى بيت المال ويطين ذلك كله فشق ذلك على أهل البلد واجتمع أشرافهم اليه وقال خالد بن عبد الله القشيرى أنا أكلمه لكم فلما اجتمعوا قال خالد يا أمير المؤمنين بلغنا أنك تريد أنك تصنع كذا وكذا قال نعم قال خالد ليس ذلك لك يا أمير المؤمنين قال ولم يا ابن الكافرة وكانت أمه نصرانية رومية فقال يا أمير المؤمنين ان كانت كافرة فقد ولدت رجلا مؤمنا قال صدقت واستحى عمر قال فلم قلت ذلك قال يا أمير المؤمنين لان غالب ما فيه من الرخام انما حمله المسلمون من أموالهم من سائر الاقاليم وليس هو من بيت المال فأطرق عمر رحمه الله قالوا واتفق فى ذلك الزمان قدوم جماعة من الروم رسلا من عند ملكهم فلما دخلوا من باب البريد وانتهوا الى الباب الكبير الذى تحت النسر فلما رأوا ذلك النور الباهر والزخرفه التى لم يسمع بمثلها صعق كبيرهم مغشيا عليه فحملوه الى منزلهم فبقى أياما مدنفا فلما تماثل سألوه عما عرض له فقال ما كنت أظن ان تبنى المسلمون مثل هذا البناء وكنت أعتقد ان مدتهم تكون أقصر من هذا فلما بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز قال وان هذا ليغيظ الكفار دعوه والمقصود أن الجامع الاموى كان حين تكامل بناؤه ليس له فى الدنيا نظير فى حسنه وبهجته قال الفرزدق أهل دمشق فى بلدهم قصر من قصور الجنة يعنى به الجامع الاموى وقال أحمد بن أبى الحوارى عن الوليد بن أبى مسلم عن أبى ثوبان ما ينبغى أن يكون أحد أشد تشوقا الى الجنة من أهل دمشق لما يرون من حسن مسجدها ولما دخل المهدى أمير المؤمنين العباسى دمشق يريد زيارة بيت المقدس فنظر الى جامع دمشق قال لكاتبه أبى عبد الله الاشعرى سبقنا بنو أمية بثلاثة بهذا المسجد لا أعلم على ظهر الارض مثله وبنبل الموالى وبعمر بن عبد العزيز لا يكون فينا والله مثله أبدا ثم لما أتى بيت المقدس فنظر الى الصخرة وكان الوليد بن عبد الملك بناها فقال لكاتبه وهذه أربعة أيضا ولما دخل المأمون دمشق نظر الى جامعها وكان معه أخوه المعتصم وقاضيه يحيى بن أكثم قال ما أعجب ما فيه فقال أخوه هذه الادهان التى فيه وقال ابن أكثم الرخام وهذه العقد فقال المأمون

انما أعجب من بنيانه على غير مثال متقدم وقال المأمون لقاسم التمار أخبرني اسما حسنا أسمي به جاريتي هذه فقال سمها مسجد دمشق فانه أحسن من كل شئ وقال عبد الرحمن بن الحكيم عن الشافعي عجائب الدنيا خمسة أحدها منارتكم هذه يعني منارة ذي القرنين التي باسكندرية والثانية أصحاب الرقيم وهي بالروم اثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا والثالثة مرآة بباب الاندلس على باب مدينتها يجلس الرجل تحتها فينظر فيها صاحبه من مسافة مائة فرسخ والرابع مسجد دمشق وما يوصف من الاتقان عليه والخامس من الرخام والفسيفسا فانه لا يدرى له موضع ويقال ان الرخام معجون والدليل على ذلك أنه مذوب على النار قال الحافظ بن عساكر وذكر ابراهيم بن أبي الليث الكاتب وكان قدم دمشق سنة اثنين وثلاثين واربعمائة في رسالة قال أمرنا بالانتقال الى البلد فانتقلت منه الى بلد تمت محاسنه ووافق ظاهره باطنه أزقته أرجه وشوارعه فرجه فحيثما مشيت شممت طيبا وأين سعيت رأيت منظرا عجيبا وأفضيت الى جامعه فشاهدت منه ماليس في استطاعة الواصف أن يصفه ولا الرائي أن يعرفه وجملته انه بكر الدهر ونادرة الوقت وأعجوبة الزمان وغريب الاوقات ولقد أيقنت به ذكرا يدرس وخليت به أمرا لا يخفى ولا يدرس

(ومما قيل في الساعات) قال القاضي عبد الله بن أحمد بن زبر انما سمي باب الجامع القبلي باب الساعات لانه كان عمل هناك بلكار الساعات يعلم بها كل ساعة تمضي من النهار عليها عصافير من نحاس وحية من نحاس وغراب فاذا تمت الساعة خرجت الحية فصفرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطست (قلت) هذا الكلام يدل على أحد شيئين أما ان الساعات كانت في الباب القبلي من الجامع وهو باب يسمى بباب الزيادة اليوم ولكن قد قيل انه محدث بعد الجامع وهو لا ينفي ان الساعات كانت عنده في زمن القاضي ابن زبر واما انه قد كان في الجانب الشرقي من الجامع في حائطه القبلي في باب آخر في محاذاة باب الزيادة وعنده الساعات ثم نقلت بعد هذا كانا الى باب الوراقين اليوم وهو باب الجامع من الشرق والله اعلم * وأما القبة التي في وسط الجامع التي فيها الماء الجاري ويقال لها قبة أبي نواس فكان بناؤها في سنة

تسع وستين وثلثمائة أرخه الحافظ بن عساكر عن خط بعض الدماشقة * وأما القبة الغربية التى فى وسط الجامع التى يقال لها قبة عائشة فسمعت شيخنا أبا عبد الله الذهبي يقول انها بنيت فى حدود سنة ستين ومائة فى أيام المهدى بن المنصور العباسى وجعلوها لحواصل الجامع وكتب أوقافه * وأما القبة الشرقية التى على باب مشهد فقال بنيت على زمن الحاكم العبيدى فى حدود سنة أربعمائة * وأما الفوارة التى تحت درج جيرون عملها الشريف فخر الدولة أبو يعلى حمزة بن الحسين العباسى الحسينى وكأنه كان ناظر الجامع وجر اليها قطعة من حجر كبير من قصر حجاج وأجرى فيها الماء ليلة الجمعة لسبع خلون من ربيع الاول سنة سبعة عشر وأربعمائة وعمل حواليها قناطر وعقد عليها قبة ثم سقطت القبة بسبب جمال احتكت فيها وذلك فى صفر من سنة سبع وخمسين وأربعمائة فأعيدت ثم سقطت عمدها وما عليها فى حريق اللبادين ودار الحجارة فى شوال سنة اثنين وستين وذكر ذلك كله الحافظ بن عساكر (قلت) وأما القصعة التى كانت فى الفوارة فما زالت فى وسطها وقد أدركتها كذلك ثم رفعت بعد ذلك وكان بطهارة جيرون قصعة أخرى مثلها فلم تزل بها ثم لما انهدمت اللبادين بسبب حريق النصارى فى سنة احدى وأربعين وسبعمائة استونق بناء الطهارة على أحسن مما كانت وذهبت تلك القصعة فلم يبق لها أثر وعمل الشاذروان الذى هو شرقى الفوارة بعد الخمسمائة أظنه سنة أربع عشرة وخمسمائة

(فصل) وكان ابتداء عمارته فى أواخر عام سنة ست وثمانين وهدمت الكنيسة فى ذى القعدة منها فلما فرغوا من الهدم شرعوا فى البناء وتكامل فى عشر سنين فكان فى هذه السنة أعنى سنة ست وتسعين ووضع العمودان اللذان فى صحن الجامع لاجل التنوير فى ليالى الجمع فى شهر رمضان سنة احدى وأربعين وأربعمائة بأمر قاضى البلد أبى محمد فيما ذكره بنو عساكر فى بعض تواريخهم نقلت هذه الترجمة فى بناء جامع دمشق من تاريخ الحافظ عماد الدين بن كثير الذى سماه البداية والنهاية (ومن المستحسن مما قيل فيه) قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى

يا حسن ترخيم بجامع جلق * متناسب التركيب والتقسيم
بزيادة التحسين خالف قول من * قد قال ان النقص فى الترخيم

(غيره)

أرى الحسن مجموعا بجامع جلق * وفي صدره معنى الملاحة مشروح

فان يتغالى في الزيادة معشر * فقل لهم باب الزيادة مفتوح

(وقال بعضهم)

دمشق لها منظر رائق * وكل الى حسنها تائق

وكيف يقاس بها بلدة * أبى الله والمسجد الفارق

(قلت) أحسن منه قول من قال

انى أدل على دمشق وطيبها * من حسن وصفي بالدليل القاطع

جمعت جميع محاسن في غيرها * والفرق بينهما بنفس الجامع

(وما أحسن قول الشيخ برهان الدين القيراطى)

دمشق في الحسن لها منصب * عال وقدر في الورى شائع

فحد من قاس بها غيرها * وقل له ذا الجامع المانع

(ذكر أبو الفرج الاصفهانى) قال حدثني بذلك جماعة منهم أبو عثمان يحيى بن عمر قال قرأت في بعض الدواوين ان المتوكل أنفق على أبنيته وقصوره والمسجد الجامع ومتنزهاته في خلافته يسرمن رأى وأعمالها من الاموال مالا يعلم أن أحدا أنفق على بناء مثله ومبلغ ذلك من العين مائة ألف وخمسين ألف دينار ومن الدراهم مائتى ألف ألف وثلاثة وتسعون ألف ألف وخمسين ألف درهم من ذلك القلايا مائة ألف وخمسون ألف دينار العروس ثلاثون ألف درهم الشاة عشرون ألف درهم البرج ثلاثون ألف ألف درهم البركة ألفا ألف درهم الجوسق الابراهيمى ألفا ألف المختار خمسة آلاف ألف الجعفرى ثلاثة وعشرون الف ألف البديع عشرة آلاف ألف المليح خمسة آلاف ألف الصبيح خمسة آلاف ألف التل خمسة آلاف ألف الجوسق في الميدان خمسمائة ألف بركوازاء عشرون ألف ألف المسجد الجامع خمسة عشر ألف ألف الغراء بدجلة ألف ألف القصر بالمتوكلية خمسة عشر ألف ألف اؤلؤة خمسة آلاف ألف النهر بالمتوكلية خمسون ألف ألف وبنى المعتز بعد ذلك البيت المعروف بالكامل ولم أعرف مبلغ النفقة عليه وبنى المعتمد المعشوق والبيتين المعروفين بالغنج والبهج (كتب الشيخ جمال الدين

ابن نباتة) الى الجناب القطبى بن شيخ السلامية يصف * يقبل الارض ويسال الله تعالى أن يديم أيام مولانا التى غفرت ذنوب الايام والليالى وجمرت الوجود بما سمع عن أهل العصور الخوالى وينهى أنه سطر هذه الخدمة وقد ترادفت عليه معانى الشكر فلم يدر مايذكره ولا مايحصيه ويحصره الى أن ألقى السلاح وغض الجناح وأنشد

تعالى عن المداح قدرك رتبة * فاقصارهم عن مدحه غاية المدح

هذا على أنه الآن فى نشوسكره وذهول فكره باستجلاء هذه المنازل كل شمال فيها شمول لا بل الرياح الاربع على أرجائها قبول فهى الجنة وثناء مولانا مسكها الارج والهالة وأوصافه بدرها المبتلج والدنيا الا أنها المحسوبة من العيش النضر ومحلة موسى وكل غصن من أغصانها الخضر ماشئت من صدحات مسجوعه وبيوت معموره وسقف مرفوعه وثمرات كثمرات الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعه وعقود على أجياد القضب من الازاهير وسوق أشجار على نهر كأنه صرح ممرد من قوارير وكل دوحة تخفر كما تخفر العذراء ومرجة هى نفس اللذة بدليل أن النفس خضراء وجداول تتلوى فى الروض تلوى الاراقم فى الصعيد وأبكار وورد كما أشارت شفاه الملاح بالمقل من بعيد راواوين كأنما طارت الى الافق بأجنحتها وشبابيك كأنما أصابت القلوب من فتكات الهم بحديد أسلحتها وشرافات دلت على همة الامن عبانيها وعلت حتى كأن الثريا عقدت على تراقيها وتجرى ماء ترق بجدواتها القلوب الجافيه ولا عيب فيها الا النسيم الواشى والعين الصافيه قد مرج الله تعالى بهما البحرين يلتقيان وأخرج منهما فى أعطاف الغصون اللؤلؤ والمرجان ولو أخذ المملوك فى وصف المحاسن المبدعه والاصول المتفرعه لكاثر غصونها بأقلامه وأزهارها بنثاره ونظامه ولا بلغ معشارها ولا حدث بأخبارها ولكن ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كملا فجعلها الله أول منازل نعيم مولانا المستمر وعمر بيقائه أرجاءها التى ينعم الامل ويعتمر بمنه وكرمه

(صلاح الدين الصفدى) مضمنا

بقول دمشق اذ تفاخر غيرها * بجامعها الزاهى البديع المشيد

جرى للتهانى حسنه كل جامع * وماقصبات السبق الا لمعبد

ابن سناء الملك من قصيدة صلاحية

كل القلاع تروم السحب فى صعد * الا العواصم تبغى السحب فى صبب

لو رامها النجم لم يظفر ببغيته * ولو رماها بقوس الافق لم يصب

ملقى اذا عطشت والبرق أرشية * كواكب الدلو فى بئر من السحب

جليسة النجم فى أعلا مراتبه * وطالما غاب عنها وهى لم تغب

(شهاب الدين بن حجر)

أهوى الجلوس بمقعد الصدق الذى * فرشت به بسط الزهور وزخرفا

حفت به أيدى السعود وأبصرت * عينى به طير المسرة رفرفا

ذكر أبو عبد الله بكر بن عياش كاتب المنصور أبى يوسف يعقوب قال كان لابى بكر محمد بن مجبر وفادة على المنصور فى كل سنة فصادف المنصور فى احدى وفاداته فراغه من احداث المقصورة التى كان أحدثها بجامعه المتصل بقصره فى حضرة مراكش وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع لخروجه وتخفض لدخوله وكان جميع من بباب المنصور يومئذ من الشعراء والادباء قد نظموا أشعارا أنشدوها اياه فى ذلك فلم يزيدوا على شكره وتجرئته الخير فيما جدده من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى الى وصف الحال حتى قام أبو بكر بن مجبر فأنشد قصيدته التى أولها

أعلمتنى القى عصا التسيار * فى بلدة ليست بدار قرار

واستمر فيها حتى ألم بذكر المقصورة فقال يصفها

طورا تكون بمن حوته محيطة * فكأنها سور من الاسوار

وتكون طورا عنهم مخبية * فكأنها ستر من الاستار

وكأنما علمت مقادير الورى * فتصرفت لهم على مقدار

فاذا أحست بالامام يزورها * فى قومة قامت الى الزوار

يبدو فتبدو ثم تخفى بعده * كتكون الهالات بالاقمار

فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها والتفت الى الجراوى وكان يعلم قلة تسليمه لابى بكر وكثرة غضبه منه فقال سلم له الحر ثم أشده اذا لم تستطع شيئا فدعه قال أبو عبد الله بن عياش فخرج أبو بكر بن مجبر والشعراء يومئذ يلومونه ان لم تكن أول منشد حتى لا تخفى أشعارهم وتستتر أعوارهم (السيد

الفاضل شمس الدين) ابن الصاحب موفق الدين على الآمدى

وحصين قد أناف برأس هضب * منيف ذاهب فى الجو سامى
تنفس فى مرآة الافق حتى * كساها ولادها صدأ الغمام

(محيي الدين بن عبد الظاهر) يصف الجامع الاموى فى ليلة نصف شعبان وايقاده حيث لا تلمع الاعين مصباحا وتود أنها لا ترى لتلك الليالى صباحا اذ تمنطقت أركانه من اللهب بمناطق الذهب وبدت أشعتها فى صفائه كما يبدوا فى الكاس وحاشاه الحبب لا سيما فى ليلة النصف التى كم رفرف عليها النعيم وكم خدمها الامن النسيم

كم للناس فيها لاح بدر * يروق العين منظره الوسيم
بداوبدا الوقود فقلت بدر * لخدمته ترجلت النجوم

كم أضاء بوجهه ديجور وكم انعكست أشعة تلك الاضواء على وجهه المنير فكانت نورا على نور

فى خده للورى ربيع * ونصف شعبان فى فؤادى

أوكما قال الآخر

وحلت مناطق خصره فكأنه * شعبان كل حلاوة فى نصفه

من كلام الاخ الحبيب أبى بكر بن حجة وأومبت بعد ذلك الى الجامع الاموى فاذا هو لأشتات المحاسن جامع وأتيته طالبا لبديع حسنه فظفرت بالاستضاءة والاقتباس من ذلك النور الساطع وتمسكت بأذيال حسنه لما نشقت تلك النفحات السحريه وتشوقت الى النظم والنثر لما نظرت تلك الشذور الذهبيه وآنست من جانب طوره نارا فرجع الى ضياء حسى واندهشت لذلك الملك السليمانى وقد زهى بالبساط والكرسى وقلت هذا الملك فاز من وقف فى خدمته خاشعا وشقى من لم يدس بساطه ويأتيه طائعا ومن الكلام الفاضلى قلعة تحسر العيون ان تتقضاها ويتوعر الامل أن يترقاها قد ضربت فوق الخيل جرائها والبست لقبة النجوم وحق فانها ما برحت جيرانها وتطلعت للناظرين سحابة الا أنها عزت أن تكون السماء عنانها

(الباب الثامن والاربعون فى الحنين الى الاوطان وتذكر من بها من القطان)

روى أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع صوتا فارتاع فقيل له فى ذلك فقال ظننت ان ساكنا أزعج من منزله وجاء أيضا حب الوطن من الايمان وقال ابن عباس رضى الله عنهما لو قنع الناس بأرزاقهم قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى أحد الرزق وكانت العرب اذا سافرت أخذت معها من تربة بلدها تستنشق ريحها وتطرحه فى الماء اذا شربته وهكذا كان المتفلسف من البرامكة اذا سافر أخذ معه من تربة مولده فى جراب يتداوى به ولما غزا اسفنديار بلاد الخزر اعتل بها فقيل له ما تشتهى قال شربة من دجلة وشميما من تراب اصطخر فأتى بعد أيام بماء وقبضة من تراب وقيل له هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم بالوهم فنقه من علته (القاضى الفاضل)

بالله قل للنيل عنى اننى * لم أشف من ماء الفرات غليلا
وسل الفؤاد فانه لى شاهد * ان كان طرفى بالبكاء بخيلا

(قال الاصمعى)

ياقلب كم خلفت ثم بثينة * وأظن صبرك أن تكون جميلا

دخلت البادية فنزلت على بعض الاعراب فقلت أفدنى فقال اذا شئت ان تعرف وفاء الرجل وحسن عهده وكرم أخلاقه وطهارة مولده فانظر الى حنينه الى أوطانه وتشوقه الى اخوانه وبكائه على ما مضى من زمانه (ولما أشرف الاسكندر على الموت) أوصى أن يحمل فى تابوت ذهب الى بلد الروم حبا فى وطنه ولما أدركت يوسف عليه السلام الوفاة أوصى أن يحمل الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه فلما بعث الله موسى عليه السلام وأهلك فرعون حمله الى مقابرهم فقبره عليه السلام بأرض المقدس وروى ان أبان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقال له يا أبان كيف تركت مكة قال تركتهم وقد حيدوا وتركت الاذخر وقد أغدق وتركت الثمام وقد خاص فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لاعرابى أتشتاق الى وطنك قال كيف لا أشتاق الى رملة كنت جنين ركامها ورضيع غمامها

وكنا ألفناها ولم تك مألفا * وقد يؤلف الشئ الذى ليس بالحسن
كما تؤلف الارض التى لم يطب بها * هواء ولاماء ولكنها وطن

(آخر)

طيب الهواء ببغداد يؤرقنى * شوقا اليها وان عاقت مقادير
فكيف أصبر عنها اليوم اذ جمعت * طيب الهواء بين ممدود ومقصور

ذكرت بهذين البيتين ما أنشدنيه من لفظه لنفسه الوزير العلامة فخر الدين ابن مكانس وهو من مخترعاته

ان الهوائين يا معشوق قد عبثا * بالروح والجسم فى سر وفى علن
فالروح تكفيك بالممدود قد تلفت * والجسم حوشيت بالمقصور فيك فنى

(وقال الشيخ بدر الدين الدماميني)

أقول لمهجتى كم ذا ألاقى * من البلوى بظبى فيك قاسى
أذكره بأشجانى فينسى * فأفديه غزالا فى كناس

(أعرابى)

وتشكو الى الدار فرقة أهلها * وبى مثل ما بالدار من فرقة الاهل

(سليمان المحاربى)

اذا لم تكن ليلى بنجد تغيرت * بشاشة دنيا أهل نجد وطيبها

(آخر)

فما أحسن الدنيا وفى الدار خالد * وأقبحها لما تجهز غازيا

(ذوالرمة)

وقفت على ربع لمية ناقتى * فمازلت أبكى عنده وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أبثه * تكلمنى أحجاره وملاعبه

(بشار)

وقفت بها صحبى تطلب عراصها * بدمعى وأنفاسى براح وممطر

(آخر)

منازل لم تنظر بها العين نظرة * فتقلع الا عن دموع سواكب

(البحترى)

أرى بين ملتف الاراك منازلا * مواثل لو كانت مهاها مواثلا

فكن مسعدا فيهن ان كنت عاذرا * وسر مبعدا عنهن ان كنت عاذلا

(الوائلى وهو أحسن ماقيل فيه)

سقيت ربوع الظاعنين فانه * غنى لك عن ما العيون الهواطل

(ولمؤلفه)

وقفنا بربع الحب والحب راحل * نحاول رجعاه لنا ونحاول
وألقت دموع العين فيه سائلا * لها من عبارات الغرام دلائل
اذا نفحة الاحباب منها تقسمت * تطيب بها أسحارنا والاصائل
تثير غرامى ساجعات غصونها * فنها على الحالين هاجت بلابل
مراتع الا فى مرابع لذتى * مطالع اقمارى بها والمنازل

(قال ابن حمديس الصقلى)

ذكرت صقلية والاسى * يهيج للقلب تذكارها
فان كنت أخرجت من جنة * فانى أحدث أخبارها
ولولا ملوحة ماء البكا * حسبت دموعى أنهارها

(الكفيك) لما فارق بغداد

لهفى على بغداد من بلدة * كانت من الاسقام لى جنة
كأننى عند فراقى لها * آدم لما فارق الجنة

(القاضى عبد الوهاب المالكى)

سلام على بغداد منى تحية * وحق لها منى السلام المضاعف
لعمرك مافارقتها قاليا لها * وانى بشط جانبيها العارف
ولكنها ضاقت على برحبها * ولم تكن الاقدار من ساعف
فكانت كخل كنت أهوى دنوه * وتأبى به أخلاقه فيخالف

(وللعلامة) ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب عند فراقه للاندلس فى واقعته المشهورة

أموطنى الذى أزعجت عنه * ولم أرزى به مال ولا دم
لئن أزعجت عنك بغير قصد قصد * فقبلى فارق الفردوس آدم

(وقال ابن الرومى)

بلد صحبت بها الشبيبة والصبى * ولبست ثوب العيش وهو جديد

فاذا تمثل فى الضمير رأيته * وعليه أغصان الشباب تميد

(قال على بن عبد الكريم الصيبي) تأتى ابن الرومى بقصيدته التى مدح بها سليمان بن عبد الله بن طاهر وقال انصفنى وقل الحق أيما أحسن قولى فى الوطن

ولى وطن آليت أن لا ابيعه * وان لا أرى غيرى له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة * كنعمة قوم أصبحوا فى ظلالكا
وحبب أوطان الرجال اليهم * مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم * عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا

(أم قول الاعرابى)

أحب بلاد الله ما بين منعج * الى وسلمى ان يصوب غمامها
بلاد بها عشق الشباب تمائمى * وأول أرض مس جلدى ركامها

فقلت بل قولك لانه ذكر الوطن ومحبته وأنت ذكرت العلة فى ذلك (وللشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة) من رسالة كتبها الى السيد زين الدين عمر الجعفرى خطيب جامع التوبة بدمشق وينهى بعده الذى أضرم به من شوقه الشهابى ناره وأخلى من زكانه لجليته مطاره وتركه ملقى فى الصهريج كأنه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السياره فلا بدع والحالة هذه من آه على دمشق التى هى جنة من تاه وباهى وحيران جيرونها التى اغار داء لسان الحب سماها

فما قلت ايه بعدها لمسامر * من الناس الا قال قلبى آها

(غيره)

فيا وطنى ان فاتنى بك سالف * من الدهر فلينعم لسا كنك البال

أى والله طالما حن المملوك اليها وأنشد ودمعه كالمطر سلام الله يا مطر عليها

مطر من العبرات خدى ارضه * حتى الصباح ومقلتى سماؤه

(وقال الشيخ جلال الدين بن خطيب داريا) فسح الله فى أجله ونقلتهما من خطه

خليلى ان وافيتما الشام ضحوة * وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
قفا واقرآ عنى سلاما كتبته * بدمعى على مقرى ولا تنسيا سطرا

يكتب أبياتى الرائية

ياصاحبيّ اذا الثنايا أشرقت * ولحتما منها ثغور أزاهر
استنشقا ذاك النسيم فانه * مما تحمل من شمائل هاجر

(وقال الشيخ شرف الدين بن عنين)

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * وظلك يامقرى على ظليل
وهل أرينى بعدما شطت النوى * ولى فى ذرى روض هناك مقيل
دمشق فبي شوق اليها مبرح * وان لج واش أو ألح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها * عبير وأنفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

(ولما خرج الرشيد) الى أحد أخته علية معه فلما صارت بالمرج عملت شعرا وصاغت فيه لحنا من الرمل وكتبت الابيات ليلا على بعض الفساطيط فى طريق الرشيد فلما دخل الى مضرب الحرم بصر به فقرأه فاذا هو

ومغترب بالمرج يشكو شجوه * وقد غاب عنه المسعدون على الحب
اذا ما أتاه الركب من نحو أرضه * تنشق تستشفى برائحة القرب

فلما قرأه علم انه من فعل علية وانها قد اشتاقت الى العراق والى أهلها فأمر بردها (الوليد بن زيدون) يتشوق الى مكان يدعى بالزهراء وكان اجتماعه وولادة محبوبته

انى ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والافق طلق ومرأى الروض قد راقا
وللنسيم اعتلال فى أصائله * كأنه رق لى فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضى مبتسم * كما حللت عن اللبات أطواقا
لا أسكن الله قلبا عن تذكركم * فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملى نسيم الريح حين سرى * وافاكم بفتى أضناه ما لاقا
فالآن أحمد ما كنا بعدكم * سلوتم وبقينا نحن عشاقا

(وقال الشيخ مهذب الدين أبو الفرج عبد الله بن أسعد الموصلى الشافعى الدهان) رحمه الله يتشوق الى دمشق المحروسة

سقى دمشق وأياما مضت فيها * مواطر السحب ساريها وغاديها
من كل أدهم صهال له شية * صفراء يسترها طورا ويبديها
ولا يزال جنين النبت ترضعه * حوامل المزن فى أحشاء أرضيها

فما قضى حبه قلبي لمربها * ولا قضى نحبه ودي لواديها

ولا تسليت عن سلسال ربوتها * ولا نسيت بيوتي جار جاريها

كأن أنهارها ماضي ظبا حشيت * خناجرا من لجين في حواشيها

واها لها حين حلى الغيث عاطلها * مكللا واكتسى الاوراق عاريها

وحاك في الارض صوب المزن محله * ينيرها بغواديه ويسديها

ديباجة لم تدع حسنا مفوقها * الا أتاه وما أبقى مواشيها

ترنو اليك بعين النور ضاحكة * اذ بات عين من الوسمي يبكيها

والدوح ربا الهار يا قدا كملت * شبابها حين ما شابت نواصيها

نشوى تغنى لها ورق الحمام على * أوراقها ويد الانواء تسقيها

صفا لها الشرب فاخضرت أسافلها * حتى صفا الظل فابيضت أعاليها

وصفق النهر والاغصان قد رقصت * فنقطته بدر من تراقيها

كأنما رقصها أوهى قلائدها * وخانها النظم فانثالت لآليها

وأعين الماء قد أجرت سواقيها * والاعين النجل قد جارت سواقيها

وقابل الغصن غصن مثله وشدت * أقمارها فأجابتها قماريها

فللحاظ وللاسماع ما اقترحت * من وجه شادنها أو صوت شاديها

اذا العزيمة عن فرط الغرام ثنت * قلبا تثنى له غصن فيثنيها

ريم اذا جليت حسنا لواحظه * للنفس حتى بخديه فيحييها

جناية طرفه المحور جانيها * وآس عارضه المخضر آسيها

تقبل الكأس خجلى كلما شرعت * في ماء فيه فقاسته بما فيها

اشتاق عيشي بها قدما فتذكرني * أيامي السود بيضا في لياليها

ونحن في جنة لاذاق ساكنها * بؤسا ولا عرفت بأسا مغانيها

سماء دوح ترد الشمس صاغرة * عنا وتبدي نجوما من نواحيها

ترى النجوم بها من كل ناحية * ممدودة كنجوم الزهر أيديها

اذا الغصون هززناها لنيل جنى * صارت كواكبها حصبا أراضيها

من كل صفراء مثل الماء يانعة * كأنها جمر نار في تلظيها

شهية الطعم تحلو عند آكلها * بهية اللون تحلى عند رائيها

ياليت شعري على بعد اذكرني * عصابة لست طول الدهر ناسيها

عندي أحاديث وجد بعد بعدهم * أظل أجددها والعين ترويها
كم لي بها صاحب عندي له نعم * كثيرة وأياد لا أؤديها
فارقته غير مختار فصاحبني * صبابة منه تخفيني وأخفيها
رضيت بالكتب بعد القرب فانقطعت * حتى رضيت سلاما في حواشيها
ان يعلني غير ذي فضل فلا عجب * يسمى على سابقات الخيل هاديها
والماء يعلوه أقذاؤها رجل * أخفى الكواكب نورا وهو عاليها
لو كان جد بجد ماتقدمني * عصابة قصرت عني مساعيها
مافي خمولي من عار على أدبي * بل ذاك عار على الدنيا ومافيها

(الاديب الفاضل الكامل صفوان بن ادريس المرسي) يتشوق الى مرسية وطنه

لعل رسول البرق يغتنم الاجرا * فينثر عني ماء عبرته نثرا
معاملة أربو بها غير مذنب * فأقضيه دمع العين عن نقطة بحرا
ليسقي من تدمير قطرا محببا * يقر بعيني القطر أن يشرب القطرا
وتقرضه دون اللجين وانما * توفيه عيني من مدامعها تبرا
وماذاك تقصير به غير أنه * سجية ماء البحر أن يروي الزهرا
خليلي قوما فاحبسا طرق الصبا * مخافة أن يحمي بزفرتي الحرا
فان الصباريح علي كريمة * بآية ماتجري من الجنة الصغرى
خليلي أعني أرض مرسية المنى * ولولا توخي الصدق سميتها الكبرى
ووكري الذي منه درجت فليتني * فجئت بريش العزم كي ألزم الوكرا
وماروضة الخضراء قدمثلت بها * مجرتها نهرا وأنجمها زهرا
بأبهج منها والخليج مجرة * وقد فضحت أزهار ساحتها الزهرا
هنالك بين الغصن والقطر والصبا * وزهر الربى ولدت آدابي الغرا
اذا نظم الغصن الحيا قال خاطري * تعلم نظام النثر من ههنا الشعرا
وان نثرت ريح الصبازهر الربى * تعلمت حل الشعر أسكبه نثرا
فوائد أسحار هناك اقتبستها * ولم أر روضا غيره يقرئ السحرا
كأن هزيز الريح يمدح روضها * فملأ فاها من أزاهيره درا
أيا رتعات الحسن هل فيك نظرة * من الجرف الاعلى الى السكة الغرا

فانظر من هذى لتلك كأننى * أغير اذا غازلتها أختها الاخرى
هى الكاعب الحسناء تمم حسنها * وقدت لها أوراقها حللا خضرا
اذا خطبت أعطت دراهم زهرها * وما عادة الحسناء ان تنقد المهرا
وقامت بعرس الانس قينة أيكها * أغاريدها تسترقص الغصن النضرا
وقل فى خليج يلبس الحوت درعه * ولكنه لا يستطيع بها نصرا
اذا ما بدا فيها الهلال رأيته * كصفحة سيف وسمها قبعة صفرا
وان لاح فيها البدر شبهت متنه * بسطر لجين ضم من ذهب عشرا
وفى جرفى روض هناك تجافيا * لنهر تود الافق لو زاره فجرا
كأنهما خلان صدفا امعا وقد * بكيا من رقة ذلك المرا
وكم بأبيات الحديد عشية * من الانس ما فيه سوى انه مرا
عيانا كأن الدهر غص بجينها * فاجلت بساط البرق أفراسها الشقرا
عليهن أجرى خيل دمعى بوجنتى * اذا ركبت حمراء ياديتها الصفرا
أعهدى بالفرش المنعم دوحه * سقتك دموعى انها مزنة شكرا
فكم فيك من يوم أغر محجل * نقضت أمانيه خليتها ذكرا
على مذنب كالبحر من فرط حسنه * تود الثريا أن تكون لها نحرا
سقت أدمعى والقطر أيهما انبرى * بقا الرملة البيضاء فالنهر فالجسرا
واخوان صدق لو قصدت حقوقهم * لما فارقت عينى وجوههم الزهرا
ولو كنت أقضى حق نفسى ولم اكن * لما بت استجلى فراقهم المرا
وما اخترت هذا البعد الا ضرورة * وهل تستجر العين أن تفقد السفرا
قضى الله ان تنأى بى الدار عنهم * أراد بذلك الله ان أعتب الدهر
ووالله لو نلت المنى ما حمدتها * وما عادة المشغوف أن يحمد الهجرا
أيأنس باللذات قلبى ودونهم * مرام يحد الركب فى طيها شهرا
فديتهم بانوا وضنوا بكتبهم * ولا خبر منهم القيت ولا خبرا
ولولا علاهم ما تهم لعنيتهم * ولكن عراب الخيل لا تحمل الزجرا
ضربت غبار البيد فى مهرق السرى * بحيث جعلت الليل فى ضربه حبرا
وحققت ذاك الضرب جمعا وعدة * وطرحا وتحميلا فأخرج لى صفرا
كأن زمانى حاسب متعسف * يطارحنى كسرا أما يحسن الجبرا

واست وان طاشت سهامى بآئس * فان مع العسر الذى لم يبق يسرا

(ولمؤلفه عفا الله عنه)

تذكرت أوطانى وياحبذا الذكرى * لتلك القصور البيض والربوة الخضرا
وأشجار واديها وبهجة جنكها * وقد نقر الشحرور فى دفه نقرا
وتجعيد ذاك الماء وميل غصونه * فهذا به كسر وهذا به سكرى
وما أحسن الميعاد ممن تحبه * بجمعه الاسنى وليلته القمرا
اذا الناس فى هرج ومرج بلهوهم * وقلبى عن أهواه فى بلدة أخرى
ترى كل حزب لاهيا بسروره * وكل له شغل به قد غدا مغرى
اذا أصبحوا هزوا الشمائل بالندا * فينظر منه فوق أعطافهم درا
كرام اذا ولوا وطار نداهم * وللبائس المسكين يبغى به الاجرا
فآه على تلك العشايا وطيبها * وآه على حلو الزمان الذى مرا
فياعاشق المعشوق لاتبد سلوة * عن المزة الفيحاء والجبهة الغرا
اذا زرع اللوان واخضر أرضه * فلاتذكروا مصر ولاتذكروا الاهرا
ويامن يجارى أو يضاهى بغيرها * تأمل فذا الميدان دونك والشقرا
خليلى أحيا من ذكرت ومنزلى * بعيشكما قولا قفانبك من ذكرى

(ولمؤلفه أيضا) يرثى دمشق المظلومة ويصف ماحل بها من التيار فى سنة ثلاث وثمانمائة

أجريت جمر الدمع من أجفانى * حزنا على الشقراء والميدان
وتلاعبت أهدابها بعداهى * لعب الكماة بأرؤس الفرسان
وتوقدت نيران حزنى اذ رأت * تلك الربوع مواقد النيران
لهفى على تلك البروج وحسنها * حفت بهن طوارق الحدثان
لهفى على وادى دمشق واطفه * وتبدل الغزلان بالثيران
نزلوا ظلال الدوح فلاتسل * ماحل بالاغصان والكثبان
سقطت غصون البان من قاماتها * لما سمعن نواعق الغربان
وشكا الحريق فؤادها المارأت * نور المنازل أبدلت بدخان
جناتها فى الماء منها أضرمت * فعجبت للجنات فى النيران
كانت معاصم نهرها فضية * والآن صرن كذائب العقيان

ماذاك الاثر كهم وبحت بها * فتخضبت منها بأحمر قان
كرهت جدا ولما حوافرخيلهم * فتسابقت هربا كخيل رهان
خافت خدودا الارض من أفعالهم * فتلثمت بعوارض الريحان
أذكيت نارالصدريا ورقاؤها * وتأثرت بلواعج الاشجان
تبكى على غصن وأندب قامة * فجميعنا نبكى على الاغصان
واحسرتاه على دمشق وقولها * سبحان من بالمغل قد أبلان
عادانى الدهرالخؤون بغله * والعجم منه وقبلهم غازانى
فعساك تأخذ ثارهامن مغاهم * بالحل ثالث سبعة وثمان
لوعاينت عيناك جامع تنكز * والبركتين بحسنها الفتان
وتعطش المرجين من أورادها * وتهدم المحراب والايوان
لاتت جفونك بالدموع ملونا * دمعا حكى اللؤلؤ على المرجان
قطرات جفن ترجمت عن حرقتى * فكأنهن قلائد العقيان
أبنى أمية أين عين وليدكم * والمغل تقتل فى ذرى الاركان
شربوا الخمور بصحنه حتى انتشوا * ألقوا عرابدهم على النسوان
لم يرحموا طفلا بكى فقلوبهم * فى الفتك صخر لاأبوسفيان
قصوا جناح النسر بعد نهوضه * ياليته لوفاز بالطيران
ألواحه أجرت دموعى أسطرا * كتبت على اللوحين من أجفانى
ان أنكروا يوم الحساب فعالهم * فشهيدنا عثمان ذو القرآن
لهفى على كتب العلوم ودرسها * صارت معانيها بغير بيان
أعروس نالك أسوة بحماتنا * فى ذا المصاب فأنتما أختان
غابت بدور الحسن عن هالاتها * فاستبدلت من غزها بهوان
ناحت نواعيرالرياض لفقدهم * فكأنها الافلاك فى الدوران
شتتهم أيدى سبا يا دهرنا * وتلوت آى الجمع بالفرقان
حزنى على الشهباء قبل حماتنا * هو أول وهى المحل الثانى
لاتدع الاحزان يا شعراءنا * السبق للشهباء فى الاحزان
رتعت كلاب المغل فى غزلانها * وتحكمت فى الحور والولدان
لهفى على تلك الشعور وطولها * جرت بها الاعناق كالارسان

لهفى عليك محاسنا لهفى عليـ * ـك مرائسا لهفى عليك مغانى
لهفى علـيـك منازلا ومنازها * ومقام فردوس وباب جنان
ان قال لحظى قال سيفى ضارب * أو قال طرفى قال حد سنان
أو مشتق آهاتى عليك كثيرة * كالدمع فى جفن الكئيب العانى
حسراتها لاتنقضى من خاطرى * هى شغل أفكارى ونصب عيانى
لى أنة لى حرقة لى لهفة * لى حسرة لى لوعة وكفانى
أمنازل الاحباب كيف تبدلت * تلك الربى بمقاتل الفرسان
ان لم أسل ماء العيون مجاريا * ماء الغمام بهافما أجفانى
لاتنه جفن الصب فى جريانه * دعنى وشأنك ياغمام وشانى
العين والانسان قد فقدا معا * أبكيك ياعينى ويا انسانى
لم أدر من أبكى وأندب حسرة * للقصر للشرفين للميدان
للجبهة الغراء أم خلخالها * للـروزة الفيحاء أم اللوان
لا يحجر المشتاق عن تذكارها * يا حاجرى بالظلم والعدوان
شوقى بها قابى أقل لك منشدا * لك ان تشوقنى الى الاوطان
واذا أتيت بحاجرى فربعها * فعـنى أن أبكى بدمع قانى
ما كان أهنى العيش فى ساحاتها * والدار دارى والزمان زمانى
أسفى على أيامها لاتنقضى * ماكان أهناها وما أهنانى
أيام لاماء السرور مكدر * أرعى نضير العيش بل يرعانى
ولقد وقفت على ربوع حبائبى * فنـدبتهن نوادب الاحزان
ولقد وقفت على الديار منـاديا * بلسان مغترب وعبرة عانى
يادار أين حبائبى فأجابنى * عنها الحريق بألسن النيران
حكم القضا فيهم ونفذ حكمه * فتشتتوا فرقا بكل مكان
يارب لم شتاتهم بمحمد * سر الوجود وبهجة الاكوان
ان لم نلذ فى أمرنا بجنابه * فبمن يلوذ ويستجير الجانى
أترى الاله مؤيدا سلطاننا * حتى أقول وعشت بالسلطان
يارب فعل الذنب أصل بلائنا * فاصفح وجد للذنب بالغفران
واغسل بماء الامن وجه وطاننا * واصرف بفضلك حادم الطغيان

واجمع على جسمانناأرواحها * ياجامع الارواح بالجسمان

(تقي الدين السروجي يقول)

وافى رضيع النبت من ذاك الحمى * نجيا تدور على الربى كاساته

سفح سفحت عليه دمعي في ثرى * كالمسك ضاع من الفتاة فتاته

وفي المثل لولا حب الوطن لخرب بلد السوء الكريم يحن الى جنابه كما يحن الاسد الى غابه (وما أرق قول مزاد بن هباش الطائي)

سقى الله أطلالا بالية الحمى * وان كن قد أبدين للناس مابيا

منازل لو مرت بهن جنازتي * لقال صداها حاملا أنزلا بيا

(لسان الدين بن الخطيب)

يا جنة فارقت من غرفاتها * دار القرار بما اقتضته ذنوبي

أسفي على ما ضاع من حظي بها * لا تنقضي زفراته ونحيبي

ان أشرقت شمس شرقت بعبرتي * وتفيض في وقت الغروب غروب

حتى لقد علمت ساجعة الضحى * شجوي وجانحة الاصيل شجوني

وشهادة الاخلاص توجب رجعتي * لنعيمها من غير مس لغوب

(وله)

سلام على تلك المعاهد انها * مراتع الاوفى وعهد صحابي

ويا أنسة العهد أنعمي فطالما * سكبت على مثواك ماء شبابي

(أنشدني صاحبنا الاعز الشيخ محمد الاندلسي الخياط) رحمه الله تعالى قال أنشدني الشيخ شمس الدين أبو عبد الله المشرقي رحمه الله

اشتاق للغرب وأصبو الى * معاهد فيها وعصر الصبا

يا صاحبي نجواي والليل قد * أرخى جلابيب الدجى وأحتبا

لا تعجبا من ناظر ساهد * بات يراعي أنجما غيبا

القلب في آثارها طائر * لما رآها تقصد المغربا

(ورد على من سيدي وأخي الجناب الشهابي ابن حجر) أعزه الله تعالى كتاب من مكة المشرفة الى دمشق المحروسة وفي أثنائه من متجدداته

أسر غرامي من عزول وحاسد * فاعلان صبري لا يشابه أسراري

بليت بمن لم يدر مقدار صبوتي * فوا لهفي بعد الرحيل على الداري

(نقلت) من كتاب فوات الوفيات تأليف صلاح الدين الكتبي في ترجمة طراد بن علي بن عبد العزيز أبي فراس السلمي الدمشقي الكاتب المعروف بالبديع مات متولي مصر سنة أربع وعشرين وخمسمائة

يا نسيما هب مسكا عبقا * هذه أنفاس ريا جلقا
كف عني والهوى مازادني * برد أنفاسك الا حرقا
ليت شعري نقضوا أحبابنا * يا حبيب النفس ذاك الموثقا
يا رياح الشوق سوق نحوهم * عارضا من سحب عيني غدقا
وانثري عقد دموعي طالما * كان منظوما بأيام اللقا

واشتهرت هذه الابيات وغنى بها المغنون (قال بعضهم) مررت يوما بشوارع القاهرة وقد ظهرت جمال كثيرة حولها تفاح من الشام فعبقت روايح تلك الحمول فاكثرت التلفت وكانت أمامي امرأة سائرة ففطنت لما داخلني من الاعجاب الى تلك الرائحة فأومأت الى وقالت هذه أنفاس ريا جلقا (ونقلت) من مجموع بخط العلامة المؤرخ قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان تغمده الله برحمته قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصيل الخزاعي يا أصيل كيف تركت مكة قال تركتها وقد أجن ثمامها وأمر سلمها وأغدق اذخرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم دع القلوب في أماكنها (تفسير ما فيه من الالفاظ الغريبة) أجن الثمام اذا خرجت جنته وهي خوصه والثمام نبت ضعيف له خوص وأمر السلم اذا خرج والسلم شجر من العضا الواحدة سلمة وأغدق الاذخر اذا ظهرت ثمرته والاذخر نبت (ونقلت من خط الحافظ اليغموري) كانت الامتعة الثمينة والذخائر النفيسة تأتي الى مصر وتباع ولا ينظر اليها يوسف عليه السلام واذا جاءت أجمال صوف من كنعان لاتحل الا بين يديه (مرض عمار بن عباد) حين ولي الرقة فما كاد ينجع فيه دواء فقال له طبيبه سببه الهواء فبعث الى بغداد فحمل الهواء في جرب فكان يفتح كل يوم في وجهه جراب الى أن برئ

(الباب التاسع والاربعون في دار سكنت كثيرة الحشرات قليلة الخير عديمة النبات)

(وأبلغ ما سمع فيها قول كمال الدين بن الاعمى)

دار سكنت بها أقل صفاتها * أن تكثر الحشرات من حشراتها
الخير منها نازح متباعد * والشر دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدمته * كم أعدم الاجفان طيب سناتها
وبنات تسعدها براغيث متى * غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتنقيط ولكن فاقه * قد قدمت فيه على أخواتها
وبها ذباب كالضباب يسد عين الشمس ما طربى سوى غناتها
أين الصوارم والقنا من فتكها * فينا وأين الاسد من وثباتها
وبها من الخطاف ما هو معجز * أبصارنا عن حصر كيفياتها
تغشى العيون بمرها ومجيئها * ويصم سمع الخلد من أصواتها
وبها خنافيس تطير نهارها * مع ليلها ليست على عاداتها
شبهتها بقنافذ مطبوخة * نزع الطهارة نصحها شوكاتها
شوكاتها فاقت على سمر القنا * فى لونها وعمامها وثباتها
وبها من الجرذان ما قد قصرت * عنه العتاق الجرد فى جلاتها
وترى أبا غزوان منها هاربا * وأبا الحصين يروغ عن طرقاتها
وبها خنافس كالطنافس أفرشت * فى أرضها وعلت على شرفاتها
لو شم أهل الحرب منتن فسوها * أردى الكماة الصيد عن صهواتها
وبنات وردان واشكال لها * مما يفوت العين كنه ذواتها
متزاحم متراكب متضارب * مترا كم فى الارض مثل نباتها
وبها قراد لا اندمال لجرحها * لا يفعل المشراط مثل أداتها
أبدا تمص دماءنا فكأنها * حجامة لبدت على كاساتها
وبها من النمل السليماني ما * قد قل ذر الشمس عن ذراتها
لا يدخلون مساكنا بل يحطمو * ن جلودنا فالعفو من سطواتها
ما راعنى شئ سوى وزغاتها * فنعوذ بالرحمن من نزغاتها
سجعت على أوكارها فتظنها * ورق الحمام سجعن فى شجراتها
وبها زنابير تظن عقاربا * بالابر للمسموم من لدغاتها
وبها عقارب كالاقارب رتعا * فمنا جانا الله لدغ حماتها
فكأنما حيطانها كغرابيل * أطلعن أرؤسهن من طاقاتها

كيف السبيل الى النجاة ولا نجا * ة ولا حياة لمن رأى حياتها
السم فى نفثاتها والمكر فى * لفتاتها والموت فى لفتاتها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها * والارض قد نسجت بزاقاتها
ولقد رأينا فى الشتاء سماءها * والصيف لا ينفك عن صعقاتها
فضجيجها كالرعد فى جناتها * وترابها كالو بل من خشياتها
واليوم عاكفة على أرجائها * والاكل يلمع فى ثرى عرصاتها
والنار جزؤ من تلهب حرها * وجهنم تعزى الى لفحاتها
قد رممت من قبل ان يلقى لآدم أمنا حواء فى عرفاتها
شاهدت مكتوبا على أرجائها * ورأيت مسطورا على عتباتها
لا تقربوا منها وخافوها ولا * تلقوا بأيديكم الى هلكاتها
أبدا يقول الداخلون فناءها * يارب نج الناس من آفاتها
قالوا اذا ندب الغراب منازلا * تتفرق السكان من ساحاتها
وبدارنا ألفا غراب ناعق * كذب الرواة فأين صدق رواتها
صبرا لعل الله يعقب راحة * للنفس اذ غلبت على شهواتها
دار تبيت الجن تحرس نفسها * فيها وتنذر باختلاف لغاتها
كم بت فيها مفردا والعين شو * قا للصباح تسح من عبراتها
وأقول يارب السموات العلا * يارازقا للوحش فى فلواتها
أسكنتنى بجهنم الدنيا ففى * أخراى هب لى الخلد فى جناتها
واجمع بمن أهواه شملى عاجلا * ياجامع الارواح بعد شتاتها

(حكى الزمخشرى) فى ربيع الابرار أن رجلا من أهل الشام اطلع على جرد أخرج من جحره دنانير كثيرة فتركها وأخذ يلعب بها ثم أدخلها مكانها فقام الرجل وأخذ الدنانير فأقبل الجرد يثب و يضرب بنفسه الارض حتى مات (وحكى الشريشى) فى شرح المقامات عن أبى محمد الحسن بن اسمعيل الضراب قال كنت قاعدا انسخ فى ضوء السراج و بين يدى قدح فيه ماء وظرف فيه كعك وزبيب ولوز فجاءت فأرة وأخذت لوزة ومضت ثم عادت أخرى فمددت الماء الذى فى القدح فعادت الفأرة فكببت القدح عليها واشتغلت بشغلى ساعة فاذا قد جاءت فأرة أخرى فدارت حول القدح فسفسفت و بقيت ساعة على ذلك

والفأرة الاخرى تـفسف من داخـل فلم تجـد حيـلة فى خلاصها فغضت وأتت بدينار فوضعته ووقفت فلم أرفع القدح ففعلت ذلك الى أن أتت بسبع دنانير ووقفت ساعـة فلم أخل عن الفأرة فغضت وأتت بقرطاس فارغ فعلمت أنه لم يبق عندها شئ فخليت عنها (قال الغندجهى) رويت هذه الحكاية عن أشياخ ثقاة قيـل ان الخصى من كل شئ أضعف من الفحـل الا الجرذان فان الخصى يحدث فيـه شجاعـة وجراءة ولا بدع فى ذلك فان الجرذان الكبار لا تدع الهر وبنات عرس الا قتلتها فينبغى لمن فى منزله شئ منـه أنه يصطاد منـه ذكرا ويخصيـه ويتركه فى البيت فانه يأتى عـلى بقيـة الجرذان بأسرها (وذكر الشيخ شهاب الدين بن أبى حجـلة) قال أخـبرنى الشيخ شمس الدين بن خضر الدمشقى أحـد كتاب المنسوب بدمشق سـنة اثنين وخمسـين وسـبعمائة قال حللت مثقال ذهب لاجـل الكتابة به فاتفق أنى نزلت من البيت وتركته فى الدواة بغـير غطاء ثم رجعت الى البيت ونظرت فلم أر شيئا من الذهب فى الدواة فتعجبت غاية العجب فنظرت فاذا فار فى جانب البيت وعـلى خرطومـه أثر الذهب يلمع فعلمت أنه شربه فنصبت المصيدة وخرجت من البيت فما لبث أن وقع فيها فأخـذت طاسـة وجعلت فيهـا ماء وأمسكت بذنبـه وجعلته يعوم فى الطاسة وكلما أراد الخروج رددته بذنبـه الى أن شرب ماء كثيرا وكاد يموت فقبضت بذنبـه ودليت رأسـه الى أسفل فجعل يستقى من حلقه الذهب مختلطا بالماء الذى شربه الى أن لم يبق منـه شئ فغسلت الذهب مرة ثانيـة ووزنته فلم ينقص غـير قيراطين هكذا أخبرنى أوكما قال (وحكى الكواشى) فى تفسيره أن أن ابراهيم الخليل عليه السلام لما ألقى فى النار جعل كل حيوان يطفئ عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ فى النار * وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أمر بقتل الوزغ وقال كان ينفخ على ابراهـيم (وذكر الزمخشرى) عن ابن عباس انه قال الوزغ يريد الشـيطان يرسله ليفسد على الناس ملحهم ومن العجب ان الافعى لا ترد المـاء ولا تريده واذا وجدت الخمر شربت منه حتى تسكر وكنية الافعوان أبو حيان وأبو يحيى لانه يعيش ألف سـنة وأرض حمص لا تعيش فيها العقارب واذا طرحت فيها عقرب غريبة ماتت لساعتها سمع غلام رجلا يقول أنا مثل العقرب أضر ولا أنفع فقال ما أقل علمك بل لعمرى انها لتنفع اذا شق بطنها ثم شدت على

موضع اللسعة وتجعل فى جوف اناء فخار ويسد رأسه ويطين جانبه ويوضع فى التنور فاذا صار رمادا يشفى به من به الحصاة مقدار نصف دانق فتتفتت الحصاة وتلسع الافعى فيموت (حكى) أن عقربا لسعت مفلوجا فذهب عنه الفالج * وشتم رجل الارضة فقال له بكر بن عبد الله المزنى مه فهى التى أكلت الصحيفة التى تعاقد المشركون فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها تيقنت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين وقيل لها لاى شئ تأكلين كتب المشتغلين فقالت ما آكل الا كتب الذين لا يشتغلون وقال لقمان لابنه لا تكن الذرة أكيس منك تجمع فى صيفها الشتائها النملة تفلق الحب أنصافا لئلا تنبت فتفسد والكزبرة تفلقها أرباعا لانها من بين الحب ينبت نصفها اذا قربت العقرب من الولادة أكلت أولادها جلدها وخرقوه حتى يخرج وقد ماتت الام وقال الشاعر فى ذلك

وحاملة لا يكمل الدهر حملها * تموت وينمو حملها حين تعطب

لعاب الجراد سم لا يقع على شئ الا أحرقه خطب المأمون يوما فوقع الذباب على عينيه فطرده فعاد مرارا حتى قطع عليه الخطبة فلما صلى الظهر أحضر أبا الهذيل فقال له لم خلق الله الذباب فقال ليذل به الجبابرة فقال صدقت وأجازه بمال وقال الجاحظ فى منافع الذباب انه يحرق ويخلط بالكحل فاذا اكتحلت به المرأة كانت عينها أحسن ما يكون ولذا ترى المواشط تستعمله وتأمر به العرائس وما أحسن قول عنترة

وخلى الذباب بها فليس ببارح * غردا كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعه * قدح المكب على الزناد الاجذم

قيل هذا من التشبيهات العقم وقال الجاحظ وجدنا المعانى تقلب ويؤخذ بعضها من بعض الا قول عنترة وخلى الذباب البيتين وزعموا أن رجلا من ولد حاجب بن زرارة [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصيد خلق الله وأحذقهم بالتدريب وبلغ من حذقه أنه ربى فهدا اصطاد به الظباء والثعالب وسرق منه فرخ الباشق من الاوكار فرباه ودربه حتى صار أهليا واصطاد به الحجل والقطا وعظام الوحش ودرب زنابير حتى اصطاد بها الذباب قال الجاحظ من من علم البعوضة أن وراء جلد الجاموس دما وأن ذلك الدم غذاء وأنها متى

طعنت فى ذلك الجلد الغليظ الصلب نفذ خرطومها مع ضعفه على غير معاناة ولو أنك طعنت بمسلة شديدة المتن لانكسرت (وقال التيفاشى) ومما جربه الناس كافة لاجل البق الصابون فانه اذا طلى به المواضع التى بها البق أى موضع كان من جدار أو سرير قتله ولم يعد اليه مادام أثر الصابون فيه قال صاحب الفلاحة النبطية اعلم أن القطران من أعظم شئ يكرهه النمل فتى أردت أن لا يقرب النمل شيئا فخط حول ذلك خطا من القطران مدوّرا فان النمل لا يقربه وان طليت به حول جحرة النمل هربن صدق الحلزون اذا أحرق حتى يصير كلسا أبيض وذر على بيوت النمل هربن فان أقن به متن جميعا وقال صاحب الفلاحة النبطية أيضا حجر المغناطيس الجاذب للحديد اذا وضع على باب أجحرة النمل لم يخرجن وهربن الى تخوم الارض قال وأهل بلادنا يجعلون فى وسط الكدس من الحنطة وغيرها من الحبوب من حجر المغناطيس وغيرها لئلا يدنو منه النمل قال واذا غطيت اناء فيه عسل أو غيره بصوف أبيض من كبش ولكن منفوشا لم يقربه النمل وكذلك اذا أدرت الصوف حول الاناء من أسفله لم يقربه النمل القمح المسوّس اذا وضع فى بيت فيه بق فان السوس يأتى عليه بمجموعه ولا يدع منه بقة واحدة وهذا صحيح مجرّب والبنفسج اذا قطع قطعا صغارا وجعل عليه قليل عجين فان الفأر يأكله ولا تستطيع معدته أن تهضمه فيموت عن آخره وهذا مما جرب وصح عند معاشر الناس كافة (قال الشيخ شهاب الدين بن فضل الله)

وناموس له قرص أليم * نضوج له ومنه لنا نضوج
ومن عجب تراه العين أنا * مع الناموس يرتفع الضجيج

(وقال الشيخ ابراهيم المعمار فى البراغيث)

ان البراغيث اللئام * قسوا على فقلت مالى
الا الجحور لاخترت * وقرصونى قلت أبالى

(ومن العجائب) ماذكره ابن بدرون فى شرح قصيدة بنى الافطس عند ذكر الواثق وجلالته وهيبته فانه يحكى من هيبتهم له انه لما ثقل فى علته التى مات فيها خيل اليهم فى بعض الاوقات وقد أغمى عليه انه قضى فدنا منه تركى يقال له ايتاخ ليعلم هل مات أم لا فلما دنا منه فتح عينيه ونظر الى ايتاخ فرجع القهقرى فانتشب طرف سيفه بالباب فاندق وسقط ايتاخ على قفاه لما نظره هيبة له

ورعباداخله من نظره اليه فمن العجائب انه لم تمر ساعة من نظره الى ان تاخ الا وقد
مات فأخذ وجعل فى بيت فما أقام به الا يسيرا فوجد قد أخرجت الفارة عينيه
فسبحان من لا يزول ملكه المنفرد بالبقاء لا اله الا هو العلى العظيم وعلى ذكر
ابن بدرون فما أحسن قول الصاحب جمال الدين بن مطروح

لك يا بدرون وجه * صار عنوان السعاده
لا تخف نقصا ومحقا * أنت بدر وزياده

(وقريب) من هذه الواقعة ماذكره الثعالبى فى لطائف المعارف انه لما جىء
برأس مروان بن محمد الى عبد الله بن على أمر بعزله فجاءت هرة فقلعت لسانه
وجعلت تمضغه فقال عبد الله أوغيره لولم يرنا الدهر من عجائبه الا لسان مروان
فى هذه لكفانا وكان مروان قد عرض بظهر الحيرة سبعين ألف عربى على سبعين
ألف عربى ثم قال اذا انقطعت المدة لم تنفع العدة (نقلت) من الطالع السعيد
فى فضلاء الصعيد تأليف العلامة المحدث البارع كمال الدين جعفر الادفوى
فى ترجمة تاج الدين الدشناوى محمد القوصى مولدا ودارا ووفاة محدث الدهر وفريدة
العصر فقيه عالم فاضل محدث أديب شاعر كريم الاخلاق طيب الاصول
والاعراق فمن نظمه ملغزا فى نخلة

يامن اذا ماقاصد * أمله تم له منه الذى أمله
ومن حوى الفضلين فضل الندى * وفضل علم للهدى حصله
ما اسم رشيق القد حلو الجنى * ذو فطنة ممزوجة بالبله
ألمى دقيق الخصر قد زانه * ردف له يهتز ما أثقله
أوانتمى يعزى لوادغدا * وارده مستعذبا منهله
حل به أسنى ملوك الورى * ومن غدا بالفضل والمعدله
ان قلت صف لى حسنه واقتصد * قلت محياك ما أجمله
أوقلت صف لى ملكه واقتصر * قلت أجل جل الذى كمله
أوقلت هل من مسترفد * قلت وللمسكين والارمله
تصحيف ما ألغزته مودع * فى النظم فافتح بالذكا مقفله
وعكسه أيضا بلغت المنى * مستودع فيه فما المسأله

(القول) فى طبائع الحيات وانما سميت حية لانها تحوت أى اجتمعت ويطلق على

الذكر والانثى يقال حية ذكر وحية أنثى وهى أصناف كثيرة لاتحصى كما لاتحصى
أصناف السمك (ذكرت) بقوله حية وهو ما أنشد فى انفسه من لفظه المقر
المجدى فضل الله بن مكانس عفا الله عنه

عاذلتى بعد أن توفيت * فى النوم أبصرتها الشقيه
تلسعنى بالملام فيكم * كأنها فى الوجود حيه

(رجع) وشرها الافاعى ومسكنها الرمال والجبال و يضرب المثل بها بأفاعى
سجستان ومن التهويل فى أمرها ما حكاه ابن شرمة ان أفعى منها نهشت غلاما فى
رجله فانصدعت جبهته ويحكى أن شبيب بن شبه دخل على المنصور فقال
ياشبيب أدخلت سجستان فانه بلغنى أنها محواة أى كثيرة الحيات قال نعم يا أمير
المؤمنين قد دخلتها قال فصف لى أفاعيها فقال هى دقاق الاعناق صغار الاذناب
مفلطحة الرؤس رقش برش كأنما كسين أعلام الحبرات كبارهن حتوف
وصغارهن سيوف قال أرسطو وليست الافعى من الحيوان الذى يلد حيوانا
مثله وان خرج من بطنها اولاد وانما ذلك لتكسر البيض فتلويها وتجمعها فى
بطنها فيتوهم من رأى ذلك انها تلد وليس الامر كذلك ومن الافاعى ما يتسافد
بأفواهها فاذا أعطى الذكر الانثى وقع كالمغشى عليه فتعمد الانثى الى موضع
منه كبيره فتقطعها نهشا فيموت من ساعته فاذا بلغ بعضها لم يكن له مخرج لضيق
مكان الولادة فيبقى فى بطنها حتى يجرح فيشقه ويخرجن وتموت الام من ساعتها
فيكون طلبها للولد هلاكها وذكرها يسمى الافعوان يأتيها أيام الصراف
فيصوت بها فتأتيه و بعض الحيات مستطيل أكدر اللون واخضر واسود
وابيض وأرقط وفى بعضها غش وتخرج كل بيضة ثعبانا على لونها ولم يعرف
السبب فى اختلاف ذلك وأما داخله فشئ أسمخ من الصديد واقذر وهو فى جوفها
منضد طولا على خط واحد وليس للحيات سفاد معروف تنتهى الى علمه وليس
عند الناس فى ذلك الا الذى ترون من ملاقات الحيات والتوا كل واحدة منهما
على صاحبه حتى كأنهما لو ح خيزران مفلوذوا لحية مشقوقة اللسان ولذلك
يظن بعض الناس ان لها لسانين وهى واسعة النحر ولها خطم وكذلك يفعل
نابها ولو كان لرأس الحية عظم لكان أشد لعضها ولكن جلدا نطبق على
عظمين مستطيلين وتوصف بالنهم والشره لانها تبتلع الفراخ من غير مضغ

كما يفعل الاسد ومن شأنها انها متى ابتلعت شيأ فيه عظم أتت شجرة أو حجرا
شاخصا فتنطوي عليه انطواء شديدا فتحطم ذلك العظم حتى تصيره رفاتا ومن
عادتها اذا نهشت انقلبت فيتوهم انها فعلت ذلك لتفرغ سمها وليس الامر
كذلك وانما في نابها عضل فاذا عضت استغرق ادخال الناب كله وهو أحجن
يشبه بالبيض فاذا انقلبت كان أسهل لخروجه وأسلس لنزعه وفي طبعها انها اذا
لم تجد طعما تعيش بالنسيم وتقتات به الزمن الطويل وتبلغ الجهد من الجوع
ولا تأكل الا لحم الشئ الحي وربما بقيت أربعة أشهر في الشتاء صابرة على
الجوع لا تغتذي بشئ ألبتة وهي اذا هرمت استقرت في بيتها وأقنعها النسيم ولم
تشته الطعام ومن عجيب أمرها انها لا تطلب الماء ولا تريده لغلبة الارضية عليها
ولهذا تصبر عن الغذاء المدة الطويلة لان حرارتها لا تسرع بتحليل مادتها لقلة
الحرارة وغلظ المادة وهي لا تضبط نفسها على الشراب اذا شمته لما في طبعها من
الشوق اليه فهي اذا وجدته شربت منه حتى تسكر وربما كان السكر سبب
حتفها لانها اذا سكرت خدرت والذكر من الحيات لا يقيم في الموضع الواحد
وربما تقيم الانثى على بيضها بقدر ما تخرج فراخها وتقوى على المكسب ثم
تخرج سائرة فمتى وجدت جحرا دخلته واثقة بان ذلك الساكن فيه بين أمرين اما
ان يقيم فيه فيصير طعاما لها واما أن يهرب فيصير الجحر لها ولهذا يضرب المثل بها في
الظلم فيقال أظلم من الحية وعين الحية لا تدور في رأسها وكذلك عين الجراد كأنها
مسمار مضروب وعينها ما انطبق وان قلعت عادت وكذلك نابها ان قلع عاد بعد
ثلاثة أيام وكذلك ذنبها ان قطع عاد وفي طبعها أنها تهرب من الرجل العريان
وتفرح بالنار وتطلبها وتعجب بها وباللبن ومتى ضربت بالقصب الفارسي ماتت
وان ضربت بسوط قد مسه عرق الخيل ماتت وهي داوية الدماء والذماء بطوء
خروج الروح بعد القتل وذلك انها تذبح حتى تفرى أوداجها فتبقى أياما لا تموت
ويقال انها لا تموت حتف أنفها الا ان تقتل أو [illegible] في حرث ثم تأتي
تدلكها الايدي وتكره على الطعم في غير أرضها الى ان [illegible] السبول
في الشتاء [illegible] فتموت اذا ضربت والحية تسلخ في كل عام مرتين جلدها
في أول الربيع والخريف وتبتدئ بالسلخ من عينيها [illegible] ثم [illegible] في
يوم وليلة [illegible] وكبرت عن سلخه [illegible] رقص [illegible]

ضيق حتى ينسلخ ثم تأتى الى عين ماء فتنغمس فيه فيشتد بذلك لحمها ويعود الى قوته
وشدته وليس فى الارض شئ مثل جسم الحية الا والحية أقوى منه بدنا اضعافا
ومن قوتها انها اذا دخلت صدرها فى جحر أو صدع لم يستطع أقوى الناس وقد
قبض على ذنبها بكلتى يديه ان يخرجها الشدة اعتمادها وتعاون أجزائها وليست
بذات قوائم لها أظفار ومخالب أو اظلاف تتشبث بها وتعتمد عليها وربما انقطعت
فى يد الجاذب لها وانما الشدة فقر ظهرها فان لها ثلاثين ضلعا وذلك مشاهد
فى صعودها وسعيها اخاف الرجل الشديد الحضر وعند هربها منه وهى برية
وتعيش فى البر بعد ان يطول مكثها فى الماء وصارت مائية وأصنافها كثيرة
جدا وهذا القدر كاف فى وصفها (القول على طبائع الفأر) يقولون جميع
ما يقع عليه اسم الفار فار وهى أنواع فار البيت والربات والخلد واليربوع وفارة
البيش وفارة المسك فاما فارة البيت فصنفان جرذان وفار وهما كالجواميس
والبقر والبخت والعراب والفار من الحيوان الذى جمع حاستى الشم والبصر
وليس فى الحيوان أفسد منه ليس يبقى على شئ جليل ولا حقير الا أهلكه وأتلفه
ولا يقصر فعله عما فعلته ريح عاد ويكفيه ما يحكى عن سد مآرب ومن تدبيره
فى الشئ يأكله ويحسوه وهو انه يأتى القارورة الضيقة الرأس فيحتال حتى يدخل
طرف ذنبه فى عنقها وكلما ابتل بالدهن أخرجه وامتصه حتى لا يدع فى القارورة
شيأ ولقد حكى ان رجلا كان عنده جرة زيت فغاب عنها مدة ثم افتقدها
فوجدها مملوءة حجارة وليس فيها من الزيت شئ فأدار فكره فى ذلك الى أن الفيران
كشفوها وشربوا منها الى ان لم يبق ان تصل أفواهها الى الشراب فدلت أذنابها
حتى لم تصل الى الزيت فألقوا الحجارة شيأ بعد شئ فكان الحجر اذا وقع فى الحق
طفا الزيت حتى فنى ولقد أرانى بعض الاصحاب ظرفا من زجاج كان فيه فستق
مقشور قد نقبته وأكان ما فيه وكل البزور تأكل قلوبها وتترك قشورها وما
أعجب من شئ كعجبى من نوى الخرنوب التى لا تقدر الاضراس على كسره وهى
تنقبه وتأكل قلبه وكذلك تفعل بالقرطم مع ملاسته وفى طبعه النسيان فربما
صيد مرات فيفلت ويعود وبه يضرب المثل فى السرقة والنسيان والحذر ويبلغ
الفار من تحرزه واحتياطه أن يسكن السقوف فربما جاء السنور وهو يريد
أن يعبر الى بيته والسنور فى الارض وهو فى السقف ولو شاء أن يدخل بيته لم يكن

للسنور عليه سبيل و يشير اليه السنور فى الارض بيساره كالقائل له ارجع فاذا رجع أومى اليه بيمينه كالقائل له عد فيعود وانما يطلب بذلك أن يعي أويزلق ولا يفعل به ذلك ثلاثة مرات الا ليسقط فيثب عليه (وحكى الجاحظ) ان ناسا أنكروا أن يخلق الفأر فى أرحام اناثها من أصلاب ذكورها ولكن من بعض الارض كطينة الفاطول فان أهلها يزعمون أنهم رأوا الفأر لم يتم خلقه بعد وان عينيه فصان ثم ينتئان حتى يتم خلقها وتشتد حركتها ذكر الجاحظ ذلك على طريق الاستبعاد (قال صاحب المنهاج) وانما رأيت ذلك عيانا اتفق أنى سافرت من الفيوم فمررت بقرية تسمى صفط واذا بفيران قد خرجوا من شقوق الارض كجراد منتشر كل واحد منها نصفه حيوان ونصفه الآخر طين لم تكمل خلقته وكذلك يتولد بمصر اذا انكشف ماء النيل عنها (القول فى طبائع العقرب) وهذا الحيوان أصناف منه الجرارة والطيارة وماله ذنب كالحربة وماله ذنب معقف وفيها السود والخضر والحمر والصفر والكمد وماله لون الرماد وما لونه لون اللهب وماله جناحان وأصحاب الكلام فى طبائع الحيوان يقولون العقرب مائية الطباع ومن ذوات الذرو كثرة الولد تشبه السمك والضب وعامة هذا النوع اذا حملت الانثى منه يكون حتفها فى ولادتها لان أولادها اذا استوى خلقها أكلت بطنها وخرجت فتموت والجاحظ لا يعجبه هذا القول ويقول أخبرنى من أثق به انه رأى العقرب تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهى قدر القمل كثير العدد والعقرب شر ما يكون اذا كانت حبلى ولها ثمانية أرجل ولها أظلاف مثل أظلاف الثور عيناها فى ظهرها وهى من الحيوان الذى لا تسبح ومن عجيب أمرها انها لا تلسع الميت ولا المغشى عليه ولا القائم الا أن يتحرك شئ من بدنه فانها عند ذلك تضربه وضربها له انما هو خوفا فهى تدفع بنفسها بضربها وهى تأوى الى الخنافس وتسالمها وتصادق من الحيات كل اسود سالخ وربما لسعت الافعى فتموت وفيها من يلسع بعضه بعضا فيموت الملسوع ومن شأنها اذا لسعت الانسان فرت فرار من يخاف العقاب (وقال الجاحظ) والعقارب تستخرج من موتها بالجراد لأنها حريصة على أكله تمسك الجرادة فى عود ثم تدخل بها فى مكانها فاذا عاينتها العقرب تعلقت بها ومتى أدخل الكراث اليها وأخرج تبعته ومامعها من جنسها ونوعها وهى اذا خرجت من بخشها فى طلب المطعم يكون لها نشاط وعزم

تضرب كلما القيته من حيوان أو نبات أو جماد وربما ضربت الطست والقمقم فتخرقه وتسيل مادة وربما نشبت فيه ابرتها وهذه الابرة منعوتة فيها السم والعقارب القاتلة تكون فى موضعين بشهرزور وعسكرمكرم وهى جرارات وهذه العقارب تلسع فتقتل وربما يتناثر اللحم من لسعته أو تعفن لحمه واسترخى ولا يدنو منه أحد الا وهو يمسك أنفه مخافة أعدائه وهى فى غاية الصغر فان أكبر ما يوجد منها يكون قدر زنته دانقا واحدا والذى يوجد منها كبيرا يكون زنته ثلاث حبات وقد وزنت بشعيرة فرجحت الشعيرة عنها ذكر هذا صاحب كتاب النوار ومن طرائف أمرها انها مع صغرها وقلتها ونزارتها تقتل الفيل والبعير بلسعها وبنصيبين عقارب قتالة يقال ان أصلها من شهرزور وان بعض الملوك حاصر بها فأتى بالعقارب من شهرزور ورمى بها فى كيزان بالمجانيق الى البلد فأعطوا القوم بأيديهم وما أظرف قول من قال وقد واعد امرأة ليأتيها فلما خرج من عندها ضربته عقرب فى طريقه (فقال)

ولقد سريت مع الظلام لموعد * حصلته من غادر كذاب
فاذا على ظهر الطريق معدة * سوداء قد علمت أوان ذهابى
لابارك الرحمن فيها عقربا * دبابة دبت الى دباب

وسمع خبره صاحب الدار فقال

ودار وأيام سكانها * تقيم الحدود بها العقرب
اذا غفل الناس عن ذنبهم * فان عقاربنا تضرب

(القول فى طبائع النمل) ذهب ابن أبى الاشعث انه لا يتزاوج ولا يتوالد ولا يتلاقح وانما يسقط منه شئ حقير فى الارض فينمو فيصير بيضا ثم يتكون فيه وهو من الحيوان المحتال يتفرق فى طلب المعاش فاذا وجد شيأ أنذر الباقين فيجيئن ويحملن وكل واحد يجتهد فى اصلاح العامة غير مختلس لشئ من الرزق دون صحبه ويقال انما يفعل ذلك رؤساؤها ومن تحيله فى الرزق انه ربما وضع بينه وبين ما يخاف عليه منه ما يحجزه عنه من ماء أو شعر فيتسلق فى الحائط ويمشى على جذع من السقف مسامتا لما حفظ ثم يلقى نفسه عليه وفى طبعه انه يحتكر زمن الصيف لزمن الشتاء وله فى الاحتكار من الحيل ما انه ما اذا احتكر ما يخاف نباته قسمه نصفين ما خلا الكسفرة فانه يقسمها أرباعا لما ألهم ان كل نصف

منه ما ينبت واذا خاف العفن على الحب أخرجه الى ظاهر الارض ونشره وأكثر ما يفعل ذلك في القمر ويقال ان حياته ليست من قبل ما كله ولا قوامه وذلك انه ليس له جوف ينفذ فيه الطعام ولكنه مقطوع نصفين وانما قوته اذا قطع الحب من استنشاق ريحه لا غير وذلك يغذوه ويكفيه وهو يشم ما ليس له ريح مما لو وضعه الانسان على أنفه لما وجد له ريحا والكلام عليها طويل وهذا القدر كاف (لبعض الشعراء) في البراغيث والبق والبعوض

نومي على ظهر الفراش منغص * والليل فيه زيادة لا تنقص
من عاديات كالذئاب تداءبت * وسرت على عجل فلا تتربص
جعلت دمي خمرا تداوم شربها * مسترخصات منه ما لا يرخص
فترى البعوض مغنيا بربابة * والبق يشرب والبراغيث ترقص

(أبو عامر بن شهيد) يصفه اسود زنجي وأهلي وحشي ليس بوان ولا زميل وكأنه جن لا يتحرى من ليل وشونيزة أو نبتها اغر ره نقطة مداد أو سويداء قلب قراد شربه غب ومشيه وثب يسري ليله ويكمن نهاره ولا يمنعه ستر يدرك بطعن مؤلم ويستحل دم كل مسلم مشاور للاساوده يجرذيله على الجبابرة يتكفن بأرفع الثياب ويهتك ستر كل حجاب ولا يحفل ببوّاب يرد مناهل العيش العذبه ويصل الاجراح الرطبه ولا يمنع منه أمير وهو أحقر من كل حقير سره مبثوث وعهده منكوث (نقلت من كتاب الامتاع والمؤانسه لابي حيان التوحيدي) ان نبات عرس انما تلقح من أفواهها وتلد من آذانها ومن عادة هذا الجنس انه يسرق ما وجد من حلى الذهب والفضة ويخبئه في جحره وان وجد أيضا في البيت حبوبا خلط بعضها ببعض (النمل) عمرل مواطب فاذا جمع الحب قطعه كيلا ينبت اذا أصابه الندى والبلل ويخرجه ويبسطه عند فم الجحر حتى اذا يبس أدخله فمن عجب طبائع النمل أدرك علم زمان المطر والصحو ومن أراد ان يهلك النمل فليدق الكبريت والحريق وليذره في جحره ولا يولد من تزاوج لكنه يخرج منه شئ صغير فيقع في الارض فيصير بيضا ثم تصور من البيض بالهيئة التي ترى (الخنافس) اذا شمت ريح الورد ماتت وأجنحتها مدمجة لا صقة بها (البق والبعوض) لا تناكح لهما وانما تستحيل من عين الماء ووسخه ونتنه ومن أخذ غصن العنب ووضعه تحت سريره لم يقربه بق ولا بعوض

ومن أراد أن لا يتأذى بالبراغيث فليحفر وسط البيت حفرة ويملأها بدم تيس فان البراغيث تجتمع هناك وان وضع فى الحفرة ورق دفلى ماتت البراغيث ثم ماذكره أبو حيان فى الامتناع ومنه قيل لذويب أتزعم انك مفلس لا تقدر على قرض ولا جمع ولا خفالة وبيتك عامر بالفأر فقال على بن أبى عتيق الطلاق الثلاث ألبتة ان كان يمنعهم من التحول عنا الا انهم يرقون أطعمة الناس ويأكلونها فى بيتى لأمنهم فيه لانه لا هر هناك (وعلى ذكر الفار) فما أحسن قول الشيخ أحمد الموال الشهير بالفار أنشدنيها المرحوم الفخرى بن مكانس

قلبى صبا نحو بطحى رأيتو رق * لما رأى القاعد أخلاه وعليها دق
ومذ قطعها الصبى شقات قلت الحق * يا فار نلت المنى اعبر لهذا الشق

يتأذى بمن ينبذه بهذا اللقب فاتفق حضورهما عند الامير قشتم نائب السلطنة الشريفة بسلمان عليه حين قدم من سفره فأحضرلهما مشمرو باعلى العادة فسك فخر الدين الاناء وقال ذكروا أن شراب الليمون فى الاسفار يسكن الدم اذا فار فاحتدمنه الفأر وقال كذبت عن من نقلت هذا فقال عن الفارابى فكان الشاهد أذكى من الزائد (نقلت من تذكرة العلامة عز الدين الموصلى شيخنا) رحمه الله وفقا يوضع لفقد الذباب من البيت الذى يكون فيه وصورته ان يوضع يوم الخميس المعروف بخميس البيض قبل طلوع الشمس بعد صلاة الفجر ويكون واضعه قد صام أربعة أيام لا يفطر فيها على زفر ولا زهومة ثم يصنعه على هذه الهيئة ويكون الوضع فى ورق لونه رصاصى تربيعا بالمسطرة محررا وهو هذا الوفق المبارك ان شاء الله تعالى

هلك	الذباب	باذن الملك	القاهر القدير
٨٧٨	٦٧٢	8٦٢	8٧٣
٦٧١	٨٧٣	٧٢٨	8٧
٨٣٧	8٨	٦٧	٨٧٣

(ناصر الدين بن النقيب)

ودار خراب بها قد نزلـت ولكن نزلت الى السابعه
فلا فرق بين أني أكو * ن بها أوا كون على القارعه
فوالله ماذقت في أرضها * ولا طلعت لي بها طالعه
ومفردت بالصفات القبا * ح وماهي الا لها جامعه
تشاورها هفوات النسيم فتصغي بلا أذن سامعه
اذا ماقرأت اذا زلزلت * بها خفت أن تقرى الواقعه
وأخشى بها ان أقيم الصلا * ة فتسجد حيطانها الراكعه

(قال الشيخ شمس الدين بن الصائغ) أنشدني الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليماني قال حضرت منزل الشيخ جمال الدين بن نباتة فرأيت فيه نملا كثيرا فقلت

مالي أرى منزل المولى الاديب به * نمل تجمع في أرجائه زمرا
فقال لا تعجبن من نمل منزله * فالنمل من شأنها أن تتبع الشعرا

(وعلى ذكر النمل) ذكرت مانقلته من خط الوداعي ماصورته دب شخص شاهد عدل يقال له النميلة فعمل فيه عز الدين بن رواحة

عتبت على نميلة في التعدّي * وجرأته على ما لا يحل
وقلت مقال انكار عليه * تدب على العدول وأنت عدل
فقال لقد عتبت على ظلما * وهل للنمل غير الدب شغل

(من المجربات) اذا ظهر النمل في موضع أن يقرؤ عشر مرات في نفس واحد هم الغداء والعشاء طويل فانه يرحل باذن الله (السيد الفاضل) شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على الامدى في الحية

وتخاله في القيظ سوطا باليا * ملقى وفي كانون دملج معصم
وقد استدارت مقلتاه بحمرة * فيها تحاكي قطرتين من الدم

(وله فيه)

وهو حبل قل اذا ما امتد أو * مثل خيط النهر مهما اضطربا
سببا للموت وصالا به * وكذاك الحبل يدعى سببا

(من كتاب كتبه محيي الدين بن عبد الظاهر) الى القاضي كمال الدين بن العطار كاتب الدرج السعيد * من منزله خربه اللصوص من كل صاعد تراجمت

به مدارج السيول وغصت به حلوق الوحول وغدا شجا فى صدور السهول قد جشت الاقطار وجوه صفاته وفتحت الايام والليالى مالعله من حسن صفاته وأصبح مغاثرا فى طرق الزروع كم حصل منه لها أذى ومحاجر كم أطرفت عيون الارض منه على قذى كأن أسوده على الارض كلب يؤذى الابصار وكم خد به استدار منه له أوحش عذار كم تجمعت فلذه فكانت ظلمات بعضها فوق بعض وبنيت فى الفضاء فأحسن بها من نهود تبدو فى صدور الارض تروع المراعى فى المراعى وتسمع بها قعاقع سهام المنايا فتغدو اتراكيش للحيات والافاعى من كل أفعى تفترس افتراس الضيغم وتملس املاس الجدول وتنكمش انكماش السهم تفزع رائيها فى المنام واذا انقبضت صارت عروة واذا انبسطت فهى حزام كم جنات التراثب فى أنيابها وكم لعبت بالارواح بلعابها ذات ألوان كالدنيا بينا تروق اذا هى تروع ولين معاطف كالايام وكأنما استدار بها اشراك المرقوع قد غدت للخيام أطنابا عوض الاطناب واذا شاهد الاطباء علاماتها وامتدادها قالوا هذا الذى يقال له الموت من العلامات والاسباب كم قد نضحت العيون منها بأسود سالخ وكم أحرق سهامها هربا فى كوره لاهلجة بارالموت وهوله نافخ ومن عجب أنها تمشى على بطنها ولا تأكل ماتفترس وتوقد فى الليالى المدلهمة عيونها نارا لا يجد عليها هدى طرق المقتبس (القاضى فتح الدين بن الشهيد)

أقول لنمل العذار التى * على الخد بت فى تحملى
حت عسل الريق الحافظه * الى ابن غل فلا تسلى

(بدر الدين يوسف الذهبى)

يا جمال الكتاب بل يا * جيد الذكر حقا ومن له العلياء
لى بيت صعب مجاريه الفكـــروما ان تحـــمله البلغاء
ظاهر العيب لا عروض له * والضرب والقبض فى ذراه سواء
لا أراه من الخفيف فلم ذا * جاز فيه التشعيب والاقواء
للبراغيث فيه رقص وللبق * زمير وللذباب غناء
عامل لا أراك فيه وهذا * لك دليل ان ليس فيه بناء

(منقول من الموجز لابن نفيس) مما يطرد الهوام من البيت التبخير بأصل

الرمان وقضبانه وأصل السوس والقنة والقرون والاظلاف والحوافر والشعر والحلتيت وورق الغار وحبه ورماد الصنوبر وخصوصا صمغ القنة والشونيز والمركبات من هذه (الحيوانات التي تهرب منها الحشرات) اذا جعل في البيت لغلغ أو طاوس أو قنفذ أو ابن عرس فان الهوام تفزع منها وتهرب وان ظهرت قتلها وكذلك البيضابيات والايائل (طرد الحيات) الكبريت والنوشادر بالخل يهرب بها والخردل يقتلها واذا وضع على مسكنها هربت منه (طرد العقارب) الفجل المشدوخ وعصارته اذا امسكت وورقه والباذروج وثفل الصائم والتبخر بالعقرب يهرب العقارب وكذلك الزرنيخ اذا وضع والفجل المقطع اذا وضع على جحرها لم يجسر على الخروج منه (طرد البراغيث) اذا رش البيت بطبيخ الحنظل أو نقوعه تماوتت البراغيث وتهاربت وكذلك العليق والخرنوب ودم التيس اذا جعل في حفرة آوت اليها البراغيث وكذلك يجتمع على خشبة طليت بلحم القنفذ ووسخ الكبريت والدفلى يهرب بها * وطرد البق والبعوض التدخين بنشارة خشب الصنوبر أو القلقندس أو بالشونيز أو بمجموعهما وهو أجود أو بالآس اليابس أو بالكبريت أو باخثاء البقر أو بالحرمل أو بورق السرو أو جوزه ورش البيت بطبيخ هذه أو بطبيخ الترمس أو الداب (طرد ابن عرس) يطردها ريح السداب (طرد الفار وقتلها) المرتك والحريق والبنج وأصل الفار وهي تتداوى بالسباحة في الماء فان لم تجد هامات والتراب الهالك وخبث الحديد واذا سلخت الفارة الذكر أو قطع ذنبها أو خصي وربط بخيط هرب الفار الباقي والسلخ أقوى (طرد النمل) دخان النمل نفسه يطرده ويهرب (طرد الذباب) يقتلها الزرنيخ وحده أو باللبن ودخانه ودخان الكندر وطبيخ الحريق الاسود (وطرد الزنابير) بخار الكبريت والثوم (طرد الخنافس) دخان الدلب وورقه (طرد الارضه) يطردها الهدهد اذا جعل في البيت والتدخين بأعضائه وريشه (طرد السوس) الافسنتين والفوتنج وقشور الاترج وماء الحنظل الرطب (طرد سام أبرص) الزعفران اذا جعل منه في البيت هرب

(الباب الخمسون في وصف الجنان وما فيها من حور وولدان)

عن أبي سعيد الخدري يرفعه ان الله جل ذكره لما حوط حائط الجنة لبنة من

ذهب ولبنة من فضة وغرس غرسها ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون فقال تعالى طوبى لك منزل الملوك وقال زيد بن أرقم قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون قال نعم والذى نفسى بيده ان أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى الاكل والشرب قال فان الذى يأكل تكون له الحاجة والجنة طيب لا خبث فيها قال عرق يفيض من أحدهم كرشح المسك فيضمر بطنه (دخل داود عليه السلام) غارا من غيران بيت المقدس فوجد حزقيل يعبد ربه وقد يبس جلده على عظمه فسلم عليه فقال أسمع صوت شبعان ناعم فمن أنت فقال داود قال الذى له كذا وكذا امرأة وكذا وكذا أمة قال نعم وأنت فى هذه الشدة قال ما أنا فى شدة ولا أنت فى نعمة حتى ندخل الجنة (قال مالك بن دينار) جنات النعيم بين جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل ومن يسكنها قال الذين هموا بالمعاصى فلما ذكروا عظمة الله راقبوه (وقال بعض العلماء) فى السدس الاخير من الليل تفتح أبواب الجنة ألا ترى أن أرواح الرياحين تفوح فى ذلك الوقت * جاء الاسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها من معاوية بمائة ألف درهم فقال له عبد الله بن الزبير بعت مكرمة قريش فقال ذهبت المكارم الا من التقوى يا ابن أخى اشتريت بها دارا فى الجنة أشهدك أنى جعلتها فى سبيل الله (ولمؤلفه رحمه الله)

اذا رأيتم قبر خير الورى * والمنبر الزاهى واجلاله
بشراكم الجنة هنيتم * ومن يرى هذا فطوبى له

وأنا أبتهل بلسان التضرع والخضوع وأسأل لحظات الاعتراف والخشوع لمتصفحى كتابى هذا وأبوابه ومتأملى ألفاظه واعرابه الصفح عما يقفوا عليه من عثرات العبارات والمعانى والتجاوز عما وقع فيه من التقصير والتوانى فالمعترف بذنبه كمن لا ذنب له ومن لا يقبل العذر فالذنب له

من رام أن يقبل البارى معاذره * فليقبلن مسرعا ممن له اعتذار

وليقتد بقوله تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم لا سيما مع استغراق زمان أنا بنكده منوط وليل ونهار أنا فيهما بطلب القوت مربوط واغراقى بحومة ظاهرة فى البيان وعجمة غالبة فى اللسان تمنع عن ادراك حقائق المرادات والجمع بين دقائق المعانى وحسن العبارات

ولكنني مكره في ذلك لا بطل

فان لم يكن نظم القصائد شيمتي * وليس جدودي يعرب وإياد
فقد تسجع الورقاء وهي حمامة * وقد تنطق الاوتار وهي جماد

ثم قل أن يخلص مصنف كتاب من الهفوة بل الهفوات وهيهات ثم هيهات ان ينجو الناظر أو المؤلف من العثرة بل العثرات خصوصا مع المتعنتين بل المتعنتين والحاسدين المغتبين ولكن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب عثرة أخيه ليهتكه طلب الله عثرته فهتكه

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا * فيهتك الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا * ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

وأنا أقسم على جماعة متصفحيه أن يتأملوه وينظروا فيه بعين الرضا ويعبروا عنه بلسان الصفا والوفا فان تجد فيه بعيدا قربه أو خطأ أصلحه وصوّبه

فان زل طرفي أو كبا فهو حلبة * يزل بها الطرف المطهم جاريا
فعفوا جميلا عن خطاي فانني * أقول كما قد قال من كان شاكيا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدي المساويا

وبالله أستعين أوّلا وآخرا ظاهرا وباطنا والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

قد تم طبع كتاب الفاضل الاديب اللوذعي الاريب ابي على البهائي الشهير بالغزولي في اليوم الرابع عشر من جمادى الثانية سنة ألف وثلثمائة من الهجرة النبويه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه وهو كتاب يشتمل على وصف دار الملك وما يحتاج اليه من انشاء وشعر وطب ونعيم وعلم هيئة ونديم ومجلس شراب وما يليق به من آنية الراح وما تفتقر اليه دار الملك من خزائن السلاح والآنية والملابس وما يليق بها من الشعار كالنمارق المصفوفه والزرابي المبثوثه ولما كان قد تداولت عليه الاعصار والقرون وعزّ لعرائسه أن تتردّى برداء المتون لما أنه لم يكن موجودا الا القليل من نسخه ولم يسبق أحد الى حوز فضله بطبعه بادرت مطبعة الوطن الى اقتناص ريعه

لشارده ففازت بالرشف من أكواب رحيقه المسلسله وآن أن
نقول قد فاح مسك ختامه واستنار فى دجى الليل بدر
ظلامه ولاح فجره وأسفر وروضه بحسن الختام
أزهر بمطبعة الوطن البهيه الكائنة
بمصر المحميه مصححا بالدقة على
قدر الامكان والله
المستعان وعليه
التكلان
تم

(فهرست الجزء الثاني من كتاب مطالع البدور فى منازل السرور للشيخ الاديب والفاضل الاريب علاء الدين على بن عبد الله البهائى الغزولى)

صحيفة

صحيفة

(تمت فهرست الجزء الثانى من مطالع البدور)